الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 02 معهد الآثار

العمارة العسكرية بين تأثير العثمانيين و الأندلسيين – الجزائر أنموذجا–

Defensive architecture between the influence of the Ottomans and the Andalusians - Algeria as a model -

I

إعداد الطالبة إشراف الأستاذ الدكتور

رزوق نعيمة عز الدين بويحياوي

السنة الجامعية 2020–2021

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 02 معهد الآثار

العمارة العسكرية بين تأثير العثمانيين و الأندلسيين – الجزائر أنموذجا–

Defensive architecture between the influence of the Ottomans and the Andalusians - Algeria as a model -

II

إعداد الطالبة إشراف الأستاذ الدكتور

رزوق نعيمة عز الدين بويحياوي

السنة الجامعية 2020–2021

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Alger2 **Institute of Archaeology**

Defensive architecture between the influence of the Ottomans and the Andalusians

- Algeria as a model -

PhD thesis in Islamic archaeology

Student Preparation **Supervision of Prof. Dr.**

REZZOUG NAIMA **AZZEDINE BOUYAHYAOUI**

Prof. Dr. NACHAR KHADIDJA (University of Algiers 2)……President

Prof. Dr. AZZEDINE BOUYAHYAOUI (University of Algiers2) ……..Supervisor

Dr. ALI BOUTCHICHA (University of Algiers 2)……member

Dr. SAID BOUZRINA (University of El Baidh)……..…….. member

Dr. Dehbia Mahmoudi (University of Algiers 2)…….. member

Dr. Souad Benchamma (University of Tipasa)…….……. member

Academic Year :2020-2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر و عرفان بالجميل

بسم الله و الحمد لله القدير الجليل الذي أنعم على عباده، اللّهم اجعلنا من الشاكرين، الذاكرين، الساجدين لك من دون سواك، فلك الشكر و لك الحمد.

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور عزالدين بويحياوي الذي تابع هذا العمل بالتصحيحات المستمرة والتوجيهات القيمة، فلم يبخل عليَّ بأية معلومة أو نصيحة، كما أشكره على صبره و تحمله معي مشقة انجاز هذا العمل إلى غاية اكتماله و تقديمه على أكمل وجه. فشكرا جزيلا فأنت حقا

كما قال الشاعر

قم للمعلم و أوفه التبجيلا **** كاد المعلم أن يكون رسولا

كما لا يفوتني ان أتقدّم بشكري الى كل من ساعدني من قريب أو بعيد لإنجاز هذا البحث من اساتذة و طلبة : الأستاذة سعاد بن شامة فكانت نعم الأخت و الصديقة

شكري الخالص لطاقم معهد الاثار من أساتذة ، طلبة، موظفين بالأخص عمال المكتبة على إعانتهم القيمة، وإلى عمال مكتبة الديوان الوطني للممتلكات الثقافية بحصن 23 (الارشيف و المكتبة) بالأخص حورية سباعي، دليلة و سامية و لعزازي رفيقة

إلى كل زملائي من بعيد أو قريب من أعانني ولو كان بالدعاء

إهداء

أضع هذا العمل بين يدي الله تعالى قاصدة به وجهه الكريم
أهدي هذا العمل المتواضع إلى سيدنا و حبيبنا المصطفى محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فلك مني أفضل الصلاة و السلام يا حبيبي يا رسول الله.
أهديه إلى والدي الكريمين حفضهما و أطال الله في عمرهما و الغالية أسكنها الله فسيح جنانه ، إلى كل أفراد عائلتي صغيرا و كبيرا .

كما أهديه إلى الفقيدين أعمدة الأثار الأستاذين الكريمين الأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج و الأستاذ الدكتور محمد صالح بن قربة تغمد الله روحهما و أسكنهما
فسيح جناته و إلى الحاج أبو بكر فقراوي رحمه الله و محمد البشير اطال الله في عمره.

مقدمة

التعريف بالموضوع:

يعد تحصين المدن من اهتمام الأمم و المجتمعات البشرية منذ القدم لتوفير الأمن و الاستقرار كانت منذ القدم ، و بدون هذه التحصينات ينعدم الأمن و الاستقرار ، و في هذا يشير يشير ابن خلدون الى أهمية الامن و الحماية قائلا: " **وجب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها ، وجلب المنافع و تسهيل المرافق لها : فأما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا سياج الاسوار، وان يكون وضع ذلك في ممتنع من الامكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل، و إما باستدارة بحر أو نهر بها،.... ".**

و عليه يعد تحصين المدن من اهم العناصر التي أولى لها رجال الفكر العمراني اهتماما بالغا، حتى انهم اشترطوا في اختيار المواضع لبناء المدن أن تتوفر فيها الحصانة الطبيعية و لم يكتفوا بذلك، بل تعدوا الى ضرورة توفير الحصانة الانشائية و المتمثلة في الاستحكامات الدفاعية كالقلاع و الحصون و الاواج على حد قول ابن ابي زرع في كتابه "**سلوك المالك في تدبير الممالك**":" أن يحوطها بسور، خوف اغتيال الاعداء، لأنها بجملتها دار واحدة" .

و منه فالأمن و الأمان قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر و قيام المدن ،و أمن المدينة عنصر اساسي في سكناها و بقائها ، ويعكس ذلك بوضوح دعوة او دعاء أبو الأنبياء سيدنا اراهيم الخليل عليه السلام، حين قدومه الى البيت الحرام بهدف ترك أهله مقيمين﴿.. **وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كفرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ....**﴾. (الاية 126 من سورة البقرة)

تعد العمارة العسكرية من الفنون المعمارية الدفاعية التي خلفها المعمار المسلم داخل الدولة الإسلامية ، اذ اعتُبر بناء هذا النوع من العمائر من المشاريع الكبرى التي أولاها المسلمون اهتماما، فأبدعوا فيها و طوروها حتى أصبحت المدن الإسلامية مثالا حيا في مجال التحصين، و للمسلمين الفضل في ابتكار الكثير من الأساليب الفنيّة والإبداعات العمرانيّة الحربيّة وكذا التفنّن في إنشاء التحصينات الدفاعية، ومن الإبداعات نذكر إضافة أبواب الأسوار الخارجيّة أبواباً داخليّة موازية لها للمبالغة في إحكام إغلاق هذه الأبواب، وكان هدفهم الأساسي في ذلك هو تحصين مدنهم والحماية من هجمات الأعداء البرية منها والبحرية،لتثبيت أمن الدولة والدفاع عن حدودها،وذلك برفع الأسوار العالية والتي تعد من أهم الأبنية العسكرية التي أنشاها المسلمون؛ نصب الأبراج المجهزة بوسائل الدفاع والمراقبة، وكذا إحكام الأبواب، بالإضافة إلى بناء الحصون، والقلاع والأمثلة عديدة سواء في مدن الشرق الاسلامي أو في مدن الغرب الاسلامي.

منه فان المباني العسكرية بمختلف أنواعها تعتبر جزءا من التراث الفني و الثقافي لجميع الامم و مصدرا حيا لكتابة التاريخ، لان التطور الحربي الفني سواء من الناحية الدفاعية او من ناحية تطور الأنظمة الحربية و الاسلحة يعد تطورا حضاريا ، بحيث ان اكتشاف المدفع يعد حدثا تاريخيا في العمارة العسكرية ، كما يعتبر تحولا خطيرا في تاريخ البشرية.

عليه المباني العسكرية تعتبر الدعامة الاساسية للسيادة الوطنية و المؤثر الفعال على الاوضاع العسكرية و السياسية و الادارية للدولة الجزائرية اثناء الحكم العثماني.

إنً الدولة العثمانية من الدول التي عرفت تطورا كبيرا في مجال العمارة العسكرية، إذ تمكنت في ظرف زمني وجيز من تحويلها إلى قوة عالمية، امتدت حدودها من نهر الفرات شرقاً إلى جزيرة كريت غرباً، ومن شبه جزيرة القرم شمالاً إلى بلاد النوبة جنوبا. و بإشراف العثمانيين على كل هذه المناطق البحرية . ومن جهات متعددة . تمكنوا من الربط بين جميع ممتلكاتهم البرية والبحرية سواء في القارة الافريقية، أو القارة الآسيوية، أو القارة الأوربية . إلا أنً الدًفاع عن كل هذه الممتلكات كان يتطلب تحقيق إحدى الأولويات الاستراتيجية والتي تتعلق بضرورة إنشاء استحكامات عسكرية من قلاع وحصون وأبراج لصد الهجمات البرية والبحرية ، بالإضافة إلى بناء أسطول بحري قادر على المواجهة البحرية والعسكرية للقوى المسيحية الأوربية . النقيض الحضاري والاستراتيجي للدولة العثمانية . خصوصاً وأن هذه القوى كانت لها حدود مشتركة مع العثمانيين، وتحديداً بالبحر الأبيض المتوسط، والذي شهد أعنف الحروب بين التحالف المسيحي(إسبانيا والنمسا والبندقية و جنوة)والدولة العثمانية.

تعتبر الجزائر من الدول التي أخضع كل ساحلها بالإضافة إلى مدنها المطلة عليه إلى القوات العثمانية بحيث كان لها دور كبير في عمليات الجهاد البحري، والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط. نذكر على سبيل المثال مدينة الجزائر و شرشال هذه الأخيرة التي تعتبر إحدى أكبر المدن الجزائرية بعد تمكن القائد عروج من تحصينها و تحويلها إلى قلعة، ومن جهة أخرى مصنعا للعتاد البحري، بالإضافة إلى وهران و بجاية. و العمارة العسكرية في الجزائر صورة لحضارة وسلطة ونمط فني تستجيب لتطورات هي تعبير الأسلحة وللاستراتيجيات العسكرية المتجددة، كما هي تعبير عن ترابط بين العمارة والفن.

تعرضت دولة الجزائر اثناء العهد العثماني لحملات عسكرية وهجمات بحرية مسلحة متتالية ومستمرة استهدفت جميع المدن الساحلية كوهران، بجاية بالإضافة الى مستغانم ،أرزيو ، تنس ، شرشال والجزائر العاصمة، فالكل كان يطمع إليها ويسعى إلى وضع حد للقرصنة. إلا أنها تمكنت من مواجهة هذه القوات وصد هجماتها، بواسطة الاستحكامات العسكرية التي تم بنؤها في تلك الفترة والتي استكملت بها نظامها الدفاعي البحري والبري، وقد تمثلت هده الاستحكامات في مباني عسكرية من حصون وقلاع وأبراج وأبواب، تمكنت بواسطتها من تامين مواقعها الساحلية من الغزوات الخارجية، فأصبحت تشكل أهم عناصر شبكة الدفاع في الجزائر للحفاظ على الاستقرار والأمن.

من هنا جاء اختيار هذا الموضوع الموسوم بـ " **العمارة العسكرية بين تأثير العثمانيين و الأندلسيين – الجزائر أنموذجا**– " لدراسة العمارة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني و تتبع مدى مساهمة كل من العثمانيين و الأندلسيين فيها و أخذ الباقية منها كنماذج. و هذه الأسباب مجتمعة تحدد اختياري لهذا الموضوع وكذا محاولة مني إضافة جديد إلى رصيد فن العمارة العسكرية الدفاعية في الجزائر خلال الفترة العثمانية. **و عن أهمية الموضوع**؛ يمكن إدراج هذا الموضوع في حلقة البحوث و الدراسات الهادفة الى البحث عن اهم التأثيرات العثمانية و المساهمة الأندلسية على العمارة المحلية الجزائرية و على وجه الخصوص العمارة العسكرية ، و ذلك ليظهر التجانس العملي بين أعمال معمارية محلية بخصائص عثمانية ولمسات فنية أندلسية العمائر.

إشكالية الموضوع:

نرى أنً تحقق في الأساليب الدفاعية تأثير العمارة العثمانية على العمائر المحلية الجزائرية من خلال استحكاماتها العسكرية، هذه الاخيرة التي كان للأندلسيين دور فعال في انشائها.

و عليه يتلخص الإشكال الأساسي لهذه الاطروحة في : **ما مدى تأثير العمارة العثمانية و المساهمة الاندلسية على العمائر المحلية في العهد العثماني ؟**

للتفصيل في هذا الطرح فقد ادرجنا العديد من التسؤلات الفرعية للإجابة عنها ضمن صفحات هذا العمل و هي :

- ماهي الطرق و الاساليب الدفاعية التي استخدمها العثمانيون لصد هجومات الاعداء على الجزائر؟
- ماهي الأسس و الممزات التي تميزت بها العمارة الدفاعية في الجزائر في العهد العثماني و ماهي خصائصها؟ وما مدى تأثير في تطوير المنشآت المعمارية العسكرية ؟ وهذا ما يفسر حقيقة إن كان هناك مزج وتوافق بين العمارة المحلية و بين تأثير الخصائص الفنية المعمارية العثمانية والأندلسية عليها. وإذا كان ذلك فهل هذا يعني أن الجزائر عرفت عمارة عسكرية متميزة بعد دخول العثمانيين والأندلسيين إليها، أم أن جذور هذه العمارة كانت موجودة قبل ذلك؟ مما يدل على وجود عمارة عسكرية محلية محضة، لها خصائصها وممزاتها بالرغم من وجود تأثرات عثمانية أندلسية عليها.

أهداف الموضوع:

نهدف من وراء هذا الموضوع الى التعريف بالعمارة العسكرية الجزائرية في الفترة العثمانية– الحديثة– و تبيان أهم التطورات التي عرفتها و الوقوف على أهم خصائص و مميزات العمارة الدفاعية في الجزائر في العهد العثماني و مدى قدرة الدولة على الاستمرارية رغم الهجمات الخارجية. من هنا فان هذه الدراسة تهدف الى ابراز المساهمة الاندلسية و التأثير العثماني على العمارة الدفاعية الجزائرية المحلية .

دوافع اختيار الموضوع:

إنً طبيعة الموضوع الذي يجمع بين العمارة الدفاعية المحلية الجزائرية و بين التأثير العثماني والمساهمة الاندلسية عليها، زد على ذلك قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة في هذا المجال، بالأخص العمارة الدفاعية من الدوافع الرئيسية لاختيارنا لهذا الموضوع ، كما أنًه يعد إلهام لكل باحث أراد الخوض في غمار العمارة العسكرية، وعدم تركيز الباحثين في دراستهم على هذا المجال. لذلك وقع اختيارنا لهذا الموضوع لإبراز النظام الدفاعي الجزائري المدعم بسلسلة من الاستحكامات الدفاعية، و مدى تأثًره بالعمارة العثمانية، من ثم مساهمة الاندلسيين عند استقرارهم في تطوير هذا المجال من الناحية الانشائية. فالهدف من هذا البحث:

- إتمام الناقص من الدراسات خاصة في مجال العمارة العسكرية و التأثيرات العثمانية و الاندلسية .

- دراسة مساهمة الاندلسيين المعمارية عموما و الدفاعية خصوصا على العمارة المحلية الجزائرية و هذه الاخيرة تندرج ضمن موضوع البحث.

الدراسات السابقة:

نظرا لطبيعة الموضوع المتشعبة و التي تظم في كنفها العديد من الأفكار المتداخلة، هو ما جعل عملنا يجمع جملة من المصادر و المراجع بالعربية و الأجنبية المتنوعة التي تفاوتت قيمتها العلمية و اهميتها في خدمة موضوع البحث ، و التي يمكن ان تقدم اضافة علمية لهذا الطرح، و قد تم تقسيمها قصد توضيح ما قدمته من فائدة علمية منها؛ مصادر ومراجع تاريخية وجغرافية تخص الجانب التاريخي للجزائر في العهد العثماني، تاريخ الاندلس و المغرب الاسلامي. و هناك البعض منها تخص العثماني، بالإضافة الى مراجع خصت مجال التأثيرات العثمانية في الجانب الدفاعي اي التحصينات الدفاعية في العهد العثماني و هي قليلة جدا بالإضافة الى المساهمة الاندلسية.

اشرنا الى البعض من المصادر العربية التي نقلت لنا معلومات في غاية الأهمية و قد افادتنا كثيرا نذكر بعض كتب الرحالة و الجغرافيين العرب مثل "**صورة الأرض**" لابن الحوقل النصيبي ، " **كتاب المسالك و الممالك**" للبكري ، و" **نزهة المشتاق في اختراق الافاق**" للشريف الادريسي، كتاب " **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**" للمراكشي شرحه صلاح الدين الهراري ، كتابين "**الإحاطة**" و " **كناسة الدكان- بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب في القرن الثامن الهجري**" للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق، محمد كمال شبانة " **نفح الطيب**" للمقري و كذا استغلناها في تتبع التاريخ الاندلسي مع مراحل الهجرات الاندلسية عبر شمال افريقيا، و كتاب" **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**"، محمد بن أبي دينار، و نظيف الى جانب هذه الكتب كتابين" **المقدمة** "

و"**ديوان العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ف في ايام العرب و البربر و العجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر**" لعبد الرحمن ابن خلدون و كتاب " **كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس**" لابن أبي الضياف الذي أفادنا بالتعرف على شخصيات الأخوين بربروس عروج و خير الدين و دورهما في مساعدة و تهجير الأندلسيين الى شمال افريقيا و تركزهم على المدن الساحلية بالأخص مدينة الجزائر، شرشال و كتاب "**التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**" لابن ميمون الجزائري المحقق من طرف محمد بن عبد الكريم الذي تناول فتح وهران، وكتاب "**غزوات عروج و خير الدين**"، تعليق نور الدين عبد القادر و قد أفادنا هذا المصدر في إبراز الأحداث التاريخية و المعارك التي حدثت بين الجزائر و القوى الأوروبية.

كما استعملنا بعض المصادر المعاصرة للفترة العثمانية منها "**مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر**" للزهار أحمد الشريف و" **المرآة** " لحمدان خوجا، و كتاب " **وصف افريقيا** " للحسن الوزان الفاسي.

اما المصادر باللغة الاجنبية نذكر كتاب" **Recueil de notices historiques sur l'administration de l'ancienne région** " لديفولكس و هو ترجمة لمخطوط التشريفات باللغة التركية موجود بمكتبة الحامة، بالإضافة الى كتاب التحصينات بعنوان" **Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger par le chef de bataillon Boutin1808** " للجاسوس الفرنسي بوتان و يذكر فيه أغلب التحصينات العسكرية ، بالإضافة الى بعض المدونات التي سجلها بعض العلماء والرحالة والأسرى والسياسيين الغربيين الغربيين حول الجزائر، مثل الإنجليزي الدكتور "**Shaw**" الذي زار الجزائر عام 1720 م و 1732م والفرنسي الذي أقام بالشرق.

الجزائري "**Peyssonnel**" بين 1724م و 1725م،وأعمال الاسباني **Haedo** التي نشرت بالإسبانية عام 1608 م ، وترجمت إلى الفرنسية لتنشر بالمجلة الإفريقية **R.A** بين سنتي 1895 م و 1897 م.

و من مقالات هذه المجلة نذكر " **« Topographie et histoire générale d'Alger »** لهايدو بالإضافة الى**« Histoire générale d'Alger ».**

من المصادر المهمة من نفس المجلة مقال لبربرجر**A.Berbrugger** بعنوان « **Milianah** » و لوبران اكيلاس **Le Brun Aquilas بعنوان** « **Miliana** » ، بالإضافة إلى مقالات بجريدة لومونيتور **Journal le moniteur** و **Tableau de la situation** كلاهما يعود الى فترة الاحتلال الفرنسي، أفادتنا في وصف و تحديد فترة بناء أسوار مليانة ، دُوِّنت فيها تقارير تعود إلى فترة الاحتلال الفرنسي.

نضيف إلى هذه كتاب لمارمول كاربخال بعنوان افريقيا؛ تناول الوجود الاندلسي في المدن الجزائرية كمدينة الجزار، شرشال مليانة ، قليعة و شرشال...الخ.

أما في المجال المعماري فقد اعتمدنا على بعض المصادر منها الكتب العشرة لفيتروفيوس « **les dix livres de l'Architecture** » و كذا شوازي **Choisy** بعنوان « **l'Histoire de l'Architecture** » و « **l'Art de bâtir** » لنفس المؤلف أفادنا في دراستنا للعناصر المعمارية الدفاعية و مواد و تقنيات البناء.

بالنسبة للمراجع باللغتين فقد تنوعت و تعددت، نذكر بالعربية كتب متعلقة بالجزائر في العهد العثماني(التاريخ،الجيش....)منها الكتاب بعنوان "الجيش الجزائري" لخلاصي علي و كتاب " **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري و السياسي**" لأرزقي شويتام، و كتاب "الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية لعزيز سامح الترـ.

نظيف كتب متعلقة بالعمارة الدفاعية في المغرب و الاندلس " **الاثار الاسلامية في المغرب**" " **الاثار الاسلامية في الاندلس** " للمؤلف كمال عناني اسماعيل، و كتاب "**L'Architecture Militaire de L'Algérie médiévale** " لرشيد بورويبة و كتاب "**مليانة**" ووليها سيدي احمد بن يوسف للمؤلف أما بالنسبة للفترة العثمانية و هي قليلة جدا ، و قد سجلنا نقصا كبيرا في تخصص العمارة الدفاعية في الجزائر في العهد العثماني باستثناء مرجعين و هما " القلاع و الحصون في الجزائر في العهد العثماني" لخلاصي علي و " المدفعية " لدرياس لخضر، و انعدام مراجع تخص مجال التأثيرات العثمانية الدفاعية على العمائر الجزائرية ، باستثناء بعض المقالات صادرة عن المجلة التاريخية المغاربية ، وتعد من المنشورات الحديثة و التي تصدرها مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بتونس، و قد افادتني كثيرا نذكر " **أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الاثار العثمانية حول التأثيرات الأوروبية على العمارة العثمانية و آليات الحفظ و الترميم** "، " و **أعمال المؤتمر العاشر لمدونة الاثار العثمانية و الذي عقد بتاريخ 03-04 ديسمبر 2010 حول المعمار و تهيئة المدن ، الفنون و التقاليد عبر الحياة اليومية** ، تحت اشراف و تقديم أ.د عبد الجليل التميمي.

اما فيما يخص المساهمة الاندلسية فقليلة جدا فيما يخص الجانب المعماري الدفاعي للأندلسيين في الجزائر في العهد العثماني باستثناء بعض الدراسات التي اعتمدت عليها متعلقة بالمساهمة الاندلسية في العديد من الجوانب؛ الثقافية، العسكرية (الجيش)، فمن الدراسات كتب لسعيدوني ناصر الدين منها: " **دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر العثماني**" ، " **دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**"، و كتاب **L'Algérois rural à la fin de**

L'époque Ottomane ، و بعض مقالاته في نفس المجال منها " **صور من الهجرة الاندلسية الى الجزائر**"، و " **الاندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر(دار السلطان) أثناء القرنين السادس عشر و السابع عشر** " بحوليات جامعة الجزائر

كتب لحنيفي هلالي، كأبحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي، و بعض مقالاته في نفس المجال نذكر " **الحضور الاندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية**، و" الحضور الاندلسي بالجزائر في العهد العثماني" . و نظيف للقائمة كتاب لمحمد الامين بلغيت بعنوان " حلقات في تاريخ الغرب الاسلامي..." و كتاب لمحمد رزوق بعنوان " **الاندلسيون و هجراتهم الى المغرب خلال القرنين 16-17م**، و كذا علي أحمد علي كرير بعنوان" **المهاجرون الاندلسيون و تأثيراتهم على بلاد المغربيين الادنى و الاوسط خلال القرنين (13-14م**. و كتاب " **المدينة والسلطة....** " لمصطفى بن حموش.

بعض المقالات الصادرة في المجلة التاريخية المغاربية ، وتعد من المنشورات الحديثة و التي تصدرها مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بتونس، و قد افادتني كثيرا نذكر " **أعمال** المؤتمر العالمي الرابع عشر للدراسات الموريسكية – الاندلسية مهداة الى الاستاذ الاسباني ميكال دي ايبالثا " السلسلة الرابعة: تاريخ الموريسكيين الاندلسيين...

نظيف الى هذا الجانب المعرفي مجموعة من الرسائل و الأطروحات الجامعية تخصص الأثار الاسلامية، القديمة و كذا الهندسة المعمارية نذكر في مجال الاثار؛ اطروحة الدكتوراه بعنوان " **اطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية" لبوطبة محفوظ و " طبانات مدينة الجزائر في الفترة العثمانية** لمفتاح عثمان و " **المعالم الأثرية لمدن الوسط الجزائري في**

العهد العثماني – شرشال، القليعة، البليدة– و مظاهر التمدن الاندلسي" لسعاد بن شامة ، و" **التأثيرات الأندلسية على العمارة والفنون التطبيقية في الجزائر خلال الفترة العثمانية**" لمليكة بن مصباح. أما بالنسبة للهندسة المعمارية؛ اطروحة **لأمينة قريشي بعنوان" la sauvegarde et la réutilisation des monuments du système défensif de la ville de Bejaia "** و بوقواطيم أم الخير بعنوان " **Pour une Méthodologie dans la revalorisation de l'Habitat ancien- Cas de la ville de Miliana, "** عن موضوع مليانة، و **Kouri Yasine, Les Caractéristiques Architecturales et le Système constructif du Blockhaus de Koléa** لموضوع برج القليعة.

بهذا القدر قد أتينا الى ذكر أهم المصادر و المراجع التي قمنا بتوظيفها ضمن صفحات هذا العمل المتواضع، على أنً ما تبقى منها تم إدراجه في قائمة المصادر و المراجع.

<u>المنهج المتبع</u>:

لإنجاز هذا البحث اعتمدنا على منهجين وصفي و تحليلي وهما من المناهج الأنسب للدراسة الأثرية، بالإضافة الى المنهج التاريخي الذي اعتمدنا عليه في عرض الأحداث التاريخية وتتبع التطور التاريخي للاستحكامات الدفاعية و عناصرها بالجزائر في العهد العثماني، وكذا الاندلسيون و مساهمتهم.

و لطبيعة عملنا الاثري فإنه اعتمدنا على :

- **الجانب النظري:** وهو الخاص تحديدا بجمع المادة العلمية، اذ يأخذ يعين الاعتبار المصادر و المراجع التي تناولت الاحداث التاريخية، بالإضافة إلى الاعتماد على أهم المقالات و الرسائل الجامعية التي عالجت هذا الموضوع.
- **الجانب التطبيقي:** فيمس الموضوع من الناحية الميدانية و يرتكز اساسا على دراسة النماذج بأخذ المقاسات و الصور الفوتوغرافية، القيام بالرفع الاثري و انجاز مختلف المخططات.

<u>صعوبات البحث</u> :

ككل الدراسات الاثرية، تعترض الباحث اثناء دراسته عراقيل و صعوبات لإتمام هذا البحث ، من جمع المادة و تحريرها الى غاية الخروج بها للصورة المطلوبة و لعل من اهم الصعوبات التي اعترضت عملنا نذكر:

- طبيعة الموضوع التي تتحدث عن التأثيرات العثمانية و المساهمة الاندلسية في العمارة الدفاعية بالجزائر في العهد العثماني، و لعل هذا ما صعّب علينا ايجاد تفسير لبعض المتغيرات أمام شح المادة المصدرية ذات الطابع الدفاعي العسكري، و هذا ما جعل عملية البحث عن التأثيرات و المساهمة شبه عسير ، خاصة وان النماذج المتعلقة بالدراسة (المعالم الاثرية النموذجية) تعرضت الى التغيير الكلي من طرف الاستعمار الفرنسي حتى مواد البناء، ما صعب علينا تحديد العناصر الاصلية للمعلم **(Originelle)**.
- نقص المادة العلمية ، ما جعل عملية البحث عن التأثيرات سواء العثمانية منها او الاندلسية على العمارة الجزائرية شبه عسيرة ، فلم نعثر على مراجع تتناول هذه المعالم. ورغم هذه الصعوبات الا انها لم تثني من عزيمتنا في تحقيق هذه الدراسة المتواضعة، لذلك حاولنا جاهدين برعاية الله و قوته محاولة تذليلها.

خطة البحث:

وفق ما سبق ذكره فقد قسمنا موضوع الأطروحة الى مقدمة و فصول بالإضافة الى خاتمة، فكان البدء بالفصل التمهيدي تضمّن تاريخ العمارة العسكرية تمّ فيه تسليط الضوء على أهم التطورات التي عرفتها العمارة العسكرية عبر التاريخ.

أمّا الفصل الأول " **تاريخ الدولة الجزائرية في العهد العثماني و نوعية نظامها**"، و الذي تضمّن جوانب ثلاثة وهي؛ الدخول العثماني الى الجزائر، النظام العسكري ثم الصراع الاجنبي على سواحل البحر الابيض المتوسط.

بالنسبة للفصل الثاني المعنون بـ " **العمارة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني**"؛ تطرقت فيه الى التحصينات الدفاعية لبياليك الجزائر، مع تحديد بعض الأسس و المميزات التي اختصت بها العمارة الدفاعية في الجزائر في العهد العثماني.

في ما يخص الفصل الثالث بعنوان" **الأندلسيون في الجزائر خلال العهد العثماني**"؛ تناولت فيه هجرات الأندلسيين الى الجزائر، و كذا آثارهم التي مست جميع الميادين و أماكن استقرارهم.

خصّص الفصل الرابع الموسوم بـ" **العمارة العسكرية من خلال مصطلحاتها و تاريخها** "، في التطرق الى أهم المصطلحات المتعلقة بالتحصينات الدفاعية و كذا المتعلقة بالعناصر المعمارية الدفاعية.

بالنسبة للفصل الخامس الذي اخذ عنوان – " **الدراسة الوصفية** " – خصصناه لدراسة النماذج المتمثلة في مجموعة من الاستحكامات العسكرية في المتمثلة في أسوار مليانة، برج الانابود بشرشال، برج القليعة بالقليعة وأخيرا برج المصلى بالمدية).

و آخر فصل وهو الفصل السادس الموسوم بـ " **الدراسة التحليلية** " تطرقت فيه الى تحليل العناصر التالية بدءا بالاستحكامات العسكرية، وتضم المخططات المعمارية معمارية للنماذج المدروسة ؛ أسوار مليانة ، ويليها الأبراج نذكر بقايا أبراج السور التي تصنف ضمن الأبراج المتصلة ليليها الابراج المنفصلة . ثم تناولنا العناصر الدفاعية للنماذج المدروسة من مزاغل و سقاطات بالإضافة الى عناصرها المعمارية من عناصر الدعم كالعقود، بالإضافة الى فتحات كالنوافذ و الأساكيف كذا الأبواب و السلالم مع التسقيف ، ليليها مواد و تقنيات البناء ، و أخيرا تناولنا التأثير العثماني و المساهمة الاندلسية على العمائر العسكرية في الجزائر(من خلال النماذج المدروسة).

و في نهاية هذا العمل المتواضع حاولنا استخلاص جميع النتائج في خاتمة اشتملت على نتائج البحث مع بعض التوصيات و الاقتراحات تخص المعالم المدروسة ، كما ارفقناها بملاحق توضيحية التي تنوعت ما بين المخطوطات، خرائط، مخططات و لوحات بالإضافة الى نماذج من الوثائق التاريخية و الاشكال و اللوحات .

في الاخير نسال الله التوفيق و السًداد فإن وُفًقنا فمن الله عز وجل و إن اخطأنا فمن أنفسنا.

فصل تمهيدي

تاريخ العمارة الدفاعية

تاريخ العمارة الدفاعية:

يمثل الصراع السمة البارزة التي طبعت التجمعات البشرية من أجل ضمان بقائها أولا وبسط نفوذها على غيرها ثانيا ، فكان لزاما على الإنسان أن يبتكر طرقا ووسائل يحقق بها غاياته في الدفاع عن كيانه ودولته ، ومن هذه الطرق والوسائل؛ العمارة العسكرية و ما تحويه من حصون و أسوار و قلاع و كذا أبراج وغيرها من المنشآت الدفاعية الحربية، كل هذه شكلت أداة هامة لضمان المحافظة على استمرار كيان الدولة و حماية سكانها[1]، ولكثرة استخدام هذه الاستحكامات الحربية اصبحت من المعايير الأساسية لقيام المدن واستمرارها لأنها توفر الأمن والأمان لساكنيها[2]، و الحضارات تورثت طرق وتقنيات بنائها وكل واحدة تخضعها للتطوير والتغيير حتى تتلاءم مع تطورات وسائل الحروب.[3]

اذن لا شك ان الانسان شعر منذ القدم بالحاجة الى حماية تجمعه خاصة في حالة الانصراف الى العمل او الخلود الى الراحة[4]، و الجدير بالذكر أن مسألة الدفاع شكلت منذ القدم هاجسا لدى الإنسان[5]*، حيث ظهر مفهوم التحصينات الدفاعية منذ بداية انشغاله بالاستقرار، وتدل الأبحاث الأثرية في عدد من المناطق على وجود

---

[1]- موسى هصام،" **الدفاعات الحربية الحمادية – منشات و فنيات القلعة و الناصرية (بجاية) أنموذجا**، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، اعمال الملتقى الدولي – النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني 27/26 نوفمبر 2014،العدد 05 ،الجزء الاول ، السنة، 2014، ص،386.

[2]- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت،1988 ، ص،121.

[3]- مصطفى شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق،1997،ص،433.

[4]- محمد ابو حميد،" **الجانب التاريخي للأسوار**"، الندوة الوطنية حول اسوار المدن العريقة بتنزرت، مديرية التراث الثقافي ، المملكة المغربية ، وزارة الشؤون الثقافية،1989،ص،27.

* حسب محمد الأمين في مداخلة ألقيت بمدينة تاوريرت، بمناسبة الأنشطة الثقافية بعنوان" طور المجال الدفاعي المعماري بالمغرب".

[5]- محمد أمين،" **تطور المجال الدفاعي المعماري بالمغرب**"، مداخلة، ألقيت بمدينة تاوريرت، بمناسبة الأنشطة الثقافية للسنة الجامعية 2006-2007، التي نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجذة ما بين 8 و9 ماي 2007،ص،ص،1-2.

تحصينات بدائية التجأ إليها الإنسان للاحتماء، إما من الظروف المناخية القاسية، أو من الحيوانات الضارية التي كانت تطارده، بل إنً الدور الوظيفي أصبح أكثر إلحاحا أمام بداية الصراع على البقاء مع بقية جنسه. خاصة و أنً القبائل البدائية المستوطنة منها والرُحَّل، كانت تقي مضاربها من الوحوش والمغيرين بنايات من تراب، محاطة بخندق أو سلسلة من خطوط الحماية مكونة من سياج خشن غير مصقول مركب أو بالأحرى مكون من جذوع الأشجار أو الأشواك أو الحجارة والتراب، وبما يناسب الشروط الطبيعية للموقع.[1]**(الشكل (01))**

تطورت فنون بناء الحصون مع الزمن ، فتحولت من مجرد أعمال ترابية وأسيجة تفرضها الحاجة إلى منشآت خشبية أو حجرية دائمة وأبنية معقدة في مواضع ذات أهمية استراتيجية عسكرية أو اقتصادية، تختلف مناعتها وشدة تحصينها باختلاف الغاية منها و قوة العدو المحتمل وتسليحه و براعته في القتال[2]. فكان تشييد القلاع و الابراج و الحصون و المدن المسورة في مقدمة ما عنى به الانسان منذ فجر التاريخ. وينظر الى تلك العمائر ذات الصفة الحربية على انها من ابرز ما تركه الانسان، و قد بدأت عمليات البناء هذه، مع بدايات تحضره واستقراره على الأرض التي استوطنها، وقد عرفت الحضارات الإنسانية القديمة الحصون و القلاع، وهناك العديد من الآثار والأوابد الدالة على ذلك العطاء الإنساني، التي يُنظر اليها على انها رمز للقوة و المنعة و نتاج فكر وخلاصة تجربة و مقتضيات ظروف و حاجة، وتعبير عن صراع و امكانات، وعنوان سيادة و تفوق، وانتصار. وربما كانت اول ما شيدته يد الانسان لتوفير و لتحقيق السيادة

---

[1]- Korichi Amina, la sauvegarde et la réutilisation des monuments du système défensif de la ville de Bejaia, Département architecture, université de Mouloud Mammeri ,Tizi –Ouzou,2011,p,11.

[2]- محمد أمين، المرجع السابق، ص، ص، 1-2.

و التفوق و الامتداد، كما انها ربما كانت القطب الروحى الذي دارت حوله و استهدفت المعارك الطاحنة التي خاضها الانسان في صراعه من اجل ذلك.[1]

من هنا واعتمادا على ذلك يتضح أنً تاريخ التحصينات أو الاستحكامات الحربية أو بالأحرى النظام الدفاعي يعود الى فترة ما قبل التاريخ منذ العصر الحجري[2] حسب بينيفولو **Leonardo** أن النظام الدفاعي جاء لحماية محيطه ذلك بإحاطة منشآته و مدنه بالأسوار.[3]

تشير الدراسات الأثرية أن أكثر المدن تحصينا و تسوريا هي مدن بلاد الشام والرافدين وآسيا الصغرى ومصر و روما، اذ كانت مسوّرة ومحمية بتحصينات قوية وأسوار مدعمة بأبراج على عدة خطوط، وبوابات محصنة وقصور منيعة داخل الأسوار، إضافة إلى وجود خندق مائي أو مانع طبيعي يحميها من بعض الجهات. و الجدير بالملاحظة ان العديد من القلاع والمعاقل الحصينة، أقيمت على طرق التجارة والنقاط الاستراتيجية المهمة، أو عند حدود البلاد. و ظلّت هذه الاستحكامات العسكرية تحتل المكانة الأولى في الدفاع قرونا حتى ظهور الأسلحة النارية واختراع المدافع، وتبنّتها أكثر شعوب العالم كاليونان والرومان، والعرب، والصينيون وغيرهم. ومن أشهر تلك التحصينات نذكر المعسكرات الرومانية المغلقة و كذا سور الصين و أسوار القسطنطينية وأنطاكية ومدن الثغور، بالإضافة الى القلاع والحصون المنتشرة في بلاد الشام والأناضول وقلاع الإقطاعيين في أوربا.[4]

---

[1]- محمد الجهيني، العمارة الحربية في الجزيرة العربية في العصر العثماني، الطبعة الاولى، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة، ،2008،ص،5.

[2]- Leonardo Benevolo,.Histoire de la ville, Traduit de l'italien par Catherine Parenthèse Peyre, Edition, 2004, p,p,11- 13.

[3]- Korichi Amina,Op,Cit,p,11 .

[4]- Korichi Amina , ,Op,Cit,,p,p,11-13.

كما كشفت الابحاث الاثرية ان منطقة الشرق الادنى حوالي سنة 6300 ق.م، ظهرت بها ثكنات للجند، بالإضافة الى القلاع و التحصينات، و هذه الاخيرة دلت على وجود فئة متخصصة من الجند، وضيفتها حماية المدينة و المحافظة على امنها، حيث كان الصراع كبير و عنيف بين الشعوب البحرية خاصة تلك التي تسكن في اسيا الصغرى و جزر بحر ايجه، و المدن الفينيقية على سواحل سوريا و فلسطين، وحقيقة الصراع كان حضاري و تجاري، حيث عملت هذه الشعوب على السيطرة على المناطق الحضارية و الطرق التجارية البحرية في البحر المتوسط، و حماية لذلك كان من الضروري التفكير في تحصين المدن من خطر الغزو الخارجي، و بذلك ظلت الأسوار و كذا الاستحكامات والخنادق حسب الدكتور عبد الستار عثمان، من خصائص المدن حتى القرن الثامن عشر في أوروبا بل حتى اليوم في أجزاء قليلة من العالم، وانطلاقا من أهمية الأمن الذي يتوفر بتحصين المدينة أعتبر السور من المعايير الحضارية التي تميز المدن.[1]

نظيف الى أن المدن الاغريقية* في بداية نشأتها خاصة الموجودة على سواحل البحر المتوسط في اسيا الصغرى، قد عرفت بناء القلاع داخل المدن، أي تتوسطها[2]، هذا يؤكد اعتناء الاغريق**[3]، ثم الرومان بالتحصينات عناية كبيرة، فبنوا

---

[1]- عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص،ص،121-122.

* عرفت باسم الاكروبوليس، حيث تتحصن به الساكنة في حالة أي هجوم بحري، وبداخله انشا المعبد، وكان ذلك حوالي 2500ق.م . فوزي الميكاوي ، تاريخ العالم الاغريقي و حضارته من اقدم العصور حتى عام 322ق.م، دار الرشاد ، دار البيضاء، المغرب، 1400هـ/1980م، ص، 60. و للاطلاع اكثر عن العمارة الاغريقية العسكرية انظر؛ Jean- Pierre Adam, L'Architecture Militaire Grecque ,Publié avec le concours du CNRS,Picard,Paris,1982,p,p, Voir aussi Ernesto D'Alfonso et Danilo Samso, L'Architecture , Les formes et les styles de l'antiquité a nos jours ,Ed Solar,Paris,2002,p,p,28-44.

[2]- فوزي الميكاوي، المرجع السابق، ص، 60.

** كان النظام الدفاعي للمدن الاغريقية كان مركبا اساسا من سور مبني بالحجارة المصقولة الكبيرة الحجم، مُدعًا بأبراج مربعة الشكل، تظهر على شكل نتوءات بارزة على مستوى الجدار. .انظر كل من Selka Mohamed Chiheb, Etat du patrimoine défensif à Tlemcen ,entre valorisation et usage. Cas de Bâb El Quarmadine, Université Abou Bakr Belkaid, Faculté de Technologie, Département d'Architecture,- Tlemcen-, 2015, p, 28. و Korichi Amina ,Op ,Cit ,p, 14. و Marie-Christine Hallmann, Ibid, voir aussi Jean Paul Adam, - l'Architecture militaire Grecque, Edition Picard, Paris,1981,p,69.

البروج و علوا الأسوار ليصل ارتفاعها الى 45م، و مع ازدياد الحروب و الصراعات ازداد تطور هذه التحصينات.[1] **اللوحتين(01)،(02))**

أما بالنسبة للمصريين فإنً التحصينات غالبا ما تكون مزدوجة، مُشكّلة بذلك ممرً ضيق، على قاعدة جدار السور مدعم ببناية منحدرة. بالنسبة للقسم الأعلى فقد تُوِّج بمجموعة من شرفات و ممر مستدير للمدفعيات.[2]**(اللوحة(03)).**

أما في بلاد الرافدين، فإنً المدن السومرية كانت محاطة بجدران أسوار أو بالأحرى أسوار لرسم أو تشكيل حدودها من جهة، و حمايتها من الأعداء من جهة أخرى. أما بالنسبة لنظام هذه المدن الدفاعية، فكان يعتمد على طريقة إنشاء جدارين مشتركين أو متصلين، حيث الجدار الخارجي قد حصن بأبراج مربعة الشكل مبنية بالآجر الطيني أو المشوي، و كذا قلعة تطل على كل المدينة. [3]**(اللوحة(04))**

بالنسبة للعرب القدامى؛ فلقد اعتنوا كثيرا بالمنشآت الدفاعية العسكرية، تحسبا للنزاعات الحربية سواء الداخلية بينها أو الخارجية، و خير مثال على ذلك دولة اليمن و ما عرفناه من نشوب نزاعات شديدة امنية ، بالإضافة الى الصراعات القبلية، وكذا التنافس من اجل السلطة بين امراء الدولة الواحدة. و الملاحظ أنً هذه المدن قد أقامت لنفسها منشآت دفاعية متنوعة و مهمة، وفقا للطبيعة التضاريسية

---

[1]- ديري أحمد واخرون، الموسوعة العسكرية،ج1،ط1،المؤسسة العربية للطباعة و النشر،1980، ص،458.الموسوعة العسكرية، الجزء الاول، من أ الى ح، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، د.ت، ص، 26 . انظر ايضا Ernesto D'Lfonso et Danilo,Op,Cit,p,p,44-70. Jean Pierre Adam, L'Architecture militaire Grecque…….p,p,28-40 .

[2]- Korichi Amina , Op,Cit,p,p,11-13

[3]- Leonardo Benevolo,Op,Cit,p,17 .

للمنطقة كالأسوار و الحصون ، و القلاع و الأبراج، ومن الامثلة؛ حصن عرماوية حصن الغراب*و حصن ذي مرمر** حاليا.[1]

أنشأ الرومان العديد من الاستحكامات العسكرية داخل المعسكرات الدائمة من أجل حفظ الأمن والوقوف فيوجه الغزوات الفارسية، كما بنى الرومان الحصون و القلاع ،ولازالت توجد بقايا منها و من ابراجها في جهات من الشام.[2]

ما نلاحظ على التحصينات الدفاعية في العهد قوتها ومتانتها واتساعها، إلى جانب الإسراف في بنائها، و كان بها قلاع وأبراج مراقبة، تتزود بالمؤونة والجند من المعسكر الأساسي، في حال تعرضت المنطقة للغزو من القبائل البدوية، أو هجمات خارجية من جانب البارثيين[3]، حتى أنً المدن في العصر الروماني كانت تتميز بتنظيم محكم في البناء ، بحيث كان لكل مدينة قلعة في وسطها أو خلف السور مباشرة، و هذا السور مزدوج و مزودً بالأبراج، وذلك على حسب موقع المدينة و أهميتها.[4] **(اللوحة(01))**

من هنا يتضح وجود شروط معينة في المكان الذي ينشأ فيه المعسكر، فيجب أن يكون الموقع استراتيجياً وقريباً من خطوط وطرق المواصلات ومن مواقع مصادر المياه من آبار وعيون.[5]

---

*بني حصن عرماوية (حصن الغراب حاليا)على صخرة بركانية قائمة ووعرة تطل على مرفأ ميناء(قنا)، وتقوم بحماية الميناء و المدينة، للمزيد اكثر انظر اسمهان سعيد الجرو، الاثار و الحضارة في التاريخ العربي القديم،ط1،دار الكتاب الحديث، القاهرة،2018.، ص، 228.

** يمثل حصن ذي مرمر نموذجا للحصون التي شيدت على مرتفع جبلي لحماية مدينة (شبام الغراس)، و ما زالت اثار هذا الحصن قائمة . و للاطلاع اكثر عن هذا الحصن انظر اسمهان سعيد الجرو، المرجع السابق،ص،ص،229-230.

[1]- اسمهان سعيد الجرو، الآثار و الحضارة في التاريخ العربي القديم،ط1،دار الكتاب الحديث،القاهرة،2018.ص،223.

[2]- فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الاسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1994، ص،113.

[3]- سلمى محمد بكر هوساوي، التنظيمات العسكرية في الولايات العربية الرومانية(106م- 305م)، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، الرياض ،2017،ص،108.

[4]- سلمى محمد بكر هوساوي، المرجع نفسه، ص، ص،107-108.

[5]- سلمى محمد بكر هوساوي نفسه، ص،112.

العمارة الدفاعية في الجزائر في الفترة القديمة:

يعود ظهور الوظيفة او المهمة الدفاعية، في المدن الجزائرية الى العهد الروماني، و الملاحظ ؛ ان العمارة الدفاعية العسكرية في المدن الجزائرية تطورت مع التطور التاريخي لهذه الاخيرة، و تعاقب مختلف الحضارات بها.[1]

عرف مجال النظام الدفاعي توسعا كبيرا، وحضي بعناية و اهتمام كبيرين في اغلب الفترات التاريخية التي مر بها شمال افريقيا عموما ، و الجزائر خصوصا و قد ارتبط ظهور العمارة الدفاعية في شكلها الاكثر تطورا بكل من الاحتلال الروماني و البيزنطي، و اذا كانت الآراء قد اختلفت حول الكيفية التي استطاعوا بواسطتها بسط سيطرتهم على كامل شمال افريقيا، و طريقة تطبيقهم لمختلف السياسات العسكرية، فقد اجمع معظمهم، عن طريق توزيع مختلف المنشآت الدفاعية على كل خطوط الليمس من جهة، وبداخل كل مقاطعة من جهة اخرى.*[2]

ظهرت أولى المنشآت الحضرية الدائمة بالمغرب، بإسهام و دفع من الفينيقيين و القرطاجيين؛ هؤلاء الذين اهتموا بالمجال الدفاعي و اعتنوا بهذا الاخير بكثرة ، فقاموا بإنشاء الحواجز و بناء الاسوار التي كانت تتخللها ابراج للمراقبة[3] بقرطاج المحمية بنحو 34كم من الاسوار العالية أزيد من 13م و سمكها 9 م، تتخللها بروج داخلية تفصلها عن بعض مسافة 59 م[4]. **(اللوحة(05))** كما اهتم هؤلاء أيضا بالمواد الإنشائية و البنائية فاستخدموا مادة الطابية ذات التركيبة

1- Korichi Amina, Op,Cit p,11.

2- دريسي سليم، البيزنطيون في شمال افريقيا و العمارة الدفاعية ،دكتوراه الدولة في الاثار القديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2007- 2008، ص،195.

* للمزيد وللاطلاع حول الموضوع انظر دريسي سليم، المرجع نفسه،ص،ص،195-200.

3- عثمان مفتاح، العمارة الدفاعية لشرق مدينة الجزائر إبان الحقبة العثمانية نموذج " برج القنيطرة بالحراش،{ 1159 هـ/1724م }" دراسة وصفية أثرية، تحليلية و مقارنة، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008 - 2009 ، ص ،5.

4- Pierre Ricard ,pour comprendre l'art musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne ,Ed - , Lib Hachette, aris,1924,p,221.

الخاصة عوض الحجارة المصقولة[1]، و انطلاقا من هذه المدينة العاصمة النموذجية قرطاج ، انشئت عدة مرافئ على امتداد ساحل البحر الابيض المتوسط، البعض منها شهد تطورا ملحوظا في العهد الروماني نذكر منها مدينة هيبون(عنابة)، و (سكيكدة)، و(بجاية) و (شرشال) و ايكوزيزم (الجزائر)، التي تقع داخل ما كان يسمى بـ " ضيعة نوميديا.[2]*

لم يكتف الرومان بتعزيز هذه المراكز المزدهرة، بل انشؤوا مدنا داخلية جديدة[3]، فجاءت هذه المدن الرومانية المحصنة بتخطيط يتكون من شريط دفاعي يراعي فيه الموقع الجيد وقريبة من المجاري المائية والأنهار التي بدوريها تمثل خطا دفاعي ومن المدن[4]، نذكر مدينة تيمقاد العريقة و جميلة و غيرها من المخيمات العسكرية المحصنة، و يعد معسكر لامبيز– تازولت– من المناصب التاريخية التي لا تزال قائمة الى يومنا هذا، يحيطها حصن مشيد على هضبة.[5]

تعتبر المنشآت العسكرية في الجزائر في العهد الروماني من أبرز الشواهد وقد اعتبرها الرومان الدعامة الاساسية، في منظومة التحكم العسكري لمواجهة اضطرابات و ثورات السكان، و تشديد سيطرتهم على المناطق الشمالية و كذلك على ليمس* الجنوب بنوميديا و موريطانيا القيصرية.[6]

---

[1]- عثمان مفتاح، المرجع السابق، ص،5.

* كانت تتخلل هذه الضيعة الفينيقية عدة قلاع محصنة تحت لواء قرطاج قبل ان تخضع فيما بعد للحكم الروماني الذي سعى الى تثبيت حصونها بالحجر المقصوب الموطد او بالحجارة الطبيعية المرسخة. انظر عثمان مفتاح، المرجع نفسه، ص،5.

[2]- عثمان مفتاح، نفسه،ص،5.

[3]- نفسه.

[4]- محمد البشير شنيتي , الجزائر في ظل الاحتلال الروماني , بحث في منظومة التحكم العسكري ومقاومة, الجزء الأول , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر1999 ، ص،115.

[5]- عثمان مفتاح، المرجع السابق، ص،27.

* عبارة عن خط دفاعي و سد أمني منيع ، يفصل الثلث الشمالي في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب المحتل، من طرف الرومان عن الجنوب الصحراوي غير النافع. يمتد خط الليمس من طرابلس مرورا بحيرات الجريد التونسية، ثم منطقة الاوراس كحصن ادماجوريس بنقرين جنوب ولاية تبسة، ثم يمر ببسكرة جنوبا، ثم بوسعادة حتى نهر الشلف، ثم يقطع تاخمارت و الزفيزف وتلمسان ومغنية ثم الى المغرب، ليمر بمدينة تازة لينعرج الى مدينتي وليلي وطنجة حتى يصل الى جنوب الرباط ليصل الى المحيط الاطلسي .

و لكي يحمي الرومان مقاطعاتهم ومملكتهم بالمغرب القديم، أقاموا خطوطا عسكرية او اليمس، كما تذكره المصادر القديمة على طول حدود مستعمراتهم، و الليمس هو بمثابة جهاز دفاعي لم يكن دوره فقط للحماية و الدفاع عن المقاطعة الرومانية ضد الغزاة فحسب بل في اغلب الاحيان للحراسة و لمراقبة هؤلاء الخارجين عن القانون.[1*]

عن الاستحكامات العسكرية* التي انشاها الرومان بالمقاطعتين المقاطعة الموريطانية و النوميدية كوسائل دفاعية؛ أُنجزت " **لهدف الحماية و الدفاع و كذا المراقبة بالمغرب القديم**" ، ذات قاعدة عسكرية واحدة و هدف واحد و هو تثبيت الاحتلال.[2*]

فجدران أسوار نوميديا مثلا نجدها مبنية من مادة الحجارة المصقولة، بينما جدران الاسوار بالساحل الموريطاني أغلبها من مادة الدبش موضع بصفين بمثابة جدارين من الحجارة – صغيرة الانتظام-. أمّا في التل الأطلسي فنجد أنّ الرومان عادة ما يستخدمون الدبش الغليظ أو الخشن الذي يُملّط بمادة الطين أو بمادة الملاط من

و قد شُيِّد خط الليمس بعد القرن الثاني الميلادي، عندما تمت للرومان السيطرة الكاملة على أراضي افريقيا الشمالية، حيث يتشكل خط الليمس من الفوساطوم، الذي يتألف من جدران ضخمة مدعمة بحصون و قلاع و خنادق و كذا مراكز المراقبة للحرس العسكري ، قصد السيطرة والتحكم في الموارد الاقتصادية، عبر طرق المواصلات الداخلية والخارجية التي تتصل بالفوساطوم، قصد امداد الحاميات الرومانية بالمؤن والاسلحة .انظر كل من محمد البشير شنيتي, المرجع السابق، ص،ص،119-124. و سلمى محمد بكر هوساوي، المرجع السابق،ص،114.

[6]- عبد القادر صحراوي، التحصينات العسكرية بنوميديا و موريطانيا القيصرية اثناء الاحتلال الروماني،46ق.م- 284م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص، 5.

[1]- Stéphane Gsell, Les monuments antiques de l'Algérie, tome I,paris ,1901,p , 88

* للمزيد في هذا الموضوع انظر Stéphane Gsell, Ibid,p,p,74-84 و انظر ايضا Abdelouhab Bouchareb, Op,cit,p,p,225-226., و ايضا محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، ص،119-124.

*يذكر عبد القادر صحراوي ان اغلب معسكرات المقاطعتين قد بنيت من الحجارة الكبيرة و الدبش و كذا الحجارة المحدبة، فالأسوار بنيت بمختلف الطرق حسب المواد الموجودة ، اما الحصون فقد استعمل فيها الاجر المشوي . عبد القادر صحراوي ، المرجع السابق، ص، ص، 56-156.

[2]- عبد القادر صحراوي، نفسه، ص، 28. للمزيد و للتوسع ايضا انظر كل من عبد القادر صحراوي، المرجع نفسه ،ص،ص،28-148. و Stéphane Gsell, Les monuments antiques de l'Algérie, tome I ……,p,91.

* للمزيد عن هذا الموضوع انظر ايضا Stéphane Gsell, Les monuments antiques de l'Algérie, tome I….p,p,78-91

النوع الرديء. و لتعزيز و تشديد التحصينات، أنشا الرومان على واجهة الأسوار مجموعة من الأبراج ذات نتوء تبرزها الى الخارج، إذ نجد أبراج معسكرات المقاطعة الأولى ذات الشكل المربع عند الزوايا، باستثناء الباب الشمالي للمعسكر الكبير بتازولت **(Lambaesis)** الذي حصن ببرجين نصف دائريين و معسكر القصبات **(Gemellae)** بأبراج دائرية ،وعلى العكس من ذلك نجد أنً معسكر سور الجواب **(Rapidum)** يحتوي على برجين مستطيلين.[1] **(اللوحة(06))**

أضاف الرومان في جزامهم الدفاعي إلى جانب المعسكرات أنواع أخرى من الاستحكامات الحربية كالحصون**(Burgi)***، كذا كالقلاع **(Castella)**، تسمح بالدفاع عن الحدود و المدن و تدخل ضمن سياسة التحصينات الموجهة لحراسة الطرق و ممرات القبائل،و غيرها من المواقع الاستراتيجية و المصالح الرومانية عموما و تثبيت الاستيطان بالمقاطعتين، تحوي على حامية قليلة العدد غالبا ما تكون من الفرسان[2]. و من أهم القلاع نذكر قلعة القصيبة **(Civitas ophtensis)** الواقعة على حدود الفاصلة بين نوميديا و افريقيا البروقنصلية بالإضافة الى قلعة تيمقاد[3].

ولتدعيم أسوار هذه الاستحكامات، أدخل الرومان عنصر الابراج **(Turres)** ومن اهمها نذكر أبراج بحصن لامبيز و أبراج لتدعيم اسوار مدينة شرشال**(Iol-Caesarea)** وتيبازة **(Tipaza)** و أبراج سور الغزلان **(Auzia)**.[4]

---

[1]- عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص، 67. انظر ايضا Korichi Amina, Op,Cit,p,53.

* وهي عبارة عن معسكرات مصغرة مستطيلة الشكل بها أربعة أبواب ، عبد القادر صحراوي، نفس المرجع السابق، ص، 67. و للمزيد انظر ايضا Cagnat (R),Carthage, Timgad, Tébessa et les ville antiques, de l'Afrique du Nord, Paris, Ernest le Roux , 1891 .

[2]- عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص، ص،70- 96 . و للمزيد من التوسع في هذا الموضوع انظر عبد القادر صحراوي ،نفسه،ص،ص،70-96.

[3]- عبد القادر صحراوي ، نفسه ، ص،ص،70-71.

[4]- عبد القادر صحراوي ، المرجع السابق ،ص، 131.

نظيف الى جانب ذلك؛ التحصينات العسكرية التي عرفتها منطقة الوانشريس الغربية ما بين سهلي الشلف و السرسو و يمكن حسب فراجي خيرة تسميتها أو يمكن ان يصطلح عليها مصطلح " **الليمس** " الذي يتركب أصلا من ثلاثة عناصر هي؛ **الخندق fossatum**[1]، و الذي تتخلله **أسوار** و **أبراج** و **حصون** ثم **الأجهزة المحصنة**، التي تقع أمام الخندق ووراءه، و **شبكة الطرقات**.[2] و توحي هذه القلاع و الحصون العسكرية بالقوة التي تلقاها الرومان من طرف سكان المنطقة، و هذا إن دل على شيء إنما يدل على رفض هذه الشعوب لسياسة الرومنة التي كانت تهدف إليها الحكومة الرومانية من خلال تطويقها للثورات و استعبادها له.

و الجدير بالذكر أنً ضخامة هذه التحصينات تؤكد وجود هذه المقاومات العنيفة التي تلقتها روما من طرف السكان المحليين للمنطقة، و التي أقامت على مقربة من منطقة الحساينية بالرمكة بعد أن شيدوا مركزا عسكريا محاطا بعدة قلاع و أبراج على مساحة تقدر بواحد هكتار .[3]

أما في الفترة البيزنطية فنجد ان النظام الدفاعي أو بالأحرى التحصينات الدفاعية البيزنطية قد انحصرت بمناطق شمال افريقيا[4]. وبحكم كثرة الأحداث و الاضطرابات و التوترات في تلك الفترة ، فقد اعتمدوا علي مبدأ رئيسي يتمثل في بناء ثلاث خطوط دفاعية, أولها بناء أسوار تحيط بالقلعة، يليها السور المتقدم وأخيرا تحفر الخنادق بعمق وعرض معتبرين وبطريقة تمنع الاقتراب أو الوصول إلى الأسوار.[5] **(اللوحة((07))**

---

[1]- فراجي خيرة، جرد معالم مازونة و عمي موسى و قلعة بني راشد بمنطقة غليزان ،الجرد وسيلة للمحافظة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الصيانة و الترميم، معهد الاثار، جامعة الجزائر، ص، 2011 ،

[2]- محمد لحسن ، عمي موسى قلعة الثوار بغرب الونشريس ، دار الغرب للنشر و التوزيع ،وهران، 2007،ص،23.

[3]- محمد لحسن، نفسه، ص،26.

[4]- دريسي سليم، المرجع السابق،ص،251.

[5]- عثمان مفتاح، المرجع السابق، ص،5.

حسب سليم دريسي فإن العمارة العسكرية الدفاعية البيزنطية بشمال افريقيا متعددة و مختلفة الانماط ، و هذا الاختلاف من حيث الشكل و المضمون، و الشيء المميز لهذه العمارة أنها بنيت بصفة استعجالية قصد الاحتماء بالأسوار و القلاع قبل ان يستجمع الاعداء و ينظموا صفوفهم على مهاجمة الجيش البيزنطي في مواقع مكشوفة.[1]

نلاحظ ان البيزنطيين قد أعادوا بناء نفس الجهاز الدفاعي الذي بناه الرومان في عهدهم وكان مجهز بمجموعة من القليعات **(Fortins)** بعد اختيارهم للأماكن الاستراتيجية من بينها المناطق المرتفعة لتشكيل حاجز إضافي و الاعتماد على الواجهة البحرية، اذ قاموا بتشييد مختلف المنشآت العسكرية من معسكرات[2] فشيدت الأسوار بالحجارة المصقولة في كل المدن الرومانية، فاحتوت على عناصر معمارية أخذت من المعالم المهجورة.*[3]

و نظرا لتعدد و تنوع أنماط العمارة الدفاعية البيزنطية بشمال افريقيا صنفها سليم دريسي حسب المساحة التي يشغلها كل مبنى و المهام المنوطة لكل صنف، فقد قسمت عموما الى[4]: **(اللوحة((08))**

– المدينة الحصينة(Civitates):

---

[1]- دريسي سليم، المرجع السابق،ص،251.

[2]- دريسي سليم، نفسه، ص،262.

[3]- دريسي سليم، نفسه ، ص ،256.

* للمزيد و للاطلاع اكثر في هذا الموضوع انظر دريسي سليم، المرجع نفسه،ص،ص،256-261.

[4]- دريسي سليم، نفسه، ص،263.

من اهم المدن الحصينة نذكر شرشال، تيمنفوست (**Rusguniae**)، قسنطينة (**Cirta**) ، تبسة(**Theveste**) ، هنشير قساس(**Ad Lali**)، وميلة(**Milev**).[1*]

- **المراكز العسكرية (Castrats):**

هي منشئات عسكرية تحرس المدن المفتوحة يطغى على تخطيطها الشكل المستطيل من اهمها حيدرة (**Ammaedara**) تيقزيرت (**Imnium**) ،خنشلة (**Mascula**) ، سطيف (**Sitifis**).[2*]

- **القلاع:**

جهزت لتكون مراكز خاصة بالجند ، وقد يحتمي بها اهالي المنطقة عند الحاجة، و من اهمها قلعة تيمقاد(**Thamugadi**)، تهودة(**Thabudeos**)، و طبنة (**Tubnae**).[3]

- **القليع (Fortins):**

تتموضع هذه المباني في المواقع لمراقبة الممرات و الطرقات فهي ذات تخطيط مربع الشكل وذات ابراج مربعة في الزوايا من أهمها قليع خميسة (**Thubursikum Numidarum**) قليع جميلة (**Cuicul**)، و قليع مداوروش (**Madauros**).[4*]

- **الأبراج المحصنة و الملاجئ(Burgi):**

---

[1]- دريسي سليم، المرجع السابق،ص،263.

* للاطلاع اكثر انظر دريسي سليم، نفس المرجع ،ص،ص،263-265.

[2]- نفسه،ص،266.

* للاطلاع اكثر انظر دريسي سليم، المرجع نفسه،ص،ص،266- 268.

[3]- دريسي سليم، نفسه،ص،269.

[4]- دريسي سليم، نفسه،ص، 270.

* للاطلاع اكثر انظر دريسي سليم، نفسه،ص،ص،270- 274.

تعددت بكثرة بمدن شمال افريقيا قرب الحدود الفاصلة بين المقاطعات البيزنطية، وتبنى عادة في الاماكن المرتفعة من المراكز الحضرية، و يغلب عليها الشكل المربع، تتقدم المدن المحصنة و المراكز العسكرية لتكون بذلك مراكز الحراسة و المراقبة المتقدمة، وجدت في عدة مناطق كحيدرة و ضواحي تبسة. من أهم تقنيات البناء العمارة العسكرية بالمنطقة تقنية النظام الكبير* **OPUS QUADRATUM** و هي الأكثر رواجا في اغلبية المنشآت و كذا التقنية الافريقية**OPUS AFRICANUM** .*

اما المواد البنائية المستخدمة فاغلبها جلبت او اخذت من المعالم الموجودة في المدن الرومانية و التي الحق ببعضها التشويه نتيجة العوامل الطبيعية و البشرية و البعض الآخر هُدِّمت تلبية للسياسة البيزنطية العسكرية، ومن بين هذه المواد الحجارة الصلبة و الحجر الكلسي بمختلف انواعه و كذا الحجر الجيري بالإضافة الآجر المشوي بنوعيه المشوي و المجفف.*[1]

العمارة الدفاعية في الفترة الإسلامية:

من هنا يتبيَّن تعدد و تنوع الانظمة الدفاعية باستحكاماتها وعناصرها الدفاعية منذ زمن بعيد ، و مع ظهور الاسلام و انتشاره ،زاد الاهتمام بهذا المجال، مع العلم أنَّ الدين الإسلامي الحنيف قد حث المسلمون على القوة والاستعداد لمواجهة الأعداء و لبَّى المسلمون هذه الدعوة في حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – و من بعده.[2]

---

* عن هذه التقنية انظر دريسي سليم، المرجع السابق،ص،ص،277- 279.

* عن هذه التقنية (التقنية الافريقية) انظر دريسي سليم، نفسه،ص،ص،280- 281.

[1]- دريسي سليم، المرجع نفسه، ص،ص،289-290.

* للمزيد عن انواع تقنيات البناء المستعملة و كذا مواد البناء انظر دريسي سليم، المرجع نفسه،ص،ص،277-297.

[2]- يحيى حسن وزيري،"**العمارة الإسلامية الحربية وتأثيرها على العمارة المعاصرة**"، مجلة عالم البناء، تصدر عن جمعية إحياء التراث التخطيطي و المعماري، العدد 62 ، أكتوبر ، 1985 ، ص17 .

تشير المصادر إلى أنً القرى العربية بشبه الجزيرة العربية، كانت مزودة بنظام تحصيني و مسورة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه و سلم[1]، و يضيف **مصطفى شاكر** إلى أنً المدينة الاسلامية الاولى، كان يظهر فيها الحاجة إلى إقامة سور فلا البصرة و لا الكوفة و لا القيروان طوقت نفسها بالأسوار في القرن الأول الهجري و حتى أواخر القرن الثاني الهجري[2]، إذ أنً المسلمون عندما بدؤوا ببناء مدنهم الاولى لم يحيطونها بأسوار كمدينة البصرة و الكوفة و الفسطاط و القيروان كما اسلفنا سابقا، لأنها أساسا مدنا عسكرية[3]، خاصة وأنً الحاجة ، لم تكن مُلحَّة لإنشاء الأسوار حول هذه المدن الأولى و لا سيما أن دواعي الأمن و الأمان في أقاليم الدولة الإسلامية الناشئة كانت متوفرة[4]، وأقرب مثال على ذلك مدينة يثرب قبل الهجرة النبوية، حيث تذكر الدراسات التاريخية أن بالمدينة كانت توجد أكثر من خمسين "آطاما"، عبارة عن أبراج او قلاع تتحصن بها القبائل العربية و اليهودية في حالة النفير، كما تحشر فيها المؤونة.[5]

حسب عبد القادوس الانصاري فإن سكان المدينة المنورة أي يثرب قبيل ظهور الاسلام كانوا يتنافسون في بناء الحصون و تشييد الآطام*، و هدفهم من ذلك هو الالتجاء الى هذا النوع من البناء العاصم لهم من مخاطر هجوم اعدائهم اذا

---

[1]- مصطفى عباس الموسوي ،العوامل التاريخية لنشأة و تطور المدن العبية الاسلامية ،دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة و الاعلام، الجمهورية العراقية ، 1982، ص،236.

[2]- مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص،ص،433-434.

[3]- مصطفى عباس الموسوي ،المرجع الاسبق، ص،236.

[4] - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق ، ص، 96.

[5]- محمد عبد الستار عثمان، نفسه ، ص ، 46.

* الآطام جمع أطم و حسب عبد القادوس الانصاري، هو الحصن و معنى الضحيان لغة هي: البارز ، من صحة (ضحى) بمعنى بروز الشمس . و الآطام ان تكن من نوع الحصون بالمعنى العام ،إلا ان لها وضعا خاصا في طراز العمارة، فهي تشاد بالحجارة المختلفة الاحجام يوضع فيما بينها حشو الطين، و. أما الحصون فبناؤها بالحجارة الضخمة الهائلة المربعة و لا حشو بينها و قد تكون الآبار بداخلها .. هذا ما استنتجه الاستاذ الانصاري من خلال زياراته الميدانية بالموقع من واقع الحصن و الاطم العتيقة الشاخصة اطلالها الى اليوم للمزيد اكثر انظر عبد القادوس الانصاري، عبد القادوس الانصاري، اثار المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، وزارة المعرف للمكتبات المدرسية على نفقة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،1973،ص ص، 72.

نشبت حرب اهلية او قبلية بين مختلف طوائفهم كما هو دائم الحصول في أيام الجاهلية.[1]

من الآطام و الحصون الباقية الى اليوم؛ ثلاثة و هي حصن** كعب بن الاشرف***حسب؛ هو بناء حربي محض و تنعدم فيه النقوش و الزخارف و تتوسطه ساحة مربعة الشكل غير مرصوفةولا مبلطة****[2]، يليه أطم الضحيان****[3] بالإضافة الى أطم ابي دجانة بن سماك***** نسبة الى ابي دجانة الساعدي الانصاري****** و هو الأطم الوحيد الذي لم يشيد من قبل اليهود، و قد عرفه السمهودي في كتابه "**وفاء الوفا**" من خلال عبد القادوس الانصاري قائلا ان ":.....

---

[1]- عبد القادوس الانصاري، المرجع نفسه ، ص،64.

** هو حصن كعب بن الاشرف النبهاني يقع بضاحية المدينة المنورة الجنوبية الشرقية ،يقوم على هضبة من الحرة الجنوبية الشرقية للمدينة المنورة ، طوله 33م في عرض 33م و ارتفاع ما بقي من جدرانه 4 امتار و سمكه 1م. للمزيد اكثر انظر عبد القادوس الانصاري، المصدر نفسه، ص، 65-71.

*** حسب عبد القادوس الانصاري فان كعب بن الاشرف ليس يهودي النسب و لكنه عربي نبهاني طائي مستخول في بني النظير و كانت له منزلة عالية بينهم لما لأخواله من المكانة في اليهود، و لطالما الب المشركين على محاربة المسلمين ، ولطالما ولغ في اعراض المسلمين بشعره فدعي النبي صلى الله عليه و سلم بعض الصحابة لقتله ، فذهبوا اليه في حصنه ليلا و احتالوا عليه حتى اخرجوه و ذهبوا به الى شرقي المدينة فقتلوه هناك. انظر عبد القادوس الانصاري، المصدرنفسه،ص،71.

[2]- عبد القادوس الانصاري، المرجع السابق،ص،65.

**** يُذكر أن اليهود النازحون من بلاد الروم كانوا يعرفون نظام الحصون، كان من اشهرها " حصن كعب بن الاشرف" و قد ذكرناه سالفا ، فقد حاصر الرسول " صلى الله عليه وسلم " يهود خيبر بالمدينة في حصونهم السبعة و فتحها، و استعان المسلمون بالخنادق* و انتصروا فيها على قريش. ديري أحمد واخرون، الموسوعة العسكرية، الجزء الاول، من أ الى ح، المؤسسات العربية للدراسات و النشر، بيروت ، لبنان،د.ت، ص، 259.

[3]- عبد القادوس الانصاري، المصدر السابق، ص، ص، 72- 74.

**** حسب عبد القادوس الانصاري، فان هذا النوع من الآطام لم يكن من تشييد اليهود وذلك اعتمادا على نص عثر عليه في كتاب "وفاء الوفا" للمؤلف بور الدين علي بن احمد السمهودي ، و في هذا المجال يقول هذا الاخير :"في معرض بحثه عن منازل الانصار من خلال عبد القادوس الانصاري: " و ابتنى أحيحة بن الجلاح بالعصبة أطما يقال له الضيحان، وهو الأطم الأسود الذي بالعصبة". و بالتالي فهو جاهلي البناء كأغلب اطام المدينة . و هذا الاطم هو عظيم مشيد بحجارة السود طوله نحو 27 م في عرضه نحو12م، و ارتفاعه نحو 8 امتار و ما تبقى منه على حد قول عبد القادوس الانصاري فقط القسم الشمالي منه و الذي لا يزال متماسكا عاليا مع تناثر كثير من حجارته العلوية وهو واقع بالعرصة الكائنة غربي بئر شميلة و شمالي العصبة. و العصبة على ما يفهم من مجموع اقوال المؤرخين من خلال عبد القادوس الانصاري، هي جميع البساتين الواقعة غربي مسجد قباء . انظر عبد القادوس الانصاري، المصدرنفسه،ص،ص،72-74.

***** استنادا على نصي السمهودي و المطري صاحب كتاب " التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة " من خلال عبد القادوس الانصاري، فان اطم ابي دجانة يقع في داره أي بمحل اقامته العام الاصغر في بيوته و سوره من داره الكبرى أي مكان اقامته شمال غربي بئر بضاعة . انظر عبد القادوس الانصاري، المصدر نفسه،،ص،ص،75-76

****** صاحب هذا الاطم فيما نرى هو سماك بن خرشة – أو أوس بن خرشة بن لوذان بن عبيد ود بن ثعلبة الانصاري الساعدي ابن كعب بن الخزرج ، شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم . انظر عبد القادوس الانصاري، المصدر نفسه،ص،78.

فابتنوا أطما يقال له المعرض....و أطما في دار ابي دجانة الصغرى التي عند بئر بضاعة"[1]. و حسب السمهودي من خلال عبد القادوس الانصاري ان جميع الآطام في المدينة المنورة جاهلية البناء ما عدا اطم ساعدة، " فقد قدم النبي صلى الله عليه و سلم وهو يُبنى".[2]

من هنا يُفهَم ان المدينة المنورة لم تكن مسورة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم و خلفائه الراشدين ، بل كانت تعتمد في حمايتها على الحراث– الآكام –أو الآطام التي كانت تحيط بها من الجهات الجنوبية و الشرقية و الغربية و الخندق الذي حفره الرسول صلى الله عليه و سلم في الجهة الشمالية، و أول سور بنى حولها كان سنة 63هـ/682م، كما ذكر المسعودي، ثم أحيطت سنة 263هـ/876م،على يد اسحاق بن محمد، و كان من الطوب اللبن بأربع بوابات تتجه نحو الجهات الاصلية،ثم بناه بالحجر عضد الدولة بن بويه سنة 267هـ–272هـ/978م–983م،وجدده جمال الدين محمد بن أبي المنصور المعروف بالجواد الأصفهاني سنة 540هـ/1145م،و أضاف لها نور الدين محمد زنكي صور آخر سنة 558هـ/1162م.[3]

نريد أن نشير إلى أن المدينتين واسط و بغداد الوحيدتين اللّتين بُنيت لهما أسوار لأسباب محلية لا خوفا من الغزو الخارجي، و منذ القرن الثاني الهجري، دخل التحصين العمارة الاسلامية، اذ غدى جزءا أساسيا في بناء المدينة الاسلامية، فلم تحصن فقط البصرة و الكوفة و الفسطاط و القيروان، ذلك أنّ الأهواء السياسية و الدينية الداخلية تواترت في الاخطار على الدول الإسلامية في المشرق والأندلس و

---

[1]- عبد القادوس الانصاري، المصدر السابق، ص،78.

[2]- نفسه، ص،73.

[3]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها و حتى نهاية الدولة الطاهرية 204-923هـ/ 819-1517م- دراسة اثرية معمارية- اصدارات وزارة الثقافة و السياحة ، دار الكتب بصنعاء، الجمهورية اليمنية،1425هـ/2004 م ،ص، 244.

شمالي افريقيا مع الاخطار، فأصبح من النادر أن نجد مدينة بدون تحصين مثل أمده في الاندلس.[1]

فمنذ البداية أي بداية الفتوحات الاسلامية ، أخذت المدن الإسلامية الناشئة مظهرا حربيا، فقد كانت بمثابة معسكرات حربية، تفي بمتطلبات الجيوش الفاتحة،و كانت مراكز للانطلاق نحو فتوحات أخرى، و كانت إستراتيجية اختيار مواقع هذه المدن أن تكون على اتصال ري مباشر بمركز القيادة في المدينة المنورة، لا يفصلها عنها موانع مائية، و كانت هذه رؤية الخليفة "عمر بن الخطاب" الذي أكد على هذا الأمر في اختيار موقع مدينة "البصرة"، و "الكوفة، و "الفسطاط". ثم اتبع هذا النهج في اختيار "عقبة بن نافع" موقع مدينة "القيروان"، فجعلها بعيدة عن البحر داخل الصحراء حتى لا تكون في مرمى الأساطيل المعادية و لا سيما أن المسلمين في هذا الوقت لم تكن لهم قوة بحرية ومعرفة بفنونه التي تمكنهم من الدفاع عن المدن الساحلية، و لكن بعد أن توفرت هذه القوة و أنشئت الأساطيل الإسلامية اختلف الاتجاه، فأنشئت المدن الساحلية، بل كان الاتجاه نحو إنشاء هذه النوعية من المدن، و من الأمثلة على ذلك المدن ما نجده بالمغرب الإسلامي و الأندلس و التي ازدهرت ازدهارا كبيرا يؤكد نجاح المسلمين في هذا التوجه.[2]

و الملاحظ من جهة اخرى أن المسلمون لما بنوا اولى مدنهم لم يحيطونها بأسوار كمدينة البصرة و الكوفة و الفسطاط و القيروان ، لكن مع مرور الزمن و تغير المعطيات اصبحت ضرورية، و من ثم اولوها اهتماما بالغا و ابدعوا و طوروها فيها ، فكانت مزودة بأبراج ذات اشكال مختلفة و بفتحات عادة ما تكون واسعة من الداخل وضيقة من الخارج، و في الأعلى زودت بممشى يسهل التنقل من برج الى

[1] - مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص،449.

[2] - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص،126.

رج و السير فوق السور بسهولة مستترين بسور أمامي أقل سمكا من الممشى، تتوجه شرفات تسمح للمدافعين رمي النبال من خلالها مع توفيرها لهم الحماية اللازمة.[1]

تطلبت مسيرة الفتح الاسلامي في بلاد الشام و مصر و المغرب تامين الخط الساحلي الممتد على طول البحر المتوسط، من خلال ترميم و تدعيم الحصون الرومانية او البيزنطية من جهة، واستحداث حصون جديدة من جهة اخرى، لتكون بمثابة قواعد دفاعية ساحلية في مواجهة الغزوات البيزنطية التي كانت تهدد مسيرة الفتوحات الاسلامية و استقرارها آنذاك.[2]

و تعد المناظر(المراقب –الطلائع) من اقدم التحصينات الحربية التي اقامها العرب على الساحل الشامي، و كانت تمثل عنصرا اساسيا من عناصر الدفاع عن هذا الساحل[3] *،و كانت هذه المناظر تعمل طوال الفصل الدافئ من السنة، وهو الفصل الذي يمتد من ابريل الى اكتوبر استنادا الى الأساس المناخي من جهة، و مواعيد الملاحة الممكنة من جهة اخرى، و ذلك بإيقاد النار في اعلاها و هو الايقاد الذي يمتد بسرعة الضوء و مسافة الإشعال، فلا تمضي ساعة على الأكثر حتى تكون جميع المدن الساحلية المحصنة قد علمت بوجود الخطر، وعندئذ يتجمع أهل كل عرافة على عريفهم و يحتشد المرابطون و يسيرون نحو مصدر الضوء حتى يصلوا الى المنطقة المراد الدفاع عنها.**[4]

---

[1]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص،126.

[2]- عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا ،دار الافاق العربية،ط1، القاهرة، 2002 ،ص، 83.

[3]- عبد الله كامل موسى عبده، المسلمون و اثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، موسوعة العمارة الاسلامية – المجلد الاول- دار الافاق العربية ، القتاهرة،2003،ص،151.

* للمزيد عن الاستحكامات الساحلية في عهد الخليفتين عمر ابن الخطاب و عثمان بن عفان رضي الله عنهما انظر كل من عبد الله كامل موسى عبده، المسلمون و اثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين.....ص،ص،188-200.

[4]- عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،83.

اهتم الأمويون بتحصين مدن الأندلس اهتماما كبيرا، فأقاموا الأسوار و الحصون في سائر مدنها و أول هذه المدن قرطبة الرومانية التي فتحت أسوارها عند الفتح الاسلامي في بعض اجزائها خاصة في سورها القبلي و الغربي، و اصبحت على هذا النحو مدينة مفتوحة للداخلين اليها و الخارجين منها.و مازالت بقايا سور عبد الرحمان الداخل قائمة ابتداء من المستشفى العسكري بقرطبة*. كما اهتم هذا الاخير بتحصين المدن الساحلية امام الخطر الفاطمي، فأسس مدينة المرية و احاطها بالأسوار المنيعة كما انشا برجا بقلعة طريف سنة 349هـ/960م،[1] و يعد الحصن الذي انشاه عمرو بن العاص بالجيزة في عام 22هـ/643م بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتامين همذان ومن والاها عندما احبوا المقام بالجيزة أول حصن داخلي يشيد بمصر الاسلامية، وقد ظهر في الفسطاط نوع من العمائر الحربية اطلق عليها " المحارس"، منها محرس عمار محرس بنانة و محرس الحريص، و من المرجح أن هذه المحارس كانت منشآت بسيطة بوسط خطط القبائل أو على حدودها، أو أنها كانت نقاط متفرقة في الفسطاط لإقامة الجند لحراستها، إلا انها لم تكن حصونا او قلاعا كبيرة.[2]

تعد أسوار مدينة واسط ذات اهمية كبيرة في دراسة الاستحكامات الدفاعية للمدن الإسلامية ليس لأنها أسوار أول مدينة محصنة في العصر الإسلامي فحسب، بل لأنها تمثل مرحلة متطورة في الاستحكامات الدفاعية ، ونقصد بذلك

** للمزيد و للاطلاع اكثر عن التحصينات الدفاعية في الفترة الاموية و العباسية(الثغور الشامية و الجزرية) انظر طه خضر عبيد، المدينة الاسلامية تاريخها و تخطيطها و عوامل ازدهارها و انحطاطها، ،دار الفكر ناشرون و موزعون، ط1،المملكة الاردنية الهاشمية،2013،ص، ص،126-148.

* للاطلاع اكثر انظر،طه خضر عبيد، المرجع نفسه، ص،ص،412-413.

[1]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين و اثارهم في الاندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة) ، دار مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر،2006، ص، 413.

[2] - مصطفى عباس الموسوي، المرجع السابق، ص،151.

ظاهرة تعدد الأسوار، إذ إنً بناء سور لمدينة يعد مظهراً من مظاهر استحكاماتها، أما تعدد الأسوار فيعد مظهراً اخر من تلك المظاهر.[1]

يخضع هذا المظهر الدفاعي لحسابات واعتبارات عسكرية ودفاعية تختلف عن تلك الاعتبارات النوعية في بناء سور مفرد، من أبرز تلك الحسابات ضبط التناسب في ارتفاع كل من السورين لارتباطه بعملية الرصد من فوق السورين، وخصوصاً السور الداخل لذا يجب أن يكون السور الخارج، بكل الاحوال، أقل ارتفاعاً من السور الداخل لضمان عدم اعاقته لتلك العملية أي الرصد.[2]

يجب ضبط حساب عرض المسافة الفاصلة بين السورين أو ما يعرف ب. (الفصيل) ضمن حسابات مديات اسلحة الرمي الثقيل (المنجنيقات) لدى المهاجمين بحيث يكون السور الداخل بمنأى عنها أو خارج المدى المؤثر لتلك الاسلحة على أقل تقدير، وإذا كان هذا المظهر الدفاعي هو الأول من نوعه في العصر الاسلامي، إلا أنه لم يكن وليد العمارة العربية الاسلامية، فقد عرفت العمارة العراقية القديمة هذا المظهر منذ الالف الثالث قبل الميلاد(عصرفجر لسلالات)، إذ ظهر في أسوار مدينة الوركاء و استمر في العصور التاريخية اللاحقة ، حتى قبيل الاسلام ، اذ ظهر بصورة جلية في استحكامات مدينة الحضر ، مما يؤشر بشكل واضح عملية التواصل الحضاري في العراق عبر الحقب التاريخية المتلاحقة وخصوصاً في مجال الفكر العمراني العسكري.[3]

يبدو ان تحصين واسط بتركيبته المعمارية المتبعة كان واضح الأثر في تحصين بغداد و بخاصة الأرباض، و تقف بغداد مثلا بارزا من أمثلة تحصين المدن العربية الاسلامية التي نشأت في العراق، و الاجراءات التي اتخذت في بغداد المدورة من

---

[1]- مصطفى عباس الموسوي، المرجع السابق، ص،151.

[2]- مصطفى عباس الموسوي، نفسه.

[3]- نفسه، ص،ص،237-238.

حيث اختيار الموضع واقامة البناء و تصميم الأسوار المسندة او المساندة المدورة التابعة للسور الداخلي، و هندسة أبواب المدينة و احاطتها بالخندق*، خير مثال على ذلك. [1]

تحمل المدينة المعسكر طابعا دفاعيا هي الاخرى، فالأسوار و الأبراج هي السمة الأساسية للمدينة الدفاعية، والبيوت المنيعة و جميع المنشآت هي توابع للوظيفة الدفاعية و الأبوائية للقادمين وعتادهم. وتتجلى الوظيفة الدفاعية في الرباطات التي أقيمت على امتداد الساحل المتوسطي ابتداء من سواحل الشام حتى المغرب،و بخاصة على الساحل التونسي، و الرباط هي مجمع دفاعي يشتمل على مسجد و مقر اداري و عسكري، و فيه مرابطون نذروا أنفسهم للعبادة و حماية بلاد الإسلام ونشر الدين و الرباط مركز انطلاق الحملات و الغزوات.[2]

و من اشهر الرابطات رباط الاسكندرية و صفاقس و المنستير و سوسة و تونس، و مازال قائما رباط المنستير الذي انشئ عام 149 هـ/ 769م، و رباط سوسة الذي اكتمل عام 209 هـ/821م، بالإضافة الى برج مراقبة في عهد الاغالبة.[3] **(اللوحة(09))**

نشير الى ان المسلمين استخدموا الرباط بكثرة في فتوحاتهم، وكلمة مرابطة (**رباط**) يبدو أنها بدأت على الأقل تعني في المشرق مكانا محصنا(**قلعة، برج مراقبة، خندق، خان مدينة محصنة، حصن..**)، وكانت هذه المنشآت توجد خاصة على الحدود و السواحل والطرقات الداخلية غير الآمنة، ويرى محمد الهادي شعيرة من خلال ناجي جلول أن الرباطات الساحلية أحدثت في عهد ثاني الخلفاء الراشدين

* للمزيد و للاطلاع اكثر عن بغداد و عمارتها العسكرية انظر مصطفى عباس الموسوي، المرجع السابق، ص،ص،237-239.

[1]- مصطفى عباس الموسوي، المرجع نفسه، ص،238.

[2]- عفيف بهنسي، خطاب الاصالة في الفن والعمارة ،دار الشرق للنشر مطبعة العجلوني، الطبعة الاولى،دمشق،2004،ص، 198.

[3]- عفيف بهنسي، المرجع السابق،198.

سيدنا عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– على مسافات مقدرة بحيث يمكن الاتصال بين نقط **الرباط** بالعين المجردة عن طريق النيران، ولكن هذه الرواية نأخذها بتحفظ لأن هذا النظام حديث على تلك الفترة أي بالنسبة للفترات الأولى للإسلام.[1]

استعمل المسلمون بعد الفتوحات الاسلامية نظام التحصينات في الشام و بلاد الرافدين وفي حروبهم مع الفرس و البيزنطيين، و خلال الحروب الصليبية الأولى استعملها صلاح الدين الايوبي بعد إنشاء امارته الأيوبية في القاهرة، ومازالت أسوار قلعة صلاح الدين في جبل المقطم بالقاهرة، شاهدة على ذلك، خلال القرن07 الهجري الموافق للقرن13م، كما استخدم المغول الخنادق في حروبهم مع اوروبا و نجحوا بفضلها في كثير من المعارك.[2]

و الملاحظ أنً الفاتحون العرب قد اعتمدوا في بداية فتوحاتهم على المراكز العسكرية البيزنطية و القلاع البيزنطية، الشديدة الحصانة و القوية، لما توفره من مؤهلات دفاعية متينة تخدم الجانب العسكري، ليذهب بهم الأمر إلى أكثر من ذلك، حيث امتد هذا الاعتماد الى شبكة الطرق خلال القرنين و الهجري الموافق للقرنين السابع والثامن الميلادي، لتسهيل التعاملات الاقتصادية و التجارية ، ومع ظهور عمارة عسكرية اسلامية عسكرية في نهاية القرن الثامن الميلادي اختلفت المسارات لتتجه نحو المدن الاسلامية الحديثة النشأة، و ترك بعض المواقع البيزنطية التي لا تخدم التوجهات السياسية الجديدة.[3]

هكذا ورث المسلمون عن الأمم السابقة بعض المحصنات او التحصينات الدفاعية العسكرية كتلك التي ورثوها عن الدولة البيزنطية داخل البلاد وعلى

---

[1]- ناجي جلول، " **الرباطات البحرية بأفريقية في العصر الوسيط، السلسلة التاريخية** "، العدد ،9،تونس،1999،ص،16 .

[2]- الموسوعة العسكرية، الجزء الاول، من أ الى ح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان.، ص،259.

[3]- دريسي سليم، المرجع السابق، ص،244.

السواحل، وبعد أن استتب لهم الأمر في القرنين (الأول والثاني هجري الموافق للقرنين السابع والثامن الميلادي)، عمدوا إلى تطوير النظام الدفاعي القديم[1]، و الجدير بالذكر ان تحصين مدن الساحل هي ضرورة استراتيجية اقتضتها الظروف السياسية في ذلك الوقت، فقد رأى المسلمون الاحتفاظ بالحصون الرومانية و البيزنطية التي وصلت إليهم في حالة جيدة مثل تحصينات **انطاكية***و **اللاذقية****و **طرابلس*****، و كانت انطاكية أهم الحصون في العصرين البيزنطي والاسلامي، و اتخذها المسلمون قاعدة للدفاع عن الحدود الشامية الشمالية، كما اعادوا بناء و تدعيم الحصون المتهدمة في ثماني مدن ، وتتمثل هذه الحصون في كل من **بلدة******، و **انطرطوس*******،و **مرقية********، بالإضافة الى كل من **بلنياس***، و

---

[1]- حنان قرقوتي، تخطيط المدن، العمارة والزخرفة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ، بيروت– لبنان، . 2006، ص،48.

* انطاكية بالفتح ثم السكون ، و الياء خفيفة وكانت العرب اذا اعجبها شيء نسبته الى انطاكية ،من اعيان البلاد و امهاتها ، بلد عظيم ذو سور و فصيل، عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،97. انظر ايضا ياقوت الحموي ، معجم البلدن، مج 1،ص،ص،266-267.

**تقع مدينة اللاذقية في ساحل بحر الشام و بالتحديد تقع غربي جبلة ، و هي الان من اعمال حلب ، و هي مدينة رومانية قديمة و فيها ابنية قديمة ، انظر كل من عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،98. و ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 5، ص، ص،6-5 .

*** طرابلس بفتح اوله و بعد الالف باء موحدة مضمومة، و لام ايضا مضمومة ، و سين مهملة و يقال اطرابلس و هس مدينة طرابلس الغرب ، اما طرابلس الشام فهي في الإقليم الرابع .انظر عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،98. ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج3،ص،ص،25-26.

**** مدينة بلدة من مدن ساحل بحر الشام قريبة من جبلة. انظر كل من عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،98. و ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج1،ص،483.

***** بلد من سواحل بحر الشام و هي اخر اعمال دمشق من البلاد الساحلية و اول اعمال حمص، و قال ابو القاسم الدمشقي من خلال عبد الله كامل موسى : من اعمال طرابلس مطلة على البحر في شرقي عرق،.....، و ينيب اليها عمر بن داود بن سلمون بن داود ابو حفص الانطرطوسي. انظر كل من عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة.....ص،98. و ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1،ص،270

****** مرقة بفتح اوله و ثانية، و كسر القاف و الياء مشددة، و هي قلعة حصينة في سواحل حمص تعرضت للتخريب ثم جددها معاوية و رتب فيها الجند و اقطعهم القطائع، و ينسب اليها إبراهيم بن هبة الله ابو اسحاق القرشي الطرابلسي المرقاني الذي قدم دمشق و حدث بها عن ابي جعفر بن احمد بن كليب الطرسوسي. انظر كل من عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار.....ص،ص،98-99. و ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج5،ص،ص،109.

* بليناس بضمتين ، و سكون النون ، و باء، والف، و سين مهملة، وهي مدينة صغيرة و حصن بسواحل حمص على البحر. انظر كل من عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،99. و ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج1،ص،ص،525-526.

صيدا عرقة*** ، وجبيل**** و بيروت***** ، و اعادوا مدينتين هما **عكا** و **صور**، إضافة الى حصونا جديدة على سبيل المثال؛ **حصن سفيان******، و ترجع هذه الحصون القديمة و الاسلامية الى عهدي الخليفة عمر بن الخطاب (13هـ-23 هـ/634م-644م) و عثمان بن عثمان (24هـ-35هـ/644م-656م).[1]

أما الأمويين؛ فقد أقاموا الكثير من القلاع والمراكز الدفاعية لضمان سلامة دولتهم، إلا أن الدراسات التي نشرت من خلال الدكتورة نجدة خماش في كتابها" **دراسات في الاثار الاسلامية**" لا تخص الا القليل من هذه المنشآت.[2]

ففي هذا العصر(40هـ- 132هـ)،اهتم معاوية بن أبي سفيان (40هـ-60هـ /660م-680مم) بترميم و تدعيم الحصون الساحلية كلها بالمرابطة و العمارة، و منها حصون انطرطوس و مرقة و بلنياس، و أمر بترك حصن بلدة الذي تهدم و تشييد حصن جبلة بالقرب منه، و في عهد عبد الملك بن مروان (65هـ-

** صيدا بالفتح ثم السكون، و الدال المهملة، و المد. و هي مدينة على ساحل بحر الشام شرقي صور. انظر كل من عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،99. و ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج1،ص،437-438.

*** عرقة، بكسر اوله ، و سكون ثانية ، و هي بلدة في شرقي طرابلس ، في سفح الجبل ، بينها و بين البحر نحو ميل و على جبلها قلعة. انظر كل من عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،99. و ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج3،ص،109.

**** الجبيل تصغير جبل، و جبيل ايضا؛ يلد في سواحل دمشق في الاقليم الرابع و بالتحديد في شرق بيروت. انظر كل من عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،99. و ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2،ص،109.

***** بيروت بالفتح ثم السكون و ضم الراء، و سكون الواو، و التاء فوقها نقطتان، هي مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام. انظر كل من عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،99. و ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1،ص،ص،525-526.

****** شيد على بعضة اميال من طرابلس بين عامي 23 و25 هـ/644م-646م، و يرتبط بناء هذا الحصن بمحاولة الروم القيام بأعمال ضد الفتوحات الاسلامية. انظر عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،101.

[1]- عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،84.

[2]- نجدة خماش، دراسات في الآثار الإسلامية، الطبعة 4، جامعة دمشق،1980،ص،143

86هـ/685م–705م)جددت تحصينات خمس مدن ساحلية و هي **طرابلس، عكا، صور، وقيصرية، عسقلان**، كما اعاد بناء كل من **عكا و قيصرية و عسقلان**.[1]

نضيف الى ذلك أقدم القلاع المعروفة قلعة مريدا **MERIDA** عام220 هـ/835 م في عهد عبد الرحمن الثاني[2]، واستمرت حركة تجديد و بناء الاستحكامات الحربية الساحلية و البرية في بلاد الشام حتى نهاية العصر الاموي، وفي العصر العباسي، ازدهرت هذه الحركة خاصة في عهدي المنصور(136هـ–158هـ /754م–775م)والرشيد(170هـ–193هـ/786م–809م)،وقد حملت منطقة الثغورطابع العباسيين، فقد سميت الحدث باسم المهدية نسبة الى المهدي (159هـ – 169هـ/775م–785م) وحملت المصيصة اسم المعمورة.[3]

لقد قام المسلمون ببناء سلسلة من المنشآت العسكرية من أقصى الشمال الغربي للشام إلى أبعد نقطة على شريط المحيط الأطلسي غربا، وتشير المصادر التاريخية مثل"ابن حوقل" *و" الإدريسي**"و" البكري*** " ذلك، وانه يمكن معرفة تحركات العدو في ليلة واحدة من عكة بفلسطين إلى سبتة وطنجة بأقصى بلاد المغرب غربا ومن ضمن الوسائل التي يتم فيها الاستشعار بقدوم العدو، إشعال النيران ليلا، وإثارة الدخان أو الحمام أو المرايا العاكسة نهارا ،وقد كانت هذه

---

[1]- عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا.....ص،84.

[2]- نجدة خماش، المرجع السابق،ص،143.

[3]- عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا .....،ص،84.

* ابن حوقل أبي القاسم النصيبي، صورة الأرض، القسم الأول، ط 2، مطبعة بريل، ليدن، 1967.

** الإدريسي أبو عبد الله الشريف، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، صححه ونشره هونري بيرس، الجزائر،1957 .

*** البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، حققه وقدم له أدريان فان ليفن و أدنري فيري، المؤسسة الوطنية ، للترجمة و التحقيق و الدراسات ، بيت الحكمة، الدار العربية للكتاب،1992 .

المنارات والمحارس مبنية بطريقة يمكنها من متبعة ما يعطيه الرج أو المنارة من معلومات.[1]

اما السلاجقة فقد اضافوا الى العمارة الحربية الإسلامية الباب ذي الباشورة ذي الانعطافات و التي تمثل عوائق خطيرة للمهاجمين و كذلك الباب المدرج و برج الحمام الراجل و قد حملها الفرنجة معهم مما كان له الاثر المشهور في تطور العمارة في اوروبا في عصورها الوسطى و عصر النهضة.[2] **اللوحة(10))**

أكد المؤرخون و الجغرافيون المسلمون العرب، أنً العمارة العسكرية الدفاعية بالمغرب الاسلامي، كان يغلب عليها الطابع البيزنطي، في السنوات الأولى من الفتوحات الاسلامية، حيث استخدموا نفس الاساليب المعمارية من مواد و تقنيات البناء،و الأمر المؤكد أيضا أنهم لم يستعملوا كل المنشآت البيزنطية . و خلال السنوات الأولى من الوجود الاسلامي، لوحظ دمار العديد من المنشآت البيزنطية، وبنى العرب على انقاضها رباطات امتزجت بمخططات العمارة البيزنطية من مثال ذلك رباط سوسة و التي احتفظت على صفوف من قاعدة السور الدفاعي البيزنطي و الذي شكلت الأساس لرباط سوسة المتميز بأبراج دائرية.[3]

هكذا عرفت بلدان المغرب هي الأخرى نظام التحصينات لتفادي الخطر الخارجي و الداخلي*،فكانت معظم مدنه محصنة بأسوار المدعمة بأبراج المراقبة و الدفاع، بعد

---

[1]- عبد الكريم عزوق، المعالم الاثرية الاسلامية ببجاية، ط1،اصدارات وزارة الشؤون الدينية و الاوقاف، الجزائر،2015،ص،211. انظر ايضا عبد الكريم عزوق، المعالم الاثرية الاسلامية ببجاية ونواحيها، دراسة أثرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الاثار الاسلامية، جامعة الجزائر، معهد الاثار،2007-2008،ص، ص،149.

[2]- أحمد عابد، العمارة الاسلامية خصائص و آثار، غزة، فلسطين،2015،ص،47.

[3]- دريسي سليم، المرجع السابق، ص، 244.

* اشار ابن الرامي الى أنً أهالي بعض المستوطنات في شمال افريقيا كانوا اذا ما رغبوا في تحصين مستوطنهم بإنشاء دروب او حفير او اسوار، فانهم كانوا يتعاونون في بنائها على نفقتهم ، و كانت تحصينات للمستوطن و كيفية توزيع نفقات ، و كانت النفقة توزع بينهم وفق نظام معين يرتضونه، و في نفس السياق ذكر ابن الرامي تفصيلا لأحكام عملية انشاء تحصينات للمستوطن و كيفية توزيع نفقات انشائها، و اتجهت اغلب الآراء الى اجبار من ابى المشاركة في تحمل النفقات، و منهم من رأى في ذلك كراهية ،و خلصت الآراء في امر توزيع نفقة الانشاء الى طريقتين: الطريقة الاولى ترى بان تقوم دور المستوطن و تقوم النفقة و توزع وفق قيمة كل دار ، و الطريقة الثانية؛ هي التي كان يعمل بها ابن الرامي و هي ان تقسم قيمة التحصين نصفين يقسط النصف الاول على قيمة الدار كما هو الحال في الطريقة الاولى، و يقسط الثاني على ذوي الاموال يفرض عليهم بحسب احوالهم. ابن الرامي، الاعلان بأحكام البنيان،

أن يختار لها موقع استراتيجيا يسهل من عملية الرد على أي هجوم خارجي، كما زودوا مدنهم بمداخل تذكارية محصنة[1]، و قد وصف العديد من الرحالة و الجغرافيون* هذه المدن و التجمعات بكثرة و بدقة، بل و ركزوا في أغلب الأحيان على جانب معماري مهم ألا وهو التحصينات العسكرية أو بالأحرى النظام الدفاعي المدعم بعناصر دفاعية عسكرية متمثلة في الأسوار، الأبراج و المداخل المحصنة لجعل الموقع آمنا، إمعانا في الاحتماء من الغارات التي يمكن أن تتعرض لها من الخارج.

إنً الفتح الاسلامي لبلاد المغرب يعتبر استمرارا لجهود المسلمين في نشر تعليم الدين الاسلامي، وقد استغرق في ذلك اكثر من 50 سنة، شهد خلالها قيام دويلات كبيرة متنوعة عملت على توحيد كل أقاليمه و صهرها سويا، و غدت جميعها مراكز للإشعاع الحضاري و الثقافي،بدأ بتأسيس مدينة القيروان واتخاذهم قاعدة لانطلاقاتهم في باقي بلاد المغرب إلى تانجر مرورا بالأوراس حول مملكة باغاي ثم مرتفعات الفرينده الى مملكة التافة (وادي ميمون) بالقرب من تلمسان[2]، ولم تحل سنة 97هـ/710م حتى أصبحت بلاد المغرب كلها تحت راية الاسلام*[3]. و من أهم الحضارات المتعاقبة نذكر على سبيل المثال الأغلبية (184 – 296هـ /800–909م) بتونس والتي تعد منشآتها الدفاعية دليلا واضحا على اهتمام حكام

تحقيق عبد الرحمان بن صالح الاطرم، رسالة ماجيستير مقدمة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية،1403هـ ، ص، ص،216-223.

1- Rachid Bourouiba, L'Architecture Militaire de L'Algérie médiévale, Office des Publications ,Algérie Deuxième partie,1983,p,p,44-124

* من الجغرافيين نذكر اليعقوبي "القرن 3 هجري/9 م"، ابن حوقل " القرن 4هجري/10م"، البكري "القرن 5هجري/ 11م" و غيرهم من الجغرافيين ...

2- عثمان مفتاح، المرجع السابق، ص،6.

3- عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الاثار الإسلامية ،دار الشوكاني للطباعة و النشر، الطبعة الاولى، صنعاء ،الجمهورية اليمنية ،2003،ص،85.

* للمزيد و للاطلاع انظر عبد الله عبد السلام الحداد ، المرجع نفسه، ص،85.

هذه الاقاليم بتامين المناطق الساحلية ودفاعاتها، و التي تنوعت ما بين أسوار و أبراج و حصون و قلاع و محارس و رابطة و غير ذلك.[1] **اللوحة (11))**

اما المرابطون فقد اهتموا ببناء **الحصون** القلاع و الأسوار وكذا المنشآت الدينية و المدنية بشكل كبير، ولكن هذه الحركة العمرانية كانت مركزة بشكل كبير في المغرب الأقصى وبعض مناطق المغرب الأوسط وذلك لإحكام سيطرتهم على مناطق المغرب الأقصى و مراقبة القبائل خشية عصيانها وتمردها، وانتشرت هذه القلاع والحصون من مراكش في الجنوب حتى مدينة فاس شمالا ومن تلمسان شرقا إلى طنجة غربا.[2]

من أروع ما خلفه المرابطون في مجال التحصينات العسكرية؛ قصبة النصراني وحصن أمركو الذي شيد على علو مرتفع لحراسة سفوح الجبال والممرات الاستراتيجية، إذ يشرف على وادي ورغة جنوب قلعة بني تاودا وقلعة تاسفيوت. ولم يكتف المرابطون بالتحصينات الجبلية فقط، بل تم تحصين المدن وتسويرها كمدينة مكناس، وتلمسان وأسوار وهران[3] ، كما كان لهم أثر كبير في تطوير هذه المدن على سبيل المثال مدينة تلمسان عمرانيا بالأخص، و من ناحية النظام الدفاعي، و الأمثلة عديدة منها اذ تعود الاستحكامات العسكرية الموجودة بمدينة تلمسان الاسلامية زمنيا من حيث تشييدها الى الفترة المرابطية، لتليها الفترة الزيانية، بالإضافة الى المنشآت العسكرية التي أقامها المرينيون بمدينة المنصورة وذلك راجع الى التوسع في الفترة الزيانية، و قد تأثر هذا الاهتمام كذلك بالظروف السياسية

---

[1]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس(عصر المرابطين والموحدين) ،مكتبة الخنانجي، ط1 ، القاهرة، مصر،1980، ص،ص،372-392،

[2]- حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص،ص،372-392،انظر كذلك :عبد الله سوسي، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ،1979 ، ص،ص،51-53. انظر ايضا كمال عناني اسماعيل، الاثار الاسلامية في المغرب، ط1، دار الوفاء للطباعة و النشر، الاسكندرية، 2016، ص،55.

[3]- محمد الأمين، المرجع السابق،ص،ص،7-8.

لدولة، حيث الصراعات المسلحة بين الدويلات القائمة بالمغرب الإسلامي منها خاصة التعدي المتكرر للدولة المرينية على حدود و أراضي الدولة الزيانية، مما اضطرت هذه الأخيرة لتحصين مدينة تلمسان، جعل الجيش المريني يعجز مرارا على دخول المدينة، هذا ما جعل ابي الحسن المريني يؤسس مدينة جديدة محصنة بأسوار سماها المنصورة.*[1]**(اللوحتين (12)،(13))**

بالنسبة للموحدين؛ فقد اتسعت عنايتهم بالتحصينات سواء في المغرب الاسلامي او الاندلس، إذ أصبحت القصبة تعني كل مدينة محصنة بأسوار وأبراج، كما غدت القصبة تحتوي على مرافق اجتماعية؛ من مساجد وحمامات ومخازن للتموين، وسجن، وسوق، ومساكن للعسكر، وقصر السلطان، ومقر قائد الجيش وبساتين، حتى أنهم حافظوا على نفس السياسة الدفاعية التي اعتمدها أسلافهم المرابطون، ويظهر ذلك جليا في ترميم وبناء عدد من التحصينات، كان أهمها تينمال التي اختارها المهدي بن تومرت، منطلقا لدعوته وتجييش أتباعه،و اعتبرت حصنا منيعا بشهادة صاحب الحلل الموشية.*[2]

---

[1]- عبد العزيز لعرج، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، دراسة في الفكر العمراني الإسلامي و تطبيقاته العلمية " عمرانا و عمارة و فنا "، ط2، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، 2011م ، ص،5.

* موشموش محمد، الفكر العمراني الاسلامي و أثره على تخطيط المدن و عمارتها(مدينتي تلمسان و الجزائر أنموذجا) دراسة تاريخية – اثرية، من القرن 03هـ/09 م الى القرن 13هـ /19م ،اطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، معهد الاثار، جامعة الجزائر ،2015، ص، 350.

* يذكر صاحب الحلل الموشية وأن المهدي توجه إلى تينمال، لما رأى من منعتها، وحصانة موضعها... وأدار على المدينة سورا أحاط بها من كل جانب، وبنى على رأس الجبل سورا، وأفرد في قمته حصنا يكتشف على ما وراء الجبل، ولا يعلم مدينة أحصن من تينمال، لا يدخلها الفارس إلا من شرقها، أو من غربها، وقد اعتمد في بناء الحصون على رجل من أهل الأندلس يدعى الفلكي الأندلسي، حيث ذكر صاحب الحلل أنه: أول من صنع له حصونا، ضبط بها أنقاب جبل درن، الذي يتوقع بسببها الخوف من نزولهم إلى البسائط، فمنعهم من الهبوط عليها، كما عمد خلفه عبد المومن على نهج سياسة دفاعية عبرت عن حس إستراتيجي ووعي دفاعي، فتم بناء حصن بجبل طارق، وجعله قاعدة أمامية للدفاع عن بلاد المغرب، وتشييد رباط تازة عام 529 هـ/1134 م ، ليخصص كقلعة عسكرية مهمة، ورباط تيط المعروف حاليا بمولاي عبد الله بالقرب من الجديدة، يضاف إلى ذلك العديد من الأسوار والأبواب خاصة في مدينة الرباط (باب الوداية، باب الأحد، باب الرواح، باب العلو باب الزعير...) أو في مدينة مراكش (باب أكناو)، حيث شيد السلطان المنصور الموحدي القصبة وجهزها بأبراج ضخمة. وتميزت أسوارها بالارتفاع والصلابة ومتانة سمكها. كما تنوعت الخيارات في تصاميم البناء واستيعاب بعض العناصر المأخوذة من حضارات أخرى، خاصة تلك التي سادت بالأندلس. انظر محمد الامين ،ص،ص،7-8. انظر ايضا كمال عناني اسماعيل، ،الاثار الاسلامية في المغرب.....ص،111.

[2]- كمال عناني اسماعيل، المرجع نفسه ،ص، ص،61-111. انظر أيضا محمد الامين ،ص،ص،7-8.

هكذا حقق الموحدون ثورة معمارية مست الجانب الدفاعي، من قصبات و ابراج و اسوار، شكلت بذلك حزاما أمنيا ضد أي تدخل خارجي، بالحفاظ على نفس السياسة الدفاعية التي اعتمدها أسلافهم المرابطون.[1] **اللوحة(12))**

بالنسبة للمغرب الاوسط ، فاولى المدن الجزائرية التي تميزت بوجود تحصينات دفاعية و عسكرية هي المدن التي أنشاها الادارسة الذين حكموا المغرب ما بين (305هـ-377هـ/908م- 972م), نذكر على سبيل المثال مدينة تيهرت؛ ما بقي بها من الاستحكامات العسكرية فقط قلعة وقصبة, وأسوار تحيط بالمدينة مزودة بأبواب، وكان ذلك شأن باقي المدن التي أسست في تلك الفترة كمدينة سدراتة التي ما بقي منها من الاثار العسكرية؛ الأسوار مثلا.[2]

الى جانب ذلك هناك من المدن الجزائرية التي تميزت هي الاخرى بوجود أنواع من الاستحكامات العسكرية نذكر على سبيل المثال مدينة اكجان، تزورت، و المحمدية (مسيلة الحالية) التي بناها الفاطميون، ولم يتبقى من اثارها المادية أي أثر[3].

اما التحصينات التي انشاها المرابطون و الحماديون بالجزائر في فترة ما بين القرنين **(5 -6 هـ /11- 12 م)** ، فقد تميزت باستخدام في عملية البناء كل من مادتي الحجارة والأجر, واعتمدت في تحصينها على طبيعة الموقع، فاستغلت الوديان و العوارض الطبيعية ، كحواجز دفاعية من الأمثلة نذكر, بونة, قلعة بني حماد, تاقرارت و الأقادير[4].**(اللوحة(13))**

---

[1]- كمال عناني اسماعيل، الاثار الاسلامية في المغرب.....،ص،ص،61-111.

[2]- Rachid Bourouiba,Op, Cit,p,p, 2- 45.

[3]- Rachid Bourouiba, ,Op, Cit, p, p,2- 45.

[4]- الأمين عمر، مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين (4-6هـ / 10- 12 م) للفترتين الزيرية و الحمادية (أشير – قلعة بني حماد – بجاية), رسالة لنيل الماجستير في الآثار الإسلامية , جامعة الجزائر، معهد الاثار،2000-2001،ص،56.

إلا أنً انهيار الدولة الموحدية سبًب في انقسام الغرب الإسلامي و تشتته الى ثلاث دويلات و هي المرينيين في المغرب الاقصى و عاصمتها الرباط، و الزيانيين في المغرب الاوسط و عاصمتها تلمسان، اما الحفصيون ؛ في المغرب الادنى و عاصمتها تونس، و نظرا للصراعات و التوترات اللامنتهية و القائمة فيما ببينهم، دفعت بهم إلى الاكثار في تشييد المباني العسكرية، مما جعل هذه الفترة تتميز بكثرة المنشآت العسكرية الزيانية لصد هجومات بني مرين، فقامو ببناء المشور مثلا تلك القلعة المحصنة ذات الأسوار المرتفعة و متقنة البناء، بينما المرينيون فقد قامو ببناء مدينة المنصورة المحاطة بأسوار من الطابية مدعمة بأبراج مربعة الشكل وأخري مستطيلة.[1] **(اللوحة(13))**

أمام هذا الاضطرابات و التوترات الغير المنتهية بين دول المغرب الإسلامي، استغلت قوة خارجية غير منتظرة هذه الظروف وهي الاسبان فقامت باحتلال اغلب المدن الساحلية لبلاد المغرب العربي الأوسط كعنابة، بجاية، شرشال ، أرزو، و وهران، هذه الأخيرة التي استقر فيها العدو الإسباني أكثر من ثلاث قرون فأنشأوا بها قلاع وحصون جديدة تتماشي و الوضع الجديد و التطور الحربي[2], ثم حاول الإسبان احتلال مدينة الجزائر وذلك بإقامة حصن على الجزر المقابلة للمدينة علي بعد **300** م والمسمى بـ "حصن البنيون" لتهديد الأهالي بالقصف و إرغامهم عنوة قصد تسليمها.[3]

اذن كل هذه الظروف و الأوضاع الخطيرة ،التي كان يتخبط فيها سكان اهالي مدينة الجزائر، دفعت هؤلاء و حكامها لطلب الاستنجاد بالأخوة عروج و خير

1- 3.

2- عثمان مفتاح، المرجع السابق، ص،6.

3- عثمان مفتاح، المرجع نفسه.

الدين (بربروس) ضد الخطر الاسباني و الدفاع عنهم[1]، و بموجبها أصبحت مدينة الجزائر تابعة للإمبراطورية العثمانية سنة **(925هـ/1519م)** ، عرفت فيها سياسة عمرانية دفاعية جديدة، وتطور حربي سواء من الناحية التحصينية أو من ناحية تطور الأنظمة الحربية والأسلحة، زد على ذلك اكتشاف المدفع في القرن الثامن هجري الموافق للقرن الرابع عشر ميلادي, و الذي يعد حدثا تاريخيا في العمارة العسكرية وتحويلا خطيرا في تاريخ البشرية هذا ما سنلمحه في الفصل الثاني و المتمثل في العمارة العثمانية.

[1]- بسام العسيلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر،1470-1547، دار النفائس، 1980 ،ص،93.

الفصل الاول:

تاريخ الدولة الجزائرية في العهد العثماني

أولا : الدخول العثماني إلى الجزائر

ثانيا: النظام العسكري

ثالثا: الصراع الأجنبي على السواحل

تاريخ الدولة الجزائرية في العهد العثماني و نوعية نظامها:

إنً الحديث عن الدولة الجزائرية في العهد العثماني يتطلب معرفة تاريخها و الالمام في تلك الفترة بالتركيز على نظامها السياسي و العسكري.

أولا: الدخول العثماني الى الجزائر:

يعد سقوط مدينة غرناطة * آخر معقل للمسلمين في الاندلس سنة 898 هـ/ 1492م إيذانا بنهاية الوجود الإسلامي في اسبانيا، بعدما أسس فيها المسلمون أعظم حضارة إسلامية على مر التاريخ[1]، وهذا بعد سلسلة من حروب الاسترداد التي قادتها الممالك المسيحية الاسبانية ضد الوجود الإسلامي في اسبانيا ،والذي تبعته حالة من التدهور والانهيار والضعف في أوضاع الغرب الإسلامي، فقد انتهت دولة الإسلام في الأندلس، وتوالى بعدها سقوط ثغور أقطار شمال إفريقيا في أيدي الغزاة الايبيريين المسيحيين الذين لاحقوا المسلمين الفارين من الأندلس، ولم تبق أي منطقة تقريبا لم يمسها الغزو من أقصى السواحل الغربية في المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى إلى السواحل التونسية، و لم يستطع المقاومون من السكان المحليين صدها وذلك بسبب ضعف الممالك الإسلامية في منطقة المغرب الإسلامي في تونس وتلمسان وفاس، والتي تدهورت هذه الأخرى أوضاعها الداخلية وأشرفت على السقوط نظرا لانشغالها بالصراعات الداخلية على الإمارة والحكم.[2]

و في البحر المتوسط زدادت عمليات القرصنة الأوربية وضرب المسلمين في عرض البحر و هو ما تسبب في صدام المسيحيين الغزاة بالعثمانيين، حيث ارتبط هذا الوضع

* غرناطة وتسمى بالإسبانية Granada تقع في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة الايبيرية، ويقع فيها قصر الحمراء، وقد ظهرت فيها مملكة إسلامية في القرن 11 م، وكانت هي المملكة الإسلامية الوحيدة في اسبانيا بعد سقوط مملكة قرطبة بيد المسيحية 1236 م.

[1]- لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، ج1 ، مكتبة الخانجي، ط1،1974، ص، ص،107 -108.

[2]- أحمد ابن أبي الضياف، إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الامان، الجزء الثاني، الدار التونسية النشرة الثانية بتحقيق الشيخ محمد شمام، ج2، الدار التونسية للنشر، 1990،ص، 121.

بظهور الأتراك العثمانيين في البحر المتوسط وتقدُمهم نحو سواحل اسبانيا الشرقية والجنوب شرقية وكذلك سواحل شمال إفريقيا، وعرفت الحروب التي قامت بينهم بالجهاد البحري، ومن هنا بدأت أولى ملامح العلاقات العثمانية بشمال إفريقيا [1]، فقد كانت السفن العثمانيين تنخر عباب البحر الأبيض المتوسط بقيادة بحارة عثمانيين، لعبوا دورا فعالا ومهما في ربط شمال إفريقيا بالدولة العثمانية[2]، ففي الوقت الذي اشتدت فيه الهجمات الاسبانية على سواحل المغرب الإسلامي بصفة عامة والسواحل الجزائرية بصفة خاصة في مطلع القرن العاشر الهجري الموافق القرن السادس عشر الميلادي، ضمن حملتهم على المسلمين الفارين من الأندلس وتحقيقا منهم لأغراض استعمارية صليبية شرسة على المنطقة ككل[3]، بدأ التوسع العثماني يشمل جميع أنحاء العالم العربي ، خلال فترة دامت أكثر من نصف قرن ، فعملوا على إيجاد قاعدة بحرية هجومية، لتنطلق منها الأساطيل في حملات مباشرة ضد القواعد البرتغالية في الخليج العربي وفي المياه الهندية، وهكذا كانت السويس هي ميناء انطلاق الحملات البحرية العثمانية ضد البرتغاليين.[4]

- وصول العثمانين الى الجزائر و بداية الحكم العثماني:

اتجه العثمانيون إلى سواحل بلاد المغرب الاسلامي، حيث كان الإسبان يتعقبون الأندلسيين عند لجوئهم إلى شمال المغرب العربي، بهدف نقل الحرب إلى بلاد المغرب العربي، والانتقام منهم للمساعدات التي كانوا يقدمونها لإخوانهم الأندلسيين. وكانت القوة العثمانية تحت قيادة الإخوان عروج و خير الدين. وفي حوالي سنة 916هـ/ 1510م رأى السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد أن يستعين بهما

---

[1]- ابو القاسم سعد الله، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر، بيروت، ج1 ، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1996 ، ص،189 .
[2]- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ،تقديم المهدي، البوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2004 ،ص،24 .
[3]- الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ،تحقيق الحبيب هيلة ، تونس ، ج2 ، دار الكتب التونسية، 1973 ، ص،131 .
[4]- عبد العزيز سليمان نوار ، الشعوب الإسلامية، الأتراك العثمانيون، الفرس ، مسلمو الهند ، دار النهضة العربية، بيروت،1973 ، ص، 114.

لحماية الدين و الدولة، وأن يجعل مما يدفعانه من خمس الغنائم موردا ثريا لخزانة الدولة فأقطعهما مرفأ" **حلق الواد** "بتونس يتخذان منه مقراً وقاعدة لهم لمحاربة من يحارب الإسلام.*[1]

لقد كان الإسبان يجهلون مدى ضعف المسلمين في تفرقهم وتنافسهم، و لذلك انتهز دون فرناندو **Dan Fernando** ملك إسبانيا الفرصة، في طرد المسلمين من إسبانيا سنة 898 هـ/1492م**، ثم أصدر قانون منع الديانة الإسلامية في الأندلس، ونظم مراقبة شديدة لتتبع المسلمين الأندلسيين وإرغامهم على اعتناق المسيحية، أو الخروج من إسبانيا و حينئذ اشتدت هجرات الأندلسيين إلى بلدان المغرب الإسلامي، علما انه سبقتها قبل ذلك هجرات بسيطة .[2]

هكذا كان الصراع الصليبي سببا في اجتذاب عدد من البحارة المسلمين من اقاليم شمالي إفريقيا، وكانوا قد نشأوا في مطلع حياتهم في خدمة الأسطول العثماني، ثم كونوا سفنا كانت بمثابة أساطيل صغيرة تعمل لحسابهم في عمليات النقل البحري، وتجاهد في نفس الوقت ضد البرتغاليين والاسبانيين وأطلق عليها " مراكب الجهاد"، وكان من قادة هؤلاء المجاهدين المغامرين : عروج وأخوه خير الدين بربروس.[3]

---

[1]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا،1492هـ/ 1792 م دار البصائر، الجزائر، 2008 ،ص،144 .

* يذكر المؤرخ عبد القادر نور الدين انه في ذلك العصر، كانت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط قد اختلت أحوالها ، وظهر فيها الضعف و مالت إلى السقوط واستولى الإسبان على المرسى الكبير، ووهران، و بجاية ، وكانت مقاطعة قسنطينة تابعة للحفصيين، و الذي زاد في الطين بلة ان دول المغرب العربي الحفصية و الزيانية و المرينية كانت متخاذلة متنافسة، كل دولة منها تتعدى على الأخرى وتكيد لها وتريد التملك والسيطرة، فكانت سواحل قطر الجزائر مهددة من طرف الإسبان بالخصوص وجمهورية البندقية (فينيز- فينيسيا-) و جنوة و هي مركز كبير بإيطاليا في البحر الابيض المتوسط. نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1385هـ - 1965 ، ص،43.

** السنة التي سقط فيها آخر معقل للمسلمين بالأندلس، وهي مدينة غرناطة التي في كانت في أيدي بني نصر.

[2]- عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر -نشأتها وتطورها قبل 1830، الطبعة الأولى، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص، 161.

[3]- عبد العزيز محمد الشناوي، عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها ،مكتبة الانجلو مصرية، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة ،1980،ص،ص،904-905.

وبمضايقة المسيحيين للمسلمين في الأندلس اشتدت الحمية الدينية لدى ابناء يوسف يعقوب التركي*، و كان لهؤلاء الاخوة شهرة في حوض البحر الابيض المتوسط ، فجاسوا سواحل شبه جزيرة ايبيريا لحماية اخوانهم المسلمين ، او اخوالهم كما يذكر البعض**، لذلك نشط الاخوين عروج و خيرالدين في مساعدة وتهجير المسلمين الأندلسيين إلى شمال إفريقيا وتركزهم في المدن الساحلية من بينها؛ مدينة الجزائر" **التي عمر الأندلسيون فحصها وروابيها المحيطة بها في أول الأمر، ثم انتقل البعض منهم بعد ذلك إلى المدينة ".***[1] الخريطة(01)**

كان دون فرناندو ملك إسبانيا و كيسمني الكاردنال، يدركان جيدا عاقبة هجرة المسلمين الأندلسيين إلى مدن شمال افريقية ،وأنها هجرة مؤقتة او فترة فيها يتحزب المسلمون مرة أخرى ثم يعودون إلى غزو بلاد الأندلس، وتقويض عرش المسيحية فيها، لذلك خطط الملك الإسباني تنظيما، أوجبه فيه تتبع الأندلسيين هناك، احتلال المدن الساحلية، وبدأ بالمدن القريبة من الساحل الإسباني، فاستولى الاسبان على مدينة وهران سنة915 هـ/ 1509م****، و نظمت اسبانيا حملات أخرى بقيادة بييدرو نافارو**Pedro- Navaro** لاحتلال بقية المدن في شمال افريقيا ، فاستولى على مدينة بجاية سنة 916 هـ/1510م، ثم سقطت دلس وشرشال ومستغانم في يد الاسبان سنة 917 هـ/1511م، وبذلك باتت مدينة الجزائر في خطر يحيط بها العدو الإسباني المسيحي من كل جهة، و خاف الثعالبة من ذلك، مما دفعهم الى ان ينتدبوا مثلين عنهم من شيوخ متيجة والساحل للذهاب إلى بجاية و الطلب من بيدرو نافارو

---

*حسب ابن أبي الضياف فإن يعقوب بن يوسف التركي الاصل ، هو ابو الاخوة الاربعة ، و امهم فسيدة اندلسية . ، فإسحاق و عروج أسنّ من خير الدين ، اما الياس فهو؛ اصغرهم ، باعوا انفسهم لله تعالى و استبشروا ببيعهم و ربحوا و ذلك هو الفوز العظيم . انظر أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق،ص،9.

**يذكر حليمي عبد القادر ان يوسف تزوج بعربية مسلمة اندلسية انجبت له الاخوين بربروس عروج و خير الدين فكانت لهم بذلك صلة الرحم بعرب الاندلسيين . عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر- بشاتها وتطورها قبل 1830، ط1، الجزائر، 1972، ص،162.

[1]- حليمي عبد القادر، المرجع نفسه، ص، 162.

*** عن الهجرات الأندلسية في الجزائر انظر فصل الأندلسيين من الأطروحة.

**** حسب حليمي عبد القادر، فان العدو الاسباني تمكن من قتل اكثر من أربعة آلاف نسمة من مسلمي سكان مدينة وهران ، كما أسروا ما يزيد عن ضعف هذا العدد، كما خربوا مساجدها وبنوا بأحجارها كنائسهم واستبدلوا المآذن بالأجراس. حليمي عبد القادر ، المرجع السابق، ص، ص، 162- 163.

التكرم بإبرام عقد الخضوع، فأحالهم هذا على ملك أسبانيا فيرناندو، فانتدب الثعالبة وأعيان المدينة ملكهم سالم التومي لهذا الأمر، وذهب سالم في سنة 916هـ/1510م صحبة ملك مدينة تنس أبي عبد الله ومعهما أموال كثيرة وعبيد مسيحيون أطلق المسلمون أسرهم إلى إسبانيا لطلب الأمن، واجتمع الحاكمان – الذليلان– بملك أسبانيا دون فرناندو بمدينة برقاس **Burges**،و دارت بينهما المحادثة التي انتهت بقبول الجزائر لدفع غرامة سنوية للإسبان و السماح لبيدرو نافارو بإنشاء حصن الصخرة فوق إحدى جزر مدينة الجزائر على بعد 300 م من باب البحر، وبهذا الاتفاق وضع سالم التومي الخنجر الإسباني على نحر مدينة الجزائر. إذ من هذا الحصن ظل الإسبان يهددون سكان المدينة الذين أخذوا يبحثون عن حل لدرء الخطر الاسباني.[1]

ظهر على الساحة بحارة عثمانيين اشتهر الإخوة العثمانيين*عروج**، خير الدين***،الياس وإسحاق، بانتصاراتهم البحرية على المسيحيين و القراصنة الأوروبيين ، الذين قادوا معارك طاحنة ضد الإسبان وانتصروا عليهم، وبظهورهم شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة تمخض عنها ميلاد الدولة الجزائرية الأولى والتي أصبحت فيما بعد القوة المهيمنة على البحر الأبيض المتوسط .[2]

---

[1]- حليمي عبد القادر ، المرجع السابق، ص، ص، 162- 163.

* خير الدين ، اسحاق و عروج وهذين الآخرين (الاخوين) اسنّ منه أي من خير الدين ، اما الياس فهو؛ اصغرهم ، باعوا انفسهم من الله تعالى و استبشروا ببيعهم و ربحوا و ذلك هو الفوز العظيم . و ابو هؤلاء الاخوة الاربعة الذي ذكرهم ابن ابي الضياف هو يعقوب بن يوسف التركي الاصل ، اما امهم فسيدة اندلسية . انظر احمد ابن ابي الضياف، المصدر السابق،ص،9.

** الشائع و المعروف حسب احمد ابن ابي الضياف انه بفتح العين و ضم الراء المشددة، و يرجح بل يحقق الاستاذ احمد توفيق المدني في كتابه حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 159 هـ- 161هـ أي انه بضم كل من العين و الراء المخففة على وزن المصدر من عرج ، و قد استشهد عروج هذا في معركة الدفاع عن قلعة تلمسان ضد الاسبان في شوال سنة 924هـ عن سن يناهز الخمسين، و حز الاسبان راسه ، و نُقل جثمانه الى عاصمة الجزائر حيث دُفن جوار سيدي رمضان .احمد ابن ابي الضياف، المصدر نفسه.

*** خير الدين بربروس 875 هـ- 953 هـ /1470- 1546، كان قائد أساطيل عثمانية ومجاهدا بحريا .ولد في جزيرة لسبوس في اليونان المعاصرة وتوفي في الآستانة (إسطنبول.). و اسم خير الدين هذا من رجال الدنيا بل و الاخيرة ، فهو كما قال بعض الادباء " خير الدين و الدنيا كما جاء في كتاب ابن ابي الضياف ،و أصله من جزيرة **مدلّي** و هي عاصمة يونانية **Mytilène** و يتلفظ بها الاتراك Midili .اسمه الأصلي هو خضر بن يعقوب و هو رابع اربعة من الاخوة ، لقبه خير الدين باشا، بينما عرف لدى الأوربيين بباربروسا أي ذو اللحية الحمراء او الشقراء . و هو اللقب الذي اطلقه الاسبان عليه و على اخيه عروج .و توفي خير الدين باستانبول حوالي سنة 950هـ وهو في سن الثمانين تاركا ابنا وحيدا يقال له حسان،واسم خير الدين في الأصل خسرف فابدله باسمه الحالي لرغبة فضلاء الاندلسيين و المغاربة. أحمد ابن أبي الضياف، المصدر نفسه.

[2]- Fray Diego de Haedo,Histoire des Rois d'Alger ,Abbé de Fromesta (Epitome de los Reyes de Argel – Valladolid,1612), Traduite et annotée par H- D , De Grammont, Adolph Jourdan ,Libraire –Editeur ,Alger,1881,p,p,1-4.

بدأ البحارة العثمانيين نشاطاتهم في البحر الأبيض المتوسط بكثافة، وهو الشيء الذي أدى بهم إلى البحث عن قاعدة بحرية ثابتة، تكون مركز لهم ونقطة انطلاق حملاتهم العسكرية البحرية، ضد الغزاة الأوربيين، كما حاولوا أن يجدوا معولا لتلك الحملات والعمليات العسكرية، والدفاع عن السواحل المحررة من الاسبان، و هو ما كان لهم عندما وافق السلطان الحفصي أبو عبد الله بن الحسن سنة 910هـ/1504م على طلب عروج الرامي على مساعدتهم وتمويلهم بالعتاد والسفن[1]، فازدادت بفضل تلك الأعمال والبطولات، التي قام بها هؤلاء البحارة، حتى وصلت شهرتهم إلى المغاربة وأهالي الجزائر بصفة خاصة [2]، فقد كانت هذه الأعمال متزامنة مع تهديدات الاسبان لسواحل الجزائر، حيث سقط المرسى الكبير تحت أيديهم سنة 911 هـ/ 1505م، و احتلوا وهران سنة 915 هـ/ 1509م*[3] كما تمكن الاسبان أيضا من إخضاع بجاية وعنابة سنة916 هـ/1510م[4]، فطلب أهالي بجاية من البحارة العثمانيين مساعدتهم ونجدتهم من الخطر الاسباني الطاغي الذي احتل أراضيهم وفرض عليهم ضرائب كبيرة، و ما كان على الأخوين سوى تلبية رغبتهم فاتجها بأسطولهما نحو بجاية – مدن أخرى–وفي صدد إنقاذ خيرالدين و عروج للبجائيين و الاندلسيين يذكر ابي الضياف قائلا:"....**ثم توجه خير الدين و معه أخوه ، الى بجاية و الاندلس ،وكابدا حروبا شديدة**..."[5]، ولم يقتصر نفوذهم عن هذا الحد بل امتدت سيطرتهم عبر كل المدن الساحلية تقريبا.[6]

---

[1]- مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق عبد القادر نور الدين، الجزائر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية،1934 ، ص 13.

[2]- شارل اندي جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، ج2 ، الدار التونسية للنشر، 1983 ، ص 326.

* يذكر الزياني محمد بن يوسف* في كتابه بعنوان " دليل الحيران و انيس في اخبار مدينة وهران" ، عن سنة احتلال وهران قائلا: " ثم غزا فردينة المار بجيشه (وهران) في اوائل ربيع الثاني سنة 911هـ ، كما قاله اب و محمد الشيخ عبد الله قاضي نهر بني راشد ، فملك برج المرسى و استقروا به الى سنة 914هـ ،دخلوا (وهران) على ما للشيخ احمد بابا في (ذيل الديباج)، و مثله في (نزهة الحادي) ، و زاد انّ ذلك في آخر المحرّم منها ، و به قال الديوني في (البستان) ، و الشيخ ابو عبد الله محمد التغريري الجزائري في (رجزه) ، و فيها مات صاحب(المعيار)، و قال الصباغ، و الحافظ أبو راس و غيرهما ، دخلوها سنة(915 هـ) في صفر ....."، محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق ،ص، ص، 27-28.

[4]- شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص326 .

[5]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق،ص،10.

[6]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص ،ص، 119- 120.

لقد لبّى عروج دعوة أهل مدينة الجزائر، ومعه عسكر من الأتراك والجزائريين ، فعوج أولا على مدينة شرشال، فدخلها سنة 922هـ/1516م*، ثم انصرف الى مدينة الجزائر في تلك السنة فأنقذها من الخطر الاسباني**[1]، و بعد انصراف عروج من شرشال، توجه إلى الجزائر مصحوبا بجماعته من الأتراك والجزائريين يرأسهم أحمد بن القاضي.[2]

وصل عروج إلى مدينة الجزائر في أواسط سنة 922 هـ/ 1516م ، عن طريق البحر في غليوطتين تحملان مائة تركي تقريبا، وهي أول شحنة تركية تدخل مدينة الجزائر، ثم أردفه أخوه خيرالدين بنحو280 تركيا و ومعدات حربية حديثة وسفن أخرى تحت قيادة أخيهما إسحاق، لمحاصرة حصن الصخرة، وقيل أن عروج جاء عن طريق البر مصحوبا بثمانمائة تركيا وألف مواطن من أهالي مدينة جيجل، بعد أن أرسل 16 غليوطة عليها خمسمائة تركيا إلى مدينة الجزائر، و بدأ عروج برفع الحصون وحفر الخنادق وتركيب المدافع، ثم أخذ يقنبل حصن الصخرة في922 هـ/1516 م، وشدد الحصار على الحصن وقطع عنه المياه إلى أن اضطر قائد الحصن آنذاك **Mossen –Nicolos-Quint** إلى الذهاب إلى جزيرة ماجوركة وقطع مسافة تزيد عن 200 كلم لتزويد حاميته بالماء والمؤن، لكن هذه المؤن كانت قليلة لذلك انتشر الجوع والعطش بحوالي المائتين من الأسبان الذين كانوا من حراس حصن

* يذكر نورالدين عبد القادر وجود كتابة في برج الترك بشرشال الذي هدم في وقت الاستعمار سنة 1860م، و الحاصل أنه في سنة 922 هـــ/1516م، قبل مسير عروج لإنقاذ الجزائريين من الإسبان، و كان استدعاء سالم التومي شيخ المدينة فأنّه نزل بشرشال و كانت في حكم قارا حسن أحد خلفائه، فقتله و جعل حامية في تلك البلدة. نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص، ص،44-50

[1]- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص، 44.

** يرى نورالدين عبد القادران أحمد بن القاضي كان في أول الأمر واليا على مدينة (بونة(عنابة من قبل السلطان الحفصي بتونس، ومقاطعة قسنطينة كانت في ذلك العصر للحفصيين. ولما استولى الإسبان على بجاية سنة 915هـ/1509م، فإن السلطان الحفصي أمر ابن القاضي بالالتحاق بعروج، وإعانته بكل ما يستطيع لطرد هؤلاء، فمكنت هذه الفرصة ابن القاضي من العودة إلى أرض الأجداد، فجعل مقره في قرية صغيرة تسمى "أورير" بفتح الهمزة وضم الواو وكسر الراء الأول في قبيلة آيت يحيى،و هذه القرية في مرتفع من الارض يطل على وادي سباو- ومن المحتمل ان ابن قاضي اختار تلك القرية لموقعها الجغرافي و خلفها جبل الاكفادو – و الوصول اليها وعر و متعب ، فأطاعه بنو جياد و المداشر الأخرى القريبة منهم، وكانت سيطرته ممتدة من جيجل إلى الجزائر، و ساعدته شهرة اسرته القديمة اذ هو من نسل القاضي الشهير ابي العباس احمد الغبريني، هي نسبة الى ايت غبرين " بضم الغين المعجمة و سكون الباء و كسر الراء، ثم أن أحمد بن القاضي انتقل إلى موضع بالقرب من مستقره الأول، وشمل نفوذ ابن القاضي ما بين نهر سباو ووادي الساحل من جهة، ونهر سباو- والبحر من جهة أخرى، وكانت مراسي دلس و أزفون و بجاية و جيجل، مراكز تجارية لهذه الدويلة التي كان يسمى رئيسها عند الفرنسيين بملك كوك. نور الدين عبد القادر، نفسه، ص، ص،45-46.

[2]- نور الدين عبد القادر، نفسه، ص،ص،45-46.

الصخرة، وكاد عروج أن يقضي عليهم لولا الفتن والدسائس التي حبكها سالم تومي وأتباعه.[1]

حاول عروج أن يقضي على الحصن لكنه لم ينجح، وعمل المغرضون الدسائس ضده مع إعانة مشيخة البلد، فقتل عروج سالم التومي، وقيل أنه خنقه و هو في حمام داره و قيل انه كلف باغتياله غيره، ثم أنه نصب نفسه حاكما على الجزائر، وأعلن جنده بتوليته في البلد ولم يلق من جانب الأهالي معارضة تذكر.[2]

و الملاحظ انه قد وقع خلاف في تاريخ تولي عروج حكم الجزائر، والذي يظهر أنه كان سنة 916هـ/1511م، وهذا ما ذكره عبد الرزاق ابن حمادوش* الجزائري في جدول رؤساء الجزائر المنسوب إليه، وقيل سنة 1007هـ/1695م.[3]

أما يحي بن سالم التومي فقد مضى إلى وهران بعد مقتل أبيه، يستنجد بالإسبان وبين لهم خطر استقرار الأتراك بمدينة الجزائر، ويستعديهم عليهم بكل سرعة حتى يعيدون إليه مشيخة أبيه على مدينة الجزائر، ولم يكن الإسبان في حاجة لمثل هذه الاستشارة، فقد أدركوا للوهلة الأولى أن استقرار عروج بمدينة الجزائر وبيعة أهلها له سيهدد كل مخططاتهم، وسيقضي على المخططات الصليبية في التوسع عبر أقاليم المغرب الإسلامي، وبالإضافة إلى ذلك، فإن تعاظم قوة عروج وأخيه خير الدين ستدمر تلك العلاقات التي جهدت إسبانيا في إقامتها مع الفئات المتعاونة معها، وهو أخطر ما كان يهددها، فقررت تنسيق الجهد مع عملائها للقيام بهجوم مباغت على الجزائر، تشترك فيه فيالق عسكرية جديدة.[4]

---

[1]-نور الدين عبد القادر، المرجع السابق،ص،ص،42-49. انظر ايضا Mercier Ernest, Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berberie),depuis les Temps les plus recules jusqu'à la conquête Française, Tom Troisième, ,Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1891,p,p,16-19

[2]- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص، ص، 48-49.

* كان طبيبا و اشتهر بعلم النبات و الطب و الصيدلة.

[3]- نور الدين عبد القادر، نفسه، ص،49.

[4]- بسام العسيلي، المرجع السابق،،ص،ص،95-96.

لم يكد عروج ينهي تنظيم أمور البلاد تنظيما أوليا حتى وفد عليه أهل تلمسان يستنجدون به لإنقاذهم مما نزل بهم على أيدي سلطانهم الزياني أبو حمو الثالث، الذي زاد تعسفه باعتماده على الإسبانيين الذين أعادوا تنصيبه على عرش تلمسان، وأعانوه على الحاكم أبي زيان الذي تم إيداعه السجن بعد انتصار أبي حمو، وتبع ذلك صراعات مريرة و اغتيالات كثيرة تسببت في حالة فوضى واضطراب كبيرين.[1]

نظم عروج قوته وانطلق بها من قلعة المشور، حيث اتجه نحو الغرب عبر ممرات ضيقة تؤدي إلى الساحل، وعندما وصل إلى جبال بني سناسن أحاطت به قوة إسبانية تضم خمسين فارسا بقيادة غارسيا لابلازا، ودارت مذبحة ضارية في ظروف غير متكافئة و عندما تم القضاء على كل رجاله، وقف عروج وجها لوجه أمام خصمه غارسيا واستمر العراك بينهما حتى سقط الاثنان بضربتين قاتلتين متبادلتين[2].

اجتمع مشايخ وزعماء الجزائر لمناقشة الموقف بعد استشهاد عروج، وقرروا أن يسندوا إلى خير الدين واجب إمارة الجهاد بعد أخيه، وألحوا عليه في ذلك لكنه اعتذر عن قبول الإمارة، وبعد إلحاحهم الشديد، قال أنه لا بد من التعاون مع الدولة العثمانية وحاكمها سليم خان الذي سوف يعتمدون عليه في حماية هذه المدينة، ولن يتم ذلك إلا ببيعته والدخول في طاعته والدعاء له في الخطب على المنابر وضرب السكة باسمه، فقبل المشايخ والزعماء ذلك ورضوا به، وهكذا قرر الجزائريون أن تكون بلادهم جزءا من الدولة العثمانية، ووافق خير الدين على البقاء مؤقتا حاكما لهذه الدولة حتى يتخذ السلطان العثماني قراره فيما عرضه عليه أهل الجزائر، ويمدهم بما طلبوه من دعم، عن طريق وفد رحل إلى القاهرة حيث كان السلطان سليم مقيما لتنظيم البلاد، وقابل الوفد الذي كان يرأسه الحاج حسين[3]. ونجحت البعثة في تحقيق أهدافها، فقد سارع السلطان

---

[1]- بسام العسيلي،نفسه، ص،101.
[2]- نفسه، ص، ص،106-105.
[3]- بسام العسيلي، المرجع السابق، ص،ص،107- 108.

سليم الأول إلى منح رتبة بكلربك* ، إلى خير الدين بربروس، وكان من مدلولات منح هذه الرتبة، أن بلاد الجزائر التي كان يحكمها خير الدين تصبح تحت السيادة العثمانية، وأن أي اعتداء عليها يعتبر اعتداء على الدولة العثمانية نفسها، ودعم السلطان سليم هذا القرار السياسي بقرارات تنفيذية تمثلت في إرسال جيش مجهز بسلاح المدفعية العثمانية.[1]

و شهد حكم السلطان سليم الأول بداية لتوسع الدولة العثمانية إلى أحد أقاليم بلاد المغرب، وهو بلاد الجزائر وذلك من أجل الحفاظ على الإسلام والعروبة هناك، و بعد وفاته عام927هـ/1520م، ترك لابنه السلطان سليمان مهمة توطيد السيادة العثمانية على إقليم الجزائر ومد هذه السيادة إلى إقليمين مجاورين هما طرابلس وتونس.[2]هكذا أقام كل من عروج وخير الدين قواعد الحكم العثماني بالجزائر، وبعد استدعائه من طرف السلطان العثماني سنة 940 هـ/1533م، ترك خير الدين حسن آغا كخليفة له. [3]

نظام الحكم و الادارة العثمانية في الجزائر:

ارتبط اسم الجزائر بالدولة العثمانية منذ سنة 925هـ/ 1518م، وهي السنة التي أصبحت فيها الجزائر أول ايالة عثمانية في شمال إفريقيا بعدما ألحقت رسميا باستانبول وتم بموجب ذلك تعيين خير الدين بربروس كأول حاكم عثماني للجزائر وأخذ لقب البيلرباي وتواصل نظام البيلربايات إلى أن استبدلته الدولة العثمانية بنظام آخر وهو نظام الباشاوات سنة 997 هـ/1588 م، وقد حكم الباشاوات الجزائر إلى غاية سنة 1070هـ/ 1659 م، قبل أن يخلفهم الأغوات لمدة قصيرة امتدت إلى سنة 1082هـ/1671م، ذا التاريخ الذي سوف يبقى شاهدا على ميلاد علاقات جديدة بين الجزائر والدولة العثمانية يتحكم فيها عامل الديانة والقداسة الروحية، نظام الدايات الذي

* رتبة تعطي صاحبها صلاحية في اختصاصات إدارية واسعة ومتشعبة، كما تجعله قائدا أعلى للقوات المسلحة في الإقليم ممثلا للسلطان.

[1]- عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص،911.

[2]- عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع نفسه.

[3]- Kaddache Mahfoud, L'Algérie durant la période ottomane, O.P.U, 2002, p.12, 13.

تواصل إلى حين نهاية الوجود العثماني في الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي سنة 1246هـ/1830م، انضمت الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية سنة925هـ/1519م في فترة حكم السلطان سليم الأول (518 هـ-527هـ/1512م-1520م، فبويع خير الدين بربروس خليفة لأخيه عروج بعد مقتله في تلمسان، واتخذ مدينة الجزائر عاصمة للدولة الجزائرية ،و لقب خيرالدين بايلربايا.[1]*

نظام حكم البايلربايات 925هـ-996 هـ/1519م-1587م:

بدأت مرحلة حكم البيلربايات باعتلاء بابا عروج حكم الجزائر سنة 1518 م، وبعد استشهاده خلفه أخوه خير الدين بربروس، الذي تم في عهده ربط الجزائر رسميا بالدولة العثمانية وتعيينه بيلرباي عليها سنة 925 هـ/ 1519 م[2]، وقد خضعت الجزائر لسلطته التي امتدت من منطقة الجزائر حتى الحدود المصرية حيث ضمت ولاية تونس[3]، التي كانت تخضع لحكم الحفصين. و لكن خير الدين بربروس استطاع أن يخضعها سنة 941 هـ/1534 م ،وأعلن نهاية الحكم الحفصي عليها بعدما فر منها السلطان الحفصي مولاي الحسن*، و ضمت له المدن الساحلية[4]، وكان ذلك بسبب رغبة خير الدين في توحيد بلاد المغرب تحت حكم الدولة العثمانية[5]، استطاع من خلالها أن يعزز مكانته ويزيد من ثقة أهالي الجزائر الذين ناصروه ووقفوا معه، وظهر ذلك جليا في مساندتهم له في التصدي للحملة الاسبانية على مدينة الجزائر سنة

---

*لقب بايلرباي يعني أمير الأمراء و هو اللقب الذي حمله الحكام الأساسين من بعده في الجزائر في الفترة الممتدة من925 هـ-997 هـ/1519م-1588م و التي عرفت بعهد البايلربايات. و كان هؤلاء يعينون لفترة غير محددة من الزمن وغالبا ما كانوا يستدعون لاستلام منصب أعلى و هو منصب قبودان باشا و هو لقب عثماني يعني أميرال الأسطول العثماني . انظر Gaid Mouloud , L'Algérie sous les Turcs, Edit. Mimouni, Alger, 1974, p. 34

[1]- Gaid Mouloud , Ibid, p. 34 .

[2]- أحمد السليماني، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، الجزائر، دار الكتاب، ط1،1993 ، ص10 .

[3]- أحمد السليماني، نفسه،ص،11.

* هو أبو عبد الله الحسن وهو الابن الأصغر للسلطان الحفصي أبي عبد الله محمد المتوكل، ويلقب بمولاي الحسن تولى الحكم في تونس فيما بين عامي 1526 و . 1543 طرد خلالها عام1531 من قبل خير الدين بربروس فاستنجد بكارلوس الخامس الملك الإسباني الذي أرسل أسطولا دحر به الأتراك العثمانيين واستولى على تونس عام 1935 وفرض عليها الحماية الإسبانية، وأعيد مولاي الحسن إلى سدة حكمه، مولاي الحسن في الحكم إلى أن عزله ابنه الأكبر أبو العباس أحمد عام1543 ومات خلال حصار المهدية عام 957هـ/1550م.

[4]- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تعريب حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988 ، ص،16 .

[5]- علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و اسباب السقوط، ج1،مكتبة حسن العصرية، بيروت، لبنان،2010،ص86 .

956 هـ/ 1549م والتي قادها هيغو دي مونكادا**Hugo De Moncada** ،والتي انتهت بهزيمة كارثية للإسبان حيث تحطمت لهم 26 سفينة بالإضافة إلى تكبدهم خسائر بشرية بالآلاف.[1]

أدّت انتصارات خير الدين بربروسا الواحدة تلو الأخرى مع زيادة شهرته الكبيرة بين الأهالي التي عرفت ازدياد كبير، ضد أعلى القوى والحملات العسكرية المسيحية، و الذي نتج عنها نجاح كبير لم يسبقه احد من الحكام من قبل؛ إلى تأجيج غيرة الحكام والزعماء داخليا و خارجيا؛ هؤلاء الذين كانوا يراقبونه و يحيكون له مؤامرات و دسائس ويكيدون له كيدا عظيما، ويهددون عرشه خاصة المقربين منه ممن يحيطون له من اتباعه و يشير ابن أبي الضياف عن خيرالدين في هذا الصدد قائلا« :**و توجه للجزائر فاستولى عليها و اطمأنت بها قدميه، مع أخيه عروج، وضعف تأميلها في محمد بن الحسن الحفصي حيث منعهما البارود وقت الاضطرار، فاضطر الى العزم على السفر لدار السلطة العثمانية، فجمع العلماء و أعيان البلاد و فاوضهم في ذلك، فمنعوه و تعرضوا له أن لا يخرج من بينهم حتى تضع الحرب أوزارها، قال له العلماء:" يجب عليك المُقام بهذه البلدة الاسلامية لحمايتها،و لا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس"، فأجابهم بأنه بقي منفردا بال معين من اخوته،"و قد رأيتم ما فعله بنا صاحب تلمسان من بني زيان ، و استعانه علينا بغير أهل ملّتنا حتى كفانا الله أمره، و صاحب تونس الحفصي لا رأي له في نصرنا و اعانتنا ، و أسلمنا للعدو بمنع البارود، لولا لطف الله، فالرأي أن نصل أيدينا بالقوة الاسلامية – و هو السلطان سليم خان– و نعتمد عليه في حماية هذه المدينة، و لا يكون ذلك الا ببيعته و الدخول في طاعته، بالدعاء له في الخطب على المنابر ، و ضرب السكة باسمه، لنتفيأ ظل حمايته"، فاستكانوا لذلك و رضوا به، فأعلنوا في الخطب على المنابر و كتبوا بذلك للحضرة السلطانية، و بعثوا له من**

[1]- مجهول، غزوات، المصدر السابق، ص، ص، 36 - 37.

السكة المضروبة باسمه في الجزائر، و حمل خير الدين له هدية فاخرة. و ما علم بذلك محمد بن الحسن داخلته الغيرة الملكية، و اشتد حذره من خير الدين ، و تحقق اذا وصل يده بالدولة العثمانية، سُهِّل عليه الاستلاء على المملكة التونسية، و ندم على اضاعة الحزم، فركب متن الفساد و الفتنة بين نواب خير الدين و كاتب صاحب تلمسان يحذره غائلة خير الدين، و جرت بسبب ذلك حروب يطول شرحها ، و طالت مدة مغيب خير الدين، أنَّ السلطان العثماني استعان به في بعض حروبه نحو ثلاث سنين".[1]

لقد كان من ضمن هؤلاء حاكم تلمسان في الجزائر، الذي تحالف مع حاكم تونس الحفصي ضد خير الدين و ذلك من اجل استقطاب عاملي خير الدين وهما أبو العباس أحمد بن القاضي ومحمد بن علي[2]، واستطاعوا أن يشعلوا الفتنة في مدينة الجزائر أدت بخير الدين إلى مغادرتها باتجاه مدينة جيجل حيث استقر بها خمس سنوات 927 هـ- 932 هـ/1520م-1525م، استغلها في إعادة بناء أسطوله ومهاجمة السواحل الأوروبية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وقد تمكن من فتح القل*، سنة 928 هـ/1521م، ومدينة عنابة سنة 928 هـ/1521 م و قسنطينة سنة 929 هـ/ 1522م.[3]

بعد هذه الأعمال الكبيرة التي قام بها خير الدين بربروس عزم على العودة إلى مدينة الجزائر، فاستغل حالة الفوضى والاضطراب التي تعيشها المدينة بسبب نقمة لأهالي على ابن القاضي، فاتجه بقواته إلى منطقة متيجة**، حيث خاض معارك طاحنة ضد ابن القاضي، وتمكن من الانتصار عليه ودخل مدينة الجزائر سنة

---

[1]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق،ص،11.

[2]- مؤلف مجهول، غزوات، المصدر السابق، ص44 .

* مدينة القل وهي مدينة جزائرية ساحلية، تطل على البحر الأبيض المتوسط. انظر سفيان صغيري ، المرجع السابق،ص،27.

[3]- سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر، مذكرة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر، شعبة التاريخ، قسم العلوم الانسانية، قسم العلوم الانسانية و الاجتماعية و الاسلامية ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2011 -2012، ص،27.

** متيجة هي التسمية التي تطلق على مجموعة سهول في المنطقة الوسطي من شمال الجزائر جنوبي العاصمة. انظر سفيان صغيري ، المرجع السابق، ص،27.

932هـ/1525م، وسط ابتهاج وفرحة الأهالي الذين استقبلوه استقبال الأبطال واستكمل حملاته إلى تلمسان، حيث استرجعها بعد انتصاره على حاكمها مولاي عبد الله[1]، وبهذا استطاع أن يؤمن الجبهة الداخلية و لم يتبقَ له سوى مدينة بجاية وقلعة البنيون التي تسيطر عليها اسبانيا، فكانت خطوته التالية هي تحرير بجاية والاستيلاء على قلعة البنيون التي تمثل اهانة كبيرة للجزائريين[2]، وفعلا استطاع خير الدين أن يستولي عليها ويطرد الاسبان منها وكان ذلك سنة 936 هـ/1529 م، وقام بتحويلها الى ميناء بحري لحماية السفن الجزائرية الراسية على السواحل الجزائرية من العواصف و الرياح الشمالية الغربية.[3]

لقد نجح خير الدين بربروس بفضل كفاءته في القيادة و خبرته وبمساعدة السلطان العثماني ودعم أهالي مدينة الجزائر في تأسيس رابطة قوية بين الجزائر واسطنبول، الجزائر التي كان لها دور فعال في تثبيت الوجود العثماني ليس في سواحل شمال إفريقيا من تونس إلى المغرب فقط بل في البحر الأبيض المتوسط[4]، باعتبارها القاعدة التي انطلق منها خير الدين بربروس، في توجيه ضربات موجعة للإسبان في البحر الأبيض المتوسط، وصولا إلى معاقلهم في شبه الجزيرة الأيبيرية. وساهم خير الدين في شكل كبير في إجلاء العديد من المسلمين الفارين من الأندلس[5]، لكنه لم يسلم من التهديدات والأخطار التي كانت تحيط بالجزائر من كل جهة انطلاقا من الحفصيين في تونس و الزيانيين في تلمسان[6]، وأخيرا السعديين في المغرب الأقصى رغم تمكنه من إخضاع هذه الأخير حيث تمكن العثمانيون زعامة خير الدين بربروس من ضم مدينة

1- Gaid Mouloud , Op,Cit, p, 50-51.

2- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص، ص، 119- 142.

2- أحمد بن خالد السلاوي الناصري، كتاب الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، المغرب طبعة الدار البيضاء، 1954 م ص، 213.

3- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص، ص، 214-220.

4- بسام العسلي، المرجع السابق، ص29 .

5- عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس في مطلع العصر الحديث، ط 1 ، مكتبة الطالب الجامعي، مصر ، 1988، ص 311.

6- محمد بن عبد الجليل التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق محمد بوعباد ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1985 م، ص45 .

فاس*، والاستيلاء على ممتلكاتها بين سنوات 962هـ- 984هـ/ 1554 م -1576م قبل أن تنفصل عنهم[1]، بعد كل هذه الأعمال الخالدة والبطولية التي قام بها خير الدين في ربط الجزائر بالخلافة العثمانية وتدعيم الوجود العثماني في شمال إفريقيا تم استدعاؤه إلى الأستانة حيث قرر السلطان العثماني سليمان القانوني** 901 هـ/1495 م منحه لقب قبوطان باشا أي وزيرا للبحرية وذلك لكي تبقى علاقته بالجزائر قوية و تكون سلطته كبيرة ومتواصلة في دعم النظام في الجزائر ليتحقق له هدف الدولة في استعادة الأندلس[2]، وقد تمً تعيين حسن أغا الطوشي سنة 940 هـ/1533 م وقد كان الطوشي رجلا عاقلا وصالحا وعالم فذ وقائد باسل محنك وشجاع.[3]

استمر خلفاء خير الدين من البايلوبايات الذين حكموا بعده بداية بأولهم وهو حسن أغا الطوشي منذ سنة 940هـ/1533م حتى آخر بيلوباي و العلج علي* سنة 996 هـ/1587 م، في توطيد السلطة العثمانية في الجزائر بل ذهبوا أكثر من ذلك حيث استطاعوا أن يحققوا الوحدة الإقليمية والسياسية للدولة الجزائرية، والتي امتد نفوذها وسيطرتها إلى مختلف الجهات الشرقية والغربية وصولا إلى الواحات في الصحراء الكبرى الجزائرية، حيث يعتبر صالح رايس[4]** (960هـ- 964هـ/ 1552م- 1556م) من أهم البيلوبايات العثمانيين الذين كان لهم دور كبير في تحقيق هذه الوحدة[5]، حيث وصلت فتوحاته و توسعاته التخوم الجزائرية

---

* مدينة مغربية عريقة تقع في شمال المغرب الأقصى على سواحل البحر الأبيض المتوسط.

[1]- أحمد السلاوي الناصري، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، المغرب، ج3 ، مكتبة الدار .البيضاء، 1954 م، ص295 .

** سليمان القانوني 1495 م- 1566م، أحد أشهر السلاطين العثمانيين، وحكم لفترة 46 عاماً منذ عام 1520 م، وبذلك يكون صاحب أطول فترة حكم بين السلاطين العثمانيين .زادت مساحة الدولة العثمانية بأكثر من الضعف خلال فترة حكمه.

[2]- عزيز سامح التر، الأتراك في إفريقيا الشمالية ،ترجمة محمود علي عامر، بيروت، دار النهضة .العربية، 1989 م، ط1 ، ص،، 73.

[3]- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص، ص،86 -87.

* علج علي1568- 1587، أسر في سواحل - كالا بريا- وعمره 18 سنة، فاعتنق الإسلام ثم أخذ يرتقي في مناصب الدولة إلى أن وصل إلى القمة وصار باي البايات سنة 1568م.

**صالح رايس أحد الافذاذ الذين صحبوا عروج و خير الدين، و جاهدوا في كل الميادين، عربي الاصل ومن الإسكندرية تعرف إلى الأتراك حين قدومهم إلى مصر وقد رافق البحار خير الدين في رحلاته البحرية، وقد امتاز بقيادته الحكيمة في البحر و بمواقفه البطولية في البر، و بدقة نظره و صواب رأيه فيما يتعلق بنظام الادارة و ترتيب شؤون الملك. من أهم أعماله ساهم في انقاد بقايا المسلمين في الأندلس وقد تولى منصب حاكم الجزائر في عام 1552م فأتم فتح بجاية سنة 1555 م، وقضى على التمردات في المغرب الأقصى وفتح فاس عام 1554م، كما قضى على بقية الزيايين، حيث قام بتوسعات كبيرة وصلت إلى الصحراء الكبرى ق توفي عن عمر يناهز 70 عاما بسبب الطاعون الذي اجتاح مدينة الجزائر سنة 1556م. للمزيد انظر أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص، ص، 337- 339.

[4]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص،ص، 337- 339.

[5]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية،1992 ، .ص، 266 .

هذه قد وصلت الى حيث هي الآن بصفة تقريبية فيما يلي؛ الشرق و كانت تلك التخوم قد تركزت حوالي نهر الملوية من جهة الغرب حيث هي الآن تقريبيا، فكانت سياسته أي سياسة صالح رايس تهدف الى تحقيق أمرين داخليا، وهي تحقيق الوحدة بصفة تامة مطلقة بين كل اجزاء هذه الدولة الجزائرية، ثم إدخال بقية أجزاء الصحراء الجزائرية فيما يلي الزيبان ضمن هذه الوحدة. أما سياسته الخارجية الحربية فقد كانت ترمي إلى ثلاثة أهداف أولهما إبعاد الإسبان نهائيا عن أرض الجزائر، و وضع حد فاصل للمشاغبات و المفاجآت التي تأتي من قبل الدولة المغربية السعدية، و في الأخير إعلان نفير الجهاد العام و السير برا و بحرا على رأس الجيوش الاسلامية الى بلاد الاندلس[1]، كما قام البايلرباي حسن باش بن خير الدين 951هـ-959هـ/1544م-1551م، بتقسيم البلاد إلى أربعة بايلكات عمالات وذلك لتوطيد السلطة التركية في الجزائر وجعل لكل بايلك حاكم و لقبه الباي وعاصمة خاصة به[2]، وهذه البايلكات تتمثل في ما يلي: **(الخريطة(02))**

- بايلك الجزائر العاصمة أو دار السلطان ومركزه الجزائر العاصمة. **(الخريطتين (02)،(.3))**
- بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة. **(الخريطتين(02)،(06))**
- بايلك التيطري وعاصمته مدينة المدية. **(الخريطتين(02)،(04))**
- .بايلك الغرب وعاصمته مدينة مازونة ثم معسكر وأخيرا وهران. [3]**(الخريطتين (02)،(05))**

يعتبر عهد البايلربايات 926هـ-996هـ/1519م- 1587م، مظهرا فعليا يعبر على الوجود العثماني في الجزائر ومدى قوة العلاقات العثمانية الجزائرية حيث فرض العثمانيون سلطتهم الفعلية في الجزائر وقاموا بتوحيد البلاد الجزائرية، التي كانت

---

[1]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص،337.
[2]- محمود عامر، المرجع السابق، ص264 .
[3]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية،1992 ،.ص،267 .

تتقاسمها الممالك والإمارات الحفصية والزيانية، وتسيطر على سواحلها القوة الاسبانية المسيحية، وقد تم ربط الجزائر باسطنبول، الجزائر التي أصبحت حاضرة شمال إفريقيا كلها[1]، كما امتاز هذا العهد بوجود نظام حكم وهيكل سياسي إداري يتركب من أعلي سلطة في البلاد وهو البايلرباي والباشوات ويتدرج إلى مختلف الإداريين من القياد والبايات الذين يشرفون على مختلف الدواوين والوحدات القبلية، إضافة إلى عدد من المساعدين والأعوان يسهرون على تطبيق القانون والحفاظ على سير النظام ومنهم مثلا الأموال من الرياس وآغا من الانكشارية وآغا من الجنود و كذلك الكتبة والمترجمين.[2]

كان من أشهر البيلربايات؛ خير الدين بربروسا وصالح رايس والعلج علي ذو صلات قوية مع الباب العالي، بحيث تربطهم به علاقات متينة وهو ما جعلهم يطبقون أوامره، مما ساعدهم في البقاء في الحكم لأطول مدة ممكنة، وازداد أيضا نفوذهم ليصل إلى تونس وطرابلس[3]،و لكن هذه السلطة والنفوذ لم يستمر طويلا بسبب حدوث اضطرابات داخل السلطة في الجزائر خاصة في عهد العلج علي 976هـ- 996هـ/1568-1587م[4]، الذي اضطر للتنحي للسلطة بعد استدعائه من طرف الأستانة، لتولي مهام أخرى، وقام السلطان العثماني بتعيين حسن الفيتريانو البندقي* خلفا له على رأس الحكم في الجزائر.[5] وقد أثارت سياسة الفيتريانو، في تسيير شؤون الجزائر سخط أهالي الجزائر وحتى رياس البحر الذين طالبوا السلطان العثماني بتنحيته من السلطة، وقد استجاب السلطان لذلك وقام بعزل سن البندقي عن حكم الجزائر وقام بتعيينه قبطان باشا سنة 995هـ / 1586م وقام كذلك بإلغاء لقب البايلرباي نهائيا عن حكام الجزائر

---

[1]- سامح عزيز التر، المرجع السابق، ص، ص ، 253 - 255.
[2]- جون – ب - وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتحقيق، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1981، ص، 118.
[3]- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2002 ص،80 .
[4]- شارل اندري جوليان ،المرجع السابق، ص،296 .
*حسان الفينزيانو (985هـ- 988هـ/1577 م- 1580م)، من مدينة البندقية أو فينزيا فلقب بذلك.
[5]- Diego De Haedo, Op,Cit,p,p,7-8.

بعد وفاة العلج علي سنة996هـ /1587م لعدة أسباب منها تعدد مراكز القرار بالنسبة لطريقة إدارة و إشراف الدولة العثمانية لشؤون السلطة والحكم في إيالة الجزائر المغرب، وبنهاية عهد البايلربايات قلّت نوعا ما حركة التوسعات البحرية وخضعت الجزائر بعدها لسلطة السلطان العثماني مباشرة خاصة مع تغيير نظام الحكم حيث تحول لقب حاكم الجزائر إلى الباشا.[1]

نظام الباشوات 997هـ-1070هـ/1588م- 1659م:

غيرت الدولة العثمانية نظام الحكم في الجزائر من البايلربايات الى نظام الباشوات حيت أصبح يطلق على حاكم الجزائر العثماني لقب الباشا والذي يتم تعيينه من الباب العالي مباشرة، وقد حددت فترة حكم الباشا الى ثلاث سنوات فقط، وذلك خوفا من أن تطول مدة [2]حكمه فيسيطر على شؤون البلاد[3]، ولقد تم اللجوء إلى هذا النظام الجديد بسبب الصراع الدائم بين طائفة رياس البحر وطائفة الانكشارية[4]، ولكن يبدوا أن هذا النظام الجديد لم يكون ليوطد العلاقات الجزائرية العثمانية، حيث أدى إلى نتائج سلبية ، خاصة وأن الباشوات قد ساهموا في ذلك بشكل كبير من خلال سياستهم في الحكم، والتي أدت إلى إضعاف سلطة الدولة العثمانية في الجزائر، بسبب أن الباشوات قد انشغلوا في جمع الثروات والأموال وتقديم الرشوة لإطالة مدة حكمهم القصيرة، على حساب مهامهم في تدعيم السلطة العثمانية في الجزائر وتطبيق أوامر السلطان العثماني داخل الايالة.[5]

لقد قلّص هذا نظام حكم الباشوات في الجزائر سلطة رياس البحر من جهة، حيث أصبح دورهم ثانوي في الحكم داخل الايالة، وزاد من جهة أخرى في سلطة

---

[1]- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،ط2،الجزائر،2007، ص،100 .

[2]- سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر، مذكرة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر، شعبة التاريخ، قسم العلوم الانسانية، قسم العلوم الانسانية و الاجتماعية و الاسلامية ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ،ص،32.

[3]- أحمد السليماني، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، الجزائر، دار الكتاب، ط،1، 1993،ص12 .

[4]- و ليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الجزائر، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، 1980 ، ص63 .

[5]- جون – ب - وولف، المصدر السابق ، ص، ص ، 92-93.

الانكشارية[1]، و هذا ما أدى إلى شعور الباب العالي بالقلق وخشيته من انفصال ايالة الجزائر عن مركز الخلافة العثمانية في استانبول، ودعمً هذا الشعور كثرة الاضطرابات وانتشار الفوضى واندلاع ثورات وسخط ضد الباشوات، من طرف الأهالي والعلماء الذي تضرروا من سياسة الباشوات في الحكم، وطغيان طائفة الانكشارية، وكذلك الضباط العسكريين الأوجاق*، الذين كان لهم نفوذ كبير في السلطة السياسية للباشوات في الجزائر بعدما قاموا بإنهاك السكان بالضرائب، وأبرز هذه الثورات ثورة الكراغلة سنة 1043هـ/ 1633م[2]، وقد تراجعت أيضا العمليات العسكرية والجهاد البحري ضد النصارى.[3]

لقد تعاقب على حكم الجزائر من الباشوات ثلاثة وأربعون باشا خلال واحد وسبعون سنة 997هـ-1070هـ/1588 م- 1659 م، وهو ما يبين لنا حالة عدم الاستقرار التي ميزت حكمهم في الجزائر[4]، وقد كانوا جميعا أجانب من أصول أناضولية ويونانية وهو ما أدى إلى عجزهم في كثير من الأحيان في فرض سلطتهم على البلاد وعدم قدرتهم على قيادة أهلها على أحسن وجه مثلما كان رياس البحر الذين حكموا قبلهم، ويعتبر رابط الديانة الإسلامية هو العامل المشترك بينهم وبين أهالي الجزائر [5]، هذا الرابط وبالرغم من أهميته إلا انه لم يمنع من اتساع الهوة بين المجتمع الجزائري والسلطة العثمانية الحاكمة بسبب انعدام عنصر الثقة [6]، كل هذه العوامل أدت في الأخير إلى سقوط نظام الباشوات، ففي سنة 1070هـ/1659م ، حدث تمرد خطير ضد إبراهيم باشا قاده رجال الانكشارية الذين ألقوا عليه القبض، ووضعوه في السجن بسبب تأخر الجراية، وأعلن حينها البوكباشي خليل نهاية نظام

---

[1]- صالح عباد، المرجع السابق، ص،107 .

* الأوجاق هم من كبار الضباط العسكريين الأتراك من فرقة الطبشيا، التي تعمل في الجيش الجزائري وقد كان لهم دور كبير في الديوان والسلطة السياسية خلال العهد العثماني.

[2]- محمود عامر، المرجع السابق، ص.66 .

[3]- محمود عامر، نفسه، ص67 .

[4]- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص، 64 .

[5]- أحمد السليماني، المرجع السابق، ص،13 .

[6]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، ج3 ، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964 م، ص،171 .

الباشوات، وقام بتعيين أغا الانكشارية لإدارة شؤون البلاد[1]، فاستولت بعد ذلك الانكشارية على السلطة في ايالة الجزائر، وأصبح البوكباشي خليل أول أغا في عهد جديد ونظام أخر هو نظام حكم الأغوات.[2]

- نظام الأغوات 1070هـ– 1082هـ/ 1659 م– 1671م:

دخلت العلاقات الجزائرية العثمانية مرحلة جديدة، هي مرحلة الأغوات، فبعد أن اعتلى البوكباشي خليل رأس السلطة في الجزائر بعد تمرد الانكشارية وجد الأغوات أنفسهم في مواجهة الباب العالي [3]، حيث بعد سيطرة الانكشارية على الحكم في الجزائر بشكل كامل حدثت تطورات عديدة وخطيرة أثرت بشكل كبير على السلطة العثمانية في الايالة، وقد شملت هذه التطورات مدة حكم الأغا التي لم تعد تتجاوز السنتين على أن ينظر الديوان في شانه فيما بعد، بالإضافة إلى حصر نفوذه و تحديد مهامه[4]، فقد كان لقب الأغا مجرد لقب فخري وتشريف للحاكم وتفخيم سلطته لا أكثر، بينما كان الحاكم الحقيقي هو الديوان [5]، لذلك فقد كثرت الاغتيالات نتيجة التآمرات والدسائس التي كانت تحاك ضد الحكام، هذا الشيء الذي أثر بشكل كبير على استقرار أوضاع الحكم في الجزائر، وتسببت في ضعف القوة العسكرية الجزائرية نتيجة تعرضها لضربات أوروبية خارجية و ثورات داخلية[6]، هذه الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر أدت بالدولة العثمانية إلى منح استقلالية محدودة[7]، كل هذا ادخل البلاد في فوضى عارمة وحالة عدم استقرار داخل بيت الأغوات، فلم يستقر أغا واحد في الحكم أكثر من سنة، بل اشد من ذلك حيث أدت حالة التمرد من الأهالي وكذلك من الانكشارية إلى تغيير أكثر من خمسة أغوات خلال سنة 1082هـ/ 1671م وهو

---

[1]- صالح عباد، المرجع السابق، ص،127 .
[2]- جون – ب - وولف، المصدر السابق، ص ،138 .
[3]- صالح عباد، المرجع السابق، ص،127 .
[4]- أحمد السليماني، المرجع السابق، ص14 .
[5]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص،173 .
[6]- جون – ب - وولف، المصدر السابق، ص، 139 .
[7]- أحمد السليماني، المرجع السابق، ص15 .

ما أدى في الأخير إلى عودة رياس البحر إلى الواجهة وإمساكهم بزمام السلطة داخل الايالة[1] من جديد خوفا من ضياع امتيازاتهم وثرواتهم في البلاد [2]،فقاموا بإلغاء نظام الأغوات وتعيين واحد منهم كحاكم وأعطي وأعطى لقب الداي حيث كان أول داي يحكم من رياس البحر هو الحاج محمد.[3]

- نظام الدايات 1082هـ–1246هـ/1671م– 1830م:

تعد فترة الدايات أطول فترات الحكم العثماني بالجزائر، حيث تم توقّف عملية إرسال الولاة من الباب العالي بإسطنبول، فأصبح الحاكم يُعيَّن مباشرة من قبل الجيش الانكشاري، و هكذا استفاد حكام الجزائر من تجارب الحكم السابقة، وحاولوا إرضاء الملك العثماني وتقوية مراكز الحاكم "الداي" وتعيينه في منصبه مدى الحياة، وكان يتم اختيار الداي بالانتخاب من الديوان العالي " المجلس"، الذي صار بمثابة برلمان، وكان ينحصر دور السلطان بإرسال فرمان*، بتعيينه، وكان عصر الدايات عصر القوة العسكرية؛ حيث بنت الدولة جيشا قويا، وكانت لها مزانية مستقلة، وكان الداي يعقد المعاهدات باسم الجزائر ويبعث القناصل إلى الدول الكبرى.[4]

نشير إلى أنّ الجزائر في عهد الدايات عرفت استقرارا داخل الحدود المعروفة الان، كما تم تحرير بعض المدن تحريرا نهائيا نأخذ على سبيل المثال مدينة وهران من الاحتلال الاسباني خاصة في فترة الداي حسان بن بوحناك باشا سنة 1207هـ/

---

[1]- صالح عباد، المرجع السابق، ص132 .

[2]-جون – ب - وولف، المصدر السابق، ص140 .

[3]- عزيز سامح الترر، المرجع السابق، ص324 .

*فرمان: هي الوثيقة التي تعطي أمرا، لفظ فارسي معناه« أمر أو حكم أو دستور موقع من السلطان»والفرمان العثماني هو قانون بأمر من السلطان العثماني نفسه ومأمور بتوقيعه وهو نافذ من دون رجعة عنه (انظر الموقع: ،ar.wikepedia.org/wiki تاريخ الزيارة 2020/07/20.

[4]- عمارة بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ،دار الغرب الاسلامي،ط1، بيروت،1997، ص62 .

1792م ، الذي خلف المرحوم الداي محمد عثمان باشا* قائد الحملة الثانية، لتحرير وهران من يد الاسبان ابتداء من سنة 1190هـ/ 1780م حتى بداية، تنفيذ الصلح مع الاسبان في سنة 1206هـ/ أفريل1791م، كما عرفت هذه الفترة الحروب و الفتن و المؤامرات الداخلية، مما أدى الى ضعف نظام الحكم داخليا[1]، حيث أصبح يتم تعيين الحكام بطريقة عشوائية، مما عجل بهزيمة الاسطول البحري الجزائري في معركة نافارين سنة 1243هـ/1827م، على يد التحالف الفرنسي الانجليزي و سقوطها تحت نير الاستعمار الفرنسي في سنة 1246هـ/1830م،ومن أشهر دايات هذه الفترة ؛ الحاج مصطفى بوشلاغم باشا، عمر باشا، حسان بوحناك باشا، علي خوجا و حسن باشا او ما يعرف بالداي حسين.[2]

من خلال تطرّقنا لأهم المحطات التاريخية، التي تعلقت بقدوم الأتراك العثمانيين إلى السواحل الجزائر، ورأينا أن الأسباب الدينية الروحية، هي الدافع الأول لارتباط الجزائر بالدولة العثمانية، حيث أصبحت الجزائر أول ايالة عثمانية في شمال إفريقيا، هذه الدولة الفتية التي سوف يكون لها دور كبير في العلاقات الدولية في العصر الحديث خاصة مع الدولة العثمانية، بعد ارتباطها ارتباطا رسميا بالدولة العثمانية منذ سنة 926هـ/ 1519م، ثم وضعها لنظام إداري وسياسي خاص اعتمد عليه الأتراك في رسم الاستراتيجية التي اتبعوها في تعاملهم مع الباب العالي من جهة وتعاملهم مع السكان الجزائريين من جهة أخرى.[3]

حكم الدولة الجزائرية البايلربايات كما أشرنا في بداية الأمر، وهم رياس البحر العثمانيين، وتعاقب بعد ذلك على الحكم كل من الباشوات وأغوات الانكشارية كانت

* من اعظم دايات الجزائر لخصاله الحميدة و زهده وورعه، تولى الحكم في الثاني و العشرين من شعبان ، و قاد حملة تحرير وهران ، و توفي قبل ان يكمل مسيرته في 10 ذي القعدة 1205 هـ الموافق لـ 12 جويلية 1791م، له مأثر معمارية عديدة منها بناء البرج الجديد ، و اعادة بناء المسجد العتيق.

[1]- الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار – نقيب أشراف الجزائر- 1168- 1246هـ/ 1754- 1830هـ ، تحقيق و تقديم ، احمد توفيق المدني، الطبعة، 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1980، ص،63.

[2]- ميمن داود ، الثكنات الانكشارية بمدينة الجزائر، دراسة تاريخية و معمارية و فنية - الثكنات العليا و السفلى أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الاثار الاسلامية، جامعة الجزائر، معهد الاثار،2007-2008، ص،ص،22-23.

[3]- سفيان صغيري، المرجع السابق،ص،35.

خلالها العلاقات العثمانية الجزائرية مرتبطة فعلا بطبيعة نظام الحكم، أو من يحكم في الجزائر باسم السلطان العثماني، ومدى قيام هؤلاء الحكام بتنفيذ أوامر السلطان داخل الايالة الجزائرية، ولكن ومع فشل آخر نظام حكم في الجزائر وهو نظام الأغلوات الذين يمثلون رجال الانكشارية، ظهر على الساحة مجددا رياس البحر الذين قاموا بتغيير نظام الحكم، والذي عرف بنظام الدايات الذي أعطى الجزائر استقلالا ذاتيا إن لم نقل أن العلاقة بين الجزائر واستانبول أصحبت علاقة شكلية وتبعية ايالة الجزائر بالخلافة العثمانية تحولت إلى تبعية اسمية وروحية فقط.[1]

من هنا نشهد تبلور طبيعة جديدة في العلاقات العثمانية الجزائرية في هذا الظرف الجديد والذي كانت نهاية حكم الدايات بنهاية العلاقات الجزائرية العثمانية نقطاعها، وذلك بعد احتلال فرنسا للجزائر في سنة 1246هـ/1830م.[2]

- **نظام ادارة البياليك في الجزائر ابان العهد العثماني:**

كان النظام الاداري في إيالة الجزائر خاضعا لسلطان العسكر، ذلك أنً الظروف التي أنشئت فيها الجزائر سببتها الظروف الجيوسياسية التي عرفت منطقة الشمال الافريقي، بعد استيلاء الاسبان على الاندلس و محاولتهم السيطرة على بلاد المغرب آنذاك، واستغلالهم الظروف التي كانت تعيشها هذه المنطقة من صراعات داخلية و حروب متتالية[3]، وبقبول الوصاية العثمانية التي كانت تعتمد على قوة الجيش، أصبح لإيالة الجزائر المحروسة نظام عسكري قسمت فيها الى اربع مقاطعات رئيسية تتمثل في كل من دار السلطان، بايلك قسنطينة، بايلك الغرب و بايلك التيطري.[4] **(الخرائط (02)،(03)،(04)،(05)،(06))**

---

[1]- سفيان صغيري، المرجع نفسه.

[2]- سفيان صغيري، المرجع السابق،35.

[3]- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر،(1816- 1824م)، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل، العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر،1982، ص، 42، أنظر أيضا سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص، 138.

[4]- ميمن داود، المرجع السابق،ص،17.

ظهرت بوادر التَنظيم الإداري للبلاد الجزائرية إلى فترة متقدمة من الحكم التركي لها، فبعد أن تولى" عروج "الحكم سنة 922هـ/ 1516م، وبسط نفوذه على المناطق المجاورة لمدينة الجزائر، قسّم أملاكه إلى قسمين: القسم الغربي بقيادته ومقرّه مدينة الجزائر، والقسم الشرقي تحت حكم أخيه "خير الدين" ومقرّه مدينة دلّس[1]. و بعد وفاته سنة 924هـ/1518م، خلفه " خير الدين باشا" قام هو الآخر بتنظيم دولته، واستعان في تسيير شؤونها بعناصر محلية، فنصَب "أحمد بن القاضي" واليا على الناحية الشرقية من الجزائر، وجعل مركزها ببلاد القبائل الكبرى، وعيّن " محمد بن علي" واليا على الناحية الغربية.[2]

عرف هذا النظام إبان العهد العثماني، تطورا ملحوظا مع مرور السنين، باعتماده على الأنظمة العثمانية من جهة، والتقاليد المحلية المتوارثة من فترات الحكم الاسلامي السابقة ، فقد ساعد نظامهم الإداري البسيط و المرن في التكيف، حسب ما تفرضه الأحوال المستجدة من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية، وقد أدت هذه المرونة الى توحيد الجزائر ترابيا ، كما ساعدتهم أيضا في تدعيم الحكم التركي بالجزائر مدة ثلاث قرون.[3]

فإلى جانب الدائرة المركزية الموجودة بمدينة الجزائر كانت المقاطعات الاخرى مثل قسنطينة ووهران و المدية تسير شؤونها في إطار اللامركزية، و نلمس هذا التطور الاداري في السماح لبعض الكراغلة أن يرقوا في المناصب العالية في اواخر العهد التركي.[4]

---

[1]- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد الأخضر، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، ج1-ج2 ،1983.ص،42.

[2]- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر -1766م-1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1968،ص. 25 .

[3]- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ الى غاية 1962،الجزائر خاصة، ج،2،دار المعرفة،2006،ص،132.

[4]- عمار عمورة، المرجع نفسه.

هكذا و منذ تأسيس إيالة الجزائر سنة 924هـ/1518م،عمل خير الدين بربروس على بناء مؤسسات وأجهزة الايالة خاصة بعد تعيين حسن بن خيرالدين*بايلربايا على الجزائر على حد قول أبو القاسم سعد الله للعهدة الثالثة970هـ-975هـ/ 1562م-1567م،هذا الأخير الذي قام بتنظيم و تقسيم البلاد الى مجموعات (البايلكات) أو البياليك أو مقاطعات إدارية أربعة، وهذا من أجل التسيير الحسن للإيالة، وقد استمد هذا التقسيم من ما هو موجود في الامبراطورية العثمانية.[1]

إنً نظام البياليك لم يكن مجرد إجراءات تطبق على السكان، بل هو تركيبة إدارية وسياسية ترتبط بالمجتمع ، وتتفاعل معه بنظام محكم ودقيق .فكانت كل بايلكية تحكم بنفسها، ولها إدارتها، باعتبار أن الإدارة غير مركزية.[2]

من حيث المبدأ كان البايلك مقسما إلى عدد من الأوطان، التي يحكمها قائد تركي أو كرغلي، أو من أهل البلاد .وكل وطن يجمع عددا من القبائل التابعة لشيوخها، والذين يعينهم الباي بحضور الآغوات، كبار الموظفين، وذلك بحصولهم على الخاتم والبرنس الأحمر. و كان يحدث أحيانا أن يتكون الوطن الواحد من قبيلة كبرى علىرأسها شيخ ويحمل في الوقت نفسه لقب قائد. كما كان هناك قائد واحد للوطن، أو لعدد من الأوطان، وتسمية الوطن كانت ترجع إما إلى اسم القبيلة الكبرى، إماً إلى اسم الجبل أو الوادي المشهور في ذلك الوطن، إضافة إلى ذلك نجد الآغاليك التي يديرها القياد أو آغا ومجموعة آغاليك يحكمها باشا آغا أو خليفة.[3]

---

* حسن بن خير الدين، من ابرز الشخصيات البارزة في التاريخ العثماني باعتباره مغير مجرى تاريخ الجزائر و المؤسس الحقيقي للإيالة الجزائرية، ولد ببلدة مدلي اليونانية، من اب تركي مسلم و ام مسيحية ، لقبه الاسبان ببربروس بسبب لحيته الحمراء، انظر جون وولف ، الجزائر واوروبا ، 1500- 1830،تر،تح،ابو القاسم سعد الله(ط.خ)،عالم المعرفة، الجزائر،2011،ص،136.

[1]- جون – ب - وولف، المرجع نفسه .

[2]- جون – ب - وولف، المرجع السابق،ص،144.

[3]- توفيق دحموني، الضرائب في الجزائر(1206هـ-1282هـ/1792م-1865م)،دراسة مقارنة،، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة بن يوسف بن خدة (الجزائر)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ و الاثار، 2007-2008، ص، 144.

يضيف **توفيق دحموني** إلى أنً كل بايلك كان مقسما إلى قيادات؛ فكان بايلك الغرب مثلا يقسم إلى ثلاث قيادات كبرى؛ **قيادة الشرق** وتشمل واد الشلف والمرتفعات المجاورة، من مازونة حتى حدود دار السلطان أي إلى بوحلوان، حوالي خمسة عشر كيلومتر شرقي مليانة، وكانت مسيرة من قبل خليفة الباي الذي يسكن مليانة، وكان يوجد ضمنها قيادة جندل التي كان يتبع لها بعض القبائل.[1]

نجد أنه، فيما كانت قبيلتي أولاد أحمد بن سعد، وأولاد عزيز بالسرسو خاضعتين لآغا الجزائر، كانت قبيلتي أولاد هلال، وأولاد عنتر شمال بوغار تابعتين لقائد جندل، أما القيادتان الآخرتان فكانت تشملان باقي الأقاليم، وتدران من قبل قبيلتي الدواير والزمالة المخزنيتين، أي من عين كيال حتى مازونة، ومن البحر المتوسط حتى جنوب معسكر، إلى أطراف الصحراء وبلاد اليعقوبية، وكان لهتين القبيلتين أربع آغلوات؛ اثنان لكل واحدة يتناوبون الخدمة، والذي يعزل يسمى خزورجيا، و كانا مجبرين على تنسيق العمل بينهما، لأن السكان الواقعين تحت نظرهما متداخلين فيما بينهم وهذا بتعمد من العثمانيين، حتى إذا فكرً أحدهما في التمرد، أمكن إحباط مشروعه عن طريق الأخر.[2]

أما عن موظفي البايلك؛ فقد كان للبايلك نظام داخلي خاص وتراتيب إدارية تمثلت في العديد من الوظائف، التي كانت تتداخل فيها سلطات الموظفين بعضها ببعض، وقد كانت عموما قطعة مصغرة لما كان عند الداي، وشبيهة بالإدارة المركزية. و من هذه المقاطات او البياليك:[3]

- **دار السلطان:**

---

[1]- توفيق دحموني، المرجع نفسه،ص،144.
[2]- توفيق دحموني، المرجع السابق،ص،144.
[3]- توفيق دحموني، نفسه، ص، 146.

هي عبارة عن مقاطعة ادارية توجد في الجزائر العاصمة و ضواحيها، يوجد بها مقر نائب السلطان العثماني او الداي[1]. و لم تكن تسمى بايليك وإنما احتفظت بوضع خاص في التسمية ونمط الحكم، وتشمل الجزائر والمناطق المحيطة وتخضع مباشرة إلى رئيس السلطة التركية بواسطة أغا العرب أو قائد الجيش وتقسم إلى أوطان، و كانت تضم مدينة الجزائر العصمة وضواحيها، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت مباشرة مع الداي، ويسيرها نيابة عنه قائد من فرقة الصبيحية يسمى (آغا العرب)، و يساعده اربع قواد من الاتراك[2]، و يقوم مقام الباي و يخضع مباشرة للداي و عادة ما يكون من اقاربه[3]، تأسست سنة 975هـ/1567م.[4]

تمتد حدود البايلك من دلس شرقا الى شرشال غربا، و من ساحل البحر شمالا إلى سفوح الاطلس البليدي جنوبا، بمعنى حدودولاية التيطري جنوبا لتشكل المدن الخمسة الاتية (العاصمة، القليعة و البليدة و شرشال و دلس)،وبذلك تضم اقليم الساحل و متيجة مع بعض الامتدادات في بلاد القبائل و التيطري، و هي في نفس الوقت مقر الداي و الديوان. و لحكم هذه المقاطعة نظام عرفي على شكل مجموعات طائفية على كل منها رئيس ، و كل رؤساء هذه المجموعات ذوي صلاحيات ادارية الى جانب الادارة العامة لدار السلطان تحت رقابة شيخ البلد و هو الوسيط بين الداي و بين رؤساء المجموعات[5]، وكان شيخ البلد يتم اختياره من بين وجهاء.[6]

---

[1]- يحيا بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة،ج2،ط،خ، دار المعرفة،الجزائر،2009،ص،23.

[2]- الشيخ احمد الشريف الأطرش السنوسي، تاريخ الجزائر في خمسون قرون، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع ،الجزائر، 2013، ص، 358.

[3]- عمار عمورة، المرجع السابق،ص،133.

[4]- عمار عمورة، نفسه ،134.

[5]- الشيخ أحمد الشريف الاطرش السنوسي، المرجع السابق،ص،ص،358-359.

[6]- عمار عمورة، المرجع السابق،ص،133، انظر ايضا عبد السالم محمود السامرائي، الادارة العثمانية في الجزائر،1518م-1830م صفحات للدراسات و النشر و التوزيع، سوريا –دمشق-،2017،ص،ص،60-61. و للمزيد عن هذا الموضوع انظر عبد الجليل التميمي ، التشكيل الإداري للإيالات العثمانية بالجزائر و تونس و طرابلس الغرب(1557م-1588م)،منشورات التميمي للبحث العلمي، تونس، 1997،ص،451، و ليلم شالر، المصدر السابق،ص،54.

من هنا نلاحظ أنً الحكام العثمانيين قد جعلوا من مدينة الجزائر مقرهم الاداري، و التي تشكلت من خمس مدن: مدينة الجزائر، دلس، شرشال، البليدة و القليعة.[1] **(الخريطة(03))**

يعتبر اقليم دار السلطان بحق المقاطعة المركزية في الجزائر و التي خضعت لتنظيم محكم، و هي تتكون من ثلاث مناطق؛ و هي منطقة نفوذ اولاد سيدي علي مبارك في القليعة ولأولاد سيدي علي مبارك المرابطين نفوذ في أوطان الفحص، و السبت و بني خليل و بنو مدين و منطقة نفوذ زاوية طورطاتين التي كان يسيطر عليها اولاد محي الدين ولد سيدي سالم و مرابطوها هم سادة القبيلة الكبيرة بني جعد و القبيلة الكبيرة افليسن أم الليل التي كانت تحت القيادة الوراثية لابن زعموم 1083هـ/ 1769م[2]، وتوجد بهذه المناطق قبائل تخضع مباشرة لأوامر الاغا، أو تحت اوامر خوجة الخيل.[3]

- **بايلك التيطري:**

أسس سنة 955هـ/1548م، و يعد أصغر البايليكات وأفقرها وعاصمته مدينة المدية، كان الأكثر ارتباطا بالسلطة المركزية لقرب عاصمته منها، يحده من الشمال الجزائر(دار السلطان) و من الشرق الزاب، و من الجنوب بلد الجريد و من الغرب معسكر[4]، ومن الناحية الغربية؛ بايليك الغرب ومن الشرق بايليك الشرق وظلت حدوده الجنوبية غير واضحة مثل بقية البليليكات[5]. و في مذكرات أشرف الزهار فان بايلك التيطري[6]، أي كما يسمى الاقليم الاوسط و التي عاصمتها (المدية) تقع في وسط

---

[1]- عمار عمورة، المرجع السابق ،134.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر من اواخر العهد العثماني(1792م-1830م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1985، ص،29.

[3]- عائشة غطاس و آخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للبحوث،2007،ص،177.

[4]-عائشة غطاس، المرجع نفسه، ص،201.

[5]- الزهار أحمد شريف، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر(1168هـ-1246هـ/، 1754م-1830م)، نشر، أحمد توفيق المدني، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص،47.

[6]- الزهار أحمد شريف، نفسه، ص، ص،35-47.

الجزائر بين بايلك الشرق و بايلك الغرب، تظم المناطق الوسطى، ومناطق جنوب دار السلطان. و قد ذكر الزهار في هذا المجال قائلا:«**و بايلك التيطري تحده متيجة شمالا و من الناحية الشرقية يحده وطن بني سليمان و بني جعد و عريب ، و ليبايلك التيطري الاولية على بقية الولايات لكونها كانت الأولى في الفتح و اصغرها مساحة**»،[1] أمًا من الناحية الجنوبية فيحدها الصحراء الكبرى جنوبا، و كان حاكمها اقل استقلالا بسبب قربها من العاصمة.*[2]**(الخريطة(04))**

- بايلك الغرب:

تأسس بايلك الغرب سنة 970هـ/1565م، على يد حسن باشا بن خير الدين، الذي كان يتولى منصب بايلر باي الجزائر؛ و أول باي عين على المقاطعة الغربية الباي هو أبو خديجة الذي اتخذ مدينة مازونة قاعدة لحكمه، وهذا نظرا لموقعها الاستراتيجي فهي تتوسط قبائل بين مستغانم وتنس[3]. وبعدها انتقلت عاصمة البايلك إلى معسكر، حيث اتخذها مصطفى بوشلاغم عاصمة له؛ و يعود ذلك إلى تمركز قبائل بني راشد التي عرفت بتعاونها مع السلطة الحاكمة بالغرب، وعقب الفتح الأول لمدينة وهران في عهد مصطفى بوشلاغم المعاصر للداي محمد بكداش.*

عرف هذا البايليك بصبغته الحربية، بسبب الصراع مع الإسبان المحتلين للمرسى الكبير و وهران بسبب توتر العلاقات مع حكام المغرب، يحده شرقا بايليك التيطري وشمالا ساحل البحر وغربا المغرب الأقصى وجنوبا. و ظلت حدوده غير ثابتة، أنشئ

---

[1]- نفسه، ص،47.

[2]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص ،134.

* للاطلاع و المزيد عن الباي التيطري أنظر ناصر الدين سعيدوني الشيخ المهدي بوعبدي، الجزائر في العهد التركي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص، 16-18، و ابو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث " بداية الاحتلال " ط 3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 1982 ،ص 52.

[3]- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص،220 .

* محمد بكداش أو بكطاش او بكتاش كلمة تركية، ومعناها الحجر الصلب ؛ وكان قد أطلقه عليه والده .أصبح دايا على الجزائر خلال الفترة (1707م-1710م)، من اكبر انجازاته تحرير وهران .للمزيد، أنظر :عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ،ج3...ص،21.

كما اسلفنا سابقا في سنة 961هـ/1553م،وتغيرت عاصمته الادارية أكثر من مرة من مازونة إلى معسكر، ثم وهران فمستغانم ثم معسكر، لتستقر في الأخير في وهران بعد جلاء الإسبان عنها و تحريرها النهائي في سنة 1207هـ/1792م.[1]

كانت تمتد من الحدود المغربية غربا الى ولاية التيطري شرقا، و من البحر الأبيض المتوسط شمالا الى الصحراء جنوبا، و تأتي في المرتبة الثانية من ناحية المساحة أي بعد بايلك قسنطينة، و من اهم قبائل بايلك الغرب نذكر قبائل الدواير، الزمالة، الغرابة، البرجية و المكاحلية.*[2]**(الخريطة(05))**

- **بايلك الشرق :**

يعد أكبر البايليكات مساحة يقع شرقي دار السلطان و بايلك التيطري، شمل الشرق الجزائري الرقعة الواسعة التي مثلت بايلك الشرق او بيلك قسنطينة خلال الوجود العثماني بالجزائر[3]، و الملاحظ انه كان أكبر المقاطعات والأقاليم و اهمها اقتصاديا[4]، حتى قيل انه يمثل ربع مقاطعات، وعاصمته قسنطينة.[5]**(الخريطة(06))**

يعتبر بيلك الشرق من اكبر الولايات الموجودة في الجزائر[6]،تأسس سنة 974هـ /1576م[7]،ومقره قسنطينة[8]، ويحتل المرتبة الثانية من حيث الاهمية بعد دار السلطان[9]، يحده من الغرب بايليك التيطري ومن الشرق إيالة تونس أي الحدود

---

[1]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص،134.

[2]- عمار عمورة، نفسه.

* عن تنظيم البيلك و كذا مهام موظفيه انظر كل من عمارة بوحوش، التاريخ السياسي....ص 63. و كذا ناصر الدين سعيدوني، موظفو إيالة الجزائر، في ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص،43 . و يحي بوعزيز مدينة وهران عبر التاريخ و يليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط. و يليه المساجد العتيقة في المغرب الجزائري، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص،47.

[3]- يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و الغرب ، دار الهدى، الجزائر، ص،100.

[4]- يحي بوعزيز، المرجع نفسه.

[5]- الشيخ أحمد الشريف الاطرش السنوسي، المرجع السابق، ص، 360.

[6]- عمارة بوحوش، المرجع السابق،ص،63.

[7]- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية،2007،ص،63.

[8]- شوقي عطا الله ، الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، 1977،ص،102.

[9]- علي خلاصي، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور،ط1،دار الحضارة ، الجزائر،2015،ص،138.

التونسية حتى بلاد القبائل غربا، ومن الشمال ساحل البحر الابيض المتوسط أما من الجنوب الصحراء، اذ تصل الى تقرت وورقلة.[1]

أنشئ هذا البايليك في سنة 970هـ/1572م في عهد البايلرباي حسن باشا، وقد حكم الأتراك أغلب نواحيه الجبلية و الصحراوية عن طريق رؤساء محليين، فيما بقيت الأراضي الفلاحية الممتدة حول قسنطينة تابعة إلى البايليك مباشرة أو عن طريق قبائل المخزن[2]. و يمتد من الحدود التونسية شرقا حتى بلاد القبائل الكبرى غربا و يحده من الشمال البحر المتوسط و من الجنوب الصحراء، و عليه يحمل لقب باي الشرق.[3]**(الخريطة(06))**

عن هذه المقاطعات ؛ فكانت مقسمة إلى قيادات وعلى رأس كل منها قايد، والقيادة إلى مشيخات على رأسها شيخ القبيلة .وكان الجهاز الإداري جهازا لا مركزيا، حيث إن أية علاقة للحكومة برعاياها كانت علاقة غير مباشرة، تعتمد على استعمال الزعماء المحليين لجمع الضرائب، وفرض الأمن.[4] يمثل الباي السلطة الفعلية على الإقليم وهو المسؤول الأول أمام السلطة المركزية، وكان يتولى تعيين الموظفين المسؤولين وتنصيبهم و تسيير شؤون المقاطعة والإشراف على القوات العسكرية في مقاطعته وجمع الضرائب من الأرياف والسهر على أمن البايليك وله الحق في إصدار العقوبات ضد الأهالي ومصادرة الممتلكات و يتولى قيادة الجنود أثناء المعارك. [5]

يشمل بايليك الشرق عددا من المدن الهامة بعضها بحرية والبعض الآخر داخلية و صحراوية، كانت تحافظ و تسعى على أمنها نوبات موزعة على النحو التالي: قسنطينة و عنابة بكلّ منهما خمسة (05) صفوات، و ببسكرة أربع (04)

---

[1]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص،134.
[2]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.....ص،29.
[3]- عمارة بوحوش، المرجع السابق، ص،63.
[4]- توفيق دحموني، المرجع السابق، ص،2.
[5]- هلايلي حنيفي، "**التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني** "، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، العدد 24،دار الهدى للطباعة ،و.ن.و.ت، عين مليلة، ديسمبر 2007،ص،255. ، ص، 147.

صفوات، و ببجاية ثلاث(03) صفوات، و بكلّ من جيجل وتبسة صفوتان(02)[1]، وتدعم هذه القوات خارج المدن قوات المخزن، مثل مخزن الحراكتة، ويشتمل على عين البيضاء وصدارته و مسكيانة...الخ، ومخزن أولاد عبد النور.[2]

لقد كان البايات مطالبين بالتوجه إلى دار السلطان مرة كل ثلاث سنوات (الدنوش الكبرى) لتسليم عائدات البايليك و تقديم تقاريرا عن أوضاع المناطق الخاضعة لهم، وكان يتم في نفس الوقت تجديد تعيينهم أو عزلهم، و كان يساعد الباي في مهامه مجموعة من الموظفين أهمهم الخليفة الذي ينوب عن الباي عند الضرورة و الخزندار الذي يشرف عن الجانب المالي للبايليك وآغا الدواوير وآغا الزمالة وآغا الصبايحية الذين يشرفون بدورهم على بقية المناطق بمساعدة القبائل، كما كان للباي كاتبان (كاتب السر وكاتب الرسائل) و مسؤولان عسكريان و أربعة شواش.[3]

نشير الى العلاقة ما بين البايليك والسلطة المركزية كانت تتمثل في مساعدة البايليك بالجيوش عند الحاجة وتقديم المساعدات المالية عند الكوارث في حين كان الباي مطالب بتقديم عوائد ضرائب البايليك و الهدايا، وتتم هذه العملية كل ستة أشهر فيما يسمى الدنوش الصغرى و كان الخليفة يتولى مهمة إيصالها إلى العاصمة، كما كان الباي مجبر على إيصال العائدات و الهدايا إلى العاصمة بنفسه كل ثلاث سنوات وتسمى تلك المهمة الدنوش الكبرى.[4]

ثانيا: الصراع الأجنبي على السواحل الجزائرية و انعكاسه على النظام الدفاعي بالجزائر:

1- Albert Devoulx , Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence, Alger, 1852. , P.50

2- Albert Devoulx , Ibid.

3- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص،35.

4- هلايلي حنيفي،" **التنظيم العسكري للبحرية.....** ص، 147.

تأثرت الجزائر بالأوضاع الداخلية من صراعات متتالية نتيجة التنافس الكبير بين الدويلات الحفصية و الزيانية و المرينية عليها، مما أضعفها و فتح المجال لمحاولات احتلال خارجية خاصة، بعد أن سقطت الاندلس في يد الاسبان سنة 900 هـ/1492م،الذين امتدت أطماعهم الى الضفة الجنوبية من البحر المتوسط ، فاحتلوا المرسى الكبير و بجاية ووهران، واستسلمت مدينة الجزائر لهم بشروط قاسية. و بعد تخليص الاخوة بربروس مدينة الجزائر من ويلات الصليبيين، انظمت الجزائر إلى حاضرة الخلافة العثمانية، بعد الموافقة الرسمية من الباب العالي، وبذلك اصبحت مدينة الجزائر عاصمة إيالة الجزائر.[1]

إنً الايالة في معظم فترات الحكم العثماني عرفت اوضاعا امنية داخلية و خارجية مضطربة، انعكست انعكاس واضح على عدة مجالات خاصة منها الجانب العمراني و المعمارية و علىرأسها العمارة الدفاعية التي تعد الخزام الامني.

فرض الوضع العام الذي عرفته الجزائر بناء العديد من المعسكرات و التحصينات من أبراج و قلاع و حصون و أسوار لمجابهة تلك الاوضاع، سواء الداخلية والمتمثلة في ثورات داخلية والخارجية والمتمثلة في الحملات الاجنبية العدائية وعلىرأسها الحملات الاسبانية المنقطعة النظيرعلى السواحل الجزائرية ".[2]

من تلك الحملات نذكر؛ حملة "**دييقو دي فيرا**" وتعد أولى الحملات الاسبانية على مدينة الجزائر في 922هـ/1516موهي سنة دخول الاتراك العثمانيين إلى الجزائر و كانت مشكلة من 35 سفينة على متنها ثمانية آلاف رجل مدعمين بأسلحة ومدافع و ذخيرة ، و قد اختارت السهول التي يقع عليها ربض باب الواد حيث يصب وادي المغسل في البحر، وبعد الانزال، تم تسلق المرتفعات فيما يلي الأسوار، واحتل مرتفع

---

[1]- ميمن داود، المرجع السابق، ص، 17.
[2]- احمد توفيق المدني، كتاب حرب الثلاثمئة.....ص،180.

القصبة ، ومنه تم الاشراف على المدينة و قصفها بالمدافع، وانتهت هذه الحملة بإلقاء هزيمة للعدو بسبب التحاق عروج ورجاله من جهة ومساندة سكان المدينة للأتراك من جهة اخرى.[1]

أمّا ثاني حملة سنة 925هـ/1519 م، وبالتحديد في شهر جويلية من نفس السنة و هي حملة **"هوكو دي منكاد" Hugu de Moncade**، و ذلك بعد تولية خير الدين الحكم الجزائر بعد وفاة أخيه عروج سنة 925هـ/1519 م، حيث عزم الإسبان على القيام بهذه الحملة على مقرّ إدارته– مدينة الجزائر –، ما جعل خير الدين يتخذ إجراءات عسكرية لحماية المدينة وصدّ الحملة، فقام بترميم قلعة الجزائر وتجهيز الأسطول البحري بإعداد وإصلاح عدد كبير من المدافع[2]، وعلى رأس أربعين سفينة حربية كبيرة، على متنها خمسة آلاف رجل من المقاتلين الإسبان والأوروبيين، و تمّ الإنزال بواد الحراش ، و انتصر فيها الجزائريون.*[3]

بعد فشل هذه الحملة حضّر الإسبان لحملة أخرى سنة 926هـ/1520م، مشكلة من110 قطعة بحرية، قادها نائب الإمبراطور" شارل الخامس "على صقلية الأمبرال فرديناند، إلاّ أنها منيت هي الأخرى بهزيمة كبيرة، بعد الالتحام بين القوتين في البحر أبانت على قدرات البحرية الجزائرية، وأسفرت الحملة الفاشلة على أسر القائد" فرديناند" مع ستة وثلاثين قبطانا و ثلاثمائة بحارا إسبانيا غير الآلاف من الأسرى والسفن التي أغرقت أو استولي عليها.[4]

دفعت هذه الانتكاسات المتتالية للإسبان تحضير حملة أخرى تحت إشراف الإمبراطور"شارل الخامس" بالتحديد 948هـ/أكتوبر 1541م، حيث كانت مكوّنة من أزيد من أربعمائة و خمسين سفينة نقل، وخمس وستين سفينة حربية كبيرة على متنها أزيد

---

[1]- احمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص،ص،180-181.

[2]- محمد دراج، الدخول العثماني الى الجزائر و دور الاخورة بربروس – 1512م-1543م، ط1، دار الاصالة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012، ص،288.

[3]- عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص،ص،207-208.

* للمزيد عن هذه الحملة انظر عزيز سامح آلتر، المرجع نفسه،ص، ص،207-209.

[4]- محمد دراج، المرجع السابق، ص،242-234.

من حوالي 24000رجل هذا الامواطور الاسباني الذي وضع احتلال مدينة الجزائر ضمن أولوياته، كونها الميناء الوحيد بالسواحل الجزائرية الذي يستغله الأتراك في غاراتهم على الإسبان على المستوى المحلي والخارجي، ما يهدد مصالحهم السياسية والاقتصادية، باعتبار الموانئ الهامة الأخرى بالساحل الشرقي مثل بجاية وبالساحل الغربي بالمرسى الكبير ووهران وتلمسان، كلّها أصبحت تحت نفوذ الإسبان،ولا تشكّل أي تهديد لهم[1]، كون مدينة الجزائر عرفت تطورا في جهازها الدفاعي خاصة بالواجهة البحرية، حيث الميناء الذي أقام له"خير الدين باشا "رصيفا اصطناعيا يحمي أسطوله من العواصف البحرية، وزوّده بعدد من البطاريات التي كانت كفيلة بمنع سفن العدو من الاقتراب من المدينة، كما صادفت الحملة حكم" حسن آغا " الذي أحسن تحصين المدينة باتخاذه مجموعة من التدابير الأمنية لمواجهة هذه الحملة، تتمثل في رفع الأسوار وإصلاح الأجزاء المهدمة منها، وتسليحها بالمدفعية، ونفس الأعمال مسّت أيضا حصون المدينة، حيث سخّر لإنجاز هذه الأعمال400 أسير[2]*.

لقد كانت هذه الحملات سببا في لفت انتباه الحكام الجزائريين إلى الثغرات الموجودة في نظامها الدفاعي، حيث تداركوا هذه الأخطاء بإنشاء مجموعة من التحصينات بين أبراج وبطاريات موزعة على الساحل الشرقي للمدينة الممتد من باب عزون إلى برج تامنفوست، وقد ركّزوا في ذلك بصفة خاصة على الخلجان و مصبات الأودية التي حصنت بالبطاريات مثل بطارية وادي الحميز، بطارية وادي كنيس، بطارية وادي الحراش،الذي لن يفارق مخططات الأعداء رغم تحصينه، ففي حملة أورلي سنة 1189هـ/1775م تمت عملية الإزال عنده.[3]

---

[1]- محمد دراج، المرجع نفسه، ص،307.

* للمزيد عن هذه الحملة و تحصين ومدينة الجزائر انظر **Devoulx Albert « Alger Etude archéologique et Topographique »** ,in Rev Afr, 1875,p,234

[2]- محفوظ بوطبة ،أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية ، أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2017- 2018، الجزائر، ص، 149 .

[3]- ص،ص،49.

Péllissier Eugene ,Annales Algériennes, T.01, Paris, France, 1836, P.232-233

خلّفت الحملات العدوانية المتواصلة على مدينة الجزائر صحوة عند الكثير من الحكام، حيث شهدت المدينة على عهدهم مظاهر تحصينية مختلفة، وذلك اتقاء لحملات مرتقبة في أي وقت من طرف إسبانيا أو غيرها من القوى الأوروبية، و يكفي أن نستشهد على ذلك بأعمال الحاكمين"عرب أحمد باشا "و"حسن باشا." [1]

إنّ الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر والهجومات التي يشنّها الجيش الجزائري باستمرار على قواعدها العسكرية بالسواحل الجزائرية الغربية بكلّ من وهران والمرسى الكبير، أنهكت إسبانيا وأصبحت مصرّة أكثر من أي وقت مضى، إمّا على إخضاع عاصمة الإيالة الجزائرية أو الانسحاب منها.[2]

اما النوع الثاني من الحملات العدائية التي تسببت في تعزيز و تقوية دفاعها تتمثل في الحملات الإنجليزية ، اذ تواصلت هذه الاخيرة على مدينة الجزائر إلاّ أنّ أكثرها حدّة كانت سنة 1232هـ/1816م بقيادة اللورد"إكسموث **Exmouth** " وقائد البحرية الهولندية " فان كابلان **Van Capellen**". و قد ألحقت هذه الحملة أضرار كبيرة بأسطول البحرية الجزائرية، و بتحصينات المدينة، ورغم اعتماد العدو على المباغتة التي مالت الكفّة لصالحه، إلاّ أنّه اصطدم بمقاومة شديدة خسر فيها ما يقارب ألف رجل[3]، وقد انتهت هذه الحملة بمعاهدة صلح مع الإنجليز، وهولندا وفق شروط.[4]

دفعت هذه الحملة حاكم مدينة الجزائر" عمر باشا "إلى تعزيز نظامها الدفاعي، فرمم القلاع وزاد من قوة التحصينات وعلى وجه الخصوص دفاعات الميناء التي ألحق بها الإنجليز أضرار بليغة، حيث قام رفقة خليفته ببناء بطاريات برصيف الميناء على شكل طوابق متراصة فوق بعضها البعض[5]وجاء هذا الإجراء تعزيزا لأعمال التحصين

1- Péllissier Eugene , Ibid .

2- Péllissier Eugene , Op,Cit,p,p,232-233 .

3- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص، 381 ، للمزيد انظر ايضا Albert Devoulx ; Tachrifat…, p,p,18 -36

4- Jules Duval , L'Algérie, Paris, France, 1869, P.31
للمزيد اكثر عن المعاهدة و شروطها انظر ايضا عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص، 612.

5- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،58.

برصيف الميناء التي عرفت استمرار منذ عهد "**خير الدين باشا**"، إضافة إلى أعمال أخرى كإنشاء ثكنة للجند وإصلاح برج الحراسة والمراقبة بالميناء(برج البحر).[1]

ساهمت هذه الأعمال بعد حالة الاستقرار الأمني مع الأطراف الأوروبية إلى إعادة تحصينات الميناء إلى صورتها الدفاعية المعهودة، بعد أن كانت معطلة عن آخرها، حيث كان لها الفضل في صدّ حملة سنة 1239هـ/1823م بنجاح، كما أدّت هذه الظروف إلى النظر في جهاز الجيش والعمل على تحسين أوضاعه كرفع أجوره.[2]

من الحملات أيضا الحملات الفرنسية التي بدأت ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي، أهمها حملة الدوق بيفور**Duc Beaufort** سنة 1074هـ/1663م و 1075هـ/1664م، وحملة دوكسين(دوكين)**Duque Sine** سنة1095هـ/ 1683م،وتحضيرا لردها، قاموا بتعزيز الجبهة البحرية للمدينة بالمدفعية، حيث سلّحت بـ50 مدفعا والجزيرة الصغيرة بـ 50 مدفعا وبرج الفنار بـ27 مدفعا وبرج الإنجليز من 10إلى12 مدفعا، وجهّزت استحكامات باب الوادي وباب عزون بـ 15 مدفعا.[3]

تلت هذه الحملة؛ حملة المريشال ديسترى **Destrée** سنة 1097هـ/1685م التي كانت سببا في جعل برج تامنفوست في وضعية دفاع[4]، بعد أن كان مخصصا لاستقبال الحكام المعنيين من الباب العالي قبل الانتقال إلى دار السلطان(الجنينة) مدينة الجزائر، كما عرفت الجزائر إضافة إلى حروبها مع أوروبا نزاعا إقليميا مع جارتيها؛ الإيالة التونسية والمملكة المغربية، وكثيرا ما تطور إلى صراع عسكري. [5]لنظيف الى جانب ذلك التنافس مع الجارتين، الإيالة التونسية من الجهة الشرقية و المملكة المغربية من الناحية الغربية، و كثيرا ما طفا هذا التنافس الى السطح على شكل صراع بين طرفي النزاع و في مقابل عرض هذه الاوضاع حاولنا

---

[1]- عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص، 612 ،

[2]- Albert Devoulx, Tachrifat…….. p.21-22 .

[3]-عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص،ص،421-422.

[4]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص ،59.

[5]- محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص،322.

حولنا تحديد اهم الاستعدادات للدفاع ، و صد الحملات الخارجية أو اخماد الثورات الداخلية أو ما ترتب عنها من انشاء مباني حربية لتدارك الضعف الذي كشفته هذه الحمالات في المنظومة الدفاعية المعمارية العثمانية بالجزائر، حيث كانت مدينة الجزائر عاصمة الإيالة على مر أزيد من ثلاث قرون(922هـ/1516م/1246هـ/ 1830م) أنموذجا لها.[1]

ثالثا: النظام العسكري:

لقد كان لتوفير قوة عسكرية و بناء نظام حربي، من الاولويات لتثبيت أركان الدولة،ومما تجدر الاشارة اليه ان حكام الجزائر خلال الفترة العثمانية بموازاة مع تنظيمهم للجيش قاموا بأعمال تحصينية كبرى لفرض سلطة الحكم العثماني على مختلف جهات البلد و خاصة المناطق المضطربة، وتتمثل هذه الأعمال في تشييد القلاع و الحصون و الثكنات و اقامة الحاميات باعتبارها الداعية الأساسية في منظومة التحكم العسكري لاستتباب الأمن، و لهذا كانت هذه الاجراءات تستهدف فرض سلطة الجهاز الحاكم في الداخل و مع هذا فان الايالة لم تغفل مسالة الثغور ضمن السياسة العسكرية من خلال تأسيس أسطول بحري يفرض سيطرته على منطقة الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط، وهي من أهم القضايا التي ارتكزة عليها النظام الحربي منذ تأسيس الايالة سنة 925هـ/1519م.[2]

ان النظام الدفاعي الحربي للجزائر خلال العهد العثماني يتميز بعنصرين أساسيان لا يمكن الاستغناء عنهما، و هما العنصر المادي والمتمثل في الاستحكامات العسكرية من ابراج و حصون و اسوار(نتطرق اليها في الفصول اللاحقة)، و العنصر البشري المتمثل في مجموعة من الوحدات العسكرية المعروفة بـ "الحاميات"

---

[1]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،45.

[2]- عناد جويدة، " **الحامية بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**" ،مجلة المتحف العدد 06،جانفي ،2018،ص،66.

و التي لعبت دورا بارزا في الاحداث السياسية والعسكرية لمدينة الجزائر عامة، و مدن الجزائر عامة.[1] و منه تتمثل القوة العسكرية او بالأحرى يتكون النظام العسكري للجزائر خلال الفترة العثمانية من الجيش، البحرية...

- الجيش:

منذ سنة 925هـ/ 1519م أصبحت الجزائر إيالة عثمانية، وقد نجم عن هذا الارتباط تحولات عميقة شملت شتى المجالات. وقد عرفت التركيبة السكانية لمدينة الجزائر تغيرات واضحة إذ أصبحت تتميز بتنوع أجناسها وتعددها، و لعل من أهم هذه العناصر فئة الأتراك العثمانيين التي تصدرت الهرم الاجتماعي، وأخذت مقاليد الحكم فقد كانت المؤسسة السياسية و العسكرية " تركية- عثمانية.[2]

و منذئذ أصبحت تتوافد على الجزائر دفعات من الجيش الانكشاري كانت أولها القوة التي أرسلها السلطان سليم الأول لتدعيم وتقوية مركز خير الدين بربروسة، وبذلك تشكلت النواة الأولى للجيش الانكشاري بالجزائر[3].

انطلاقا من هذا يمكننا القول ان النظام في الجزائر، كان خاضعا لسلطان العسكر، ذلك أن الظروف التي انشئت فيها الجزائر سببتها الظروف الجيوسياسية التي عرفتها منطقة الشمال الافريقي، بعد استيلاء الاسبان على الاندلس و محاولتهم السيطرة على بلاد المغرب آنذاك، و استغلالهم الظروف التي كانت تعيشها هذه المنطقة من صراعات داخلية و حروب متتالية[4]. و بقبول الوصاية العثمانية التي

---

[1]- جويدة عناد ، المرجع السابق، ص،66.

[2]- فهيمة عمريوي، الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12 هـ/ 18م دراسة اجتماعية- اقتصادية من خلال سجلات المحاكم الشرعية.، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2008 - 2009، ص، ا.

[3]- فهيمة عمريوي، المرجع نفسه، ص،35.

[4]- شالر وليام، المصدر السابق، ص، 138.

كانت تعتمد على قوة الجيش، أصبح لإيالة الجزائر المحروسة، نظام عسكري شمل ثلاث مقاطعات ادارية تابعة لدار السلطان في مدينة الجزائر[1].

الإنكشارية مصطلح وتعريف:

ان مصطلح كلمة" إنكشارية "؛ هي جمع لكلمة" إنكشاري"، وهي عبارة تركية تتكون من كلمتين؛" **YENI** يني "وتعني الجديد و"جيرى "ومعناها النظام، أي النظام الجديد" يني جيري وهو المصطلح الذي أطلق على نظام الجند الجديد حسب الدكتورة معاشي الذي أحدثه" السلطان أورخان"،**ÇERI** ثاني سلاطين آل عثمان 727هـ-764هـ/ 326م- 1362م، وكان ذلك بتوجيه من أخيه الأكبر، و وزيره الأول (الصدر الأعظم)، علاء الدين وقاضي العسكر " قرة خليل جندرلي "، الذي نصح السلطان العثماني بتكوين جيش نظامي اعتمادا على خمس غنائم الدولة من فتوحاتها بالبلاد الأوربية، لأن في ذلك ضمان لاستمرا قوة الدولة العثمانية وتوسعاتها، بعد أن اتضح عدم قدرة الفرسان على ضمان ذلك لقلة عددهم وعدم تفرغهم كليا للعمل العسكري، خاصة وأن الدولة كانت في توسع سريع.[2]

بعد سيطرة الجيش العثماني على المقاطعات العربية ودول الأناضول و البلقان، صارت المدن التي استولوا عليها حربا تسير مباشرة من طرف الصدر الاعظم، أما الدول التي طلبت الحماية و دخلت طواعية تحت حكم الخلافة العثمانية تسير من طرف البايات، والحكام المحليين و القياد، بينما اكتفى حكامها في بعض الايالات بالدعاء للخليفة على المنابر و حمل اسم السلطان على العملة.[3]

---

[1]- ميمن داود، المرجع السابق،ص،17.

[2]- جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل اطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة متنوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ و الاثار، 2007-2008،ص،ص،2-3.

[3]- علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2013، ص، 235.

الجيش الانكشاري في الجزائر :

أجمع الباحثين الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني من قناصلة و رحالين ومؤرخين أنها كانت سلطة العسكريين، ذلك أنً الجيش كان يشكل الأساس او القاعدة الاساسية التي بني عليها نظام الحكم في الأيالة.[1]

يشير توفيق المدني الى وجود عاملين قد صبغا الإيالة الصبغة العسكرية، يتمثل أولًها في الظروف الحرجة التي اسست فيه الإيالة، أما الثاني يتمثل في كونها امتداد للخلافة العثمانية في اسطنبول ،التي اخذت عنها الإيالة خصائصها و منها خاصيتها العسكرية، هذه الاخيرة التي استمدتها من سياسة الفتوحات التي شرع في خوضها السلاطين العثمانيون منذ تأسيس الدولة في نهاية القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي، انطلاقا من عاصمتهم، و الملاحظ ان الايالة رأت ضرورة الحفاظ على صبغتها العسكرية حتى تكون على استعداد دائم لمواجهة الهجمات التي كانت تشن عليها من قبل كثير من الدول الاوروبية.*[2]

لقد دلت الوقائع التاريخية للإيالة الجزائرية العثمانية، على أن الجهاز العسكري الانكشاري والإداري وعامة الموظفين، ترك بصماته في تسير الحكم واستدامة الاقتصاد، و في التفاعل و الإندماج بالمجتمع الجزائري، ساعده في ذلك رغبته في

---

[1]- شالر وليام، المصدر السابق، ص، 138، وانظر ايضا سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر ..... ص، 22.

[2]- المدني توفيق، حرب الثلاثمائة سنة.....ص،200. انظر ايضا حماش ابراهيم خليفة، العلاقة بين الإيالة الجزائرية والباب العالي من 1798 الى 1830،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية الآداب، قسم التاريخ و الاثار، جامعة الاسكندرية، مصر، 1988، ص،91 .

* للمزيد اكثر انظر كل من حماش ابراهيم خليفة، المرجع نفسه،ص،ص،90-92. و فريد بك المحامي، المرجع السابق،ص،118،و عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق،ص،49

التعاقد والتواصل و فاعلية أدواره الإدارية والعسكرية، التي فرضتها القوانين النظامية و العقود الرسمية.[1]

عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية، سيادة ووحدة وقوة عسكرية أرهبت بها القوى الكبرى آنذاك، مما جعل هذه الأخيرة تعمل جاهدة للقضاء عليها وإنهاء وجودها، وكان من نتائج ذلك ان واجهت الجزائر غزوات متتابعة طيلة العهد، وقد دفعها هذا الوضع إلى بناء قوة عسكرية بإمكانها حماية البلاد والعباد والتي كانت في حالة استنفار دائم، مما اكسبها خبرة حربية تضاهي بها اكبر القوى آنذاك.[2]

في مطلع القرن السادس عشر أي سنة 924هـ/1518م، وقع إنقلاب عسكري في الجزائر على الأوضاع السياسية و الاجتماعية و العسكرية، كان قادته من الجيش المتطوع من شباب الاناضول، أو ممن أنهوا خدمتهم العسكرية في جيش الدولة الإسلامية الكبرى و المتمثلة في الخلافة العثمانية، فظهرت الطبقية بصورة غير مسبوقة، حيث تصدرت فئة الأندلسيين الهرم الاجتماعي و فن العمارة، بينما تصدرت فئة العثمانيين الهرم السياسي والعسكري، وتحكم المواطن المحلي في الجوانب الروحية العقائدية و الإدارة والجوانب الاقتصادية.[3]

من هذا التحديد للصلاحيات الذي جاء تلقائيا، حسب التطبيقات العملي و حجم المسؤوليات، مارس الكراغلة الذين ينتمون إلى أخوال جزائريين و أعمام عثمانيين أهم الحرف خاصة التجارة التي برعوا فيها، وعلى عكس ما يدّعيه بعض المؤرخين الأوروبيين خاصة، من أنهم أُبعدوا من دواليب الحكم، فإننا نجد عددا كبيرا منهم ترسوا أعلى المراتب في الدولة.[4]

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر.....ص،3.

[2]- بوشنافي محمد، الجيش الانكشاري ،سلسلة دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني،1700-1830،دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016، ص،5.

[3]- علي خلاصي، الجيش الجزائري.....ص،235.

[4]- علي خلاصي، المرجع نفسه،ص،ص،235- 236.

عرفت الجزائر أول تدفق للإنكشارية في سنة 927 هـ/1520م، إثر إرسال خيرالدين بربروس موافقة من أهالي الجزائر طلب الانضمام إلى الدولة العثمانية، حيث أرسل السلطان سليم الأول(918هـ-927هـ/1512م-1520م) إلى الجزائر ألفين(2000) من الإنكشارية و4000 من المتطوعين الأتراك، لتدعيم قوة "خير الدين"، المؤلفة آنذاك، من5000 جندي[1]، لتثبيت حكمه من جهة، وحماية الجزائر من الهجمات الإسبانية من جهة أخرى، ومنذ ذلك التاريخ أصبح للجزائر جيش انكشاري خاص،عرف بـ"أوجاق الجزائر[2]" بجميع هياكله ومؤسساته، وكان استقراره بمدينة الجزائر.[3]

معروفا أنً تاريخ تأسيس الجيش الانكشاري في الجزائر يعود الى عام 926هـ/1519م، حيث بنيت له ثكنات للإيواء ونظمت قوانينه و حددت أجوره، مع اعطائه أي للجنود حقوق وامتيازات، ونظرا لحاجة الايالة لعدد كبير من الجنود الانكشارية، منحت حرية التجنيد بين المسلمين في مختلف أقاليم الدولة العثمانية لتلبية احتياجاتها من الجنود على عكس من ذلك، منعت التجنيد ضمن صفوف الجيش على الرعية و الأهالي بالإيالة، و يرجع تاريخ تأسيس الجيش الانكشاري في الجزائر الى عام 926هـ/1519م.[4]

روعي في بداية الحكم العثماني بالجزائر بعض الشروط في قبول الجنود منها أن يكون مسلما، محترما وأن يكون من اسطنبول و ما جاورها، دون اللجوء إلى المحليين للحفاظ على خصوصية الجيش الانكشاري في الجزائر.[5]

1- Haedo Fray Diego de , "**Histoire des Rois d'Alger**" , in R.A 1880 , p 7 .

2- عرفت كلمة" أوجاق "بالجزائر ثلاثة معاني -1 : وحدة عسكرية (أورطة)،-2 الجيش النظامي -3 الإيالة كلها أنظر حماش خليفة ابراهيم، المرجع السابق،ص،96.

3- ميمن داود، المرجع السابق،ص،28.

4- ميمن داود، نفسه، ص،28.

5- ميمن داود، نفسه.

عند وصول المتطوعين من اسطنبول، يتم تسجيل اسماءهم في سجل الجند، حيث يكتب اسم الجندي المتطوع مرفوقا باسم والده، واسم البلدة التي قدم منها مع ذكر مهنته وكل المعلومات المتعلقة بوضعيته العسكرية، قبل ذلك كان الجنود الانكشاريون يوزعون على وحدات يطلق عليها " **اورته** " يعطي لها ارقاما تسلسلية من واحد الى اربعمائة و اربع و عشرون متوزعة على انحاء الجزائر.[1]

ومنذ ذلك التاريخ أصبح للجزائر، وكالات خاصة*، منها خان إزمير يقيم فيه الموظفون المشرفون على جمع المتطوعين وإرسالهم إلى الجزائر وكانوا يعرفون بـ"الدائيات" ومهمتهم تتمثل في تنظيم عمليات التجنيد التي تبدأ بنصب خيمة يطلق عليها إسم" أوطاق" حيث يتوافد عليها الراغبون في التجنيد لتسجيل أسمائهم في القائمة ثم ينقلون إلى الخان للإقامة به وبعد جمع عدد معتبر، يتم نقلهم إلى مدينة الجزائر.[2] ، يرأسهم و يشرف على إدارته وكيل يعينه الباشا في الجزائر ويسمى " باش دائي" او" باش داي أو " سرداي "، كما كان لها موكل بميناء إزمير بالأناضول[3]، يسجل المتطوعين من شباب المنطقة ويقدم لهم كل المغريات المادية والأدبية للالتحاق بالعمل العسكري في إيالة الجزائر،"جزائر الغرب" أو" دار الجهاد"، وعلى رأس هذه المغريات جمع الثروات الطائلة و الوصول إلى المناصب العليا في الدولة.[4]

و الملاحظ انه لم يكن يسمح لـ" باش داي " الجزائر بتنظيم عمليات التجنيد دون الحصول على تسريح من الباب العالي وموافقته، أو قبل أن يقوم الباش دايي برفع

---

[1]- ميمن داود، المرجع السابق، ص،28.

* للجزائر 14 وكالة عبر العالم -1 :إسطنبول، -2 إزمير، -3 أوليسون، -4 قبرص، -5 طرابلس الشرق، 6الإسكندرية،7- رشيد، -8 طرابلس الغرب، -9 تونس، - 10 مرسيليا، - 11 جبل طارق، - 12 طانجة، 13- كوسوفو، و 14- بلغاريا.

[2]- حماش خليفة، ،«**تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني**» ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد2 ، مارس 2003 م، ص31 .

[3]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص،12.

[4]- Jean- Michel De Venture de, Tunis et Alger au XVIIIe siècle, Sindbad, Paris, 1983, p160.

تقرير إلى القبودان باشا يوضح فيه الوضع العسكري بالإيالة ويخبره بحاجتها إلى المجندين.*

لقد كان التجنيد للعمل بالجزائر يتم بطلب من حكامها وبترخيص من الباب العالي، وكان باستطاعة السلطان إيقاف التجنيد ، إذا أراد الضغط على ولاة الجزائر خاصة فيما يخص السياسة الخارجية للأوجاق، لكن ونظرا لحاجة الدولة العثمانية لمزيد من الجند لحماية ولاياتها، وتضاءل دور عملية " الدوشرمة " في تغطية هذه الاحتياجات، أعطى السلطان العثماني لإيالة الجزائر الحق في تنظيم عملية التجنيد بين مسلمي الأقاليم العثمانية**، وهذا من خلال رسالة موجودة بالأرشيف الوطني بالجزائر من السلطان محمود الثاني، بتاريخ 1231هـ/1815م،إلى عمر باشا، داي الجزائر، تنص بالسماح له فيها باختيار الجند التركي المتطوع من ميناء إزمير[1] في نفس الموضوع، وصلت رسالة إلى حسين باشا بتاريخ 1239 هـ/1823م، للسماح له بالتجنيد مجددا من الأراضي العثمانية، بعد توقف هذه العملية بسبب الخلاف الذي وقع بين الإيالة والدولة البريطانية، وقد سمح له بذلك بعد تطبيق الداي للصلح مع بريطانيا نزولا عندرغبة السلطان.[2]

لهذه الأسباب كان معظم إنكشارية الجزائر ينتمون إلى أصول مسلمة، وكان أغلبهم من فقراء الأناضول والشبان المغامرين من أجل الثروة والجاه، وبعض المتطوعين للجهاد، ويعد العلوج **LES RENEGAS** المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام بغرض الدخول في ، نظام الإنكشارية والفوز بامتيازاته، من بين العناصر التي انضمت إلى إنكشارية

* عن مقر اقامة الجنود، فكان يحتوي على طابقين، وبه غرف ومسجد حيث ورد في إحدى الوثائق ما نصه: "و من شأن كيفية الخان الجديد ... فمجموع بيوت الخان علوي وسفلي ومخازن جلهم في اعتمار داي لار الأوجاق والضباط وبداخل المساكن أرزاقهم مع مساكنهم من غير أجرة وبداخله الجامع الشريف الذي يصلى فيه الصلوات الخمس.... "للمزيد من التوضيحات عن الظروف التي كانت تتم فيها عملية التجنيد أنظر: حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر،2007،ص،55.ص، ص،18 -20 .

** ورد ذلك من خلال رسالة من السلطان محمود الثاني، بتاريخ 1231هـ/ 1815 م، إلى عمر باشا، داي الجزائر، تنص بالسماح له فيها باختيار الجند التركي المتطوع من ميناء إزمير. و في نفس الموضوع وصلت رسالة إلى حسين باشا بتاريخ 1239 هـ/1823م، للسماح له بالتجنيد مجددا من الأراضي العثمانية، بعد توقف هذه العملية بسبب الخلاف الذي وقع بين الإيالة والدولة البريطانية، وقد سمح له بذلك بعد تطبيق الداي للصلح مع بريطانيا نزولا عند رغبة السلطان. جميلة معاشي، المرجع السابق، ص، 13.

[1]- جميلة معاشي، المرجع نفسه، ص، 13.

[2]- جميلة معاشي، المرجع السابق،13.

الجزائر، وأصبحوا، حسب تعريف" هايدو"،" أتراكا بالوظيفة" [1]، وذلك عكس إنكشارية الأناضول الذين تكونوا عن طريق نظام" الدفشرمة . [2]

في تأكيده على طغيان العنصر التركي على النظام الإنكشاري بالجزائر، يقول هايدو" **أنه ولسنوات عديدة لا نجد في الجزائر من يلتحق بالإنكشارية من الأسرى المسيحيين المعتنقين للإسلام ولا من رياس البحر، إذ لم يكن يسمح بذلك إلا للأتراك الأصليين وهذا ما جعل الرياس بدورهم لا يسمحون لأفراد الإنكشارية بالالتحاق بالعمل البحري وهو ما كان يرغب فيه هؤلاء بقوة بسبب وفرة الغنائم التي يجلبها القراصنة من البحر، وقد استمر الوضع كذلك حتى سنة 976هـ/ 1568م حين عقد محمد باشا بن صالح ريس صلحا بين رجال الطائفة و الإنكشارية، فسمح لهؤلاء بالمشاركة في النشاط البحري كجنود بحريين وسمح لمن يريد من رجال الطائفة بالانخراط في الإنكشارية وكذا المعتنقين للإسلام من النصارى واليهود، إلا أن الإنكشارية احتجوا على تجنيد الإسلاميين(اليهود المعتنقين للإسلام)، فألغي ذلك القانون بأمر من جعفر باشا سنة 988هـ/ 1580م وافتكت أجور أكثر من 100 عنصر منهم**".[3]

لكن هذا لم يمنع اعتناق العديد من الأسرى والعبيد المسيحيين للإسلام والتحاقهم بسلك الجيش، إما بتأثير من أسيادهم عن اقتناع بالإسلام، و إما هروبا من حياة العبودية و طمعا في الامتيازات المادية التي يحضى بها الإنكشاري*. و أهم هدف كان يسعى إليه هؤلاء الأعلاج هو الوصول إلى المناصب العليا بالإيالة،وهو ما حققه عدد من العبيد الذين تبوؤوا قيادة الجيش بترقيهم إلى منصب الآغا، وقد تحدث الإنجليزي

1- Haedo Fray Diego de « **Topographie et Histoire générale** . » in Rev-Afr, 1870 ,p,496

2- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص، 13.

3- Haedo Fray Diego de, « **Topographie et Histoire générale** »……..p,504.

* من الامثلة نذكر العبد AGOSTINO الإيطالي الذي اشتراه "الحاج أحمد"، باي قسنطينة، من سوق النخاسة بالإسكندرية، رفقة أخته، فتزوج الفتاة، التي أطلق عليها اسم "عائشة"، وأدخل الشاب إلى مؤسسة الإنكشارية بعد أن اعتنق الإسلام وأصبح يدعى " أحمد. انظر Haedo Fray Diego de, « **Topographie et Histoire générale** »……..p,504.

"SHAW"عن أحد الآغوات قائلا :" **أنه أولى عناية خاصة بالأسرى المسيحيين فكون لهم صندوقا خاصا لإعانتهم، ويعيد ذلك لكون الأغا كان في يوم من الأيام منهم**".[1]

من أهم الدراسات التي تمت حول التجنيد في الجزائر؛ التي قام بها **كولومبس** "**M.Colombe**"، من خلال دراسته لسجلات التجنيد بالأرشيف العثماني بالجزائر، بالإضافة الى دراسات دوفولكس "**DEVOULX** الذي سبقه في نفس المجال، إلا أنها اهتمت اكثر بعملية التجنيد في إيالة الجزائر و تكلفتها، بالإضافة الى عدد المجندين ومواطنهم الأصلية، أواخر العهد العثماني، بين1201-1245هـ/1786م-1829 م.[2]

لقد كان التجنيد في البداية يتم بين الشجعان والمستقيمين أخلاقيا، ثم أصبح يجمع من بين المشردين والمجرمين الفارين من العدالة، وهو ما اتفق حوله بعض المؤرخين ومنهم حمدان بن عثمان خوجة، الذي ارجع سبب انحطاط حكومة الجزائر إلى هذه النوعية من المجندين، قائلا:" **كان من أسباب انحطاطها إرسال مندوبين إلى إزمير يجمعون الأجناد، وبدلا من أن يتبع هؤلاء الطريقة القديمة التي لم تكن تسمح بأن يجند من الميليشيا إلا الرجال النزهاء الذين لهم جاه ومكانة فإنهم كانوا يفتحون أبواب الميليشيا لأي كان حتى لأناس كانوا قد أدبوا أو أدينوا وكان يوجد بين المجندين يهود ويونانيين ختنوا أنفسهم** ".[3]

يبدو أن الباب العالي نفسه كان يشجع على ذلك لإبعاد العناصر المنحرفة عن أوطانهم محافظة على الأمن، وهو ما عبرت عنه بوضوح، بتاريخ1219هـ/ 1804م تحث على إرسال« أشقياء يتراوح عددهم بين 40 و 50 شقي»، تسببوا في أحداث شغب بقرية دومنجي بجزيرة قبرص، للجهاد بإيالة الجزائر. [4]

---

[1]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص، 14.
[2]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص، 14.
[3]- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975 ، ص149 .
[4]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص، 14.

جاء بالعريضة: « **إن الشيء الذي نلاحظه بشأن هؤلاء الأشقياء الذين استحقوا أشد الجزاء من الدولة العلية لارتكابهم أعمالا تبرر ذلك، أن يبعد هؤلاء من أوطانهم وأهليهم ويرسلوا إلى أوجاق جزائر الغرب.....من أجل الجهاد في سبيل الدين والدولة ومن أجل إصلاح النفس وتهذيبها أيضا في تلك الديار المجاهدة مع السفينة التي وردت إلى الجزيرة بأمر من قبطان البحار لجلب الجنود إلى الجزائر."** .[1]

زيادة على التجنيد الرسمي، وصل إلى الجزائر الكثير من المتطوعين غير الرسميين والمغامرين بطرق مختلفة، منها الاندساس بالسفن التجارية وسفن الحجيج يدفعهم إلى ذلك الطمع في الثروة والمجد أو الهروب من العدالة.[2]*

كانت تتم عملية التجنيد في بداية الحكم العثماني للجزائر تحت إشراف ونفقة السلطان العثماني،إذ أصدر السلطان سليم الأول918هـ-927هـ/1512م-1520م فرمانا يقضي بمجانية نقل المجندين إلى الجزائر، التي أصبحت إيالة عثمانية و ضمان انخراطهم في الأوجاق بأجور منتظمة، كما أمر بإصدار جواز مرور السفن الجزائرية بالموانئ العثمانية، باعتبارها وحدات في الأسطول العثماني، إلا أن ذلك الوضع لم يدم، إذ أجبرت حكومة الجزائر، بعد استقلالها عن الباب العالي سنة 1082هـ/1671م،على تحمل جميع نفقات التجنيد.[3]

ساهم المجندون القدامى أيضا في عملية التجنيد حيث كان أفراد الجيش بمجرد حصولهم على قدر معين من وأثناء عودتهم إلى الجزائر يجلبون جماعة أخرى من

---

[1]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص، 14.

* اختلفت أجناس المتطوعين فكان منهم التركي و الأرنؤوطي(لألباني) والفارسي واليوناني والعربي وغيرهم من الأجناس التي تتكون منها الدولة العثمانية، وقد جاء بعض المتطوعين من مصر عن طريق وكيل الجزائر في الإسكندرية. انظر حماش خليفة، العلاقة بين الجزائر.....ص173 .

[2]- حماش خليفة، المرجع نفسه، ص ،173 .

[3]- سبنسر وليم، المرجع السابق، ص36 .

السكان للانخراط في الجيش[1]. و يبدو أن عملية التجنيد لم تكن تخضع لنظام معين سواء من حيث زمن تنظيمه أو من حيث الأعداد المطلوب تجنيدها* بل كان يخضع للظروف العسكرية والمالية والسياسية للإيالة.[2]

و الجدير بالذكر أنً عملية التجنيد بالنسبة للجزائر كانت مكلفة جدا، اذ كانت تلك العمليات تكلف خزينة الإيالة مبالغ باهظة تصرف في تأجير الأرض التي تقام عليها خيمة التجنيد، والنفقة على الجنود المقيمين في الخان، ودفع مرتبات الدائيات المشرفين على عملية التجنيد[3]، بالإضافة إلى الهدايا الموجهة إلى الموظفين السامين في الدولة العثمانية[4]، بالآستانة، أو رجال البحر أو حكام الأقاليم الذين كثيرا ما كلفوا بتسهيل عملية التجنيد*،و كذا حكام الأقاليم الذين عملوا على تسهيل عملية التجنيد[5]، زد على ذلك هدية السلطان التي ترسل كل ثلاث سنوات، وقدرها القنصل الأمريكي" شالر" بـ 500ألف دولار[6]، وكذا المبالغ المتحصل عليها من عملية بيع الحبوب التي تجلب من الجزائر إلى المدن التي تتم فيها عملية التجنيد.[7]

بعد وصولهم إلى مدينة الجزائر يتدرجون في الرتب العسكرية حسب الأقدمية، بدأ من رتبة اليلداش وصولا إلى رتبة الأغا وهي أعلى رتبة في الجيش الوي.[8]

---

[1]- حمدان، بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص،119 .

* تم في شهر محرم من عام 1234 ه 1818 م نقل سبعة وعشرون متطوعا و في عام 1235 ه 1819 م بلغ عددهم مائة وسبعة وعشرين متطوعا، للمزيد عن أعداد المجندين....أنظر معاشي جميلة، المرجع السابق،ص،ص،14-20. و للمزيد عن التجنيد أيضا انظر كل من نور الدين، عبد القادر، المرجع السابق،ص،68-59. وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص،5. و جميلة معاشي، المرجع السابق، ص،ص، 14-20. و فهيمة عمريوي، المرجع السابق،ص،ص،40-41.

[2]- حماش ابراهيم خليفة ،" **تجنيد المتطوعين.....**"ص،13.

[3]- حماش ابراهيم خليفة ،المرجع نفسه، ص،32.

[4]- شالر وليام ، المصدر السابق، ص44 .

* حسب M.Colombe من خلال معاشي جاء في سجل التجنيد رقم78 ،أن رئيس البحرية العثمانية" خصر باشا " تلقى من داي الجزائر سنة1233 هـ/1817م،« قفطانين من النسيج الأرجواني ومسدسين وثلاث مسابح من المرجان وثلاث مسابح من العنبر وحزام وساعة وجلد أسد وجلد نمر وعبد أسود » ، وهدايا مماثلة لمختلف الموظفين التابعين له أنظر. جميلة معاشي، المرجع السابق، ص، ص،17-18.

[5]- تلقى خزرون باشى قائد البحرية العثمانية من إيالة الجزائر هدية مكونة من معطفين ومسدسين وساعة وحزام وعبدا أسود ، إضافة إلى جلد الأسد للمزيد اكثر أنظر فهيمة عمريوي، المرجع السابق،ص،ص،38-39.

[6]- شالر وليام، المصدر الاسبق، ص44 .

[7]- فهيمة عمريوي، المرجع السابق، ص، ص،38-39.

[8]- فهيمة عمريوي، المرجع نفسه،ص،41

لقد كانت الجزائر تتكفل بدفع حق التجنيد ومستلزماته، من بداية نصب خيمة التجنيد (الاوطاق*) لجمع المتطوعين، حتى ساعة نقلهم إلى الجزائر بواسطة سفن أوروبية كانت توفرها السلطة في الجزائر[1]، وحتى كراء الأرض التي يقام عليها "الأوطاق"، كانت تدفعه الحكومة الجزائرية، كما تتكفل بدفع أجور جميع الموظفين بالخان، بالإضافة إلى أجور الجند، و كانت السفن التي تنقل المجندين إلى الجزائر تعود محملة بالأموال النقدية المخصصة لعملية التجنيد بالإضافة إلى المبالغ المحصلة من عملية بيع حمولة الحبوب التي تجلب من الجزائر لتباع في المدن التي يتم فيها التجنيد، وقد قدرت تكلفة 933 مجند وصلوا إلى الجزائر على متن 7 سفن في عهد عمر باشا،1231هـ-1233هـ/1815 م- 1817 م، بـ240.249 قرش[2]، ويقول حمدان بن عثمان خوجة أن بعض الكراغلة الجزائريين كانوا يتطوعون إرضاء لآبائهم لإحضار المجندين على نفقتهم.[3]

و يعد توجه حكام إيالة الجزائر إلى الأناضول للتجنيد، الذي كان لا يتم إلا بموافقة السلطان، صورة من صور تبعيتها السياسية للباب العالي، حتى بعد استقلالها الإسمي، لأن قوة الأوجاق تكمن في تزايد عدد المجندين من الأراضي العثمانية ، و توقف التجنيد يعني زوال قوة وهيبة الإيالة ، وهذه التبعية كانت فعلية رغم ما قيل عن استقلال الجزائر عن الباب العالي، وكانت عملية التجنيد ورقة ضغط في يد السلطان للإبقاء على هذه التبعية**. إلا أن هذه التبعية في التجنيد لم تمنع إنكشارية الجزائر من الإحساس بأنهم يمثلون جيشا وطنيا ويؤمنون بانتمائهم إلى الجزائر أكثر من انتمائهم

* الأوجاق كلمة تركية تعني النادي كما تعني الأوطه أي الموقد ... أنظر: علي، خلاصي .العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر، الجزائر، المتحف المركزي للجيش، 1985 م، ص،25.

1- Jean- Michel De Venture de, Tunis et Alger…….. p160.

2- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص،ص، 17-18

3- خوجة حمدان بن عثمان، المصدر السابق، ص،155

**وهو ما أبرزته العديد من الوقائع التاريخية منها، أمر السلطان أحمد الثالث(1703 م- 1730م)، سنة 1729م، بقطع الدعم العسكري عن الجزائر وتوقيف عملية التجنيد من الأناضول، بسبب عصيان الداي "عبدي باشا" لأمر السلطان القاضي بالتوقف عن الاعتداء على السفن المجرية، وانتهى الأمر إلى إجبار حكام الجزائر على احترام قرار الباب العالي. انظر جميلة معاشي، المرجع السابق، ص،ص، 17-18.

إلى الباب العالي، وهو ما جاء في وصف البحار الأمريكي"***JOHN FOSS***" لإنكشارية الجزائر بقوله" :أنهم منضبطون ويعتبرون أنفسهم منظمة عسكرية ذات طابع وطني"

Ils sont disciplinés et se sentent représentant d'une organisation militaire a Caractère national.

سيطرة الإنكشارية على الحكم في الجزائر:

كانت الجزائر على رأس الولايات العربية التي وصل فيها الإنكشارية إلى أعلى الهرم السلطوي، فقد استولى الجيش على الحكم في الجزائر تدريجيا وبالقوة، إلى أن تمت السيطرة المطلقة للإنكشارية على الحكم في الجزائر في سنة 1070هـ/ 1659م* بعد صراعات طويلة بين رجال الطائفة والإنكشارية دامت طوال فترة البايلربايات 953هـ- 996هـ / 1546 م-1587م، تمكن آغا الإنكشارية من التغلغل في السلطة والمشاركة في الحكم إلى جانب الباشا الذي كان يرسل من طرف الباب العالي، وهو ما عرف بالحكم الثنائي و كان ذلك في عهد الباشوات 996هـ-1070هـ/1587م-1659م قبل أن ينفرد العسكريون بحكم الجزائر سنة 1070هـ/ 1659م، وتنقسم فترة الحكم العسكري في الجزائر إلى مرحلتين مرحلة أو حكم الآغوات 1070هـ-1082هـ/1659م- 1671م، ومرحلة أوحكم مرحلة الدايات 1082هـ1246هـ/1671م- 1830م.*[1]

يعد الحاج علي أغا 1076هـ1082هـ/1665م-1671م،حسب عبد الرحمان الجيلالي في كتابه "**تاريخ الجزائر العام**" أول من جمع بين السلطتين العسكرية والسياسية في الجزائر، إذ أعطي له التصرف المطلق في مالية الدولة التي اتخذت صفة الجمهورية

* يعد النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي ، فترة السيطرة العسكرية في معظم الولايات العربية العثمانية، وإن لم يعرف الحكم العسكري في المشرق نفس النجاح والاستمرارية التي عرفها في الجزائر. جميلة معاشي، المرجع السابق، ص، 37..

[1]- جميلة معاشي، المرجع نفسه، ص، 37.

* للمزيد ايضا في هذا المجال انظر شالر وليام، المصدر السابق، ص،45. و جميلة معاشي، المرجع السابق، ص، ص،37-38، و كذا خليفة حماش، العلاقات بين ايالة الجزائر.....ص،ص،65-66.

العسكرية، وبمقتل هذا الأخير رفض الجميع التقدم لهذا المنصب الذي أصبح على حد قوله « الجالس على كرسيه فكأنه تبوأ (الكرسي الكهربائي) وذلك من حيث فشو (تفشي) القتل والاغتيالات في أكثر الباشوات، بل وكل الآغوات بالجزائر....».[1]

رغم انتماء الداي في أغلب الأحيان إلى سلك الانكشارية، إلا أنً كان جميعهم من الإنكشارية باستثناء الأربعة الأوائل الذين كانوا من رجال الطائفة، فإنه لم يحظ بالثقة التامة من طرف هذه الهيأة العسكرية، فجعلت له شريكا في الحكم وهو الآغا، القائد الأعلى للإنكشارية ، الذي أصبح زيادة على نفوذه العسكري، يشارك الباشا في جميع القرارات السياسية المتخذة بالبلاد، حتى أن اسمه كان يظهر إلى جانب اسم الباشا في التوقيع على المعاهدات الدولية 119 ، وبالتالي أصبحت الإنكشارية تمثل ثاني قوة رئيسية في الجزائر بعد الباشا، الذي كان في أغلب الأحيان وسيلة في يدها أو ضحية من ضحاياها.[2]

والواقع أن كل الوظائف السامية، العسكرية والإدارية وحتى الاقتصادية كانت تسند إلى الإنكشاري ، الذي تبدأ مهامه عسكرية وتنتهي في الإدارة والسياسة، نذكر منها وكيل الخرج* و الخزناجي**، بالإضافة الى كل من خوجة الخيل***[3]و الآغا****. وكل هذه الشخصيات الأربع تمثل السلطة الاستشارية في الدولة. و عادة في الإدارة العثمانية؛أنه" إذا مات الأمير (الداي) تولى مكانه الخزناجي والآغا يتولى خزناجيا".*****[4]

---

[1]- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج 3، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الطبعة 7، الجزائر، 1997، ص،185 .

[2]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص، 38..

*وهو المكلف بالأسلحة والمسؤول عن الشؤون العسكرية برا وبحرا، كما كان يمثل المقتصد بالنسبة للفرق العسكرية.

** وهو بمثابة وزير المالية في الدولة الحديثة.

[3]- خليفة حماش العلاقات بين ايالة الجزائر.....ص، 65.

***وهو المكلف بإدارة أملاك الدولة وعلى رأسها الخيل باعتبارها الوسيلة الأساسية للنقل في تلك الفترة وهو الذي يقوم بمراقبة وبيع الضرائب العينية وإيداع العوائد في الخزينة الرئيسية.

**** وهو القائد الأعلى للجيش والمكلف بشؤون الإنكشارية الاقتصادية والعسكرية.

[4]- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للتوزيع، الطبعة 2، 1980، ص،130.

***** للمزيد و للاطلاع عن هذه الوظائف، وضائف اخرى كقايد الطاسة و حامل ايناء الوضوء مثلا انظر كل من مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص،ص،82-88-130. و جميلة معاشي، المرجع السابق، ص،ص،38-40.و خليفة حماش العلاقات .....ص،ص،65.

لقد اتفقت معظم المصادر على أن طبيعة الحكم العثماني في الجزائر كان جمهوريا عسكريا، وبالتالي فإن جميع الحكام ينحدرون من المؤسسة العسكرية، سواء كانوا دايات و بايات، أو غيرهم من الموظفين السامين في الدولة.[1]*

بالنسبة لوضعية الانكشارية في الجزائر؛ تتمركز قوات الإنكشارية كما سبق ذكره بمدينة الجزائر، ومنها يتم توزيعها على الحدود وداخل البلاد على شكل فرق عسكرية متنقلة عرفت ب."الحاميات"، وتتكون من عدد من" الصفوات" – كتائب– يتم توزيعها على المدن والقلاع المختلفة، وذلك حسب الحاجة، فبعض المدن كانت في حاجة إلى عدد من الصفوات أكبر من غيرها، فمستغانم وتلمسان و وهران مثلا كانت أكثر المدن الغربية في حاجة إلى الحماية، لأنها كانت معرضة للخطر المغربي من جهة والخطر الإسباني من جهة أخرى، وهو ما يستوجب توفير عدد كبير من القوات العسكرية لحماية الأمن بها، وكذلك قسنطينة وبسكرة، اللتان تحيط بهما القبائل العربية المتمردة، في حين لا تحتاج بعض المدن الأخرى إلى أكثر من صفوة أو صفوتين لتمثيل السلطة المركزية أو الإشراف على جباية الضرائب، منها مدينة (القل وجيجل وحمزة (البويرة.))، وغيرها من المدن التي لم تكن تشكل بؤر توتر بالإيالة، أما المناطق الجبلية و النائية فهي مستعصية على السلطة المركزية لذا كانت تترك لحماية القادة المحليين.[2]

تمثل الحامية العسكرية وسيلة القوة الوحيدة التي كانت السلطة العثمانية تعتمد عليها في بسط نفوذها داخل البلاد، وكانت لا تلتجئ إليها إلا عند الضرورة، ومهمتها تدعيم الحكم التركي في هذه المناطق بجمع الضرائب من القبائل المستعصية وإخماد الثورات الداخلية، و العمل في الحاميات إجباري ولا أحد يستطيع التنصل منه ويدوم سنة

---

* أنظر كل من وليام شالر، المصدر السابق،ص 49، Laugier , de Tassy. Histoire du royaume d'Alger, Paris, Ed, loysel, 1992, p ,206. و غيرهم.

-1 Laugier , de Tassy. Ibid,p,p,138-206.

-2 جميلة معاشي، المرجع السابق، ص،48.

واحدة [1]، إلا أن الاغتناء السهل من العمل ضمن الحامية كان يشجع الإنكشاري على تفضيل الخروج مع الحامية على البقاء بمدينة الجزائر.[2]

تنظيم و تكوين الجيش :

كان الجيش في الجزائر مثل الجيش في الدولة العثمانية قائما على دعامتين او بالأحرى كما ذكر شويتام بانه يتشكل من قسمين أساسيين هما: **الجيش النظامي المعروف بالانكشاري**، و المتمثل في فرق الوجاق، تتقدمها فرق الانكشارية التي تنقسم الى كتائب و فرق و وحدات و فصائل[3]، و هذا القسم من الجيش يتوزع الى فرق المشاة و المدفعية (الطوبجية)، فكل افراده مجندين من الولايات العثمانية المشرقية، وانظم اليهم فيها بعد المولدون او الكراغلة. اما القسم الثاني الأكبر[4]، و هو الدعامة الثانية فيتمثل في الجيش الاحتياطي، ويتمثل في عشائر المخزن الشبيهة بالجيش الاقطاعي في الدولة العثمانية، و كذا البحرية التي كانت تشكل جانبا مهما و مميزا في الاسطول الحربي الجزائري، او بالأحرى قوة الجزائر العسكرية[5]، فهو يتشكل من المحليين أساسا، اذ يتكون من فرق الزمالة و الدواير و العبيد و المكحلية كفرق التروارة و الكراغلة و قبائل المخزن، فكانت المؤسسة العسكرية تشكل العمود الفقري الذي يقوم عليه الحكم العثماني في الجزائر[6]. و الجدير بالذكر أن أفراد هذه الفرق كانوا يضعون انفسهم تحت السلطة كلما كانت بحاجة الى خدماتهم.*[7]

1- Albert Devoulx, Tachrifat……p,30. Voir aussi , Thomas Shaw, L'Algérie un siècle avant l'occupation Française au XVIIIeme,Paris,1968,p,90 p,312. Et Venture De Paradis, Op,Cit,p, 166.

2- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص،48.

3- جميلة معاشي، المرجع نفسه.

4- ارزقي شويتام، دراسات و وثائق في تاريخ الجزائر العسكري، الفترة العثمانية،1519م -1830م،دار الكتاب العربي، 2016،ص،14.

5- ميمن داود، المرجع السابق، ص،27.

6- علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط،2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2013، ص، 234

7- ارزقي شويتام، المرجع السابق،ص،14.

* للمزيد عن تكوين الجيش جزائري في العهد العثماني انظر كل من أرزقي شويتام، المرجع نفسه، ص، ص،11-22. و علي خلاصي، الجيش الجزائري.....ص،ص،234-247.

لقد جعل هذا التنظيم العسكري العديد من المؤرخين والباحثين يطلقون على الجزائر اسم الجمهورية العسكرية، لأن الجيش بشقيه كان أساس قوة الدولة الجزائرية، و مصدر كل أحداثها في جميع النواحي، و بالمقابل فقد كان ضعفه سببا مباشرا في تدهورها و وقوعها تحت نير الاستعمار الفرنسي[1]، كما أنً هذا الجيش الفتي قد ساهم في إرساء دعائم الوحدة الوطنية خاصة في فترة حكم البيلاربايات ، بالقضاء على التمرد والانشقاق الذي كان الطابع المميز للجزائريين ، كما ساهم في تحرير أغلب المدن الساحلية من ايدي الاسبان، ووضع حدا لتهور السلاطين المغاربة و بايات تونس، كما شارك إلى جانب الأسطول الأم في معاركه البحرية ضد الأوروبيين مما أكسبه هيبة دولية.[2]

يتوزع الجيش الجزائري كما اسلفنا سابقا الى قسمين رئيسيين؛ الجيش النظامي و الجيش غير النظامي(الاحتياطي).

- **الجيش النظامي:**

لقد أدى الجيش البري النظامي الدور الفعال في تثبيت أركان الدولة الجزائرية بفضل قوة الجيش الانكشاري الذي كان يمثل عماد النظام العسكري ككل باعتباره هو من يحدد سياسة الدولة الداخلية و الخارجية، وقد ساعدته في ذلك بعض الفرق الأخرى كالسباهية (الفرسان) و المدفعية(الطوبجية.)

عرف الجيش النظامي أو الجيش المحترف في الدولة العثمانية باسم" قبوقولي عسكر لري" أي جنود الدولة ذوي المعاشات أو الاوجاق، و كان هذا الجيش مقسما إلى قسمين، عرف احدهما باسم يايا أي (المشاة)، و عرف القسم الثاني باسم آتلى معاشلى عسكر لرى (أي الفرسان ذوي المعاشات)، وكان كل قسم يتكون من عدة فرق.[3]

---

[1]- ميمن داود، الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية (1515م-1830) تنظيمه وعدته، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة بزريعة2، معهد الاثار،.2015- 2016،ص،24.

[2]- ميمن داود، المرجع نفسه، ص،27.

[3]- حماش ابراهيم خليفة، العلاقات بين الإيالة الجزائرية.....ص،ص،92-93.

من الملاحظ ان جيش الجزائر النظامي*، كان يتشكل من نفس النمط العثماني، إلا أنه لم يكن يوجد من القسم الاول منه (المشاة) سوى فرقتين هما؛ يكيجري لوجاغى (أي الفرقة الانكشارية) و طوبجى لوجاغى(أي الطوبجية أو رجال المدفعية).أما القسم الثاني فلم يكن يوجد منه سوى فرقة سباه (الفرسان)[1]، بمعنى أنً الجيش النظامي يتمثل في فرق الانكشارية **Troupes de Janissaires** ، إضافة الى فرق الصبايحية او السبايهية **Troupes des Spahi** و المدفعية (الطوبجية)[2] *، و ينقسم إلى قسمين البري و البحري.

و الجيش هو المؤسسة العسكرية ؛ بفرعيه البري و البحري، يعد احدى الركائز الاساسية التي جعلت من الجزائر دولة قوية، تفرض وجودها في عالم البحر المتوسط ، لما كان فيه التنافس الدولي بمختلف اشكاله على اشده. فقد كانت الجزائر منذ ظهورها كقوة في البحر المتوسط، في مطلع القرن العاشر الهجري الموافق للقرن 16 الميلادي، محل اطماع الدول الأوروبية التي كانت تسعى الى الحصول على بعض الامتيازات في سواحلها و استغلال ثرواتها و اقتصادها من التجارة الخارجية، و كلما فشلت في تحقيق أغراضها قامت بشن حملات عسكرية ضدها بحجة القضاء على القضية.[3]

نشير ان النواة الاولى للجيش الجزائري في البداية كانت بمثابة قاعدة لتشكيل الجيش الجزائري، الذي حافظ على صمود الدولة الجزائرية الحديثة أزيد من ثلاثة قرون من الزمن(925هـ1046هـ/1519م-1830م).

---

* للتوسع اكثر عن الجيش النظامي في الجزائر انظر ميمن داود، الجيش الجزائري.....ص،ص،27-67.

[1]- حماش ابراهيم خليفة، العلاقات بين الإيالة الجزائرية.....ص،93.

* للمزيد و التوسع في مجال الفرق الانكشارية و الصبايحية و المدفعية في الجزائر انظر كل من علي خلاصي، الجيش الجزائري..... ص، ص،245-247.

[2]- ميمن داود، الجيش الجزائري.....ص،ص،27-67.

[3]- ارزقي شويتام، المرجع السابق،ص،3.

- الجيش البري الجزائري: 925هـ1046هـ/1519م –1830م:

يتمثل الجيش الجزائري في كل من الجيش الانكشاري(الوجاق أو الاوجاق) و فرق الطوبجية(او المدفعية)؛ والتي أدت دورا بارزا في حسم العديد من المعارك التي خاضها الجيش الجزائري في البر و البحر، وقد اعتمدت الجزائر على هذه الفرقة في الدفاع عن سواحلها التي كانت معرضة باستمرار لهجمات الأساطيل الأوروبية، حيث توزعت على شكل وحدات في بروج بانية وأسوار و حصون وقلاع وموانئ ومتاريس و طبخانات، بالإضافة الى السباهية (الفرسان)وبعض الفرق الصغيرة الاخرى من حيث الأصل وكيفية التجنيد والرتب العسكرية.[1]

أصبحت الجزائر تجند جنودها من الاراضي العثمانية، فكلما كانت البلاد بحاجة الى جنود جدد، ترسل بعثات الى المشرق لتتولى مهمة التجنيد، كما للجزائر مجموعة من الوكلاء في مختلف الموانئ المشرقية لنفس الغرض. وحول قضية التجنيد هذه ذكر احد الدارسين:« ان الجزائر كانت تملك مركزا بازمير يطلق عليه (خان) ويتكون من عدد الغرف بعضها ارضي و الاخر علوي و فيه مسجد و مخازن، ويشرف على ادارته وكيل يعينه الباشا في الجزائر و يسمى باش دائي او سر دايي، و يعمل تحت اوامره عدد من الموظفين[2]*، و كانوا فكانوا يجندون الجنود من الولايات العثمانية الاوروبية، الا ان النسبة الكبيرة كانت تأتي من الاناضول.[3]

أما عن العدد الاجمالي للقوات البشرية، فانه يختلف من مصدر الى اخر و من فترة الى اخرى. فالأرقام القريبة من الحقيقة هي تلك الواردة في مصادر العقود الثلاثة الاخيرة من الحكم العثماني. وقد ورد في تقرير الضابط الفرنسي هولن **HULIN** الذي حل بالجزائر

---

[1]- ميمن داود، الجيش الجزائري.....ص،24.

* يعرف كل واحد منهم باسم دائي او دايي. وقد كان الوكلاء في العهود الأولى لا يقيدون في سجلات التجنيد و سمعة حسنة، و قدرة عالية على حمل السلاح. ارزقي شويتام ، المرجع السابق، ص،ص،12- 13.

[2]- ارزقي شويتام ، المرجع نفسه،ص،ص،12- 13.

[3]- ارزقي شويتام ، نفسه.

في سنة 1217هـ/ 1802م، ان القوات البرية الجزائرية كانت تقدر ب 14 الف جندي تركي و كوغلي و 03 الى 04 الاف فارس عربي، و50 الى 60 الف من اهالي المدن و الارياف. اما القنصل الفرنسي في الجزائر السيد تانفيل **THAINVILLE** . فقد قدر القوات الجزائرية في نفس الفترة الى 16 الف جندي بين عثماني و كوغلي،ولاحظ ان عددا من هؤلاء الاجناد كانوا مسنين، غير قادرين على الاستمرار في سلك الجندية، وهناك فرق من المدفعية، قليلة العدد، المشكلة من عنصر الزواوة، أما الفرسان فكلهم من الاهالي وعددهم كبير الا أنه غير مستقر .[1]

قدر الضابط الفرنسي بوتان من جهته في سنة 1223هـ/1808م القوات البرية الجزائرية بـ 15 الف جندي منهم 10الاف عثماني و 5 الاف كوغلي و زواوي، ومن هؤلاء الاجناد ترسل الايالة 5 الاف جندي من الحاميات العسكرية الموزعة عبر البلاد، ولم يبق في مدينة الجزائر الا 10 الاف جندي. اما عدد الفرسان، فانه من الصعب تقديره، ففي ظروف الحرب كانت القبائل الخاضعة توفر عددا منهم.[2]

لم يقتصر الامر بالنسبة للمنتمين للجيش النظامي الجزائري في العصر الحديث على ابناء الانكشاريين العثمانيين الذين ينتمون لمدينة الجزائر، فقد أظهرت الوثائق الرسمية أسماء العديد من ابناء المدن الداخلية مثل عنابة وقسنطينة و جيجل و بجاية والقليعة و البليدة و شرشال و المدية و مليانة و مستغانم و تلمسان...*[3]،والملاحظ أنً الحكام العثمانيون في الجزائر**، سجلوا جميع الممتلكات و العقارات بعقود شرعية مثل العقود

---

[1]- نفسه، ص،ص،14- 15.

[2]- ارزقي شويتام ، المرجع السابق، ص،15.

[3]- علي خلاصي، الجيش الجزائري.....ص،238.

* تشير التقارير العديدة الى ان جيش رمضان باشا كان في سنة هـ/1576م يضم الفا من الكراغلة في الجيش النظامي، قد كان سنة هـ/1620م موزعا على وحدات منفصلة. زد على ذلك النشاط العسكري الذي يقوم به الجندي حسب القواعد العسكرية، كان يقضي اوقات فراغه وراحته في مزاولة حرفته و هوايته الاولى، فشاركوا في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بشكل ملحوظ ففي النشاط التجاري نجد الخياطة و صناعة الأحذية و الحلاقة و الحيكة وصناعة اجهزة الخيل و اجزاء الاسلحة وصناعات التعدين مثل صناعة الخناجر و السيوف و النحاس، وبصورة عامة فقد زاولوا ما يزيد عن الثلاثين حرفة برعوا فيها بل و تقلدوا امانة بعضها مثل امانة البابوجية و أمانة الخياطين. انظر علي خلاصي، الجيش الجزائري...ص،ص،238- 239.

** يذكر خلاصي ان الحكام العثمانيون في الجزائر كانوا ملزمون بتطبيق جميع القوانين على سير دواليب الحكم، ويعاقبون لأدنى خروقات للقانون. انظر خلاصي علي، الجيش الجزائري.....ص،241.

المتعلقة ، بالاستحكامات الخاصة ببناء بروج و تحصينات داخل و خارج المدن، أو بتناول بعض الحكام و الضباط او الجنود عن محلات تجارية أو مساكن لفائدة الجيش و خاصة لترميم وصيانة التحصينات و تموين القائمين عليها، أو المتعلقة بنزع الملكية للفائدة العامة و للصالح العام، كإنشاء مصانع للبارود مقابل التنازل لأصحابها على عقارات خاصة بالدايات او الضباط.[1]

بوصول المنخرطين و المجندين الجدد إلى ميناء مدينة الجزائر، يدمجون في ثكنات الجزائر والمسماة بدار كنتشري **Dar-jenitchérie** أو**Jekichérie** عند الجزائريين أو كما يسميها الأوروبيون **Cacheries**، والمصنفة إلى عدة غرف تحتوي مجموعة من الجند الانكشاري الجديد **Yeni -Yoladach** أو يولداش جدد، يخضعون للتجارب و التدريبات العسكرية وتلقين القوانين الانضباطية، ويقوم بخدمتهم أسرى مسيحيين من هدايا البايلك.[2]*

من هنا فان الجيش النظامي في الجزائر المتكون من وحدات الجيش الانكشاري، وفرق المدفعية و السباهية ، لم تكن تضم في صفوفها إلا العناصر العثمانية المتطوعة من الأقاليم المحاذية لإسطنبول دون السكان المحليين، بفضل نظام الدوشرمة الذي اقره الحكام في الباب العالي لتنظيم التجنيد في صفوف الجيش الانكشاري، حيث كان يضم في بدايته أحسن العناصر التي كانت تملك مؤهلات جيدة وأخلاق حسنة . لكن مع

---

[1]- خلاصي علي، الجيش الجزائري.....ص،241.

*عن مصطلح يني يولداش فقد اختلف المؤرخون الذين عاصروا الفترة و المعاصرون في كتابة هذا المصطلح حسب الاستاذ حشرود فـHaedo، ذكرها و كتبها ب youldachi و الرحالة peyssonnel،بـــldach أو Youldas أما في كتابات Jean- Michel De Venture de Paradis، فلقد كتبها بـــ yoldach وأضاف لهذه الرتبة العسكرية صفة الجديد ب يني yeni، والتمرس والتدرب و الأقدمية في الخدمة العسكرية في مدة زمنية بإسكي ESKI، الأداة في حين منح الأستاذ خليفة حماش للكلمة أو المصطلح المعنى التناسقي، العسكري الوظيفي، فشرح كلمة يني :yeni وتعنى الجديد أو الحديث و كلمة youldach، يولداش مركبة من يول YOL ، وتعني الطريق أو الدرب ثم أداة داش DACH، وتعنى الجديد أو الحديث و كلمة youldach يولداش مركبة من يول YOL وتعني الطريق أو الدرب ثم أداة داش DACH التي تستعمل لاشتقاق أسماء المشاركة و تعني الرفيق . لمزيد من التفاصيل أنظر كل من حسان كشرود، حسان كشرود، رواتب الجند و عامة الموظفين و اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية 1659- 1830م، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة منتوري ، قسنطينة،2007 م-2008م،ص،ص،50-52.و خليفة حماش، أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ و الحضارة الإسلامية ، تحية و تقدير للأستاذ خليل الساحلي، أغلو، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ،ج 1 ، زغوان 1997 ،ص،ص، 152-153.

[2]- حسان كشرود، المرجع السابق، ص، 50.

مرور الوقت أصبح لا يعتمد على هذا المعيار مما أعطى الفرصة للمنحرفين والمتسولين والمجرمين للانضمام إليه والذين يتم تجنيدهم من شواطئ ايجة وجبال أرمينيا وشواطئ البحر الأسود، مما ساهم في خلق البلبلة والفوضى وظهور تمرد للجيش في الجزائر[1].

أما عن نظام الترقية في صفوف الجيش الانكشاري في الجزائر؛ فقد كان لا يختلف كثيرا عن مثيله في اسطنبول فبوصول الجندي المتطوع إلى الجزائر يتم تسجيله في سجل الجند ، وتمنح له رتبة جندي جديد" يني يولداش"ثم يتم توزيعه رفقة المتطوعين الآخرين على وحدات عسكرية يطلق عليها اسم أورته وتعطى لهم أرقاما تسلسلية من واحد إلى أربعمائة وعشرين، وهو عدد وحدات الجيش الانكشاري في الجزائر، لقد كان بعضهم يقيم داخل ثمانية معسكرات يطلق عليها" دار الانكشارية" ، كما يوجه الآخرون إلى مختلف النوبات والحاميات المنتشرة في البايلكات الثلاث، ووفقا لقانون السلطان العثماني **مراد الأول**، فتح لهؤلاء الجنود أبواب الترقي في الرتب حيث جعل النظام الداخلي من الأقدمية في الخدمة المقياس الوحيد للترقية يمنح للجندي بمقتضاه رتبته العسكرية أو يستغني عنها لأنه كان له حق التصرف فيها.[2]

---

[1]- ميمن داود ،الجيش.....ص،55.

[2]- ميمن داود ،الجيش.....ص،ص،55-56.

الفصل الثاني

العمارة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني

أولا : التحصينات الدفاعية لبياليك الجزائر

ثانيا : أسس و مميزات العمارة العثمانية الدفاعية في الجزائر في العهد التركي

العمارة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني:

أولا: التحصينات الدفاعية لبياليك الجزائر:

ظلّ الشمال الإفريقي « **القاعدة الرئيسة للنفوذ العثماني**[1]»، على حد تعبير نيقولاي إيفانوف ، ففي الجزائر، أخضع العثمانيون كل الساحل الافريقي، الذي شكلت مدنه انطلاقا لعمليات الجهاد البحري للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط، و قد ركّز عليه الإسبان لهدف احتلال المدن الساحلية و تحويلها إلى قواعد، للتوغل في الداخل من جهة أخرى ، لأنها كانت تشكل للوجود العثماني بالبحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا قواعد دفاعية، و لدورها التجاري والاقتصادي.[2]

بإشراف العثمانيين على كل هذه المناطق البحرية، ومن جهات متعددة تمكنوا من الربط بين جميع ممتلكاتهم البرية والبحرية سواء في القارة الأفريقية، أو القارة الآسيوية، أو القارة الأوربية. إلا أن الدفاع عن كل هذه الممتلكات كان يتطلب تحقيق إحدى الأولويات الاستراتيجية و التي تتعلق بضرورة بناء أسطول بحري قادر على المواجهة البحرية والعسكرية للقوى المسيحية الأوربية . النقيض الحضاري والاستراتيجي للدولة العثمانية . خصوصاً وأن هذه القوى كانت لها حدود مشتركة مع العثمانيين، وتحديداً بالبحر الأبيض المتوسط، الذي شهد أعنف الحروب بين التحالف المسيحي (إسبانيا والنمسا والبندقية وجنوة) والدولة العثمانية.[3]

تميز نظام الدولة الجزائرية الدفاعي، خلال فترة الحكم العثماني بعنصرين مهمين أساسيين، اذ تمحور العنصر الأول منه في الجانب المادي، و فيه مجموعة من

---

[1]- نيقولاي إيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516 - 1574 م)، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، مراجعة مسعود ظاهر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1988، ص، 200.

[2]- نيقولاي إيفانوف ، المرجع نفسه.

[3]- نفسه.

الاستحكامات العسكرية الخاصة ببناء الحصون و الأسوار، و ما يتخللها من أبراج و طبخانات و أبواب موزعة بصفة منتظمة و متقنة، مدعمة بسلسلة من المدافع. بينما الجانب الثاني منه فيضم العنصر البشري و يتمثل في مجموعة من الوحدات العسكرية عرفت "بالحاميات" التي لعبت دورا بارزا في الأحداث السياسية و العسكرية لمدينة الجزائر خاصة و الجزائر عامة برا و بحرا.[1]

هكذا شهد الجانب العسكري تطورا كبيرا، تجلى ذلك في المنشآت العسكرية الدفاعية ممثلة في العديد من الاستحكامات العسكرية كالأبراج، الأسوار، الأبواب الخنادق و الطبانات ، و التي لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على أمن و سلامة المدن الجزائرية التي كانت تابعة لها خلال الفترة العثمانية.[2]

بمجرد دخول العثمانيين الى الجزائر، بدأوا في حركتهم المعمارية، وكان تحصين المدن التي استقروا فيها بالقلاع و الأبراج و الأسوار، المدعمة ببطاريات أو الطبانات و المدفعيات من اولويتهم، واستمر ذلك الى سنة 1246هـ/1830م سنة دخول الفرنسيين الى الجزائر[3]، و كان الهدف من التحصين على جبهتين، داخلية و خارجية، فالأولى تخص مواجهة الثورات المحلية، والثانية مست جانب صد غارات العدوان الخارجي،و ذلك بإنشاء العديد من المستحكمات الدفاعية التي تنوعت ما بين الأسوار، القلاع، الحصون الأبراج و الأبواب.[4]

---

[1]- عناد جويدة، المرجع السابق، ص،66.

[2]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية 1515م-1830م، دراسة أثرية معمارية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، جامعة أبو القاسم سعد الله، معهد الآثار،2014-2015،ص، 80.

[3]- Ben Hamouche Mustapha, Dar Es sultan, l'Algérois à l'époque ottomane,-Gestion urbaine et aménagement du territoire, Dar El Bassair, 1er éd, 2009,p,3.

[4]- بن شامة سعاد، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري في العهد العثماني، شرشال - البليدة - القليعة ، ومظاهر التمدن الاندلسي فيها – وصفية تحليلية - انموذجية- اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة بزريعة2، معهد الاثار،2015-2016 ، ص،4.

و يبدو من خلال الملاحظة الميدانية ان هذه التحصينات منها ما هو قائم الى يومنا هذا، و هناك من التحصينات لم يبق منها الا القليل و هناك المندثرة نهائيا.[1]

من الأساليب التي استعملها حكام الجزائر في فرض نفوذهم، استخدام سياسة دفاعية محكمة و أساليب عسكرية متطورة، تمثلت في اقامة شبكة دفاعية تمس أغلب المناطق الاستراتيجية الحساسة بالجزائر، بدءا بمنطقة القبائل الجبلية القاطنة ببلاد القبائل، لتظل بعيدة عن المناطق السهلية حيث تنتشر مزارع البايلك[2]. كما يعد اكتشاف المدفع في القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي, حدثا تاريخيا في العمارة العسكرية وتحولًا خطيرا في تاريخ البشرية[3]. و من هذا المنطلق جاءت جملة الاستعدادات ومن بينيا الاستحكامات العسكرية التي أنشأت لغرض دفاعي بالدرجة الأولى.[4]

و من المنجزات العثمانية في الجزائر مينؤها الذي ربط الجزر فيما بينها في بناء دائري يصعب اقتحامه، مما وفر للمجاهدين قاعدة متينة. أما منطقة القبائل؛ فقد تمثلت الشبكة الدفاعية في مجموعة من الحصون عبارة عن حلقة محكمة تطوق بلاد القبائل (غربا، شرقا، شمالا وجنوبا).

بالنسبة لمدينة بجاية مثلا؛ الملاحظ ان العثمانيين امتلكوا واستَخدموا المباني العسكرية التي شيدها الاسبان كمستحكمات عسكرية لغرض الدفاع و الحماية ، في حين فإن

---

[1]- بن شامة سعاد، المرجع السابق، ص،4.

[2]- سعيدوني نصر الدين،**"الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل"** ،السلسلة العاشرة كتب تقديرية لبعض الاعلام الدوليين رقم 11،تحية تقدير لأندريريمون،الجزء2،المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، تونس، آوت،2004 ،ص، 191.

[3]- عثمان مفتاح، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،25.

[4]- بلبوات بن عتو، المدينة والريف، ج2 ، سلسلة دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكبة العلوم، الجزائر، 2016، ص المدينة و الريف، ص، ص،112-113.

مدينة الجزائر؛ قد اعادوا بناءها من جديد و طوروا نظامها الدفاعي كليا[1]. و بالنسبة لمدينة شرشال، فكانت إحدى المدن التي قام القائد عروج بتحصينها ، و من جهة ثانية بُني بها مصنعاً للعتاد الحربي، وفي السياق نفسه يجب عدم إغفال الأدوار التي أدَّتها المدن الأخرى كبجاية و تلمسان. وهذا ما يفسر الصراع العنيف الذي كانت تشهده كل من هذه المدن بين الأتراك العثمانيين والإسبان ولفترة زمنية طويلة.[2]

أمام هذا الاضطرابات و التوترات بين دول المغرب الإسلامي، استغل العدو الخارجي الغير المنتظر وهم الإسبان هذه الظروف، فقاموا باحتلال أغلب المدن الساحلية لبلاد المغرب العربي الأوسط كعنابة، بجاية، أرزو و وهران،هذه الأخيرة التي مكث بها الإسبان أكثر من ثلاث قرون فأنشأوا بها قلاع وحصون جديدة تتماشي و الوضع الجديد و التطور الحربي[3], ثم حاول الإسبان احتلال مدينة الجزائر وذلك بإقامة حصن على الجزر المقابلة للمدينة علي بعد **300** م و المسمى بـ "حصن البنيون" لتهديد الأهالي بالقصف و إرغامهم عنوة قصد تسليمها.[4]

عرفت الجزائر سياسة عمرانية دفاعية جديدة، وتطور حربي سواء من الناحية التحصينية أو من ناحية تطور الأنظمة الحربية والأسلحة، بعد دخول العثمانيين الجزائر، فأول ما فكروا فيه بعد استقرارهم بها ؛ البحث عن سبل و طرق الدفاع و ضمان الحماية داخل مختلف المدن التابعة لهم، و لقد كان اقليم الجزائر أول اقليم من أقاليم شمال افريقيا الذي دخل تحت السيادة العثمانية فأصبحت الجزائر ركيزة لحركة جهاد الدولة العثمانية في البحر الابيض المتوسط[5]، بعد طردهم للخطر

---

[1]- بلبوات بن عتو، المرجع السابق،ص،ص،112-113.

[2]- بلبوات بن عتو، المرجع نفسه.

[3]- نفسه،113.

[4]- نفسه.

[5]- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية ، عوامل النصوص و اسباب السقوط،المكتبة العصرية صيدا، بيروت،2007،ص،226.

الإسباني الذي اجتاح المدن الساحلية بدءا ببجاية سنة 918هـ/1512م، ووهران و كذا معسكر...الخ، من جهة و طرد الايطاليين من جيجل*سنة 920هـ/1514م الى دخول مدينة الجزائر سنة 921هـ/1515م،والى نجدة مسلمي الاندلس.[1]

انطلاقا من هذه المقدمة عن أوضاع الجزائر العسكرية، ما يمكن استخلاصه؛ أن حدود الجزائر الشرقية التي كانت غامضة، مقارنة بالجهات الأخرى من الجزائر، كان يتم تعديلها من حين لآخر عن طريق عمل عسكري، أما حدودها الغربية ؛ لم يثبتها سوى النزاعات بين الجزائريين و الاسبان في وهران، والسلطة المغربية في فاس، وفي كلتا الحالتين، واجه الجزائريون هذا التهديد بحزم، فأنشأوا قواعد أساسية تتمثل في مدينة عنابة و مستغانم ثم وهران، على البحر حتى يمكن للإمدادات العسكرية أن تصل بسهولة، ومدينة قسنطينة و تلمسان في الداخل.

عهد العثمانيين بعلاقتهم بالسكان الى قياد يكونون تحت مراقبتهم، وهؤلاء القياد يراسون الجند في المدن التي لها حاميات، و يسهرون على أمن الطرق و جمع الضرائب، و تساعدهم في ذلك قبائل المخزن و الزمالة، و لكي يتم لهم ذلك و لتامين المواصلات بين البياليك ودار السلطان انشؤوا تحصينات و كذا على الطرق السلطانية في كل المدن الساحلية و الداخلية[2]، ما نسميها بالحزام أو النظام الدفاعي المركب من الأبراج و الحصون و الأسوار و الطبخانات...الخ.

- الاستحكامات الدفاعية لدار السلطان و ما حولها:

* كانت أول مدينة يدخلها عروج في المغرب الأ وسط و مد نفوذه نحو مدن الساحل الغربية.

[1]- بن شامة سعاد، المرجع السابق، ص،1.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة و النشر و التوزيع،ط1،2007،ص،163.

من التحصينات الدفاعية التي بناها العثمانيين في مقاطعة دار السلطان نذكر

1- تحصينات مدينة الجزائر :

إنً المخطط الدفاعي لمدينة الجزائر في شكله الكلي، وضع في القرن السادس عشر، و لم تأت القرون التالية الا بتعديلات جزئية، دعت اليها متطلبات الدفاع و تقنياته الحديثة، التي لا طالما فاقت بها الجزائر كبريات مدن البحر الابيض المتوسط آنذاك، و لذلك فهي تستحق اسم المحروسة عن جدارة، نظرا للاستحكامات التي أقامها حكامها خلال ثلاث قرون.[1]

لقد طوروا دفاعاتها بعناية فائقة و جعلوا شهرتها كمؤسسة عسكرية تفوق كل مدن الامبراطورية العثمانية بما في ذلك الاسلام حول نفسها، ففي سنة 1246هـ/ 1830م،كانت هذه الجبهة الدفاعية البحرية بين بولوغين تمنفوست مزودة بحوالي 1743 قطعة مدفعية و العديد من الأبراج و الحصون.[2]

عمل الإخوة عروج و خير الدين بربروس على تزويد مدينة الجزائر، بجملة من المرافق ذات الغرض الدفاعي، المتمثلة في سياج الأسوار كالخنادق وحصنوا مداخلها، غير أنهم لم يكتفوا بتحصين المدينة فقط، بل وجهًوا عنايتهم إلى حماية الثغور و تخوم الدولة بإنشاء سلسلة من الحصون و الابراج و كذا الطبانات، و كانت هذه المرافق الدفاعية مشكلة بصفة دقيقة و موضوعة بمناطق حساسة تستجيب لمبدأ الدفاع عن النفس، كحماية الأرواح كالممتلكات من الاعتداءات الخارجية التي يمكن أن تهدد سلامتها واستقرارها ، بحيث وردت شهادة تؤكد ذلك في تقرير" لانفيدكشي و بوسيو" في سنة988 هـ/1580م، بأن القيام بأي حملة على الجزائر مستقبلا

---

[1]- لخضر درياس، المرجع السابق،ص،107.

[2]- بورويبة رشيد، الجزائر سلسلة " فن وثقافة "، وزارة الإعلام و الثقافة، الجزائر، 1947 ، ص 53.

أصبح أصعب من الفترة التي هاجمها فيها شارلوكان، لأن المدافعين عنها تزايدوا و تحصيناتها أصبحت أكثر متانة.[1]

لعل مازاد من قوة دفاعها، ذلك المظهر الطبيعي للمدينة التي بنيت على سفح جبل، في شكل مثلث قاعدته ملاصقة للبحر و قمته راس الجبل، وتبدو المنازل به متصاعدة في هيئة مدرج يحيط بها سور يتراوح ارتفاعه ما بين اربعين قدما على امتداد الميناء و ثلاثين قدما من جهة البر. و في أعلى المثلث نجد القصبة المسورة هي الاخرى بسور تتخلله فتحات للمدفعية تزيد من القوة النارية للدفاع عن المدينة، يحيط بكل ذلك خندق يتراوح عرضه ما بين ستة عشر(16) الى عشرين(20) قدما.[2]

(الصورة(01))

تأتي في مقدمة هذه التحصينات؛ الأسوار و الحصون الخنادق و الأبراج والثكنات، إلى جانب الطبانات أو الطبخانات، فقد كانوا يعملون كالجسد الواحد للحفاظ على أمن واستقرار المدينة من أي هجومات محتملة خاصة منها البحرية.[3]

(اللوحة(14))

– أسوار مدينة الجزائر:

يعود تاريخ إقامة أسوار مدينة الجزائر إلى الفترة الزيرية، وتحديدا القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تاريخ إنشاء المدينة ،على غرار عدد من المدن الزيرية نتيجة الأوضاع الأمنية السائدة أنداك مثل مدينة أشير، وقد نقل لنا" ابن حوقل " وصفا لتحصينات المدينة بقوله: « **جزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على سيف**

---

[1]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية .....ص،379.

[2]- لخضر درياس، المرجع السابق،ص،107.

[3]- Fray Diego de Haedo , « **Topographie générale d'Alger .....**p,418.

البحر...». وأكّد هذا القول الجغرافي المقدسي بقوله:« **و جزيرة بني مزغناية على ساحل البحر مسورة ».**[1]

كانت هذه الأسوار في بداية القرن العاشر الهجري/16م قائمة، ونستشف ذلك من وصف حسن الوزان للمدينة قبل خمسة سنوات من فتحها من طرف الأتراك بقوله:" ...**شيّدوا (الإسبان) قلعة جميلة كبيرة في جزيرة صغيرة مقابلة تماما للمدينة وقريبة منها، بحيث كانت قذائف المدفعية تصل إلى اليابسة، بل وتمر فوقها من سور إلى سور...**[2]، و يقصد بذلك السور القديم للمدينة والتي يبلغ أقصى امتداد لها نحو الجنوب إلى القصبة البربرية، وهي نفسها التي اخترقها الأتراك من الناحية الغربية حيث باب الوادي في معركتهم مع الإسبان، وتمكنوا على إثر ذلك دخول المدينة سنة 922هـ/1516 م.[3]

استحقت المدينة اسم الجزائر المحروسة،عن جدارة كاملة طوال الفترة العثمانية، وذلك بفضل تلك الاستحكامات المتنوعة الوظائف التي بناها مهندسون وتقنيون ذوي خبرة كبيرة في هندسة العمارة العسكرية، وتطوير النظام الدفاعي للمدينة[4]وهذا ما أكدته الشواهد المعمارية الأثرية التي عرفت أعمال الترميم، نذكر على سبيل المثال؛ حصن 23*، وبرج تامنفوست** و قلعة الجزائر أو القصبة العليا التي تحوي على أروع هندسة معمارية، لأحد مبانيها المتمثلة في دار البارود والفريدة من نوعها في المغرب العربي، وذلك لاشتداد العدوان الأوروبي المسيحي، و بفضل

---

[1]- أبو القاسم بن حوقل النصيبي، المصدر السابق،ص،7.

[2]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص، 38.

[3]- Fray Diego de Haedo , Histoire des Rois d'Alger .....p, 23.

[4]- وليمام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق، عبد القادر زيادية ،دار القصبة للنشر، الجزائر1980،ص،52.

* يعود بناؤه إلى 984 هـ/ 1576 م من طرف رمضان باشا (حكم لمدة ثلاث سنوات ما بين 982 هـ -985 هـ/1574م و 1577 م

** بني بأمر من الباشا إسماعيل من طرف حمدان أغا سنة 1077 هـ/ 1666م.

هذه الاستحكامات الضخمة التي تعتبر كمؤسسة عسكرية، فاقت مدينة الجزائر المدن العثمانية الأخرى.[1]

بالجمال الرائع الذي ميز مدينة الجزائر وعمرانها ، خاصة الاستحكامات القوية من حيث هندستها البنائية، سواء داخل مبانيها أو خارجها، فقد دفعت العديد من الرحالة والجغرافيون الذين زاروها، وكذا الأدباء والكتاب والشعراء الذين يعودون إلى القرن 12 هـ/18م يتغنون بها، كعبد الرحمن الجامعي* في قوله:« **الجزائر والحمد لله دار الجوهر الفرد في الأدب وعلم العقل**....». [2]

و تعرضت أسوار مدينة الجزائر خلال الحكم التركي إلى عدّة تجديدات و إضافات إلى غاية 1246هـ/1830 م. و "خير الدين باشا" اول من باشر بهذه الاضافات و التجديدات[3].و يعد "حسن باشا" أول من جدد أسوارها،و كان ذلك سنة 944 هـ/ 1540م، حيث قام بمد أسوارها القديمة جنوبا إلى غاية القصبة التركية مشكلة أسوارها الخارجية، وفتحت بها أبواب أخرى على رأسها باب الجديد بالسور الشرقية أسفل القصبة.

جددت هذه الأسوار مرة أخرى سنة981هـ/1573م من طرف"أعرب احمد باشا" ، إلاّ أن هذا العمل اقتصر على السور الشرقية للمدينة فقط، حيث توسعت شرقا على حساب ربض باب عزون مع الحفاظ على اتجاه مسارها السابق، وهذه التوسعة في أسوار المدينة باتجاه الجنوب والشرق، جاء نتيجة النمو الديموغرافي السريع وما لحقه من حركة عمرانية كبيرة بالمدينة، أملت على الرعية التوجه إلى

---

[1]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص،52.

*هو أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله الفاسي الشهير بالجامعي ،أديب وكاتب، ولد بفاس سنة 1087هـ، صاحب « قريحة جيدة في نظم الشعر البليغ...» للمزيد انظرعبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث- الجزائر، مدية، مليانة ، دراسات وأبحاث ،ط2، الجزائر، 1972 ،ص،154.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث.....ص،154.

[3]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص، 336.

النمط العمودي في البناء[1]، حسب روزي **Rozet** في قوله:« **عرفت مدينة الجزائر في فترة حكم خير الدين زيادة سكانية بنسبة سريعة، حيث قدّرت سنة 981 هـ/1573 م، بما يفوق 12 ألف نسمة،وكان بها 100 مسجد و34 مستشفى** ».[2]

نشير إلى أن أسوار مدينة الجزائر، قد اتخذت شكلا مثلثا، و قد دُعِّمت بعدد من الأبراج المربعة الشكل[3]، مسلحة بالمدفعية[4]. أما بدنها فقد شيّدت بشكل مائل، وهذا التخطيط فرضه التقدّم في نظام التسلّح عند العدو باستعماله للمدفعية.[5]

يقدّر محيط الأسوار حوالي 3400 خطوة، إذ يبلغ طولها بالواجهة البحرية 1600 خطوة، وفي الجانب البري 1800 خطوة، و قد لعبت دورا كبيرا في تجسيد هذا الشكل الهندسي، فهي تنحدر من أعلى المدينة متخذة اتجاهين متعاكسين إلى غاية مستوى البحر، وقد بلغ طول السور الأول والواقع بناحية باب الوادي حوالي 900 م ويبلغ ارتفاعهما عموما ما بين 11 متر إلى 13 متر[6]، بحيث تكون أكثر سمكا وارتفاعا عند الواجهة البحرية باعتبارها الخط الدفاعي الأول للمدينة، لتعرضها لقصف قوي ومتكرر من طرف مدفعية السفن البحرية المعادية للحكم القائم بالجزائر.[7]

---

[1]- ليليان مسلم، " الجزائر نشأة المدينة وتطورها قبل سنة 1830 "، من كتاب: القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1985 ، ص،23.

[2]- Rozet et Carette , Algérie, Paris,France,1850, p,71.

[3]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence d'Alger, trad, I.M Carthy, 2éme ed, Bouslama Tunis, 1980 , p, 289.

[4]- Peyssonnel et Desfontaines, Voyage dans la régence de Tunis et d'Alger,Tom1,Librairie de Gide ,Paris, 1838 , p,451.

[5]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق،ص،396.

[6]- Henri Klein, Les feuillets d'El Djezair, Ed Chaix,Alger,1937,p,71.

[7]- Boutin, Vincent Yves, Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger par le chef de bataillon Boutin1808, suivie des mémoires sur Alger par le consuls de Kerev 1771,Lib ancienne, honore champion,paris,1927,p,p,32-33.

يتراوح متوسط سمكها ما بين 11 و 12 شبر أي ما يعادل 2.75 م إلى 03 امتار[1]، حيث يقل سمك هيكله بالقسم العلوي من المدينة كلما اتجهنا من الأسفل إلى الأعلى[2]، وذلك للتقليل من ثقلها والزيادة في صمودها، إضافة إلى كون هذه الجهة من المدينة أقل عرضة للخطر، ومحصنة بالمنحدرات الطبيعية، ما ينعكس على عمارتها من حيث السمك والارتفاع، وعلى نوعية الملاحق المعمارية المشكلة لها، وكان سببا في قلة الدفاعات الخارجية لها، التي اقتصرت على برج النجمة وحصن الإمبراطور اللذان شيّدا خارج سور المدينة جنوب القصبة، مقارنة بالجهة السفلية التي هي في عرضة دائمة للخطر الذي يأتيها من البحر، هذا ما انعكس على توزيع النظام الدفاعي للمدينة، حيث تركزت معظم التحصينات بهذه الجهة منها، أما ارتفاعها فقدّر بحوالي 30 شبرا بالجهة البرّية وبـ 40 شبرا بالواجهة البحرية، لكون هذه الأخيرة شيدت على أرضية صخرية مرتفعة، صنعت فارقا بـ10 أشبار.[3]

بنيت جدران السور الدفاعية من مادة الطابية عرضه(من 1 إلى 1.70م)، يعلوه ارتفاع يقدر بـ (1م و 1.32م)، وفتحت في أعلى هذا السور كوات للبنادق كالمدفعية جميعها متساوية في الحجم.[4]

أما عن تقنية بناء اسوار مدينة الجزائر؛ بنيت بمادة الحجارة في الجهة السفلية، بينما بنيت بمادة الآجر في الجهة العلوية، أما عن ارتفاع السور؛ فإنه وصل الى30 قدم عن سطح الأرض و 40 قدما عن مستوى سطح البحر.* [5]

1- Fray Diego De Haedo, Topographie et histoire générale. D'Alger , Traduit de l'espagnol par Dr. Monnereau et A. Berbrugger ,1870,p,p,22-23.

2- Vincent-Yves Boutin, Op.cit., P 192.

3- Fray Diego De Haedo , Topographie et histoire…….. ,P, 23.38 .

4- Vincent-Yves Boutin, Op,Cit.,p,p,,19-34.

5- Laugier de Tassy,Op,Cit,p,175.

* للمزيد عن اسوار مدينة الجزائر انظر علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر...، ص،29.و ايضا الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص، 42. و عن مسار أسوار مدينة الجزائر في العهد العثماني راجع كل من ألبارت ديفولكس، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق، مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات،2004 ، ص،55. و Fray Diego De Haedo, Topographie.....p, 28.

أما هايدو **Haedo** ؛فقد شبه أسوار هذه المدينة خلال الفترة العثمانية، بقوس ذات وتر، يمتد من وجهته البحرية بين الشرق و الغرب، ويتبع الميناء نحو هذا الاتجاه، و كذا الزوًايا ، الاروقة، سطوح البيوت المدينة، و الجدران التي تمثل الخشب في القوس،وقد شيدت على ربوة ترتفع بمدرجات حتى قمتها،حيث نهاية الجبل ومحاطا بأسنان،و كان المحيط الري للمدينة يقدر بثمانية وألف قدما، بينما يبلغ طول الجبل الذي يمثل وتر القوس الممتد على الشريط البحري ستمائة و الف قدم، وبذلك يكون المحيط العام للمدينة أربعمائة و ثلاثة الاف قدم، و السور في الجانب المقوس الذي يأخذ في التصاعد ابتداء من البحر الى قمة الهضبة، ذو ارتفاع متجانس يبلغ ثلاثين شبرا، اما على جانب البحر حيث شيد جزء من هذا السور على صخور فقد كان ارتفاعه يبلغ حوالي اربعين 40 شبرا، اما سمك السور فقد بين احدى عشر و اثنى عشر شبرا و كان يتوسط الجانب البحري المائي المسمى خير الدين بربروس الذي انشئ ليكون ميناء، و ذلك بعد أن تم ربط مجموعة الجزر بباقي المدينة.[1]

لقد بنيت على طول السور الذي يحيط المدينة سواء من الجهات الثلاث طبانات (بطاريات) نلاحظ ابعادها غير المتساوية فتحات اكبر من فتحات التصويب العادي، يمكن استعمالها كفتحات للمدفعية، و نتيجة للموقع غير المنتظم، هذه التحصينات المسننة المطلية بالجير.[2]*

و يتألف سور مدينة الجزائر من ممر (ممشى) أو درب يسير عليه جنود المرابطين و الحراس و يبلغ عرضه حوالي 2 م، و جدار ذي سمك يتراوح بين 0.50م و

1- Fray Diego de Haedo , « **Topographie générale d'Alger .....**p,p,418-419 .

* يذكر دوفولكس انً المباني الواقعة داخل المدينة مباشرة ، تتصاعد في شكل طوابق على مدرجات في غالب الاحيان متقاربة الواحدة من الاخرى.

2- Albert Devoulx, ,« **Etude archéologique et topographique sur cette ville aux époques romaines,(Icosium)arabe (Djezair beni mezeranna) et Turque(El Djezair)**,in Re afr, n°20, année 1876, p,74.

0.95م، و عادة ما يكون مبنيا بالحجارة او الاجر المشوي ثم التراب المركوم الذي له شكل مائل ، تكون القاعدة بانحراف يقدر بـ 30°، و سمك القسم الذي أجريت عليه قياسات، و هو القسم المتبقي من سور باب الجديد الغربي، يبلغ 3.50م و سمك الجدار كله 6.45 م، وكانت بأعلى هذا الجزء دورات الاحتماء بها تتخللها فتحات، تساعد المحارب على النظر و التسديد الى الخندق دون أن تصيبه رميات المهاجمين[1].

إنً بقايا سور مدينة الجزائر، الواقع عند سجن سركاجي ومقر الدرك الوطني، حيث يظهر و بوضوح، شموخ و عظمة هذا السور الذي يفوق طوله 14م، بني على شكل مائل من الجهة الخارجية، مما لا يسمح لأي عدو صعوده و تسلقه، أما الجهة الداخلية جعلت له أقواس ليتحمل الممر الذي يسير عليه الجنود.[2] **الصورة (02).**

القصبة :

إنً الموضع الذي اختاره العثمانيين، لبناء قصبتهم بمدينة الجزائر، كان امتداد على ربوة، أعاد بناءها الزيريون في حدود 339هـ/950م، لتوفره على عدة شروط نذكر منها كثرة المياه فيه وانتعاش الزراعة به، وكذا كثرة مواد البناء الناتجة عن تهدم أسوار ومنازل رومانية قديمة، مع احتفاظ شوارع وأنهج هذا الموضع على تخطيطاتها، الشيء الذي لم يكلف الزيريون سوى إعادة بنائها وترميمها.*[3]

---

[1]- على خلاصي، المباني العسكرية العثمانية بمدينة الجزائر، دراسة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الدراسات المعمقة، جامعة الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، فرع التاريخ،الجزائر،1979 م،1979، ص، 147.

[2]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،387.

[3]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 53.

* قصبة العرب أو الزيريون التي بناها بلكين بن مناد ،تمتد بين خطي شارع باب الوادي وباب عزون، و خط نهج بالمي حنبعل أي بين كنتور 20 إلى80 تقريبا. وكان السور المحيط بمدينة بلكين ينطلق من باب عزون ليمر بشوارع أو أنهج كبيرة ،ثم ينحني جنوبا ، ليخرج في باب الوادي، بالقرب من مدينة سيدي عبد الرحمان الحالية. عبد القادر حليمي، المرجع نفسه، ص،ص، 169 - 171 .

شرع العثمانيون في بناء القصبة بالمنطقة العليا سنة 922هـ/1516م، بعد أن أصبحت القصبة الأولى لا تؤدي وظيفتها اتجاه طمع الإسبان في احتلال مدينة الجزائر، ثم إن هذه القصبة نفسها لا تكفي لموجات الهجرة الأندلسية التي أدت إلى كثافة النمو الديموغرافي، فكل هذه الأسباب بالإضافة إلى أسباب ثانوية أخرى جعلت عروج يشرع في بناء هذه القصبة**،بالمنطقة العليا من المدينة ابتداء من سنة 922هـ/1516م ، وجهزها ببعض المدافع و بعض الجنود، وقد انتهي من بنائها مبدئيا ما بين 1000هـ /1591م- 1592م من قبل الخضر باشا بعد تجهيزها في تلك الفترة ببعض المدافع المدعمة من الأتراك، وأصبحت القصبة مقر الدايات ابتداء من عام 1233 هـ/1817م.***[1]

اما النظام الدفاعي للقصبة بما فيها قصر الداي، فكان يتركز على سبع بطاريات موزعة عل أضلاعها ، و فتحت فيها فتحات للمدفعية و أخرى للبندقية و جهزت بثمانية و ثمانين مدفعا ، تتكفل بها حامية تتكون من ثلاث أفواج أي مجموع تسعة و خمسون جندي انكشاري، يتم تغيرهم كل ربيع من كل سنة يشرف عليهم قائدين

** تقع على ارتفاع 118م من مستوى سطح البحر، و كان يحيط بجدران القصبة أكثر من مائتين مدفع منها الكبيرة و الصغيرة يقوم بحراستها سبعون عريفا يتداولون كل أسبوع، و في سنة(1232هـ / 1817 م) أمر علي خوجة بإتمام تحصين القصبة و انتقل إليها و اتخذها مقرا لإمارته بعد مغادرته قصر الجنينة ، و ذلك لإخماد الفتن و توترات العساكر العثمانية، و في سنة (1233 هـ/ 1818 م). أتم حسن باشا بناءها و شدد في تحصيناتها و فرض عليها حراسة مشددة و أصبح يطلق عليها اسم "قصر الداي". انظر كل من Fray Diego de Haedo , **« Histoire des Rois d'Alger »** Rev- Afr,1880,p,22 . و المدني أحمد توفيق , كتاب الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر 1984 م . ص41 . و Albert Devoulx, Histoire d'une cité d'Icosium à Alger, Edition critique par Benhamouche Mustapha et Badradine Belkadi,ENAG,EditionAlger,2003,p,158.

-[1] Fray Diego De Haedo, « **Histoire des rois d'Alger……**p,p,73-74.

*** هي السنة التي نقل فيها الداي علي خوجة* المقر السياسي للمدينة من قصر الجنينة إلى القصبة العليا بعد توليته دايا على الجزائر متخذا القلعة مقرا للإمارة، حينما أدرك أن القصر معرض لأي هجوم داخلي يقوم به الجيش الانكشاري، وابتداء من هذا التاريخ وهو تاريخ الانتقال السياسي والذي يعتبر حدثا تاريخيا مهما في تاريخ القصبة ،و بعد أن تم تحصين هذه القلعة وتزويدها بمدافع جديدة، صارت ملائمة لتؤدي دورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والمالي، بعد أن لعبت دورا دفاعيا عسكريا محضا يتمثل في الإشراف على بروج و تحصينات المدينة البرية والبحرية، وبذلك أصبحت القصبة العليا أو القلعة المقر الجديد للحكام العثمانيين في مدينة الجزائر. انظر كل من أندريه ريمون، العواصم العربية ،عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تعريب قاسم طوير، دار المجد،دمشق،1986، ص،25. و علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر وقصر الداي، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم الأثرية، أرشيف حصن 23، تيبازة من 14 إلى 29 فيفري1988،ص،3. و ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر....ص، ص، 50-51.

للمدفعية، و يتوسط القصبة مصنع للبارود فوق قاعدة مربعة[1]، أما بالنسبة للبطاريات السبعة للقصبة، فلم يتبقى منها إلا خمسة.[2] **(المخطط(01))**

المنشآت المعمارية بقصبة الجزائر:

تعتبر قصبة مدينة الجزائر العليا أو القلعة من أكبر معالم مدينة الجزائر التاريخية على الإطلاق والتي يعود بنائها إلى الفترة العثمانية، تتميز بتنوع عمائر نسيجها العمراني بين الدينية والمدنية والعسكرية. وما ميزها أيضا مكانها الاستراتيجي الذي تحتله ونظرا لاكتظاظها بالمسؤولين و الخدم والحرس ، فقد بنيت كثكنة خصيصا للحرس القائم على خدمة القصبة ومراقبة الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من السور، وكذا مراقبة الممرات والشوارع.

نتيجة للتزايد المطرد لعدد السكان بسبب قدوم مهاجري الأندلس، بأعداد كبيرة ودخول الأتراك العثمانيين، وهجرة السكان من الداخل إلى العاصمة الجديدة، فاستلزم وضع مخطط عمراني جديد دام حوالي 40 سنة[3]، اتسعت فيه المدينة التي كانت حدودها عند القصبة القديمة إلى القمة، التي تنحدر منها الشعبتان اللتان أعطتا للمدينة شكلها المثلث، فمن باب الوادي يتواصل البناء إلى حوالي 300 مترا أي إلى ارتفاع 118م عن مستوى سطح البحر، لتبنى القصبة الجديدة ابتداء من 922هـ/1516م، من طرف الإخوة عروج وخير الدين.[4]

1- Devoulx Albert, Histoire d'une cité d'Icosium ……p,162.

2- خلاصي علي، المباني العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر.....ص، ص، 169 - 171 .

3- علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر.....ص،2.

4- ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر.....ص،60. انظر ايضا علي خلاصي، قصبة الجزائر-القلعة وقصر الداي-رسالة لنيل شهادة الدكتوراه الحلقة الثالثة، جامع الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية-فرع التاريخ والآثار،1984،ص،23.

للقصبة* شكل مثلث تشترك فيه مع المدينة بضلعين، الضلع الشمالي والضلع الشرقي، ونظرا لأهمية موقعها المتمثل بالدرجة الأولى في إشرافها على تحصينات المدينة وضواحيها، فقد حظيت بعناية واهتمام الحكام طيلة الفترة العثمانية.[1]

تعرضت قلعة الجزائر إلى تغيرات معمارية في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/نهاية القرن السادس عشر الميلادي خاصة في عهد مصطفى باشا في فترة 1192هـ-1220هـ/1778م-1805م، إذ قام بتوسيعها و إضافة مباني أخرى. أما من الناحية الوظيفية، فقد تم تحويلها من ثكنة عسكرية وقلعة إلى مقر سكني للداي وحريمه وحاشيته، بالإضافة إلى تحويلها إلى إدارة شؤون البلاد، وذلك ابتداء من سنة 1233هـ/1817م، بسبب تمرد الجنود الانكشاريين على سلطة الدايات. وقد عرف عهد آخر دايات الجزائر حسين باشا حسين الذي حكم ما بين 1234هـ-1246هـ/1818م-1830م) تغييرات كبرى، إذ قام ببناء المسجد الجديد* وإضافة طوابق العليا و أجنحة بأكملها لقصر الداي، وكذا بناء قصر البايات[2].

- الجناح الشرقي: ويشمل القصور الخاصة ببايات الشرق والغرب حين زيارتهم لتقدم فروض الطاعة والخراج، بالإضافة إلى مصنع البارود وأربع بطاريات.
- الجناح الغربي: يعرف بقصر الداي ومرافقه وهو أهم بناية بقلعة الجزائر ويضم قسم الحريم بحدائقه، غرف الداي، قاعة الديوان، الحمامات، المطابخ، قصر الآغا

*تعرضت قلعة الجزائر إلى تغيرات معمارية في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/نهاية القرن السادس عشر الميلادي خاصة في عهد مصطفى باشا في فترة 1192هـ-1220هـ/1778م-1805م، إذ قام بتوسيعها و إضافة مباني أخرى. أما من الناحية الوظيفية، فقد تم تحويلها من ثكنة عسكرية وقلعة إلى مقر سكني للداي وحريمه، وحاشيته ، بالإضافة إلى تحويلها إلى إدارة شؤون البلاد، وذلك ابتداء من سنة 1233هـ/1817م، بسبب تمرد الجنود الانكشاريين على سلطة الدايات، وقد عرف عهد آخر دايات الجزائر حسين باشا حسين الذي حكم ما بين 1234هـ-1246هـ/1818م-1830م) تغييرات كبرى، إذ قام ببناء المسجد الجديد وإضافة طوابق العليا و أجنحة بأكملها لقصر الداي، وكذا بناء قصر البايات. انظر علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر.....ص،ص،3-4.

[1]- علي خلاصي، نفسه،ص،3.

* و هو مسجد الداي ومازال قائما ومحافظا على عناصره ووحداته المعمارية .

[2]- علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر.....ص،4.

ومرافقه، خزانات المياه، الأجنحة المنزهة ،كجناح خوجة الباب، بالإضافة إلى مسجد الانكشاريين، جامع الداي والبطارية الخامسة.

لقد صمم المدخل الرئيسي للمدينة على السور، والذي تعلوه بطارية لها خمس فوهات، ويغطي هذا المدخل ظلة كبيرة يقف تحتها حراس الباشا، به سلسلة. وأعلى هذا الباب لوحة باللغة التركية من ستة اسطر على الرخام[1]،سجلت عليها تاريخ 1000هـ /1591م–1592م، ويرجح أن يكون تاريخ إنهاء أعمال بناء القصبة، بالإضافة إلى اسم المؤسس، خضر باشا الذي حكم الجزائر بين 998هـ–1001هـ/1589م–1592م.[2] **(المخطط(01))**

الخنادق:

تعددت المنشآت العسكرية في مدينة الجزائر كالقلاع و الحصون و الابراج بالإضافة الى حفر الخنادق لغرض الدفاع عن المدينة. ففي مجال الخنادق، فان العثمانيون خلال القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، قاموا بإنشاء خندقا جديدا يحيط بالمدينة اثناء عملية تجديد و اعادة بناء سور مدينة الجزائر كسلاح دفاعي يدعم السور وقد سماه المكناسي في رحلته بالحفير و هو محصور بين السورين الداخلي و الخارجي، و يوازيهما من الجهة الارضية حيث ينتهي عند ساحل البحر.[3]

1- Albert Devoulx ,**« Etude archéologique.....** p, p,160-161.

2- Henri Klein, Feuillets D'El Djezair,,T III ,Le vieil d'Alger et sa banlieue,1912p,19.

3- بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر و مينائها خلال العهد العثماني "**، مجلة الحضارة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس ،سيدي بلعباس، الجزائر، العدد14، شعبان 1431هـ/2010ص،153.

يبلغ عرض هذا الخندق في بعض الأوقات ستة عشر قدما[1]، و يبلغ في نواحي أخرى 20قدما و 07 أقداما عمق.[2]و يصف لنا هايدو **Haedo** هذه الخنادق قائلا:" و بغض النظر عن البروج و الطبانات فان المدينة محاطة من كل الجوانب بخندق يبلغ عرضه حولي ستة عشر مترا، قد انجز في وقت سابق، ردم قسم منه بسبب الفضلات والقاذورات،لكن ابتداء من القصبة وعلى طول السور الذي يشمل باب الجديد يتواصل ليرتبط برج اعواب الذي يقع بشاطئ البحر،ويبلغ عرض هذا الخندق على طول امتداده 20 قدما،عميق مثل الرمح في حالة جيدة من الصيانة، هذا الامتداد يبلغ طوله حوالي 450 قدما (149م)،رمم كليا بأمر من اعواب احمد باشا* سنة 980هـ/ 1573م.*[3]

أما الأب دان فيصف هذا الخندق بكونه" كان أحسن الحصون ذلك الذي كان في باب عزون، و كان حوله خندق عميق من جهة البر ، وقد اقيم على صخور من جهة البحر حيث كانت الامواج تتكسر عليه". أما الدكتور شو فيقول:" لقد كان الخندق الذي كان يحيط بالمدينة في الغالب مسدودا ، باستثناء اماكن باب الوادي و باب عزون ، حيث لم يكن على كل حال ذا فائدة دفاعية.[4]

كما وضع الجاسوس بوتان* مخططا للمدينة حين زارها سنة 1223 هـ/ 1808م، قصد أخذ كل المعلومات على التحصينات و المنشآت الدفاعية و من خلالهما معرفة

---

[1]- ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر.....ص، 79.

[2]- Laugier deTassy, Histoire de royaume d'Alger,Amsterdam,1794,p,175.

*تولى الحكم سنة979هـ/ 1575م وللمزيد انظر عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر ج3 .....ص،98.

[3]- Haedo De Diego, « **Topographie générale d'Alger** ……p, 425.

* للمزيد وللاطلاع مصطفى احمد بن حموش، المدينة و السلطة في الاسلام- نموذج الجزائر في العهد العثماني- ، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، دبي، ط1، دار البشائر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1999،ص، 284.

[4]- ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر.....ص،80.

* يعد بوتان الوحيد الذي اشار الى الاسوار البرانية التي تسبق الاسوار الكبيرة للمدينة. Vincent- Yves Boutin , Op,Cit , p,p, 32-33.

نقاط ضعف تسمح للجيوش المعادية الفرنسية اختراق المدينة و احتلالها. فيصف الخندق قائلا:" **لقد حفر الخندق الذي يتراوح عمقه بين ستة و ثمانية امتار، و كان الخندق محاطا بسور خارجي ارتفاعه نحو ستة الى ثمانية اقدام و سمكه بين 12-الى 15 شبرا، و كان يستمر ابتداء من الباب الجديد الى غاية باب عزون، كذلك اعلى و اسفل باب الوادي ، و قد قسم الى نصفين بواسطة سور موازي و مائل، و كانت تعلوه كتل صغيرة متباعدة لتوضع فيها البنادق**". كما اشار الى وجود الخندق ما بين كل من السور الخارجي الصغير و السور الداخلي الكبير و السميك.[1]

و قد افادنا حليمي عبد القادر بمعلومات حول الخندق اذ يرى ان تخطيطه يعود الى سنة 941هـ/1534م،في عهد حكم حسن اغا، و ذكر انه محكم البناء، و يصعب عبوره و تتخلله جسور يمكن رفعها وقت الحاجة.*[2] **(اللوحة(14))**

- أبواب مدينة الجزائر:

تخللت أسوار مدينة الجزائر خمسة أبواب، و اختلف في تحديد عددها، فهناك من يرجح عددها الى خمس، و آخرين الى ستة[3] أبواب رئيسية ، و هي تسمح باتصال المدينة بالخارج*، لكن هايدو يشير الى وجود تسعة ابواب، وذلك في نهاية القرن 10هـ/القرن16م، فتحت على أسوار المدينة، باحتساب الخمسة المعروفة[4]، خمسة منها رئيسية[5]، و أربعة من هذه الأخيرة بالجهة البحرية[6]، و يمكن اعتبار أبواب

1- Vincent- Yves Boutin , Op,Cit , p,p,32-33.

2-عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 231.

* للمزيد ايضا عن الخنادق في مدينة الجزائر في العهد العثماني انظر Sakina Messoum, Alger à l'époque Ottomane –la médina et la maison traditionnelle,Inas,Alger,2003,p,119-125,127.

3- J.M.H.B ,Itinéraire de Royaume d'Alger, L.Laurent ,Lib,Editeur sur le port ,Toulon, 1830, p,p,38-39

* انظر أيضا Haedo De Diego, « **Topographie générale d'Alger** …….,p,p,419-421

4- Haedo Don Diego,Ibid,P,425

5- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ، 336.

الجهة السفلية من المدينة من الأبواب التي ورثها الأتراك عند دخولهم المدينة، والتي حافظت على مواضعها بالسور أو على الأقل على اتجاهاتها مثل :باب عزون بالسور الشرقية التي جددت في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ النصف الثاني من القرن السادس عشر، نظرا لأعمال التوسعة التي عرفتها سور المدينة بهذه الجهة.[1] **(اللوحة(15))**

- **باب الوادي:**

سميت بباب الوادي نسبة إلى الوادي الذي يمر بجانبها، وتفتح نحو الشمال أو نحو الطريق التي تمر بجبل بوزريعة، وهي أقل الأبواب أهمية تنتهي إلى جسر بالإمكان رفعه وقت الخطر.*[2]**(اللوحة(15))**

- **باب عزون:**

تنسب هذه الباب إلى أحد الثوار من الأهالي اسمه عزون، ثار ضد الحكم التركي و حاصر المدينة و لكن بدون جدوى، وقد تم القضاء عليه في مطلع الحكم التركي. وتعد هذه الباب من أهم أبواب المدينة، ومنها كان يدخل القادمون من الجنوب والشرق، ومن السهل المتيجي عن طريق الحواش، وهي أهم طريق تربط المدينة بشرق البلاد، كما كان لهذا الباب جسر يرفع أثناء الخطر.[3] و لقد تعرضت إلى عملية ترميمات من قبل الباشا أعواب محمد مابين980هـ-982هـ/1572م-1574م، لكونها كانت الباب الأكثر تعرضا

---

[6]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص،81.

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،149 .

[2]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 233.

* للاطلاع اكثر عن ابواب مدينة الجزائر انظر كل من رزوق نعيمة ، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني - قصر الداي نموذجا - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، السنة الجامعية،2010-2011،ص،44-46، وكذا محفوظ بوطبة، المرجع السابق،ص، ص، 149-158. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،394-406.

[3]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 232.

للهجمات المختلفة للجيوش الصليبية، وهذا ما جعل أعواب باشا يقوم بتوسيع الخندق الذي كان يحيط بها من كل جانب.[1] **(اللوحة(15))**

- **باب الجزيرة:**

تقع بالناحية الشرقية، وتعتبر الممر الوحيد ما بين الجنينة والميناء، وقد أنجز من طرف المهندس موسى سنة 1078هـ/1667م[2]ويدعى أيضا بباب الجهاد لأنها الباب التي كانت مخصصة لدخول وخروج القراصنة أو المجاهدين في البحر، وقد سماها الفرنسيون بعد احتلالهم للمدينة بباب فرنسا، ثم باب البحر، وضل الأهالي يطلقون عليها إلى يومنا هذا باب الجزيرة. وهي أشد الأبواب متانة ومناعة، وبجانبها كانت عدة ثكنات للجيش الانكشاري.[3] **(اللوحة(15))**

- **باب الجديد:**

تقع بأعالي القصبة بالجهة الجنوبية من السور، يدخل منها القادمون من الغرب ومن البليدة حيث يربطها طريق رئيسي بغرب البلاد منذ العهد الروماني، وهو سبيل وعر يسلك الروابي والمرتفعات ،إلا انه أحسن من طرق السهل المتيجي التي كان تتخللها المستنقعات والأحواش في بعض أجزائها.*[4]

---

[1]- Henri Klein, Feuillets D'El Djezair,,T III …….p,16.

[2]- نجيب وركوب، التحولات العمرانية لمدينة الجزائر، التحولات العمرانية لمدينة الجزائر ما بين 1830م و1914م،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ، جامعة بوزريعة-الجزائر- التاريخ، 2007 م، ص، ص،17.

[3]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق،ص،ص،233- 234.

[4]- عبد القادر حليمي، المرجع نفسه، ص، 232.

*انظر أيضا بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،157-158.

- باب السردين أو باب الديوانة:

كانت مخصصة للتجارة البحرية وكان يدخل منها الصيادون او التجار، لذلك سميت بباب السردين، وقد علقت بهذه الباب خمسة أجراس، قيل أنه جيء بها من مدينة وهران بداية القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي اي سنة 1120هـ/ 1708م.*[1]

كما وجدت مجموعة من المنشآت والوسائل الدفاعية، والتي جعلت من طريقة انجازها، وحدة متكاملة ومتجانسة مع الشكل العام للمدينة، ومن أهمها البنايات العسكرية كالأبراج كبرج السردين وبرج رأس المول ،إلى جانب مجموعة من الحصون والقلاع و منها التي بني اغلبها في الواجهة البحرية[2]، مثل برج الأربعة والعشرون ساعة الذي تم انجازه سنة 1218هـ/1803م في الجهة الشمالية للمدينة،[3] وقلعة الجزائر أو القصبة العليا ، بعد أن تم انتقال دار الإمارة من قصر الجنينة بالقصبة السفلى إلى القلعة، من طرف الداي علي خوجا سنة1233هـ/1817م.و ما يلاحظ أن عدد القلاع والحصون التي بنيت داخل المدينة قليلة جدا، نذكر على سبيل المثال قلعة مولاي حسن.*[4]

من هنا يتضح أن الموقع الاستراتيجي لهذه المدينة،هو الذي دفع بحكام الجزائر إلى تركيز جهودهم ، من أجل منح المدينة دفاعات بحرية بالدرجة

---

[1]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 234.

* انظر ايضا مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،402.

[2]- نجيب وركوب، المرجع السابق، ص، 17.

[3]- Albert Devoulx, « **Alger, Etude archéologique et topographique sur cette ville d'Alger, aux époques romaines,(Icosium)arabe,(El Djezair beni Mezeranna) ,et Turque(El Djzair)** »,in Re-Afr ,n°19,année 1875,OPU,Alger,p,239

* بدأ الأشغال بها في سنة 1545 م من طرف حسن باشا، للمزيد انظر.Réne Lespes, Op, cit, p, 123

[4]- Lespes René, Alger, Etude de géographie et d'histoire urbaine, Paris, 193,p, 123.

الأولى ، وقد تم انجازها على مراحل متعددة من تاريخ المدينة ، بدءا من تاريخ دخولها تحت الحماية العثمانية في سنة 926هـ/1519م، إلى غاية 1246هـ/1830م. و كل هذه الانجازات ، جعلت من المدينة قلعة حصينة كما يشير إليها اسمها السابق والذي كان يطلقه عليها سكانها إليها اسمها السابق والذي كان يطلقه عليها سكانها.[1] **(اللوحة(15))**

2- بطاريات الأسوار و القلعة :

تندرج عملية توزيع البطاريات* على أسوار المدينة، ضمن مخطط دفاعي رسمه الأتراك العثمانيون لمقر حكمهم و عاصمة دولتهم- مدينة الجزائر-، انتشرت على سطوح اسوار المدينة.[2]

بطاريات السور الغربي للمدينة:

- بطارية الحمام المالح:

تبعد عن باب الوادي بخمس و اربعين مترا، تحمي شمال غرب المدينة و يعود تاريخ بنائها الى العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي و هي مزودة بعشرة قطع للمدفعية.

- بطارية سبع التبارن*:

تبعد عن باب الوادي بمائة و ثلاثين مترا مزودة بستة مدافع.

- بطارية سيدي رمضان **:

1- George, Guauchain , Alger, Ed de l'imprimerie Algérienne,Alger,1905,p,136.

* و يقصد بالبطاريات؛ حسب الدكتور بلبروت بن عتو الطبانات او الطبخانات وهي معاقل للمدفعية في الأسوار و الحصون و الابراج و في التراب بعد حفرة و احاطتها بأكياس من التراب او الرمال. انظر بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر....."**ص 160،

2- بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ....."**ص،151

* و تسمى ايضا سباط الحوت أو أرناؤوط مامي.

**تسمى أيضا قطع الرجل.

قطع الرجل حسب الدكتور بلبروات هو المكان الذي كان يحظر فيه التجوال بعد غروب الشمس.[1]

- بطارية رحى الريح*:

تبعد عن البطارية السابقة بمائتين و خمس و عشرين مترا تحتوي على تسع فوهات نارية.

بطاريات السور الشرقي للمدينة:

- بطارية الباب الجديد:

تقع على مسافة تسعين مترا من الجدار الجنوبي للقصبة، و هي مزودة بتسعة مدافع.

- بطارية حومة السلاوي:

تقع اسفل البطارية السابقة على بعد مائتين و خمس و عشرين مترا ، تحتوي على سبع فوهات نارية.

- بطارية بدون تسمية:

تقع على بعد خمس و سبعين مترا اسفل باب عزون، على شاطئ البحر، و هي مزودة بعشرة مدافع ذات عيار 24 ، و اربعة مدافع ذات عيار 18.

- بطارية العسل: تجاوز فندق العسل، وكان بها خمسة مدافع، ثلاثة منها مصوبة نحو البحر و مدفعين نحو البحر.

---

[1]- بلبروت بن عتو،" **المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**"ص،160.

* تسمى ايضا حومة زيان.

بطاريات السور الشمالي للمدينة:

- بطارية المارستان:

تسمى ايضا بطارية المجانين لأنها كانت تجاور سجن المجانين، وهذه البطارية العائد تاريخها الى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وكانت مزودة بثلاثة أو أربعة مدافع.

- بطارية الجامع الكبير:

تبعد عن بطارية قاع السور ب بثمانين مترا، مزودة بـ ثلاثة مدافع ابتداء من نكسة المدينة امام حملة اللورد اكسموث سنة 1232هـ/1816م.[1]

- بطاريات القلعة :

كانت قلعة الجزائر في مراحلها الأولى تتكون من خزام يتكون من سبع بطاريات ، الجزء الجنوبي الشرقي من قصر البايات ، الطابق الأرضي من قصر الآغا والطابق الثاني من جناح الحريم، إلا أنه بعد انتقال مقر الحكم إليها واتخاذ الأجزاء الأخيرة مقرا لإيواء العدد الضخم من العمال والعسكريين، اقتصر الجانب المعماري الدفاعي على البطاريات فقط.[2]

و من بطاريات قلعة الداي او القصبة العليا نذكر:

- البطارية الأولى:

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه، الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر،1989-1990، ص، ص،132-136.

[2]- رزوق نعيمة، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر، سلسلة دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلوم للنشر و التوزيع و الطباعة، الجزائر،2016،ص،65.

تقع البطارية الأولى في القسم الشمالي الشرقي من القصبة، يحدها من الغرب قصر الداي ومن الجنوب حديقة النعام ومصنع البارود، ومن الشرق البطارية الثانية، وتشترك القصبة مع المدينة بهذا الضلع الذي يشرف على المدينة والميناء.

- البطارية الثانية:

تقع بالقسم الجنوب الغربي للقصبة، ما بين قصر البايات ومخزن الأسلحة من الجهة الجنوبية الغربية وتتصل بالبطارية الأولى بواسطة ممر ذو سقف مقبى وقاعة مستطيلة الشكل. بها أربع فتحات للمراقبة وثلاث فتحات للبنادق. وتشتمل المساحة التي بنيت عليها البطارية على قاعة الأسلحة وكشك قصر البايات والمرافق الجنوبية الشرقية و المخزة والغرف الملحقة بها.

البطارية الثالثة:

تقع غرب قصر البايات، يحدها من الشمال مصنع البارود ومن الغرب البطارية الرابعة، نصل إليها عن طريق المنحدر الثاني الواقع شرق مصنع البارود.[1]

البطارية الرابعة:

تقع بين البطاريتين الثالثة والخامسة ومصنع البارود والعين ونادي الجيش، و هدمت مرافقها حاليا ولم يبق إلا آثارها، وعند جنوب البطارية الرابعة نجد قنطرة المياه وهي التي كانت تغذي القصبة والجزء الجنوبي من المدينة. و الملاحظ أنها شوهت هذه البطارية عند شق الطريق وسط القصبة فهدمت الغرف وسدت فتحات المدفعية وأزيلت قنطرة المياه.[2]

---

[1]- رزوق نعيمة، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر، سلسلة..... ص،66.

[2]- علي خلاصي، القصبة وقصر الداي.....ص،41.

البطارية الخامسة:

تقع في القسم الجنوبي الغربي من القصبة. يحدها قصر الآغا من الجهة الشمالية، والنادي الجديد من الجهة الشمالية الشرقية، والبطارية الرابعة من الجهة الشرقية، أما من الجهة الغربية والجنوبية فقد كان هذا البرج أعلى نقطة بالمدينة وينهي جدار التحصين من هذه الجهة. وتتكون البطارية من طابقين مبنيان على تراب مركوم، ويمثل شكلا مضلعا يتكون من ستة أضلاع خارجية بها مجموعة من الفتحات.[1]

يعود بناء هذا البرج للفترة التي بنيت فيها تحصينات القصبة قبل بناء الطوابق الأولى من جناح الحريم وقصر الآغا ومرافقه.

يذكر خلاصي أن هذه البطارية كانت قد ربطت بقنطرة المياه و بسانية غرب البرج، كانت تزود القاعة الشمالية من البطارية بالمياه الصالحة للشرب، وبعد دخول الفرنسيين هدمت بعض أجزائها. و بداخل البطارية بني خزان للماء بالخرسانة المسلحة كانت تزود الثكنة العسكرية المجاورة بالمياه الصالحة للشرب.[2]

البطارية السادسة:

تقع بشمال جناح الحريم وبالقسم الغربي من قصر الداي والتي هدمت بعد سنة 1256هـ/1840م.[3]

---

[1]- علي خلاصي، القصبة و قصر الداي.....ص،41.

[2]- علي خلاصي، نفسه، ص،42.

[3]- نفسه،ص،44.

البطارية السابعة:

تتمثل البطارية السابعة في الطابق العلوي من السقيفة، والتي تعود إلى المرحلة الأولى من مراحل بناء القصبة. ولقد بنيت لمراقبة شارع القصبة و الممر الضيق الذي كان يفصل البطارية الأولى والثانية عن المدينة.[1]

نشير أن هذه البطاريات كانت تطلى بمادة الجير مرة واحدة في السنة، على الأقل وكل واحدة منها كانت تحوي على مجموعة من العيون والمراحيض الخاصة بالجيش وكانت تحظى بعناية فائقة.[2]

3- تحصينات ميناء الجزائر:

إنً تشييد الميناء لم يكن في وقت واحد فقد اولى حكام الجزائر في الفترة العثمانية الاهتمام و الحرص الشديدين بالميناء، الذي يعتبر قبل أن يكون مرسى للسفن التجارية و الحربية التي كانت تمد خزينة الدولة بالأموال و الخيرات، فكذلك يعتبر الميناء من النقاط الدفاعية الهامة التي أفشلت تحصيناتها كل الهجمات خلال الفترة العثمانية و شكلت بذلك خطا دفاعيا أماميا للمدينة.[3]

أثناء دخول الاخوة بربروس مدينة الجزائر، وجدوا ميناء لا يعدو مأوى طبيعيا شبه مربع، يتشكل من أرصفة صخرية، ومن هذه الصخور أربع قطع كبيرة هي أشبه بالجزر، موقعا للقلعة الاسبانية المسماة "البنيون"،أو الصخرة الكبيرة الضخمة.[4]

رأى خير الدين أنه من الضروري بعث الحيوية لميناء مدينة الجزائر و تمكينه من استيعاب النشاط التجاري مع الدول الاجنبية، فحرص بادئ ذي بدء على هدم القلعة

---

[1]- علي خلاصي، القصبة و قصر الداي.....ص،46.

[2]- علي خلاصي، نفسه،ص،47.

[3]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،407.

[4]- بلبروات بن عتو، " **المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر "** .....ص،155.

الاسبانية و تسنى له ذلك في سنة 936هـ/1529م، بعد مساندة سكان مدينة الجزائر له، و اعتراف مدن شرق البلاد بحكمه، ومن ثم بدء في تخطيط الميناء بكيفية تجعله ميناء محصنا يحمي السفن الراسية من العواصف البحرية، و يتصدى للاعتداءات الاجنبية، و يستوعب نشاط كل من له صلة بالبحر سواء كان عاملا بورشات السفن او صيادا او مجاهدا، و اذا كانت خطة الميناء قد ارتسمت خلال القرن العاشر الهجري/القرن السادس عشر الميلادي، فإنً التحسينات المعمارية قد تواصلت الى غاية فترة حكم الداي حسين1234هـ-1246هـ/1818م-1830م.[1] **(اللوحة(16))**

الأبراج و الحصون و البطاريات بميناء مدينة الجزائر:

يوجد بالميناء عدد من الابراج و الحصون و البطاريات و هي :

- برج رأس المول:

يعد اخر التحصينات التي كانت على البحر، وقد سمي البرج بهذه التسمية أي راس المول نسبة إلى الموضع الذي يحتله في نهاية الرصيف الكبير للميناء على يمين مدخل الميناء مباشرة خلف برج" القومان "(برج الحبال[2])،و سمي ايضا حسب ديفولكس باسم برج "الحاج علي باشا" فلأنه آخر من قام بتجديده وأعاد إصلاحه[3]، و يشتمل هذا البرج على طابقين سفلي وعلوي، مزودين بأربع عشرة فوهة نارية، تقيم به

1- بلبروات بن عتو، **" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**ص،155.

2- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,91 . Voir aussi Henri Klein, Les feuillets …..p,169.

3- Albert Devoulx , « **Alger**, **Etude archéologique et Topographique sur cette ville aux époques romaines,(Icosium)arabe (Djezair beni mezeranna) et Turque(El Djezair) »**, in Re afr, N° 21, 1877, p, 59

سفرة*انكشارية تتجدد عند حلول فصل الربيع، ودامت أشغال بنائه عشر سنوات من 1115هـ- 1124هـ/ 1703م-1712م.[1] **(اللوحة (16))**

- برج السردين:

سمي البرج بهذه التسمية، لوجود رسم بارز يتوج اللوحة الرخامية التي تحمل الكتابة التذكارية للبرج، يمثل سمكتين متقابلتين تشبهان نوع السردينة، و قد أشار ديفولكس إلى ذلك في المجلة الافريقية[2]، أما الموقع؛ يقع البرج برأس المول في الجزء المحصور بين" برج القومان" "وبرج ما بين".[3]

بالنسبة لتاريخ إنجازه، فقد نقلت إلينا الكتابة التذكارية مجموعة من المعلومات التاريخية، إلاّ أنها تتسم بعدم توافقها مع بعضها، إضافة إلى إغفال الدراسات السابقة التدقيق في مضمونها وعلى رأسها مدونة" كولان " حول الكتابات العربية والتركية الجزائرية، ودراسة ديفولكس حول مدينة الجزائر.*[4]

بني هذا البرج في عهد أحمد باشا سنة 1077هـ/1667م، ثم أعاد بناءه الباشا بن عثمان سنة 1190هـ/1777م،حيث كان لبرج السردين الامتداد الدفاعي للميناء ، فهو يشرف من الناحية الشرقية على البحر ، ويتصل من الناحية لشمالية ببرج " ما بين" و مسجد الأمرالية (مسجد سيدي ابراهيم البحري)، ويتصل مع برج القومان من الناحية الجنوبية الغربية. تعلو المدخل في الجهة الامامية للقبو الجنوبي لوح من

---

* السفرة حسب بلبروات بن عتو هي مجموعة من الجنود الانكشاريين ، يتراوح عددهم بين اربعة عشر و عشرون جنديا ، و مجموع السفرات يسمى الحامية او النوبة، للمزيد ايضا انظر بلبروات بن عتو،" **المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**ص،160.

1- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,119 .

2- Albert Devoulx , «**Alger, Etude archéologique……..** », in Rev- Afr, N° 21, 1877, P, 51.

3- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,91

4- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،175.

* للمزيد عن هذا البرج أنظر محفوظ بوطبة، المرجع نفسه، ص،175-178.

الرخام ثبت ابان الاحتلال الفرنسي على جدار أحد المخازن الواقعة شرق برج الفنار كتب بالخط النسخي الشرقي و باللغة التركية.*[1]

إلا أن لاكوست **Lacoste** أشار إلى تاريخ بنائه الذي يعود الى سنة1077هـ/ 1667م، وإعادة بناءه من جديد من طرف الداي محمد بن عثمان باشا سنة 1190 هـ-1191هـ /1776م-1777م،و يحوي طابقين سفلي و علوي مزودين بثلاثين مدفعا، موزعة على طابقين 14 على المستوى السفلي و18 في الطابق العلوي.[2]

برج القومان:

بناه الداي عمر باشا سنة 1231هـ-1232/1814م-1815م على أنقاض برج صغير كان موجودا في القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع عشر الميلادي، يتكون من طابقين بهما ثلاثين فوهة نارية و ثلاثين مدفعا، و سمي بالجومان أو القومان لكون الطابق السفلي منه استعمل كمخزن لحفظ الحبال المستخدمة في المراكب البحرية.[3]

يقع البرج بالرصيف الكبير في الجزء المحصور بين برج " السودين" و برج "راس المول"[4]، وقد حلّ مكان البرج الذي أقامه"أعرب أحمد"سنة981 هـ/ 1573م، لحراسة الميناء والسفن الراسية به[5]، قام بتجديد عمارته"عمر باشا" و ذلك نتيجة قدم

---

[1]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،413.

* للمزيد أنظر Colin Gabriel, Corpus des inscriptions arabes et turques de L'Algérie, Ernest Leroux Paris, France, 1901, p60

[2]- Devoulx, Albert « **Alger**, **Etude archéologique……** in Rev- Afr, N° 21, 1877, P,50.

[3] Albert Devoulx , Ibid , P, 201. Voir aussi - Gabriel Colin , Op.cit., P. 56.

[4]- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,91.

[5]- سعيد بوزرينة،**"التحصينات العسكرية الجزائرية المؤرخة بالكتابات الأثرية خلال العهد العثماني"**، دراسات تراثية، ج2،العدد،05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر2،الجزائر، نوفمبر 2014، ص،ص،418. للاطلاع اكثر انظر: Fray Diego De Haedo ,Topographie…P, 29.

منارته والأضرار الكبيرة التي لحقت بعمارتها[1]، وخلّدت عمله كتابة تذكارية كانت تعلو مدخل البرج، وهي كتابة تركية بخط عربي من نوع نسخ شرقي نفذ بأسلوب الحفر الغائر.*[2]

- برج الفنار:

عُرف عند الأوروبيون بحصن الفنار أو الحصن الدائري، ولدى الجزائريين برج الفنار،و يحتوي على أكبر مخزن للبارود، وصفه كات كارث قائلا:"**و يسكن هذا باش طبجي معين خصيصا للإشراف عليه ولا يخضع تعيينه لعادة الاقدمية بل للكفاءة، وبحوزته جميع مفاتيح مخازن البارود للمدينة.....**".[3]

يقع هذا البرج برصيف "خير الدين" ،و قد بني بنفس موضع حصن "البينون" الذي اتخذ من أكبر الجزر الأربعة، المشكلة للرصيف أرضية له، على بعد حوالي 300 م عن المدينة.*[4]

---

[1]- علي خلاصي، القصبة وقصر الداي.....ص،31.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،187.

* للمزيد أكثر راجع مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،425-426 و أيضا محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،ص،187- 189.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دكتوراه.....ص،118.

[4]- خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص،134 .

* للمزيد عن تحصين هذه الجزيرة انظر كل من اسماعيل العربي، المدن المغربية.....ص،16.و بن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص، 78. و محمد دراج، المرجع السابق، ص،ص،115-116.

بقي هذا المكان على حالته، إلى أن أقدم مهاجرو الأندلس على تحصينه[1]، ببنائهم برجا صغيرا على هذه الصخرة*، و البرج يتألف من طابقين مزودين بسبع عشرة فتحة نارية لمدافع ذات عيار كبير[2].

الفنار كلمة محلية تعني المنارة (منارة البنيون) بناها الاسبان سنة916هـ/1510 م، في وسط الجزيرة الكبيرة، وهي بشكل مستدير يصل ارتفاعها إلى أربعين مترا على مستوى سطح البحر، وكانت بمثابة منارة و نقطة استطلاع احتله الكونت بيدرو نافرو **Pedro Navaro**، الاسباني و بنى فوقه سنة 916هـ/ 1510م حصن البنيون.[3]

بعد ان استولى خير الدين على الحصن الإسباني وأسر من فيه، وعلى رأسهم القائد " دون مارتين دي فيرغاس" ، قام بتهديم جل أسواره المسننة و المباني التي كانت توجد به،و لم يحتفظ إلا بحصن بارز استخدمه خير الدين كبطارية من ناحية عرض البحر اقام فوقه منارة.[4]

في موضع حصن الصخرة الاسباني أعلى المنارة، بنى "أعواب أحمد" برجا جديدا خماسي الأضلاع سنة 980 هـ/1573م و أحاطه بسور[5]، الغرض منه إرشاد السفن إلى الميناء وحماية السفن الراسية. [6]تعرض البرج

بعدها لعدة عمليات تجديد و اضافات، كانت أولها سنة 1029هـ/1619 م في عهد الباشا "حسين الشيخ باشا" خلال فترة حكمه الثانية1027 هـ- 1039هـ/1617 م-

---

[1]- أبوراس محمد بن الناصر العسكري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية ص، تحقيق: سليمة بن اعمر، ط1، دار هنين للطباعة والنشر ، الجزائر، 2002 ،ص، 510.

* تعد اكبر صخرة من الصخور الاربعة المشكلة للجزيرة المقابلة لمدينة الجزائر ،للمزيد انظر Albert Devoulx, «**Alger Etude Archéologique et topographique…… »** in Rev-Afr,1875,p,295.

[2]- بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ....."**ص،157.

[3]- بلبروات بن عتو، **" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ....."**، ص،157. .

[4]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،410.

[5]- . Rene Lespes,Op,Cit,p,116

[6]- Fray Diego de Haedo « **Alger Archéologique et Topographique……** » in Rev-Afr,1875,p,295.

1629م، أما عملية إصلاحه الثانية فكانت سنة 1108هـ- 1109 هـ/1696م-1697م، من طرف "الحاج أحمد داي".[1]

فيما يخص شكل البرج فهو ثماني الأضلاع يتكون من أربعة طوابق، تحتوي على فتحات بعدد 61 فتحة، تضم 55 مدفعا اغلبها من العيارات الكبيرة، و يفوق ارتفاع جدرانه 36م و مجهز بخزان كبير للماء، ومخزن للبارود يوجد أسفله.[2]

ضم البرج ثلاثة طوابق في البداية ، ثم أُضيف له طابقارابعا بعد حملة اكسموث سنة 1232 هـ/1816م،و مجموع الفتحات النارية للطوابق الأربعة، ستة و ستون فتحة، تضم خمس و خمسين مدفعا أغلبها من العيارات الكبيرة. وتتجلى أهمية هذا البرج بكونه يقع في الخط الأمامي للميناء، و يتوفر على دار للبارود، و خزان ماء كبير، ومقر الباش طبجي، ومكان اجتماع عساكر سلاح المدفعية، وبه سفوة عسكرية انكشارية تتجدد كل ربيع[3]. لكن تغير شكله كثيرا، بعد الانفجار الذي حدث سنة 1262 هـ/1845م بمخازن البارود.*[4]

- برج ما بين:

أطلق على برج ما بين بهذه التسمية نسبة إلى مكان إنشائه الذي يتوسط البرج الجديد وبرج السودين[5]، و قد شيد من طرف الباشا حسين باشا اخر دايات الجزائر سنة 1239هـ-1240هـ/1823م-1824م، حسب ما جاء حسب ما جاء في الكتابة

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،182.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه، ص،183.

[3]- بلبروات بن عتو، بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر و مينائها .....**ص،157.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه.....ص،118.

[5]- سعيد بوزوينة، المرجع السابق، ص،420 .

التأسيسية التي تعلو مدخله، كتبت بخط نسخ شرقي ومنفذة بطريقة الحفر الغائر، وملئت بالرصاص.*[1]

كان البرج مسلحا بـ 18 مدفعا، أربعة باتجاه الشمال، 13 باتجاه الشرق و مدفع واحد باتجاه الجنوب الغربي[2]، و ذلك لأداء دوره الدفاعي ولتحية السفن الوافدة إلى الميناء[3]، على غرار برج المنارة[4]، وبرج الجديد،برج السردين،برج القومان وبرج راس المول، إضافة إلى دورها في الإعلان عن عيد الفطر و عيد الأضحى[5]، وقد كانت هذه التحية تتمثل بطلقات مدفعية عددها 21 طلقة، مقسمة على عدة أبراج منها **برج الجديد**(04 طلقات)،**برج الفنار**(05 طلقات)،**برج السردين**(04طلقات)، **برج القومان** (04طلقات) و **برج راس المول**(04 طلقات).*[6] **(اللوحة(16))**

- برج رأس عمار القديم:

يقع هذا البرج شمال برج الفنار بحوالي 100م، يحتل هذا البرج آخر نقطة في النظام الدفاعي للميناء من ناحية البحر، هذا النظام الذي يمتد من الجنوب حيث

1- Gabriel Colin,Op.Cit, p,p, 200-226. Voir aussi:- Albert Devoulx, «**Alger, Etude Archéologique…..**in Rev- Afr, N° 21, 1877,p, p, 45-50.

* للمزيد و للاطلاع عن هذا البرج انظر.Gabriel Colin,Op.Cit, p,p, 200-226 و انظر ايضا كل من مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،427-429. و محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،ص ،190-192.

2- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..**», in Rev- Afr, N° 21, 1877, P, 51.

3- Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger 1518-1830,T02 , Bibliothèque Nationale d'Algérie,Algerie,1996,p,07.

4- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،187.

5- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة دكتوراه.....ص،121 .

6- لخضر درياس، نفسه.

* للمزيد عن البرج انظر لخضر درياس، المرجع نفسه، ص، ص،121- 125. أنظر أيضا بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،190-191. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،427-429.

برج "رأس المول" وينتهي عند موضع برج رأس عمار القديم[1]، هذا الأخير الذي يتقدم برج "الفنار" من الناحية الشمالية على بعد 160 م منه. [2]

بني هذا البرج من طرف"محمد عثمان باشا" في قتاله الأخير مع الإسبان[3]، مستطيل الشكل، وقدرت مساحته إجمالية تقدّر بحوالي 145م²، حيث يصل طوله الى حوالي 21م وعرضه 7 امتار، أشرف عليه باش طبجي، و كان يحتوي على طابقين؛ السفلي منه تتوزع عليه 25 فوهة للمدفعية، وطابق علوي ويتمثل في السطح وزعت على مساحته 28 فوهة للمدفعية.[4]

دعمت فتحات هذا البرج بمدافع صغيرة الحجم[5]، عددها 25 مدفعا من عيار 18 ملم و7 هاونات ذات العيار الكبير حسب مخطط سنة 1245هـ/ 1829م.[6]

واستعدادا للتصدي للحملة الدانيماركية سنة 1184هـ/1770 م، أمر محمد باشا بإقامة متراس جديد جنوب برج راس عمار القديم لتواصل خط الدفاع، وضع حلقة مهراسين و مدفعين عياره 24[7]، و يبلغ طول هذه المترس 42 م، كما تحتوي على ثلاث صفوف من المهاريس يصل عددها الى 18 مهراس، وهذا البرج قد تم تهديمه في فترة الاستعمار الفرنسي و بنيت في مكانه عمارات جديدة.[8]

- برج رأس عمار الجديد:

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،192.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص، 118.

[3]- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا.....ص،97.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص، 118.

[5]- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..** » in , Rev- Afr N° 20, Année 1876, p, 481.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،118.

[7]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،423.

[8]- مفتاح عثمان، نفسه.

شيّد هذا البرج من طرف الداي حسين*سنة 1245هـ/1829م[1]، في موضع القناة البحرية التي كانت تفصل "برج الفنار" عن الجزيرة الشمالية حيث " برج راس عمار القديم".[2]وهذه القناة الصخرية كانت تغمرها مياه البحر عند هيجان امواجه مما يعرقل حركة المرور عبرها. و بالتالي لا بد من ردمها ببناء البرج.[3]

يشرف على هذا البرج باش طبجي، إلا أنه لم يسجل في مخطط سنة 1245هـ /1829م، و الملاحظ أنً هذا البرج كان البرج مسلحا بحوالي30 مدفعا و موزعين على طابقين، لكن الصحيح حسب ديفولكس هو 34 مدفعا.[4]

نذكر بأن الطابق السفلي من هذا البرج كان محصنا، وقد دعم بـ 17 فتحة للمدفعية، و الباقي من الفتحات؛ قد وجدت بالطابق العلوي، و يشرف على خدمتها قائد المدفعية.

نشير إلى أنه قد كان بباب البرج كتابة تذكارية أشار اليها دوفولكس، لكنه لم يستطيع قراءتها لوجودها تحت الانقاض.[5]

- **البرج الجديد:**

يقع هذا البرج في الجهة الجنوبية من الأبراج السابقة[6]، بالتحديد بالمكان الفاصل بين برج " ما بين" و البطارية التي لا تحمل أي اسم ، و تتقدم برج المنارة من الناحية البحرية.[7]

---

* نفسه، ص،424.

1- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..** » in , Rev- Afr N° 20, Année 1876, p, 489.

2- Albert Devoulx « **Alger Etude Archéologique ……..** » in , Rev- Afri N° 20, Année 1876, p,488.

3- بلبروات بن عتو، **" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**ص،157.

4- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....118.

5- لخضر درياس، المرجع نفسه.

6- لخضر درياس، نفسه.

7- Sakina Missoum, , Op, Cit.,p, 91.

بني هذا البرج على الجزيرة الصغيرة الشرقية، من طرف محمد عثمان باشا سنة 1157هـ /1774م، وبناءا على نص الكتابة التذكارية التي تعلو مدخل البرج، يظهر أن بناءه تم سنة 1178هـ/1773م-1774م.[1]

يحتوي هذا البرج المسجل في مخطط سنة 1248 هـ/1832م على 12 مدفعا، لكن دوفولكس لاحظ في عين المكان 09 فتحات أخرى في الطابق السفلي، وبذلك يصبح عدد المدافع 21 قطعة.[2]

إنّ بناء هذه البطارية بهذا الشكل و بهذه الطريقة، وتدعيمها ببرج الجديد الذي يضم واحد وعشرين فتحة مدفعية موزعة على مستويين، تسعة منها بالقسم السفلي له تحت إشراف " باش طوباجي"[3]، إضافة إلى برجي "راس عمار القديم و الجديد" والأبراج الشرقية، جعلها تحجب الرؤية أمام الطابق الأرضي لبرج المنارة، ما أفقد هذا الطابق أهميته الدفاعية، وكانت توفر في نفس الوقت الحماية لمخزن البارود الذي يتقدمه.[4]

أبراج الجهة الغربية (الأبراج البرانية):

تتمثل المنطقة الغربية لمدينة الجزائر في سهل ضيق ينحصر بين الجبل و البحر و يتكون من الصخور الكلسية و السيليسية، فقد بنيت أغلب الأبراج على سفح الجبل و فوق كتل صخرية من الحجر الكلسي، هذا ما منح الابراج القوة و الصلابة و حماهم من ضربات العدو، من الجهة الشرقية و الغربية ومن الجهة الجنوبية، فهي محمية بجبل بوزريعة و بالتالي فهو محمي طبيعيا، و الملاحظ أنً من مواقع هذه الأبراج يمكن رؤية مساحة كبيرة من البحر، و بالتالي السيطرة عليها بالمدفعية، كذلك الشاطئ الغربي هو عبارة عن صخور و نتوءات، فالإنزالات البحرية للجيوش

1- Albert Devoulx ,« **Alger Etude Archéologique ….** » in, Rev- Afr N° 21, Année, 1877, p, p,47- 48.

2- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،119.

3- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** » in , Rev- Afr N° 21, Année 1877, p,46

4- علي خلاصي، القصبة وقصر الداي.....ص،31.

المعادية شبه مستحيلة، إلا أنه حظيت بمجوعة من الأبراج لا تدع مجال لأي مفاجأة.[1] ومن هذه الابراج ما يلي:

- **برج الجديد:**

يعرف هذا البرج باسم برج "رمضان باشا [2]، و كذا اسم برج المزبلة أو الزوبية[3]، لقربه من مزبلة المدينة (مكان رمي الزبالة)*، و شيّد هذا البرج بالشمال الغربي في عهد "علج علي"(976هـ-979هـ/1568م-1571م)،سنة 1569م ،خارج أسوار المدينةولا يفصلها عنه سوى خندقها وموضع تشييده قريب من البحر مقارنة ببرج 24 ساعة[4]، ثم أعاد بناؤه" رمضان باشا " خلال فترة حكمه الأولى(982هـ-985هـ/1574م-1577م) سنة984هـ /1576 م[5]،وفي فترة حكم "مصطفى باشا"1213هـ-1220هـ/1798م-1805م، تعرّضت عمارة البرج للتجديد[6]،وتمّ ذلك سنة 1217 هـ-1218هـ/1802م-1803م على أنقاض برج صغيرالذي بني من طرف رمضان باشا سنة984هـ/1576م[7]،وهذا ما تؤكده الكتابة التأسيسية المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة، وهي عبارة عن لوح رخامي

---

[1]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،430.

[2]- Fray Diego de Haedo **, Histoire…** P, 23 .

[3]- Albert Devoulx , «**La marine de la Régence D'Alger** », in Rev- afr, n°77, année 1969,p,35.

* كانت مزبلة مدينة الجزائر بربض باب عزون، ومنها تستخرج الأسمدة الطبيعية (الدبال) ليستعملها الفلاحون في نشاطاتهم الزراعية، للمزيد لكثر انظر.Thomas Shaw ,Voyage dans la Régence…..p, 305p, 293

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،226.

[5]- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 20, 1876, p.147.

[6]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص،80.

[7]- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 20, 1876, ,p,p,146-147.

مستطيل الشكل، نقشت عليه كتابة تركية، من نوع خط الثلث وبتقنية الحفر الغائر المطعم بالرصاص.[1]

يتميز هذا البرج بمسقطه الثلاثي الأضلاع، بنيت جدرانه من الحجارة المنحوتة المجلوبة من مدينة روشقونة الرومانية، يتكون من طابقين، فالطابق السفلي منه عبارة عن مخزن مسقوف بأقبية نصل إليه عبر باب سرّي يفتح على الشاطئ، ويساعد على نقل السفن الصغيرة لحفظها به.[2] أما بابه فجاء على شكل حدوة الفرس ، و هو البرج الذي قال عنه بوتان **Boutin** في 1223 هـ/1808م، بأنه أُكمل مؤخرا و لم يسلح بعد.[3]

لقد سلح البرج بـ 27مدفعا، ثلاثة وعشرون منها بالواجهة البحرية، و قد أشار الى ذلك دوفلكس[4]وأربعة عشر بالطابق العلوي وتسعة بالطابق السفلي، والمدافع الأربعة المتبقية موزعة بالشكل التالي:

مدفعين في القسم العلوي موجهان إلى الريف في الشمال الغربي، و إثنان في نفس المستوى باتجاه المدينة، يطلان على الطريق المؤدية إلى باب الوادي.

قدر عدد مدافعه بـ 23 مدفعا، أمّا الكتابة التذكارية التي وجدت على بابه فتوجد حاليا بالمتحف العمومي الوطني للأثار القديمة.[5]

لقد جاء هذا البرج لتقوية الخط الدفاعي الموجود على يسار الميناء، وحسب دوفولكس فقد جاء تدعيما لتحصينات الواجهة البحرية الغربية للمدينة، وذلك بمنع العدو الاقتراب من الشاطئ، إضافة إلى استغلاله كدار صناعة تحفظ به السفن الصغيرة

---

[1]- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص، 42.

[2]- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..**in Rev- Afr, N° 20, 1876, p, 146.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،96.

[4]- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 20, 1876,,p, 146

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،96.

الحجم، حيث ساعد على ذلك موضعه القريب من البحر[1]، وظلّ البرج قائما إلى غاية الفترة الاستعمارية، حيث استغل بداية الأمر كسجن عسكري[2]، وبعد أن هُدِّم ، بُنيت مكانه ثكنة سميت بثكنة " بيليسي **Pélissier**.[3]

- برج باب الوادي:

سمي كذلك نسبة إلى مكان تشييده بربض باب الوادي، ويعرف هذا البرج بأسماء عديدة كبرج محمد باشا وبرج 24، لكونه تعرّض للحصار من طرف الإنجليز طيلة مدة الحصار[4]، وهناك من يرجع هذه التسمية إلى المدة الزمنية المستغرقة في إنشائه ومنها أخذ تسميته برج بوليلة[5]، بالإضافة الى تسميته ببرج ستي تاكليلت* و برج العلج علي[6]،ويعتبره هايدو من ضمن الأبراج الرئيسية الثلاثة في الدفاع عن مدينة الجزائر في القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي، و لو أنّ الاسم المقبول من هذه الأسماء كلها، هو اسم برج محمد باشا الوارد في الكتابة التذكارية التي وجدت على باب البرج. أما كتابة البرج التذكارية، فهي موجودة حاليا بالمتحف الوطني للآثار القديمة تحت رقم 29.

بني هذا البرج على بعد حوالي300 م عن البرج الجديد[7]،لتحصين وحماية الناحية الغربية من جهة شاطئ باب الوادي، ومنع السفن المسيحية القادمة لمهاجمة المدينة

1- Albert Devoulx,**« Alger Etude Archéologique …. ,** in Rev- Afr, N° 20, 1876, p,146.

2- Henri Klein, Les feuillets d'El Djezair…… p,78.

3- علي خلاصي، القلاع و الحصون في الجزائر- المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، مطبعة الديوان،2008،ص ،101.

4 Fray Diego de Haedo, « **Topographie générale d'Alger …….**p,424.

5- Gabriel Colin , Op.cit, P,P, 22-23.

* ستي تاكليلت، امة من الاماء و تعني باللغة الامازيغية، و هي ولية أو مرابطة امازيغية سمراء اللون ، و يقال أنّ ضريحها كان المكان نفسه. أنظر بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف..... ص،516.

6- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،94.

7- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ….**in Rev- Afr, N° 21/ 1877, P, 149 .

من أي نزول من جهة باب الوادي[1]، بالإضافة إلى توفير الحماية للمقبرة الملكية و مصادر المياه التي كانت بجواره.[2]

يتميز بشكله المربع الأضلاع الغير المنتظم، محصن من جهة البحر، و يتكون من طابقين السفلي منه خال من فتحات المدفعية[3]، لكن هايدو يشير إلى وجود فتحات للمدفعية في الطابق السفل و هي فتحتان للمدفعية[4]،أما الطابق العلوي فيظم 34 فتحة بها27 مدفعا[5]. وحسب هايدو فإنً البرج يتوسطه فناء مربع الشكل مغطى، كما يتوسط هذا الأخير صهريج أو ماجل لتخزين مياه الأمطار، و في هذا المجال يشير روزي الى وجود غرف و مطابخ و مخازن و كذا مصلى كل هذه المرافق تستلزم الجنود لذلك يمكن اعتبارها من خلاله ثكنة عسكرية.[6]

أمًا حاليا فإنً مكان البرج أصبح مبنى المديرية الوطنية للأمن الوطني، ومازال جزء قليل من أساسات المبنى شاهدة على هذا البرج.[7]

- برج قامة الفول:

عرف هذا البرج تحت اسماء عدة كبرج الحاج علي، وبرج الانكليز و في بعض المراجع و المصادر سمي ببرج قامة الفول[8]، لكونه حسب دوفولكس كانت

1- René Lespes ,Op,Cit,p,52

2- محفوظ بوطبة ،الرجع السابق، ص،229.

3- لخضر درياس،المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،94.

4- Boutin, Vincent Yves , Op ,Cit., p36,

5- Fray Diego de Haedo, **«Topographie générale d'Alger ……** p, 424.

6- Claude Antoine, Rozet Voyage dans les régences d'Alger ou description du pays occupé par l'armé français en Afrique, Tom3, Paris,p,133.

7- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،434.

8- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،93.انظر ايضا، مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،ص،107-108.

تحيط به حقول مزروعة بالفول[1]، وحسب كولينس غابريال **Gabriel colins,** نسبة الى نشاط زراعة الفول الذي كان يغرس بجواره.[2]

يقع البرج بالقرب من باب الوادي، على قمة صخرة عند شاطئ البحر شمال غرب مدينة الجزائر، و بموضعه هذا احتل موقعا طبوغرافيا هاما ومكشوفا بالنسبة لجميع تحصينات المدينة، ما جعله في اتصال مباشر معها[3]،كما مكنه موقعه المشرف على البحر على حماية خليج باب الواد الذي يعتبر أهم نقطة لإزال العدو بالناحية الغربية للمدينة.[4]

شيّد البرج في عهد "حسن فتريانو" سنة985 هـ/1577م، خلال فترة حكمه الأولى سنة 988هـ/1580م، وقد عرف عنه بمحاربته للإسبان، وبتطويره للنظام الدفاعي لمدينة الجزائر احترازا من أي حملة عدوانية عليها[5]، وتمت أشغال البرج على يد عامله "جعفر باشا" الذي تقلّد بدوره الحكم في الفترة الممتدة ما بين988 هـ/1580م إلى 1000هـ/ 1582م.[6]

في 1184هـ/1770م رمم الحاج علي البرج[7]، حسب اللوحة التأسيسية التي كانت بمدخل البرج مكتوبة بالخط العثماني.[8]

1- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 21/ 1877, p, 149

2- Gabriel Colins,Op,Cit,p,66.

3- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،233.

4- محفوظ بوطبة، المرجع نفسه، ص،233.

5- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان.....ص،31.

6- Henri Klein, Les feuillets d'El Djezair ……p, 80 .

7- Ibid .

8- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،435.

عند تولية مصطفى باشا الحكم 1213هـ- 1220 هـ/1798م-1805م، فكّر في تجديد وتوسيع عمارة البرج[1]، لتواضع عمارته التي لا تتناسب مع أهميته الدفاعية[2]، بصورة أكثر فعالة و متانة، فأحضر مواد البناء الى الموقع. وقد باشر عمله بإنشاء عين وربطها بقناة سنة1219هـ-1220هـ/1804-1805م[3]، تؤدي إليه إلاّ أنّ وفاته حالت دون إتمام مشروعه.[4]

حافظ برج" قامة الفول "على دوره الدفاعي إلى نهاية الحكم التركي للجزائر، حيث كان أوّل ما استهدفته البحرية الفرنسية من دفاعات مدينة الجزائر سنة 1246هـ/ 1830م، إلاّ أنّها فشلت في الاستيلاء عليه، وأجبرها على التراجع بعد ألحاق الاضرار بسفنها[5]، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر واصل الفرنسيون استغلاله كمخزن للبارود، ثم تركوا لتربية الحمام الزاجل[6]، وعرف البرج عرف زيادات خلال فترة الاحتلال الفرنسي خاصة في الطابق الاول منه، و ما زال قائما الى يومنا هذا.*

فيما يخص الكتابة التأسيسية و طريقة تنفيذ الكتابة؛ فقدت على لوحة رخامية مربعة الشكل بكتابة تركية وبخط عربي من نوع نسخ تعليق بطريقة الحفر

---

[1]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج 2.....ص،469.

[2]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق،ص،ص،80-81.

[3]- بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج2.....ص،469.

[4]- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….**, in Rev- Afr, N° 21/ 1877, P 155 .

[5]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق ، ص ،174.

[6]- Klein Henri, Feuillets …….p,p,68-74. Voir aussi Louis Piesse, Op, Cit, p, 33.

* للمزيد ايضا انظر مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،435-437.

البارز*[1].وقد نقلت هذه اللوحة سنة1271هـ/30 ديسمبر1854م إلى المتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر، و قد نشرها دوفولكس تحت رقم 31.[2]

يتميز البرج بشكله الذي جاء على هيئة مربع طويل، ضلعه المواجه للبحر نصف دائري، ويتكون من طابقين.

حسب بوتان فان البرج احتوي على13 فتحة للمدفعية موزعة على جدران البرج، فهناك ست فتحات موجهة نحو الشمال الشرقي، و خمس فتحات موجهة نحو الجهة الشمالية الشرقية، وخمس فتحات موجهة نحو الجهة الجنوبية الغربية، وفتحة واحدة في كلتا الجهتين الجنوبية والغربية[3]. أمّا دوفولكس فيشير إلى وجود 22 فتحة نارية بالطابق العلوي بها20 مدفعا[4]،بينما الطابق السفلي منه فجاء خاليا من فتحات للمدفعية[5]، يحيط به خندق و يدخل اليه بواسطة جسر خشبي في جهته الشمالية الغربية. اما تسقيفه فقد سقف بأقبية و عن مواد بنائه ؛ فقد استخدم في بناء جدرانه بالحجارة المصقولة و كذا الآجر.[6]

- أبراج مرسى الذبان:

كان برج الملقب ببرج "مرسى الذبان" محصنا ببرجين خلال العهد العثماني، و الملاحظ ان هذين البرجين يُعدّان آخر تحصينات خليج مدينة الجزائر

1- Gabriel Colins, Op,Cit , p65-66

* للاطلاع اكثر عن الكتابة انظر كل من خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في الأثار الإسلامية ،جامعة الجزائر02 ، معهد الآثار، السنة الجامعية،2010-2011 ، ص،52. و Gabriel Colins, Op,Cit, p65-66.

2- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،93.

3- Boutin, Vincent Yves , Op , Cit p, 37 .

4- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….**, in Rev- Afr, N° 21/ 1877, p, 50.

5- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،93.

6- Albert Devoulx,« **Alger Etude Archéologique ……**, p,50.

من الجهة الغربية، و قد بُنيا على حافة البحر على بعد حوالي 05 كلم عنها [1]، لغرض حماية هذه النقطة البحرية على حد قول الجغرافي البكري التي يمكن للعدو الرسو بها، حيث كانت فيما من موانئ المغرب الأوسط القريبة من مدينة الجزائر على غرار مرسى جنابية [2]،ومرسى تامنفوست.[3]

- برج مرسى الذبان القديم:

يشبه شكل هذا البرج حدوة الفرس[4]، ويعود تاريخ بناء البرج الى بداية الحكم التركي للجزائر(فترة حكم خير الدين بربروسا)، وهو نفسه برج خيرالدين[5]، في حين فان لجنة الجزائر القديمة من خلال كلاين تؤرخه إلى سنة1082هـ /1671م . [6]

تعرّض البرج إلى إصلاحات و تجديدات 1082هـ /1671م،من طرف علي آغا الذي حكم ما بين(1076 هـ-1082هـ /1665م-1671م)[7]وأعيد ترميمه سنة 1137هـ/1724 م من طرف محمد بن حسان. [8]

يظم البرج طابقين[9]، أرضي و علوي، به فتحت بواجهاته الثلاث مجموعة من فتحات المدفعية موزعة على واجهاته الشمالية والشمالية الغربية والشرقية بالتساوي بمعدل فتحتين بكل واجهة، يصل عدده الاجمالي إلى حوالي 06 فوهات نارية اثنتان

1- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،236.

2- أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص،82

3- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص،89 .

4- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،112.

5- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ……..,** in Rev- Afr, N° 28/ 1878, p, 229.

6- Henri Klein, Les feuilletsd'El Djezair…… p,81.

7- Ibid,p,229.

8- Ibid.

9- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،91.

نحو الشمال و اثنتان نحو الغرب و اثنتان نحو الشرق، وبه غرفة في الزاوية الشمالية الغربية[1]، و كان يضم الى جانب ذلك مخزنا مسقف بقبة لحفظ البارود.[2]

يذكر بوتان بأنً البرج يتكون من طابقين؛ فالسفلي منه خاليا من فوهات المدفع، أما العلوي منه فيحتوي على مدفعين موجهين لليابسة[3]،ويشير الدكتور درياس أنً حامية هذا البرج تكونت من 12 مدفعا، و قد بقيت آثار هذا البرج حتى الاحتلال الفرنسي حيث شاهده دوفولكس، و أمكن له التعرًف على جزئه الأمامي، الذي كان يحتوي على فتحتين من الجهة الشمالية و مرقب في الزاوية الشمالية الغربية[4]، لكنه وعلى حد قول الدكتور خلاصي، لم يكن على المستوى المطلوب الذي تطلبه الناحية من التحصينات، ولهذا دعم بالبرج الجديد و كذا بطانة مرسى الذبان.[5]

برج مرسى الذبان الجديد:

شيّد هذا البرج شمال مصنع الاسمنت وراء البرج القديم بحوالي 50 مترا، بالتحديد غرب جدار مدينة الجزائر و تعرف المنطقة حاليا باسم الرايس حميدو.*[6] أنشأ برج مرسى الدبان الداي حسين آخر دايات الجزائر سنة 1239هـ-1240هـ/1823م-1824م،وهذا ما تظهره الكتابة التأسيسية له المنفذة على لوح رخامي بكتابة تركية بحروف عربية من نوع خط نسخ مشرقي، وبطريقة الحفر البارز، وزعت على ثلاثة أسطر.[7]

1- بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج2.....ص،468.

2- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ……..,** in Revue Africaine, N° 22/ 1878, P. 229

3- Boutin, Vincent Yves , Op.Cit, p38.

4- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،91.

5- علي خلاصي، القلاع و الحصون في الجزائر.....ص،104.

6- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،114.

* للمزيد انظر مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، المرجع نفسه، ص،ص،114-115.

7- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص،427 .

لاحظ دوفولكس أنً موقع هذا البرج رديء، لأن مجال طلقاته النارية معوق بالحصن القديم و حصن موسى الذبان كما انه ينخفض عنهما.[1]

يشبه شكل البرج حدوة الفرس، مسلح بـ19 فتحة للمدفعية، زيادة عن المراقب في حين تتكون حاميته من 15 مدفع تتغير في ربيع كل سنة[2]، تتوزع هذه الفتحات على واجهات البرج بالشكل التالي،عشرة (10) فتحات شمالا بالواجهة البحرية، و أربعة(04) فتحات بالجهة الغربية، وثلاثة فتحات الجهة الشرقية، وخمسة عشر فتحة من الناحية الجنوبية[3]،وفوق الباب اثنتان احداهما مغطاة جزئيا بغرفة.[4]

حسب روزي ؛ فإنً البرج هو عبارة عن ثكنة عسكرية حيث يجد الجند الانكشاري كل مستلزمات العيش من غرف للنوم، مصلى، حمام و مطبخ ،و برج موسى الدبان الجديد هذا يحوي على 09 غرف، مصلى، سقيفتين صغرى و كبرى و فناء، حيث بإمكان إسكان سريتين من الجنود التي تتكون من 15 جنديا.[5]

- برج سيدي فرج :

يتخد الشكل المربع يبلغ ارتفاعه ما بين 16 و 20 مترا، و ضلعه ما بين 3 و 4 امتار، و ليس به سوى مدفع واحد.

يذكر بوتان؛ هذا الاخير الذي عاين تحصينات مدينة الجزائر سنة 1223هـ/ 1808م، بأن هذا البرج لا يستحق الذكر لكونه قديم جدا، ولا يقاوم حتى المدافع

---

[1]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.....ص،469.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص، ص،91-92.

[3]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.....ص،ص،468-469.

[4]- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،114.

[5]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،440.

الخفيفة[1]واعيد بناؤه من طرف يحيا آغا سنة 1234هـ-1241هـ/1818م – 1825 م،والذي وضع به اثنى عشر (12) مدفعي و عين به حامية.[2]

يقع البرج غرب مدينة الجزائر على بعد 29 كلم منها[3]، حيث يوجد ضريح سيدي فرج، لحماية الخليج البحري، حيث يمكن لسفن العدو الرسو، وذلك لما يتوفر عليه من مزايا طبيعية، فشبه الجزيرة التي شيّد بها توفر الحماية للمراكب في المواسم الهادئة أو المضطربة بفضل استعمال أحد جانبيها، وذلك حسب اتجاه الرياح.[4]رغم أهمية موقعه إلاّ أنّه برج متواضع وقدرته الدفاعية[5]ضعيفة، ما جعل الإسبان يسمونه " البرج الصغير"**Torre Chica**، ووصفه الجاسوس الفرنسي" بوتان" بقوله: « **له شكل مربع، يتراوح ارتفاعه ما بين 16 الى 20 م، أو أكثر، كلّ واجهاته يتراوح عرضها ما بين 3 الى 5 ومسلّح بمدافع سيئة صغيرة العيار، وهذا البرج قديم، ولا يصمد أمام المدفعية الثقيلة**"[6]. كما أنه لا يستحق الذكر لكونه قديما جدا،ولا يقاوم حتى المدافع الخفيفة، فالبرج بني على أنقاض برج قديم مربع الشكل، استعملت في بنائه الحجارة البيضاء كمادة أساسية، قديمة يتراوح يتراوح ارتفاعه ما بين 16 الى20 م، أو أكثر، كلّ واجهاته يتراوح عرضها ما بين 3 إلى5م.*[7]

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،239.

[2]- الشريف الزهار، المصدر السابق،ص،163.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،106.

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،،239.

[5]- Rinn Louis, « Le Royaume d'Alger sous le Dernier Dey »,IN Rev-Afr,N°,224,Année 1897,p,142 .

[6]- Vincent yves -Boutin, Op,Cit, 08.

[7]- Ibid,p24.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج انظر مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،442-443.

تعرض هذا البرج لإهمال كثيرا أواخر العهد العثماني، من خلال أحمد باي في مذكراته، حيث يذكر أثناء النزول الفرنسي في سنة 1246هـ/1830م:" **ليس بسيدي فرج سوى قلعة قديمة مخربة يحتاج اصلاحها الى شهور كاملة.**"[1]

بعد الندوة العسكرية التي عقدت بناحية سيدي فرج قبل نزول قوات الاحتلال، تقرر بناء متاريس على شاطئ البحر تبعد عن الساحل بستة (6) كلم، على خط قليل الارتفاع يشرف على خليج سيدي فرج، إلا أنً هذه المتاريس لم تُدعَّم إلا بمدافع صغيرة و خفيفة لعدم وجود العربات التي يمكن ان تحمل المدافع ذات العيار الكبير.

من هنا بدأت عملية القصف حيث اصيبت عدة سفن قامت بدورها بقصف المتاريس و تحطيمها، ورغم الإصابات التي لحقت بالقوات الفرنسية و التي تزيد عن 570 جنديا بين قتيل و جريح، انهزمت القوات الجزائرية و سقطت مدينة الجزائر بدخول الجيوش الفرنسية نحوها.[2]

أبراج الجهة الجنوبية (الأبراج البرانية) لمدينة الجزائر في العهد العثماني:

لقد كشفت الحملة التي شنًها شارل الخامس عشر، على مدينة الجزائر سنة 948هـ/1541م، نقاط ضعف كثيرة في الجزام الدفاعي خاصة الناحية الجنوبية للمدينة، فقد كانت النقاط الدفاعية كلها محصورة في الجهة البحرية، فبعد هذه الحملة الاسبانية، أصبح الاهتمام أكثر بهذه الناحية وتم إنشاء برجين لحماية المدينة وهما:

- برج النجمة:

يعرف بهذا الاسم نسبة الى شكله الخماسي الاضلاع على شكل نجمة، و له عدة تسميات منها برج الثغرين، لأنه أقيم بالمكان الذي كان يسكنه جماعة من العرب

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،91.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،106.

الأندلسيين في الفضاء المحصور بين القصبة و حصن الإمواطور[1]، و كذا برج محمد باشا نسبة إلى مشيّده محمد باشا(976هـ-976هـ/1567م-1568م).[2]

يقع هذا البرج على مرتفع جنوب برج الامواطور بحوالي 330م ، وغرب القصبة بحوالي 200م.[3]

بني برج النجمة سنة (976هـ-976هـ/1567م-1568م) خلال فترة حكم محمد باشا، و الملاحظ أنً محمد الصقيلي هو من قام بإنجاز هذا العمل. و عندما وصف الجاسوس بوتان تحصينات مدينة الجزائر ذكر أنًه اندثر، ولم يبق منه إلا بعض الآثار.*[4]

يقدر محيط البرج من الداخل بحوالي 16.50م[5]،أما ارتفاع أسواره فتصل إلى حوالي07 أمتار متوجة بسلسلة من الشرافات عددها خمسة(05)،و يظم غرف خصصت لسكن الحامية تطل على صحن أو فناء. وقد غطت هذه الغرف على طول امتدادها خزانا للمياه مستدير الشكل[6]، يضم ثماني (08) مدافع من العيارات الصغيرة.

لقد تميز بناء البرج بارتفاعه الشديد، و بارتفاعه هذا جعله على حد قول بيسونال يأخذ **Peyssonnel** المرتبة كأعلى مبنى عسكري ضمن تحصينات مدينة الجزائر في

1- Peyssonnel et Desfontaines, Op,cit, P, 451.

2- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني.....ص،131.

3- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،111.

4- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،99.

* يذكر بوتان من خلال الدكتور خلاصي ان سبب انهيار البرج يعود الى امة اشعلت النار داخل مخزن البارود فانفجر و تهدم البرج منتقمة بذلك من سيدها الذي كان حاكما للجزائر. لكن هذه الحكاية او بالأحرى هذا الاستنتاج فيه نوع من الغرابة و بعيد عن الواقعية و الحقيقة حسب الدكتور خلاصي قائلا:" و بالرجوع الى تركيبة الجيش و الانضباط الذي كان يميزه و الى التقاليد المتبعة في حراسة الابراج و الحصون ... نستغرب هذا الاستنتاج حتى و لو كانت الامة تابعة لحكام الجزائر فان جلب الكبريت او وسيلة اشعال النار التي لم تكن في حجم علبة الكبريت و انتقالها من قصر الجنينة الى ارتفاع 180م و تخطي الحرس من الامور التي لا تصدق." للمزيد اكثر انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،106.

5- علي خلاصي، المرجع نفسه.

6- علي خلاصي، نفسه، ص ،99.

العهد العثماني بعد حصن الإمبراطور، مما أكسبته الأولوية الدفاعية[1]، واختيار هذا الموقع المرتفع و اتخاذه مكانا لإنشاء هذا البرج كما ورد في بعض المراجع* ، لحماية القصبة ولتغطية الخلل الموجود في النظام الدفاعي للمدينة من الناحية البرية، حيث كان العدو يركز في خططه الحربية على احتلال المرتفعات بعد إزاله في شاطئ باب الواد، وذلك للإشراف على المدينة واستهدافها من الأعلى[2]. ظل موقع البرج قائما في مخططات العدو، حيث استعمله الفرنسيون سنة 1246هـ/ 1830م، لنصب أحد بطارياتهم لضرب القصبة والأبراج السفلية بجهة باب الوادي.[3]

رغم أنً البرج تهدم، إلا أن جميع الرسومات التي خلدت مآثر الجزائر العمرانية، تُظهر برج كنقطة دفاعية مهمة و خاصة الرسومات الاسبانية التي وضعت للجزائر في السنوات971 هـ/1563م، 1012هـ/1603م،1168 هـ/1754م و 1184هـ /1770م.[4]

- برج مولاي حسن:

يقع هذا البرج في مكان يعرف بكدية الصابون[5] غرب برج النجمة ، و على بعد 800م من القصبة العليا المواجهة للبر[6]، و ينسب خلاصي هذا البرج الى الثغريين النازحين من مدينة ثغر الأندلسية ، و هو يشرف على المدينة و الميناء و ضاحية باب الوادي و الجهة الغربية من خليج الجزائر.[7]

1- Peyssonnel et Desfontaines , Op.cit, P. 451

* انظر أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة.....ص،181.

2- أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص،181.

3- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،224.

4- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،99.

5- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،111.

6- بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج2.....ص،477.

7- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،97.

بنى هذا البرج و صممه مولاي حسن باشا*،وله عدة تسميات منها برج الأمواطور و برج بوليلة* *،كما سمي ايضا ببرج الطاووس* * *حينما نقل اليه طيور النعام و الطاووس التي كانت موجودة بالقصبة قبل أن تتحول الى قصر الداي سنة 1232هـ/1817م، و سمي أيضا برج " السلطان قلاصي و برج مولاي حسن.[1]

يعتبر هايدو هذا البرج من ضمن الابراج الثلاثة الرئيسية للدفاع عن المدينة، شكله عبارة عن برج غير منتظم، يبلغ ارتفاع جدرانه بحولي 10 امتار.[2]

يأخذ البرج شكلا مستطيلا طوله مائة و خمسون (150) م و عرضه مائة (100) م اما ارتفاعه فيصل الى حوالي عشر (10) امتار.*[3]

كان يحتوي على 77 فتحة تضم 35 مدفعا في سنة 1223هـ/1808م،أما أسلحته فقد بلغت اثناء الاحتلال 91 قطعة، وتجدر الاشارة الى ان هذا البرج طرأت عليه عدة تعديلات او تغيرات كالتي وقعت في1067هـ-1068هـ/ 1656م-1657م،أو1155هـ- 1156هـ/1742م – 1743م، إثر انفجار مخزن البارود.[4]

عند وصول القوات الفرنسية الى المنطقة المجاورة للحصن من الناحية الجنوبية(الابيار)، اطلقوا على الحصن نيران مدافعهم مدة خمس ساعات، و عندما علم المدافعون ان صمود الحصن لن يدوم طويلا، انصرفوا و لم يبق إلا من اشعل

---

* تم تشييد البرج سنة 1545م من طرف مولاي حسن باشا و هو يوناني الأصل. أنظر بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.... ص،477.

** سمي بهذا الاسم لبنائه على الربوة التي أقام بها شارل الخامس سنة 948هـ/ 1541م معسكرا و قضى بهذا المكان الليلة محاصرا المدينة لمهاجمتها. انظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،111.

*** سمي ايضا بهذه التسمية حينما نقل إليه طيور النعام و الطاووس التي كانت موجودة بالقصبة قبل ان تتحول الى قصر الداي سنة 1232هـ/1817م. انظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، المرجع نفسه.

[1]- لخضر درياس، نفسه.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،111.

[3]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.....ص،477.

* للمزيد اكثر انظر كل من بلبروات بن عتو، المرجع نفسه. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص، ص،446-448.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،112.

النار في مخزن البارود ، و هدم الحصن بأمر من "الباش طبجي" و دمره من الداخل لئلا لا يقع في ايدي الفرنسيين.*[1]

ابراج الجهة الشرقية (الأبراج البرانية) لمدينة الجزائر في العهد العثماني:

لقد عزز سكان مدينة الجزائر مدينتهم،من الناحية الشرقية الساحلية، و الممتد من باب عزون الى تامنتفوست ، بمجموعة من أبراج و طبخانات دفاعية، باعتبار أنً هذه المنطقة الأكثر مواجهة للإزالات البحرية، للجيوش المعادية كبرج تامنتفوست و برج الكيفان، بل انشؤوا طبخانات عديدة كطبخانة الحميز و طبخانة الحراش و من هذه الأبراج:

- **برج تامنفوست:**

يقع هذا البرج في الناحية الشرقية من خليج الجزائر علىراس عوف باسمه، وبذلك يعد آخر نقطة دفاعية بخليج مدينة الجزائر من الناحية الشرقية على بعد 650 م عنراس" تامنفوست"[2]، شيّد لحماية المرسى الطبيعي الذي بجانبه[3]، حيث يسمح برسو السفن به لتوفره على حماية ضدّ العواصف البحرية بفضل الراس المتقدم في البحر، وقد جاءت عملية بنائه حسب الاستاذ بورويبة تداركا للخلل الدفاعي الموجود بهذا المكان بعد استعماله من طرف"شارل الخامس"، عند حملته على الجزائر سنة 948 هـ/1541 م[4]. هذا الاخير الذي فر مع ما تبقى من اسطوله عند مشارف هذا البرج ، حيث المرفأ الروماني لمدينةرسقونيا.[5]

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،99.

* للاطلاع اكثر انظر كل من علي خلاصي، القلاع والحصون.....ص،99.وبلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج 2... ....ص،477. و كذا محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،218- 224.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،239.

[3]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence……..p, 305. Voir aussi: Peyssonnel et Desfontaines , Op.cit., P. 446.

[4]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،239.

[5]- رشيد بورويبة ، الجزائر، سلسلة فن و ثقافة، الجزائر،1974،ص،55.

ان اختفاء اللّوحة التأسيسية دفع بالمؤرخين إلى الاختلاف في تحديد سنة بناء البرج، فيرارد **Berard** يرى أنه بُني سنة 963هـ/1556م، في فترة حكم الباشا محمد كرد، بينما بربروجر **Berbrugger** يرجعه إلى سنة 1170هـ /1660م من طرف البكباشي خليل آغا، استنادا الى حوليات خطية موجودة بالمكتبة الوطنية[1]، بينما كلاين يرى أن هذا البرج يعود تاريخ بنائه الى سنة1071هـ/ 1661م، من طرف رمضان آغا بأمر من الباشا اسماعيل[2]، في حين فإنّ بوتان يشير إلى تاريخ بنائه الذي يعود الى 1068هـ/1685م[3]، بينما مارسي يرجع تاريخه الى سنة1135هـ/ 1722م اعتمادا على كتابة تاريخية تعود الى فترة حكم محمد باشا.[4]

لقد كانت بالبرج حامية تتكون به 15 مدفعي يراسهم باش طبجي ، اما عدد المدافع التي كان يحوي عليها فتبلغ 20 قطعة[5]، في حين نجد الفتحات تصل الى 24 فتحة تنحصر فيما بينها فتحات للمكاحل يصل عددها الى 28 فتحة نارية خاصة بالبنادق[6] .

تعرض هذا البرج لعدة أضرار لكن بعد كل حملة كان يرمم اذ يذكر انه ترمم سنة 1096هـ/1685م، من طرف موزومورطو بعد الحملة الفرنسية على الجزائر بقيادة دوكان، كما رمم ايضا حسب مارسي من خلال الدكتور خلاصي سنة1100هـ/

1- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،457.,

2- Henri Klein Les feuillets……d'El Djezair p, p,81 .

3- Vincent yves -Boutin, Op, cit., p. 30.

4- George Marcais, L'Architecture musulmane d'occident, Art et métiers graphiques, Paris,1956,154.

5- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،91.

6- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،104.

1688م بعد الحملة الفرنسية التي قام بها ديستري باسم الملك " لويس الرابع عشر.[1]

بني البرج على قاعدة ثمانية الشكل يبلغ قطرها 28 م، على خلاف الأبراج العثمانية التي شيدت بالجزائر على حد قول الدكتور خلاصي عند تعرضه لقلعة ميناء الجزائر قائلا:"**مثل هذه الأبراج هي أحسن التحصينات لأن المدافعون عندما يحاولون الدوران حولها يجدون حرية و سرعة**"[2]. و يواصل خلاصي قائلا " **إنَّ أسوار البرج بنيت بالحجارة المقطوعة المجلوبة من اطلال المدينة القديمة المجاورة له، يصل ارتفاع البرج إلى حوالي 09 أمتار، و يحيط به خندق يتراوح عمقه ما بين 02م و أربعة امتار و عرضه حوالي 07 أمتار، يدخله الداخون عبر جسر خشبي طوله 9.50م و عرضه 1.50م** ".*[3]

- برج القنيطرة:

أطلقت عليه عدة تسميات منها برج القنطرة نسبة إلى القنطرة التي شيّدها "الحاج أحمد داي"*(1107هـ-1110هـ/1695م-1698م)سنة1109هـ/ 1697م،واعيد بنؤها من طرف ابراهيم بن رمضان (1145هـ-1158هـ / 1732م-1745م)سنة 1149 هـ/1736م، و برج الاغا نسبة إلى الذي أعاد بناءه

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،91.

[2]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[3]- علي خلاصي، نفسه.

* للاطلاع اكثر انظر كل من مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،.ص،457-459 . و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،206 - 210 .

* للمزيد اكثر عن هذه القنطرة انظر عثمان مفتاح، العمارة الدفاعية لشرق مدينة الجزائر.....ص،ص،51-52.

سنة1240هـ/1824م[1]وعرف أيضا باسم الدار المربعة في فترة الاحتلال الفرنسي، وسمي ايضا بحوش الاغا كونه يحتوي على اسطبلات للخيول، وكذا سمي بثكنة القنطرة لكبر حجمه و قوة استيعابه.[2]

يقع هذا البرج شمال شرق قنطرة الحراش الشهيرة[3]، على بعد 12 كم شرق مدينة الجزائر، على الضفة اليمنى من وادي الحراش و على ارتفاع 60م على مستوى سطح البحر.[4]

أُنشئ البرج على يد الداي بابا عبدي سنة 1137هـ/1724م،وقد بني فوق أراضي ملك الوالي دادا، وكان من مهام البرج حماية القنطرة التي تعتبر بوابة مدينة الجزائر، جمع الضرائب بالنسبة لسكان سهل متيجة، مراقبة الطريق السلطاني الذي كان يمر بجانبه الأشراف على طبانات حلق الوادي.[5]

يشير كلاين بأنً هذا البرج عرف ترميمات سنة 1143هـ/1730م.كما أنَّه لم يكن سوى ثكنة تعرف بـ الدار المربعة، و كان مقر استراحة بايات الشرق قبل دخولهم الجزائر.[6]

إنً البرج عبارة عن بناية مرتفعة ذات قاعدة مربعة مقاساتها من الخارج85مx85م،وعند دخول الجيوش الفرنسية واحتلال مدينة الجزائر،استغل البرج كأول نقطة دفاعية كمقدمة لجيوشها، سمي حينها بالبرج المربع **la maison carrée** والى يومنا هذا لازال البرج قائما و محافظا على عمارته الأصلية العثمانية،رغم

---

[1]- لخضر درياس، لخضر درياس، المدفعية، أطروحة.....ص،108.

[2]- عبد القادر حليمي ، المرجع السابق،ص،242.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،93.

[4]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،452.

[5]- مفتاح عثمان، المرجع نفسه.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،108.

كل الاضافات التي طرأت، و هو بحي حسن بادي (بلفور سابقا) بداخل ثكنة عسكرية.[1]

- برج باب عزون:

يعد برج باب عزون من أهم الأبراج الدفاعية البرانية الشرقية، وهذا لقيمته الاستراتيجية و عدد فتحات الرمي فيه، حيث بلغت ثلاث و تسعين (93) فتحة، و يقع في طرف الساحل البحر على بعد 900 م عن باب عزون.[2]

يطلق على هذا البرج عدة تسميات منها برج " السفيد" (البرج الأبيض) لبياضه الدائم لأنه كان يطلى دائما بمادة بالجير الابيض لاهتمام الحكام بعنايته و نظافته، بالإضافة الى تسميته ببرج "راس تافورة، و الحقيقة ان اسم باب عزون حسب الشريف الزهار اعطي لبرجين القديم و الجديد فالبرج القديم او الاول؛ فالبرج الأول بني ما بين سنة 989هـ- 922هـ/1581م-1584م،ولم يبق منه إلا الجزء الامامي المشرف على البحر و الذي قال عنه بوتان سنة 1223هـ /1808م، بأنه يحتوي على احدى عشر قطعة مدفعية.[3]

أما البرج الجديد فقد تم بناؤه من طرف مصطفى باشا سنة 1213 هـ/1798م على انقاض جزء من البرج القديم ، و قد بني هذا البرج لحماية باب عزون، و حراسة الشاطئ الشرقي منها.*[4]

---

[1]- عثمان مفتاح، العمارة الدفاعية لشرق مدينة .....ص،53.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،215.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،108

[4]- لخضر درياس، لخضر درياس، المرجع نفسه.

* للمزيد انظر علي خلاصي ، القلاع و الحصون.....ص،ص،94-96.

نظرا لأهمية البرج، تعرّض إلى عدّة اصلاحات و اضافات ، كانت أوّلها فترة حكم "مصطفى باشا[1]، كما توضحه الكتابة التأسيسية المحفوظة بمتحف الآثار القديمة بالجزائر، نفذت بطريقة الحفر الغائر المطعم بالرصاص على شكل أبيات شعرية، على لوحة رخامية بلغة تركية وبحروف عربية بخط نسخ شرقي.[2]

إنّ المكان الذي كان يحتله البرج ونوعية تسليحه جعل منه سدّا منيعا أمام الحملات البحرية ومنعها من الاقتراب من تحصينات الميناء، إضافة إلى توفير الحماية لحصن الإمبراطور.

لقد لعب هذا البرج دورا هاما سنة 1246هـ/1830م،حيث أنه منع البحرية الفرنسية من الاقتراب من الشاطئ، و الاستلاء على الارواج الرانية من الخلف. وقد واصل هذا البرج أداء دوره العسكري في فترة الاحتلال الفرنسي، حيث حوّل إلى إقامة للجيش ليستغل جانب منه كسجن عسكري،ثم استعمل كسوق للحبوب و الدجاج و الفحم قبل أن يهدم سنة1323هـ/1905م.

كان لبرج باب عزون93 فتحة للمدفعية[3]،68 فتحة للمدفعية في الجهة العلوية و27 فتحة حسب كلاين في الجهة السفلية للبرج، وقد وزعت على كامل واجهاته الاربعة حسب الاتجاهات المسلحة بعشرات من القطع المدفعية، فالواجهة البحرية مثلا بها 19 فتحة سفلية و 18 فتحة علوية. اما من الواجهة المطلة على الطريق بها 18 فتحة علوية و انعدام الفتحات في الجهة السفلية من البناية، و بالنسبة للواجهة الجنوبية الشرقية فبها 18 فتحة علوية و05 فتحات سفلية، وعن الواجهة الشمالية الغربية؛ فتتوزع بها 12 فتحة علوية و 03 فتحات في الجهة السفلية.

---

[1]- أحمد الشريف الزّهار، المصدر السابق، ص82 .

[2]- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص،95.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،95.

للبرج مدخل رئيسي وحيد بالواجهة الشمالية، يفضي إلى قبو واسع به أربع مجموعات من المقاعد، تستعمل من طرف القبجية أو الحرس المكلف بمنع المدافعين من مغادرة البرج اذا أمر الباشا بذلك[1]. و في الفترة الاستعمارية استحدث مدخل آخر بالواجهة الغربية، نصل من خلال المدخل الرئيسي إلى صحن واسع، وزعت على جوانبه مجموعة من المرافق منها؛ غرف الجند التي كانت بالواجهة الغربية، حيث كانت تتسع لإقامة 300 جندي، أما مخازن الذخيرة، فكانت بالواجهة الجنوبية[2]، كما كان البرج يضمّ مصلى، وتتزود حاميته بحاجياتها من الماء من عينين مجاورتين له، أحداهما متصلة بجدرانه[3]، إضافة إلى توفره على خزانين لتجميع مياه الأمطار عبر ميازيب متصلة بالسطح، يتسع أحدهما لـ 295م3 ، والآخر لـ 140 م3، كإجراء احترازي عند الحصار.[4]

- برج الكيفان:

يعرف أيضا باسم برج الماء[5]، لقربه من البحر، حيث كانت تصطدم المياه بواجهته البحرية، وكثيرا ما اتخذت الأبراج التي تحتل هذه المواضع هذه التسمية*، وكانت شائعة بالفترة المرينية على عهد السلطان " أبي الحسن".[6]

يعتبر هذا البرج ثاني أبراج مدينة الجزائر من الناحية الشرقية بعد برج" تامنفوست"، يبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 19 كم، في خليجها الشرقي بحيث بني على راس

1- علي خلاصي، المرجع نفسه،ص،96.

2- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،218.

3- Vincent Yves – Boutin , Op,Cit., p. 191.

4- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،218.

5- Henri Klein, Les feuillets……d'El Djezair p p,82.

* كانت هذه التسمية شائعة بالفترة المرينية ، على عهد السلطان " أبي الحسن". انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،211.

6- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه.

صغير داخل البحر شيّده محمد باشا سنة1135هـ-1136هـ/1722 م - 1723م[1]، و قد جاء ذلك في اللوحة التأسيسية التي تعلو مدخله الوحيد بالواجهة البرّية،حيث تحمل كتابة عربية، منفذة بخط مشرقي ثم ملئت بالرصاص.[2]

في حين فان دوفولكس يشير من خلال الدكتور بن حموش ان البرج قد تم بناؤه سنة 989 هـ/1581م من طرف جعفر باشا[3]، ويشاطره في الراي كلاين فيذكر أنّه بني سنة989 هـ/1581م من طرف جعفر باشا.

بنيت عمارة هذا البرج لحماية قلب الخليج من كل حملة او تنظيم لمراكب الحملات التي استهدفت المدينة. اما عن دوره الدفاعي؛ نسجل على حد قول توفيق المدني من خلال الدكتور خلاصي؛ تصدي مدافع هذا البرج للحملة الاسبانية التي وجهت ضد مدينة الجزائر سنة 1189هـ/ 1775م، حيث وقفت في مواجهته سفينتان و صبتا عليه قذائفها قبل ان تنسحب بانكسار الحملة.[4] واستمر البرج في أداء وظيفته الدفاعية إلى غاية احتلال المدينة من طرف الفرنسيين الذين حوّلوه في أفريل من سنة1272 هـ/ 1855 م إلى مركز للجمارك.[5]

اتخذ الشكل المربع الغير المنتظم، و في سنة 1223 هـ/1808م، كان البرج يحتوي على فتحة واحدة، في اتجاه اليابس و أربع فتحات تجاه البحر، و أما الجانبين فنجد به 8 فتحات ؛ أربع منها في كل جانب متجهة نحو الشاطئ.*[6]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص،105.

[2]- Gabriel Colin ,Op,cit, p,97.

[3]- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي.....ص،124.

[4]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،92-93.

[5]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،211. أنظر ايضا .Henri Klein Les feuillets……d'El Djezair p,p,82

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،105.

* للمزيد ايضا انظر كل من محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،.ص، ص، 211- 213. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،.ص،454-456.

الى جانب الى جانب الاواج المقامة للدفاع عن المدينة في نواحيها الغربية الشرقية الجنوبية و الشمالية وجدت بها مجموعة من الطبخانات لتعزيز الخط الدفاعي.

بالإضافة إلى الاواج و الطبخانات التي تحرس مدينة الجزائر هناك اواج اخرى موزعة في النقاط الاستراتيجية من اراضي دار السلطان كوج شرشال وج منايل وج تيزي وزو و وج سيباو و قد سماها الدكتور لخضر درياس باسم اواج الاوطان نتطرق اليها حاليا.[1]

التحصينات الشرقية لدار السلطان:

مع قدوم الاخوة بربروسة (عروج و خير الدين و اسحاق) في مهمة جهادية بغرض انقاض بجاية من الاحتلال الاسباني لها سنة 918 هـ/1512م، ارتبط تاريخ منطقة القبائل ، مثل بقية مناطق البلاد الجزائرية ، بالحركة الجهادية ضد النصارى بالسواحل و التي اسفرت على حد قول سعيدوني عن تأسيس حكم عثماني مركزي في الجزائر، و كان لتضحية عروج و مساعي خير الدين دور أساسي في ربط الجزائر بالسلطة العثمانية سنة 924 هـ/1518م.[2] و في إطار هذه الملحمة الجهادية، تمت محاصرة الخطر الاسباني و تصفية مراكزه بالسواحل و ابعاد نفوذه عن بلاد القبائل بتحرير بجاية من طرف صالح رايس سنة 963 هـ/1555م، وبذلك أمكن لحكام الجزائر العثمانية بسط نفوذهم على منطقة القبائل، الأمر الذي أدى الى الاصطدام بالقوى المحلية القائمة على النظام القبلي، و المدعمة بالتجمعات الجهوية التي تبلورت في ظهور إمارتين متنافستين ببلاد القبائل، هما إمارة ابن القاضي التي

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،138.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل"** .....ص، 191.

اتخذت قلعة كوكو بآيت يحي مركزا لها، و إمارة آل مقران التي تحصنت بقلعة بني عباس شرق وادي الصومام.[1]

لقد حالف حكام الجزائر النجاح في اخضاع بلاد القبائل، عندما تمكن كل من خير الدين و ابنه حسن و خلفه صالحرايس من إخضاع الامارتين. و قد استخدموا أساليب حربية تعتمد على أسلوب المجابهة ، واستعمال السلاح الناري و استغلال النفوذ القبلي ، فألحقوا بلاد القبائل بالحكم المركزي، بعد ان تمكنوا من تصفية إمارة ابن القاضي سنة 948هـ-949هـ/1541م-1542م،و آل المقراني سنة961 هـ-967هـ/1553م-1559م،و بذلك ظلت بلاد القبائل تابعة للحكم المركزي، رغم حركات العصيان و التمرد و الثورة التي عرفتها بلاد القبائل في السنوات التالية:1000هـ/1591م،1003هـ/1594م،1131هـ/1718م، 1168هـ/1754م،1172هـ/1758م،1181هـ/1767م،1214هـ/1799م،1183هـ /1769م،1222هـ/1807م،1225هـ /1810م، 1234هـ /1818م، 1244هـ /1828م.و الجدير بالذكر أن حكام الجزائر العثمانية، قد أولوا أهمية قصوى لفرض نفوذهم على بلاد القبائل،وذلك حتى يبعدوا خطر القبائل المتمردة عن مدينة الجزائر القريبة من بلاد القبائل، و قد اعتمدوا في ذلك على عدة اساليب منها استغلال التنافس بين الاحلاف القبلية و ذلك بمناصرة حلف على اخر، ثم الانقلاب عليه عندما تقوى شوكته ، و منح امتيازات و ترضيات للشيوخ الكبار ذوي النفوذ.*[2]

إنً تلك الأساليب التي استعملها حكام الجزائر في فرض نفوذهم على بلاد القبائل، كانت تستند على سياسية دفاعية محكمة وأساليب عسكرية متطورة ، تمثلت

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية .....ص،192.**

* للمزيد و للاطلاع ناصر الدين سعيدوني، **المرجع نفسه**،ص،ص،191-193. و أنظر أيضا الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق،ص،ص،28-47.

في إقامة شبكة دفاعية تطوق بلاد القبائل الجبلية ببالد القبائل، لتظل بعيدة عن المناطق السهلية حيث تنتشر مزارع لبياليك (الدولة)، و تتمثل هذه الشبكة الدفاعية في سلسلة من الحصون لها هدف عسكري و غرض اداري في ان واحد ، و يتلخص في مراقبة السكان و التحكم في تحركاتهم و تامين طرق المواصلات و دون قيام حركات التمرد و تطويق حركات العصيان الواسعة النطاق.

هكذا شيّد الحكام الأتراك مجموعة من الأبراج على امتداد الطرق السلطانية، خاصة بالطريق الرابطة بين دار السلطان و بايليك الشرق، الذي يقطع منطقة القبائل المعروفة بكثرة ثوراتها ضدّ الحكومة التركية.و يرجع تاريخ بناء الأبراج إلى فترة متقدمة من حكمهم للإيالة الجزائرية، كانوا يهدفون من وراء إنشاء هذه الاستحكامات، إلى استتاب الأمن بالمنطقة، من خلال اتخاذها كقواعد عسكرية تحمي هذه المسالك خاصة، عند خروج محلاّت تحصيل الضرائب، وتأديب القبائل المتمرّدة والمتخلفة عن أداء واجباتها اتجاه سلطة البايليك،إضافة إلى توفيرالحماية للأسواق، واتخاذها كمخازن للحبوب المتحصل عليها ،عن طريق العشور و كأماكن راحة توفر الماء لقاصديها من عابري السبيل.[1]

نشير إلى أنً أغلب الأبراج قد أُقيمت على أنقاض القلاع القديمة التي سبقت دخول الأتراك إلى الجزائر، مثل" قلعة بوغني "و"قلعة ذراع الميزان "بقيادة بوغني. اشتهرت هذه المنطقة بكثرة حصونها منذ الفترة الرومانية، حيث كانت تشغل جوانب مسار الأودية خاصة "واد سبا" و "واد يسر"، وبالقرب من طرق المواصلات التي يمتد بعضها إلى ساحل البحر، حيث "مرسى جنات" و "مرسى الدجاج"[2]. و الجدير بالذكر

---

[1]- Louis Piesse, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie comprenant le Tell et le Sahara, Paris, 1862, p,135.

[2]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،273.

أنً هذه الحصون و الأبراج عبارة عن حلقة محكمة تطوق بلاد القبائل ، فمن الغرب حصون دلس و برج منايل ، و برج سيباو و برج تيزيوزو و برج بوغني، و من الجنوب برج حمزة وبرج سور الغزلان و برج المسيلة ، و من الشرق ابراج بجاية و مجانة وزمورة.[1] و من اهم هذه الاستحكامات الحربية : **اللوحة(17))**

برج منايل:

سمي البرج باسم برج امناين[2]، يعد اقدم برج في وطن "يسّر"، ويعود فترة بنائه الى عهد شعبان باشا سنة 1003هـ/1594م بمنطقة برج منايل،التي أصبحت تسمى بإسمه، و قد أُنجز هذا البرج لحماية سهول "يسّر"،..., P. 135 من هجمات القبائل الجبلية، كما حضي بحماية رجال المخزن الذين كانوا يشكلون المناعة الحقيقية لدار السلطان[3]، و كان تحت إمرة قائد يتبع لقيادة سباو. و يحتوي على مجموعة من الجند و قطع من المدفعية.[4] و بعدما تم بناء برج سيباو أصبح مقرا لإقامة وكيل الخرج العثماني المكلف بالإشراف على أراضي البايلك، في حين يذكر روبان **Robin** أنً برج منايل اصبح سنة 1246هـ/1830 م مقرا لأغوات فليسة إم الليل.[5]

كان موضع تشييد البرج بالضفة اليمنى لواد" يسّر[6]، على أنقاض موقع أثري روماني[7]، وبه كانت قلعة بربرية أعاد الأتراك استغلالها بعد ترميمها[8]، و قد شُيِّد من

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية.....**ص،ص،192-193.

[2]- حول التسمية أنظر زيدين قاسمي، قيادة سيباو- تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي -،دار الامل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر ،2009، ص،91.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،179.

[4]- رابح كنتور، أوقاف البليدة ووطن يسر بين 1671و 1900 من خلال وثائق المحاكم الشرعية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2016، ص،33.

[5]- رابح كنتور، المرجع السابق،ص،33.

[6]- رابح كنتور، نفسه.

[7]- Louis Piesse, Op,Cit, p, 153.

[8]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،274.

طرف محمد الذباح" في إطار مشروعه الدفاعي بمنطقة القبائل في نفس فترة إنشاء " برج سباو" و" برج تيزي وزو" [1]، لمراقبة الجانب الشمالي الغربي لأراضي"فليسة".[2]

فَقَد البرج دوره الدفاعي بعد أصبح مجرّد مستودع لقبائل المخزن، سنة1246 هـ/1830م،[3] وفي الفترة الاستعمارية شغلت عمارته مقر البلدية والدرك والكنيسة و المدرسة[4]، و قد استعمل كثكنة عند دخول القوات الفرنسية الى الجزائر، ثم هدم و لم يبق منه أي اثر،رغم البناء الذي مازال البعض يصفه بالبرج لأن حل محله.[5]

- برج سيباو الجديد

يقع برج سباو أو برج سباعو او برج سباو كما أطلق عليه الأهالي[6]، عند سفح جبل ذراع الكروش،على الحافة الشمالية لنهر سباو، على يسار وادي سباو و على بعد ثلاث (03) كيلومترات من تادميت، و كيلومترا وحدا (01) من تيزيوزو[7] و بالتحديد في مريجة[8]، بجوار منبسط من الأرض على مرتفع صخري، و يدعى أيضا برج تاورقة نسبة الى المكان الذي اسس فيه[9]، وبرج سباو بموقعه يشكل نقطة التقاء الطرق الآتية من مدينة الجزائر، ومرفأ دلس و المسالك المتوجهة الى داخل بلاد القبائل*، وهذا ما جعله مركزا ممتازا لحراسة المعبر الطبيعي الوحيد نحو مواطن

1- Le Colonel Robin, Historique sur la Kabylie, Adolphe Jourdan, Alger , 1905 , p, 105 .

2- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،274.

3- Louis Piesse ,Op ,Cit, p, 143.

4- Ibid,p,53.

5- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،179 .

6- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،204.

7- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

8- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،140.

9- زيدين قاسمي، المرجع السابق، ص،85.

* بمعنى يشكل همزة وصل حسب الدكتور سعيدوني بين الطريق الرابط بين دار السلطان و دلس و تيزي وزو و مختلف الطرق و المسالك المتجهة الى منطقة القبائل الكبرى، انظر رابح كنتور، المرجع السابق، ص،34.

القبائل الجبلية، الواقعة بين جبال سيدي علي بوناب في الجنوب و جبال القوارقة وواقنون في الشمال.*[1]

يعود انشاء هذا البرج الى أغا العرب(قائد فرق الجند بالجزائر) علي خوجة متولي ادارة وطن ساباو[2]، و الذي كان يمضي في رسائله باسم أمير الاوطان، فقد أمر ببنائه حوالي 1090هـ/1679م[3]، و ذهب غافوا **Gavoy** الى أنً هذا البرج، بني على عهد القائد محمد بن علي المعروف بالذبًاح عام 1131هـ /1718م، و هذه رواية تخلو من الصحة اذا عرفنا ان اسم برج سباو ورد ذكره لأول مرة في وثائق الإدارة المحلية 1133هـ/ 1720م[4]، و قد لاحظ روبان اثار لبناء قديم كان يقول عنها المواطنون بانها بقايا برج سباو، و بعد تحرياته وجد أنها بناية مدببة، قد تكون حوش لمزرعة. والواقع أنه من الصعب معرفة تاريخ وصول القائد علي خوجة الى هذا المكان، ولعل الوثيقة الوحيدة كما ذكر غافوا و المؤرخة ؛ هي التي تعود إلى سنة 1133هـ/1720موالتي يعتقد في تاريخها أنه نفس تاريخ برج سباو، لأن بايسونال كتب في سنة1138هـ/1725م يقول[5]:«**و القبائل امتدت في وقت من الاوقات حتى سهل متيجة الموجود بضواحي الجزائر، لكن في الأخير عين أحد الأتراك المعروف بعلي خوجة فاستطاع أن يدفعهم إلى الجبال و يخضع كل من كان في غرب واد الزيتون و بنى برجا جهزه بمدفع لحماية كل السهول حتى مدينة الجزائر**».[6]

(اللوحة(17))

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،"**الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،204.

*للمزيد ايضا نظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص،ص،204-208. وانظر ايضا Albert Devoulx,Tachrifat…..p,39.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،"**الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،204.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، "**الشبكة الدفاعية العثمانية**..... ص،205.

[4]- نفسه.

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،140.

[6]- Peyssonnel et Desfontaines, Op,cit, P, 451

حسب رين **Rinn** فإن هذا البرج كان مسكنا لخليفة الامير عبد القادر سي أحمد الطيب بن سالم، قبل فترة الاحتلال الفرنسي و بعد سنوات هوجر و اندثر.[1]

يذكر بوفوا **Beavois** أنً هذا البرج كانت به حامية، قدرًها " بوفوا " بسبعين (70) مدافعا، يشرفون على ادارة و مراقبة محيط البرج، و الإشراف على سرية المدافع التي قدرها بـ ستة عشر (16) قطعة[2]وحسب ما نقله سعيدوني عن دفتر التشريفات، فإنً عدد المدافع بالبرج يصل الى ثمانية (8) قطع و خمسين رجلا يُشكّلون الحامية ، وتحت تصرفه ثلاث زمالات و هي التي كان يتكون منها مخزن عمرلوة.*[3]

يتمتع برج سباو بتنظيم هام يختلف عن بقية الأبراج، لموقعه من جهة، و لقربه من دار السلطان من جهة أخرى بـ87كم اذ يشتمل على طوابق.[4]

يذكر روبان في هذا المجال بأن هذا البرج يضم طابقين؛ فالطابق السفلي منه؛ محاطا بسور دفاعي و بداخله توجد مخازن للقمح و الشعير و الزيت و البارود، زد على ذلك ساحة يتجمع فيها الأسرى،أما الطابق الاول؛يحتوي على مكان مخصص لقائد البرج و دار الصناعة، و غرف الحراس، كما يحيط بالبرج اسطبل و مطحنة وورشة لصناعة الزجاج، بالإضافة إلى اسطبل الحيوانات.*[5]

تعرّض برج سباو إلى إصلاحات و توسعات و ترميمات سنة 1273هـ/1856م، حيث شيّدت حوله سور من جهة الجنوب والغرب والجنوب الغربي، ودعّمت بعدد من

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،140.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص، ص،179-180.

[3]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،205..

* للاطلاع انظر. Albert Devoulx, Tachrifat……p,39

[4]- رابح كنتور، المرجع السابق،ص،34.

[5]- Le Colonel Robin,Op,Cit,p,105.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج انظر Le Colonel Robin, Ibid, p,p 46-105.

الأبراج، وبنيت داخلها بنايات خاصة بالمؤونة، مخازن، ثكنات وإقامات للضباط ... إلخ.[1] **اللوحة(17))**

برج تازرارت(برج سباو القديم):

إن أول نقطة دفاعية اقيمت في هذه المنطقة هو برج تازرارت، يقع يمين نهر سباو و يقابل احد روافده المدعو وادي بن عيسى[2]، و شيّد ليكون مقر لقيادة سباو ونقطة لمراقبة المنطقة والسوق التي بجواره.[3]

يعتقدان أن برج تازغرت أو تازرارت كما جاء في بعض المراجع* هو أقدم تحصين اقيم بهذه الناحية[4]،و يطلق على هذا البرج تسمية برج سباو لموضعه الذي كان موجودا بالضفة اليمنى من واد سباو، بالقرب من سوق برج تازرارت[5]*. **اللوحة(17))** كان البرج عبارة عن مخزن شُيِّد لاستقبال حبوب و حيوانات الجباية،و بها مخازن للأعلاف.[6]وحسب المعلومات التي استقيت من قاضي عمراوة ، فإن قرية تيكوباين أو تيقوباين قد خرِّبت البرج في سنة 1127 هـ- 1128هـ/1715م- 1716م، أي قبل تاريخ بناء المخزن الذي شيده الأتراك العثمانيين سنة 1725م، وكان هجوم قبيلة

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،276.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

[3]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،274.

*انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص ،142 .

[4]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180.

* يذكر ساحي في بحثه عن الزواوة ان مخزن تزغرت تأسس قرب تيكوباين أو تيقوباين في سنة 1725م، و عيَّن عليه القائد سليمان. علي خلاصي، المرجع نفسه، ص،180.

[5]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

إبراثن بقيادة قائد تازرارت المدعو سليمان[1]، قد ألحق أضرارا كبيرة بعمارة هذا البرج، و نظرا للخلل الموجود في نظامه الدفاعي المتصل بعمارته وموضع إنشائه تخلّت عنه السلطة التركية وعوّضته ببرج سباو الجديد، في موضع مشرف بالجهة اليسرى من وادي سباو.[2]

إنّ آثار البرج المتهدم التي شوهدت أثناء الاحتلال الفرنسي تبين ان مساحة البرج كانت لا تتعدى 450 م،اذ ان قياساته لا تتعدى 30م x 15م، و جدرانه شديدة السماكة و الصلابة، كما ان فتحات المدافع و مزاغل السهام رتبت بعناية جيدة ، وبقيت اثارها ظاهرة الى فترة متأخرة من العهد الاستعماري الفرنسي.*[3]

- برج بوغني :

يسمى كذلك نسبة الى المكان الذي اسس فيه ، وواغني يعني المكان أو السهل الذي يقع في مكان عالي و بين الجبال[4]، و يذكر دوفوكس في التشريفات ان اصل التسمية يعني المكان المسطح العالي حسب التعبير البربري.[5]

يقع برج بوغني على المنحدرات الشمالية لجبال جرجرة، ويتوسط منخفضا يعبره وادي بوغني احد الروافد الجبلية العدية التي تنتهي عند نهر سباو، و هو بموقعه هذا يبعد الى الشرق من ذراع الميزان بـ 14كم، وإلى الجنوب الغربي من تيزيوزو بـ 33 كم،

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،274.

[3]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،180.

* للمزيد انظر كل من لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،142. و علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180

[4]- زيدين قاسمي، المرجع السابق،ص،90.

[5]- Albert Devoulx,Tachrifat…….p,353.

كما يمكن الوصول منه الى مصيف تلاغيلاف أو عين الدِّبِّ المتوحش(1500م) الواقع الى الجنوب منه بـ 20 كم.[1]

ارتبط تاريخ برج بوغني بالإدارة العثمانية ببلاد القبائل[2]، اذ يرجع تاريخ بنائه إلى نفس التاريخ الذي بني فيه برج سباو تقريبا*،ومن المعروف أنَّ بناء البرج قد تم من قبل القائد محمد بن علي المعروف بالذباح، وذلك حوالي عام 1136هـ/1724م، و جعله مقرا للقائد التركي العثماني بتلك الناحية، فتعاقب عليه العديد من القياد**،ورد اسم احد قياد بوغني وهو سيدي علي أو موسى التلمساني و بني خلفون، و بذلك ضل برج بوغني نقطة مراقبة عسكرية، بين عين الراوية و مشتراس و مركز ادارى، يتحكم في قبائل قشتولة و ايت صدقة و تزليوة و بني خلفون، و يحد من تحركاتهم التي بدأت تشكل خطرا على نفوذ البايليك بحوض سباو، منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي.[3]

كانت قيادة بوغني تتبع دائما لبرج او لقيادة سباو والذي تبع بدوره لمدة طويلة الى بيلك التيطري، وكان يحتوي على 04 صفوات تتكون الواحدة منها على 16رجل، و من قادة هذا البرج الذين اعتلوا عرش بايلك التيطري كمحمد بن علي المعروف بالذباح[4]، و اصبح برج بوغني في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أي منذ

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،208.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

* ففي إحدى العقود المؤرخة بشهر رمضان 1136هـ/1724م، نجد ان القائد محمد الذي كان قائدا على سباو و كلف قائد قاسم بن عيسى لتسوية قضية ارث عند اولاد سيدي علي اوموسن. و يذكر **روبان** ان هناك وثيقتان مؤرختان سنة 1137هـ–1137هـ/1724م-1725م، كتبت واحدة من طرف قاضي اولاد سيدي علي اوموسى، و الثانية من طرف قاضي بني خلفون، وتذكر احداهما ان سي محمد التلمساني هو ممثل الداي في البلاد، و قد اعطى له لقب نائب اوطان قشتولة، و في الثانية يعين كقائد لبوغني، وهذا ما جعل روبان يؤكد على ان برج بوغني كان موجودا في سنة 1137هـ/1724م. انظر كل من Le Colonel Robin,Op,Cit,p,144 و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،142.

ورد اسم احد قياد بوغني وهو سيدي علي أو موسى التلمساني و بني خلفون .انظر ناصر الدين سعيدوني،"الشبكة الدفاعية العثمانية.....**ص،208.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

1159هـ/1746م، مركز مراقبة الطريق الجبلي العابر لبلاد القبائل، والذي كانت تسلكه الحاميات العسكرية في أوقات السلم.*[1]

في عام 1234هـ/1818م، تعرض البرج الى تهديمه مرة اخرى عندما داهمه رجال قبائل قشتولة وايت صدقة لتتحول بناءاته إلى أنقاض، وأُعيد بناؤه للمرة الثالثة من طرف يحي أغا*قائد الجيش الجزائري، بمساعدة الشيخ محمد شيخ قبيلة أيت قاسمي الذي أصبح قائدا بحوض سباو(قائد عمارة الفواقة)عام 1235 هـ/1819م،وزود البرج بعدة مدافع و استقرت به الحامية العسكرية مجددا سنة 1239هـ/1823م،ووضعت تحت تصرف قائد حامية قبيلة ترليوة، التي برهن رجالها على اخلاصهم للبيلك، و أصبحوا متعاونين معه و أدمجوا في نظام المخزن.*[2]

بعد احتلال فرنسا لمدينة الجزائر سنة 1246هـ/1830م، وبعد انسحاب رجال الامير المعسكرون من برج بوغني، احتلت طلائع الجيش الفرنسي البرج، و استولت عليه بعد أن وجدته مهجورا و شبه مهدم، فقاموا بإعادة ترميمه و تنصيب حامية به، ثم جعله مقرا صالحا لإقامة الجند سنة1272هـ/1855م،والجدير بالذكر أنً مصاريف الترميم الضرورية، قد قدرًها الفرنسيون حسب معلومات أحد الضباط الفرنسيين الى ما يناهز ثلاثين (30) فرنكا، و قد ورد وصف دقيق لحالة البرج عند استيلاء الفرنسيين عليه، في إحدى الوثائق التي كتبها أحد الضباط الفرنسيين قائلا:" **إنه بناء مربع**

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،209.

* تعرض برج بوغني الى مهاجمة قبائل فليسة عدة مرات، ففي 18 شوال 1169هـ/ 16 جويلية 1756م ، تمكن رجال قبائل فليسة ام الليل من هدم تحصيناته و قتل حاكمه القائد محمد ، ثم اعيد بناؤه بعدما تمكن داي الجزائر الداي بابا علي الملقب ببوصبع، اخضاع القبائل الثائرة في حملة عسكرية على مواطنهم جهزها في 25 ذي القعدة 1169هـ/ 25 اوت 1756م، و المتكونة من محلة قسنطينة و الجزائر و تيطري، ولم تتمكن القوات العثمانية التي وجهت لإخضاع القبائل من إرجاع الامور إلى نصابها إلا في منتصف عام 1757م. أنظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه،209.

* حسب درياس توفي شنقا بالبليدة سنة 1827، للمزيد أيضا أنظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،142.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه، ص،142.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج و للاطلاع انظر كل من ناصر الدين سعيدوني ،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،208-211. ولخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه.....ص،142،وعلي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص، 180 .

الشكل يتميز بواجهته الاربعة مزودة بأبراج مربعة الشكل يمكن الوصول اليها عبر حواجز متدرجة الإرتفاع، حيث توجد فتحات لإطلاق النار".*[1] اللوحة(17))

- برج تيزي وزو:

يقع مركز تيزي وزو**وسط حوض سباو داخل بلاد القبائل، وأخذت تيزيوزو تسميتها من اللفظ القبائلي، فعرفت بممر القندول(**Col du genêt épineux**)*.

بني برج تيزي وزو بمكان مرتفع على انقاض آثار رومانية، وقد ساعده هذا الموقع على مراقبة المنطقة الشرقية وكل حوض سباو[2]، ولكن رغم هذه الميزة إلاّ أنّ الاعتماد عليه في العملية العسكرية كان محدودا، وذلك نظرا لطبيعة موقعه الجبلي.[3]

نشير إلى أنً تشييد هذا النوع من الاستحكامات كان من قبل محمد بن علي الذباح، و كانت به حامية من الجيش العثماني تتراوح بين ستين و خمسين رجلا، زيادة عن الزمالة التي كانت تساعده في التدخلات ضد القبائل، بالإضافة الى عدد المدافع التي تقوم بحراسة البرج*[4].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،210-211.

* للمزيد و للاطلاع اكثر عن وصف البرج انظر ناصر الدين سعيدوني، **"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،210-211.

** يحتل معبرا طبيعيا للمواصلات على شكل واد عريض يقدر طوله حوالي 03 كم عند سفح جبل بلة غير بعيد عن نهر سباو. و هذا ما جعل من موقع تيزي وزو محطة مراقبة للجهات الجبلية المحيطة بحوض سباو و نقطة اتصال بالبحر عن طريق ميناء دلس او بمدينة الجزائر عبر الطريق الطبيعي الذي يمر بذراع بن خدة و الثنية (ثنية بني عائشة). ناصر الدين سعيدوني، نفسه.

* نبات شوكي كان ينبت بكثرة في ذلك الممر الطبيعي الذي قامت عليه مدينة تيزي وزو(ممر القندول)، ومن الراجح ان يكون هذا الممر مكانا لموقع عسكري روماني كان يعرف باوبيدوOppidum)) و ذلك ما ذهب اليه البارون أوكبيتان(Baron Aucapitaine) من خلال سعيدوني في ملاحظاته حول موقع تيزي وزو؛ و اقام مكان هذا الممر حكام الجزائر العثمانية (الدايات)،معسكرا بسيطا حوالي 1640م، لتدعيم دفاعات برج سباو، ولم تلبث عمارة هذا المعسكر ان تطورت في الربع الأول من الثامن عشر (حوالي 1715م-1718م)، فتحولت الى بناء محصن يتميز بمتانة جدرانه. وقد عرف هذا الحصن لدى سكان تلك الجهات ببرج تازاغارت أو تازاررت كما ورد اسمه في بعض الكتابات. أنظر ناصر الدين سعيدوني، نفسه،ص،ص،211-213.

[2]- Louis Piesse, Op ,Cit , p,157.

[3]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،278.

[4]- Le Colonel Robin,Op,Cit,p,144.

كان برج تيزيوزو يحتوي على03 صفوات[1]، و قد استُغلَّ كمركز عسكريا رئيسيا في حملاته العسكرية على قبائل جرجرة، و جهات الساحل شرق مدينة دلس، فتأكدت أهميته العسكرية عندما صدمت تحصيناته هجمات القبائل الجبلية سنة 1181هـ/1767م، وهذا ما شجع قياد سباو فيما بعد تجديد بناءاته للمرة الثانية، فأصبحت أي تحصيناته تتميز بمتانة أسوارها و صلابتها و التي بلغت علوها ما بين خمسة و ستين (65) مترا، وانتشرت في اعلاه منافذ زودت بستة عشر(16) مدفعا، جلبت من حصون دلس.*[2]

نلج إلى البرج عبر مدخل يعلوه عقد، يؤدي إلى صحن مكشوف به بئر وتحيط به غرف لمبيت الحامية المرابطة به، والتي كانت تتشكل من 50رجلا، لينخفض عددها إلى 29رجلا سنة 1246هـ/1830م.[3]

بقي البرج مستعملا حتى بعد الاحتلال الفرنسي مع برج حمزة و برج منايل، حيث اعيد ترميمه في سنة 1268هـ/1851م، و عين به بلقاسم اوقاسي كباش، و بعد خمس (05) سنوات اصبح مقرا للقائد العام بتيزي وزو.[4]

تعرضت عمارة البرج في عهد "يحيى آغا" قائد القوات الجزائرية إلى الترميم، و استمر البرج في أداء دوره الدفاعي في الحقبة الاستعمارية، بعد أن أصلحه الجنرال "كوني" **Cuny** و كان ذلك في سنة سنة 1268هـ/1851م.[5] **(اللوحة (17))**

---

* لم يعرف هذا البرج تطورا حتى تولى قيادة سباو القائد محمد بن علي الفريرارا الذي خلف خاله حسين بن عثمان عام 1150هـ/1737م، فأولى عناية خاصة ببناءاته و توسيع برج تيزي وزو، واعادة بناء برج تزاغارت "ثازارارت" الذي يقع بين ثالة عثمان و عبيد شملال ، و الذي قام سكان عرش واقنون بهدمه عام 1129هـ/1716م. Le Colonel Robin,Op,Cit,p,144.

[1]- زيدين قاسمي، المرجع السابق،ص،92.

[2]- للمزيد انظر ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،212-213.

* للاطلاع اكثر انظر للمزيد انظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص،ص،211-215.

[3]- Rinn Louis,Op,Cit,p,143.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

[5]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق ، ص،278..

- برج شرشال:

بعد ربط مدينة شرشال بالجزائر سنة 922هـ/1516م قدم عروج إلى شرشال فحررها، ثم رجع الى مدينة الجزائر« **بعد تحصينها و اقام بها قلعة ذات شان**»، ثم تواها دوريا **André Doria** سنة 9371هـ/1530م بعشرين (20) سفينة، عليها ما يزيد من 1500 من أحسن المهاجمين، ففر سكان شرشال و بقيت القلعة تقاوم في انتظار وصول المدد[1]، و تمكن المدافعين من استرجاع المدينة بعد تنظيم هجوم كاسح، لاستغلالهم فرصة انشغل جيش دوريا بأعمال النهب و السلب فتمكن هؤلاء المدافعون من القضاء على ما يزيد عن 1400 جندي،و عندما وصل خيرالدين على رأس الأسطول وجد دوريا قد غادر المدينة مهزوما.[2]

بني برج شرشال من طرف القائد محمود بن فارس التركي سنة 924هـ/1518م[3] بأمر ن القائد التركي" عروج بن يعقوب"واتضح ذلك من خلال لوحة تأسيسية تذكارية مثبتة أعلى مدخله، من خلال حفرية حسب ستيفان جزال **Stéphane Gsell** ، أُجري في الموقع سنة 1348هـ/1926م ، وهي محفوظة حاليا بالمتحف الوطني بشرشال[4]، و لقد تم بناءه بمساهمة الجند **الأتراك العثمانيين والأهالي.***[5]

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،190.

[2]- توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا.....ص،222.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،138.

[4]- Stéphane Gsell , Cherchell antique, Iol Césarea, Paris, 1952, P, 31 .

[5]- Adrien Berbrugger **« Le fort de Cherchell »** in Rev-Afr,1865,p,p,205.

* للمزيد اكثر عن البرج انظر سعاد بن شامة، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري- شرشال – البليدة – القليعة- و مظاهر التمدن الاندلسي فيها، دراسة وصفية تحليلية أنموذجية، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة بزريعة 2، معهد الاثار،2014-2015 ،ص،ص،89-93.

استطاع هذا القائد العثماني ان يدعم دفاعيات المدينة ضد الغزوات الاجنبية خاصة حملة اندري دوريا **André Doria** سنة937هـ/1530م[1]. وقد وجدت كتابة تذكارية مثبتة حسب الدكتور درياس على باب البرج.[2]

للإشارة؛ فإنّ هذه اللوحة الرخامية مربعة الشكل نقشت عليها كتابة عربية منفذة عن طريق الحفر البارز وبخط نسخ مغربي، وجاءت موزعة على ستة أسطر متوازية.* [3]

نجد وصفا لمدينة شرشال ببرجها في التقرير البحري العسكري و السياسي حول الساحل الإفريقي الذي اعده كل من **Lanfereducci** و **Bosio** لحاكم مالطة سنة هـ/1587م، حيث يشير هذا التقرير الى اهمية هذه المدينة بدفاعاتها ورجالها خاصة المدفعية الى تتوفر فيها.[4]وهي محفوظة حاليا بالمتحف الوطني بشرشال.

– الاستحكامات الدفاعية لبيلك الشرق و الطرق السلطانية:

يضم بايلك الشرق مجموعة من الابراج و الطبخانات موزعة حول المدن الرئيسية و اسوارها خاصة الساحلية منها بالإضافة الى الطرق السلطانية.**(الخريطة (06))**

1– تحصينات بيلك الشرق

من تحصينات المدن الرئيسية لبيلك الشرق وأسوارها نذكر أهمها: **(الخريطة (06))+ اللوحة(18))**

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،138.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

[3]- Gabriel Colin, Op,cit., P, 11-12

* و عن الكتابة التأسيسية للبرج انظر كل من Gabriel Colin, Op,cit. P, 11-12، و لخضر درياس، المدفعية الاطروحة..... ...ص،138.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، المرجع السابق.

تحصينات مدينة قسنطينة:

تتربع مدينة قسنطينة فوق صخور وعرة تحيط بثلاثة أرباعها ، و في سفحها يجري وادي الرمال (بومرزوق) الذي يمر بجهاتها الجنوبية و الشرقية و الشمالية في اتجاهه نحو الشمال الغربي، و لذلك فهي محصنة طبيعيا*، بغض النظر عن أسوارها*، وللمدينة أربعة أبواب ،أحدها في الشرق و يدعى باب القنطرة و تنتهي إليه طرق الساحل الشرقي، محصن بطبخانة و تضم ستة(06) مدافع، أما الأبواب الثلاثة فتقع في الجنوب الغربي،و يبعد الواحد منها عن الآخر بحوالي مائتي خطوة، وهي على التوالي باب الرحبة في الغرب، وقد أصبح يعرف أثناء الاحتلال الفرنسي باسم الباب الجديد، و يقول عنه شلوصر بأنه تحرسه طبخانة تحتوي على خمسة مدافع، وفي الشرق نجد باب الجابية وما بين الاثنتين يقع باب الواد، ومن بين الأبواب الثلاثة بطاريات المدافع التي تضم أربعين مدفعا لحراسة المدينة من أي هجوم.[1]

في أعلى الصخور المقاومة للمدينة، يقوم حصن القصبة* الذي يشرف على الباب الجديد و باب القنطرة، متربعا على مساحة تقدر بـ مساحة القصبة و نصف، وتعد المقر الاساس للحامية العثمانية بالمدينة تحرسها ثمانية مدافع حسب هيبوليت من خلال درياس وواحد و عشرون حسب بوايي **Boyer** حسب المعلومات التي استقاها من القائد ابراهيم.[2]

---

* عن تاريخ قسنطينة و عن وصفها انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،151-152، و شلوصر فندلينن، قسنطينة أيام احمد باي،ص،ص،74-75،و عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني- دراسة عمرانية اثرية- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر02 ، 2009-2010،ص،ص،65-268.

* للمزيد عن أسوار قسنطينة أنظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،152-154، و عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص،ص،65-268. و كذا محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،ص،306-309.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،161. أنظر أيضا عبد القادر دحدوح، المرجع السابق. و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،ص،306-314.

* انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق ، ص،ص،315-316.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،162-165.

برج المنصورة:

يبني هذا البرج في أوائل العهد العثماني ، وذلك بسبب هجومات الأعراب على الحامية التركية بالمدينة، و قد تعرض لعدة هجومات خاصة هجوم مراد باي بوبالة سنة 1112هـ/1700م، و تتكون أسلحته من أربعة هاونات، في حين يشير بوايي من خلال درياس استنادا الى المعلومات التي استقاها من القائد ابراهيم، بأن البرج كان مسلحا بخمسة عشر(15) مدفعا. وهكذا يمكن القول بأن مجموع المدافع التي كانت تحرس مدينة قسنطينة أثناء الاحتلال الفرنسي تبلغ تسعا و ستين (69) مدفعا، زيادة عن الحامية من الجيش العثماني التي يبلغ عدد افرادها الى تسعمائة (900) كتيبة.*[1]

تحصينات مدينة بجاية:

كانت مدينة بجاية في بداية القرن العاشر الهجري/الموافق لبداية القرن السادس عشر الميلادي، من أهم المدن الساحلية بالجزائر واغناها*، إذ عمدت إلى تسليح العديد من السفن الحربية المختلفة وإرسالها الى غزو الشواطئ، من ثم اعتبر هذا العمل من الاسباب التي دعت اسبانيا، لاحتلال المدينة سنة 915 هـ/1510م،

---

[1]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

* للاطلاع اكثر انظر لخضر درياس، نفسه،ص،ص،161-165. علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،157، و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،ص،317- 318 .

*عن تاريخ بجاية انظر كل من الإدرسي، وصف افريقيا ،ص،63،و الوزان، وصف افريقيا ،ج2،ص،50. روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 م إلى نهاية القرن 15 م،ج1، ترجمة : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1988، ص،410.

ورغم المحاولات التي بذلت لاسترجاعها إلا انها بقيت في يد الإسبان حتى سنة 963 هـ/1555م، و هي السنة التي استولى عليها صالحرايس، وركز بها حامية من الجند العثمانيين بعد تحصينها و تزويد ابراجها بالمدفعية[1] و أهم هذه الابراج. **اللوحة(18))**

برج موسى fort Barral

يحتل برج موسى موقعا مرتفعا مقارنة بالبنايات العسكرية الهامة داخل أسوار المدينة مثل القصبة و برج سيدي عبد القادر، هذا الخط الدفاعي الذي يمثل إلى يومنا هذا النقاط المرجعية لمسار سور المدينة خلال الفترة الإسبانية والتركية، انطلاقا من القصبة في الجنوب الغربي مرورا ببرج موسى في الشمال، وينتهي عند برج سيدي عبد القادر في الجنوب الشرقي.[2]

شيد من طرف الاسبان في بداية القرن العاشر الهجري/لبداية القرن السادس عشر الميلادي على أنقاض قصر النجمة، وكان البرج الأول الذي سقط في يد صالحرايس قد اعترته كثيرا من التعديلات، سواء في العهد العثماني أو الفرنسي. [3]

اتخذ برج موسى حسب بوطبة شكلا مستطيلا، ويتكون من طابق واحد بأربعة واجهات[4]، اما الدكتور خلاصي فيشير الى وجود اربع طوابق؛ طابق ارضي و ثلاثة طوابق.*[5]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،165.

[2]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،340.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،ص،165-166.

[4]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق،ص،342.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،141.

* للمزيد أيضا عن وصف البرج أنظر علي خلاصي، المرجع نفسه، ص،ص،140-145. وأنظر أيضا محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،340-344.

يتوج الواجهة الشمالية منها برجان منتظمي البناء، متناظران ومتماثلان من حيث الشكل والمقاسات التي تتراوح من الداخل ما بين 8.90 م و11.20م، أما ارتفاع البرج فيصل الى 10.80م.[1]

تكمن قوة البرج في سمك جدرانه التي لا تقل عن02 م و المسلحة بعدد من قطع المدفعية، حسب ما تظهره الفتحات الموزعة في مناطق مختلفة من هيكله.[2]

كانت تتكون أسلحة البرج عند دخول القوات الفرنسية الى بجاية، من أربعة مدافع يشرف على إدارتها أحد القادة برتبة بولكباش مع حامية من 16 الى 20 جندي يقوم على خدمتها.[3]

و بعد احتلال المدينة من طرف القوات الفرنسية في سبتمبر1249هـ/1833م، حوّل إلى ثكنة للجيش الفرنسي[4]، ثم حُوِّل بعد ذلك الى برج في سنة 1267هـ/ 1850م ، وأطلق عليه اسم" برال" **Barral** نسبة الى الجنرال الفرنسي" برال" **Barral** الذي قتل بـ" ببني حيمل" اثناء احتلال المدينة ودفن بالواجهة الشمالية له من الداخل.[5]

اللوحة(18))

برج سيدي عبد القادر:

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،141.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،342.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،141.

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،342.

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،165.

يحتل برج* سيدي عبد القادر مكانا استراتيجيا هاما، اذ كان يحمي قصر اللؤلؤة في العصر الحمادي، ثم اختاره الاسبان لغلق جدار التحصين من الجهة الشمالية للمدينة التاريخية.[1]

يعد هذا البرج الوحيد الذي كان موجودا بمدينة بجاية أثناء الاحتلال الاسباني سنة 915هـ/1510م،غيرأنً الاسبان قاموا بتجديده، و جعلوا منه أحد الحصون المهمة بالمدينة.

شيّد البرج على أنقاض برج حمّادي، وموقعه جعله يحتل مكانة استراتيجية هامة بالواجهة البحرية الشرقية للمدينة، حيث يشرف على مرسى سيدي يحيى وعلى رصيف الشحن بالناحية الغربية له، كما أنّ المتتبع لمسار السور الإسبانية والتركية والفرنسية يلاحظ أنه نقطة مرجعية ثابتة لبداية السور من الناحية البحرية.[2]

يعود تاريخ استغلال موضع برج سيدي عبد القادر إلى الفترة الحمّادية،وعند احتلال بجاية من طرف الإسبان شيّدوا مكانه برجا بإشراف قائد الحملة "بيدرو نافارو" تحت اسم برج البحر، وبعد الحملة الفاشلة لشارل الخامس على مدينة الجزائر، اتجه إلى بجاية باعتبارها قاعدة عسكرية إسبانية إلى جانب مدينة وهران بشمال البحر الأبيض المتوسط، وذلك لاسترجاع أنفاسه، ولقي البرج* إثر ذلك إضافات في دفاعاته بأمر من الإمبراطور نفسه،وعند فتح الأتراك للمدينة، واصلوا الاعتماد عليه للدفاع عن بجاية، خاصة من الواجهة البحرية، حيث كانت ترابط فيه حامية، تتمثل في الكاهية

* يعرف البرج أيضا باسم برج البحر حسب روبار برنشفيك ، و في مذكرات الجنيرال رشيد، ذكر باسم برج المرابيط خلال القرن الحادي عشر الهجري/ للقرن التاسع عشر الميلادي. انظر كل من الجنيرال رشيد، رحلة الجنيرال رشيد الى الجزائر سنة 1847،تحقيق و تقدي؛ الشيباني بن بلغيت، ط1،مكتبة علاء الدين، صفاقص، تونس، 2007،ص،24. و روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ص،415.

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،143.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،ص،342.

* بعد احتلال المدينة من طرف القوات الفرنسية، وأصل الفرنسيون استغلاله على عهد سابقيهم، إلا أنّه مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري و بداية القرن الرابع عشر الهجريين/ لنهاية القرن التاسع عشر ميلادي، وبداية القرن العشرين، فقد دوره الدفاعي وحوّل إلى سجن للأهالي وحاليا هو ملك للقوات الجزائرية. لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه....ص،166.

وستة عشر جنديا. و عرف البرج صمودا قويا خاصة اثناء هجوم رايس امام المهاجمين لمدة خمس (05) أيام، و بعدها عدل و رمم من طرف العثمانيين. ولقد كانت أسلحته أثناء الاحتلال الفرنسي بجانب الطبخانة الموجودة بجانبه تبلغ 20 مدفعا.[1]

يتخذ البرج شكلا شبه مستطيل ممتدا بشكل طولي على الرصيف الشرقي لميناء المدينة، تبلغ مقاساته بـ 56 م طولا x 18 م عرضا.

يظم طابق تحت الأرض، وهي عبارة عن مخازن ضيقة مسقوفة بسقف أسطوانية، يعلو هذا المستوى طابق أرضي مقسم إلى أربعة غرف تتسع لإقامة 50 رجل، أما عن تسليحه، فكان يضم 15 فتحة للمدفعية موزعة على واجهاته بالشكل الآتي: ثلاثة موجهة نحو رصيف الشحن، وثلاثة نحو الجبل وأربعة باتجاه المرسى وخمسة صوب خليج سيدي يحيى، حيث يوجد الميناء البترولي حاليا و اشار شارل فيرو أنّه عند الحملة الفرنسية على المدينة كان مسلّحا بالإضافة إلى بطارية سيدي أحمد الملحقة به بعشرين (20) مدفعا.*[2]

القصبة:

شيّدت قصبة بجاية على هضبة معتدلة الارتفاع مقارنة بمعظم التحصينات المعاصرة لها وهي تشغل الركن الجنوبي الغربي للمدينة[3]*، و قد بنيت هذه القصبة

---

[1]- لخضر درياس، لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،166..

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،345-346.

* للاطلاع اكثر عن هذا البرج انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،143. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،344-346.و. Louis Piesse ,Op ,Cit,p,376

* كانت تحدّ قصبة بجاية من الغرب دار الصناعة، وهي تمثل جانبا من سور الواجهة البحرية في نفس الوضعية مع باب البحر في الجهة الغربية منها. انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،125-132. و محفوظ محفوظ ،المرجع السابق، ص، ص،332-342. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني.....ص، ص،186-187.

من طرف الموحدين.**

تواصل استغلالها من طرف القوات الفرنسية بعد احتلالها المدينة سنة1249هـ/ 1833م، وقد ذكر الجنرال رشيد في مذكراته عند زيارته مدينة بجاية في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن 19 م، و من مجمل ما أقاموا بها، إضافة إلى الإسطبل ودار البارود، ثكنة لسلاح الهندسة زد على ذلك مخزنتين لتغطية حاجيات الجند الذين كان يقدّر عددهم بـ5000 جندي.[1]

تحصينات مدينة عنابة:

إنً التحصين الطبيعي الذي تتمتع به مدينة عنابة، والمتمثل في البحر المتوسط في الشمال، و كتلة الجبال الايوغ بالجهة الغربية والجنوبية لم يمنع الحكام عبر مختلف الفترات الاسلامية على تحصينها اصطناعيا تحسبا لأي هجوم اجنبي بحكم موقعها الاستراتيجي.[2]

اختلفت مدينة عنابة خلال العهد الاسلامي بنماذج من العمارة الاسلامية بشمال افريقيا عبر العصور.*

---

[3]- محفوظ محفوظ، المرجع السابق،ص،332.

**تعرضت قصبة بجاية عبر العصور المتتالية الى كثير من التحويرات خاصة تلك التي وقعت في بداية القرن العاشر الهجري الموافق لبداية القرن السادس عشر، و عن مدى القوة الدفاعية التي كانت تتمتع بها، يقدم لنا مارمول من وصفا هاما عن ابراج المدينة خاصة برج البحر، وبرج موسى و القصبة، و عن هذه الاخيرة يقول فيرو بأنها اي القصبة مبنية بالآجر الأحمر فوق أسس البنايات المحصنة و التي كانت تحمي الميناء في العهد الروماني ، و قد عرفت القصبة اصلاحات خاصة بعد احتلال المدينة سنة 916هـ/1510م من قبل الاسبان، وقد حرص قائد الحملة" بيترو نافارو "على تحصينها، وحظيت القصبة بنصيبها من ذلك، و تعرضت للمرة الثانية لإصلاحات جديدة من طرف " شارل الخامس" خاصة عند زيارته للمدينة سنة 952 هـ/ 1545م، وعندما فتح الأتراك العثمانيين مدينة بجاية بقيادة " صالح رايس" سنة 969هـ/ 1555م، كانت القصبة آخر معقل للإسبان بالمدينة بعد أربعة وعشرين يوم من الحصار، دخلها الأتراك العثمانيون وتركوا بها حامية من 28 رجل. وعن اسلحة هذا البرج فكانت تتكون من تسعة قطع من المدفعية. انظر كل انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،125-132.و محفوظ محفوظ ،المرجع السابق، ص،ص،332-342. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني.....ص، ص،186-187.

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،ص،332- 340

[2]- رزقي فهيمة ،" **الاستحكامات العسكرية بمدينة عنابة حصن المعذبين انموذجا** "، دراسات تراثية ،مجلة علمية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، اعمال الملتقى الدولي – النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني، ج2،العدد،05، عدد خاص، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر2، الجزائر، نوفمبر 2014، ص،436.

* اشارت المصادر التاريخية الى تاريخ عنابة امثال البكري (القرن 5هـ/11م) و البلوي (القرن8هـ/14م) و حسن الوزان (القرن 10هـ/16م)، بالإضافة الى المؤرخ و المستشرق الاسباني مارمول كربخال (القرن10هـ/16م)،ان استحكاماتها العسكرية تعود الى فترة حكم الحماديين و الحفصيين و العثمانيين و خلال هذه الفترة بالتحديد التي تعتبر فترة انتقالية من الحكم الحفصي الى الحكم العثماني. انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،166-167. رزقي فهيمة، المرجع السابق ،ص، ص،436-448، و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص، ص،371- 374 .

عن أسوار عنابة؛ تعد من اهم تحصينات هذه المدينة، وبناءا على النصوص التاريخية السابقة فإن تاريخ تشييدها يعود الى القرن الرابع الهجري/ للقرن العاشر الميلادي، وتعرضت الى التجديد في القرن الخامس الهجري/ للقرن الحادي عشر الميلادي خلال الفترة الحمادية في عهد الأمير عبد الناصر بن علاء الناس، وذلك نتيجة الأوضاع الأمنية المضطربة التي كان يعيشها المغرب الأوسط والأدنى بفعل غزو بني هلال لهما.**[1]

خلال الفترة الحفصية تم بناء قلعة على الهضبة الواقعة بالجانب الشرقي للمدينة، و قد احاطوها بأسوار سميكة فأصبحت بذلك الجهاز الاساسي للدفاع عن المدينة، و بهذه القلعة استقرت الحامية العسكرية التركية سنة947هـ/1540م، بعد أن أخرج منها عامل شارلكان الميركيز مندخوالي ، و احتل المدينة سنة 942هـ/1535م.[2]

أثناء الحكم العثماني عملت الحامية بتحصين القلعة و المدينة، بسلسلة من الأبراج و الحصون نذكر من بينها؛ حصن القصبة*والحصن أو الجنوي (البلارج)*الذي شيد سنة947 هـ/1540م،و حصن الخروبة*،زد على ذلك برج القصرين.[3]*

---

[1]- ابو عبد الله البكري، المصدر السابق، ص،55.

** خلال الفترة الحفصية تم بناء قلعة على الهضبة الواقعة بالجانب الشرقي للمدينة و احاطوها بأسوار سميكة فأصبحت بذلك حسب عبد القادر الجيلالي في كتابه " تاريخ الجزائر العام" الجهاز الاساسي للدفاع عن المدينة ، و بهذه القلعة استقرت الحامية العسكرية التركية سنة 947هـ/ 1540م، بعد ان اخرج منها عامل شارلكان الميركيز مندخار الي احتل المدينة سنة 942هـ/1535م. انظر كل من ابو عبد الله البكري، المصدر السابق،ص،55.و علي خلاصي، القلاع و الحصون....ص،ص،166-167. رزقي فهيمة، المرجع السابق ،ص، ص،436-448، و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،ص،371- 374 .

[2]- عبد القادر الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، طبعة جديدة، بيروت، 1980، ص،200.

* للاطلاع اكثر انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،353-365.

* كان البرج يعرف عند البعض بالحصن الجنوي، نسبة إلى الجنويين الذين شيّدوه، وعند البعض الآخر ببرج البلارج نسبة إلى المتا رس الذي ينتهي به البرج وله شكل منقار اللقلق، ويرى آخرون منهم سبب التسمية في ارتفاعه أو لبناء هذا الطير عشه عليه. انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص. 165. و انظر ايضا محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،366-367.

*عن حصن الخروبة انظر محفوظ محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص، ص،367-371. أنظر أيضا علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،165-170.

* يقع بالقسم المتصل بالسور الجنوبي و تربط بين طبانة القلعة و طبانة المعدومين التي تتكئ على السور الشمالي. شيّد بأعلى المنحدر الصخري المطل على الواجهة البحرية بالركن الشمالي الشرقي لمدينة عنابة، بالقرب من باب المقابر أسفل مستشفى ابن سينا. يعرف باسم برج المعذبين أو المعدومين لأنه اتخذ كسجن للمحكوم عليه بالإعدام خلال الحرب العالمية الثانية. انظر رزقي فهيمة، المرجع

نظيف الى هذه التحصينات؛ الأبواب، كذا الطبخانات الجديدة منها طبخانة القصبة قرب مسجد سيدي ابي مروان، و طبخانة المقابر الملاصقة لبرج المعدومين في السور الشمالي، و طبخانة السور الجنوبي أو باب قسنطينة التي يعتبرها فيرو من أكبر الطبخانات تجهيزا و أقواها.[1]

أما الأسلحة التي كانت تحتوي عليه هذه الحصون؛كلها حسب معلومات استقاها بواي من القائد ابراهيم فتبلغ 28 مدفعا، في حين يذكر فيرو أنً أسلحتها أثناء الاحتلال الفرنسي كانت مائة و خمسون مدفعا.[2]

تميزت أغلب هذه التحصينات بشكلها القريب من المستطيل، محصنة بأسوار ذات بريجات و ثلاثة ابراج عالية، تتخللها كوات للمدافع و فتحات للبنادق، تشبه إلى حد بعيد المدافع الضخمة، من نوع الثعبانيات (**Coul-oeuvrines**) مغروسة في الأرض، لكن هذا التحصين الذي يبدو هاما في القرن السادس عشر الميلادي، و بدأ يتراجع في العهد العثماني أمام التقنيات الحديثة، خاصة بعد ان امتلأت خنادقها بمرور الزمن بالأوساخ بسبب الإهمال. كما أنً الترميمات العثمانية التي جرت عليها عدة مرات لم تكن مطابقة للوصف، وهو ما جعلها تفقد اهميتها شيئا فشيئا ألى وقت الاحتلال الفرنسي الذي ازيل السور و البرج المقابل للمدينة في سنة1270هـ/ 1853م.[3] **اللوحة (18))**

تحصينات مدينة بسكرة:

السابق،ص،439. وللمزيد عن هذا البرج انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....، ص،ص،166-167. رزقي فهيمة، المرجع السابق ،ص، ص،436-448، و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص، ص،371- 374 .

[3]- أرزقي فهيمة، المرجع السابق،ص،439.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،167.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،167.

شيّدت مدينة بسكرة على الضفة اليمنى لواد القنطرة[1]، وهي من أهم المدن الصحراوية التابعة للإيالة الجزائرية، لكثرة خيراتها والموقع الهام الذي تحتله كمنطقة بين التل والصحراء، وقد خضعت للسلطة التركية في عهد " **حسن بن خير الدين باشا**".[2]

تعد مدينة بسكرة من أجمل المدن الصحراوية عاصمة الزيبان*[3]،إذ تتكون دفاعياتها من برجين مسلحين بثمانية عشر مدفعا حسب معلومات القائد ابراهيم، بينما يذكر شاو **Shaw** أنً المدينة لا يوجد بها سوى برج واحد مسلح، بستة مدافع و بعض المكاحل الموضوعة على العجلات،زيادة عن بعض قطع المدفعية الخاصة بالميدان و المستعملة عند التدخلات لدى القبائل.*[4]

2- أبراج الطرق السلطانية الشرقية:

من المعروف أن دار السلطان كانت ترتبط بباياليك الشرق بثلاث طرق رئيسية تمتد من الغرب الى الشرق (بحكم ان عاصمة الدولة)،تقع في غرب البايلك فالطريق الاولى؛ الطريق البحرية كانت تربط ميناء الجزائر بموانئ دلس و بجاية جيجل و عنابة و القالة وكانت تنقل عبره خاصة القوات التي تجهز لصد الحملات أو لإخماد الفتن، كما كانت تؤمن الملاحة الدولية.*

---

[1]- عبد الحق معزوز،" **مدينة ميلة الإسلامية بين النصوص التاريخية والآثار المادية**" ،دراسات تراثية، العدد،02،مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر02،الجزائر،2008،ص،200.

[2]- مارمول كاربخال، المصدر السابق،ص،168.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،183.

* تعد احدى القواعد العسكرية العثمانية على حدود بلاد الجريد، اتبعت في تحصيناتها نمط القصور الصحراوية. علي خلاصي، المرجع نفسه.

[4]- Dr Shaw Thomas,Voyage dans la Régence……..p, 180.

* للاطلاع اكثر عن تحصينات مدينة بسكرة انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون...ص،183.و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،170. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،.388- 390.

* للاطلاع أنظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،175.

أما الطريق الثانية وهي الطريق التلية أو الداخلية الاولى حكم هذه الطريق كانت تربط مدينة الجزائر بمدينة بجاية على الخصوص، و كانت تحت اشراف و حماية شيوخ القبائل و تحرسها حاميات دائمة، ونظرا لطول هذه الطريق فإنً القوافل و المارة كانوا يخضعون لأمان المرابطين من مدينة جيجل حتى مدينة الجزائر خوفا من قطاع الطرق. وبالنسبة للطريق الثالثة؛ و هي طريق الهضاب التي نمتد من ثنية بني عمران الى حمزة و البيبان فرج بوعريرج سطيف قسنطينة عنابة و القالة، اي انها اطول طريق كانت تعتمدها قوافل الحجيج و التجارة و لهذا نجد بها حاميات و استحكامات هامة.[1]

يعود تاريخ انشاء هذه الاراج، إلى فترة تأسيس بايلك الشرق سنة975هـ /1567م، قصد تامين المواصلات بينه و بين دار السلطان، و قد كانت الطريق التي تربطه ذات مسلكين؛ فالأول يمر بوادي الزيتون وبن هارون و حمزة و البيبان و مجانة، و هذه هي التي سلكها بايصونال في سنة 1138هـ/1725م، و ديسفونتان في 1200هـ/1785م،و الثانية تشمل ثنية بني عائشة، شعبة الاحمر، تاشنتيرت، بن هارون و حمزة وونوغة ، و لأجل ذلك أقيمت أراج في كل من برج منايل و سور الغزلان و حمزة و برج بوعريرج، و برج مجانة و برج زمورة. و الملاحظ أنً هذه الاراج كانت حامياتها ذات عدد محدود تكفي فقط للدفاع عن البرج، أما التدخلات فقد كانت تقوم بها قبائل الزمالة، المخزن وأهم هذه الاراج:[2]

برج بوعريرج :

شيّد على صخرة مرتفعة ووعرة على أنقاض آثار رومانية، وقد أكسبه موقعه الأولوية الدفاعية، وذلك لارتفاعه ومنح المدافعين القدرة على استهداف العدو من كلّ

---

[1]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص،170.

الجهات بشكل دائري، وهذا أمر مستحب ويوصى به في اختيار مواضع إنشاء العمائر الدفاعية.[1]

يقع على بعد حوالي 86كم غرب مدينة سطيف،و يحتل موقعا ملائما لمرور لقوافل المتجهة نحو المسيلة[2]،و يعد هذا البرج من أعمال حسن بن خير الدين باشا بناه هذا الاخير اثناء حربه لأمير قلعة بني عباس عبد العزيز سنة 966هـ/1559م، مهمته مراقبة الطريق السلطانية الرابطة بين بايليك الشرق ومقر دار السلطان،والإشراف على جميع الضرائب من القبائل المجاورة، زيادة عن كونه يعتبر أحد المراكز الهامة على الطريق الرابط بين الجزائر و قسنطينة.*[3]

برج مجانة و زمورة:

يقع برج زمورة على ارتفاع 955م بجوار وادي شرطيق على إحدى منحدرات جبل القرقور التي تكسوها غابة اولاد رزوق الجميلة، و هو بهذا الموقع لا يبعد عن مدينة برج بوعريريج الا بـ34 كلم ، كما أنه غير بعيد عن أنقاض المدينة الرومانية سيرتي **Sertei**. *[4]

يشكل برج زمورة حلقة مهمة في إطار التنظيمات الادارية و العسكرية، التي اعتمدها حكام الجزائر العثمانية منذ القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، تقوم على إنشاء مجموعة من الأبراج و الحصون، لمراقبة بلاد القبائل الواقعة الى

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،392.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،182.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص،170.

* للمزيد عن هذا البرج أنظر كل من لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص ،170. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص، 392-394.

* تعرف مينة سيرتي بخربة القدرة و قد اشتهرت حسب الدكتور سعيدوني بفسيفساء ابريشيتها المسيحية Episcopale (القرن الخامس الميلادي)، و مع انقراض هذا المركز العمراني الروماني، ظلت الزياتين تغطي سفوح تلك المرتفعات ، فعرفت لدى السكان بزمورة التي تعني في اللسان المحلي البربري الزيتونة لكثرة زياتينها و جودة زيتها. انظر ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....ص،193

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

الشرق من مدينة الجزائر، فكان برج زمورة ضمن هذه الخطة العسكرية، بمثابة القاعدة الموجهة لمراقبة الجهات الجنوبية الشرقية لبلاد القبائل.[1]

شيد من طرف بيلرباي الجزائر الباشا حسن بن خيرالدين الملقب بحسن قورصو خلال فترة حكمه الثانية(965هـ/975هـ/1557م-1567م)سنة966 هـ/1559م[2]،بعد أن فرغ من بناء برج مجانة كانت مهمته الأشراف على الطريق السلطانية، و لأجل السيطرة على القبائل، و لتامين عملية جمع الضرائب المترتبة على القبائل و الأوطان المجاورة، مثل الغرامة الخطية أو المعونة،و يشير مرمول من خلال بربروجر **Berbrugger** بأن مادة البناء التي استعملت في عملية بنائهما كانت من الحجر.[3]

يشير الدكتور درياس بأن الباشا حسن بن خيرالدين، ترك بهذين البرجين حامية يبلغ عددها 400 جندي، لكن بمجرد مغادرته الناحية هجم عليهما الأمير عزيز و هدمهما، بعد أن أخذ عدد من المدافع بهما التي غنمهما حسن بن خيرالدين من مستغانم ، ولكن بعد انتهاء الحرب أعاد الأتراك العثمانيين بناءهما، و استمرا قائمين الى غاية الغزو الفرنسي ، حيث أديًا دورا كبيرا في السيطرة على القبائل التي كانت تنزع للانفصال دائما.و عليه كانت فكرة تطويق منطقة مجانة و زمورة بهاذين البرجين أمرا لا مفر منه لتأديب القبائل أحيانا، عن طريقة الحملات العسكرية.*[4]

برج حمزة (بويرة حاليا):

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، نفسه.

[2]- نفسه،ص،194.

[3]- Adrien Berbrugger, Les époques militaires Les époques militaires de la Grande Kabylie , Paris ,

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،171.

* للمزيد اكثر عن البرجين انظر كل من ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....193-195. و علي خلاصي، القلاع و الحصون.....، ص،182. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،391-395.

يمثل هذا البرج من أهم المراكز الاستراتيجية ، على الطريق الرابطة بين بايلك الشرق و دار السلطان، و نقطة إلتقاء الطريق السلطانية المتجهة نحو بايلك الشرق، و الطريق السلطانية المتجهة نحو جنوبا نحو بسكرة و سور الغزلان، و يحمي وطن بني جعد و مداخل بايلك التيطري[1]. يقع برج حمزة المعروف قديما بسوق حمزة* و الذي يحمل اليوم اسم البويرة بالسهل يحمل اسمه (سهل حمزة) غير بعيد عن سلاسل جبال جرجرة على الطريق الرئيسي الرابط بين مدينتي الجزائر و قسنطينة، و قد أقيم هذا البرج على إحدى الهضاب المتوسطة الارتفاع حوالي 525م، المحاذية لوادي الدوس أحد روافد وادي الساحل(الصومام الاعلى)[2]، على الضفة اليمنى لوادي الزيتون.[3]

يعود تاريخ بنائه الى الى النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، تعرض لعدة هجومات من طرف القبائل اهمها، تلك التي وقعت في سنة 1189هـ/1775م، و بذلك دعًم هذا البرج بالكراغلة الذين استقروا بوادي الزيتون ، عقب انتفاضتهم او انقلابهم الفاشل سنة1038هـ/1628م، و تحطيمهم لمصنع البارود بقصبة مدينة الجزائر، كذا تنظيم قبيلة عمراوة المخزنية، التي كانت تتحكم في طريق دار السلطان – بجاية. وبالتالي تخفيف العبء عن برج حمزة، كما أعيد ترميمه بعد الهجمة التي شنتها بعض القبائل سنة 1189هـ/ 1775م.[4]

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....، ص،181.

* يعود تاريخ تأسيس سوق حمزة الى الفترة الاسلامية الاولى(النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي، عندما اتخذه حمزة بن الحسن بن سليمان العلوي سكنا له و مكانا لإقامته. للاطلاع اكثر عن هذا السوق انظر ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....ص،196.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....196.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،171.

[4]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،181.

أما اسلحة هذا البرج؛ فتشير إحصائيات الجيش الفرنسي لسنة1246هـ/1830م، أنها كانت تحتوي ما بين ستة و ثمانية مدافع.[1]

برج بمدينة نقاوس :

يكتنف الغموض تاريخ بناء برج نقاوس و مؤسسه، فالمعطيات التاريخية ناقصة. ومن المعلوم أنً مدينة نقاوس قد عُرفت بحصانتها منذ الفترة القديمة، على غرار عدد من المدن الواقعة شمال الأوراس، وحافظت على نظامها الدفاعي في الفترة الإسلامية بداية من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[2] ، إلى غاية القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي، وإلى ذلك أشار حسن الوزان بقوله: «**مدينة بناها الرومان...،تحيط بها أسوار متينة عتيقة**.....».[3]

عمل الأتراك منذ دخولها على تحصينها، وقد ذكر الدكتور شو **Dr.Shaw** أنه بها على عهده حامية من صفوة واحدة من المشاة[4]، تضم 20 رجلا[5]، وأنً المدينة على حد قول الدكتور شو عليها سورين من الطين مسلّح بعدد من المدافع، قوّها بوتان سنة1215هـ/1800م بثلاثة مدافع، للتحكم في محيط المدينة، و الظهور بمظهر القوة اتجاه القبائل المجاورة مثل أولاد السلطان، أولاد سلام، أولاد علي بن صابر، أولاد براج و غيرها من القبائل التي طالما خرجت من سلطة البايلك أثناء دفع الضرائب.[6]

برج القل :

1- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،172.

2- Rachid Bourouiba, L'architecture militaire ……p,p,6-17 .

3- حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج،2، ص،53.

4- Dr ShawThomas, voyage dans La régence……p,389 .

5- Vincent – Yves – Boutin, Op, cit , P, 195

6- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،173.

يكاد لا يعرف تاريخ بناء هذا البرج، بالرغم من ان المدينة دخلت تحت سلطة العثمانيين في سنة 925هـ/1519م،حتى ان مدينة القل*[1]،قد حظيت حسب الدكتور خلاصي بنصرة الاخوة بلربروس[2]، وتكون بها مكتب لشركة لانش الفرنسية لصيد المرجان[3]، ويشير بوتان بان المدينة تحتوي على برج مسلح ما بين08 إلى10 قطع من المدافع في سنة 1223هـ/1808م،و قد استولت عليها الجيوش الفرنسية في سنة 1259هـ/1843م.[4]

تتمثل أهمية البرج حسب خلاصي في نفس الأهمية التي يمثلها برج دلس من حيث الدعم و الحماية و استقبال المحلة.[5]

برج جيجل :

بنيت مدينة جيجل على مساحة تقدر ب حوالي 42الف م2،أما التحصينات التي تعود إلى العصر الجنوي فلم يبق منها إلا برج مربع، رممه العثمانيون للدفاع عن المدينة، إنما الأبراج التي كانت تتوج السور فقد أُزيلت كلًها.[6]

تعرض هذا البرج إلى عدة إصلاحات أثناء حملة الدوق بوفورسنة1075هـ /1664م وما بعدها، و الملاحظ أنً هذا البرج هو الذي كانت تقيم فيه الحامية العثمانية المتكونة من صفوة واحدة، ويشير إليه بوتان بأنه كان مسلحا بعدة قطع من المدافع في 1223هـ/ 1808م.[7]

---

[1]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

* مدينة القل قد احتلت من قبل الجنويز منذ القرن الثالث عشر و جعلوها مرفأ تجاريا و نقطة ارتكاز للمراكب كانت تغزو شمال افريقيا او التي كانت تنهب المرجان من السواحل الجزائرية. انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،177.

[2]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،172.

[4]- Vincent – Yves – Boutin, Op.cit., P, 59.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،178.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،172.

[7]- لخضر درياس، المرجع نفسه. أنظر أيضا علي خلاصي، القلاع و الحصون.....،ص، ص،176-177.

- الاستحكامات الدفاعية لبيلك الغرب:

يعد بايلك الغرب في الدرجة الثانية بعد دار السلطان،من حيث التحصينات الدفاعية التي تشتمل عليها مدينة وهران، مستغانم، معسكر و تلمسان[1]، حيث تنوع نظامها الدفاعي ما بين الابراج و الطبخانات و الحصون، والأمثلة عديدة. **الخريطة (05))، اللوحة(19))**

1- تحصينات و أبراج مدينة وهران:

تعود فترة بناء تحصينات مدينة وهران القديمة إلى الفترة الاسلامية، فهناك من الأبراج التي تعود تاريخ انشائها الى فترة السلطان المريني أو الحسن علي ، و و هناك من يعود تاريخ الانشاء الى العهد الاسباني* و العثماني.[2]

من الأعمال التي أنجزت خلال القرن السادس عشر تلك التي قام بها المركيز دو كومارس **DE COMAREZ**، ما بين924هـ-942هـ/1518م-1535م؛ بناء برج المونة أو برج اليهود، برج لوس سانتوس**LOS SANTOS**.أما الأعمال التي قام بها خلفه الكونت الكوديت **COMTE D'ALCAUDITE**؛ فكان إنشاء برج سانت تيريز **SAINTE THERES** و برج بوبنيقة **SAINT CARLOS**[3]وفي سنة 1100هـ/1588م بنى دون بيير دوباديا **DON PIERRE DE PADIA**،برج حسن بن زهرة **SAINT GREGORE** ،برج المرجاجو **SANTA CRUZ**و غيرها.[4]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،143.

* نشير الى ان المستعمر الاسباني اعاد احتلال وهران من جديد سنة على ترميم اسوار المدينة وقام بإنشاء نقاط دفاعية جلبت من محاجر القديس اندري Saint André.انظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،143.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه،143.

[3]- لخضر درياس، نفسه.

[4]- نفسه،ص،144.

لكن كل هذه التحصينات لم تضعف من هزيمة الجزائريين، الذين استولوا على المدينة بقيادة الباي بوشلاغم سنة 1119هـ/1708م، و عملوا بدورهم على إنشاء بنايات جديدة، و ترميم بعض النقاط الدفاعية المتضررة بفعل المعارك. و لسوء الحظ فإن المدينة*لم تدم طويلا، وسقطت مرة أخرى في يد الاسبان سنة 1145هـ/ 1732م.[1]

ومن أهم تحصينات المدينة**:**الخريطة(05)+اللوحة (19))**

برج العيون:

برج العيون يعرف ببرج الونيسي، نسبة إلى أحد رؤساء المدينة المسمى بابن الونيسي بناه الاسبان سنة 915هـ/1509م، في الجنوب الشرقي للمدينة عرف عندهم باسم **(CASTILLO FERNANDO)**، تعرض لعدة هجمات من طرف الجزائريين بقيادة حسن قورصو في 964هـ/1556م،و حسن بن خيرالدين سنة 971هـ/1563م،من طرف الباي بوشلاغم سنة1119هـ/1708م، لكن الاستمرار في تجديده كان دائما ضروريا، لأنه يعد من أهم التحصينات الدفاعية في المدينة دُعِّم في عهد فاليجو**(VALLEGO)** ببرج القديس شارل و برج القديس كارلوس، في جنوبه الشرقي و الغربي، وواصلا به عن طريق أنفاق أرضية، هدم من طرف الباي محمد الكبير بأمر من داي الجزائر.[2]

---

*هناك من أعطى وصفا دقيقا لمدينة وهران و حصونها وهو صاحب الثغر الجماني مع إحصاء لأسلحتها و قوتها الدفاعية في عهد الباي بوشلاغم و الاسبان من بعده حيث يقول: " و من جملة حصون هذا البلد قصبتها العظيمة و طباناتها المتلاصقة المؤدي بعضها الى بعض الى غير ذلك من الابنية التي أتقنوا بنائها ، و أحكموا وضعها و أكثرها، إنما يعرف بلغة النصارى لبعد العهد بينها و بين المسلمين و لاستحداث النصارى دمرهم الله اكثرها بعد استيلائهم عليها من يد ابي الشلاغم". و يواصل "..وهناك بقية مواضع لم احفظ اسماءها..... و أما المواضع التي وضعت لمجرد الرمي بالرصاص فلا يمكن حصرها و ما من موضع من هذه المواضع الا وفيه نفق يؤدي الى غبره فمن كان فيها و أراد أن يذهب تحت الارض إلى أيٍّ موضع أو من المدينة ذهب".

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،146.

** معظم التحصينات تهدمت سواء بسبب الحروب المتواصلة بين الجزائريين و الاسبان ،أو بسبب الزلازل المدمر الذي وقع سنة 1205هـ/ 1790م، زيادة الى بعض الابراج التي هدمت من قبل الجزائريين بعد استرجاع المدينة من طرف محمد الكبير خوفا من اعادة الكرة من طرف العدو استغلالها كما وقع في عهد الباي بوشلاغم. لخضر درياس، المرجع نفسه. للمزيد و للاطلاع عن تحصينات مدينة وهران كل من انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،446 – 500. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،146-148

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه،ص،148.

يعتبر حسب بن ميمون صاحب الحلفاوية، بأنه أول برج سقط في يد الجزائريين عام 1119هـ/1708م[1]، في حين يشير ابن سحنون الى اهميته قائلا:" ودون الجديد لجهة الجنوب برج العيون و هو البلد و قفلها".[2]

برج المرجاجو:

شيد هذا البرج أو بالأحرى قلعة مرجاجو، على قمة جبل هيدرو أو ايدرو على الجهة المواجهة لهضبة مزيطا التي تشرف عليها من ارتفاع يفوق 50.42م،و تراقب ميناء وهران و ميناء المرسى الكبير، و قد احتلت مكانا شبيها بعش النسر و على بعد 507 م نجد انقطاعا طبيعيا يشكل مضيقا. [3]

شيد البرج من طرف الاسبان عام 975هـ/1567م، بايعاز من رجل من بني عامر المناصرين للإسبان، هاجمه الباي بوشلاغم سنة 1119هـ/1708م، و أسر به مائة و سبعين (170) رجلا و ثلاث (03) نسوة حسب رواية الجامعي و مئة وستة(106)رجل و ست نسوة (06) حسب رواية فاي Fey ،وعدم جزء منه أثناء حرب1145هـ/1732م، لكن جدد سنة 1151 هـ/1738م، و افتتحه محمد للمرة الثانية في سنة 1206هـ/1791م، و هو الذي قال عنه الحلفاوي اثناء هجوم الباي بوشلاغم.[4]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،148.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه،ص،ص،146- 148.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،227.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،148.

إنً أرضية القلعة صغيرة قاسية و شكلها غير منتظم، و لا تحتوي على خاصرات (Flancs) للحماية، و يعتقد أنه لا يمكن اختلالها بسبب ارتفاع الصخر الذي يكون قاعدة لها. أما عن تسليح البرج؛ فقد سلح في عهد فاليجو بسبع مدافع بروترية و هاونين، في حين يذهب ابن سحنون من خلال درياس إلى أنً أسلحته تتكون من ثلاثين (30) مدفعا،و احتله الفرنسيون سنة1246هـ/1830مووجدوه وسموه باسم القديسة لاكروا (Sainte-Croix).[1] **اللوحة(19))**

تتكون القلعة سانتا كروز من مجموعة من التحصينات، تتلاحم لتكون شكلا مضلعا يضم 64 فتحة للمدفعية،وعند فتحه كان به 16 مدفعا، وكان مزود ببرج للمراقبة.*[2]

برج حسن بن زهرة:

أقرب الأبراج الى المدينة، و يوجد تحت حصن المرجاجو لحماية المرسى الصغير و طريق المرسى الكبير، أقامه الإسبان مكان قلعة وجدوها هناك عند دخولهم المدينة، ووسعوها و سموها بـ(**El Hacho**)، و سقط في يد المسلمين سنة 1119هـ/ 1708م[3]. أما عن أسلحته؛ قبل مغادرة الاسبان لوهران*، فقد كانت تتكون من ثلاثين (03) مدفعا.[4]

2- تحصينات و ابراج مدينة تلمسان :

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،227.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،229.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج أنظر علي خلاصي، المرجع نفسه،ص،ص،227- 229.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،148.

* اثناء تواجد العثمانيون بمدينة وهران الفترة الاولى ما بين 1120 هـ و 1145 هـ/1708م و 1732م، لم يضيفوا منشآت معمارية دفاعية من خلال التقارير الصادرة عام 1145هـ/1732م. أنظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،435.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،149.

تعد مدينة تلمسان* من أهم النقاط الدفاعية الداخلية ضد الاسبان بوهران و المغاربة بفاس، تعرضت لأضرار بالغة من جراء الحروب، بين العثمانيين و الاسبان، لذلك نجد أنً العثمانيين قد أولوها عناية كبيرة بعد ضمهم اياها سنة 963هـ/1555م، حيث ركزوا بها حامية و جددوا تحصيناتها الدفاعية، بعد أن أحدثوا بها تعديلات تتفق ووسائل الحرب الحديثة.[1]

اتخذ العثمانيون من "المشور" مقر لسلطتهم السياسية بالمدينة، وثكنة للحامية التركية التي تحميها، ودعموا أبواب المدينة بطبانات تقيم بها حامية دائمة، إضافة إلى بعض ثكنات الإنكشارية التي كانت مجاورة . لباب القرمديين"- بالجهة الشمالية الغربية، وأقاموا أيضا حامية بأغادير تتكون من أربعة حراس(رهط).[2] رغم أن هذه المدينة قد هدمت أسوارها وفقدت مكانتها التي كانت عليها، في وقت قريب من فترة الحكم التركي لها، كما كان بمرتفعاتها حصنين كل واحد منهما مسلح بـ 20 مدفعا، ويتسعان لحامية من 100 إلى 150رجل*[3]. و من أهم تحصيناتها نذكر على سبيل المثال: **الخريطة(05)اللوحة(19))**

القلعة:

تقع هذه القلعة (المشوار) في الجهة الجنوبية للمدينة على شكل مستطيل مقاساتها(460مx 280م)، محصنة بأبراج مربعة وأخرى دائرية الشكل، أما أسوارها فتتوجها شرفات، تحصر فيما بينها فتحات المدافع و البنادق، و يتراوح

* إن طابع مدينة تلمسان الدفاعي الذي فرضته مكانتها السياسية كعاصمة للدولة الزيانية، واستجابة أيضا للأوضاع الأمنية المضطربة التي كانت تعيشها طيلة ثلاثة قرون، جعل الأتراك يكتفون بإعادة استغلال تحصيناتها القديمة، وتدعيم البعض منها بأعمال ثانوية.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،155.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،435.

[3]- محفوظ بوطبة ، المرجع نفسه، نفسه.

* للمزيد و للاطلاع عن تحصينات مدينة تلمسان راجع محفوظ بوطبة ، المرجع نفسه ، ص، ص،،423-446.

سمكها ما بين خمسة أو ستة أمتار، أما طولها ما بين عشرين إلى ثلاثين مترا، بالنسبة للخندق؛ فيقتصر على الجهة الشرقية فقط. و للقلعة بابان مقببان الأولى قرب الزاوية الجنوبية و يعرف بباب التروية، و الثاني في الجهة الغربية و يعرف بباب الحديد.[1]

أما في الجهة الشمالية فإنه يوجد برجين دائرين مزدوجين، تختلف مواد بنائها عن باقي البناء الأول، وهنا تقع الطبخانة الرئيسية التي تتحكم في كامل المشوار و مسلحة بخمسة مدافع ذات العيار الصغير، في حين نجد مدفعتين آخرين في باب التروية، و ثلاثة مدافع في طبخانة سيدي بوجمعة وهي بناء مستقدم أقيم من طرف الكراغلة، وفي الجهة الغربية نجد ثلاثة مدافع أخرى، بالإضافة إلى ثلاثة مدافع اخرى تستعمل في الحملات الخارجية.[2]

نجد أنً كل هذه المدافع تتراوح عياراتها ما بين (4-8)،و يبلغ عدد مدافع القلعة اثنان وعشرون مدفعا ومهرسان اثناء الاحتلال، وقد كانت سنة 1153هـ/ 1740م.[3]

تتكون من ستة مدافع من الصناعة القديمة و ذات عيار كبير، و تعمر عن طريق المغلاق(**Culasse**)، و ستة مدافع أخرى ذات عيار أصغر، كانت قد جلبت من إحدى السفن ووضعت في الأسوار باتجاه الاسوار. لكنها قد ارتفعت سنة 1228هـ/ 1808م عشرون مدفعا فوق الأسوار زيادة عن برجين منفصلين عن المدينة، يضم كل منهما عشرون مدفعا، وهو ما يجعل عدد المدافع بمدينة

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،155.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،436-441.

[3]- نفسه، ص،ص،436-441

تلمسان* في هذه الفترة يصل الى ستين مدفعا دون البنادق، و تجدر الاشارة هنا بأنً في عهد الامير عبد القادر كانت تملك مصنعا لسبك المدافع.[1] **الخريطة(05) اللوحة (19))**

3- أبراج و طبخانات مدينة مستغانم:

اهتم الأتراك بالجانب الدفاعي لمدينة لمدينة مستغانم** منذ تحريرهم لها سنة 923هـ/ 1517م، فقد قام " خيرالدين باشا" بتحصينها وتوسعة أسوارها، وذلك لحمايتها من الخطر الإسباني، حيث وقفت سدا منيعا أمام محاولات" الكونت الكودات" استرجاعها، ولتكون قاعدة لعملياتهم العسكرية باتجاه وهران والمرسى الكبير آخر معاقل الإسبان بالبلاد الجزائرية.[2]

يشير في هذا المجال خلاصي إلى أنً مدينة مستغانم، دُعِّمت بخط دفاعي هام يعود الى الفترات السابقة عن العصر الحديث و من أهم التحصينات[3]: **الخريطة(05) اللوحة (19))**

برج المحال:

* حافظت القلعة على مكانتها السياسية والعسكرية بالمدينة بعد دخول الأتراك إليها، حافظت القلعة على مكانتها السياسية والعسكرية بالمدينة بعد دخول الأتراك إليها، حيث اتخذ منها حاكم المدينة مقرا لسلطته تحت إمرته حامية من خمسة صفرات تضم 76 رجلا ، إضافة إلى عدد كبير من الجنود الاحتياطيين من الأتراك و الكراغلة لحماية المدينة. انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص، 436- 441.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،155.

** تعتبر مدينة مستغانم من المدن الجزائرية التي لعبت دورا كبيرا في الجهاد ضد الاسبان في اوائل العهد العثماني، حيث كانت المدينة الاولى في بايلك الغرب التي دخلت تحت لواء الجيش الجزائري، و من ثم اضحت قاعدة انطلاقهم ضد الاسبان المتمركزين بوهران، خاصة من طرف حسن قورصو سنتي 958هـ-964هـ/1551م-.1556م، ثم بعده حسن بن خيرالدين سنة 971هـ/1563م، و العلج علي سنة 976هـ/1568م. الى هذه الفترة يرجع تحصين المدينة و ترميم اسوارها، و اضافة نقاط دفاعية جديدة. انظر كل من لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،157. انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،437

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه، ص، ص،405.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

كانت المحالة أو المحال الذي تتجه غربا عبر الطريق السلطانية، تتمركز بهذا البرج الذي يعتقد حسب بودان **Bodin** من خلال الدكتور خلاصي انه قد بني قبل الفترة الحديثة بسبب الطريقة المعتمدة في البناء، فالإشارة حسب هذا الاخير الى هذه الحماية المذكورة سابقا تبين ان هذا البرج قد شيد قبل سنة917هـ/ 1511م.[1]

يشير بلحميسي إلى أنً بناء هذا البرج يعود لحميد العيد، الذي جدد ووسع سور المدينة[2]، كما شاهد الطبيب طوماس شو أثناء زيارته لمستغانم، بقايا هذ البرج و أرجع تاريخه الى ما قبل استخدام الاسلحة النارية استنادا الى طريقة بنائه، وقد أُعيد ترميم هذا البرج أثناء الاحتلال الفرنسي و استعمل كسجن مدني.[3]

اجمعت الدراسات التاريخية حسب ناجي جلول على أن تاريخ إنشائه، يعود إلى الفترة المرابطية، على يد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين سنة475هـ/1082 م.[4]

يقع هذا البرج أعلى" حي الطبانة " بالجهة الشرقية المطلة على وادي عين الصفراء، أما تسميته لها علاقة بعدة احتمالات، فهناك من ينسبه إلى طائر اللقلق الذي يعرف محليا بالمحال، أو نسبة إلى قبيلة الأمحال التي هي فرع من القبيلة العربية الأم سويد التي كانت تسكن نواحي الشلف ومستغانم تحت قيادة أحميدة العبد لتصبح خلال الحكم التركي للإيالة الجزائرية ضمن قبائل المخزن تحت قيادة آغا الدوائر، ومن عناصرها المكلفة بحماية الباي، كما يمكن أن تكون لهذه التسمية علاقة

---

[1]- علي خلاصي، المرجع نفسه، ص،192.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،157.

[3]- لخضر درياس، المرجع نفسه،ص،157.

[4]- Djelloul Neji, Eau et Fortifications au Maghreb au Moyen Age, Colloque International , université de Tunis Tunisie, Novembre 2007, P, 216.

بالنظام العسكري المعروف بالمحلة، والتي من مهامها تحصيل الضرائب، والقيام بحملات عسكرية تأديبية ضد المناطق الممتنعة.[1]

أعاد الأتراك العثمانيين استغلاله منذ سنة 1145هـ/1732 م في عهد باي بوشلاغم، فقد ذكر طوماس شو الذي عاصر هذه الفترة انه قال:" **أنه هناك إلى جانب البرج الذي يحتل الجهة الشمالية الغربية(برج الجواد)، برج آخر أكثر انتظاما تقيم به حامية تركية.**"[2]

كان برج المحال حوالي 12 قطعة مدفعية، و كان يشرف عليه حوالي 32 رجلا، وبعد الاحتلال الفرنسي رمم و استعمل من طرف الادارة الفرنسية كسجن مدني.[3]

إنً وضيفة هذا البرج التي شغلها في الفترة الفرنسية، هي نفسها التي يشغلها حاليا كسجن مدني لكن خاص بالنساء، نظرا للاستغلال المتواصل لعمارة البرج لوظائف أمنية إلى يومنا هذا. [4]**الخريطة(05)اللوحة(19))**

برج الترك:

يعرف هذا البرج لدى الأوروبيين باسم برج الشرق و عند بعض المؤرخين اسم القلعة ، و يشير الزياني من خلال الدكتور خلاصي الى ان بنؤه يعود الى الباي مصطفى بن يوسف المسراتي، و يعد من الابراج الفريدة من نوعها في الجزائر*[5]، ويرجع البعض بناءه إلى أوائل العهد العثماني. والملاحظ أنً برج الترك قد شُيِّد خارج

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص،36.

[2]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence…..p,237.

[3]- Shaw Thomas ,Ibid. Voir aussi Louis Piesse ,Op, cit, p,280 .

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،410.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

* حسب خلاصي لكن وجد برج اخر مطابق للأصل وهو برج جبران او جبرين بإمارة الجبل الاخضر ، للمزيد أيضا أنظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

أسوار المدينة بأعلى نقطة منها، في مكان مشرف مباشرة على حي المطمور في وضعية مستقلة عنه، وقد أهله موقعه ليكون أهم تحصينات المدينة، و يشير طوماس شو الى ذلك في قوله:" **مدينة مستغانم تشرف عليها المرتفعات وقوتها الرئيسية تتمثل في قلعة شيدت في إحدى المرتفعات، تتحكم في المدينة والمناطق المجاورة**" .[1]

رغم أنً هناك مصادر عاصرت الحكم التركي للجزائر، أرجعت تاريخ بناء البرج إلى الباي بوشلاغم في فترة اتخاذه مستغانم عاصمة لبايليك الغرب سنة 1145هـ-1147هـ/1732م-1734م،إلا نص للإسباني مارمول يعود للقرن العاشر الهجري/للقرن السادس عشر الميلادي يذكر فيه " **وفي الطرف الأعلى من المدينة، حيث توجد ربوة مشرفة، يقوم حصن جهة الجنوب**"[2]، ما يجعل العديد من الباحثين و المؤرخين من خلال بوطبة، يرجحون إلى أنً تاريخ بناء هذا البرج إلى القرن العاشر الهجري/للقرن السادس عشر الميلادي في خيرالدين باشا، كونه ذكر في أحداث هجوم حاكم وهران" الكونت الكودات" على المدينة سنة966هـ /1558م[3]، وإلى ذلك أشار القس الإسباني مارمول بقوله:" **ولما وصلت جميع الكتائب وعسكرت أمام المدينة، أمر القائد بأن يقام حاجز من أغصان أشجار التين والعنب المجاورة اتقاء لهجمات فرسان العدو، وأثناء تلك الليلة قام الجند بحفر خندق محيط بمحالهم ونصبوا آليتين للمدافع لضرب الحصن من جهته الجنوبية، وفي الغد وجهت سبع ضربات أو ثمان إلى ركنين من أركان سور الحصن، ولم يكن لها تأثير كبير لأن آلات القذف أعلى م ما ينبغي، بحيث كانت تمر فوق السور وتسقط في البحر**".[4]

---

[1]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence…..p,237.

[2]- مارمول كربخال، المصدر السابق،ص،350.

[3]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،413.

[4]- مارمول كربخال، المصدر السابق،ص،334.

استعمل هذا البرج كمخزن للمؤن العسكرية، و حتى سنة 1329هـ/1911م كان به مدفع من العيار،يستعمل لإخبار الناس ببداية رمضان و عيد الفطر.[1] كانت تقدر أسلحته بعشرين مدفعا سنة1246هـ/1830م، بينما كان تسليحه سنة1188هـ /1774م، يتكون من 9 مدافع من الحديد جلبت من حطام السفينة،التي كان الاسبان قد أغرقوها قرب أرزيو[2]. و في هذا السياق يشير بوتان من خلال الدكتور درياس أنها كانت تقدر في 1234هـ/1818م،عدد المدافع ما بين 15 الى 20 مدفعا[3]. لكن الإحصائيات الفرنسية تثبت أن أسلحة مستغانم هي أربعة مدافع في الأسوار، و 12 مدفعا في البرج الصغير ، و 20 مدفعا في القلعة و هو ما يساوي تقريبا 36 مدفعا.[4] يتكون برج الترك من بناء رباعي الشكل،مقوج من جهته الشمالية الشرقية و الجنوبية الغربية برؤوس بارزة تضم مجموعة من الفتحات المدفعية، و لكل منهما شكل سداسي منتظم أ أما سمك الجدران فتتراوح بين 1.50 و2 مترا، مبنية بالحجارة. و تتوسط البرج مساحة مركزية تحيط بها قاعات من الناحية الشمالية و الغربية و لقد اجريت عليها عدة تشوهات.[5] * **الخريطة(05)اللوحة(19))**

4- ابراج و طبخانات مدينة معسكر:

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،158.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،158.

[4]- لخضر درياس، المرجع السابق، ص،158.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

* للمزيد و للاطلاع عن برج الترك انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،417.

شيدت مدينة معسكر من طرف "الباي بوشلاغم"،على أنقاض المدينة الرومانية، وإليها حول عاصمة بايليك الغرب ،بعد أن كانت بمدينة مازونة، ليتخذ منها قاعدة لأعماله ضد الإسبان بمدينة وهران وحلفائهم من القبائل المجاورة.[1]

بعد أن تمكن"الباي بوشلاغم"من فتح وهران سنة 1120هـ/ 1708 م، جعل منها عاصمة للمقاطعة الغربية من الإيالة، واستمر ذلك إلى سنة1145هـ/1732م تاريخ خضوعها للمرة الثانية للإسبان، وعلى إثرها نقل عاصمته مؤقتا إلى مستغانم، و بها وفته المنية، لينقل"ابنه يوسف" مقر سلطته مرة أخرى إلى العاصمة القديمة معسكر، وكان ذلك سنة1148هـ/1735 م، واستقرت بها السلطة السياسية للبايليك من جديد إلى سنة1207هـ/ 1792م تاريخ فتح وهران واتخاذها نهائيا قاعدة لبايليك الغرب.[2]

حافظت المدينة على مكانتها السياسية والعسكرية بعد احتلال الفرنسيين للجزائر 1830م، حيث اتخذ منها الأمير عبد القادر عاصمة لدولته،وفي نفس الوقت مركزا عسكريا يدعم الخط الدفاعي الثاني الممتد من تلمسان غربا إلى المدية شرقا، ومصنعا حربيا يزود الجيش الجزائري بما يحتاج إليه من البنادق والذخيرة.[3]

برج العسكر بمعسكر:

بني برج العسكر بمعسكر من طرف الباي بن اسحاق ابراهيم الملياني الذي حكم بايلك الغرب عام1185هـ/1771م حسبما جاء على الكتابة التأسيسية المخلدة للبناء.

---

[1]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،417.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

كان البرج سنة1223هـ/1808م مزودا بحوالي عشرة (10) ، مدافع لرد اية حملة اسبانية محتملة حوالي[1]وحوالي اربعة (4) مدافع في الاسوار على حد قول بوتان[2]، لإيقاف الهجمات التي كان الأعراب يشنونها ضد عاصمة المقاطعة، و التي كان آخر هجوم سيدي أحمد التيجاني ، بعد ان انتقل مقر الحكم إلى وهران.[3]

- التحصينات الدفاعية لبايلك التيطري:

تعتبر مدينة المدية عاصمة البايلك، تقع جنوب غرب مدينة الجزائر على إحدى هضاب جبال التيطري، وقد بنيت مدينة المدية على أنقاض المدينة الرومانية التي أعاد الزيريون استغلال بقاياها في تشييد المدينة الإسلامية، وتم ذلك على يد " بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي"[4]، لتصبح إحدى أهم قلاع بني زيري بالمغرب الأوسط.[5] **الخريطة(04)**

استمرت المدينة في أداء دورها العسكري، حيث اتخذ منها الزيانيون قاعدة لأعمالهم الحربية[6]، قبل أن تنتقل إلى سلطة الأتراك الذين جعلوا منها عاصمة لبايليك التيطري[7]. و في فترة حكم الأتراك، كانت مدينة المدية*في العهد العثماني محاطة بسور بني بالحجارة الصلبة، ولها خمسة أبواب اثنان منها محروسان بطبخانتين،

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

[2]- Vincent – Yves – Boutin, Op.cit., P, 195 .

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

[4]- Louis Piesse ,Op,cit ,p,104.

[5]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،501.

[6]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج،2 ، ص،372.

[7]- محفوظ محفوظ ،المرجع السابق،ص،501.

* للمزيد عن تاريخ مدينة المدية انظر كل من ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية و مليانة في العهد العثماني،ط1، مكتبة الرشاد، الجزائر،2009،ص،ص، 35-109. عبد الرحمان الجيلالي، و اخرون، تاريخ المدن الثلاث - لمدية- مليانة - بمناسبة عيدها الالفي ، المدية، مليانة، ط2، مطبعة ساري بدر الدين و ابنائه، الجزائر، 1972، ص،359. و العربي اسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ص،90.

تضم كل واحدة أربع مدافع[1]، و زيادة عن عدد المدافع الميدانية التي كان يستخدمها البايلك في حملاته ضد القبائل المتمردة. أما حاميته فتتكون من خمسين جنديا (صبايحيا) و خمسة عشر مكاحليا كحرس خاص للباي، بالإضافة إلى خمس صفوات موزعة في أراضي البايلك، و مقسمة حسب أربع قيادات: قيادة التل الصحراوية، قيادة التل القبلية، قيادة سور الغزلان، قيادة الجنوب و ولاد المختار. أما أهم النقاط العسكرية في أراضي البايلك فهي[2]: **الخريطة(04)**

برج سور الغزلان:

عُرف هذا البرج بعدة تسميات منها اسم برج الغزلان حسب بررجر في مقال له بعنوان" **أوزيا** "[3]، و قد سمي بهذه التسمية نسبة الى كثرة الغزلان بهذه المنطقةوأشار العالم الألماني"ج. أو. هابنستزايت" إلى ذلك، إذ ذكر في رحلته أنه عندما حل بمدينة سور الغزلان، استقبله قائد البرج وأهدى له غزالة[4]. كما أنً هناك من ينسبه إلى اسم شخصية عربية[5]،أو إلى الفراغل حسب بيليسيي**Pellissier** و التي فتحت بأسواره.*[6]

بني هذا البرج أسفل جبل دبرة من الناحية الشمالية على أنقاض المدينة الرومانية **Auzia** سنة1004هـ/1595م،التي شغلت مكانها في الفترة الاستعمارية مدينة

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،174.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي و اخرون، تاريخ المدن الثلاث.....ص،ص،359-360.

[3]- Adrian, Berbrugger , «**Auzia** », in Rev- Afr, N 63, 1867, P, 249.

[4]- جون أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس،(1145هـ/ 1732م)، ترجمة وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت ، ص 68.

[5]- Louis Piesse, Op,Cit,p,134.

[6]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،509.

* للمزيد ايضا عن تاريخ البرج و تسمياته انظر كل من،Shaw Thomas, Op,Cit,318. ، جون أوهابنسترايت ، المصدر السابق، ص68 . و Albert Devoulx , Tachrifat……, p, 47. .

"أومال" Aumale ،واتخذوا منها مركز عسكريا للتصدي لمقاومة الاهالي من منطقة القبائل.[1]

أما عن تاريخ انشائه و عن منشئه؛ فقد اختلفت و تعددت أراء المؤرخين، فمنهم من يرجعه الى حسن بن خير الدين باشا **و** مثال ذلك **جون أو. هابنستوايت**، و هناك من ينسبه الى شعبان آغا(1001هـ-1004هـ/1592م-1595 م،كتوفيق المدني مثلا[2]،وهناك من يرجحه الى خليفته مصطفى باشا في1004هـ/جويلية 1595م،كعبد الهادي منصور خلال فترة حكمه الأولى التي لم يلبث بها سوى أربعة أشهر.[3]

اتخذ البرج شكلا مربعا بمساحة إجمالية تقدر بحوالي 4900 م2 [4]، تقيم به حاميته تظم ثلاثين جنديا و ستين احتياطيا و عدد من المدافع.[5]

عند دخول الفرنسيين إلى المدينة سنة 1263هـ/1846م، كانت عمارته قائمة بمركز المدينة الفرنسية في الجهة المقابلة للحديقة العمومية، إلا أن أسواره قد أصابها كثير من الخراب، وظل قائما إلى غاية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/للقرن التاسع عشر الميلادي لتحل محله مدرسة الذكور.*[6]

برج السواري:

---

[1]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،510.

[2]- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا.....ص،33.

[3]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،510.

[4]- Louis Piesse, Op,Cit,p,134

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،174.

[6]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،511.

* للمزيد و للاطلاع عن هذا البرج انظر محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص، ص، 509-511.

شيد هذا على الحدود الجنوبية للبايلك، لمنع و لتصدي هجمات الرحل[1]، و قد ذكر الدكتور شو **Shaw** على أنه شُيِّد على مدخل الصحراء، على بعد أربعة مراحل جنوب غرب "عين بوسيف"وعلى بعد عشرة مراحل جنوب المدية.[2]

يتمثل برج السواري في برج صغير مسلح بمدفعين، وتدافع عنه حامية من أربعين (80)رجلا[3].

نشير إلى أنَّ برج السواري فقد أهميته الدفاعية ،بعد وفاة "الباي الوزناجي" أواخر القرن الثاني عشر الهجري/أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، حيث لم يسلم منه خلال القرن19 م سوى القليل من أسواره، أما مدفعيته؛ فقد نقلها" الباي جعفر" إلى عين المشرف بأولاد علان، حيث انفجرت عند استعماله. *[4]

ثانيا: العمارة العثمانية الدفاعية في الجزائر خلال العهد العثماني:

مكث العثمانيون في الجزائر ما يزيد عن ثلاثة قرون من 1516م إلى غاية 1830م،خلفوا فيها آثارا عمرانية و معمارية، تجسدت في مختلف مستويات المنجزات الحضرية، ابتداء بعيون الماء لسقي المارة و انتهاء بالمدن و المستوطنات البشرية، مرورا بالمساجد و الأسواق و الحصون و القلاع و قصور الحكم،وغيرها من المباني

1- Vincent – Yves – Boutin,Op, Cit,p,41 .

2- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence…..p,318 .

3- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،511.

4- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه،ص،512.

* للمزيد و للاطلاع عن هذا البرج انظر محفوظ بوطبة ،نفسه، ص،ص،511-512 .

العامة. و تعد هذه المنجزات المادية بالأخص العمارة العسكرية حاضرة و شاهدة على هذه الحركة العمرانية.[1]

و دخول العثمانيين لدول المغرب العربي عموما و الجزائر خصوصا، لم يكن غزوا او تدخلا مباشرة من طرف الدولة العثمانية كما هو الحال بالنسبة المناطق المشرق العربي ، بل أمر فرضته التهديدات المسيحية الاسبانية لوائل القرن 16م ، حيث جذب هذا الصراع الجديد رجال الجهاد البحري الذين اسسوا اساطيل حربية ، لمقاومة الغزو المسيحي بقيادة الاخوين عروج و خيرالدين بربروس[2]، فكان إذن هذا الدخول العثماني أساسا بطلب النجدة من أهلها ، فربطوا مصيرهم في الغالب بمصير هذا الأخير و تحالفوا معهم تحالفا شديدا سياسيا عسكريا ، جنبا الى جنب داخليا و خارجيا ، لتوطيد الأمن و الاستقرار[3] . و قد ظل الوجود العسكري أو النظام العسكري ان صح التعبير ظاهرة مميزة للحكم العثماني في الجزائر ، بل الظاهرة المميزة ايضا لهذا الحكم في جميع انحاء الدولة العثمانية ، و كان لهذا النظام الفضل في إنشاء دولة قوية في الجزائر.[4]

مع استقرار الأتراك العثمانيين في الجزائر، بدؤوا بتحصين المدن التي استقروا فيها و ذلك بإنشاء العديد من الاستحكامات العسكرية، من قلاع و أسوار و أبراج، واستمر ذلك الى غاية 1830م[5]،لضمان وسلامة المدن والمواقع الاستراتيجية على السواحل من الغزو الخارجي، ولتأمين خطوط المواصلات و الطرق التجارية، من

---

[1]- مصطفى بن حموش، "**التشريع العمراني و المعماري في العهد العثماني**" السلسلة الثانية : الاثار العثمانية رقم 4، أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الاثار العثمانية حول التأثيرات الأوروبية على العمارة العثمانية و آليات الحفظ و الترميم، اشراف و تقديم أ.د عبد الجيل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ،زغوان .اوت/آ 2001،ص،55.

[2]- جخدان بو عبد الله ، الولايات العثمانية الثلاثة – الجزائر- تونس- ليبيا " قيام دولة الموحدين الى غاية الانضمام للخلافة العثمانية7-12هـ/13م- 18م دار الايام للنشر، عمان ،2018م،ص،ص،77-78.

[3]- سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الاول-1500-1830م، دار الغرب الاسلامي،بيرت،1998،ص،ص،141.

[4]- خلاصي علي، القلاع و الحصون في الجزائر.....ص،269.

[5]- Ben hamouche Mustapha, Dar Es sultan, l'Algérois ……p,8.

اللصوص و قطاع الطرق ايضا، اذ اهتموا بتحصين المواقع الاستراتيجية دعموها بتحصينات عسكرية متنوعة، بعضها كانت كنقاط للمراقبة والأخرى كأبراج أو بروج لحماية حدود قبائل المخزن، بينما بنيت بعض الاستحكامات لاستراحة المحلات، التي تتجه للمقاطعات وأراضي البيلك لجمع الأمن و الحماية.[1]

تطلّب على العثمانيين تحصين الجزائر، بإنشاء استحكامات عديدة و يدخل ذلك في إطار الاجراءات العسكرية الدفاعية التي اعتمدت عليها الادارة العثمانية بالأرياف، في فرض سيطرتها و إخضاع السكان، وربطهم بالحكم المركزي بالجزائر، و ذلك بإقامة نظام دفاعي يستند على نظام الحاميات العسكرية(النوبات) كما اصطلح تسميتها، و قبائل المخزن الموزعة على النقاط الاستراتيجية بالقرب من الطرق الرئيسية بجوار المراكز العسكرية، للحد من تحرك القبائل واحتواء حركات التمرد لا سيما بمنطقة القبائل المتخامة لدار السلطان، و التي كانت مصدر تهديم لنفوذ البايلك بأوطان متيجة والساحل(دار السلطان).[2]

اذن لغرض الحماية طوقت المنطقة بسلسلة من الأبراج العسكرية نذكر؛ برج منايل، برج سيباو، برج تيزيوزو، برج بوغني برج حمزة و برج سور الغزلان [3]، و المعروف أنً الدولة العثمانية كانت عدة حاميات عسكرية، وهذا دلالة على الوجود العسكري العثماني، و كانت هذه الحاميات و ما يتبعها من عسكر الدرك تشكل حماية للوالي العثماني و لموظفين الاداريين التابعين للدولة. و كانت الدولة تدعم هذه الحاميات

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة الأولى، بيروت ،دار الغرب، 2000، ص،237.

[2]- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية.....ص،237.

[3]- سعيدوني ناصر الدين، المرجع نفسه.

بقوات عسكرية نظامية و غير نظامية، يكون افرادها من اهالي التابعة لها، أو من بين افراد القبائل المؤيدة لها. و قد اشرنا الى ذلك مرارا.[1]

يعتمد هذا النظام كذلك على اجراءات عسكرية عاجلة مثل تجريد الحملات الفصلية(المحلات) و شن الهجمات الانتقامية المفاجئة(الغزات) من طرف فرسان المخزن و فرق اليولداش (الجند الانكشاري) التي كثيرا ما كانت تباغت قبائل الممتنعة عن دفع الضرائب ، او التي جاهرت بعصيانها و أعلنت عدائها للبيالك.[2] نشير إلى أنً التحصينات الدفاعية لم تكن وليدة عصر معين، و لا مرحلة محددة في اطار، بل كانت استجابة لمتطلبات الحماية، من الخطر الخارجي المتكرر على المدن منذ العصور التاريخية القديم، لكن الفترة العثمانية في الجزائر، كان لها مزات يمكن تلخيصها في:

- العصر الحديث أو الفترة العثمانية هو عصر المواجهة المباشرة بين المسيحية و الاسلام، وتمثلت هذه المواجهة في الهجمة الاسبانية في الشمال، ومطاردة المسلمين الاندلسيين الفارين بدينهم و أموالهم و جلودهم من الخطر الصليبي بعد سقوط اخر معقل للمسلمين بالأندلس.و عصر التقارب المشرقي – المغربي بعد نهاية الامارات المستقلة ،و احياء الخلافة الاسلامية و لو انتماء. و التحصينات العسكرية التي خلفتها المواجهات الحربية لخير دليل على عنفها و على التطور الكبير الذي بلغته القوات المتحاربة في فن التحصين و البناء خصوصا و فن الحرب عموما.[3]

---

[1]- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية.....ص،237.

[2]- نفسه، ص،238.

[3]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،267.

- لم تكن تحصينات المدن في بعض الأماكن كافية لصد غزوات و نزول قوات الحملات العسكرية، فدعم محيط المدن و ضواحيها وأرباضها، بقلاع و حصون و ابراج للمراقبة.[1]
- تتميز العمارة العسكرية للعصر الحديث بالقوة و الصلابة ، اذ جاءت المنشآت الدفاعية ككتلة متماسكة ، لكنها تحمل اهم ما توصل اليه المعلمون (رؤساء البناؤون) من افكار، و ما توصل ال يه الحرفيون من اختراعات و ابتكارات ، و ما توصل اليه المهندسون المعسكرون في تدعيم و تنظير و تطوير في مجال الاستراتيجية العسكرية.[2]
- الميزة التي تميزت العمارة العثمانية في الجزائر تتمثل في فن العمارة العسكرية و ما صاحبها من تطورات في التنظيمات العسكرية، إذ أنً هذه الاخيرة تُبنى على مبادئ و لكنها لا تبنى على نظام معين، لأنها تتأقلم مع المحيط و مع الظروف، فجاءت استجابة لمواكبة التطور في فن الحرب، و في تطور صناعة الأسلحة النارية، ثم لتحصين نقاط الضعف في مواقع و أرباض المدن، استفاد منها الجزائريون بعد الحملات العسكرية الاوروبية، فكان التنافس على الاطاحة بدار الجهاد من مبادئ الساسة في اوروبا و سمة من سمات العصر الحديث.[3]
- من جهة اخرى؛ أنً الاستحكامات العسكرية الداخلية،لم تكن منفردة قائمة وحدها دائما، بل كانت تشكل سلسلة من الحصون و القلاع و الأبراج المترابطة بينها، وقد انشئت على الطرق الرئيسية و المضايق الجبلية،و قد

---

[1]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،267.

[2]- نفسه،ص،270.

[3]- نفسه، ص،270.

فرضت المواقع الطبوغرافية الطبيعية موقع كل برج و حصن، وكان الحكام يزيدون في قوت التحصينات بزيادة عدد فتحات المدافع.[1]

- بالنسبة للمنشآت العسكرية العمومية؛ اي ذات الخدمات المشتركة، من ثكنات و نوادي خاصة، مساجد، إدارات و حمامات، فإنها لا تختلف عن الفنادق و القصور و كذا المقاهي، باستثناء فرق واحد وهو ما يميز حياة العسكري عن حياة المدني، فالأول جمعت له كل المنشآت و المرافق في حيز ضيق جعلته، يعيش حياة خاصة متمتعا بقوة الشباب و بعزوبية الرهبان، والثاني يتمتع بحرية اكثر في محيط اوسع لكن بنفوذ و سلطة و جاه أقل، و قد ساعد هذا الوضع في انفراد أصحاب القوة، في ادارة عجلة الحكم و استئثارهم بالسلطة على حساب الصناع الحرفيين و الفلاحين و المزارعين و التجار و رجال الدين، وعلى هذا نجد الضباط و قدماء الجيش يخلدون مرورهم بغرف الثكنات بكتابات تذكارية.[2]

- عندما تم انتقال المدن من الداخل الى الشريط الساحلي، ازدهرت الأعمال البحرية، فمن الجهاد البحري الى التجارة البحرية و بالتالي من ترقية الموانئ و حمايتها و تحصينها والى صيانة المراكب و الصناعة الحربية، و في هذا السياق برزت موانئ ؛ الجزائر بصفة خاصة، بالإضافة الى وهران و بجاية، وقد دعمت بأرصفة و قلاع و أبراج و العديد من المرافق الهامة مثل النوادي و المساجد و العيون و المخازن، و معظمها قد بنيت بالحجارة المجلوبة من المدن القديمة المندثرة، و البعض الاخر من المقالع التي فتحت لهذا الغرض.[3]

---

[1]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،267.

[2]- خلاصي علي، نفسه.

[3]- نفسه.

- أقيمت معظم المدن الساحلية على الجزء الغربي من الخلجان منها على سبيل المثال؛ عنابة ، جيجل، دلس ،الجزائر، وهران، و المرسى الكبير، و تتربع كل مدينة على مساحة تتراوح ما بين 30 الى 40هكتارا، و احتلت اماكن مدن قديمة، لكنها اتخذت أنماطا و أشكالا جديدة، فرضتها هجرة الأندلسيين و توافد العثمانيين من أتراك ومستتريكن، أثّروا وتأثّروا في مختلف النواحي الاجتماعية الاقتصادية، الثقافية و الفنية.[1]
- في ما يخص الارواج فإنها كانت وقت السلم، بمثابة عنوان ولاء للسلطة المركزية، كما كانت تقوم بحماية و حراسة الطرق الداخلية، خاصة الطريق السلطانية الممتدة من عنابة الى تلمسان وكانت الحراسة تتم من طرف المواطنين، اذ توضع قوائم تحدد رجال المداومة.[2]
- لم تكن التحصينات في الفترة الحديثة – العثمانية– قواعد هجومية تنطلق منها الجيوش، سواء في المدن الشرقية او الوسطى ، اما بالنسبة لتحصينات وهران فكانت تؤمن افضل الشروط الممكنة لمراقبة الاراضي المحيطة بها، و كانت مدعمة بأرواج رباعية محصنة بزوايا و خاصرات لتعزيز النقاط الضعيفة فيها بشكل خاص.[3]
- الطريقة المتبعة منذ القدم تهدف إلى تسلق الأسوار و اقتحام التحصينات، لكن بتطور الأسلحة الهجومية، عمد القادة إلى تقوية الأسوار و توسيع الخنادق و تشييد المراقب، وكونوا انحناءات نحو الخارج لتفادي الالغام و لحماية أسس المبنى.[4]

---

[1]- خلاصي علي، المرجع نفسه.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

[4]- خلاصي علي، العمارة العسكرية.....ص،161.

- تتويج الأسوار بعدة بروج أبراج أو طبانات رباعية الشكل، وتحتوي في معظمها على تراب مركوم يكون مسطحا، توضع عليه قطع المدفعية، و يكون البناء عادة انحناء تحو الداخل بمقدار ثلاثين درجة.
- اهتمام المهندس المعماري بالجانب الجمالي الفني في المنشآت العسكرية، ما دامت حياة العسكري مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة الجماعية، فهو أعزب و متمسك بالشعائر الاسلامية ، يعتبر نفسه مجاهدا لكنه يحب التمتع عن النفس، و ما دامت الخدمة العسكرية تدوم عشر سنوات ، فان الجندي يحن الى الماضي فيزين كل ما يربطه بماضيه.[1]
- من مميزات العمارة الدفاعية الجزائرية في العثماني، أنً مبانيها أي المباني العسكرية كانت تخضع لمراقبة تنظيم دائمين، وكان الإشراف عليها لقادة يختارون من بقية العسكريين، و لكن الحراسة كانت موزعة بين الصفوات أو الحاميات التي تعين في الابراج وقت السلم، و لكن وقت الحرب المداومة على الحراسة، تتم من طرف المدنيين المجاورين لكل برج، و بما أنً هذه الأبراج قد قامت بها مجموعات من الأهالي بتكليف من الدايات، فإنً هذه العمائر قد حملت صبغة جزائرية.[2]

[1]- خلاصي علي، القلاع و الحصون في الجزائر.....ص،ص،269-271.

[2]- خلاصي علي، العمارة العسكرية في مدينة الجزائر.....ص،7.

الفصل الثاني

العمارة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني

أولا : التحصينات الدفاعية لبياليك الجزائر

ثانيا : أسس و مميزات العمارة العثمانية الدفاعية في الجزائر في العهد التركي

العمارة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني:

أولا: التحصينات الدفاعية لبياليك الجزائر:

ظلّ الشمال الإفريقي « **القاعدة الرئيسة للنفوذ العثماني**[1]»، على حد تعبير نيقولاي إيفانوف ، ففي الجزائر، أخضع العثمانيون كل الساحل الافريقي، الذي شكلت مدنه انطلاقا لعمليات الجهاد البحري للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط، و قد ركّز عليه الإسبان لهدف احتلال المدن الساحلية و تحويلها إلى قواعد، للتوغل في الداخل من جهة أخرى ، لأنها كانت تشكل للوجود العثماني بالبحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا قواعد دفاعية، و لدورها التجاري والاقتصادي.[2]

بإشراف العثمانيين على كل هذه المناطق البحرية، ومن جهات متعددة تمكنوا من الربط بين جميع ممتلكاتهم البرية والبحرية سواء في القارة الأفريقية، أو القارة الآسيوية، أو القارة الأوربية. إلا أن الدفاع عن كل هذه الممتلكات كان يتطلب تحقيق إحدى الأولويات الاستراتيجية و التي تتعلق بضرورة بناء أسطول بحري قادر على المواجهة البحرية والعسكرية للقوى المسيحية الأوربية . النقيض الحضاري والاستراتيجي للدولة العثمانية . خصوصاً وأن هذه القوى كانت لها حدود مشتركة مع العثمانيين، وتحديداً بالبحر الأبيض المتوسط، الذي شهد أعنف الحروب بين التحالف المسيحي (إسبانيا والنمسا والبندقية وجنوة) والدولة العثمانية.[3]

تميز نظام الدولة الجزائرية الدفاعي، خلال فترة الحكم العثماني بعنصرين مهمين أساسيين، اذ تمحور العنصر الأول منه في الجانب المادي، و فيه مجموعة من

---

[1]- نيقولاي إيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516 - 1574 م)، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، مراجعة مسعود ظاهر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1988، ص، 200.

[2]- نيقولاي إيفانوف ، المرجع نفسه.

[3]- نفسه.

الاستحكامات العسكرية الخاصة ببناء الحصون و الأسوار، و ما يتخللها من أبراج و طبخانات و أبواب موزعة بصفة منتظمة و متقنة، مدعمة بسلسلة من المدافع. بينما الجانب الثاني منه فيضم العنصر البشري و يتمثل في مجموعة من الوحدات العسكرية عرفت "بالحاميات" التي لعبت دورا بارزا في الأحداث السياسية و العسكرية لمدينة الجزائر خاصة و الجزائر عامة برا و بحرا.[1]

هكذا شهد الجانب العسكري تطورا كبيرا، تجلى ذلك في المنشآت العسكرية الدفاعية ممثلة في العديد من الاستحكامات العسكرية كالأبراج، الأسوار، الأبواب الخنادق و الطبانات ، و التي لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على أمن و سلامة المدن الجزائرية التي كانت تابعة لها خلال الفترة العثمانية.[2]

بمجرد دخول العثمانيين الى الجزائر، بدأوا في حركتهم المعمارية، وكان تحصين المدن التي استقروا فيها بالقلاع و الأبراج و الأسوار، المدعمة ببطاريات أو الطبانات و المدفعيات من اولويتهم، واستمر ذلك الى سنة 1246هـ/1830م سنة دخول الفرنسيين الى الجزائر[3]، و كان الهدف من التحصين على جبهتين، داخلية و خارجية، فالأولى تخص مواجهة الثورات المحلية، والثانية مست جانب صد غارات العدوان الخارجي،و ذلك بإنشاء العديد من المستحكمات الدفاعية التي تنوعت ما بين الأسوار، القلاع، الحصون الأبراج و الأبواب.[4]

---

[1]- عناد جويدة، المرجع السابق، ص،66.

[2]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية 1515م-1830م، دراسة أثرية معمارية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، جامعة أبو القاسم سعد الله، معهد الآثار،2014-2015،ص، 80.

[3]- Ben Hamouche Mustapha, Dar Es sultan, l'Algérois à l'époque ottomane,-Gestion urbaine et aménagement du territoire, Dar El Bassair, 1er éd, 2009,p,3.

[4]- بن شامة سعاد، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري في العهد العثماني، شرشال - البليدة - القليعة ، ومظاهر التمدن الاندلسي فيها – وصفية تحليلية - انموذجية- اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة بزريعة2، معهد الاثار،2015-2016 ، ص،4.

و يبدو من خلال الملاحظة الميدانية ان هذه التحصينات منها ما هو قائم الى يومنا هذا، و هناك من التحصينات لم يبق منها الا القليل و هناك المندثرة نهائيا.[1]

من الأساليب التي استعملها حكام الجزائر في فرض نفوذهم، استخدام سياسة دفاعية محكمة و أساليب عسكرية متطورة، تمثلت في اقامة شبكة دفاعية تمس أغلب المناطق الاستراتيجية الحساسة بالجزائر، بدءا بمنطقة القبائل الجبلية القاطنة ببلاد القبائل، لتظل بعيدة عن المناطق السهلية حيث تنتشر مزارع البايلك[2]. كما يعد اكتشاف المدفع في القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي, حدثا تاريخيا في العمارة العسكرية وتحولًا خطيرا في تاريخ البشرية[3]. و من هذا المنطلق جاءت جملة الاستعدادات ومن بينيا الاستحكامات العسكرية التي أنشأت لغرض دفاعي بالدرجة الأولى.[4]

و من المنجزات العثمانية في الجزائر مينؤها الذي ربط الجزر فيما بينها في بناء دائري يصعب اقتحامه، مما وفر للمجاهدين قاعدة متينة. أما منطقة القبائل؛ فقد تمثلت الشبكة الدفاعية في مجموعة من الحصون عبارة عن حلقة محكمة تطوق بلاد القبائل (غربا، شرقا، شمالا وجنوبا).

بالنسبة لمدينة بجاية مثلا؛ الملاحظ ان العثمانيين امتلكوا واستَخدموا المباني العسكرية التي شيدها الاسبان كمستحكمات عسكرية لغرض الدفاع و الحماية ، في حين فإن

---

[1]- بن شامة سعاد، المرجع السابق، ص،4.

[2]- سعيدوني نصر الدين،**"الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل"** ،السلسلة العاشرة كتب تقديرية لبعض الاعلام الدوليين رقم 11،تحية تقدير لأندريريمون،الجزء2،المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، تونس، آوت،2004 ،ص، 191.

[3]- عثمان مفتاح، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،25.

[4]- بلبوات بن عتو، المدينة والريف، ج2 ، سلسلة دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكبة العلوم، الجزائر، 2016، ص المدينة و الريف، ص، ص،112-113.

مدينة الجزائر؛ قد اعادوا بناءها من جديد و طوروا نظامها الدفاعي كليا[1]. و بالنسبة لمدينة شرشال، فكانت إحدى المدن التي قام القائد عروج بتحصينها ، و من جهة ثانية بُني بها مصنعاً للعتاد الحربي، وفي السياق نفسه يجب عدم إغفال الأدوار التي أدَّتها المدن الأخرى كبجاية و تلمسان. وهذا ما يفسر الصراع العنيف الذي كانت تشهده كل من هذه المدن بين الأتراك العثمانيين والإسبان ولفترة زمنية طويلة.[2]

أمام هذا الاضطرابات و التوترات بين دول المغرب الإسلامي، استغل العدو الخارجي الغير المنتظر وهم الإسبان هذه الظروف، فقاموا باحتلال أغلب المدن الساحلية لبلاد المغرب العربي الأوسط كعنابة، بجاية، أرزو و وهران،هذه الأخيرة التي مكث بها الإسبان أكثر من ثلاث قرون فأنشأوا بها قلاع وحصون جديدة تتماشي و الوضع الجديد و التطور الحربي[3], ثم حاول الإسبان احتلال مدينة الجزائر وذلك بإقامة حصن على الجزر المقابلة للمدينة علي بعد **300** م و المسمى بـ "حصن البنيون" لتهديد الأهالي بالقصف و إرغامهم عنوة قصد تسليمها.[4]

عرفت الجزائر سياسة عمرانية دفاعية جديدة، وتطور حربي سواء من الناحية التحصينية أو من ناحية تطور الأنظمة الحربية والأسلحة، بعد دخول العثمانيين الجزائر، فأول ما فكروا فيه بعد استقرارهم بها ؛ البحث عن سبل و طرق الدفاع و ضمان الحماية داخل مختلف المدن التابعة لهم، و لقد كان اقليم الجزائر أول اقليم من أقاليم شمال افريقيا الذي دخل تحت السيادة العثمانية فأصبحت الجزائر ركيزة لحركة جهاد الدولة العثمانية في البحر الابيض المتوسط[5]، بعد طردهم للخطر

---

[1]- بلبوات بن عتو، المرجع السابق،ص،ص،112-113.

[2]- بلبوات بن عتو، المرجع نفسه.

[3]- نفسه،113.

[4]- نفسه.

[5]- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية ، عوامل النصوص و اسباب السقوط،المكتبة العصرية صيدا، بيروت،2007،ص،226.

الإسباني الذي اجتاح المدن الساحلية بدءا ببجاية سنة 918هـ/1512م، ووهران و كذا معسكر...الخ، من جهة و طرد الايطاليين من جيجل*سنة 920هـ/1514م الى دخول مدينة الجزائر سنة 921هـ/1515م،والى نجدة مسلمي الاندلس.[1]

انطلاقا من هذه المقدمة عن أوضاع الجزائر العسكرية، ما يمكن استخلاصه؛ أن حدود الجزائر الشرقية التي كانت غامضة، مقارنة بالجهات الأخرى من الجزائر، كان يتم تعديلها من حين لآخر عن طريق عمل عسكري، أما حدودها الغربية ؛ لم يثبتها سوى النزاعات بين الجزائريين و الاسبان في وهران، والسلطة المغربية في فاس، وفي كلتا الحالتين، واجه الجزائريون هذا التهديد بحزم، فأنشأوا قواعد أساسية تتمثل في مدينة عنابة و مستغانم ثم وهران، على البحر حتى يمكن للإمدادات العسكرية أن تصل بسهولة، ومدينة قسنطينة و تلمسان في الداخل.

عهد العثمانيين بعلاقتهم بالسكان الى قياد يكونون تحت مراقبتهم، وهؤلاء القياد يراسون الجند في المدن التي لها حاميات، و يسهرون على أمن الطرق و جمع الضرائب، و تساعدهم في ذلك قبائل المخزن و الزمالة، و لكي يتم لهم ذلك و لتامين المواصلات بين البياليك ودار السلطان انشؤوا تحصينات و كذا على الطرق السلطانية في كل المدن الساحلية و الداخلية[2]، ما نسميها بالحزام أو النظام الدفاعي المركب من الأبراج و الحصون و الأسوار و الطبخانات...الخ.

- الاستحكامات الدفاعية لدار السلطان و ما حولها:

* كانت أول مدينة يدخلها عروج في المغرب الأ وسط و مد نفوذه نحو مدن الساحل الغربية.

[1]- بن شامة سعاد، المرجع السابق، ص،1.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة و النشر و التوزيع،ط1،2007،ص،163.

من التحصينات الدفاعية التي بناها العثمانيين في مقاطعة دار السلطان نذكر

1- تحصينات مدينة الجزائر :

إنً المخطط الدفاعي لمدينة الجزائر في شكله الكلي، وضع في القرن السادس عشر، و لم تأت القرون التالية الا بتعديلات جزئية، دعت اليها متطلبات الدفاع و تقنياته الحديثة، التي لا طالما فاقت بها الجزائر كبريات مدن البحر الابيض المتوسط آنذاك، و لذلك فهي تستحق اسم المحروسة عن جدارة، نظرا للاستحكامات التي أقامها حكامها خلال ثلاث قرون.[1]

لقد طوروا دفاعاتها بعناية فائقة و جعلوا شهرتها كمؤسسة عسكرية تفوق كل مدن الامبراطورية العثمانية بما في ذلك الاسلام حول نفسها، ففي سنة 1246هـ/ 1830م،كانت هذه الجبهة الدفاعية البحرية بين بولوغين تمنفوست مزودة بحوالي 1743 قطعة مدفعية و العديد من الأبراج و الحصون.[2]

عمل الإخوة عروج و خير الدين بربروس على تزويد مدينة الجزائر، بجملة من المرافق ذات الغرض الدفاعي، المتمثلة في سياج الأسوار كالخنادق وحصنوا مداخلها، غير أنهم لم يكتفوا بتحصين المدينة فقط، بل وجهًوا عنايتهم إلى حماية الثغور و تخوم الدولة بإنشاء سلسلة من الحصون و الابراج و كذا الطبانات، و كانت هذه المرافق الدفاعية مشكلة بصفة دقيقة و موضوعة بمناطق حساسة تستجيب لمبدأ الدفاع عن النفس، كحماية الأرواح كالممتلكات من الاعتداءات الخارجية التي يمكن أن تهدد سلامتها واستقرارها ، بحيث وردت شهادة تؤكد ذلك في تقرير" لانفيدكشي و بوسيو" في سنة988 هـ/1580م، بأن القيام بأي حملة على الجزائر مستقبلا

---

[1]- لخضر درياس، المرجع السابق،ص،107.

[2]- بورويبة رشيد، الجزائر سلسلة " فن وثقافة "، وزارة الإعلام و الثقافة، الجزائر، 1947 ، ص 53.

أصبح أصعب من الفترة التي هاجمها فيها شارلوكان، لأن المدافعين عنها تزايدوا و تحصيناتها أصبحت أكثر متانة.[1]

لعل مازاد من قوة دفاعها، ذلك المظهر الطبيعي للمدينة التي بنيت على سفح جبل، في شكل مثلث قاعدته ملاصقة للبحر و قمته راس الجبل، وتبدو المنازل به متصاعدة في هيئة مدرج يحيط بها سور يتراوح ارتفاعه ما بين اربعين قدما على امتداد الميناء و ثلاثين قدما من جهة البر. و في أعلى المثلث نجد القصبة المسورة هي الاخرى بسور تتخلله فتحات للمدفعية تزيد من القوة النارية للدفاع عن المدينة، يحيط بكل ذلك خندق يتراوح عرضه ما بين ستة عشر(16) الى عشرين(20) قدما.[2]

(الصورة(01))

تأتي في مقدمة هذه التحصينات؛ الأسوار و الحصون الخنادق و الأبراج والثكنات، إلى جانب الطبانات أو الطبخانات، فقد كانوا يعملون كالجسد الواحد للحفاظ على أمن واستقرار المدينة من أي هجومات محتملة خاصة منها البحرية.[3]

(اللوحة(14))

– أسوار مدينة الجزائر:

يعود تاريخ إقامة أسوار مدينة الجزائر إلى الفترة الزيرية، وتحديدا القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تاريخ إنشاء المدينة ،على غرار عدد من المدن الزيرية نتيجة الأوضاع الأمنية السائدة أنداك مثل مدينة أشير، وقد نقل لنا" ابن حوقل " وصفا لتحصينات المدينة بقوله: « **جزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على سيف**

---

[1]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية .....ص،379.

[2]- لخضر درياس، المرجع السابق،ص،107.

[3]- Fray Diego de Haedo , « **Topographie générale d'Alger .....**p,418.

البحر...». وأكّد هذا القول الجغرافي المقدسي بقوله:« **و جزيرة بني مزغناية على ساحل البحر مسورة ».**[1]

كانت هذه الأسوار في بداية القرن العاشر الهجري/16م قائمة، ونستشف ذلك من وصف حسن الوزان للمدينة قبل خمسة سنوات من فتحها من طرف الأتراك بقوله:" ...**شيّدوا (الإسبان) قلعة جميلة كبيرة في جزيرة صغيرة مقابلة تماما للمدينة وقريبة منها، بحيث كانت قذائف المدفعية تصل إلى اليابسة، بل وتمر فوقها من سور إلى سور...**[2]، و يقصد بذلك السور القديم للمدينة والتي يبلغ أقصى امتداد لها نحو الجنوب إلى القصبة البربرية، وهي نفسها التي اخترقها الأتراك من الناحية الغربية حيث باب الوادي في معركتهم مع الإسبان، وتمكنوا على إثر ذلك دخول المدينة سنة 922هـ/1516 م.[3]

استحقت المدينة اسم الجزائر المحروسة،عن جدارة كاملة طوال الفترة العثمانية، وذلك بفضل تلك الاستحكامات المتنوعة الوظائف التي بناها مهندسون وتقنيون ذوي خبرة كبيرة في هندسة العمارة العسكرية، وتطوير النظام الدفاعي للمدينة[4]وهذا ما أكدته الشواهد المعمارية الأثرية التي عرفت أعمال الترميم، نذكر على سبيل المثال؛ حصن 23*، وبرج تامنفوست** و قلعة الجزائر أو القصبة العليا التي تحوي على أروع هندسة معمارية، لأحد مبانيها المتمثلة في دار البارود والفريدة من نوعها في المغرب العربي، وذلك لاشتداد العدوان الأوروبي المسيحي، و بفضل

---

[1]- أبو القاسم بن حوقل النصيبي، المصدر السابق،ص،7.

[2]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص، 38.

[3]- Fray Diego de Haedo , Histoire des Rois d'Alger .....p, 23.

[4]- وليمام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق، عبد القادر زيادية ،دار القصبة للنشر، الجزائر1980،ص،52.

* يعود بناؤه إلى 984 هـ/ 1576 م من طرف رمضان باشا (حكم لمدة ثلاث سنوات ما بين 982 هـ -985 هـ/1574م و 1577 م

** بني بأمر من الباشا إسماعيل من طرف حمدان أغا سنة 1077 هـ/ 1666م.

هذه الاستحكامات الضخمة التي تعتبر كمؤسسة عسكرية، فاقت مدينة الجزائر المدن العثمانية الأخرى.[1]

بالجمال الرائع الذي ميز مدينة الجزائر وعمرانها ، خاصة الاستحكامات القوية من حيث هندستها البنائية، سواء داخل مبانيها أو خارجها، فقد دفعت العديد من الرحالة والجغرافيون الذين زاروها، وكذا الأدباء والكتاب والشعراء الذين يعودون إلى القرن 12 هـ/18م يتغنون بها، كعبد الرحمن الجامعي* في قوله:« **الجزائر والحمد لله دار الجوهر الفرد في الأدب وعلم العقل**....». [2]

و تعرضت أسوار مدينة الجزائر خلال الحكم التركي إلى عدّة تجديدات و إضافات إلى غاية 1246هـ/1830 م. و "خير الدين باشا" اول من باشر بهذه الاضافات و التجديدات[3].و يعد "حسن باشا" أول من جدد أسوارها،و كان ذلك سنة 944 هـ/ 1540م، حيث قام بمد أسوارها القديمة جنوبا إلى غاية القصبة التركية مشكلة أسوارها الخارجية، وفتحت بها أبواب أخرى على رأسها باب الجديد بالسور الشرقية أسفل القصبة.

جددت هذه الأسوار مرة أخرى سنة981هـ/1573م من طرف"أعرب احمد باشا" ، إلاّ أن هذا العمل اقتصر على السور الشرقية للمدينة فقط، حيث توسعت شرقا على حساب ربض باب عزون مع الحفاظ على اتجاه مسارها السابق، وهذه التوسعة في أسوار المدينة باتجاه الجنوب والشرق، جاء نتيجة النمو الديموغرافي السريع وما لحقه من حركة عمرانية كبيرة بالمدينة، أملت على الرعية التوجه إلى

---

[1]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص،52.

*هو أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله الفاسي الشهير بالجامعي ،أديب وكاتب، ولد بفاس سنة 1087هـ، صاحب « قريحة جيدة في نظم الشعر البليغ...» للمزيد انظرعبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث- الجزائر، مدية، مليانة ، دراسات وأبحاث ،ط2، الجزائر، 1972 ،ص،154.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث.....ص،154.

[3]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص، 336.

النمط العمودي في البناء[1]، حسب روزي **Rozet** في قوله:« **عرفت مدينة الجزائر في فترة حكم خير الدين زيادة سكانية بنسبة سريعة، حيث قدّرت سنة 981 هـ/1573 م، بما يفوق 12 ألف نسمة،وكان بها 100 مسجد و34 مستشفى** ».[2]

نشير إلى أن أسوار مدينة الجزائر، قد اتخذت شكلا مثلثا، و قد دُعِّمت بعدد من الأبراج المربعة الشكل[3]، مسلحة بالمدفعية[4]. أما بدنها فقد شيّدت بشكل مائل، وهذا التخطيط فرضه التقدّم في نظام التسلّح عند العدو باستعماله للمدفعية.[5]

يقدّر محيط الأسوار حوالي 3400 خطوة، إذ يبلغ طولها بالواجهة البحرية 1600 خطوة، وفي الجانب البري 1800 خطوة، و قد لعبت دورا كبيرا في تجسيد هذا الشكل الهندسي، فهي تنحدر من أعلى المدينة متخذة اتجاهين متعاكسين إلى غاية مستوى البحر، وقد بلغ طول السور الأول والواقع بناحية باب الوادي حوالي 900 م ويبلغ ارتفاعهما عموما ما بين 11 متر إلى 13 متر[6]، بحيث تكون أكثر سمكا وارتفاعا عند الواجهة البحرية باعتبارها الخط الدفاعي الأول للمدينة، لتعرضها لقصف قوي ومتكرر من طرف مدفعية السفن البحرية المعادية للحكم القائم بالجزائر.[7]

---

[1]- ليليان مسلم، " الجزائر نشأة المدينة وتطورها قبل سنة 1830 "، من كتاب: القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1985 ، ص،23.

[2]- Rozet et Carette , Algérie, Paris,France,1850, p,71.

[3]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence d'Alger, trad, I.M Carthy, 2éme ed, Bouslama Tunis, 1980 , p, 289.

[4]- Peyssonnel et Desfontaines, Voyage dans la régence de Tunis et d'Alger,Tom1,Librairie de Gide ,Paris, 1838 , p,451.

[5]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق،ص،396.

[6]- Henri Klein, Les feuillets d'El Djezair, Ed Chaix,Alger,1937,p,71.

[7]- Boutin, Vincent Yves, Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger par le chef de bataillon Boutin1808, suivie des mémoires sur Alger par le consuls de Kerev 1771,Lib ancienne, honore champion,paris,1927,p,p,32-33.

يتراوح متوسط سمكها ما بين 11 و 12 شبر أي ما يعادل 2.75 م إلى 03 امتار[1]، حيث يقل سمك هيكله بالقسم العلوي من المدينة كلما اتجهنا من الأسفل إلى الأعلى[2]، وذلك للتقليل من ثقلها والزيادة في صمودها، إضافة إلى كون هذه الجهة من المدينة أقل عرضة للخطر، ومحصنة بالمنحدرات الطبيعية، ما ينعكس على عمارتها من حيث السمك والارتفاع، وعلى نوعية الملاحق المعمارية المشكلة لها، وكان سببا في قلة الدفاعات الخارجية لها، التي اقتصرت على برج النجمة وحصن الإمبراطور اللذان شيّدا خارج سور المدينة جنوب القصبة، مقارنة بالجهة السفلية التي هي في عرضة دائمة للخطر الذي يأتيها من البحر، هذا ما انعكس على توزيع النظام الدفاعي للمدينة، حيث تركزت معظم التحصينات بهذه الجهة منها، أما ارتفاعها فقدّر بحوالي 30 شبرا بالجهة البرّية وبـ 40 شبرا بالواجهة البحرية، لكون هذه الأخيرة شيدت على أرضية صخرية مرتفعة، صنعت فارقا بـ10 أشبار.[3]

بنيت جدران السور الدفاعية من مادة الطابية عرضه(من 1 إلى 1.70م)، يعلوه ارتفاع يقدر بـ (1م و 1.32م)، وفتحت في أعلى هذا السور كوات للبنادق كالمدفعية جميعها متساوية في الحجم.[4]

أما عن تقنية بناء اسوار مدينة الجزائر؛ بنيت بمادة الحجارة في الجهة السفلية، بينما بنيت بمادة الآجر في الجهة العلوية، أما عن ارتفاع السور؛ فإنه وصل الى30 قدم عن سطح الأرض و 40 قدما عن مستوى سطح البحر.* [5]

1- Fray Diego De Haedo, Topographie et histoire générale. D'Alger , Traduit de l'espagnol par Dr. Monnereau et A. Berbrugger ,1870,p,p,22-23.

2- Vincent-Yves Boutin, Op.cit., P 192.

3- Fray Diego De Haedo , Topographie et histoire…….. ,P, 23.38 .

4- Vincent-Yves Boutin, Op,Cit.,p,p,,19-34.

5- Laugier de Tassy,Op,Cit,p,175.

* للمزيد عن اسوار مدينة الجزائر انظر علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر...، ص،29.و ايضا الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص، 42. و عن مسار أسوار مدينة الجزائر في العهد العثماني راجع كل من ألبارت ديفولكس، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق، مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات،2004 ، ص،55. و Fray Diego De Haedo, Topographie.....p, 28.

أما هايدو **Haedo** ؛فقد شبه أسوار هذه المدينة خلال الفترة العثمانية، بقوس ذات وتر، يمتد من وجهته البحرية بين الشرق و الغرب، ويتبع الميناء نحو هذا الاتجاه، و كذا الزوًايا ، الاروقة، سطوح البيوت المدينة، و الجدران التي تمثل الخشب في القوس،وقد شيدت على ربوة ترتفع بمدرجات حتى قمتها،حيث نهاية الجبل ومحاطا بأسنان،و كان المحيط الري للمدينة يقدر بثمانية وألف قدما، بينما يبلغ طول الجبل الذي يمثل وتر القوس الممتد على الشريط البحري ستمائة و الف قدم، وبذلك يكون المحيط العام للمدينة أربعمائة و ثلاثة الاف قدم، و السور في الجانب المقوس الذي يأخذ في التصاعد ابتداء من البحر الى قمة الهضبة، ذو ارتفاع متجانس يبلغ ثلاثين شبرا، اما على جانب البحر حيث شيد جزء من هذا السور على صخور فقد كان ارتفاعه يبلغ حوالي اربعين 40 شبرا، اما سمك السور فقد بين احدى عشر و اثنى عشر شبرا و كان يتوسط الجانب البحري المائي المسمى خير الدين بربروس الذي انشئ ليكون ميناء، و ذلك بعد أن تم ربط مجموعة الجزر بباقي المدينة.[1]

لقد بنيت على طول السور الذي يحيط المدينة سواء من الجهات الثلاث طبانات (بطاريات) نلاحظ ابعادها غير المتساوية فتحات اكبر من فتحات التصويب العادي، يمكن استعمالها كفتحات للمدفعية، و نتيجة للموقع غير المنتظم، هذه التحصينات المسننة المطلية بالجير.[2]*

و يتألف سور مدينة الجزائر من ممر (ممشى) أو درب يسير عليه جنود المرابطين و الحراس و يبلغ عرضه حوالي 2 م، و جدار ذي سمك يتراوح بين 0.50م و

1- Fray Diego de Haedo , « **Topographie générale d'Alger .....**p,p,418-419 .

* يذكر دوفولكس انً المباني الواقعة داخل المدينة مباشرة ، تتصاعد في شكل طوابق على مدرجات في غالب الاحيان متقاربة الواحدة من الاخرى.

2- Albert Devoulx, ,« **Etude archéologique et topographique sur cette ville aux époques romaines,(Icosium)arabe (Djezair beni mezeranna) et Turque(El Djezair)**,in Re afr, n°20, année 1876, p,74.

0.95م، و عادة ما يكون مبنيا بالحجارة او الاجر المشوي ثم التراب المركوم الذي له شكل مائل ، تكون القاعدة بانحراف يقدر بـ 30°، و سمك القسم الذي أجريت عليه قياسات، و هو القسم المتبقي من سور باب الجديد الغربي، يبلغ 3.50م و سمك الجدار كله 6.45 م، وكانت بأعلى هذا الجزء دورات الاحتماء بها تتخللها فتحات، تساعد المحارب على النظر و التسديد الى الخندق دون أن تصيبه رميات المهاجمين[1].

إنً بقايا سور مدينة الجزائر، الواقع عند سجن سركاجي ومقر الدرك الوطني، حيث يظهر و بوضوح، شموخ و عظمة هذا السور الذي يفوق طوله 14م، بني على شكل مائل من الجهة الخارجية، مما لا يسمح لأي عدو صعوده و تسلقه، أما الجهة الداخلية جعلت له أقواس ليتحمل الممر الذي يسير عليه الجنود.[2] **الصورة (02).**

القصبة :

إنً الموضع الذي اختاره العثمانيين، لبناء قصبتهم بمدينة الجزائر، كان امتداد على ربوة، أعاد بناءها الزيريون في حدود 339هـ/950م، لتوفره على عدة شروط نذكر منها كثرة المياه فيه وانتعاش الزراعة به، وكذا كثرة مواد البناء الناتجة عن تهدم أسوار ومنازل رومانية قديمة، مع احتفاظ شوارع وأنهج هذا الموضع على تخطيطاتها، الشيء الذي لم يكلف الزيريون سوى إعادة بنائها وترميمها.*[3]

---

[1]- على خلاصي، المباني العسكرية العثمانية بمدينة الجزائر، دراسة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الدراسات المعمقة، جامعة الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، فرع التاريخ،الجزائر،1979 م،1979، ص، 147.

[2]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،387.

[3]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 53.

* قصبة العرب أو الزيريون التي بناها بلكين بن مناد ،تمتد بين خطي شارع باب الوادي وباب عزون، و خط نهج بالمي حنبعل أي بين كنتور 20 إلى80 تقريبا. وكان السور المحيط بمدينة بلكين ينطلق من باب عزون ليمر بشوارع أو أنهج كبيرة ،ثم ينحني جنوبا ، ليخرج في باب الوادي، بالقرب من مدينة سيدي عبد الرحمان الحالية. عبد القادر حليمي، المرجع نفسه، ص،ص، 169 - 171 .

شرع العثمانيون في بناء القصبة بالمنطقة العليا سنة 922هـ/1516م، بعد أن أصبحت القصبة الأولى لا تؤدي وظيفتها اتجاه طمع الإسبان في احتلال مدينة الجزائر، ثم إن هذه القصبة نفسها لا تكفي لموجات الهجرة الأندلسية التي أدت إلى كثافة النمو الديموغرافي، فكل هذه الأسباب بالإضافة إلى أسباب ثانوية أخرى جعلت عروج يشرع في بناء هذه القصبة**،بالمنطقة العليا من المدينة ابتداء من سنة 922هـ/1516م ، وجهزها ببعض المدافع و بعض الجنود، وقد انتهي من بنائها مبدئيا ما بين 1000هـ /1591م- 1592م من قبل الخضر باشا بعد تجهيزها في تلك الفترة ببعض المدافع المدعمة من الأتراك، وأصبحت القصبة مقر الدايات ابتداء من عام 1233 هـ/1817م.***[1]

اما النظام الدفاعي للقصبة بما فيها قصر الداي، فكان يتركز على سبع بطاريات موزعة عل أضلاعها ، و فتحت فيها فتحات للمدفعية و أخرى للبندقية و جهزت بثمانية و ثمانين مدفعا ، تتكفل بها حامية تتكون من ثلاث أفواج أي مجموع تسعة و خمسون جندي انكشاري، يتم تغيرهم كل ربيع من كل سنة يشرف عليهم قائدين

** تقع على ارتفاع 118م من مستوى سطح البحر، و كان يحيط بجدران القصبة أكثر من مائتين مدفع منها الكبيرة و الصغيرة يقوم بحراستها سبعون عريفا يتداولون كل أسبوع، و في سنة(1232هـ / 1817 م) أمر علي خوجة بإتمام تحصين القصبة و انتقل إليها و اتخذها مقرا لإمارته بعد مغادرته قصر الجنينة ، و ذلك لإخماد الفتن و توترات العساكر العثمانية، و في سنة (1233 هـ/ 1818 م). أتم حسن باشا بناءها و شدد في تحصيناتها و فرض عليها حراسة مشددة و أصبح يطلق عليها اسم "قصر الداي". انظر كل من Fray Diego de Haedo , **« Histoire des Rois d'Alger »** Rev- Afr,1880,p,22 . و المدني أحمد توفيق , كتاب الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر 1984 م . ص41 . و Albert Devoulx, Histoire d'une cité d'Icosium à Alger, Edition critique par Benhamouche Mustapha et Badradine Belkadi,ENAG,EditionAlger,2003,p,158.

-[1] Fray Diego De Haedo, « **Histoire des rois d'Alger……**p,p,73-74.

*** هي السنة التي نقل فيها الداي علي خوجة* المقر السياسي للمدينة من قصر الجنينة إلى القصبة العليا بعد توليته دايا على الجزائر متخذا القلعة مقرا للإمارة، حينما أدرك أن القصر معرض لأي هجوم داخلي يقوم به الجيش الانكشاري، وابتداء من هذا التاريخ وهو تاريخ الانتقال السياسي والذي يعتبر حدثا تاريخيا مهما في تاريخ القصبة ،و بعد أن تم تحصين هذه القلعة وتزويدها بمدافع جديدة، صارت ملائمة لتؤدي دورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والمالي، بعد أن لعبت دورا دفاعيا عسكريا محضا يتمثل في الإشراف على بروج و تحصينات المدينة البرية والبحرية، وبذلك أصبحت القصبة العليا أو القلعة المقر الجديد للحكام العثمانيين في مدينة الجزائر. انظر كل من أندريه ريمون، العواصم العربية ،عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تعريب قاسم طوير، دار المجد،دمشق،1986، ص،25. و علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر وقصر الداي، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم الأثرية، أرشيف حصن 23، تيبازة من 14 إلى 29 فيفري1988،ص،3. و ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر....ص، ص، 50-51.

للمدفعية، و يتوسط القصبة مصنع للبارود فوق قاعدة مربعة[1]، أما بالنسبة للبطاريات السبعة للقصبة، فلم يتبقى منها إلا خمسة.[2] **(المخطط(01))**

المنشآت المعمارية بقصبة الجزائر:

تعتبر قصبة مدينة الجزائر العليا أو القلعة من أكبر معالم مدينة الجزائر التاريخية على الإطلاق والتي يعود بنائها إلى الفترة العثمانية، تتميز بتنوع عمائر نسيجها العمراني بين الدينية والمدنية والعسكرية. وما ميزها أيضا مكانها الاستراتيجي الذي تحتله ونظرا لاكتظاظها بالمسؤولين و الخدم والحرس ، فقد بنيت كثكنة خصيصا للحرس القائم على خدمة القصبة ومراقبة الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من السور، وكذا مراقبة الممرات والشوارع.

نتيجة للتزايد المطرد لعدد السكان بسبب قدوم مهاجري الأندلس، بأعداد كبيرة ودخول الأتراك العثمانيين، وهجرة السكان من الداخل إلى العاصمة الجديدة، فاستلزم وضع مخطط عمراني جديد دام حوالي 40 سنة[3]، اتسعت فيه المدينة التي كانت حدودها عند القصبة القديمة إلى القمة، التي تنحدر منها الشعبتان اللتان أعطتا للمدينة شكلها المثلث، فمن باب الوادي يتواصل البناء إلى حوالي 300 مترا أي إلى ارتفاع 118م عن مستوى سطح البحر، لتبنى القصبة الجديدة ابتداء من 922هـ/1516م، من طرف الإخوة عروج وخير الدين.[4]

1- Devoulx Albert, Histoire d'une cité d'Icosium ……p,162.

2- خلاصي علي، المباني العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر.....ص، ص، 169 - 171 .

3- علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر.....ص،2.

4- ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر.....ص،60. انظر ايضا علي خلاصي، قصبة الجزائر-القلعة وقصر الداي-رسالة لنيل شهادة الدكتوراه الحلقة الثالثة، جامع الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية-فرع التاريخ والآثار،1984،ص،23.

للقصبة* شكل مثلث تشترك فيه مع المدينة بضلعين، الضلع الشمالي والضلع الشرقي، ونظرا لأهمية موقعها المتمثل بالدرجة الأولى في إشرافها على تحصينات المدينة وضواحيها، فقد حظيت بعناية واهتمام الحكام طيلة الفترة العثمانية.[1]

تعرضت قلعة الجزائر إلى تغيرات معمارية في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/نهاية القرن السادس عشر الميلادي خاصة في عهد مصطفى باشا في فترة 1192هـ-1220هـ/1778م-1805م، إذ قام بتوسيعها و إضافة مباني أخرى. أما من الناحية الوظيفية، فقد تم تحويلها من ثكنة عسكرية وقلعة إلى مقر سكني للداي وحريمه وحاشيته، بالإضافة إلى تحويلها إلى إدارة شؤون البلاد، وذلك ابتداء من سنة 1233هـ/1817م، بسبب تمرد الجنود الانكشاريين على سلطة الدايات. وقد عرف عهد آخر دايات الجزائر حسين باشا حسين الذي حكم ما بين 1234هـ-1246هـ/1818م-1830م) تغييرات كبرى، إذ قام ببناء المسجد الجديد* وإضافة طوابق العليا و أجنحة بأكملها لقصر الداي، وكذا بناء قصر البايات[2].

- الجناح الشرقي: ويشمل القصور الخاصة ببايات الشرق والغرب حين زيارتهم لتقدم فروض الطاعة والخراج، بالإضافة إلى مصنع البارود وأربع بطاريات.
- الجناح الغربي: يعرف بقصر الداي ومرافقه وهو أهم بناية بقلعة الجزائر ويضم قسم الحريم بحدائقه، غرف الداي، قاعة الديوان، الحمامات، المطابخ، قصر الآغا

*تعرضت قلعة الجزائر إلى تغيرات معمارية في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/نهاية القرن السادس عشر الميلادي خاصة في عهد مصطفى باشا في فترة 1192هـ-1220هـ/1778م-1805م، إذ قام بتوسيعها و إضافة مباني أخرى. أما من الناحية الوظيفية، فقد تم تحويلها من ثكنة عسكرية وقلعة إلى مقر سكني للداي وحريمه، وحاشيته ، بالإضافة إلى تحويلها إلى إدارة شؤون البلاد، وذلك ابتداء من سنة 1233هـ/1817م، بسبب تمرد الجنود الانكشاريين على سلطة الدايات، وقد عرف عهد آخر دايات الجزائر حسين باشا حسين الذي حكم ما بين 1234هـ-1246هـ/1818م-1830م) تغييرات كبرى، إذ قام ببناء المسجد الجديد وإضافة طوابق العليا و أجنحة بأكملها لقصر الداي، وكذا بناء قصر البايات. انظر علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر.....ص،ص،3-4.

[1]- علي خلاصي، نفسه،ص،3.

* و هو مسجد الداي ومازال قائما ومحافظا على عناصره ووحداته المعمارية .

[2]- علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر.....ص،4.

ومرافقه، خزانات المياه، الأجنحة المنزهة ،كجناح خوجة الباب، بالإضافة إلى مسجد الانكشاريين، جامع الداي والبطارية الخامسة.

لقد صمم المدخل الرئيسي للمدينة على السور، والذي تعلوه بطارية لها خمس فوهات، ويغطي هذا المدخل ظلة كبيرة يقف تحتها حراس الباشا، به سلسلة. وأعلى هذا الباب لوحة باللغة التركية من ستة اسطر على الرخام[1]،سجلت عليها تاريخ 1000هـ /1591م–1592م، ويرجح أن يكون تاريخ إنهاء أعمال بناء القصبة، بالإضافة إلى اسم المؤسس، خضر باشا الذي حكم الجزائر بين 998هـ–1001هـ/1589م–1592م.[2] **(المخطط(01))**

الخنادق:

تعددت المنشآت العسكرية في مدينة الجزائر كالقلاع و الحصون و الابراج بالإضافة الى حفر الخنادق لغرض الدفاع عن المدينة. ففي مجال الخنادق، فان العثمانيون خلال القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، قاموا بإنشاء خندقا جديدا يحيط بالمدينة اثناء عملية تجديد و اعادة بناء سور مدينة الجزائر كسلاح دفاعي يدعم السور وقد سماه المكناسي في رحلته بالحفير و هو محصور بين السورين الداخلي و الخارجي، و يوازيهما من الجهة الارضية حيث ينتهي عند ساحل البحر.[3]

1- Albert Devoulx ,**« Etude archéologique.....** p, p,160-161.

2- Henri Klein, Feuillets D'El Djezair,,T III ,Le vieil d'Alger et sa banlieue,1912p,19.

3- بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر و مينائها خلال العهد العثماني "**، مجلة الحضارة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس ،سيدي بلعباس، الجزائر، العدد14، شعبان 1431هـ/2010ص،153.

يبلغ عرض هذا الخندق في بعض الأوقات ستة عشر قدما[1]، و يبلغ في نواحي أخرى 20قدما و 07 أقداما عمق.[2]و يصف لنا هايدو **Haedo** هذه الخنادق قائلا:" و بغض النظر عن البروج و الطبانات فان المدينة محاطة من كل الجوانب بخندق يبلغ عرضه حولي ستة عشر مترا، قد انجز في وقت سابق، ردم قسم منه بسبب الفضلات والقاذورات،لكن ابتداء من القصبة وعلى طول السور الذي يشمل باب الجديد يتواصل ليرتبط برج اعواب الذي يقع بشاطئ البحر،ويبلغ عرض هذا الخندق على طول امتداده 20 قدما،عميق مثل الرمح في حالة جيدة من الصيانة، هذا الامتداد يبلغ طوله حوالي 450 قدما (149م)،رمم كليا بأمر من اعواب احمد باشا* سنة 980هـ/ 1573م.*[3]

أما الأب دان فيصف هذا الخندق بكونه" كان أحسن الحصون ذلك الذي كان في باب عزون، و كان حوله خندق عميق من جهة البر ، وقد اقيم على صخور من جهة البحر حيث كانت الامواج تتكسر عليه". أما الدكتور شو فيقول:" لقد كان الخندق الذي كان يحيط بالمدينة في الغالب مسدودا ، باستثناء اماكن باب الوادي و باب عزون ، حيث لم يكن على كل حال ذا فائدة دفاعية.[4]

كما وضع الجاسوس بوتان* مخططا للمدينة حين زارها سنة 1223 هـ/ 1808م، قصد أخذ كل المعلومات على التحصينات و المنشآت الدفاعية و من خلالهما معرفة

---

[1]- ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر.....ص، 79.

[2]- Laugier deTassy, Histoire de royaume d'Alger,Amsterdam,1794,p,175.

*تولى الحكم سنة979هـ/ 1575م وللمزيد انظر عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر ج3 .....ص،98.

[3]- Haedo De Diego, « **Topographie générale d'Alger** ……p, 425.

* للمزيد وللاطلاع مصطفى احمد بن حموش، المدينة و السلطة في الاسلام- نموذج الجزائر في العهد العثماني- ، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، دبي، ط1، دار البشائر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1999،ص، 284.

[4]- ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر.....ص،80.

* يعد بوتان الوحيد الذي اشار الى الاسوار البرانية التي تسبق الاسوار الكبيرة للمدينة. Vincent- Yves Boutin , Op,Cit , p,p, 32-33.

نقاط ضعف تسمح للجيوش المعادية الفرنسية اختراق المدينة و احتلالها. فيصف الخندق قائلا:" **لقد حفر الخندق الذي يتراوح عمقه بين ستة و ثمانية امتار، و كان الخندق محاطا بسور خارجي ارتفاعه نحو ستة الى ثمانية اقدام و سمكه بين 12-الى 15 شبرا، و كان يستمر ابتداء من الباب الجديد الى غاية باب عزون، كذلك اعلى و اسفل باب الوادي ، و قد قسم الى نصفين بواسطة سور موازي و مائل، و كانت تعلوه كتل صغيرة متباعدة لتوضع فيها البنادق**". كما اشار الى وجود الخندق ما بين كل من السور الخارجي الصغير و السور الداخلي الكبير و السميك.[1]

و قد افادنا حليمي عبد القادر بمعلومات حول الخندق اذ يرى ان تخطيطه يعود الى سنة 941هـ/1534م،في عهد حكم حسن اغا، و ذكر انه محكم البناء، و يصعب عبوره و تتخلله جسور يمكن رفعها وقت الحاجة.*[2] **(اللوحة(14))**

- أبواب مدينة الجزائر:

تخللت أسوار مدينة الجزائر خمسة أبواب، و اختلف في تحديد عددها، فهناك من يرجح عددها الى خمس، و آخرين الى ستة[3] أبواب رئيسية ، و هي تسمح باتصال المدينة بالخارج*، لكن هايدو يشير الى وجود تسعة ابواب، وذلك في نهاية القرن 10هـ/القرن16م، فتحت على أسوار المدينة، باحتساب الخمسة المعروفة[4]، خمسة منها رئيسية[5]، و أربعة من هذه الأخيرة بالجهة البحرية[6]، و يمكن اعتبار أبواب

1- Vincent- Yves Boutin , Op,Cit , p,p,32-33.

2-عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 231.

* للمزيد ايضا عن الخنادق في مدينة الجزائر في العهد العثماني انظر Sakina Messoum, Alger à l'époque Ottomane –la médina et la maison traditionnelle,Inas,Alger,2003,p,119-125,127.

3- J.M.H.B ,Itinéraire de Royaume d'Alger, L.Laurent ,Lib,Editeur sur le port ,Toulon, 1830, p,p,38-39

* انظر أيضا Haedo De Diego, « **Topographie générale d'Alger** …….,p,p,419-421

4- Haedo Don Diego,Ibid,P,425

5- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ، 336.

الجهة السفلية من المدينة من الأبواب التي ورثها الأتراك عند دخولهم المدينة، والتي حافظت على مواضعها بالسور أو على الأقل على اتجاهاتها مثل :باب عزون بالسور الشرقية التي جددت في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ النصف الثاني من القرن السادس عشر، نظرا لأعمال التوسعة التي عرفتها سور المدينة بهذه الجهة.[1] **(اللوحة(15))**

- **باب الوادي:**

سميت بباب الوادي نسبة إلى الوادي الذي يمر بجانبها، وتفتح نحو الشمال أو نحو الطريق التي تمر بجبل بوزريعة، وهي أقل الأبواب أهمية تنتهي إلى جسر بالإمكان رفعه وقت الخطر.*[2]**(اللوحة(15))**

- **باب عزون:**

تنسب هذه الباب إلى أحد الثوار من الأهالي اسمه عزون، ثار ضد الحكم التركي و حاصر المدينة و لكن بدون جدوى، وقد تم القضاء عليه في مطلع الحكم التركي. وتعد هذه الباب من أهم أبواب المدينة، ومنها كان يدخل القادمون من الجنوب والشرق، ومن السهل المتيجي عن طريق الحواش، وهي أهم طريق تربط المدينة بشرق البلاد، كما كان لهذا الباب جسر يرفع أثناء الخطر.[3] و لقد تعرضت إلى عملية ترميمات من قبل الباشا أعواب محمد مابين980هـ-982هـ/1572م-1574م، لكونها كانت الباب الأكثر تعرضا

---

[6]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص،81.

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،149 .

[2]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 233.

* للاطلاع اكثر عن ابواب مدينة الجزائر انظر كل من رزوق نعيمة ، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني - قصر الداي نموذجا - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، السنة الجامعية،2010-2011،ص،44-46، وكذا محفوظ بوطبة، المرجع السابق،ص، ص، 149-158. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،394-406.

[3]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 232.

للهجمات المختلفة للجيوش الصليبية، وهذا ما جعل أعواب باشا يقوم بتوسيع الخندق الذي كان يحيط بها من كل جانب.[1] **(اللوحة(15))**

- **باب الجزيرة:**

تقع بالناحية الشرقية، وتعتبر الممر الوحيد ما بين الجنينة والميناء، وقد أنجز من طرف المهندس موسى سنة 1078هـ/1667م[2]ويدعى أيضا بباب الجهاد لأنها الباب التي كانت مخصصة لدخول وخروج القراصنة أو المجاهدين في البحر، وقد سماها الفرنسيون بعد احتلالهم للمدينة بباب فرنسا، ثم باب البحر، وضل الأهالي يطلقون عليها إلى يومنا هذا باب الجزيرة. وهي أشد الأبواب متانة ومناعة، وبجانبها كانت عدة ثكنات للجيش الانكشاري.[3] **(اللوحة(15))**

- **باب الجديد:**

تقع بأعالي القصبة بالجهة الجنوبية من السور، يدخل منها القادمون من الغرب ومن البليدة حيث يربطها طريق رئيسي بغرب البلاد منذ العهد الروماني، وهو سبيل وعر يسلك الروابي والمرتفعات ،إلا انه أحسن من طرق السهل المتيجي التي كان تتخللها المستنقعات والأحواش في بعض أجزائها.*[4]

---

[1]- Henri Klein, Feuillets D'El Djezair,,T III …….p,16.

[2]- نجيب وركوب، التحولات العمرانية لمدينة الجزائر، التحولات العمرانية لمدينة الجزائر ما بين 1830م و1914م،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ، جامعة بوزريعة-الجزائر- التاريخ، 2007 م، ص، ص،17.

[3]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق،ص،ص،233- 234.

[4]- عبد القادر حليمي، المرجع نفسه، ص، 232.

*انظر أيضا بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،157-158.

- باب السردين أو باب الديوانة:

كانت مخصصة للتجارة البحرية وكان يدخل منها الصيادون او التجار، لذلك سميت بباب السردين، وقد علقت بهذه الباب خمسة أجراس، قيل أنه جيء بها من مدينة وهران بداية القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي اي سنة 1120هـ/ 1708م.*[1]

كما وجدت مجموعة من المنشآت والوسائل الدفاعية، والتي جعلت من طريقة انجازها، وحدة متكاملة ومتجانسة مع الشكل العام للمدينة، ومن أهمها البنايات العسكرية كالأبراج كبرج السردين وبرج رأس المول ،إلى جانب مجموعة من الحصون والقلاع و منها التي بني اغلبها في الواجهة البحرية[2]، مثل برج الأربعة والعشرون ساعة الذي تم انجازه سنة 1218هـ/1803م في الجهة الشمالية للمدينة،[3] وقلعة الجزائر أو القصبة العليا ، بعد أن تم انتقال دار الإمارة من قصر الجنينة بالقصبة السفلى إلى القلعة، من طرف الداي علي خوجا سنة1233هـ/1817م.و ما يلاحظ أن عدد القلاع والحصون التي بنيت داخل المدينة قليلة جدا، نذكر على سبيل المثال قلعة مولاي حسن.*[4]

من هنا يتضح أن الموقع الاستراتيجي لهذه المدينة،هو الذي دفع بحكام الجزائر إلى تركيز جهودهم ، من أجل منح المدينة دفاعات بحرية بالدرجة

---

[1]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 234.

* انظر ايضا مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،402.

[2]- نجيب وركوب، المرجع السابق، ص، 17.

[3]- Albert Devoulx, « **Alger, Etude archéologique et topographique sur cette ville d'Alger, aux époques romaines,(Icosium)arabe,(El Djezair beni Mezeranna) ,et Turque(El Djzair)** »,in Re-Afr ,n°19,année 1875,OPU,Alger,p,239

* بدأ الأشغال بها في سنة 1545 م من طرف حسن باشا، للمزيد انظر.Réne Lespes, Op, cit, p, 123

[4]- Lespes René, Alger, Etude de géographie et d'histoire urbaine, Paris, 193,p, 123.

الأولى ، وقد تم انجازها على مراحل متعددة من تاريخ المدينة ، بدءا من تاريخ دخولها تحت الحماية العثمانية في سنة 926هـ/1519م، إلى غاية 1246هـ/1830م. و كل هذه الانجازات ، جعلت من المدينة قلعة حصينة كما يشير إليها اسمها السابق والذي كان يطلقه عليها سكانها إليها اسمها السابق والذي كان يطلقه عليها سكانها.[1] **(اللوحة(15))**

2- بطاريات الأسوار و القلعة :

تندرج عملية توزيع البطاريات* على أسوار المدينة، ضمن مخطط دفاعي رسمه الأتراك العثمانيون لمقر حكمهم و عاصمة دولتهم- مدينة الجزائر-، انتشرت على سطوح اسوار المدينة.[2]

بطاريات السور الغربي للمدينة:

- بطارية الحمام المالح:

تبعد عن باب الوادي بخمس و اربعين مترا، تحمي شمال غرب المدينة و يعود تاريخ بنائها الى العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي و هي مزودة بعشرة قطع للمدفعية.

- بطارية سبع التبارن*:

تبعد عن باب الوادي بمائة و ثلاثين مترا مزودة بستة مدافع.

- بطارية سيدي رمضان **:

1- George, Guauchain , Alger, Ed de l'imprimerie Algérienne,Alger,1905,p,136.

* و يقصد بالبطاريات؛ حسب الدكتور بلبروت بن عتو الطبانات او الطبخانات وهي معاقل للمدفعية في الأسوار و الحصون و الابراج و في التراب بعد حفرة و احاطتها بأكياس من التراب او الرمال. انظر بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر....."**ص 160،

2- بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ....."**ص،151

* و تسمى ايضا سباط الحوت أو أرناؤوط مامي.

**تسمى أيضا قطع الرجل.

قطع الرجل حسب الدكتور بلبروات هو المكان الذي كان يحظر فيه التجوال بعد غروب الشمس.[1]

- بطارية رحى الريح*:

تبعد عن البطارية السابقة بمائتين و خمس و عشرين مترا تحتوي على تسع فوهات نارية.

بطاريات السور الشرقي للمدينة:

- بطارية الباب الجديد:

تقع على مسافة تسعين مترا من الجدار الجنوبي للقصبة، و هي مزودة بتسعة مدافع.

- بطارية حومة السلاوي:

تقع اسفل البطارية السابقة على بعد مائتين و خمس و عشرين مترا ، تحتوي على سبع فوهات نارية.

- بطارية بدون تسمية:

تقع على بعد خمس و سبعين مترا اسفل باب عزون، على شاطئ البحر، و هي مزودة بعشرة مدافع ذات عيار 24 ، و اربعة مدافع ذات عيار 18.

- بطارية العسل: تجاوز فندق العسل، وكان بها خمسة مدافع، ثلاثة منها مصوبة نحو البحر و مدفعين نحو البحر.

---

[1]- بلبروت بن عتو،" **المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**"ص،160.

* تسمى ايضا حومة زيان.

بطاريات السور الشمالي للمدينة:

- بطارية المارستان:

تسمى ايضا بطارية المجانين لأنها كانت تجاور سجن المجانين، وهذه البطارية العائد تاريخها الى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وكانت مزودة بثلاثة أو أربعة مدافع.

- بطارية الجامع الكبير:

تبعد عن بطارية قاع السور ب بثمانين مترا، مزودة بـ ثلاثة مدافع ابتداء من نكسة المدينة امام حملة اللورد اكسموث سنة 1232هـ/1816م.[1]

- بطاريات القلعة :

كانت قلعة الجزائر في مراحلها الأولى تتكون من خزام يتكون من سبع بطاريات ، الجزء الجنوبي الشرقي من قصر البايات ، الطابق الأرضي من قصر الآغا والطابق الثاني من جناح الحريم، إلا أنه بعد انتقال مقر الحكم إليها واتخاذ الأجزاء الأخيرة مقرا لإيواء العدد الضخم من العمال والعسكريين، اقتصر الجانب المعماري الدفاعي على البطاريات فقط.[2]

و من بطاريات قلعة الداي او القصبة العليا نذكر:

- البطارية الأولى:

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه، الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر،1989-1990، ص، ص،132-136.

[2]- رزوق نعيمة، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر، سلسلة دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلوم للنشر و التوزيع و الطباعة، الجزائر،2016،ص،65.

تقع البطارية الأولى في القسم الشمالي الشرقي من القصبة، يحدها من الغرب قصر الداي ومن الجنوب حديقة النعام ومصنع البارود، ومن الشرق البطارية الثانية، وتشترك القصبة مع المدينة بهذا الضلع الذي يشرف على المدينة والميناء.

- البطارية الثانية:

تقع بالقسم الجنوب الغربي للقصبة، ما بين قصر البايات ومخزن الأسلحة من الجهة الجنوبية الغربية وتتصل بالبطارية الأولى بواسطة ممر ذو سقف مقبى وقاعة مستطيلة الشكل. بها أربع فتحات للمراقبة وثلاث فتحات للبنادق. وتشتمل المساحة التي بنيت عليها البطارية على قاعة الأسلحة وكشك قصر البايات والمرافق الجنوبية الشرقية و المخزة والغرف الملحقة بها.

البطارية الثالثة:

تقع غرب قصر البايات، يحدها من الشمال مصنع البارود ومن الغرب البطارية الرابعة، نصل إليها عن طريق المنحدر الثاني الواقع شرق مصنع البارود.[1]

البطارية الرابعة:

تقع بين البطاريتين الثالثة والخامسة ومصنع البارود والعين ونادي الجيش، و هدمت مرافقها حاليا ولم يبق إلا آثارها، وعند جنوب البطارية الرابعة نجد قنطرة المياه وهي التي كانت تغذي القصبة والجزء الجنوبي من المدينة. و الملاحظ أنها شوهت هذه البطارية عند شق الطريق وسط القصبة فهدمت الغرف وسدت فتحات المدفعية وأزيلت قنطرة المياه.[2]

---

[1]- رزوق نعيمة، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر، سلسلة..... ص،66.

[2]- علي خلاصي، القصبة وقصر الداي.....ص،41.

البطارية الخامسة:

تقع في القسم الجنوبي الغربي من القصبة. يحدها قصر الآغا من الجهة الشمالية، والنادي الجديد من الجهة الشمالية الشرقية، والبطارية الرابعة من الجهة الشرقية، أما من الجهة الغربية والجنوبية فقد كان هذا البرج أعلى نقطة بالمدينة وينهي جدار التحصين من هذه الجهة. وتتكون البطارية من طابقين مبنيان على تراب مركوم، ويمثل شكلا مضلعا يتكون من ستة أضلاع خارجية بها مجموعة من الفتحات.[1]

يعود بناء هذا البرج للفترة التي بنيت فيها تحصينات القصبة قبل بناء الطوابق الأولى من جناح الحريم وقصر الآغا ومرافقه.

يذكر خلاصي أن هذه البطارية كانت قد ربطت بقنطرة المياه و بسانية غرب البرج، كانت تزود القاعة الشمالية من البطارية بالمياه الصالحة للشرب، وبعد دخول الفرنسيين هدمت بعض أجزائها. و بداخل البطارية بني خزان للماء بالخرسانة المسلحة كانت تزود الثكنة العسكرية المجاورة بالمياه الصالحة للشرب.[2]

البطارية السادسة:

تقع بشمال جناح الحريم وبالقسم الغربي من قصر الداي والتي هدمت بعد سنة 1256هـ/1840م.[3]

---

[1]- علي خلاصي، القصبة و قصر الداي.....ص،41.

[2]- علي خلاصي، نفسه، ص،42.

[3]- نفسه،ص،44.

البطارية السابعة:

تتمثل البطارية السابعة في الطابق العلوي من السقيفة، والتي تعود إلى المرحلة الأولى من مراحل بناء القصبة. ولقد بنيت لمراقبة شارع القصبة و الممر الضيق الذي كان يفصل البطارية الأولى والثانية عن المدينة.[1]

نشير أن هذه البطاريات كانت تطلى بمادة الجير مرة واحدة في السنة، على الأقل وكل واحدة منها كانت تحوي على مجموعة من العيون والمراحيض الخاصة بالجيش وكانت تحظى بعناية فائقة.[2]

3- تحصينات ميناء الجزائر:

إنً تشييد الميناء لم يكن في وقت واحد فقد اولى حكام الجزائر في الفترة العثمانية الاهتمام و الحرص الشديدين بالميناء، الذي يعتبر قبل أن يكون مرسى للسفن التجارية و الحربية التي كانت تمد خزينة الدولة بالأموال و الخيرات، فكذلك يعتبر الميناء من النقاط الدفاعية الهامة التي أفشلت تحصيناتها كل الهجمات خلال الفترة العثمانية و شكلت بذلك خطا دفاعيا أماميا للمدينة.[3]

أثناء دخول الاخوة بربروس مدينة الجزائر، وجدوا ميناء لا يعدو مأوى طبيعيا شبه مربع، يتشكل من أرصفة صخرية، ومن هذه الصخور أربع قطع كبيرة هي أشبه بالجزر، موقعا للقلعة الاسبانية المسماة "البنيون"،أو الصخرة الكبيرة الضخمة.[4]

رأى خير الدين أنه من الضروري بعث الحيوية لميناء مدينة الجزائر و تمكينه من استيعاب النشاط التجاري مع الدول الاجنبية، فحرص بادئ ذي بدء على هدم القلعة

---

[1]- علي خلاصي، القصبة و قصر الداي.....ص،46.

[2]- علي خلاصي، نفسه،ص،47.

[3]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،407.

[4]- بلبروات بن عتو، " **المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر "** .....ص،155.

الاسبانية و تسنى له ذلك في سنة 936هـ/1529م، بعد مساندة سكان مدينة الجزائر له، و اعتراف مدن شرق البلاد بحكمه، ومن ثم بدء في تخطيط الميناء بكيفية تجعله ميناء محصنا يحمي السفن الراسية من العواصف البحرية، و يتصدى للاعتداءات الاجنبية، و يستوعب نشاط كل من له صلة بالبحر سواء كان عاملا بورشات السفن او صيادا او مجاهدا، و اذا كانت خطة الميناء قد ارتسمت خلال القرن العاشر الهجري/القرن السادس عشر الميلادي، فإنً التحسينات المعمارية قد تواصلت الى غاية فترة حكم الداي حسين1234هـ-1246هـ/1818م-1830م.[1] **(اللوحة(16))**

الأبراج و الحصون و البطاريات بميناء مدينة الجزائر:

يوجد بالميناء عدد من الابراج و الحصون و البطاريات و هي :

- برج رأس المول:

يعد اخر التحصينات التي كانت على البحر، وقد سمي البرج بهذه التسمية أي راس المول نسبة إلى الموضع الذي يحتله في نهاية الرصيف الكبير للميناء على يمين مدخل الميناء مباشرة خلف برج" القومان "(برج الحبال[2])،و سمي ايضا حسب ديفولكس باسم برج "الحاج علي باشا" فلأنه آخر من قام بتجديده وأعاد إصلاحه[3]، و يشتمل هذا البرج على طابقين سفلي وعلوي، مزودين بأربع عشرة فوهة نارية، تقيم به

1- بلبروات بن عتو، **" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**ص،155.

2- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,91 . Voir aussi Henri Klein, Les feuillets …..p,169.

3- Albert Devoulx , « **Alger**, **Etude archéologique et Topographique sur cette ville aux époques romaines,(Icosium)arabe (Djezair beni mezeranna) et Turque(El Djezair) »**, in Re afr, N° 21, 1877, p, 59

سفرة*انكشارية تتجدد عند حلول فصل الربيع، ودامت أشغال بنائه عشر سنوات من 1115هـ- 1124هـ/ 1703م-1712م.[1] **(اللوحة (16))**

- برج السردين:

سمي البرج بهذه التسمية، لوجود رسم بارز يتوج اللوحة الرخامية التي تحمل الكتابة التذكارية للبرج، يمثل سمكتين متقابلتين تشبهان نوع السردينة، و قد أشار ديفولكس إلى ذلك في المجلة الافريقية[2]، أما الموقع؛ يقع البرج برأس المول في الجزء المحصور بين" برج القومان" "وبرج ما بين".[3]

بالنسبة لتاريخ إنجازه، فقد نقلت إلينا الكتابة التذكارية مجموعة من المعلومات التاريخية، إلاّ أنها تتسم بعدم توافقها مع بعضها، إضافة إلى إغفال الدراسات السابقة التدقيق في مضمونها وعلى رأسها مدونة" كولان " حول الكتابات العربية والتركية الجزائرية، ودراسة ديفولكس حول مدينة الجزائر.*[4]

بني هذا البرج في عهد أحمد باشا سنة 1077هـ/1667م، ثم أعاد بناءه الباشا بن عثمان سنة 1190هـ/1777م،حيث كان لبرج السردين الامتداد الدفاعي للميناء ، فهو يشرف من الناحية الشرقية على البحر ، ويتصل من الناحية لشمالية ببرج " ما بين" و مسجد الأمرالية (مسجد سيدي ابراهيم البحري)، ويتصل مع برج القومان من الناحية الجنوبية الغربية. تعلو المدخل في الجهة الامامية للقبو الجنوبي لوح من

---

* السفرة حسب بلبروات بن عتو هي مجموعة من الجنود الانكشاريين ، يتراوح عددهم بين اربعة عشر و عشرون جنديا ، و مجموع السفرات يسمى الحامية او النوبة، للمزيد ايضا انظر بلبروات بن عتو،" **المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**ص،160.

1- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,119 .

2- Albert Devoulx , «**Alger, Etude archéologique……..** », in Rev- Afr, N° 21, 1877, P, 51.

3- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,91

4- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،175.

* للمزيد عن هذا البرج أنظر محفوظ بوطبة، المرجع نفسه، ص،175-178.

الرخام ثبت ابان الاحتلال الفرنسي على جدار أحد المخازن الواقعة شرق برج الفنار كتب بالخط النسخي الشرقي و باللغة التركية.*[1]

إلا أن لاكوست **Lacoste** أشار إلى تاريخ بنائه الذي يعود الى سنة1077هـ/ 1667م، وإعادة بناءه من جديد من طرف الداي محمد بن عثمان باشا سنة 1190 هـ-1191هـ /1776م-1777م،و يحوي طابقين سفلي و علوي مزودين بثلاثين مدفعا، موزعة على طابقين 14 على المستوى السفلي و18 في الطابق العلوي.[2]

برج القومان:

بناه الداي عمر باشا سنة 1231هـ-1232/1814م-1815م على أنقاض برج صغير كان موجودا في القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع عشر الميلادي، يتكون من طابقين بهما ثلاثين فوهة نارية و ثلاثين مدفعا، و سمي بالجومان أو القومان لكون الطابق السفلي منه استعمل كمخزن لحفظ الحبال المستخدمة في المراكب البحرية.[3]

يقع البرج بالرصيف الكبير في الجزء المحصور بين برج " السودين" و برج "راس المول"[4]، وقد حلّ مكان البرج الذي أقامه"أعرب أحمد"سنة981 هـ/ 1573م، لحراسة الميناء والسفن الراسية به[5]، قام بتجديد عمارته"عمر باشا" و ذلك نتيجة قدم

---

[1]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،413.

* للمزيد أنظر Colin Gabriel, Corpus des inscriptions arabes et turques de L'Algérie, Ernest Leroux Paris, France, 1901, p60

[2]- Devoulx, Albert « **Alger**, **Etude archéologique……** in Rev- Afr, N° 21, 1877, P,50.

[3] Albert Devoulx , Ibid , P, 201. Voir aussi - Gabriel Colin , Op.cit., P. 56.

[4]- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,91.

[5]- سعيد بوزرينة،**"التحصينات العسكرية الجزائرية المؤرخة بالكتابات الأثرية خلال العهد العثماني"**، دراسات تراثية، ج2،العدد،05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر2،الجزائر، نوفمبر 2014، ص،ص،418. للاطلاع اكثر انظر: Fray Diego De Haedo ,Topographie…P, 29.

منارته والأضرار الكبيرة التي لحقت بعمارتها[1]، وخلّدت عمله كتابة تذكارية كانت تعلو مدخل البرج، وهي كتابة تركية بخط عربي من نوع نسخ شرقي نفذ بأسلوب الحفر الغائر.*[2]

- برج الفنار:

عُرف عند الأوروبيون بحصن الفنار أو الحصن الدائري، ولدى الجزائريين برج الفنار،و يحتوي على أكبر مخزن للبارود، وصفه كات كارث قائلا:"**و يسكن هذا باش طبجي معين خصيصا للإشراف عليه ولا يخضع تعيينه لعادة الاقدمية بل للكفاءة، وبحوزته جميع مفاتيح مخازن البارود للمدينة.....**".[3]

يقع هذا البرج برصيف "خير الدين" ،و قد بني بنفس موضع حصن "البينون" الذي اتخذ من أكبر الجزر الأربعة، المشكلة للرصيف أرضية له، على بعد حوالي 300 م عن المدينة.*[4]

---

[1]- علي خلاصي، القصبة وقصر الداي.....ص،31.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،187.

* للمزيد أكثر راجع مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،425-426 و أيضا محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،ص،187- 189.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دكتوراه.....ص،118.

[4]- خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص،134 .

* للمزيد عن تحصين هذه الجزيرة انظر كل من اسماعيل العربي، المدن المغربية.....ص،16.و بن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص، 78. و محمد دراج، المرجع السابق، ص،ص،115-116.

بقي هذا المكان على حالته، إلى أن أقدم مهاجرو الأندلس على تحصينه[1]، ببنائهم برجا صغيرا على هذه الصخرة*، و البرج يتألف من طابقين مزودين بسبع عشرة فتحة نارية لمدافع ذات عيار كبير[2].

الفنار كلمة محلية تعني المنارة (منارة البنيون) بناها الاسبان سنة916هـ/1510 م، في وسط الجزيرة الكبيرة، وهي بشكل مستدير يصل ارتفاعها إلى أربعين مترا على مستوى سطح البحر، وكانت بمثابة منارة و نقطة استطلاع احتله الكونت بيدرو نافرو **Pedro Navaro**، الاسباني و بنى فوقه سنة 916هـ/ 1510م حصن البنيون.[3]

بعد ان استولى خير الدين على الحصن الإسباني وأسر من فيه، وعلى رأسهم القائد " دون مارتين دي فيرغاس" ، قام بتهديم جل أسواره المسننة و المباني التي كانت توجد به،و لم يحتفظ إلا بحصن بارز استخدمه خير الدين كبطارية من ناحية عرض البحر اقام فوقه منارة.[4]

في موضع حصن الصخرة الاسباني أعلى المنارة، بنى "أعواب أحمد" برجا جديدا خماسي الأضلاع سنة 980 هـ/1573م و أحاطه بسور[5]، الغرض منه إرشاد السفن إلى الميناء وحماية السفن الراسية. [6]تعرض البرج

بعدها لعدة عمليات تجديد و اضافات، كانت أولها سنة 1029هـ/1619 م في عهد الباشا "حسين الشيخ باشا" خلال فترة حكمه الثانية1027 هـ- 1039هـ/1617 م-

---

[1]- أبوراس محمد بن الناصر العسكري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية ص، تحقيق: سليمة بن اعمر، ط1، دار هنين للطباعة والنشر ، الجزائر، 2002 ،ص، 510.

* تعد اكبر صخرة من الصخور الاربعة المشكلة للجزيرة المقابلة لمدينة الجزائر ،للمزيد انظر Albert Devoulx, «**Alger Etude Archéologique et topographique…… »** in Rev-Afr,1875,p,295.

[2]- بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ....."**ص،157.

[3]- بلبروات بن عتو، **" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ....."**، ص،157. .

[4]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،410.

[5]- . Rene Lespes,Op,Cit,p,116

[6]- Fray Diego de Haedo « **Alger Archéologique et Topographique……** » in Rev-Afr,1875,p,295.

1629م، أما عملية إصلاحه الثانية فكانت سنة 1108هـ- 1109 هـ/1696م-1697م، من طرف "الحاج أحمد داي".[1]

فيما يخص شكل البرج فهو ثماني الأضلاع يتكون من أربعة طوابق، تحتوي على فتحات بعدد 61 فتحة، تضم 55 مدفعا اغلبها من العيارات الكبيرة، و يفوق ارتفاع جدرانه 36م و مجهز بخزان كبير للماء، ومخزن للبارود يوجد أسفله.[2]

ضم البرج ثلاثة طوابق في البداية ، ثم أُضيف له طابقارابعا بعد حملة اكسموث سنة 1232 هـ/1816م،و مجموع الفتحات النارية للطوابق الأربعة، ستة و ستون فتحة، تضم خمس و خمسين مدفعا أغلبها من العيارات الكبيرة. وتتجلى أهمية هذا البرج بكونه يقع في الخط الأمامي للميناء، و يتوفر على دار للبارود، و خزان ماء كبير، ومقر الباش طبجي، ومكان اجتماع عساكر سلاح المدفعية، وبه سفوة عسكرية انكشارية تتجدد كل ربيع[3]. لكن تغير شكله كثيرا، بعد الانفجار الذي حدث سنة 1262 هـ/1845م بمخازن البارود.*[4]

- برج ما بين:

أطلق على برج ما بين بهذه التسمية نسبة إلى مكان إنشائه الذي يتوسط البرج الجديد وبرج السودين[5]، و قد شيد من طرف الباشا حسين باشا اخر دايات الجزائر سنة 1239هـ-1240هـ/1823م-1824م، حسب ما جاء حسب ما جاء في الكتابة

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،182.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه، ص،183.

[3]- بلبروات بن عتو، بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر و مينائها .....**ص،157.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه.....ص،118.

[5]- سعيد بوزوينة، المرجع السابق، ص،420 .

التأسيسية التي تعلو مدخله، كتبت بخط نسخ شرقي ومنفذة بطريقة الحفر الغائر، وملئت بالرصاص.*[1]

كان البرج مسلحا بـ 18 مدفعا، أربعة باتجاه الشمال، 13 باتجاه الشرق و مدفع واحد باتجاه الجنوب الغربي[2]، و ذلك لأداء دوره الدفاعي ولتحية السفن الوافدة إلى الميناء[3]، على غرار برج المنارة[4]، وبرج الجديد،برج السردين،برج القومان وبرج راس المول، إضافة إلى دورها في الإعلان عن عيد الفطر و عيد الأضحى[5]، وقد كانت هذه التحية تتمثل بطلقات مدفعية عددها 21 طلقة، مقسمة على عدة أبراج منها **برج الجديد**(04 طلقات)،**برج الفنار**(05 طلقات)،**برج السردين**(04طلقات)، **برج القومان** (04طلقات) و **برج راس المول**(04 طلقات).*[6] **(اللوحة(16))**

- برج رأس عمار القديم:

يقع هذا البرج شمال برج الفنار بحوالي 100م، يحتل هذا البرج آخر نقطة في النظام الدفاعي للميناء من ناحية البحر، هذا النظام الذي يمتد من الجنوب حيث

1- Gabriel Colin,Op.Cit, p,p, 200-226. Voir aussi:- Albert Devoulx, «**Alger, Etude Archéologique…..**in Rev- Afr, N° 21, 1877,p, p, 45-50.

* للمزيد و للاطلاع عن هذا البرج انظر.Gabriel Colin,Op.Cit, p,p, 200-226 و انظر ايضا كل من مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،427-429. و محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،ص ،190-192.

2- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..**», in Rev- Afr, N° 21, 1877, P, 51.

3- Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger 1518-1830,T02 , Bibliothèque Nationale d'Algérie,Algerie,1996,p,07.

4- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،187.

5- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة دكتوراه.....ص،121 .

6- لخضر درياس، نفسه.

* للمزيد عن البرج انظر لخضر درياس، المرجع نفسه، ص، ص،121- 125. أنظر أيضا بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،190-191. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،427-429.

برج "رأس المول" وينتهي عند موضع برج رأس عمار القديم[1]، هذا الأخير الذي يتقدم برج "الفنار" من الناحية الشمالية على بعد 160 م منه. [2]

بني هذا البرج من طرف"محمد عثمان باشا" في قتاله الأخير مع الإسبان[3]، مستطيل الشكل، وقدرت مساحته إجمالية تقدّر بحوالي 145م²، حيث يصل طوله الى حوالي 21م وعرضه 7 امتار، أشرف عليه باش طبجي، و كان يحتوي على طابقين؛ السفلي منه تتوزع عليه 25 فوهة للمدفعية، وطابق علوي ويتمثل في السطح وزعت على مساحته 28 فوهة للمدفعية.[4]

دعمت فتحات هذا البرج بمدافع صغيرة الحجم[5]، عددها 25 مدفعا من عيار 18 ملم و7 هاونات ذات العيار الكبير حسب مخطط سنة 1245هـ/ 1829م.[6]

واستعدادا للتصدي للحملة الدانيماركية سنة 1184هـ/1770 م، أمر محمد باشا بإقامة متراس جديد جنوب برج راس عمار القديم لتواصل خط الدفاع، وضع حلقة مهراسين و مدفعين عياره 24[7]، و يبلغ طول هذه المترس 42 م، كما تحتوي على ثلاث صفوف من المهاريس يصل عددها الى 18 مهراس، وهذا البرج قد تم تهديمه في فترة الاستعمار الفرنسي و بنيت في مكانه عمارات جديدة.[8]

- برج رأس عمار الجديد:

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،192.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص، 118.

[3]- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا.....ص،97.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص، 118.

[5]- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..** » in , Rev- Afr N° 20, Année 1876, p, 481.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،118.

[7]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،423.

[8]- مفتاح عثمان، نفسه.

شيّد هذا البرج من طرف الداي حسين*سنة 1245هـ/1829م[1]، في موضع القناة البحرية التي كانت تفصل "برج الفنار" عن الجزيرة الشمالية حيث " برج راس عمار القديم".[2]وهذه القناة الصخرية كانت تغمرها مياه البحر عند هيجان امواجه مما يعرقل حركة المرور عبرها. و بالتالي لا بد من ردمها ببناء البرج.[3]

يشرف على هذا البرج باش طبجي، إلا أنه لم يسجل في مخطط سنة 1245هـ /1829م، و الملاحظ أنً هذا البرج كان البرج مسلحا بحوالي30 مدفعا و موزعين على طابقين، لكن الصحيح حسب ديفولكس هو 34 مدفعا.[4]

نذكر بأن الطابق السفلي من هذا البرج كان محصنا، وقد دعم بـ 17 فتحة للمدفعية، و الباقي من الفتحات؛ قد وجدت بالطابق العلوي، و يشرف على خدمتها قائد المدفعية.

نشير إلى أنه قد كان بباب البرج كتابة تذكارية أشار اليها دوفولكس، لكنه لم يستطيع قراءتها لوجودها تحت الانقاض.[5]

- **البرج الجديد:**

يقع هذا البرج في الجهة الجنوبية من الأبراج السابقة[6]، بالتحديد بالمكان الفاصل بين برج " ما بين" و البطارية التي لا تحمل أي اسم ، و تتقدم برج المنارة من الناحية البحرية.[7]

---

* نفسه، ص،424.

1- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..** » in , Rev- Afr N° 20, Année 1876, p, 489.

2- Albert Devoulx « **Alger Etude Archéologique ……..** » in , Rev- Afri N° 20, Année 1876, p,488.

3- بلبروات بن عتو، **" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**ص،157.

4- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....118.

5- لخضر درياس، المرجع نفسه.

6- لخضر درياس، نفسه.

7- Sakina Missoum, , Op, Cit.,p, 91.

بني هذا البرج على الجزيرة الصغيرة الشرقية، من طرف محمد عثمان باشا سنة 1157هـ /1774م، وبناءا على نص الكتابة التذكارية التي تعلو مدخل البرج، يظهر أن بناءه تم سنة 1178هـ/1773م-1774م.[1]

يحتوي هذا البرج المسجل في مخطط سنة 1248 هـ/1832م على 12 مدفعا، لكن دوفولكس لاحظ في عين المكان 09 فتحات أخرى في الطابق السفلي، وبذلك يصبح عدد المدافع 21 قطعة.[2]

إنّ بناء هذه البطارية بهذا الشكل و بهذه الطريقة، وتدعيمها ببرج الجديد الذي يضم واحد وعشرين فتحة مدفعية موزعة على مستويين، تسعة منها بالقسم السفلي له تحت إشراف " باش طوباجي"[3]، إضافة إلى برجي "راس عمار القديم و الجديد" والأبراج الشرقية، جعلها تحجب الرؤية أمام الطابق الأرضي لبرج المنارة، ما أفقد هذا الطابق أهميته الدفاعية، وكانت توفر في نفس الوقت الحماية لمخزن البارود الذي يتقدمه.[4]

أبراج الجهة الغربية (الأبراج البرانية):

تتمثل المنطقة الغربية لمدينة الجزائر في سهل ضيق ينحصر بين الجبل و البحر و يتكون من الصخور الكلسية و السيليسية، فقد بنيت أغلب الأبراج على سفح الجبل و فوق كتل صخرية من الحجر الكلسي، هذا ما منح الابراج القوة و الصلابة و حماهم من ضربات العدو، من الجهة الشرقية و الغربية ومن الجهة الجنوبية، فهي محمية بجبل بوزريعة و بالتالي فهو محمي طبيعيا، و الملاحظ أنً من مواقع هذه الأبراج يمكن رؤية مساحة كبيرة من البحر، و بالتالي السيطرة عليها بالمدفعية، كذلك الشاطئ الغربي هو عبارة عن صخور و نتوءات، فالإنزالات البحرية للجيوش

1- Albert Devoulx ,« **Alger Etude Archéologique ….** » in, Rev- Afr N° 21, Année, 1877, p, p,47- 48.

2- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،119.

3- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** » in , Rev- Afr N° 21, Année 1877, p,46

4- علي خلاصي، القصبة وقصر الداي.....ص،31.

المعادية شبه مستحيلة، إلا أنه حظيت بمجوعة من الأبراج لا تدع مجال لأي مفاجأة.[1] ومن هذه الابراج ما يلي:

- **برج الجديد:**

يعرف هذا البرج باسم برج "رمضان باشا [2]، و كذا اسم برج المزبلة أو الزوبية[3]، لقربه من مزبلة المدينة (مكان رمي الزبالة)*، و شيّد هذا البرج بالشمال الغربي في عهد "علج علي"(976هـ-979هـ/1568م-1571م)،سنة 1569م ،خارج أسوار المدينةولا يفصلها عنه سوى خندقها وموضع تشييده قريب من البحر مقارنة ببرج 24 ساعة[4]، ثم أعاد بناؤه" رمضان باشا " خلال فترة حكمه الأولى(982هـ-985هـ/1574م-1577م) سنة984هـ /1576 م[5]،وفي فترة حكم "مصطفى باشا"1213هـ-1220هـ/1798م-1805م، تعرّضت عمارة البرج للتجديد[6]،وتمّ ذلك سنة 1217 هـ-1218هـ/1802م-1803م على أنقاض برج صغيرالذي بني من طرف رمضان باشا سنة984هـ/1576م[7]،وهذا ما تؤكده الكتابة التأسيسية المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة، وهي عبارة عن لوح رخامي

---

[1]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،430.

[2]- Fray Diego de Haedo **, Histoire…** P, 23 .

[3]- Albert Devoulx , «**La marine de la Régence D'Alger** », in Rev- afr, n°77, année 1969,p,35.

* كانت مزبلة مدينة الجزائر بربض باب عزون، ومنها تستخرج الأسمدة الطبيعية (الدبال) ليستعملها الفلاحون في نشاطاتهم الزراعية، للمزيد لكثر انظر.Thomas Shaw ,Voyage dans la Régence…..p, 305p, 293

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،226.

[5]- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 20, 1876, p.147.

[6]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص،80.

[7]- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 20, 1876, ,p,p,146-147.

مستطيل الشكل، نقشت عليه كتابة تركية، من نوع خط الثلث وبتقنية الحفر الغائر المطعم بالرصاص.[1]

يتميز هذا البرج بمسقطه الثلاثي الأضلاع، بنيت جدرانه من الحجارة المنحوتة المجلوبة من مدينة روشقونة الرومانية، يتكون من طابقين، فالطابق السفلي منه عبارة عن مخزن مسقوف بأقبية نصل إليه عبر باب سرّي يفتح على الشاطئ، ويساعد على نقل السفن الصغيرة لحفظها به.[2] أما بابه فجاء على شكل حدوة الفرس ، و هو البرج الذي قال عنه بوتان **Boutin** في 1223 هـ/1808م، بأنه أُكمل مؤخرا و لم يسلح بعد.[3]

لقد سلح البرج بـ 27مدفعا، ثلاثة وعشرون منها بالواجهة البحرية، و قد أشار الى ذلك دوفلكس[4]وأربعة عشر بالطابق العلوي وتسعة بالطابق السفلي، والمدافع الأربعة المتبقية موزعة بالشكل التالي:

مدفعين في القسم العلوي موجهان إلى الريف في الشمال الغربي، و إثنان في نفس المستوى باتجاه المدينة، يطلان على الطريق المؤدية إلى باب الوادي.

قدر عدد مدافعه بـ 23 مدفعا، أمّا الكتابة التذكارية التي وجدت على بابه فتوجد حاليا بالمتحف العمومي الوطني للأثار القديمة.[5]

لقد جاء هذا البرج لتقوية الخط الدفاعي الموجود على يسار الميناء، وحسب دوفولكس فقد جاء تدعيما لتحصينات الواجهة البحرية الغربية للمدينة، وذلك بمنع العدو الاقتراب من الشاطئ، إضافة إلى استغلاله كدار صناعة تحفظ به السفن الصغيرة

---

[1]- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص، 42.

[2]- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..**in Rev- Afr, N° 20, 1876, p, 146.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،96.

[4]- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 20, 1876,,p, 146

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،96.

الحجم، حيث ساعد على ذلك موضعه القريب من البحر[1]، وظلّ البرج قائما إلى غاية الفترة الاستعمارية، حيث استغل بداية الأمر كسجن عسكري[2]، وبعد أن هُدِّم ، بُنيت مكانه ثكنة سميت بثكنة " بيليسي **Pélissier**.[3]

- برج باب الوادي:

سمي كذلك نسبة إلى مكان تشييده بربض باب الوادي، ويعرف هذا البرج بأسماء عديدة كبرج محمد باشا وبرج 24، لكونه تعرّض للحصار من طرف الإنجليز طيلة مدة الحصار[4]، وهناك من يرجع هذه التسمية إلى المدة الزمنية المستغرقة في إنشائه ومنها أخذ تسميته برج بوليلة[5]، بالإضافة الى تسميته ببرج ستي تاكليلت* و برج العلج علي[6]،ويعتبره هايدو من ضمن الأبراج الرئيسية الثلاثة في الدفاع عن مدينة الجزائر في القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي، و لو أنّ الاسم المقبول من هذه الأسماء كلها، هو اسم برج محمد باشا الوارد في الكتابة التذكارية التي وجدت على باب البرج. أما كتابة البرج التذكارية، فهي موجودة حاليا بالمتحف الوطني للآثار القديمة تحت رقم 29.

بني هذا البرج على بعد حوالي300 م عن البرج الجديد[7]،لتحصين وحماية الناحية الغربية من جهة شاطئ باب الوادي، ومنع السفن المسيحية القادمة لمهاجمة المدينة

1- Albert Devoulx,**« Alger Etude Archéologique …. ,** in Rev- Afr, N° 20, 1876, p,146.

2- Henri Klein, Les feuillets d'El Djezair…… p,78.

3- علي خلاصي، القلاع و الحصون في الجزائر- المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، مطبعة الديوان،2008،ص ،101.

4 Fray Diego de Haedo, « **Topographie générale d'Alger …….**p,424.

5- Gabriel Colin , Op.cit, P,P, 22-23.

* ستي تاكليلت، امة من الاماء و تعني باللغة الامازيغية، و هي ولية أو مرابطة امازيغية سمراء اللون ، و يقال أنّ ضريحها كان المكان نفسه. أنظر بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف..... ص،516.

6- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،94.

7- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ….**in Rev- Afr, N° 21/ 1877, P, 149 .

من أي نزول من جهة باب الوادي[1]، بالإضافة إلى توفير الحماية للمقبرة الملكية و مصادر المياه التي كانت بجواره.[2]

يتميز بشكله المربع الأضلاع الغير المنتظم، محصن من جهة البحر، و يتكون من طابقين السفلي منه خال من فتحات المدفعية[3]، لكن هايدو يشير إلى وجود فتحات للمدفعية في الطابق السفل و هي فتحتان للمدفعية[4]،أما الطابق العلوي فيظم 34 فتحة بها27 مدفعا[5]. وحسب هايدو فإنً البرج يتوسطه فناء مربع الشكل مغطى، كما يتوسط هذا الأخير صهريج أو ماجل لتخزين مياه الأمطار، و في هذا المجال يشير روزي الى وجود غرف و مطابخ و مخازن و كذا مصلى كل هذه المرافق تستلزم الجنود لذلك يمكن اعتبارها من خلاله ثكنة عسكرية.[6]

أمًا حاليا فإنً مكان البرج أصبح مبنى المديرية الوطنية للأمن الوطني، ومازال جزء قليل من أساسات المبنى شاهدة على هذا البرج.[7]

- برج قامة الفول:

عرف هذا البرج تحت اسماء عدة كبرج الحاج علي، وبرج الانكليز و في بعض المراجع و المصادر سمي ببرج قامة الفول[8]، لكونه حسب دوفولكس كانت

1- René Lespes ,Op,Cit,p,52

2- محفوظ بوطبة ،الرجع السابق، ص،229.

3- لخضر درياس،المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،94.

4- Boutin, Vincent Yves , Op ,Cit., p36,

5- Fray Diego de Haedo, **«Topographie générale d'Alger ……** p, 424.

6- Claude Antoine, Rozet Voyage dans les régences d'Alger ou description du pays occupé par l'armé français en Afrique, Tom3, Paris,p,133.

7- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،434.

8- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،93.انظر ايضا، مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،ص،107-108.

تحيط به حقول مزروعة بالفول[1]، وحسب كولينس غابريال **Gabriel colins,** نسبة الى نشاط زراعة الفول الذي كان يغرس بجواره.[2]

يقع البرج بالقرب من باب الوادي، على قمة صخرة عند شاطئ البحر شمال غرب مدينة الجزائر، و بموضعه هذا احتل موقعا طبوغرافيا هاما ومكشوفا بالنسبة لجميع تحصينات المدينة، ما جعله في اتصال مباشر معها[3]،كما مكنه موقعه المشرف على البحر على حماية خليج باب الواد الذي يعتبر أهم نقطة لإزال العدو بالناحية الغربية للمدينة.[4]

شيّد البرج في عهد "حسن فتريانو" سنة985 هـ/1577م، خلال فترة حكمه الأولى سنة 988هـ/1580م، وقد عرف عنه بمحاربته للإسبان، وبتطويره للنظام الدفاعي لمدينة الجزائر احترازا من أي حملة عدوانية عليها[5]، وتمت أشغال البرج على يد عامله "جعفر باشا" الذي تقلّد بدوره الحكم في الفترة الممتدة ما بين988 هـ/1580م إلى 1000هـ/ 1582م.[6]

في 1184هـ/1770م رمم الحاج علي البرج[7]، حسب اللوحة التأسيسية التي كانت بمدخل البرج مكتوبة بالخط العثماني.[8]

1- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 21/ 1877, p, 149

2- Gabriel Colins,Op,Cit,p,66.

3- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،233.

4- محفوظ بوطبة، المرجع نفسه، ص،233.

5- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان.....ص،31.

6- Henri Klein, Les feuillets d'El Djezair ……p, 80 .

7- Ibid .

8- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،435.

عند تولية مصطفى باشا الحكم 1213هـ- 1220 هـ/1798م-1805م، فكّر في تجديد وتوسيع عمارة البرج[1]، لتواضع عمارته التي لا تتناسب مع أهميته الدفاعية[2]، بصورة أكثر فعالة و متانة، فأحضر مواد البناء الى الموقع. وقد باشر عمله بإنشاء عين وربطها بقناة سنة1219هـ-1220هـ/1804-1805م[3]، تؤدي إليه إلاّ أنّ وفاته حالت دون إتمام مشروعه.[4]

حافظ برج" قامة الفول "على دوره الدفاعي إلى نهاية الحكم التركي للجزائر، حيث كان أوّل ما استهدفته البحرية الفرنسية من دفاعات مدينة الجزائر سنة 1246هـ/ 1830م، إلاّ أنّها فشلت في الاستيلاء عليه، وأجبرها على التراجع بعد ألحاق الاضرار بسفنها[5]، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر واصل الفرنسيون استغلاله كمخزن للبارود، ثم تركوا لتربية الحمام الزاجل[6]، وعرف البرج عرف زيادات خلال فترة الاحتلال الفرنسي خاصة في الطابق الاول منه، و ما زال قائما الى يومنا هذا.*

فيما يخص الكتابة التأسيسية و طريقة تنفيذ الكتابة؛ فقدت على لوحة رخامية مربعة الشكل بكتابة تركية وبخط عربي من نوع نسخ تعليق بطريقة الحفر

---

[1]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج 2.....ص،469.

[2]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق،ص،ص،80-81.

[3]- بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج2.....ص،469.

[4]- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….**, in Rev- Afr, N° 21/ 1877, P 155 .

[5]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق ، ص ،174.

[6]- Klein Henri, Feuillets …….p,p,68-74. Voir aussi Louis Piesse, Op, Cit, p, 33.

* للمزيد ايضا انظر مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،435-437.

البارز*[1].وقد نقلت هذه اللوحة سنة1271هـ/30 ديسمبر1854م إلى المتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر، و قد نشرها دوفولكس تحت رقم 31.[2]

يتميز البرج بشكله الذي جاء على هيئة مربع طويل، ضلعه المواجه للبحر نصف دائري، ويتكون من طابقين.

حسب بوتان فان البرج احتوي على13 فتحة للمدفعية موزعة على جدران البرج، فهناك ست فتحات موجهة نحو الشمال الشرقي، و خمس فتحات موجهة نحو الجهة الشمالية الشرقية، وخمس فتحات موجهة نحو الجهة الجنوبية الغربية، وفتحة واحدة في كلتا الجهتين الجنوبية والغربية[3]. أمّا دوفولكس فيشير إلى وجود 22 فتحة نارية بالطابق العلوي بها20 مدفعا[4]،بينما الطابق السفلي منه فجاء خاليا من فتحات للمدفعية[5]، يحيط به خندق و يدخل اليه بواسطة جسر خشبي في جهته الشمالية الغربية. اما تسقيفه فقد سقف بأقبية و عن مواد بنائه ؛ فقد استخدم في بناء جدرانه بالحجارة المصقولة و كذا الآجر.[6]

- أبراج مرسى الذبان:

كان برج الملقب ببرج "مرسى الذبان" محصنا ببرجين خلال العهد العثماني، و الملاحظ ان هذين البرجين يُعدّان آخر تحصينات خليج مدينة الجزائر

1- Gabriel Colins, Op,Cit , p65-66

* للاطلاع اكثر عن الكتابة انظر كل من خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في الأثار الإسلامية ،جامعة الجزائر02 ، معهد الآثار، السنة الجامعية،2010-2011 ، ص،52. و Gabriel Colins, Op,Cit, p65-66.

2- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،93.

3- Boutin, Vincent Yves , Op , Cit p, 37 .

4- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….**, in Rev- Afr, N° 21/ 1877, p, 50.

5- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،93.

6- Albert Devoulx,« **Alger Etude Archéologique ……**, p,50.

من الجهة الغربية، و قد بُنيا على حافة البحر على بعد حوالي 05 كلم عنها [1]، لغرض حماية هذه النقطة البحرية على حد قول الجغرافي البكري التي يمكن للعدو الرسو بها، حيث كانت فيما من موانئ المغرب الأوسط القريبة من مدينة الجزائر على غرار مرسى جنابية [2]،ومرسى تامنفوست.[3]

- برج مرسى الذبان القديم:

يشبه شكل هذا البرج حدوة الفرس[4]، ويعود تاريخ بناء البرج الى بداية الحكم التركي للجزائر(فترة حكم خير الدين بربروسا)، وهو نفسه برج خيرالدين[5]، في حين فان لجنة الجزائر القديمة من خلال كلاين تؤرخه إلى سنة1082هـ /1671م . [6]

تعرّض البرج إلى إصلاحات و تجديدات 1082هـ /1671م،من طرف علي آغا الذي حكم ما بين(1076 هـ-1082هـ /1665م-1671م)[7]وأعيد ترميمه سنة 1137هـ/1724 م من طرف محمد بن حسان. [8]

يظم البرج طابقين[9]، أرضي و علوي، به فتحت بواجهاته الثلاث مجموعة من فتحات المدفعية موزعة على واجهاته الشمالية والشمالية الغربية والشرقية بالتساوي بمعدل فتحتين بكل واجهة، يصل عدده الاجمالي إلى حوالي 06 فوهات نارية اثنتان

1- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،236.

2- أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص،82

3- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص،89 .

4- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،112.

5- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ……..,** in Rev- Afr, N° 28/ 1878, p, 229.

6- Henri Klein, Les feuilletsd'El Djezair…… p,81.

7- Ibid,p,229.

8- Ibid.

9- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،91.

نحو الشمال و اثنتان نحو الغرب و اثنتان نحو الشرق، وبه غرفة في الزاوية الشمالية الغربية[1]، و كان يضم الى جانب ذلك مخزنا مسقف بقبة لحفظ البارود.[2]

يذكر بوتان بأنً البرج يتكون من طابقين؛ فالسفلي منه خاليا من فوهات المدفع، أما العلوي منه فيحتوي على مدفعين موجهين لليابسة[3]،ويشير الدكتور درياس أنً حامية هذا البرج تكونت من 12 مدفعا، و قد بقيت آثار هذا البرج حتى الاحتلال الفرنسي حيث شاهده دوفولكس، و أمكن له التعرًف على جزئه الأمامي، الذي كان يحتوي على فتحتين من الجهة الشمالية و مرقب في الزاوية الشمالية الغربية[4]، لكنه وعلى حد قول الدكتور خلاصي، لم يكن على المستوى المطلوب الذي تطلبه الناحية من التحصينات، ولهذا دعم بالبرج الجديد و كذا بطانة مرسى الذبان.[5]

برج مرسى الذبان الجديد:

شيّد هذا البرج شمال مصنع الاسمنت وراء البرج القديم بحوالي 50 مترا، بالتحديد غرب جدار مدينة الجزائر و تعرف المنطقة حاليا باسم الرايس حميدو.*[6] أنشأ برج مرسى الدبان الداي حسين آخر دايات الجزائر سنة 1239هـ-1240هـ/1823م-1824م،وهذا ما تظهره الكتابة التأسيسية له المنفذة على لوح رخامي بكتابة تركية بحروف عربية من نوع خط نسخ مشرقي، وبطريقة الحفر البارز، وزعت على ثلاثة أسطر.[7]

1- بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج2.....ص،468.

2- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ……..,** in Revue Africaine, N° 22/ 1878, P. 229

3- Boutin, Vincent Yves , Op.Cit, p38.

4- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،91.

5- علي خلاصي، القلاع و الحصون في الجزائر.....ص،104.

6- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،114.

* للمزيد انظر مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، المرجع نفسه، ص،ص،114-115.

7- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص،427 .

لاحظ دوفولكس أنً موقع هذا البرج رديء، لأن مجال طلقاته النارية معوق بالحصن القديم و حصن موسى الذبان كما انه ينخفض عنهما.[1]

يشبه شكل البرج حدوة الفرس، مسلح بـ19 فتحة للمدفعية، زيادة عن المراقب في حين تتكون حاميته من 15 مدفع تتغير في ربيع كل سنة[2]، تتوزع هذه الفتحات على واجهات البرج بالشكل التالي،عشرة (10) فتحات شمالا بالواجهة البحرية، و أربعة(04) فتحات بالجهة الغربية، وثلاثة فتحات الجهة الشرقية، وخمسة عشر فتحة من الناحية الجنوبية[3]،وفوق الباب اثنتان احداهما مغطاة جزئيا بغرفة.[4]

حسب روزي ؛ فإنً البرج هو عبارة عن ثكنة عسكرية حيث يجد الجند الانكشاري كل مستلزمات العيش من غرف للنوم، مصلى، حمام و مطبخ ،و برج موسى الدبان الجديد هذا يحوي على 09 غرف، مصلى، سقيفتين صغرى و كبرى و فناء، حيث بإمكان إسكان سريتين من الجنود التي تتكون من 15 جنديا.[5]

- برج سيدي فرج :

يتخد الشكل المربع يبلغ ارتفاعه ما بين 16 و 20 مترا، و ضلعه ما بين 3 و 4 امتار، و ليس به سوى مدفع واحد.

يذكر بوتان؛ هذا الاخير الذي عاين تحصينات مدينة الجزائر سنة 1223هـ/ 1808م، بأن هذا البرج لا يستحق الذكر لكونه قديم جدا، ولا يقاوم حتى المدافع

---

[1]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.....ص،469.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص، ص،91-92.

[3]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.....ص،ص،468-469.

[4]- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،114.

[5]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،440.

الخفيفة[1]واعيد بناؤه من طرف يحيا آغا سنة 1234هـ-1241هـ/1818م – 1825 م،والذي وضع به اثنى عشر (12) مدفعي و عين به حامية.[2]

يقع البرج غرب مدينة الجزائر على بعد 29 كلم منها[3]، حيث يوجد ضريح سيدي فرج، لحماية الخليج البحري، حيث يمكن لسفن العدو الرسو، وذلك لما يتوفر عليه من مزايا طبيعية، فشبه الجزيرة التي شيّد بها توفر الحماية للمراكب في المواسم الهادئة أو المضطربة بفضل استعمال أحد جانبيها، وذلك حسب اتجاه الرياح.[4]رغم أهمية موقعه إلاّ أنّه برج متواضع وقدرته الدفاعية[5]ضعيفة، ما جعل الإسبان يسمونه " البرج الصغير"**Torre Chica**، ووصفه الجاسوس الفرنسي" بوتان" بقوله: « **له شكل مربع، يتراوح ارتفاعه ما بين 16 الى 20 م، أو أكثر، كلّ واجهاته يتراوح عرضها ما بين 3 الى 5 ومسلّح بمدافع سيئة صغيرة العيار، وهذا البرج قديم، ولا يصمد أمام المدفعية الثقيلة**"[6]. كما أنه لا يستحق الذكر لكونه قديما جدا،ولا يقاوم حتى المدافع الخفيفة، فالبرج بني على أنقاض برج قديم مربع الشكل، استعملت في بنائه الحجارة البيضاء كمادة أساسية، قديمة يتراوح يتراوح ارتفاعه ما بين 16 الى20 م، أو أكثر، كلّ واجهاته يتراوح عرضها ما بين 3 إلى5م.*[7]

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،239.

[2]- الشريف الزهار، المصدر السابق،ص،163.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،106.

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،،239.

[5]- Rinn Louis, « Le Royaume d'Alger sous le Dernier Dey »,IN Rev-Afr,N°,224,Année 1897,p,142 .

[6]- Vincent yves -Boutin, Op,Cit, 08.

[7]- Ibid,p24.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج انظر مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،442-443.

تعرض هذا البرج لإهمال كثيرا أواخر العهد العثماني، من خلال أحمد باي في مذكراته، حيث يذكر أثناء النزول الفرنسي في سنة 1246هـ/1830م:" **ليس بسيدي فرج سوى قلعة قديمة مخربة يحتاج اصلاحها الى شهور كاملة.**"[1]

بعد الندوة العسكرية التي عقدت بناحية سيدي فرج قبل نزول قوات الاحتلال، تقرر بناء متاريس على شاطئ البحر تبعد عن الساحل بستة (6) كلم، على خط قليل الارتفاع يشرف على خليج سيدي فرج، إلا أنً هذه المتاريس لم تُدعَّم إلا بمدافع صغيرة و خفيفة لعدم وجود العربات التي يمكن ان تحمل المدافع ذات العيار الكبير.

من هنا بدأت عملية القصف حيث اصيبت عدة سفن قامت بدورها بقصف المتاريس و تحطيمها، ورغم الإصابات التي لحقت بالقوات الفرنسية و التي تزيد عن 570 جنديا بين قتيل و جريح، انهزمت القوات الجزائرية و سقطت مدينة الجزائر بدخول الجيوش الفرنسية نحوها.[2]

أبراج الجهة الجنوبية (الأبراج البرانية) لمدينة الجزائر في العهد العثماني:

لقد كشفت الحملة التي شنًها شارل الخامس عشر، على مدينة الجزائر سنة 948هـ/1541م، نقاط ضعف كثيرة في الجزام الدفاعي خاصة الناحية الجنوبية للمدينة، فقد كانت النقاط الدفاعية كلها محصورة في الجهة البحرية، فبعد هذه الحملة الاسبانية، أصبح الاهتمام أكثر بهذه الناحية وتم إنشاء برجين لحماية المدينة وهما:

- برج النجمة:

يعرف بهذا الاسم نسبة الى شكله الخماسي الاضلاع على شكل نجمة، و له عدة تسميات منها برج الثغرين، لأنه أقيم بالمكان الذي كان يسكنه جماعة من العرب

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،91.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،106.

الأندلسيين في الفضاء المحصور بين القصبة و حصن الإمواطور[1]، و كذا برج محمد باشا نسبة إلى مشيّده محمد باشا(976هـ-976هـ/1567م-1568م).[2]

يقع هذا البرج على مرتفع جنوب برج الامواطور بحوالي 330م ، وغرب القصبة بحوالي 200م.[3]

بني برج النجمة سنة (976هـ-976هـ/1567م-1568م) خلال فترة حكم محمد باشا، و الملاحظ أنً محمد الصقيلي هو من قام بإنجاز هذا العمل. و عندما وصف الجاسوس بوتان تحصينات مدينة الجزائر ذكر أنًه اندثر، ولم يبق منه إلا بعض الآثار.*[4]

يقدر محيط البرج من الداخل بحوالي 16.50م[5]،أما ارتفاع أسواره فتصل إلى حوالي07 أمتار متوجة بسلسلة من الشرافات عددها خمسة(05)،و يظم غرف خصصت لسكن الحامية تطل على صحن أو فناء. وقد غطت هذه الغرف على طول امتدادها خزانا للمياه مستدير الشكل[6]، يضم ثماني (08) مدافع من العيارات الصغيرة.

لقد تميز بناء البرج بارتفاعه الشديد، و بارتفاعه هذا جعله على حد قول بيسونال يأخذ **Peyssonnel** المرتبة كأعلى مبنى عسكري ضمن تحصينات مدينة الجزائر في

1- Peyssonnel et Desfontaines, Op,cit, P, 451.

2- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني.....ص،131.

3- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،111.

4- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،99.

* يذكر بوتان من خلال الدكتور خلاصي ان سبب انهيار البرج يعود الى امة اشعلت النار داخل مخزن البارود فانفجر و تهدم البرج منتقمة بذلك من سيدها الذي كان حاكما للجزائر. لكن هذه الحكاية او بالأحرى هذا الاستنتاج فيه نوع من الغرابة و بعيد عن الواقعية و الحقيقة حسب الدكتور خلاصي قائلا:" و بالرجوع الى تركيبة الجيش و الانضباط الذي كان يميزه و الى التقاليد المتبعة في حراسة الابراج و الحصون ... نستغرب هذا الاستنتاج حتى و لو كانت الامة تابعة لحكام الجزائر فان جلب الكبريت او وسيلة اشعال النار التي لم تكن في حجم علبة الكبريت و انتقالها من قصر الجنينة الى ارتفاع 180م و تخطي الحرس من الامور التي لا تصدق." للمزيد اكثر انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،106.

5- علي خلاصي، المرجع نفسه.

6- علي خلاصي، نفسه، ص ،99.

العهد العثماني بعد حصن الإمبراطور، مما أكسبته الأولوية الدفاعية[1]، واختيار هذا الموقع المرتفع و اتخاذه مكانا لإنشاء هذا البرج كما ورد في بعض المراجع* ، لحماية القصبة ولتغطية الخلل الموجود في النظام الدفاعي للمدينة من الناحية البرية، حيث كان العدو يركز في خططه الحربية على احتلال المرتفعات بعد إزاله في شاطئ باب الواد، وذلك للإشراف على المدينة واستهدافها من الأعلى[2]. ظل موقع البرج قائما في مخططات العدو، حيث استعمله الفرنسيون سنة 1246هـ/ 1830م، لنصب أحد بطارياتهم لضرب القصبة والأبراج السفلية بجهة باب الوادي.[3]

رغم أنً البرج تهدم، إلا أن جميع الرسومات التي خلدت مآثر الجزائر العمرانية، تُظهر برج كنقطة دفاعية مهمة و خاصة الرسومات الاسبانية التي وضعت للجزائر في السنوات971 هـ/1563م، 1012هـ/1603م،1168 هـ/1754م و 1184هـ /1770م.[4]

- برج مولاي حسن:

يقع هذا البرج في مكان يعرف بكدية الصابون[5] غرب برج النجمة ، و على بعد 800م من القصبة العليا المواجهة للبر[6]، و ينسب خلاصي هذا البرج الى الثغريين النازحين من مدينة ثغر الأندلسية ، و هو يشرف على المدينة و الميناء و ضاحية باب الوادي و الجهة الغربية من خليج الجزائر.[7]

1- Peyssonnel et Desfontaines , Op.cit, P. 451

* انظر أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة.....ص،181.

2- أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص،181.

3- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،224.

4- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،99.

5- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،111.

6- بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج2.....ص،477.

7- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،97.

بنى هذا البرج و صممه مولاي حسن باشا*،وله عدة تسميات منها برج الأمواطور و برج بوليلة* *،كما سمي ايضا ببرج الطاووس* * *حينما نقل اليه طيور النعام و الطاووس التي كانت موجودة بالقصبة قبل أن تتحول الى قصر الداي سنة 1232هـ/1817م، و سمي أيضا برج " السلطان قلاصي و برج مولاي حسن.[1]

يعتبر هايدو هذا البرج من ضمن الابراج الثلاثة الرئيسية للدفاع عن المدينة، شكله عبارة عن برج غير منتظم، يبلغ ارتفاع جدرانه بحولي 10 امتار.[2]

يأخذ البرج شكلا مستطيلا طوله مائة و خمسون (150) م و عرضه مائة (100) م اما ارتفاعه فيصل الى حوالي عشر (10) امتار.*[3]

كان يحتوي على 77 فتحة تضم 35 مدفعا في سنة 1223هـ/1808م،أما أسلحته فقد بلغت اثناء الاحتلال 91 قطعة، وتجدر الاشارة الى ان هذا البرج طرأت عليه عدة تعديلات او تغيرات كالتي وقعت في1067هـ-1068هـ/ 1656م-1657م،أو1155هـ- 1156هـ/1742م – 1743م، إثر انفجار مخزن البارود.[4]

عند وصول القوات الفرنسية الى المنطقة المجاورة للحصن من الناحية الجنوبية(الابيار)، اطلقوا على الحصن نيران مدافعهم مدة خمس ساعات، و عندما علم المدافعون ان صمود الحصن لن يدوم طويلا، انصرفوا و لم يبق إلا من اشعل

---

* تم تشييد البرج سنة 1545م من طرف مولاي حسن باشا و هو يوناني الأصل. أنظر بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.... ص،477.

** سمي بهذا الاسم لبنائه على الربوة التي أقام بها شارل الخامس سنة 948هـ/ 1541م معسكرا و قضى بهذا المكان الليلة محاصرا المدينة لمهاجمتها. انظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،111.

*** سمي ايضا بهذه التسمية حينما نقل إليه طيور النعام و الطاووس التي كانت موجودة بالقصبة قبل ان تتحول الى قصر الداي سنة 1232هـ/1817م. انظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، المرجع نفسه.

[1]- لخضر درياس، نفسه.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،111.

[3]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.....ص،477.

* للمزيد اكثر انظر كل من بلبروات بن عتو، المرجع نفسه. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص، ص،446-448.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،112.

النار في مخزن البارود ، و هدم الحصن بأمر من "الباش طبجي" و دمره من الداخل لئلا لا يقع في ايدي الفرنسيين.*[1]

ابراج الجهة الشرقية (الأبراج البرانية) لمدينة الجزائر في العهد العثماني:

لقد عزز سكان مدينة الجزائر مدينتهم،من الناحية الشرقية الساحلية، و الممتد من باب عزون الى تامنتفوست ، بمجموعة من أبراج و طبخانات دفاعية، باعتبار أنً هذه المنطقة الأكثر مواجهة للإزالات البحرية، للجيوش المعادية كبرج تامنتفوست و برج الكيفان، بل انشؤوا طبخانات عديدة كطبخانة الحميز و طبخانة الحراش و من هذه الأبراج:

- **برج تامنفوست:**

يقع هذا البرج في الناحية الشرقية من خليج الجزائر علىراس عوف باسمه، وبذلك يعد آخر نقطة دفاعية بخليج مدينة الجزائر من الناحية الشرقية على بعد 650 م عنراس" تامنفوست"[2]، شيّد لحماية المرسى الطبيعي الذي بجانبه[3]، حيث يسمح برسو السفن به لتوفره على حماية ضدّ العواصف البحرية بفضل الراس المتقدم في البحر، وقد جاءت عملية بنائه حسب الاستاذ بورويبة تداركا للخلل الدفاعي الموجود بهذا المكان بعد استعماله من طرف"شارل الخامس"، عند حملته على الجزائر سنة 948 هـ/1541 م[4]. هذا الاخير الذي فر مع ما تبقى من اسطوله عند مشارف هذا البرج ، حيث المرفأ الروماني لمدينةرسقونيا.[5]

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،99.

* للاطلاع اكثر انظر كل من علي خلاصي، القلاع والحصون.....ص،99.وبلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج 2... ....ص،477. و كذا محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،218- 224.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،239.

[3]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence……..p, 305. Voir aussi: Peyssonnel et Desfontaines , Op.cit., P. 446.

[4]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،239.

[5]- رشيد بورويبة ، الجزائر، سلسلة فن و ثقافة، الجزائر،1974،ص،55.

ان اختفاء اللّوحة التأسيسية دفع بالمؤرخين إلى الاختلاف في تحديد سنة بناء البرج، فيرارد **Berard** يرى أنه بُني سنة 963هـ/1556م، في فترة حكم الباشا محمد كرد، بينما بربروجر **Berbrugger** يرجعه إلى سنة 1170هـ /1660م من طرف البكباشي خليل آغا، استنادا الى حوليات خطية موجودة بالمكتبة الوطنية[1]، بينما كلاين يرى أن هذا البرج يعود تاريخ بنائه الى سنة1071هـ/ 1661م، من طرف رمضان آغا بأمر من الباشا اسماعيل[2]، في حين فإنّ بوتان يشير إلى تاريخ بنائه الذي يعود الى 1068هـ/1685م[3]، بينما مارسي يرجع تاريخه الى سنة1135هـ/ 1722م اعتمادا على كتابة تاريخية تعود الى فترة حكم محمد باشا.[4]

لقد كانت بالبرج حامية تتكون به 15 مدفعي يراسهم باش طبجي ، اما عدد المدافع التي كان يحوي عليها فتبلغ 20 قطعة[5]، في حين نجد الفتحات تصل الى 24 فتحة تنحصر فيما بينها فتحات للمكاحل يصل عددها الى 28 فتحة نارية خاصة بالبنادق[6] .

تعرض هذا البرج لعدة أضرار لكن بعد كل حملة كان يرمم اذ يذكر انه ترمم سنة 1096هـ/1685م، من طرف موزومورطو بعد الحملة الفرنسية على الجزائر بقيادة دوكان، كما رمم ايضا حسب مارسي من خلال الدكتور خلاصي سنة1100هـ/

1- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،457.,

2- Henri Klein Les feuillets……d'El Djezair p, p,81 .

3- Vincent yves -Boutin, Op, cit., p. 30.

4- George Marcais, L'Architecture musulmane d'occident, Art et métiers graphiques, Paris,1956,154.

5- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،91.

6- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،104.

1688م بعد الحملة الفرنسية التي قام بها ديستري باسم الملك " لويس الرابع عشر.[1]

بني البرج على قاعدة ثمانية الشكل يبلغ قطرها 28 م، على خلاف الأبراج العثمانية التي شيدت بالجزائر على حد قول الدكتور خلاصي عند تعرضه لقلعة ميناء الجزائر قائلا:"**مثل هذه الأبراج هي أحسن التحصينات لأن المدافعون عندما يحاولون الدوران حولها يجدون حرية و سرعة**"[2]. و يواصل خلاصي قائلا " **إنَّ أسوار البرج بنيت بالحجارة المقطوعة المجلوبة من اطلال المدينة القديمة المجاورة له، يصل ارتفاع البرج إلى حوالي 09 أمتار، و يحيط به خندق يتراوح عمقه ما بين 02م و أربعة امتار و عرضه حوالي 07 أمتار، يدخله الداخون عبر جسر خشبي طوله 9.50م و عرضه 1.50م** ".*[3]

- برج القنيطرة:

أطلقت عليه عدة تسميات منها برج القنطرة نسبة إلى القنطرة التي شيّدها "الحاج أحمد داي"*(1107هـ-1110هـ/1695م-1698م)سنة1109هـ/ 1697م،واعيد بنؤها من طرف ابراهيم بن رمضان (1145هـ-1158هـ / 1732م-1745م)سنة 1149 هـ/1736م، و برج الاغا نسبة إلى الذي أعاد بناءه

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،91.

[2]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[3]- علي خلاصي، نفسه.

* للاطلاع اكثر انظر كل من مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،.ص،457-459 . و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،206 - 210 .

* للمزيد اكثر عن هذه القنطرة انظر عثمان مفتاح، العمارة الدفاعية لشرق مدينة الجزائر.....ص،ص،51-52.

سنة1240هـ/1824م[1]وعرف أيضا باسم الدار المربعة في فترة الاحتلال الفرنسي، وسمي ايضا بحوش الاغا كونه يحتوي على اسطبلات للخيول، وكذا سمي بثكنة القنطرة لكبر حجمه و قوة استيعابه.[2]

يقع هذا البرج شمال شرق قنطرة الحراش الشهيرة[3]، على بعد 12 كم شرق مدينة الجزائر، على الضفة اليمنى من وادي الحراش و على ارتفاع 60م على مستوى سطح البحر.[4]

أُنشئ البرج على يد الداي بابا عبدي سنة 1137هـ/1724م،وقد بني فوق أراضي ملك الوالي دادا، وكان من مهام البرج حماية القنطرة التي تعتبر بوابة مدينة الجزائر، جمع الضرائب بالنسبة لسكان سهل متيجة، مراقبة الطريق السلطاني الذي كان يمر بجانبه الأشراف على طبانات حلق الوادي.[5]

يشير كلاين بأنً هذا البرج عرف ترميمات سنة 1143هـ/1730م.كما أنَّه لم يكن سوى ثكنة تعرف بـ الدار المربعة، و كان مقر استراحة بايات الشرق قبل دخولهم الجزائر.[6]

إنً البرج عبارة عن بناية مرتفعة ذات قاعدة مربعة مقاساتها من الخارج85مx85م،وعند دخول الجيوش الفرنسية واحتلال مدينة الجزائر،استغل البرج كأول نقطة دفاعية كمقدمة لجيوشها، سمي حينها بالبرج المربع **la maison carrée** والى يومنا هذا لازال البرج قائما و محافظا على عمارته الأصلية العثمانية،رغم

---

[1]- لخضر درياس، لخضر درياس، المدفعية، أطروحة.....ص،108.

[2]- عبد القادر حليمي ، المرجع السابق،ص،242.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،93.

[4]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،452.

[5]- مفتاح عثمان، المرجع نفسه.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،108.

كل الاضافات التي طرأت، و هو بحي حسن بادي (بلفور سابقا) بداخل ثكنة عسكرية.[1]

- برج باب عزون:

يعد برج باب عزون من أهم الأبراج الدفاعية البرانية الشرقية، وهذا لقيمته الاستراتيجية و عدد فتحات الرمي فيه، حيث بلغت ثلاث و تسعين (93) فتحة، و يقع في طرف الساحل البحر على بعد 900 م عن باب عزون.[2]

يطلق على هذا البرج عدة تسميات منها برج " السفيد" (البرج الأبيض) لبياضه الدائم لأنه كان يطلى دائما بمادة بالجير الابيض لاهتمام الحكام بعنايته و نظافته، بالإضافة الى تسميته ببرج "راس تافورة، و الحقيقة ان اسم باب عزون حسب الشريف الزهار اعطي لبرجين القديم و الجديد فالبرج القديم او الاول؛ فالبرج الأول بني ما بين سنة 989هـ- 922هـ/1581م-1584م،ولم يبق منه إلا الجزء الامامي المشرف على البحر و الذي قال عنه بوتان سنة 1223هـ /1808م، بأنه يحتوي على احدى عشر قطعة مدفعية.[3]

أما البرج الجديد فقد تم بناؤه من طرف مصطفى باشا سنة 1213 هـ/1798م على انقاض جزء من البرج القديم ، و قد بني هذا البرج لحماية باب عزون، و حراسة الشاطئ الشرقي منها.*[4]

---

[1]- عثمان مفتاح، العمارة الدفاعية لشرق مدينة .....ص،53.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،215.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،108

[4]- لخضر درياس، لخضر درياس، المرجع نفسه.

* للمزيد انظر علي خلاصي ، القلاع و الحصون.....ص،ص،94-96.

نظرا لأهمية البرج، تعرّض إلى عدّة اصلاحات و اضافات ، كانت أوّلها فترة حكم "مصطفى باشا[1]، كما توضحه الكتابة التأسيسية المحفوظة بمتحف الآثار القديمة بالجزائر، نفذت بطريقة الحفر الغائر المطعم بالرصاص على شكل أبيات شعرية، على لوحة رخامية بلغة تركية وبحروف عربية بخط نسخ شرقي.[2]

إنّ المكان الذي كان يحتله البرج ونوعية تسليحه جعل منه سدّا منيعا أمام الحملات البحرية ومنعها من الاقتراب من تحصينات الميناء، إضافة إلى توفير الحماية لحصن الإمبراطور.

لقد لعب هذا البرج دورا هاما سنة 1246هـ/1830م،حيث أنه منع البحرية الفرنسية من الاقتراب من الشاطئ، و الاستلاء على الارواج الرانية من الخلف. وقد واصل هذا البرج أداء دوره العسكري في فترة الاحتلال الفرنسي، حيث حوّل إلى إقامة للجيش ليستغل جانب منه كسجن عسكري،ثم استعمل كسوق للحبوب و الدجاج و الفحم قبل أن يهدم سنة1323هـ/1905م.

كان لبرج باب عزون93 فتحة للمدفعية[3]،68 فتحة للمدفعية في الجهة العلوية و27 فتحة حسب كلاين في الجهة السفلية للبرج، وقد وزعت على كامل واجهاته الاربعة حسب الاتجاهات المسلحة بعشرات من القطع المدفعية، فالواجهة البحرية مثلا بها 19 فتحة سفلية و 18 فتحة علوية. اما من الواجهة المطلة على الطريق بها 18 فتحة علوية و انعدام الفتحات في الجهة السفلية من البناية، و بالنسبة للواجهة الجنوبية الشرقية فبها 18 فتحة علوية و05 فتحات سفلية، وعن الواجهة الشمالية الغربية؛ فتتوزع بها 12 فتحة علوية و 03 فتحات في الجهة السفلية.

---

[1]- أحمد الشريف الزّهار، المصدر السابق، ص82 .

[2]- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص،95.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،95.

للبرج مدخل رئيسي وحيد بالواجهة الشمالية، يفضي إلى قبو واسع به أربع مجموعات من المقاعد، تستعمل من طرف القبجية أو الحرس المكلف بمنع المدافعين من مغادرة البرج اذا أمر الباشا بذلك[1]. و في الفترة الاستعمارية استحدث مدخل آخر بالواجهة الغربية، نصل من خلال المدخل الرئيسي إلى صحن واسع، وزعت على جوانبه مجموعة من المرافق منها؛ غرف الجند التي كانت بالواجهة الغربية، حيث كانت تتسع لإقامة 300 جندي، أما مخازن الذخيرة، فكانت بالواجهة الجنوبية[2]، كما كان البرج يضمّ مصلى، وتتزود حاميته بحاجياتها من الماء من عينين مجاورتين له، أحداهما متصلة بجدرانه[3]، إضافة إلى توفره على خزانين لتجميع مياه الأمطار عبر ميازيب متصلة بالسطح، يتسع أحدهما لـ 295م3 ، والآخر لـ 140 م3، كإجراء احترازي عند الحصار.[4]

- برج الكيفان:

يعرف أيضا باسم برج الماء[5]، لقربه من البحر، حيث كانت تصطدم المياه بواجهته البحرية، وكثيرا ما اتخذت الأبراج التي تحتل هذه المواضع هذه التسمية*، وكانت شائعة بالفترة المرينية على عهد السلطان " أبي الحسن".[6]

يعتبر هذا البرج ثاني أبراج مدينة الجزائر من الناحية الشرقية بعد برج" تامنفوست"، يبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 19 كم، في خليجها الشرقي بحيث بني على راس

1- علي خلاصي، المرجع نفسه،ص،96.

2- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،218.

3- Vincent Yves – Boutin , Op,Cit., p. 191.

4- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،218.

5- Henri Klein, Les feuillets……d'El Djezair p p,82.

* كانت هذه التسمية شائعة بالفترة المرينية ، على عهد السلطان " أبي الحسن". انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،211.

6- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه.

صغير داخل البحر شيّده محمد باشا سنة1135هـ-1136هـ/1722 م - 1723م[1]، و قد جاء ذلك في اللوحة التأسيسية التي تعلو مدخله الوحيد بالواجهة البرّية،حيث تحمل كتابة عربية، منفذة بخط مشرقي ثم ملئت بالرصاص.[2]

في حين فان دوفولكس يشير من خلال الدكتور بن حموش ان البرج قد تم بناؤه سنة 989 هـ/1581م من طرف جعفر باشا[3]، ويشاطره في الراي كلاين فيذكر أنّه بني سنة989 هـ/1581م من طرف جعفر باشا.

بنيت عمارة هذا البرج لحماية قلب الخليج من كل حملة او تنظيم لمراكب الحملات التي استهدفت المدينة. اما عن دوره الدفاعي؛ نسجل على حد قول توفيق المدني من خلال الدكتور خلاصي؛ تصدي مدافع هذا البرج للحملة الاسبانية التي وجهت ضد مدينة الجزائر سنة 1189هـ/ 1775م، حيث وقفت في مواجهته سفينتان و صبتا عليه قذائفها قبل ان تنسحب بانكسار الحملة.[4] واستمر البرج في أداء وظيفته الدفاعية إلى غاية احتلال المدينة من طرف الفرنسيين الذين حوّلوه في أفريل من سنة1272 هـ/ 1855 م إلى مركز للجمارك.[5]

اتخذ الشكل المربع الغير المنتظم، و في سنة 1223 هـ/1808م، كان البرج يحتوي على فتحة واحدة، في اتجاه اليابس و أربع فتحات تجاه البحر، و أما الجانبين فنجد به 8 فتحات ؛ أربع منها في كل جانب متجهة نحو الشاطئ.*[6]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص،105.

[2]- Gabriel Colin ,Op,cit, p,97.

[3]- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي.....ص،124.

[4]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،92-93.

[5]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،211. أنظر ايضا .Henri Klein Les feuillets……d'El Djezair p,p,82

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،105.

* للمزيد ايضا انظر كل من محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،.ص، ص، 211- 213. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،.ص،454-456.

الى جانب الى جانب الاواج المقامة للدفاع عن المدينة في نواحيها الغربية الشرقية الجنوبية و الشمالية وجدت بها مجموعة من الطبخانات لتعزيز الخط الدفاعي.

بالإضافة إلى الاواج و الطبخانات التي تحرس مدينة الجزائر هناك اواج اخرى موزعة في النقاط الاستراتيجية من اراضي دار السلطان كوج شرشال وج منايل وج تيزي وزو و وج سيباو و قد سماها الدكتور لخضر درياس باسم اواج الاوطان نتطرق اليها حاليا.[1]

التحصينات الشرقية لدار السلطان:

مع قدوم الاخوة بربروسة (عروج و خير الدين و اسحاق) في مهمة جهادية بغرض انقاض بجاية من الاحتلال الاسباني لها سنة 918 هـ/1512م، ارتبط تاريخ منطقة القبائل ، مثل بقية مناطق البلاد الجزائرية ، بالحركة الجهادية ضد النصارى بالسواحل و التي اسفرت على حد قول سعيدوني عن تأسيس حكم عثماني مركزي في الجزائر، و كان لتضحية عروج و مساعي خير الدين دور أساسي في ربط الجزائر بالسلطة العثمانية سنة 924 هـ/1518م.[2] و في إطار هذه الملحمة الجهادية، تمت محاصرة الخطر الاسباني و تصفية مراكزه بالسواحل و ابعاد نفوذه عن بلاد القبائل بتحرير بجاية من طرف صالح رايس سنة 963 هـ/1555م، وبذلك أمكن لحكام الجزائر العثمانية بسط نفوذهم على منطقة القبائل، الأمر الذي أدى الى الاصطدام بالقوى المحلية القائمة على النظام القبلي، و المدعمة بالتجمعات الجهوية التي تبلورت في ظهور إمارتين متنافستين ببلاد القبائل، هما إمارة ابن القاضي التي

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،138.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل"** .....ص، 191.

اتخذت قلعة كوكو بآيت يحي مركزا لها، و إمارة آل مقران التي تحصنت بقلعة بني عباس شرق وادي الصومام.[1]

لقد حالف حكام الجزائر النجاح في اخضاع بلاد القبائل، عندما تمكن كل من خير الدين و ابنه حسن و خلفه صالحرايس من إخضاع الامارتين. و قد استخدموا أساليب حربية تعتمد على أسلوب المجابهة ، واستعمال السلاح الناري و استغلال النفوذ القبلي ، فألحقوا بلاد القبائل بالحكم المركزي، بعد ان تمكنوا من تصفية إمارة ابن القاضي سنة 948هـ-949هـ/1541م-1542م،و آل المقراني سنة961 هـ-967هـ/1553م-1559م،و بذلك ظلت بلاد القبائل تابعة للحكم المركزي، رغم حركات العصيان و التمرد و الثورة التي عرفتها بلاد القبائل في السنوات التالية:1000هـ/1591م،1003هـ/1594م،1131هـ/1718م، 1168هـ/1754م،1172هـ/1758م،1181هـ/1767م،1214هـ/1799م،1183هـ /1769م،1222هـ/1807م،1225هـ /1810م، 1234هـ /1818م، 1244هـ /1828م.و الجدير بالذكر أن حكام الجزائر العثمانية، قد أولوا أهمية قصوى لفرض نفوذهم على بلاد القبائل،وذلك حتى يبعدوا خطر القبائل المتمردة عن مدينة الجزائر القريبة من بلاد القبائل، و قد اعتمدوا في ذلك على عدة اساليب منها استغلال التنافس بين الاحلاف القبلية و ذلك بمناصرة حلف على اخر، ثم الانقلاب عليه عندما تقوى شوكته ، و منح امتيازات و ترضيات للشيوخ الكبار ذوي النفوذ.*[2]

إنً تلك الأساليب التي استعملها حكام الجزائر في فرض نفوذهم على بلاد القبائل، كانت تستند على سياسية دفاعية محكمة وأساليب عسكرية متطورة ، تمثلت

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية .....ص،192.**

* للمزيد و للاطلاع ناصر الدين سعيدوني، **المرجع نفسه**،ص،ص،191-193. و أنظر أيضا الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق،ص،ص،28-47.

في إقامة شبكة دفاعية تطوق بلاد القبائل الجبلية ببالد القبائل، لتظل بعيدة عن المناطق السهلية حيث تنتشر مزارع لبياليك (الدولة)، و تتمثل هذه الشبكة الدفاعية في سلسلة من الحصون لها هدف عسكري و غرض اداري في ان واحد ، و يتلخص في مراقبة السكان و التحكم في تحركاتهم و تامين طرق المواصلات و دون قيام حركات التمرد و تطويق حركات العصيان الواسعة النطاق.

هكذا شيّد الحكام الأتراك مجموعة من الأبراج على امتداد الطرق السلطانية، خاصة بالطريق الرابطة بين دار السلطان و بايليك الشرق، الذي يقطع منطقة القبائل المعروفة بكثرة ثوراتها ضدّ الحكومة التركية.و يرجع تاريخ بناء الأبراج إلى فترة متقدمة من حكمهم للإيالة الجزائرية، كانوا يهدفون من وراء إنشاء هذه الاستحكامات، إلى استتاب الأمن بالمنطقة، من خلال اتخاذها كقواعد عسكرية تحمي هذه المسالك خاصة، عند خروج محلاّت تحصيل الضرائب، وتأديب القبائل المتمرّدة والمتخلفة عن أداء واجباتها اتجاه سلطة البايليك،إضافة إلى توفيرالحماية للأسواق، واتخاذها كمخازن للحبوب المتحصل عليها ،عن طريق العشور و كأماكن راحة توفر الماء لقاصديها من عابري السبيل.[1]

نشير إلى أنً أغلب الأبراج قد أُقيمت على أنقاض القلاع القديمة التي سبقت دخول الأتراك إلى الجزائر، مثل" قلعة بوغني "و"قلعة ذراع الميزان "بقيادة بوغني. اشتهرت هذه المنطقة بكثرة حصونها منذ الفترة الرومانية، حيث كانت تشغل جوانب مسار الأودية خاصة "واد سبا" و "واد يسر"، وبالقرب من طرق المواصلات التي يمتد بعضها إلى ساحل البحر، حيث "مرسى جنات" و "مرسى الدجاج"[2]. و الجدير بالذكر

---

[1]- Louis Piesse, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie comprenant le Tell et le Sahara, Paris, 1862, p,135.

[2]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،273.

أنً هذه الحصون و الأبراج عبارة عن حلقة محكمة تطوق بلاد القبائل ، فمن الغرب حصون دلس و برج منايل ، و برج سيباو و برج تيزيوزو و برج بوغني، و من الجنوب برج حمزة وبرج سور الغزلان و برج المسيلة ، و من الشرق ابراج بجاية و مجانة وزمورة.[1] و من اهم هذه الاستحكامات الحربية : **اللوحة(17))**

برج منايل:

سمي البرج باسم برج امناين[2]، يعد اقدم برج في وطن "يسّر"، ويعود فترة بنائه الى عهد شعبان باشا سنة 1003هـ/1594م بمنطقة برج منايل،التي أصبحت تسمى بإسمه، و قد أُنجز هذا البرج لحماية سهول "يسّر"،..., P. 135 من هجمات القبائل الجبلية، كما حضي بحماية رجال المخزن الذين كانوا يشكلون المناعة الحقيقية لدار السلطان[3]، و كان تحت إمرة قائد يتبع لقيادة سباو. و يحتوي على مجموعة من الجند و قطع من المدفعية.[4] و بعدما تم بناء برج سيباو أصبح مقرا لإقامة وكيل الخرج العثماني المكلف بالإشراف على أراضي البايلك، في حين يذكر روبان **Robin** أنً برج منايل اصبح سنة 1246هـ/1830 م مقرا لأغوات فليسة إم الليل.[5]

كان موضع تشييد البرج بالضفة اليمنى لواد" يسّر[6]، على أنقاض موقع أثري روماني[7]، وبه كانت قلعة بربرية أعاد الأتراك استغلالها بعد ترميمها[8]، و قد شُيِّد من

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية.....**ص،ص،192-193.

[2]- حول التسمية أنظر زيدين قاسمي، قيادة سيباو- تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي -،دار الامل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر ،2009، ص،91.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،179.

[4]- رابح كنتور، أوقاف البليدة ووطن يسر بين 1671و 1900 من خلال وثائق المحاكم الشرعية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2016، ص،33.

[5]- رابح كنتور، المرجع السابق،ص،33.

[6]- رابح كنتور، نفسه.

[7]- Louis Piesse, Op,Cit, p, 153.

[8]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،274.

طرف محمد الذباح" في إطار مشروعه الدفاعي بمنطقة القبائل في نفس فترة إنشاء " برج سباو" و" برج تيزي وزو" [1]، لمراقبة الجانب الشمالي الغربي لأراضي"فليسة".[2]

فَقَد البرج دوره الدفاعي بعد أصبح مجرّد مستودع لقبائل المخزن، سنة1246 هـ/1830م،[3] وفي الفترة الاستعمارية شغلت عمارته مقر البلدية والدرك والكنيسة و المدرسة[4]، و قد استعمل كثكنة عند دخول القوات الفرنسية الى الجزائر، ثم هدم و لم يبق منه أي اثر،رغم البناء الذي مازال البعض يصفه بالبرج لأن حل محله.[5]

- برج سيباو الجديد

يقع برج سباو أو برج سباعو او برج سباو كما أطلق عليه الأهالي[6]، عند سفح جبل ذراع الكروش،على الحافة الشمالية لنهر سباو، على يسار وادي سباو و على بعد ثلاث (03) كيلومترات من تادميت، و كيلومترا وحدا (01) من تيزيوزو[7] و بالتحديد في مريجة[8]، بجوار منبسط من الأرض على مرتفع صخري، و يدعى أيضا برج تاورقة نسبة الى المكان الذي اسس فيه[9]، وبرج سباو بموقعه يشكل نقطة التقاء الطرق الآتية من مدينة الجزائر، ومرفأ دلس و المسالك المتوجهة الى داخل بلاد القبائل*، وهذا ما جعله مركزا ممتازا لحراسة المعبر الطبيعي الوحيد نحو مواطن

1- Le Colonel Robin, Historique sur la Kabylie, Adolphe Jourdan, Alger , 1905 , p, 105 .

2- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،274.

3- Louis Piesse ,Op ,Cit, p, 143.

4- Ibid,p,53.

5- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،179 .

6- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،204.

7- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

8- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،140.

9- زيدين قاسمي، المرجع السابق، ص،85.

* بمعنى يشكل همزة وصل حسب الدكتور سعيدوني بين الطريق الرابط بين دار السلطان و دلس و تيزي وزو و مختلف الطرق و المسالك المتجهة الى منطقة القبائل الكبرى، انظر رابح كنتور، المرجع السابق، ص،34.

القبائل الجبلية، الواقعة بين جبال سيدي علي بوناب في الجنوب و جبال القوارقة وواقنون في الشمال.*[1]

يعود انشاء هذا البرج الى أغا العرب(قائد فرق الجند بالجزائر) علي خوجة متولي ادارة وطن ساباو[2]، و الذي كان يمضي في رسائله باسم أمير الاوطان، فقد أمر ببنائه حوالي 1090هـ/1679م[3]، و ذهب غافوا **Gavoy** الى أنً هذا البرج، بني على عهد القائد محمد بن علي المعروف بالذبًاح عام 1131هـ /1718م، و هذه رواية تخلو من الصحة اذا عرفنا ان اسم برج سباو ورد ذكره لأول مرة في وثائق الإدارة المحلية 1133هـ/ 1720م[4]، و قد لاحظ روبان اثار لبناء قديم كان يقول عنها المواطنون بانها بقايا برج سباو، و بعد تحرياته وجد أنها بناية مدببة، قد تكون حوش لمزرعة. والواقع أنه من الصعب معرفة تاريخ وصول القائد علي خوجة الى هذا المكان، ولعل الوثيقة الوحيدة كما ذكر غافوا و المؤرخة ؛ هي التي تعود إلى سنة 1133هـ/1720موالتي يعتقد في تاريخها أنه نفس تاريخ برج سباو، لأن بايسونال كتب في سنة1138هـ/1725م يقول[5]:«**و القبائل امتدت في وقت من الاوقات حتى سهل متيجة الموجود بضواحي الجزائر، لكن في الأخير عين أحد الأتراك المعروف بعلي خوجة فاستطاع أن يدفعهم إلى الجبال و يخضع كل من كان في غرب واد الزيتون و بنى برجا جهزه بمدفع لحماية كل السهول حتى مدينة الجزائر**».[6]

(اللوحة(17))

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،"**الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،204.

*للمزيد ايضا نظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص،ص،204-208. وانظر ايضا Albert Devoulx,Tachrifat…..p,39.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،"**الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،204.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، "**الشبكة الدفاعية العثمانية**..... ص،205.

[4]- نفسه.

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،140.

[6]- Peyssonnel et Desfontaines, Op,cit, P, 451

حسب رين **Rinn** فإن هذا البرج كان مسكنا لخليفة الامير عبد القادر سي أحمد الطيب بن سالم، قبل فترة الاحتلال الفرنسي و بعد سنوات هوجر و اندثر.[1]

يذكر بوفوا **Beavois** أنً هذا البرج كانت به حامية، قدرًها " بوفوا " بسبعين (70) مدافعا، يشرفون على ادارة و مراقبة محيط البرج، و الإشراف على سرية المدافع التي قدرها بـ ستة عشر (16) قطعة[2]وحسب ما نقله سعيدوني عن دفتر التشريفات، فإنً عدد المدافع بالبرج يصل الى ثمانية (8) قطع و خمسين رجلا يُشكّلون الحامية ، وتحت تصرفه ثلاث زمالات و هي التي كان يتكون منها مخزن عمرلوة.*[3]

يتمتع برج سباو بتنظيم هام يختلف عن بقية الأبراج، لموقعه من جهة، و لقربه من دار السلطان من جهة أخرى بـ87كم اذ يشتمل على طوابق.[4]

يذكر روبان في هذا المجال بأن هذا البرج يضم طابقين؛ فالطابق السفلي منه؛ محاطا بسور دفاعي و بداخله توجد مخازن للقمح و الشعير و الزيت و البارود، زد على ذلك ساحة يتجمع فيها الأسرى،أما الطابق الاول؛يحتوي على مكان مخصص لقائد البرج و دار الصناعة، و غرف الحراس، كما يحيط بالبرج اسطبل و مطحنة وورشة لصناعة الزجاج، بالإضافة إلى اسطبل الحيوانات.*[5]

تعرّض برج سباو إلى إصلاحات و توسعات و ترميمات سنة 1273هـ/1856م، حيث شيّدت حوله سور من جهة الجنوب والغرب والجنوب الغربي، ودعّمت بعدد من

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،140.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص، ص،179-180.

[3]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،205..

* للاطلاع انظر. Albert Devoulx, Tachrifat……p,39

[4]- رابح كنتور، المرجع السابق،ص،34.

[5]- Le Colonel Robin,Op,Cit,p,105.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج انظر Le Colonel Robin, Ibid, p,p 46-105.

الأبراج، وبنيت داخلها بنايات خاصة بالمؤونة، مخازن، ثكنات وإقامات للضباط ... إلخ.[1] **اللوحة(17))**

برج تازرارت(برج سباو القديم):

إن أول نقطة دفاعية اقيمت في هذه المنطقة هو برج تازرارت، يقع يمين نهر سباو و يقابل احد روافده المدعو وادي بن عيسى[2]، و شيّد ليكون مقر لقيادة سباو ونقطة لمراقبة المنطقة والسوق التي بجواره.[3]

يعتقدان أن برج تازغرت أو تازرارت كما جاء في بعض المراجع* هو أقدم تحصين اقيم بهذه الناحية[4]،و يطلق على هذا البرج تسمية برج سباو لموضعه الذي كان موجودا بالضفة اليمنى من واد سباو، بالقرب من سوق برج تازرارت[5]*. **اللوحة(17))** كان البرج عبارة عن مخزن شُيِّد لاستقبال حبوب و حيوانات الجباية،و بها مخازن للأعلاف.[6]وحسب المعلومات التي استقيت من قاضي عمراوة ، فإن قرية تيكوباين أو تيقوباين قد خرِّبت البرج في سنة 1127 هـ- 1128هـ/1715م- 1716م، أي قبل تاريخ بناء المخزن الذي شيده الأتراك العثمانيين سنة 1725م، وكان هجوم قبيلة

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،276.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

[3]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،274.

*انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص ،142 .

[4]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180.

* يذكر ساحي في بحثه عن الزواوة ان مخزن تزغرت تأسس قرب تيكوباين أو تيقوباين في سنة 1725م، و عيَّن عليه القائد سليمان. علي خلاصي، المرجع نفسه، ص،180.

[5]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

إبراثن بقيادة قائد تازرارت المدعو سليمان[1]، قد ألحق أضرارا كبيرة بعمارة هذا البرج، و نظرا للخلل الموجود في نظامه الدفاعي المتصل بعمارته وموضع إنشائه تخلّت عنه السلطة التركية وعوّضته ببرج سباو الجديد، في موضع مشرف بالجهة اليسرى من وادي سباو.[2]

إنّ آثار البرج المتهدم التي شوهدت أثناء الاحتلال الفرنسي تبين ان مساحة البرج كانت لا تتعدى 450 م،اذ ان قياساته لا تتعدى 30م x 15م، و جدرانه شديدة السماكة و الصلابة، كما ان فتحات المدافع و مزاغل السهام رتبت بعناية جيدة ، وبقيت اثارها ظاهرة الى فترة متأخرة من العهد الاستعماري الفرنسي.*[3]

- برج بوغني :

يسمى كذلك نسبة الى المكان الذي اسس فيه ، وواغني يعني المكان أو السهل الذي يقع في مكان عالي و بين الجبال[4]، و يذكر دوفوكس في التشريفات ان اصل التسمية يعني المكان المسطح العالي حسب التعبير البربري.[5]

يقع برج بوغني على المنحدرات الشمالية لجبال جرجرة، ويتوسط منخفضا يعبره وادي بوغني احد الروافد الجبلية العدية التي تنتهي عند نهر سباو، و هو بموقعه هذا يبعد الى الشرق من ذراع الميزان بـ 14كم، وإلى الجنوب الغربي من تيزيوزو بـ 33 كم،

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،274.

[3]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،180.

* للمزيد انظر كل من لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،142. و علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180

[4]- زيدين قاسمي، المرجع السابق،ص،90.

[5]- Albert Devoulx,Tachrifat…….p,353.

كما يمكن الوصول منه الى مصيف تلاغيلاف أو عين الدِّبِّ المتوحش(1500م) الواقع الى الجنوب منه بـ 20 كم.[1]

ارتبط تاريخ برج بوغني بالإدارة العثمانية ببلاد القبائل[2]، اذ يرجع تاريخ بنائه إلى نفس التاريخ الذي بني فيه برج سباو تقريبا*،ومن المعروف أنَّ بناء البرج قد تم من قبل القائد محمد بن علي المعروف بالذباح، وذلك حوالي عام 1136هـ/1724م، و جعله مقرا للقائد التركي العثماني بتلك الناحية، فتعاقب عليه العديد من القياد**،ورد اسم احد قياد بوغني وهو سيدي علي أو موسى التلمساني و بني خلفون، و بذلك ضل برج بوغني نقطة مراقبة عسكرية، بين عين الراوية و مشتراس و مركز ادارى، يتحكم في قبائل قشتولة و ايت صدقة و تزليوة و بني خلفون، و يحد من تحركاتهم التي بدأت تشكل خطرا على نفوذ البايليك بحوض سباو، منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي.[3]

كانت قيادة بوغني تتبع دائما لبرج او لقيادة سباو والذي تبع بدوره لمدة طويلة الى بيلك التيطري، وكان يحتوي على 04 صفوات تتكون الواحدة منها على 16رجل، و من قادة هذا البرج الذين اعتلوا عرش بايلك التيطري كمحمد بن علي المعروف بالذباح[4]، و اصبح برج بوغني في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أي منذ

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،208.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

* ففي إحدى العقود المؤرخة بشهر رمضان 1136هـ/1724م، نجد ان القائد محمد الذي كان قائدا على سباو و كلف قائد قاسم بن عيسى لتسوية قضية ارث عند اولاد سيدي علي اوموسن. و يذكر **روبان** ان هناك وثيقتان مؤرختان سنة 1137هـ–1137هـ/1724م-1725م، كتبت واحدة من طرف قاضي اولاد سيدي علي اوموسى، و الثانية من طرف قاضي بني خلفون، وتذكر احداهما ان سي محمد التلمساني هو ممثل الداي في البلاد، و قد اعطى له لقب نائب اوطان قشتولة، و في الثانية يعين كقائد لبوغني، وهذا ما جعل روبان يؤكد على ان برج بوغني كان موجودا في سنة 1137هـ/1724م. انظر كل من Le Colonel Robin,Op,Cit,p,144 و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،142.

ورد اسم احد قياد بوغني وهو سيدي علي أو موسى التلمساني و بني خلفون .انظر ناصر الدين سعيدوني،"الشبكة الدفاعية العثمانية.....**ص،208.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

1159هـ/1746م، مركز مراقبة الطريق الجبلي العابر لبلاد القبائل، والذي كانت تسلكه الحاميات العسكرية في أوقات السلم.*[1]

في عام 1234هـ/1818م، تعرض البرج الى تهديمه مرة اخرى عندما داهمه رجال قبائل قشتولة وايت صدقة لتتحول بناءاته إلى أنقاض، وأُعيد بناؤه للمرة الثالثة من طرف يحي أغا*قائد الجيش الجزائري، بمساعدة الشيخ محمد شيخ قبيلة أيت قاسمي الذي أصبح قائدا بحوض سباو(قائد عمارة الفواقة)عام 1235 هـ/1819م،وزود البرج بعدة مدافع و استقرت به الحامية العسكرية مجددا سنة 1239هـ/1823م،ووضعت تحت تصرف قائد حامية قبيلة ترليوة، التي برهن رجالها على اخلاصهم للبيلك، و أصبحوا متعاونين معه و أدمجوا في نظام المخزن.*[2]

بعد احتلال فرنسا لمدينة الجزائر سنة 1246هـ/1830م، وبعد انسحاب رجال الامير المعسكرون من برج بوغني، احتلت طلائع الجيش الفرنسي البرج، و استولت عليه بعد أن وجدته مهجورا و شبه مهدم، فقاموا بإعادة ترميمه و تنصيب حامية به، ثم جعله مقرا صالحا لإقامة الجند سنة1272هـ/1855م،والجدير بالذكر أنً مصاريف الترميم الضرورية، قد قدرًها الفرنسيون حسب معلومات أحد الضباط الفرنسيين الى ما يناهز ثلاثين (30) فرنكا، و قد ورد وصف دقيق لحالة البرج عند استيلاء الفرنسيين عليه، في إحدى الوثائق التي كتبها أحد الضباط الفرنسيين قائلا:" **إنه بناء مربع**

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،209.

* تعرض برج بوغني الى مهاجمة قبائل فليسة عدة مرات، ففي 18 شوال 1169هـ/ 16 جويلية 1756م ، تمكن رجال قبائل فليسة ام الليل من هدم تحصيناته و قتل حاكمه القائد محمد ، ثم اعيد بناؤه بعدما تمكن داي الجزائر الداي بابا علي الملقب ببوصبع، اخضاع القبائل الثائرة في حملة عسكرية على مواطنهم جهزها في 25 ذي القعدة 1169هـ/ 25 اوت 1756م، و المتكونة من محلة قسنطينة و الجزائر و تيطري، ولم تتمكن القوات العثمانية التي وجهت لإخضاع القبائل من إرجاع الامور إلى نصابها إلا في منتصف عام 1757م. أنظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه،209.

* حسب درياس توفي شنقا بالبليدة سنة 1827، للمزيد أيضا أنظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،142.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه، ص،142.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج و للاطلاع انظر كل من ناصر الدين سعيدوني ،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،208-211. ولخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه.....ص،142،وعلي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص، 180 .

الشكل يتميز بواجهته الاربعة مزودة بأبراج مربعة الشكل يمكن الوصول اليها عبر حواجز متدرجة الإرتفاع، حيث توجد فتحات لإطلاق النار".*[1] اللوحة(17))

- برج تيزي وزو:

يقع مركز تيزي وزو**وسط حوض سباو داخل بلاد القبائل، وأخذت تيزيوزو تسميتها من اللفظ القبائلي، فعرفت بممر القندول(**Col du genêt épineux**)*.

بني برج تيزي وزو بمكان مرتفع على انقاض آثار رومانية، وقد ساعده هذا الموقع على مراقبة المنطقة الشرقية وكل حوض سباو[2]، ولكن رغم هذه الميزة إلاّ أنّ الاعتماد عليه في العملية العسكرية كان محدودا، وذلك نظرا لطبيعة موقعه الجبلي.[3]

نشير إلى أنً تشييد هذا النوع من الاستحكامات كان من قبل محمد بن علي الذباح، و كانت به حامية من الجيش العثماني تتراوح بين ستين و خمسين رجلا، زيادة عن الزمالة التي كانت تساعده في التدخلات ضد القبائل، بالإضافة الى عدد المدافع التي تقوم بحراسة البرج*[4].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،210-211.

* للمزيد و للاطلاع اكثر عن وصف البرج انظر ناصر الدين سعيدوني، **"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،210-211.

** يحتل معبرا طبيعيا للمواصلات على شكل واد عريض يقدر طوله حوالي 03 كم عند سفح جبل بلة غير بعيد عن نهر سباو. و هذا ما جعل من موقع تيزي وزو محطة مراقبة للجهات الجبلية المحيطة بحوض سباو و نقطة اتصال بالبحر عن طريق ميناء دلس او بمدينة الجزائر عبر الطريق الطبيعي الذي يمر بذراع بن خدة و الثنية (ثنية بني عائشة). ناصر الدين سعيدوني، نفسه.

* نبات شوكي كان ينبت بكثرة في ذلك الممر الطبيعي الذي قامت عليه مدينة تيزي وزو(ممر القندول)، ومن الراجح ان يكون هذا الممر مكانا لموقع عسكري روماني كان يعرف باوبيدوOppidum)) و ذلك ما ذهب اليه البارون أوكبيتان(Baron Aucapitaine) من خلال سعيدوني في ملاحظاته حول موقع تيزي وزو؛ و اقام مكان هذا الممر حكام الجزائر العثمانية (الدايات)،معسكرا بسيطا حوالي 1640م، لتدعيم دفاعات برج سباو، ولم تلبث عمارة هذا المعسكر ان تطورت في الربع الأول من الثامن عشر (حوالي 1715م-1718م)، فتحولت الى بناء محصن يتميز بمتانة جدرانه. وقد عرف هذا الحصن لدى سكان تلك الجهات ببرج تازاغارت أو تازاررت كما ورد اسمه في بعض الكتابات. أنظر ناصر الدين سعيدوني، نفسه،ص،ص،211-213.

[2]- Louis Piesse, Op ,Cit , p,157.

[3]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،278.

[4]- Le Colonel Robin,Op,Cit,p,144.

كان برج تيزيوزو يحتوي على03 صفوات[1]، و قد استُغلَّ كمركز عسكريا رئيسيا في حملاته العسكرية على قبائل جرجرة، و جهات الساحل شرق مدينة دلس، فتأكدت أهميته العسكرية عندما صدمت تحصيناته هجمات القبائل الجبلية سنة 1181هـ/1767م، وهذا ما شجع قياد سباو فيما بعد تجديد بناءاته للمرة الثانية، فأصبحت أي تحصيناته تتميز بمتانة أسوارها و صلابتها و التي بلغت علوها ما بين خمسة و ستين (65) مترا، وانتشرت في اعلاه منافذ زودت بستة عشر(16) مدفعا، جلبت من حصون دلس.*[2]

نلج إلى البرج عبر مدخل يعلوه عقد، يؤدي إلى صحن مكشوف به بئر وتحيط به غرف لمبيت الحامية المرابطة به، والتي كانت تتشكل من 50رجلا، لينخفض عددها إلى 29رجلا سنة 1246هـ/1830م.[3]

بقي البرج مستعملا حتى بعد الاحتلال الفرنسي مع برج حمزة و برج منايل، حيث اعيد ترميمه في سنة 1268هـ/1851م، و عين به بلقاسم اوقاسي كباش، و بعد خمس (05) سنوات اصبح مقرا للقائد العام بتيزي وزو.[4]

تعرضت عمارة البرج في عهد "يحيى آغا" قائد القوات الجزائرية إلى الترميم، و استمر البرج في أداء دوره الدفاعي في الحقبة الاستعمارية، بعد أن أصلحه الجنرال "كوني" **Cuny** و كان ذلك في سنة سنة 1268هـ/1851م.[5] **(اللوحة (17))**

---

* لم يعرف هذا البرج تطورا حتى تولى قيادة سباو القائد محمد بن علي الفريرارا الذي خلف خاله حسين بن عثمان عام 1150هـ/1737م، فأولى عناية خاصة ببناءاته و توسيع برج تيزي وزو، واعادة بناء برج تزاغارت "ثازارارت" الذي يقع بين ثالة عثمان و عبيد شملال ، و الذي قام سكان عرش واقنون بهدمه عام 1129هـ/1716م. Le Colonel Robin,Op,Cit,p,144.

[1]- زيدين قاسمي، المرجع السابق،ص،92.

[2]- للمزيد انظر ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،212-213.

* للاطلاع اكثر انظر للمزيد انظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص،ص،211-215.

[3]- Rinn Louis,Op,Cit,p,143.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

[5]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق ، ص،278..

- برج شرشال:

بعد ربط مدينة شرشال بالجزائر سنة 922هـ/1516م قدم عروج إلى شرشال فحررها، ثم رجع الى مدينة الجزائر« **بعد تحصينها و اقام بها قلعة ذات شان**»، ثم تواها دوريا **André Doria** سنة 9371هـ/1530م بعشرين (20) سفينة، عليها ما يزيد من 1500 من أحسن المهاجمين، ففر سكان شرشال و بقيت القلعة تقاوم في انتظار وصول المدد[1]، و تمكن المدافعين من استرجاع المدينة بعد تنظيم هجوم كاسح، لاستغلالهم فرصة انشغل جيش دوريا بأعمال النهب و السلب فتمكن هؤلاء المدافعون من القضاء على ما يزيد عن 1400 جندي،و عندما وصل خيرالدين على رأس الأسطول وجد دوريا قد غادر المدينة مهزوما.[2]

بني برج شرشال من طرف القائد محمود بن فارس التركي سنة 924هـ/1518م[3] بأمر ن القائد التركي" عروج بن يعقوب"واتضح ذلك من خلال لوحة تأسيسية تذكارية مثبتة أعلى مدخله، من خلال حفرية حسب ستيفان جزال **Stéphane Gsell** ، أُجري في الموقع سنة 1348هـ/1926م ، وهي محفوظة حاليا بالمتحف الوطني بشرشال[4]، و لقد تم بناءه بمساهمة الجند **الأتراك العثمانيين والأهالي.***[5]

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،190.

[2]- توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا.....ص،222.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،138.

[4]- Stéphane Gsell , Cherchell antique, Iol Césarea, Paris, 1952, P, 31 .

[5]- Adrien Berbrugger **« Le fort de Cherchell »** in Rev-Afr,1865,p,p,205.

* للمزيد اكثر عن البرج انظر سعاد بن شامة، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري- شرشال – البليدة – القليعة- و مظاهر التمدن الاندلسي فيها، دراسة وصفية تحليلية أنموذجية، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة بزريعة 2، معهد الاثار،2014-2015 ،ص،ص،89-93.

استطاع هذا القائد العثماني ان يدعم دفاعيات المدينة ضد الغزوات الاجنبية خاصة حملة اندري دوريا **André Doria** سنة937هـ/1530م[1]. وقد وجدت كتابة تذكارية مثبتة حسب الدكتور درياس على باب البرج.[2]

للإشارة؛ فإنّ هذه اللوحة الرخامية مربعة الشكل نقشت عليها كتابة عربية منفذة عن طريق الحفر البارز وبخط نسخ مغربي، وجاءت موزعة على ستة أسطر متوازية.* [3]

نجد وصفا لمدينة شرشال ببرجها في التقرير البحري العسكري و السياسي حول الساحل الإفريقي الذي اعده كل من **Lanfereducci** و **Bosio** لحاكم مالطة سنة هـ/1587م، حيث يشير هذا التقرير الى اهمية هذه المدينة بدفاعاتها ورجالها خاصة المدفعية الى تتوفر فيها.[4]وهي محفوظة حاليا بالمتحف الوطني بشرشال.

– الاستحكامات الدفاعية لبيلك الشرق و الطرق السلطانية:

يضم بايلك الشرق مجموعة من الابراج و الطبخانات موزعة حول المدن الرئيسية و اسوارها خاصة الساحلية منها بالإضافة الى الطرق السلطانية.**(الخريطة (06))**

1– تحصينات بيلك الشرق

من تحصينات المدن الرئيسية لبيلك الشرق وأسوارها نذكر أهمها: **(الخريطة (06))+ اللوحة(18))**

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،138.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

[3]- Gabriel Colin, Op,cit., P, 11-12

* و عن الكتابة التأسيسية للبرج انظر كل من Gabriel Colin, Op,cit. P, 11-12، و لخضر درياس، المدفعية الاطروحة..... ...ص،138.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، المرجع السابق.

تحصينات مدينة قسنطينة:

تتربع مدينة قسنطينة فوق صخور وعرة تحيط بثلاثة أرباعها ، و في سفحها يجري وادي الرمال (بومرزوق) الذي يمر بجهاتها الجنوبية و الشرقية و الشمالية في اتجاهه نحو الشمال الغربي، و لذلك فهي محصنة طبيعيا*، بغض النظر عن أسوارها*، وللمدينة أربعة أبواب ،أحدها في الشرق و يدعى باب القنطرة و تنتهي إليه طرق الساحل الشرقي، محصن بطبخانة و تضم ستة(06) مدافع، أما الأبواب الثلاثة فتقع في الجنوب الغربي،و يبعد الواحد منها عن الآخر بحوالي مائتي خطوة، وهي على التوالي باب الرحبة في الغرب، وقد أصبح يعرف أثناء الاحتلال الفرنسي باسم الباب الجديد، و يقول عنه شلوصر بأنه تحرسه طبخانة تحتوي على خمسة مدافع، وفي الشرق نجد باب الجابية وما بين الاثنتين يقع باب الواد، ومن بين الأبواب الثلاثة بطاريات المدافع التي تضم أربعين مدفعا لحراسة المدينة من أي هجوم.[1]

في أعلى الصخور المقاومة للمدينة، يقوم حصن القصبة* الذي يشرف على الباب الجديد و باب القنطرة، متربعا على مساحة تقدر بـ مساحة القصبة و نصف، وتعد المقر الاساس للحامية العثمانية بالمدينة تحرسها ثمانية مدافع حسب هيبوليت من خلال درياس وواحد و عشرون حسب بوايي **Boyer** حسب المعلومات التي استقاها من القائد ابراهيم.[2]

---

* عن تاريخ قسنطينة و عن وصفها انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،151-152، و شلوصر فندلينن، قسنطينة أيام احمد باي،ص،ص،74-75،و عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني- دراسة عمرانية اثرية- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر02 ، 2009-2010،ص،ص،65-268.

* للمزيد عن أسوار قسنطينة أنظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،152-154، و عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص،ص،65-268. و كذا محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،ص،306-309.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،161. أنظر أيضا عبد القادر دحدوح، المرجع السابق. و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،ص،306-314.

* انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق ، ص،ص،315-316.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،162-165.

برج المنصورة:

يبني هذا البرج في أوائل العهد العثماني ، وذلك بسبب هجومات الأعراب على الحامية التركية بالمدينة، و قد تعرض لعدة هجومات خاصة هجوم مراد باي بوبالة سنة 1112هـ/1700م، و تتكون أسلحته من أربعة هاونات، في حين يشير بوايي من خلال درياس استنادا الى المعلومات التي استقاها من القائد ابراهيم، بأن البرج كان مسلحا بخمسة عشر(15) مدفعا. وهكذا يمكن القول بأن مجموع المدافع التي كانت تحرس مدينة قسنطينة أثناء الاحتلال الفرنسي تبلغ تسعا و ستين (69) مدفعا، زيادة عن الحامية من الجيش العثماني التي يبلغ عدد افرادها الى تسعمائة (900) كتيبة.*[1]

تحصينات مدينة بجاية:

كانت مدينة بجاية في بداية القرن العاشر الهجري/الموافق لبداية القرن السادس عشر الميلادي، من أهم المدن الساحلية بالجزائر واغناها*، إذ عمدت إلى تسليح العديد من السفن الحربية المختلفة وإرسالها الى غزو الشواطئ، من ثم اعتبر هذا العمل من الاسباب التي دعت اسبانيا، لاحتلال المدينة سنة 915 هـ/1510م،

---

[1]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

* للاطلاع اكثر انظر لخضر درياس، نفسه،ص،ص،161-165. علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،157، و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،ص،317- 318 .

*عن تاريخ بجاية انظر كل من الإدرسي، وصف افريقيا ،ص،63،و الوزان، وصف افريقيا ،ج2،ص،50. روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 م إلى نهاية القرن 15 م،ج1، ترجمة : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1988، ص،410.

ورغم المحاولات التي بذلت لاسترجاعها إلا انها بقيت في يد الإسبان حتى سنة 963 هـ/1555م، و هي السنة التي استولى عليها صالحرايس، وركز بها حامية من الجند العثمانيين بعد تحصينها و تزويد ابراجها بالمدفعية[1] و أهم هذه الابراج. **اللوحة(18))**

برج موسى fort Barral

يحتل برج موسى موقعا مرتفعا مقارنة بالبنايات العسكرية الهامة داخل أسوار المدينة مثل القصبة و برج سيدي عبد القادر، هذا الخط الدفاعي الذي يمثل إلى يومنا هذا النقاط المرجعية لمسار سور المدينة خلال الفترة الإسبانية والتركية، انطلاقا من القصبة في الجنوب الغربي مرورا ببرج موسى في الشمال، وينتهي عند برج سيدي عبد القادر في الجنوب الشرقي.[2]

شيد من طرف الاسبان في بداية القرن العاشر الهجري/لبداية القرن السادس عشر الميلادي على أنقاض قصر النجمة، وكان البرج الأول الذي سقط في يد صالحرايس قد اعترته كثيرا من التعديلات، سواء في العهد العثماني أو الفرنسي. [3]

اتخذ برج موسى حسب بوطبة شكلا مستطيلا، ويتكون من طابق واحد بأربعة واجهات[4]، اما الدكتور خلاصي فيشير الى وجود اربع طوابق؛ طابق ارضي و ثلاثة طوابق.*[5]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،165.

[2]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،340.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،ص،165-166.

[4]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق،ص،342.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،141.

* للمزيد أيضا عن وصف البرج أنظر علي خلاصي، المرجع نفسه، ص،ص،140-145. وأنظر أيضا محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،340-344.

يتوج الواجهة الشمالية منها برجان منتظمي البناء، متناظران ومتماثلان من حيث الشكل والمقاسات التي تتراوح من الداخل ما بين 8.90 م و11.20م، أما ارتفاع البرج فيصل الى 10.80م.[1]

تكمن قوة البرج في سمك جدرانه التي لا تقل عن02 م و المسلحة بعدد من قطع المدفعية، حسب ما تظهره الفتحات الموزعة في مناطق مختلفة من هيكله.[2]

كانت تتكون أسلحة البرج عند دخول القوات الفرنسية الى بجاية، من أربعة مدافع يشرف على إدارتها أحد القادة برتبة بولكباش مع حامية من 16 الى 20 جندي يقوم على خدمتها.[3]

و بعد احتلال المدينة من طرف القوات الفرنسية في سبتمبر1249هـ/1833م، حوّل إلى ثكنة للجيش الفرنسي[4]، ثم حُوِّل بعد ذلك الى برج في سنة 1267هـ/ 1850م ، وأطلق عليه اسم" برال" **Barral** نسبة الى الجنرال الفرنسي" برال" **Barral** الذي قتل بـ" ببني حيمل" اثناء احتلال المدينة ودفن بالواجهة الشمالية له من الداخل.[5]

اللوحة(18))

برج سيدي عبد القادر:

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،141.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،342.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،141.

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،342.

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،165.

يحتل برج* سيدي عبد القادر مكانا استراتيجيا هاما، اذ كان يحمي قصر اللؤلؤة في العصر الحمادي، ثم اختاره الاسبان لغلق جدار التحصين من الجهة الشمالية للمدينة التاريخية.[1]

يعد هذا البرج الوحيد الذي كان موجودا بمدينة بجاية أثناء الاحتلال الاسباني سنة 915هـ/1510م،غيرأنً الاسبان قاموا بتجديده، و جعلوا منه أحد الحصون المهمة بالمدينة.

شيّد البرج على أنقاض برج حمّادي، وموقعه جعله يحتل مكانة استراتيجية هامة بالواجهة البحرية الشرقية للمدينة، حيث يشرف على مرسى سيدي يحيى وعلى رصيف الشحن بالناحية الغربية له، كما أنّ المتتبع لمسار السور الإسبانية والتركية والفرنسية يلاحظ أنه نقطة مرجعية ثابتة لبداية السور من الناحية البحرية.[2]

يعود تاريخ استغلال موضع برج سيدي عبد القادر إلى الفترة الحمّادية،وعند احتلال بجاية من طرف الإسبان شيّدوا مكانه برجا بإشراف قائد الحملة "بيدرو نافارو" تحت اسم برج البحر، وبعد الحملة الفاشلة لشارل الخامس على مدينة الجزائر، اتجه إلى بجاية باعتبارها قاعدة عسكرية إسبانية إلى جانب مدينة وهران بشمال البحر الأبيض المتوسط، وذلك لاسترجاع أنفاسه، ولقي البرج* إثر ذلك إضافات في دفاعاته بأمر من الإمبراطور نفسه،وعند فتح الأتراك للمدينة، واصلوا الاعتماد عليه للدفاع عن بجاية، خاصة من الواجهة البحرية، حيث كانت ترابط فيه حامية، تتمثل في الكاهية

* يعرف البرج أيضا باسم برج البحر حسب روبار برنشفيك ، و في مذكرات الجنيرال رشيد، ذكر باسم برج المرابيط خلال القرن الحادي عشر الهجري/ للقرن التاسع عشر الميلادي. انظر كل من الجنيرال رشيد، رحلة الجنيرال رشيد الى الجزائر سنة 1847،تحقيق و تقدي؛ الشيباني بن بلغيت، ط1،مكتبة علاء الدين، صفاقص، تونس، 2007،ص،24. و روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ص،415.

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،143.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،ص،342.

* بعد احتلال المدينة من طرف القوات الفرنسية، وأصل الفرنسيون استغلاله على عهد سابقيهم، إلا أنّه مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري و بداية القرن الرابع عشر الهجريين/ لنهاية القرن التاسع عشر ميلادي، وبداية القرن العشرين، فقد دوره الدفاعي وحوّل إلى سجن للأهالي وحاليا هو ملك للقوات الجزائرية. لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه....ص،166.

وستة عشر جنديا. و عرف البرج صمودا قويا خاصة اثناء هجوم رايس امام المهاجمين لمدة خمس (05) أيام، و بعدها عدل و رمم من طرف العثمانيين. ولقد كانت أسلحته أثناء الاحتلال الفرنسي بجانب الطبخانة الموجودة بجانبه تبلغ 20 مدفعا.[1]

يتخذ البرج شكلا شبه مستطيل ممتدا بشكل طولي على الرصيف الشرقي لميناء المدينة، تبلغ مقاساته بـ 56 م طولا x 18 م عرضا.

يظم طابق تحت الأرض، وهي عبارة عن مخازن ضيقة مسقوفة بسقف أسطوانية، يعلو هذا المستوى طابق أرضي مقسم إلى أربعة غرف تتسع لإقامة 50 رجل، أما عن تسليحه، فكان يضم 15 فتحة للمدفعية موزعة على واجهاته بالشكل الآتي: ثلاثة موجهة نحو رصيف الشحن، وثلاثة نحو الجبل وأربعة باتجاه المرسى وخمسة صوب خليج سيدي يحيى، حيث يوجد الميناء البترولي حاليا و اشار شارل فيرو أنّه عند الحملة الفرنسية على المدينة كان مسلّحا بالإضافة إلى بطارية سيدي أحمد الملحقة به بعشرين (20) مدفعا.*[2]

القصبة:

شيّدت قصبة بجاية على هضبة معتدلة الارتفاع مقارنة بمعظم التحصينات المعاصرة لها وهي تشغل الركن الجنوبي الغربي للمدينة[3]*، و قد بنيت هذه القصبة

---

[1]- لخضر درياس، لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،166..

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،345-346.

* للاطلاع اكثر عن هذا البرج انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،143. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،344-346.و. Louis Piesse ,Op ,Cit,p,376

* كانت تحدّ قصبة بجاية من الغرب دار الصناعة، وهي تمثل جانبا من سور الواجهة البحرية في نفس الوضعية مع باب البحر في الجهة الغربية منها. انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،125-132. و محفوظ محفوظ ،المرجع السابق، ص، ص،332-342. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني.....ص، ص،186-187.

من طرف الموحدين.**

تواصل استغلالها من طرف القوات الفرنسية بعد احتلالها المدينة سنة1249هـ/ 1833م، وقد ذكر الجنرال رشيد في مذكراته عند زيارته مدينة بجاية في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن 19 م، و من مجمل ما أقاموا بها، إضافة إلى الإسطبل ودار البارود، ثكنة لسلاح الهندسة زد على ذلك مخزنتين لتغطية حاجيات الجند الذين كان يقدّر عددهم بـ5000 جندي.[1]

تحصينات مدينة عنابة:

إنً التحصين الطبيعي الذي تتمتع به مدينة عنابة، والمتمثل في البحر المتوسط في الشمال، و كتلة الجبال الايوغ بالجهة الغربية والجنوبية لم يمنع الحكام عبر مختلف الفترات الاسلامية على تحصينها اصطناعيا تحسبا لأي هجوم اجنبي بحكم موقعها الاستراتيجي.[2]

اختلفت مدينة عنابة خلال العهد الاسلامي بنماذج من العمارة الاسلامية بشمال افريقيا عبر العصور.*

---

[3]- محفوظ محفوظ، المرجع السابق،ص،332.

**تعرضت قصبة بجاية عبر العصور المتتالية الى كثير من التحويرات خاصة تلك التي وقعت في بداية القرن العاشر الهجري الموافق لبداية القرن السادس عشر، و عن مدى القوة الدفاعية التي كانت تتمتع بها، يقدم لنا مارمول من وصفا هاما عن ابراج المدينة خاصة برج البحر، وبرج موسى و القصبة، و عن هذه الاخيرة يقول فيرو بأنها اي القصبة مبنية بالآجر الأحمر فوق أسس البنايات المحصنة و التي كانت تحمي الميناء في العهد الروماني ، و قد عرفت القصبة اصلاحات خاصة بعد احتلال المدينة سنة 916هـ/1510م من قبل الاسبان، وقد حرص قائد الحملة" بيترو نافارو "على تحصينها، وحظيت القصبة بنصيبها من ذلك، و تعرضت للمرة الثانية لإصلاحات جديدة من طرف " شارل الخامس" خاصة عند زيارته للمدينة سنة 952 هـ/ 1545م، وعندما فتح الأتراك العثمانيين مدينة بجاية بقيادة " صالح رايس" سنة 969هـ/ 1555م، كانت القصبة آخر معقل للإسبان بالمدينة بعد أربعة وعشرين يوم من الحصار، دخلها الأتراك العثمانيون وتركوا بها حامية من 28 رجل. وعن اسلحة هذا البرج فكانت تتكون من تسعة قطع من المدفعية. انظر كل انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،125-132.و محفوظ محفوظ ،المرجع السابق، ص،ص،332-342. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني.....ص، ص،186-187.

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،ص،332- 340

[2]- رزقي فهيمة ،" **الاستحكامات العسكرية بمدينة عنابة حصن المعذبين انموذجا** "، دراسات تراثية ،مجلة علمية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، اعمال الملتقى الدولي – النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني، ج2،العدد،05، عدد خاص، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر2، الجزائر، نوفمبر 2014، ص،436.

* اشارت المصادر التاريخية الى تاريخ عنابة امثال البكري (القرن 5هـ/11م) و البلوي (القرن8هـ/14م) و حسن الوزان (القرن 10هـ/16م)، بالإضافة الى المؤرخ و المستشرق الاسباني مارمول كربخال (القرن10هـ/16م)،ان استحكاماتها العسكرية تعود الى فترة حكم الحماديين و الحفصيين و العثمانيين و خلال هذه الفترة بالتحديد التي تعتبر فترة انتقالية من الحكم الحفصي الى الحكم العثماني. انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،166-167. رزقي فهيمة، المرجع السابق ،ص، ص،436-448، و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص، ص،371- 374 .

عن أسوار عنابة؛ تعد من اهم تحصينات هذه المدينة، وبناءا على النصوص التاريخية السابقة فإن تاريخ تشييدها يعود الى القرن الرابع الهجري/ للقرن العاشر الميلادي، وتعرضت الى التجديد في القرن الخامس الهجري/ للقرن الحادي عشر الميلادي خلال الفترة الحمادية في عهد الأمير عبد الناصر بن علاء الناس، وذلك نتيجة الأوضاع الأمنية المضطربة التي كان يعيشها المغرب الأوسط والأدنى بفعل غزو بني هلال لهما.**[1]

خلال الفترة الحفصية تم بناء قلعة على الهضبة الواقعة بالجانب الشرقي للمدينة، و قد احاطوها بأسوار سميكة فأصبحت بذلك الجهاز الاساسي للدفاع عن المدينة، و بهذه القلعة استقرت الحامية العسكرية التركية سنة947هـ/1540م، بعد أن أخرج منها عامل شارلكان الميركيز مندخوالي ، و احتل المدينة سنة 942هـ/1535م.[2]

أثناء الحكم العثماني عملت الحامية بتحصين القلعة و المدينة، بسلسلة من الأبراج و الحصون نذكر من بينها؛ حصن القصبة*والحصن أو الجنوي (البلارج)*الذي شيد سنة947 هـ/1540م،و حصن الخروبة*،زد على ذلك برج القصرين.[3]*

---

[1]- ابو عبد الله البكري، المصدر السابق، ص،55.

** خلال الفترة الحفصية تم بناء قلعة على الهضبة الواقعة بالجانب الشرقي للمدينة و احاطوها بأسوار سميكة فأصبحت بذلك حسب عبد القادر الجيلالي في كتابه " تاريخ الجزائر العام" الجهاز الاساسي للدفاع عن المدينة ، و بهذه القلعة استقرت الحامية العسكرية التركية سنة 947هـ/ 1540م، بعد ان اخرج منها عامل شارلكان الميركيز مندخار الي احتل المدينة سنة 942هـ/1535م. انظر كل من ابو عبد الله البكري، المصدر السابق،ص،55.و علي خلاصي، القلاع و الحصون....ص،ص،166-167. رزقي فهيمة، المرجع السابق ،ص، ص،436-448، و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،ص،371- 374 .

[2]- عبد القادر الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، طبعة جديدة، بيروت، 1980، ص،200.

* للاطلاع اكثر انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،353-365.

* كان البرج يعرف عند البعض بالحصن الجنوي، نسبة إلى الجنويين الذين شيّدوه، وعند البعض الآخر ببرج البلارج نسبة إلى المتا رس الذي ينتهي به البرج وله شكل منقار اللقلق، ويرى آخرون منهم سبب التسمية في ارتفاعه أو لبناء هذا الطير عشه عليه. انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص. 165. و انظر ايضا محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،366-367.

*عن حصن الخروبة انظر محفوظ محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص، ص،367-371. أنظر أيضا علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،165-170.

* يقع بالقسم المتصل بالسور الجنوبي و تربط بين طبانة القلعة و طبانة المعدومين التي تتكئ على السور الشمالي. شيّد بأعلى المنحدر الصخري المطل على الواجهة البحرية بالركن الشمالي الشرقي لمدينة عنابة، بالقرب من باب المقابر أسفل مستشفى ابن سينا. يعرف باسم برج المعذبين أو المعدومين لأنه اتخذ كسجن للمحكوم عليه بالإعدام خلال الحرب العالمية الثانية. انظر رزقي فهيمة، المرجع

نظيف الى هذه التحصينات؛ الأبواب، كذا الطبخانات الجديدة منها طبخانة القصبة قرب مسجد سيدي ابي مروان، و طبخانة المقابر الملاصقة لبرج المعدومين في السور الشمالي، و طبخانة السور الجنوبي أو باب قسنطينة التي يعتبرها فيرو من أكبر الطبخانات تجهيزا و أقواها.[1]

أما الأسلحة التي كانت تحتوي عليه هذه الحصون؛كلها حسب معلومات استقاها بواي من القائد ابراهيم فتبلغ 28 مدفعا، في حين يذكر فيرو أنً أسلحتها أثناء الاحتلال الفرنسي كانت مائة و خمسون مدفعا.[2]

تميزت أغلب هذه التحصينات بشكلها القريب من المستطيل، محصنة بأسوار ذات بريجات و ثلاثة ابراج عالية، تتخللها كوات للمدافع و فتحات للبنادق، تشبه إلى حد بعيد المدافع الضخمة، من نوع الثعبانيات (**Coul-oeuvrines**) مغروسة في الأرض، لكن هذا التحصين الذي يبدو هاما في القرن السادس عشر الميلادي، و بدأ يتراجع في العهد العثماني أمام التقنيات الحديثة، خاصة بعد ان امتلأت خنادقها بمرور الزمن بالأوساخ بسبب الإهمال. كما أنً الترميمات العثمانية التي جرت عليها عدة مرات لم تكن مطابقة للوصف، وهو ما جعلها تفقد اهميتها شيئا فشيئا ألى وقت الاحتلال الفرنسي الذي ازيل السور و البرج المقابل للمدينة في سنة1270هـ/ 1853م.[3] **اللوحة (18))**

تحصينات مدينة بسكرة:

السابق،ص،439. وللمزيد عن هذا البرج انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....، ص،ص،166-167. رزقي فهيمة، المرجع السابق ،ص، ص،436-448، و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص، ص،371- 374 .

[3]- أرزقي فهيمة، المرجع السابق،ص،439.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،167.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،167.

شيّدت مدينة بسكرة على الضفة اليمنى لواد القنطرة[1]، وهي من أهم المدن الصحراوية التابعة للإيالة الجزائرية، لكثرة خيراتها والموقع الهام الذي تحتله كمنطقة بين التل والصحراء، وقد خضعت للسلطة التركية في عهد " **حسن بن خير الدين باشا**".[2]

تعد مدينة بسكرة من أجمل المدن الصحراوية عاصمة الزيبان*[3]،إذ تتكون دفاعياتها من برجين مسلحين بثمانية عشر مدفعا حسب معلومات القائد ابراهيم، بينما يذكر شاو **Shaw** أنً المدينة لا يوجد بها سوى برج واحد مسلح، بستة مدافع و بعض المكاحل الموضوعة على العجلات،زيادة عن بعض قطع المدفعية الخاصة بالميدان و المستعملة عند التدخلات لدى القبائل.*[4]

2- أبراج الطرق السلطانية الشرقية:

من المعروف أن دار السلطان كانت ترتبط بباياليك الشرق بثلاث طرق رئيسية تمتد من الغرب الى الشرق (بحكم ان عاصمة الدولة)،تقع في غرب البايلك فالطريق الاولى؛ الطريق البحرية كانت تربط ميناء الجزائر بموانئ دلس و بجاية جيجل و عنابة و القالة وكانت تنقل عبره خاصة القوات التي تجهز لصد الحملات أو لإخماد الفتن، كما كانت تؤمن الملاحة الدولية.*

---

[1]- عبد الحق معزوز،" **مدينة ميلة الإسلامية بين النصوص التاريخية والآثار المادية**" ،دراسات تراثية، العدد،02،مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر02،الجزائر،2008،ص،200.

[2]- مارمول كاربخال، المصدر السابق،ص،168.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،183.

* تعد احدى القواعد العسكرية العثمانية على حدود بلاد الجريد، اتبعت في تحصيناتها نمط القصور الصحراوية. علي خلاصي، المرجع نفسه.

[4]- Dr Shaw Thomas,Voyage dans la Régence……..p, 180.

* للاطلاع اكثر عن تحصينات مدينة بسكرة انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون...ص،183.و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،170. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،.388- 390.

* للاطلاع أنظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،175.

أما الطريق الثانية وهي الطريق التلية أو الداخلية الاولى حكم هذه الطريق كانت تربط مدينة الجزائر بمدينة بجاية على الخصوص، و كانت تحت اشراف و حماية شيوخ القبائل و تحرسها حاميات دائمة، ونظرا لطول هذه الطريق فإنً القوافل و المارة كانوا يخضعون لأمان المرابطين من مدينة جيجل حتى مدينة الجزائر خوفا من قطاع الطرق. وبالنسبة للطريق الثالثة؛ و هي طريق الهضاب التي نمتد من ثنية بني عمران الى حمزة و البيبان فرج بوعريرج سطيف قسنطينة عنابة و القالة، اي انها اطول طريق كانت تعتمدها قوافل الحجيج و التجارة و لهذا نجد بها حاميات و استحكامات هامة.[1]

يعود تاريخ انشاء هذه الاراج، إلى فترة تأسيس بايلك الشرق سنة975هـ /1567م، قصد تامين المواصلات بينه و بين دار السلطان، و قد كانت الطريق التي تربطه ذات مسلكين؛ فالأول يمر بوادي الزيتون وبن هارون و حمزة و البيبان و مجانة، و هذه هي التي سلكها بايصونال في سنة 1138هـ/1725م، و ديسفونتان في 1200هـ/1785م،و الثانية تشمل ثنية بني عائشة، شعبة الاحمر، تاشنتيرت، بن هارون و حمزة وونوغة ، و لأجل ذلك أقيمت أراج في كل من برج منايل و سور الغزلان و حمزة و برج بوعريرج، و برج مجانة و برج زمورة. و الملاحظ أنً هذه الاراج كانت حامياتها ذات عدد محدود تكفي فقط للدفاع عن البرج، أما التدخلات فقد كانت تقوم بها قبائل الزمالة، المخزن وأهم هذه الاراج:[2]

برج بوعريرج :

شيّد على صخرة مرتفعة ووعرة على أنقاض آثار رومانية، وقد أكسبه موقعه الأولوية الدفاعية، وذلك لارتفاعه ومنح المدافعين القدرة على استهداف العدو من كلّ

---

[1]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص،170.

الجهات بشكل دائري، وهذا أمر مستحب ويوصى به في اختيار مواضع إنشاء العمائر الدفاعية.[1]

يقع على بعد حوالي 86كم غرب مدينة سطيف،و يحتل موقعا ملائما لمرور لقوافل المتجهة نحو المسيلة[2]،و يعد هذا البرج من أعمال حسن بن خير الدين باشا بناه هذا الاخير اثناء حربه لأمير قلعة بني عباس عبد العزيز سنة 966هـ/1559م، مهمته مراقبة الطريق السلطانية الرابطة بين بايليك الشرق ومقر دار السلطان،والإشراف على جميع الضرائب من القبائل المجاورة، زيادة عن كونه يعتبر أحد المراكز الهامة على الطريق الرابط بين الجزائر و قسنطينة.*[3]

برج مجانة و زمورة:

يقع برج زمورة على ارتفاع 955م بجوار وادي شرطيق على إحدى منحدرات جبل القرقور التي تكسوها غابة اولاد رزوق الجميلة، و هو بهذا الموقع لا يبعد عن مدينة برج بوعريريج الا بـ34 كلم ، كما أنه غير بعيد عن أنقاض المدينة الرومانية سيرتي **Sertei**. *[4]

يشكل برج زمورة حلقة مهمة في إطار التنظيمات الادارية و العسكرية، التي اعتمدها حكام الجزائر العثمانية منذ القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، تقوم على إنشاء مجموعة من الأبراج و الحصون، لمراقبة بلاد القبائل الواقعة الى

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،392.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،182.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص،170.

* للمزيد عن هذا البرج أنظر كل من لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص ،170. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص، 392-394.

* تعرف مينة سيرتي بخربة القدرة و قد اشتهرت حسب الدكتور سعيدوني بفسيفساء ابريشيتها المسيحية Episcopale (القرن الخامس الميلادي)، و مع انقراض هذا المركز العمراني الروماني، ظلت الزياتين تغطي سفوح تلك المرتفعات ، فعرفت لدى السكان بزمورة التي تعني في اللسان المحلي البربري الزيتونة لكثرة زياتينها و جودة زيتها. انظر ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....ص،193

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

الشرق من مدينة الجزائر، فكان برج زمورة ضمن هذه الخطة العسكرية، بمثابة القاعدة الموجهة لمراقبة الجهات الجنوبية الشرقية لبلاد القبائل.[1]

شيد من طرف بيلرباي الجزائر الباشا حسن بن خيرالدين الملقب بحسن قورصو خلال فترة حكمه الثانية(965هـ/975هـ/1557م-1567م)سنة966 هـ/1559م[2]،بعد أن فرغ من بناء برج مجانة كانت مهمته الأشراف على الطريق السلطانية، و لأجل السيطرة على القبائل، و لتامين عملية جمع الضرائب المترتبة على القبائل و الأوطان المجاورة، مثل الغرامة الخطية أو المعونة،و يشير مرمول من خلال بربروجر **Berbrugger** بأن مادة البناء التي استعملت في عملية بنائهما كانت من الحجر.[3]

يشير الدكتور درياس بأن الباشا حسن بن خيرالدين، ترك بهذين البرجين حامية يبلغ عددها 400 جندي، لكن بمجرد مغادرته الناحية هجم عليهما الأمير عزيز و هدمهما، بعد أن أخذ عدد من المدافع بهما التي غنمهما حسن بن خيرالدين من مستغانم ، ولكن بعد انتهاء الحرب أعاد الأتراك العثمانيين بناءهما، و استمرا قائمين الى غاية الغزو الفرنسي ، حيث أديًا دورا كبيرا في السيطرة على القبائل التي كانت تنزع للانفصال دائما.و عليه كانت فكرة تطويق منطقة مجانة و زمورة بهاذين البرجين أمرا لا مفر منه لتأديب القبائل أحيانا، عن طريقة الحملات العسكرية.*[4]

برج حمزة (بويرة حاليا):

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، نفسه.

[2]- نفسه،ص،194.

[3]- Adrien Berbrugger, Les époques militaires Les époques militaires de la Grande Kabylie , Paris ,

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،171.

* للمزيد اكثر عن البرجين انظر كل من ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....193-195. و علي خلاصي، القلاع و الحصون.....، ص،182. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،391-395.

يمثل هذا البرج من أهم المراكز الاستراتيجية ، على الطريق الرابطة بين بايلك الشرق و دار السلطان، و نقطة إلتقاء الطريق السلطانية المتجهة نحو بايلك الشرق، و الطريق السلطانية المتجهة نحو جنوبا نحو بسكرة و سور الغزلان، و يحمي وطن بني جعد و مداخل بايلك التيطري[1]. يقع برج حمزة المعروف قديما بسوق حمزة* و الذي يحمل اليوم اسم البويرة بالسهل يحمل اسمه (سهل حمزة) غير بعيد عن سلاسل جبال جرجرة على الطريق الرئيسي الرابط بين مدينتي الجزائر و قسنطينة، و قد أقيم هذا البرج على إحدى الهضاب المتوسطة الارتفاع حوالي 525م، المحاذية لوادي الدوس أحد روافد وادي الساحل(الصومام الاعلى)[2]، على الضفة اليمنى لوادي الزيتون.[3]

يعود تاريخ بنائه الى الى النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، تعرض لعدة هجومات من طرف القبائل اهمها، تلك التي وقعت في سنة 1189هـ/1775م، و بذلك دعًم هذا البرج بالكراغلة الذين استقروا بوادي الزيتون ، عقب انتفاضتهم او انقلابهم الفاشل سنة1038هـ/1628م، و تحطيمهم لمصنع البارود بقصبة مدينة الجزائر، كذا تنظيم قبيلة عمراوة المخزنية، التي كانت تتحكم في طريق دار السلطان – بجاية. وبالتالي تخفيف العبء عن برج حمزة، كما أعيد ترميمه بعد الهجمة التي شنتها بعض القبائل سنة 1189هـ/ 1775م.[4]

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....، ص،181.

* يعود تاريخ تأسيس سوق حمزة الى الفترة الاسلامية الاولى(النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي، عندما اتخذه حمزة بن الحسن بن سليمان العلوي سكنا له و مكانا لإقامته. للاطلاع اكثر عن هذا السوق انظر ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....ص،196.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....196.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،171.

[4]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،181.

أما اسلحة هذا البرج؛ فتشير إحصائيات الجيش الفرنسي لسنة1246هـ/1830م، أنها كانت تحتوي ما بين ستة و ثمانية مدافع.[1]

برج بمدينة نقاوس :

يكتنف الغموض تاريخ بناء برج نقاوس و مؤسسه، فالمعطيات التاريخية ناقصة. ومن المعلوم أنً مدينة نقاوس قد عُرفت بحصانتها منذ الفترة القديمة، على غرار عدد من المدن الواقعة شمال الأوراس، وحافظت على نظامها الدفاعي في الفترة الإسلامية بداية من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[2] ، إلى غاية القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي، وإلى ذلك أشار حسن الوزان بقوله: «**مدينة بناها الرومان...،تحيط بها أسوار متينة عتيقة**.....».[3]

عمل الأتراك منذ دخولها على تحصينها، وقد ذكر الدكتور شو **Dr.Shaw** أنه بها على عهده حامية من صفوة واحدة من المشاة[4]، تضم 20 رجلا[5]، وأنً المدينة على حد قول الدكتور شو عليها سورين من الطين مسلّح بعدد من المدافع، قوّها بوتان سنة1215هـ/1800م بثلاثة مدافع، للتحكم في محيط المدينة، و الظهور بمظهر القوة اتجاه القبائل المجاورة مثل أولاد السلطان، أولاد سلام، أولاد علي بن صابر، أولاد براج و غيرها من القبائل التي طالما خرجت من سلطة البايلك أثناء دفع الضرائب.[6]

برج القل :

1- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،172.

2- Rachid Bourouiba, L'architecture militaire ……p,p,6-17 .

3- حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج،2، ص،53.

4- Dr ShawThomas, voyage dans La régence……p,389 .

5- Vincent – Yves – Boutin, Op, cit , P, 195

6- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،173.

يكاد لا يعرف تاريخ بناء هذا البرج، بالرغم من ان المدينة دخلت تحت سلطة العثمانيين في سنة 925هـ/1519م،حتى ان مدينة القل*[1]،قد حظيت حسب الدكتور خلاصي بنصرة الاخوة بلربروس[2]، وتكون بها مكتب لشركة لانش الفرنسية لصيد المرجان[3]، ويشير بوتان بان المدينة تحتوي على برج مسلح ما بين08 إلى10 قطع من المدافع في سنة 1223هـ/1808م،و قد استولت عليها الجيوش الفرنسية في سنة 1259هـ/1843م.[4]

تتمثل أهمية البرج حسب خلاصي في نفس الأهمية التي يمثلها برج دلس من حيث الدعم و الحماية و استقبال المحلة.[5]

برج جيجل :

بنيت مدينة جيجل على مساحة تقدر ب حوالي 42الف م2،أما التحصينات التي تعود إلى العصر الجنوي فلم يبق منها إلا برج مربع، رممه العثمانيون للدفاع عن المدينة، إنما الأبراج التي كانت تتوج السور فقد أُزيلت كلًها.[6]

تعرض هذا البرج إلى عدة إصلاحات أثناء حملة الدوق بوفورسنة1075هـ /1664م وما بعدها، و الملاحظ أنً هذا البرج هو الذي كانت تقيم فيه الحامية العثمانية المتكونة من صفوة واحدة، ويشير إليه بوتان بأنه كان مسلحا بعدة قطع من المدافع في 1223هـ/ 1808م.[7]

---

[1]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

* مدينة القل قد احتلت من قبل الجنويز منذ القرن الثالث عشر و جعلوها مرفأ تجاريا و نقطة ارتكاز للمراكب كانت تغزو شمال افريقيا او التي كانت تنهب المرجان من السواحل الجزائرية. انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،177.

[2]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،172.

[4]- Vincent – Yves – Boutin, Op.cit., P, 59.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،178.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،172.

[7]- لخضر درياس، المرجع نفسه. أنظر أيضا علي خلاصي، القلاع و الحصون.....،ص، ص،176-177.

- الاستحكامات الدفاعية لبيلك الغرب:

يعد بايلك الغرب في الدرجة الثانية بعد دار السلطان،من حيث التحصينات الدفاعية التي تشتمل عليها مدينة وهران، مستغانم، معسكر و تلمسان[1]، حيث تنوع نظامها الدفاعي ما بين الابراج و الطبخانات و الحصون، والأمثلة عديدة. **الخريطة (05))، اللوحة(19))**

1- تحصينات و أبراج مدينة وهران:

تعود فترة بناء تحصينات مدينة وهران القديمة إلى الفترة الاسلامية، فهناك من الأبراج التي تعود تاريخ انشائها الى فترة السلطان المريني أو الحسن علي ، و و هناك من يعود تاريخ الانشاء الى العهد الاسباني* و العثماني.[2]

من الأعمال التي أنجزت خلال القرن السادس عشر تلك التي قام بها المركيز دو كومارس **DE COMAREZ**، ما بين924هـ-942هـ/1518م-1535م؛ بناء برج المونة أو برج اليهود، برج لوس سانتوس**LOS SANTOS**.أما الأعمال التي قام بها خلفه الكونت الكوديت **COMTE D'ALCAUDITE**؛ فكان إنشاء برج سانت تيريز **SAINTE THERES** و برج بوبنيقة **SAINT CARLOS**[3]وفي سنة 1100هـ/1588م بنى دون بيير دوباديا **DON PIERRE DE PADIA**،برج حسن بن زهرة **SAINT GREGORE** ،برج المرجاجو **SANTA CRUZ**و غيرها.[4]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،143.

* نشير الى ان المستعمر الاسباني اعاد احتلال وهران من جديد سنة على ترميم اسوار المدينة وقام بإنشاء نقاط دفاعية جلبت من محاجر القديس اندري Saint André.انظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،143.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه،143.

[3]- لخضر درياس، نفسه.

[4]- نفسه،ص،144.

لكن كل هذه التحصينات لم تضعف من هزيمة الجزائريين، الذين استولوا على المدينة بقيادة الباي بوشلاغم سنة 1119هـ/1708م، و عملوا بدورهم على إنشاء بنايات جديدة، و ترميم بعض النقاط الدفاعية المتضررة بفعل المعارك. و لسوء الحظ فإن المدينة*لم تدم طويلا، وسقطت مرة أخرى في يد الاسبان سنة 1145هـ/ 1732م.[1]

ومن أهم تحصينات المدينة**:**الخريطة(05)+اللوحة (19))**

برج العيون:

برج العيون يعرف ببرج الونيسي، نسبة إلى أحد رؤساء المدينة المسمى بابن الونيسي بناه الاسبان سنة 915هـ/1509م، في الجنوب الشرقي للمدينة عرف عندهم باسم **(CASTILLO FERNANDO)**، تعرض لعدة هجمات من طرف الجزائريين بقيادة حسن قورصو في 964هـ/1556م،و حسن بن خيرالدين سنة 971هـ/1563م،من طرف الباي بوشلاغم سنة1119هـ/1708م، لكن الاستمرار في تجديده كان دائما ضروريا، لأنه يعد من أهم التحصينات الدفاعية في المدينة دُعِّم في عهد فاليجو**(VALLEGO)** ببرج القديس شارل و برج القديس كارلوس، في جنوبه الشرقي و الغربي، وواصلا به عن طريق أنفاق أرضية، هدم من طرف الباي محمد الكبير بأمر من داي الجزائر.[2]

---

*هناك من أعطى وصفا دقيقا لمدينة وهران و حصونها وهو صاحب الثغر الجماني مع إحصاء لأسلحتها و قوتها الدفاعية في عهد الباي بوشلاغم و الاسبان من بعده حيث يقول: " و من جملة حصون هذا البلد قصبتها العظيمة و طباناتها المتلاصقة المؤدي بعضها الى بعض الى غير ذلك من الابنية التي أتقنوا بنائها ، و أحكموا وضعها و أكثرها، إنما يعرف بلغة النصارى لبعد العهد بينها و بين المسلمين و لاستحداث النصارى دمرهم الله اكثرها بعد استيلائهم عليها من يد ابي الشلاغم". و يواصل "..وهناك بقية مواضع لم احفظ اسماءها..... و أما المواضع التي وضعت لمجرد الرمي بالرصاص فلا يمكن حصرها و ما من موضع من هذه المواضع الا وفيه نفق يؤدي الى غبره فمن كان فيها و أراد أن يذهب تحت الارض إلى أيٍّ موضع أو من المدينة ذهب".

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،146.

** معظم التحصينات تهدمت سواء بسبب الحروب المتواصلة بين الجزائريين و الاسبان ،أو بسبب الزلازل المدمر الذي وقع سنة 1205هـ/ 1790م، زيادة الى بعض الابراج التي هدمت من قبل الجزائريين بعد استرجاع المدينة من طرف محمد الكبير خوفا من اعادة الكرة من طرف العدو استغلالها كما وقع في عهد الباي بوشلاغم. لخضر درياس، المرجع نفسه. للمزيد و للاطلاع عن تحصينات مدينة وهران كل من انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،446 – 500. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،146-148

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه،ص،148.

يعتبر حسب بن ميمون صاحب الحلفاوية، بأنه أول برج سقط في يد الجزائريين عام 1119هـ/1708م[1]، في حين يشير ابن سحنون الى اهميته قائلا:" ودون الجديد لجهة الجنوب برج العيون و هو البلد و قفلها".[2]

برج المرجاجو:

شيد هذا البرج أو بالأحرى قلعة مرجاجو، على قمة جبل هيدرو أو ايدرو على الجهة المواجهة لهضبة مزيطا التي تشرف عليها من ارتفاع يفوق 50.42م،و تراقب ميناء وهران و ميناء المرسى الكبير، و قد احتلت مكانا شبيها بعش النسر و على بعد 507 م نجد انقطاعا طبيعيا يشكل مضيقا. [3]

شيد البرج من طرف الاسبان عام 975هـ/1567م، بايعاز من رجل من بني عامر المناصرين للإسبان، هاجمه الباي بوشلاغم سنة 1119هـ/1708م، و أسر به مائة و سبعين (170) رجلا و ثلاث (03) نسوة حسب رواية الجامعي و مئة وستة(106)رجل و ست نسوة (06) حسب رواية فاي Fey ،وعدم جزء منه أثناء حرب1145هـ/1732م، لكن جدد سنة 1151 هـ/1738م، و افتتحه محمد للمرة الثانية في سنة 1206هـ/1791م، و هو الذي قال عنه الحلفاوي اثناء هجوم الباي بوشلاغم.[4]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،148.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه،ص،ص،146- 148.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،227.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،148.

إنً أرضية القلعة صغيرة قاسية و شكلها غير منتظم، و لا تحتوي على خاصرات (Flancs) للحماية، و يعتقد أنه لا يمكن اختلالها بسبب ارتفاع الصخر الذي يكون قاعدة لها. أما عن تسليح البرج؛ فقد سلح في عهد فاليجو بسبع مدافع بروترية و هاونين، في حين يذهب ابن سحنون من خلال درياس إلى أنً أسلحته تتكون من ثلاثين (30) مدفعا،و احتله الفرنسيون سنة1246هـ/1830مووجدوه وسموه باسم القديسة لاكروا (Sainte-Croix).[1] **اللوحة(19))**

تتكون القلعة سانتا كروز من مجموعة من التحصينات، تتلاحم لتكون شكلا مضلعا يضم 64 فتحة للمدفعية،وعند فتحه كان به 16 مدفعا، وكان مزود ببرج للمراقبة.*[2]

برج حسن بن زهرة:

أقرب الأبراج الى المدينة، و يوجد تحت حصن المرجاجو لحماية المرسى الصغير و طريق المرسى الكبير، أقامه الإسبان مكان قلعة وجدوها هناك عند دخولهم المدينة، ووسعوها و سموها بـ(**El Hacho**)، و سقط في يد المسلمين سنة 1119هـ/ 1708م[3]. أما عن أسلحته؛ قبل مغادرة الاسبان لوهران*، فقد كانت تتكون من ثلاثين (03) مدفعا.[4]

2- تحصينات و ابراج مدينة تلمسان :

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،227.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،229.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج أنظر علي خلاصي، المرجع نفسه،ص،ص،227- 229.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،148.

* اثناء تواجد العثمانيون بمدينة وهران الفترة الاولى ما بين 1120 هـ و 1145 هـ/1708م و 1732م، لم يضيفوا منشآت معمارية دفاعية من خلال التقارير الصادرة عام 1145هـ/1732م. أنظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،435.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،149.

تعد مدينة تلمسان* من أهم النقاط الدفاعية الداخلية ضد الاسبان بوهران و المغاربة بفاس، تعرضت لأضرار بالغة من جراء الحروب، بين العثمانيين و الاسبان، لذلك نجد أنً العثمانيين قد أولوها عناية كبيرة بعد ضمهم اياها سنة 963هـ/1555م، حيث ركزوا بها حامية و جددوا تحصيناتها الدفاعية، بعد أن أحدثوا بها تعديلات تتفق ووسائل الحرب الحديثة.[1]

اتخذ العثمانيون من "المشور" مقر لسلطتهم السياسية بالمدينة، وثكنة للحامية التركية التي تحميها، ودعموا أبواب المدينة بطبانات تقيم بها حامية دائمة، إضافة إلى بعض ثكنات الإنكشارية التي كانت مجاورة . لباب القرمديين"- بالجهة الشمالية الغربية، وأقاموا أيضا حامية بأغادير تتكون من أربعة حراس(رهط).[2] رغم أن هذه المدينة قد هدمت أسوارها وفقدت مكانتها التي كانت عليها، في وقت قريب من فترة الحكم التركي لها، كما كان بمرتفعاتها حصنين كل واحد منهما مسلح بـ 20 مدفعا، ويتسعان لحامية من 100 إلى 150رجل*[3]. و من أهم تحصيناتها نذكر على سبيل المثال: **الخريطة(05)اللوحة(19))**

القلعة:

تقع هذه القلعة (المشوار) في الجهة الجنوبية للمدينة على شكل مستطيل مقاساتها(460مx 280م)، محصنة بأبراج مربعة وأخرى دائرية الشكل، أما أسوارها فتتوجها شرفات، تحصر فيما بينها فتحات المدافع و البنادق، و يتراوح

* إن طابع مدينة تلمسان الدفاعي الذي فرضته مكانتها السياسية كعاصمة للدولة الزيانية، واستجابة أيضا للأوضاع الأمنية المضطربة التي كانت تعيشها طيلة ثلاثة قرون، جعل الأتراك يكتفون بإعادة استغلال تحصيناتها القديمة، وتدعيم البعض منها بأعمال ثانوية.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،155.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،435.

[3]- محفوظ بوطبة ، المرجع نفسه، نفسه.

* للمزيد و للاطلاع عن تحصينات مدينة تلمسان راجع محفوظ بوطبة ، المرجع نفسه ، ص، ص،،423-446.

سمكها ما بين خمسة أو ستة أمتار، أما طولها ما بين عشرين إلى ثلاثين مترا، بالنسبة للخندق؛ فيقتصر على الجهة الشرقية فقط. و للقلعة بابان مقببان الأولى قرب الزاوية الجنوبية و يعرف بباب التروية، و الثاني في الجهة الغربية و يعرف بباب الحديد.[1]

أما في الجهة الشمالية فإنه يوجد برجين دائرين مزدوجين، تختلف مواد بنائها عن باقي البناء الأول، وهنا تقع الطبخانة الرئيسية التي تتحكم في كامل المشوار و مسلحة بخمسة مدافع ذات العيار الصغير، في حين نجد مدفعتين آخرين في باب التروية، و ثلاثة مدافع في طبخانة سيدي بوجمعة وهي بناء مستقدم أقيم من طرف الكراغلة، وفي الجهة الغربية نجد ثلاثة مدافع أخرى، بالإضافة إلى ثلاثة مدافع اخرى تستعمل في الحملات الخارجية.[2]

نجد أنً كل هذه المدافع تتراوح عياراتها ما بين (4-8)،و يبلغ عدد مدافع القلعة اثنان وعشرون مدفعا ومهرسان اثناء الاحتلال، وقد كانت سنة 1153هـ/ 1740م.[3]

تتكون من ستة مدافع من الصناعة القديمة و ذات عيار كبير، و تعمر عن طريق المغلاق(**Culasse**)، و ستة مدافع أخرى ذات عيار أصغر، كانت قد جلبت من إحدى السفن ووضعت في الأسوار باتجاه الاسوار. لكنها قد ارتفعت سنة 1228هـ/ 1808م عشرون مدفعا فوق الأسوار زيادة عن برجين منفصلين عن المدينة، يضم كل منهما عشرون مدفعا، وهو ما يجعل عدد المدافع بمدينة

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،155.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،436-441.

[3]- نفسه، ص،ص،436-441

تلمسان* في هذه الفترة يصل الى ستين مدفعا دون البنادق، و تجدر الاشارة هنا بأنً في عهد الامير عبد القادر كانت تملك مصنعا لسبك المدافع.[1] **الخريطة(05) اللوحة (19))**

3- أبراج و طبخانات مدينة مستغانم:

اهتم الأتراك بالجانب الدفاعي لمدينة لمدينة مستغانم** منذ تحريرهم لها سنة 923هـ/ 1517م، فقد قام " خيرالدين باشا" بتحصينها وتوسعة أسوارها، وذلك لحمايتها من الخطر الإسباني، حيث وقفت سدا منيعا أمام محاولات" الكونت الكودات" استرجاعها، ولتكون قاعدة لعملياتهم العسكرية باتجاه وهران والمرسى الكبير آخر معاقل الإسبان بالبلاد الجزائرية.[2]

يشير في هذا المجال خلاصي إلى أنً مدينة مستغانم، دُعِّمت بخط دفاعي هام يعود الى الفترات السابقة عن العصر الحديث و من أهم التحصينات[3]: **الخريطة(05) اللوحة (19))**

برج المحال:

* حافظت القلعة على مكانتها السياسية والعسكرية بالمدينة بعد دخول الأتراك إليها، حافظت القلعة على مكانتها السياسية والعسكرية بالمدينة بعد دخول الأتراك إليها، حيث اتخذ منها حاكم المدينة مقرا لسلطته تحت إمرته حامية من خمسة صفرات تضم 76 رجلا ، إضافة إلى عدد كبير من الجنود الاحتياطيين من الأتراك و الكراغلة لحماية المدينة. انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص، 436- 441.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،155.

** تعتبر مدينة مستغانم من المدن الجزائرية التي لعبت دورا كبيرا في الجهاد ضد الاسبان في اوائل العهد العثماني، حيث كانت المدينة الاولى في بايلك الغرب التي دخلت تحت لواء الجيش الجزائري، و من ثم اضحت قاعدة انطلاقهم ضد الاسبان المتمركزين بوهران، خاصة من طرف حسن قورصو سنتي 958هـ-964هـ/1551م-.1556م، ثم بعده حسن بن خيرالدين سنة 971هـ/1563م، و العلج علي سنة 976هـ/1568م. الى هذه الفترة يرجع تحصين المدينة و ترميم اسوارها، و اضافة نقاط دفاعية جديدة. انظر كل من لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،157. انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،437

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه، ص، ص،405.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

كانت المحالة أو المحال الذي تتجه غربا عبر الطريق السلطانية، تتمركز بهذا البرج الذي يعتقد حسب بودان **Bodin** من خلال الدكتور خلاصي انه قد بني قبل الفترة الحديثة بسبب الطريقة المعتمدة في البناء، فالإشارة حسب هذا الاخير الى هذه الحماية المذكورة سابقا تبين ان هذا البرج قد شيد قبل سنة917هـ/ 1511م.[1]

يشير بلحميسي إلى أنً بناء هذا البرج يعود لحميد العيد، الذي جدد ووسع سور المدينة[2]، كما شاهد الطبيب طوماس شو أثناء زيارته لمستغانم، بقايا هذ البرج و أرجع تاريخه الى ما قبل استخدام الاسلحة النارية استنادا الى طريقة بنائه، وقد أُعيد ترميم هذا البرج أثناء الاحتلال الفرنسي و استعمل كسجن مدني.[3]

اجمعت الدراسات التاريخية حسب ناجي جلول على أن تاريخ إنشائه، يعود إلى الفترة المرابطية، على يد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين سنة475هـ/1082 م.[4]

يقع هذا البرج أعلى" حي الطبانة " بالجهة الشرقية المطلة على وادي عين الصفراء، أما تسميته لها علاقة بعدة احتمالات، فهناك من ينسبه إلى طائر اللقلق الذي يعرف محليا بالمحال، أو نسبة إلى قبيلة الأمحال التي هي فرع من القبيلة العربية الأم سويد التي كانت تسكن نواحي الشلف ومستغانم تحت قيادة أحميدة العبد لتصبح خلال الحكم التركي للإيالة الجزائرية ضمن قبائل المخزن تحت قيادة آغا الدوائر، ومن عناصرها المكلفة بحماية الباي، كما يمكن أن تكون لهذه التسمية علاقة

---

[1]- علي خلاصي، المرجع نفسه، ص،192.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،157.

[3]- لخضر درياس، المرجع نفسه،ص،157.

[4]- Djelloul Neji, Eau et Fortifications au Maghreb au Moyen Age, Colloque International , université de Tunis Tunisie, Novembre 2007, P, 216.

بالنظام العسكري المعروف بالمحلة، والتي من مهامها تحصيل الضرائب، والقيام بحملات عسكرية تأديبية ضد المناطق الممتنعة.[1]

أعاد الأتراك العثمانيين استغلاله منذ سنة 1145هـ/1732 م في عهد باي بوشلاغم، فقد ذكر طوماس شو الذي عاصر هذه الفترة انه قال:" **أنه هناك إلى جانب البرج الذي يحتل الجهة الشمالية الغربية(برج الجواد)، برج آخر أكثر انتظاما تقيم به حامية تركية.**"[2]

كان برج المحال حوالي 12 قطعة مدفعية، و كان يشرف عليه حوالي 32 رجلا، وبعد الاحتلال الفرنسي رمم و استعمل من طرف الادارة الفرنسية كسجن مدني.[3]

إنً وضيفة هذا البرج التي شغلها في الفترة الفرنسية، هي نفسها التي يشغلها حاليا كسجن مدني لكن خاص بالنساء، نظرا للاستغلال المتواصل لعمارة البرج لوظائف أمنية إلى يومنا هذا. [4]**الخريطة(05)اللوحة(19))**

برج الترك:

يعرف هذا البرج لدى الأوروبيين باسم برج الشرق و عند بعض المؤرخين اسم القلعة ، و يشير الزياني من خلال الدكتور خلاصي الى ان بنؤه يعود الى الباي مصطفى بن يوسف المسراتي، و يعد من الابراج الفريدة من نوعها في الجزائر*[5]، ويرجع البعض بناءه إلى أوائل العهد العثماني. والملاحظ أنً برج الترك قد شُيِّد خارج

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص،36.

[2]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence…..p,237.

[3]- Shaw Thomas ,Ibid. Voir aussi Louis Piesse ,Op, cit, p,280 .

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،410.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

* حسب خلاصي لكن وجد برج اخر مطابق للأصل وهو برج جبران او جبرين بإمارة الجبل الاخضر ، للمزيد أيضا أنظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

أسوار المدينة بأعلى نقطة منها، في مكان مشرف مباشرة على حي المطمور في وضعية مستقلة عنه، وقد أهله موقعه ليكون أهم تحصينات المدينة، و يشير طوماس شو الى ذلك في قوله:" **مدينة مستغانم تشرف عليها المرتفعات وقوتها الرئيسية تتمثل في قلعة شيدت في إحدى المرتفعات، تتحكم في المدينة والمناطق المجاورة**" .[1]

رغم أنً هناك مصادر عاصرت الحكم التركي للجزائر، أرجعت تاريخ بناء البرج إلى الباي بوشلاغم في فترة اتخاذه مستغانم عاصمة لبايليك الغرب سنة 1145هـ-1147هـ/1732م-1734م،إلا نص للإسباني مارمول يعود للقرن العاشر الهجري/للقرن السادس عشر الميلادي يذكر فيه " **وفي الطرف الأعلى من المدينة، حيث توجد ربوة مشرفة، يقوم حصن جهة الجنوب**"[2]، ما يجعل العديد من الباحثين و المؤرخين من خلال بوطبة، يرجحون إلى أنً تاريخ بناء هذا البرج إلى القرن العاشر الهجري/للقرن السادس عشر الميلادي في خيرالدين باشا، كونه ذكر في أحداث هجوم حاكم وهران" الكونت الكودات" على المدينة سنة966هـ /1558م[3]، وإلى ذلك أشار القس الإسباني مارمول بقوله:" **ولما وصلت جميع الكتائب وعسكرت أمام المدينة، أمر القائد بأن يقام حاجز من أغصان أشجار التين والعنب المجاورة اتقاء لهجمات فرسان العدو، وأثناء تلك الليلة قام الجند بحفر خندق محيط بمحالهم ونصبوا آليتين للمدافع لضرب الحصن من جهته الجنوبية، وفي الغد وجهت سبع ضربات أو ثمان إلى ركنين من أركان سور الحصن، ولم يكن لها تأثير كبير لأن آلات القذف أعلى م ما ينبغي، بحيث كانت تمر فوق السور وتسقط في البحر**".[4]

---

[1]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence…..p,237.

[2]- مارمول كربخال، المصدر السابق،ص،350.

[3]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،413.

[4]- مارمول كربخال، المصدر السابق،ص،334.

استعمل هذا البرج كمخزن للمؤن العسكرية، و حتى سنة 1329هـ/1911م كان به مدفع من العيار،يستعمل لإخبار الناس ببداية رمضان و عيد الفطر.[1] كانت تقدر أسلحته بعشرين مدفعا سنة1246هـ/1830م، بينما كان تسليحه سنة1188هـ /1774م، يتكون من 9 مدافع من الحديد جلبت من حطام السفينة،التي كان الاسبان قد أغرقوها قرب أرزيو[2]. و في هذا السياق يشير بوتان من خلال الدكتور درياس أنها كانت تقدر في 1234هـ/1818م،عدد المدافع ما بين 15 الى 20 مدفعا[3]. لكن الإحصائيات الفرنسية تثبت أن أسلحة مستغانم هي أربعة مدافع في الأسوار، و 12 مدفعا في البرج الصغير ، و 20 مدفعا في القلعة و هو ما يساوي تقريبا 36 مدفعا.[4] يتكون برج الترك من بناء رباعي الشكل،مقوج من جهته الشمالية الشرقية و الجنوبية الغربية برؤوس بارزة تضم مجموعة من الفتحات المدفعية، و لكل منهما شكل سداسي منتظم أ أما سمك الجدران فتتراوح بين 1.50 و2 مترا، مبنية بالحجارة. و تتوسط البرج مساحة مركزية تحيط بها قاعات من الناحية الشمالية و الغربية و لقد اجريت عليها عدة تشوهات.[5] * **الخريطة(05)اللوحة(19))**

4- ابراج و طبخانات مدينة معسكر:

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،158.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،158.

[4]- لخضر درياس، المرجع السابق، ص،158.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

* للمزيد و للاطلاع عن برج الترك انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،417.

شيدت مدينة معسكر من طرف "الباي بوشلاغم"،على أنقاض المدينة الرومانية، وإليها حول عاصمة بايليك الغرب ،بعد أن كانت بمدينة مازونة، ليتخذ منها قاعدة لأعماله ضد الإسبان بمدينة وهران وحلفائهم من القبائل المجاورة.[1]

بعد أن تمكن"الباي بوشلاغم"من فتح وهران سنة 1120هـ/ 1708 م، جعل منها عاصمة للمقاطعة الغربية من الإيالة، واستمر ذلك إلى سنة1145هـ/1732م تاريخ خضوعها للمرة الثانية للإسبان، وعلى إثرها نقل عاصمته مؤقتا إلى مستغانم، و بها وفته المنية، لينقل"ابنه يوسف" مقر سلطته مرة أخرى إلى العاصمة القديمة معسكر، وكان ذلك سنة1148هـ/1735 م، واستقرت بها السلطة السياسية للبايليك من جديد إلى سنة1207هـ/ 1792م تاريخ فتح وهران واتخاذها نهائيا قاعدة لبايليك الغرب.[2]

حافظت المدينة على مكانتها السياسية والعسكرية بعد احتلال الفرنسيين للجزائر 1830م، حيث اتخذ منها الأمير عبد القادر عاصمة لدولته،وفي نفس الوقت مركزا عسكريا يدعم الخط الدفاعي الثاني الممتد من تلمسان غربا إلى المدية شرقا، ومصنعا حربيا يزود الجيش الجزائري بما يحتاج إليه من البنادق والذخيرة.[3]

برج العسكر بمعسكر:

بني برج العسكر بمعسكر من طرف الباي بن اسحاق ابراهيم الملياني الذي حكم بايلك الغرب عام1185هـ/1771م حسبما جاء على الكتابة التأسيسية المخلدة للبناء.

---

[1]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،417.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

كان البرج سنة1223هـ/1808م مزودا بحوالي عشرة (10) ، مدافع لرد اية حملة اسبانية محتملة حوالي[1]وحوالي اربعة (4) مدافع في الاسوار على حد قول بوتان[2]، لإيقاف الهجمات التي كان الأعراب يشنونها ضد عاصمة المقاطعة، و التي كان آخر هجوم سيدي أحمد التيجاني ، بعد ان انتقل مقر الحكم إلى وهران.[3]

- التحصينات الدفاعية لبايلك التيطري:

تعتبر مدينة المدية عاصمة البايلك، تقع جنوب غرب مدينة الجزائر على إحدى هضاب جبال التيطري، وقد بنيت مدينة المدية على أنقاض المدينة الرومانية التي أعاد الزيريون استغلال بقاياها في تشييد المدينة الإسلامية، وتم ذلك على يد " بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي"[4]، لتصبح إحدى أهم قلاع بني زيري بالمغرب الأوسط.[5] **الخريطة(04)**

استمرت المدينة في أداء دورها العسكري، حيث اتخذ منها الزيانيون قاعدة لأعمالهم الحربية[6]، قبل أن تنتقل إلى سلطة الأتراك الذين جعلوا منها عاصمة لبايليك التيطري[7]. و في فترة حكم الأتراك، كانت مدينة المدية*في العهد العثماني محاطة بسور بني بالحجارة الصلبة، ولها خمسة أبواب اثنان منها محروسان بطبخانتين،

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

[2]- Vincent – Yves – Boutin, Op.cit., P, 195 .

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

[4]- Louis Piesse ,Op,cit ,p,104.

[5]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،501.

[6]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج،2 ، ص،372.

[7]- محفوظ محفوظ ،المرجع السابق،ص،501.

* للمزيد عن تاريخ مدينة المدية انظر كل من ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية و مليانة في العهد العثماني،ط1، مكتبة الرشاد، الجزائر،2009،ص،ص، 35-109. عبد الرحمان الجيلالي، و اخرون، تاريخ المدن الثلاث - لمدية- مليانة - بمناسبة عيدها الالفي ، المدية، مليانة، ط2، مطبعة ساري بدر الدين و ابنائه، الجزائر، 1972، ص،359. و العربي اسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ص،90.

تضم كل واحدة أربع مدافع[1]، و زيادة عن عدد المدافع الميدانية التي كان يستخدمها البايلك في حملاته ضد القبائل المتمردة. أما حاميته فتتكون من خمسين جنديا (صبايحيا) و خمسة عشر مكاحليا كحرس خاص للباي، بالإضافة إلى خمس صفوات موزعة في أراضي البايلك، و مقسمة حسب أربع قيادات: قيادة التل الصحراوية، قيادة التل القبلية، قيادة سور الغزلان، قيادة الجنوب و ولاد المختار. أما أهم النقاط العسكرية في أراضي البايلك فهي[2]: **الخريطة(04)**

برج سور الغزلان:

عُرف هذا البرج بعدة تسميات منها اسم برج الغزلان حسب بررجر في مقال له بعنوان" **أوزيا** "[3]، و قد سمي بهذه التسمية نسبة الى كثرة الغزلان بهذه المنطقةوأشار العالم الألماني"ج. أو. هابنستزايت" إلى ذلك، إذ ذكر في رحلته أنه عندما حل بمدينة سور الغزلان، استقبله قائد البرج وأهدى له غزالة[4]. كما أنً هناك من ينسبه إلى اسم شخصية عربية[5]،أو إلى الفراغل حسب بيليسيي**Pellissier** و التي فتحت بأسواره.*[6]

بني هذا البرج أسفل جبل دبرة من الناحية الشمالية على أنقاض المدينة الرومانية **Auzia** سنة1004هـ/1595م،التي شغلت مكانها في الفترة الاستعمارية مدينة

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،174.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي و اخرون، تاريخ المدن الثلاث.....ص،ص،359-360.

[3]- Adrian, Berbrugger , «**Auzia** », in Rev- Afr, N 63, 1867, P, 249.

[4]- جون أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس،(1145هـ/ 1732م)، ترجمة وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت ، ص 68.

[5]- Louis Piesse, Op,Cit,p,134.

[6]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،509.

* للمزيد ايضا عن تاريخ البرج و تسمياته انظر كل من،Shaw Thomas, Op,Cit,318. ، جون أوهابنسترايت ، المصدر السابق، ص68 . و Albert Devoulx , Tachrifat……, p, 47. .

"أومال" Aumale ،واتخذوا منها مركز عسكريا للتصدي لمقاومة الاهالي من منطقة القبائل.[1]

أما عن تاريخ انشائه و عن منشئه؛ فقد اختلفت و تعددت أراء المؤرخين، فمنهم من يرجعه الى حسن بن خير الدين باشا **و** مثال ذلك **جون أو. هابنستوايت**، و هناك من ينسبه الى شعبان آغا(1001هـ-1004هـ/1592م-1595 م،كتوفيق المدني مثلا[2]،وهناك من يرجحه الى خليفته مصطفى باشا في1004هـ/جويلية 1595م،كعبد الهادي منصور خلال فترة حكمه الأولى التي لم يلبث بها سوى أربعة أشهر.[3]

اتخذ البرج شكلا مربعا بمساحة إجمالية تقدر بحوالي 4900 م2 [4]، تقيم به حاميته تظم ثلاثين جنديا و ستين احتياطيا و عدد من المدافع.[5]

عند دخول الفرنسيين إلى المدينة سنة 1263هـ/1846م، كانت عمارته قائمة بمركز المدينة الفرنسية في الجهة المقابلة للحديقة العمومية، إلا أن أسواره قد أصابها كثير من الخراب، وظل قائما إلى غاية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/للقرن التاسع عشر الميلادي لتحل محله مدرسة الذكور.*[6]

برج السواري:

---

[1]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،510.

[2]- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا.....ص،33.

[3]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،510.

[4]- Louis Piesse, Op,Cit,p,134

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،174.

[6]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،511.

* للمزيد و للاطلاع عن هذا البرج انظر محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص، ص، 509-511.

شيد هذا على الحدود الجنوبية للبايلك، لمنع و لتصدي هجمات الرحل[1]، و قد ذكر الدكتور شو **Shaw** على أنه شُيِّد على مدخل الصحراء، على بعد أربعة مراحل جنوب غرب "عين بوسيف"وعلى بعد عشرة مراحل جنوب المدية.[2]

يتمثل برج السواري في برج صغير مسلح بمدفعين، وتدافع عنه حامية من أربعين (80)رجلا[3].

نشير إلى أنَّ برج السواري فقد أهميته الدفاعية ،بعد وفاة "الباي الوزناجي" أواخر القرن الثاني عشر الهجري/أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، حيث لم يسلم منه خلال القرن19 م سوى القليل من أسواره، أما مدفعيته؛ فقد نقلها" الباي جعفر" إلى عين المشرف بأولاد علان، حيث انفجرت عند استعماله. *[4]

ثانيا: العمارة العثمانية الدفاعية في الجزائر خلال العهد العثماني:

مكث العثمانيون في الجزائر ما يزيد عن ثلاثة قرون من 1516م إلى غاية 1830م،خلفوا فيها آثارا عمرانية و معمارية، تجسدت في مختلف مستويات المنجزات الحضرية، ابتداء بعيون الماء لسقي المارة و انتهاء بالمدن و المستوطنات البشرية، مرورا بالمساجد و الأسواق و الحصون و القلاع و قصور الحكم،وغيرها من المباني

1- Vincent – Yves – Boutin,Op, Cit,p,41 .

2- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence…..p,318 .

3- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،511.

4- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه،ص،512.

* للمزيد و للاطلاع عن هذا البرج انظر محفوظ بوطبة ،نفسه، ص،ص،511-512 .

العامة. و تعد هذه المنجزات المادية بالأخص العمارة العسكرية حاضرة و شاهدة على هذه الحركة العمرانية.[1]

و دخول العثمانيين لدول المغرب العربي عموما و الجزائر خصوصا، لم يكن غزوا او تدخلا مباشرة من طرف الدولة العثمانية كما هو الحال بالنسبة المناطق المشرق العربي ، بل أمر فرضته التهديدات المسيحية الاسبانية لوائل القرن 16م ، حيث جذب هذا الصراع الجديد رجال الجهاد البحري الذين اسسوا اساطيل حربية ، لمقاومة الغزو المسيحي بقيادة الاخوين عروج و خيرالدين بربروس[2]، فكان إذن هذا الدخول العثماني أساسا بطلب النجدة من أهلها ، فربطوا مصيرهم في الغالب بمصير هذا الأخير و تحالفوا معهم تحالفا شديدا سياسيا عسكريا ، جنبا الى جنب داخليا و خارجيا ، لتوطيد الأمن و الاستقرار[3] . و قد ظل الوجود العسكري أو النظام العسكري ان صح التعبير ظاهرة مميزة للحكم العثماني في الجزائر ، بل الظاهرة المميزة ايضا لهذا الحكم في جميع انحاء الدولة العثمانية ، و كان لهذا النظام الفضل في إنشاء دولة قوية في الجزائر.[4]

مع استقرار الأتراك العثمانيين في الجزائر، بدؤوا بتحصين المدن التي استقروا فيها و ذلك بإنشاء العديد من الاستحكامات العسكرية، من قلاع و أسوار و أبراج، واستمر ذلك الى غاية 1830م[5]،لضمان وسلامة المدن والمواقع الاستراتيجية على السواحل من الغزو الخارجي، ولتأمين خطوط المواصلات و الطرق التجارية، من

---

[1]- مصطفى بن حموش، "**التشريع العمراني و المعماري في العهد العثماني**" السلسلة الثانية : الاثار العثمانية رقم 4، أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الاثار العثمانية حول التأثيرات الأوروبية على العمارة العثمانية و آليات الحفظ و الترميم، اشراف و تقديم أ.د عبد الجيل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ،زغوان .اوت/آ 2001،ص،55.

[2]- جخدان بو عبد الله ، الولايات العثمانية الثلاثة – الجزائر- تونس- ليبيا " قيام دولة الموحدين الى غاية الانضمام للخلافة العثمانية7-12هـ/13م- 18م دار الايام للنشر، عمان ،2018م،ص،ص،77-78.

[3]- سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الاول-1500-1830م، دار الغرب الاسلامي،بيرت،1998،ص،ص،141.

[4]- خلاصي علي، القلاع و الحصون في الجزائر.....ص،269.

[5]- Ben hamouche Mustapha, Dar Es sultan, l'Algérois ……p,8.

اللصوص و قطاع الطرق ايضا، اذ اهتموا بتحصين المواقع الاستراتيجية دعموها بتحصينات عسكرية متنوعة، بعضها كانت كنقاط للمراقبة والأخرى كأبراج أو بروج لحماية حدود قبائل المخزن، بينما بنيت بعض الاستحكامات لاستراحة المحلات، التي تتجه للمقاطعات وأراضي البيلك لجمع الأمن و الحماية.[1]

تطلّب على العثمانيين تحصين الجزائر، بإنشاء استحكامات عديدة و يدخل ذلك في إطار الاجراءات العسكرية الدفاعية التي اعتمدت عليها الادارة العثمانية بالأرياف، في فرض سيطرتها و إخضاع السكان، وربطهم بالحكم المركزي بالجزائر، و ذلك بإقامة نظام دفاعي يستند على نظام الحاميات العسكرية(النوبات) كما اصطلح تسميتها، و قبائل المخزن الموزعة على النقاط الاستراتيجية بالقرب من الطرق الرئيسية بجوار المراكز العسكرية، للحد من تحرك القبائل واحتواء حركات التمرد لا سيما بمنطقة القبائل المتخامة لدار السلطان، و التي كانت مصدر تهديم لنفوذ البايلك بأوطان متيجة والساحل(دار السلطان).[2]

اذن لغرض الحماية طوقت المنطقة بسلسلة من الأبراج العسكرية نذكر؛ برج منايل، برج سيباو، برج تيزيوزو، برج بوغني برج حمزة و برج سور الغزلان [3]، و المعروف أنً الدولة العثمانية كانت عدة حاميات عسكرية، وهذا دلالة على الوجود العسكري العثماني، و كانت هذه الحاميات و ما يتبعها من عسكر الدرك تشكل حماية للوالي العثماني و لموظفين الاداريين التابعين للدولة. و كانت الدولة تدعم هذه الحاميات

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة الأولى، بيروت ،دار الغرب، 2000، ص،237.

[2]- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية.....ص،237.

[3]- سعيدوني ناصر الدين، المرجع نفسه.

بقوات عسكرية نظامية و غير نظامية، يكون افرادها من اهالي التابعة لها، أو من بين افراد القبائل المؤيدة لها. و قد اشرنا الى ذلك مرارا.[1]

يعتمد هذا النظام كذلك على اجراءات عسكرية عاجلة مثل تجريد الحملات الفصلية(المحلات) و شن الهجمات الانتقامية المفاجئة(الغزات) من طرف فرسان المخزن و فرق اليولداش (الجند الانكشاري) التي كثيرا ما كانت تباغت قبائل الممتنعة عن دفع الضرائب ، او التي جاهرت بعصيانها و أعلنت عدائها للبيالك.[2] نشير إلى أنً التحصينات الدفاعية لم تكن وليدة عصر معين، و لا مرحلة محددة في اطار، بل كانت استجابة لمتطلبات الحماية، من الخطر الخارجي المتكرر على المدن منذ العصور التاريخية القديم، لكن الفترة العثمانية في الجزائر، كان لها مزات يمكن تلخيصها في:

- العصر الحديث أو الفترة العثمانية هو عصر المواجهة المباشرة بين المسيحية و الاسلام، وتمثلت هذه المواجهة في الهجمة الاسبانية في الشمال، ومطاردة المسلمين الاندلسيين الفارين بدينهم و أموالهم و جلودهم من الخطر الصليبي بعد سقوط اخر معقل للمسلمين بالأندلس.و عصر التقارب المشرقي – المغربي بعد نهاية الامارات المستقلة ،و احياء الخلافة الاسلامية و لو انتماء. و التحصينات العسكرية التي خلفتها المواجهات الحربية لخير دليل على عنفها و على التطور الكبير الذي بلغته القوات المتحاربة في فن التحصين و البناء خصوصا و فن الحرب عموما.[3]

---

[1]- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية.....ص،237.

[2]- نفسه، ص،238.

[3]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،267.

- لم تكن تحصينات المدن في بعض الأماكن كافية لصد غزوات و نزول قوات الحملات العسكرية، فدعم محيط المدن و ضواحيها وأرباضها، بقلاع و حصون و ابراج للمراقبة.[1]
- تتميز العمارة العسكرية للعصر الحديث بالقوة و الصلابة ، اذ جاءت المنشآت الدفاعية ككتلة متماسكة ، لكنها تحمل اهم ما توصل اليه المعلمون (رؤساء البناؤون) من افكار، و ما توصل ال يه الحرفيون من اختراعات و ابتكارات ، و ما توصل اليه المهندسون المعسكرون في تدعيم و تنظير و تطوير في مجال الاستراتيجية العسكرية.[2]
- الميزة التي تميزت العمارة العثمانية في الجزائر تتمثل في فن العمارة العسكرية و ما صاحبها من تطورات في التنظيمات العسكرية، إذ أنً هذه الاخيرة تُبنى على مبادئ و لكنها لا تبنى على نظام معين، لأنها تتأقلم مع المحيط و مع الظروف، فجاءت استجابة لمواكبة التطور في فن الحرب، و في تطور صناعة الأسلحة النارية، ثم لتحصين نقاط الضعف في مواقع و أرباض المدن، استفاد منها الجزائريون بعد الحملات العسكرية الاوروبية، فكان التنافس على الاطاحة بدار الجهاد من مبادئ الساسة في اوروبا و سمة من سمات العصر الحديث.[3]
- من جهة اخرى؛ أنً الاستحكامات العسكرية الداخلية،لم تكن منفردة قائمة وحدها دائما، بل كانت تشكل سلسلة من الحصون و القلاع و الأبراج المترابطة بينها، وقد انشئت على الطرق الرئيسية و المضايق الجبلية،و قد

---

[1]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،267.

[2]- نفسه،ص،270.

[3]- نفسه، ص،270.

فرضت المواقع الطبوغرافية الطبيعية موقع كل برج و حصن، وكان الحكام يزيدون في قوت التحصينات بزيادة عدد فتحات المدافع.[1]

- بالنسبة للمنشآت العسكرية العمومية؛ اي ذات الخدمات المشتركة، من ثكنات و نوادي خاصة، مساجد، إدارات و حمامات، فإنها لا تختلف عن الفنادق و القصور و كذا المقاهي، باستثناء فرق واحد وهو ما يميز حياة العسكري عن حياة المدني، فالأول جمعت له كل المنشآت و المرافق في حيز ضيق جعلته، يعيش حياة خاصة متمتعا بقوة الشباب و بعزوبية الرهبان، والثاني يتمتع بحرية اكثر في محيط اوسع لكن بنفوذ و سلطة و جاه أقل، و قد ساعد هذا الوضع في انفراد أصحاب القوة، في ادارة عجلة الحكم و استئثارهم بالسلطة على حساب الصناع الحرفيين و الفلاحين و المزارعين و التجار و رجال الدين، وعلى هذا نجد الضباط و قدماء الجيش يخلدون مرورهم بغرف الثكنات بكتابات تذكارية.[2]

- عندما تم انتقال المدن من الداخل الى الشريط الساحلي، ازدهرت الأعمال البحرية، فمن الجهاد البحري الى التجارة البحرية و بالتالي من ترقية الموانئ و حمايتها و تحصينها والى صيانة المراكب و الصناعة الحربية، و في هذا السياق برزت موانئ ؛ الجزائر بصفة خاصة، بالإضافة الى وهران و بجاية، وقد دعمت بأرصفة و قلاع و أبراج و العديد من المرافق الهامة مثل النوادي و المساجد و العيون و المخازن، و معظمها قد بنيت بالحجارة المجلوبة من المدن القديمة المندثرة، و البعض الاخر من المقالع التي فتحت لهذا الغرض.[3]

---

[1]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،267.

[2]- خلاصي علي، نفسه.

[3]- نفسه.

- أقيمت معظم المدن الساحلية على الجزء الغربي من الخلجان منها على سبيل المثال؛ عنابة ، جيجل، دلس ،الجزائر، وهران، و المرسى الكبير، و تتربع كل مدينة على مساحة تتراوح ما بين 30 الى 40هكتارا، و احتلت اماكن مدن قديمة، لكنها اتخذت أنماطا و أشكالا جديدة، فرضتها هجرة الأندلسيين و توافد العثمانيين من أتراك ومستتريكن، أثّروا وتأثّروا في مختلف النواحي الاجتماعية الاقتصادية، الثقافية و الفنية.[1]
- في ما يخص الارواج فإنها كانت وقت السلم، بمثابة عنوان ولاء للسلطة المركزية، كما كانت تقوم بحماية و حراسة الطرق الداخلية، خاصة الطريق السلطانية الممتدة من عنابة الى تلمسان وكانت الحراسة تتم من طرف المواطنين، اذ توضع قوائم تحدد رجال المداومة.[2]
- لم تكن التحصينات في الفترة الحديثة – العثمانية– قواعد هجومية تنطلق منها الجيوش، سواء في المدن الشرقية او الوسطى ، اما بالنسبة لتحصينات وهران فكانت تؤمن افضل الشروط الممكنة لمراقبة الاراضي المحيطة بها، و كانت مدعمة بأرواج رباعية محصنة بزوايا و خاصرات لتعزيز النقاط الضعيفة فيها بشكل خاص.[3]
- الطريقة المتبعة منذ القدم تهدف إلى تسلق الأسوار و اقتحام التحصينات، لكن بتطور الأسلحة الهجومية، عمد القادة إلى تقوية الأسوار و توسيع الخنادق و تشييد المراقب، وكونوا انحناءات نحو الخارج لتفادي الالغام و لحماية أسس المبنى.[4]

---

[1]- خلاصي علي، المرجع نفسه.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

[4]- خلاصي علي، العمارة العسكرية.....ص،161.

- تتويج الأسوار بعدة بروج أبراج أو طبانات رباعية الشكل، وتحتوي في معظمها على تراب مركوم يكون مسطحا، توضع عليه قطع المدفعية، و يكون البناء عادة انحناء تحو الداخل بمقدار ثلاثين درجة.
- اهتمام المهندس المعماري بالجانب الجمالي الفني في المنشآت العسكرية، ما دامت حياة العسكري مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة الجماعية، فهو أعزب و متمسك بالشعائر الاسلامية ، يعتبر نفسه مجاهدا لكنه يحب التمتع عن النفس، و ما دامت الخدمة العسكرية تدوم عشر سنوات ، فان الجندي يحن الى الماضي فيزين كل ما يربطه بماضيه.[1]
- من مميزات العمارة الدفاعية الجزائرية في العثماني، أنً مبانيها أي المباني العسكرية كانت تخضع لمراقبة تنظيم دائمين، وكان الإشراف عليها لقادة يختارون من بقية العسكريين، و لكن الحراسة كانت موزعة بين الصفوات أو الحاميات التي تعين في الابراج وقت السلم، و لكن وقت الحرب المداومة على الحراسة، تتم من طرف المدنيين المجاورين لكل برج، و بما أنً هذه الأبراج قد قامت بها مجموعات من الأهالي بتكليف من الدايات، فإنً هذه العمائر قد حملت صبغة جزائرية.[2]

[1]- خلاصي علي، القلاع و الحصون في الجزائر.....ص،ص،269-271.

[2]- خلاصي علي، العمارة العسكرية في مدينة الجزائر.....ص،7.

الفصل الثاني

العمارة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني

أولا : التحصينات الدفاعية لبياليك الجزائر

ثانيا : أسس و مميزات العمارة العثمانية الدفاعية في الجزائر في العهد التركي

العمارة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني:

أولا: التحصينات الدفاعية لبياليك الجزائر:

ظلّ الشمال الإفريقي « **القاعدة الرئيسة للنفوذ العثماني**[1]»، على حد تعبير نيقولاي إيفانوف ، ففي الجزائر، أخضع العثمانيون كل الساحل الافريقي، الذي شكلت مدنه انطلاقا لعمليات الجهاد البحري للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط، و قد ركّز عليه الإسبان لهدف احتلال المدن الساحلية و تحويلها إلى قواعد، للتوغل في الداخل من جهة أخرى ، لأنها كانت تشكل للوجود العثماني بالبحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا قواعد دفاعية، و لدورها التجاري والاقتصادي.[2]

بإشراف العثمانيين على كل هذه المناطق البحرية، ومن جهات متعددة تمكنوا من الربط بين جميع ممتلكاتهم البرية والبحرية سواء في القارة الأفريقية، أو القارة الآسيوية، أو القارة الأوربية. إلا أن الدفاع عن كل هذه الممتلكات كان يتطلب تحقيق إحدى الأولويات الاستراتيجية و التي تتعلق بضرورة بناء أسطول بحري قادر على المواجهة البحرية والعسكرية للقوى المسيحية الأوربية . النقيض الحضاري والاستراتيجي للدولة العثمانية . خصوصاً وأن هذه القوى كانت لها حدود مشتركة مع العثمانيين، وتحديداً بالبحر الأبيض المتوسط، الذي شهد أعنف الحروب بين التحالف المسيحي (إسبانيا والنمسا والبندقية وجنوة) والدولة العثمانية.[3]

تميز نظام الدولة الجزائرية الدفاعي، خلال فترة الحكم العثماني بعنصرين مهمين أساسيين، اذ تمحور العنصر الأول منه في الجانب المادي، و فيه مجموعة من

---

[1]- نيقولاي إيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516 - 1574 م)، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، مراجعة مسعود ظاهر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1988، ص، 200.

[2]- نيقولاي إيفانوف ، المرجع نفسه.

[3]- نفسه.

الاستحكامات العسكرية الخاصة ببناء الحصون و الأسوار، و ما يتخللها من أبراج و طبخانات و أبواب موزعة بصفة منتظمة و متقنة، مدعمة بسلسلة من المدافع. بينما الجانب الثاني منه فيضم العنصر البشري و يتمثل في مجموعة من الوحدات العسكرية عرفت "بالحاميات" التي لعبت دورا بارزا في الأحداث السياسية و العسكرية لمدينة الجزائر خاصة و الجزائر عامة برا و بحرا.[1]

هكذا شهد الجانب العسكري تطورا كبيرا، تجلى ذلك في المنشآت العسكرية الدفاعية ممثلة في العديد من الاستحكامات العسكرية كالأبراج، الأسوار، الأبواب الخنادق و الطبانات ، و التي لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على أمن و سلامة المدن الجزائرية التي كانت تابعة لها خلال الفترة العثمانية.[2]

بمجرد دخول العثمانيين الى الجزائر، بدأوا في حركتهم المعمارية، وكان تحصين المدن التي استقروا فيها بالقلاع و الأبراج و الأسوار، المدعمة ببطاريات أو الطبانات و المدفعيات من اولويتهم، واستمر ذلك الى سنة 1246هـ/1830م سنة دخول الفرنسيين الى الجزائر[3]، و كان الهدف من التحصين على جبهتين، داخلية و خارجية، فالأولى تخص مواجهة الثورات المحلية، والثانية مست جانب صد غارات العدوان الخارجي،و ذلك بإنشاء العديد من المستحكمات الدفاعية التي تنوعت ما بين الأسوار، القلاع، الحصون الأبراج و الأبواب.[4]

---

[1]- عناد جويدة، المرجع السابق، ص،66.

[2]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية 1515م-1830م، دراسة أثرية معمارية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، جامعة أبو القاسم سعد الله، معهد الآثار،2014-2015،ص، 80.

[3]- Ben Hamouche Mustapha, Dar Es sultan, l'Algérois à l'époque ottomane,-Gestion urbaine et aménagement du territoire, Dar El Bassair, 1er éd, 2009,p,3.

[4]- بن شامة سعاد، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري في العهد العثماني، شرشال - البليدة - القليعة ، ومظاهر التمدن الاندلسي فيها – وصفية تحليلية - انموذجية- اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة بزريعة2، معهد الاثار،2015-2016 ، ص،4.

و يبدو من خلال الملاحظة الميدانية ان هذه التحصينات منها ما هو قائم الى يومنا هذا، و هناك من التحصينات لم يبق منها الا القليل و هناك المندثرة نهائيا.[1]

من الأساليب التي استعملها حكام الجزائر في فرض نفوذهم، استخدام سياسة دفاعية محكمة و أساليب عسكرية متطورة، تمثلت في اقامة شبكة دفاعية تمس أغلب المناطق الاستراتيجية الحساسة بالجزائر، بدءا بمنطقة القبائل الجبلية القاطنة ببلاد القبائل، لتظل بعيدة عن المناطق السهلية حيث تنتشر مزارع البايلك[2]. كما يعد اكتشاف المدفع في القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي, حدثا تاريخيا في العمارة العسكرية وتحولًا خطيرا في تاريخ البشرية[3]. و من هذا المنطلق جاءت جملة الاستعدادات ومن بينيا الاستحكامات العسكرية التي أنشأت لغرض دفاعي بالدرجة الأولى.[4]

و من المنجزات العثمانية في الجزائر مينؤها الذي ربط الجزر فيما بينها في بناء دائري يصعب اقتحامه، مما وفر للمجاهدين قاعدة متينة. أما منطقة القبائل؛ فقد تمثلت الشبكة الدفاعية في مجموعة من الحصون عبارة عن حلقة محكمة تطوق بلاد القبائل (غربا، شرقا، شمالا وجنوبا).

بالنسبة لمدينة بجاية مثلا؛ الملاحظ ان العثمانيين امتلكوا واستَخدموا المباني العسكرية التي شيدها الاسبان كمستحكمات عسكرية لغرض الدفاع و الحماية ، في حين فإن

---

[1]- بن شامة سعاد، المرجع السابق، ص،4.

[2]- سعيدوني نصر الدين،**"الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل"** ،السلسلة العاشرة كتب تقديرية لبعض الاعلام الدوليين رقم 11،تحية تقدير لأندريريمون،الجزء2،المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، تونس، آوت،2004 ،ص، 191.

[3]- عثمان مفتاح، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،25.

[4]- بلبوات بن عتو، المدينة والريف، ج2 ، سلسلة دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكبة العلوم، الجزائر، 2016، ص المدينة و الريف، ص، ص،112-113.

مدينة الجزائر؛ قد اعادوا بناءها من جديد و طوروا نظامها الدفاعي كليا[1]. و بالنسبة لمدينة شرشال، فكانت إحدى المدن التي قام القائد عروج بتحصينها ، و من جهة ثانية بُني بها مصنعاً للعتاد الحربي، وفي السياق نفسه يجب عدم إغفال الأدوار التي أدَّتها المدن الأخرى كبجاية و تلمسان. وهذا ما يفسر الصراع العنيف الذي كانت تشهده كل من هذه المدن بين الأتراك العثمانيين والإسبان ولفترة زمنية طويلة.[2]

أمام هذا الاضطرابات و التوترات بين دول المغرب الإسلامي، استغل العدو الخارجي الغير المنتظر وهم الإسبان هذه الظروف، فقاموا باحتلال أغلب المدن الساحلية لبلاد المغرب العربي الأوسط كعنابة، بجاية، أرزو و وهران،هذه الأخيرة التي مكث بها الإسبان أكثر من ثلاث قرون فأنشأوا بها قلاع وحصون جديدة تتماشي و الوضع الجديد و التطور الحربي[3], ثم حاول الإسبان احتلال مدينة الجزائر وذلك بإقامة حصن على الجزر المقابلة للمدينة علي بعد **300** م و المسمى بـ "حصن البنيون" لتهديد الأهالي بالقصف و إرغامهم عنوة قصد تسليمها.[4]

عرفت الجزائر سياسة عمرانية دفاعية جديدة، وتطور حربي سواء من الناحية التحصينية أو من ناحية تطور الأنظمة الحربية والأسلحة، بعد دخول العثمانيين الجزائر، فأول ما فكروا فيه بعد استقرارهم بها ؛ البحث عن سبل و طرق الدفاع و ضمان الحماية داخل مختلف المدن التابعة لهم، و لقد كان اقليم الجزائر أول اقليم من أقاليم شمال افريقيا الذي دخل تحت السيادة العثمانية فأصبحت الجزائر ركيزة لحركة جهاد الدولة العثمانية في البحر الابيض المتوسط[5]، بعد طردهم للخطر

---

[1]- بلبوات بن عتو، المرجع السابق،ص،ص،112-113.

[2]- بلبوات بن عتو، المرجع نفسه.

[3]- نفسه،113.

[4]- نفسه.

[5]- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية ، عوامل النصوص و اسباب السقوط،المكتبة العصرية صيدا، بيروت،2007،ص،226.

الإسباني الذي اجتاح المدن الساحلية بدءا ببجاية سنة 918هـ/1512م، ووهران و كذا معسكر...الخ، من جهة و طرد الايطاليين من جيجل*سنة 920هـ/1514م الى دخول مدينة الجزائر سنة 921هـ/1515م،والى نجدة مسلمي الاندلس.[1]

انطلاقا من هذه المقدمة عن أوضاع الجزائر العسكرية، ما يمكن استخلاصه؛ أن حدود الجزائر الشرقية التي كانت غامضة، مقارنة بالجهات الأخرى من الجزائر، كان يتم تعديلها من حين لآخر عن طريق عمل عسكري، أما حدودها الغربية ؛ لم يثبتها سوى النزاعات بين الجزائريين و الاسبان في وهران، والسلطة المغربية في فاس، وفي كلتا الحالتين، واجه الجزائريون هذا التهديد بحزم، فأنشأوا قواعد أساسية تتمثل في مدينة عنابة و مستغانم ثم وهران، على البحر حتى يمكن للإمدادات العسكرية أن تصل بسهولة، ومدينة قسنطينة و تلمسان في الداخل.

عهد العثمانيين بعلاقتهم بالسكان الى قياد يكونون تحت مراقبتهم، وهؤلاء القياد يراسون الجند في المدن التي لها حاميات، و يسهرون على أمن الطرق و جمع الضرائب، و تساعدهم في ذلك قبائل المخزن و الزمالة، و لكي يتم لهم ذلك و لتامين المواصلات بين البياليك ودار السلطان انشؤوا تحصينات و كذا على الطرق السلطانية في كل المدن الساحلية و الداخلية[2]، ما نسميها بالحزام أو النظام الدفاعي المركب من الأبراج و الحصون و الأسوار و الطبخانات...الخ.

- الاستحكامات الدفاعية لدار السلطان و ما حولها:

* كانت أول مدينة يدخلها عروج في المغرب الأ وسط و مد نفوذه نحو مدن الساحل الغربية.

[1]- بن شامة سعاد، المرجع السابق، ص،1.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة و النشر و التوزيع،ط1،2007،ص،163.

من التحصينات الدفاعية التي بناها العثمانيين في مقاطعة دار السلطان نذكر

1- تحصينات مدينة الجزائر :

إنً المخطط الدفاعي لمدينة الجزائر في شكله الكلي، وضع في القرن السادس عشر، و لم تأت القرون التالية الا بتعديلات جزئية، دعت اليها متطلبات الدفاع و تقنياته الحديثة، التي لا طالما فاقت بها الجزائر كبريات مدن البحر الابيض المتوسط آنذاك، و لذلك فهي تستحق اسم المحروسة عن جدارة، نظرا للاستحكامات التي أقامها حكامها خلال ثلاث قرون.[1]

لقد طوروا دفاعاتها بعناية فائقة و جعلوا شهرتها كمؤسسة عسكرية تفوق كل مدن الامبراطورية العثمانية بما في ذلك الاسلام حول نفسها، ففي سنة 1246هـ/ 1830م،كانت هذه الجبهة الدفاعية البحرية بين بولوغين تمنفوست مزودة بحوالي 1743 قطعة مدفعية و العديد من الأبراج و الحصون.[2]

عمل الإخوة عروج و خير الدين بربروس على تزويد مدينة الجزائر، بجملة من المرافق ذات الغرض الدفاعي، المتمثلة في سياج الأسوار كالخنادق وحصنوا مداخلها، غير أنهم لم يكتفوا بتحصين المدينة فقط، بل وجهًوا عنايتهم إلى حماية الثغور و تخوم الدولة بإنشاء سلسلة من الحصون و الابراج و كذا الطبانات، و كانت هذه المرافق الدفاعية مشكلة بصفة دقيقة و موضوعة بمناطق حساسة تستجيب لمبدأ الدفاع عن النفس، كحماية الأرواح كالممتلكات من الاعتداءات الخارجية التي يمكن أن تهدد سلامتها واستقرارها ، بحيث وردت شهادة تؤكد ذلك في تقرير" لانفيدكشي و بوسيو" في سنة988 هـ/1580م، بأن القيام بأي حملة على الجزائر مستقبلا

---

[1]- لخضر درياس، المرجع السابق،ص،107.

[2]- بورويبة رشيد، الجزائر سلسلة " فن وثقافة "، وزارة الإعلام و الثقافة، الجزائر، 1947 ، ص 53.

أصبح أصعب من الفترة التي هاجمها فيها شارلوكان، لأن المدافعين عنها تزايدوا و تحصيناتها أصبحت أكثر متانة.[1]

لعل مازاد من قوة دفاعها، ذلك المظهر الطبيعي للمدينة التي بنيت على سفح جبل، في شكل مثلث قاعدته ملاصقة للبحر و قمته راس الجبل، وتبدو المنازل به متصاعدة في هيئة مدرج يحيط بها سور يتراوح ارتفاعه ما بين اربعين قدما على امتداد الميناء و ثلاثين قدما من جهة البر. و في أعلى المثلث نجد القصبة المسورة هي الاخرى بسور تتخلله فتحات للمدفعية تزيد من القوة النارية للدفاع عن المدينة، يحيط بكل ذلك خندق يتراوح عرضه ما بين ستة عشر(16) الى عشرين(20) قدما.[2]

(الصورة(01))

تأتي في مقدمة هذه التحصينات؛ الأسوار و الحصون الخنادق و الأبراج والثكنات، إلى جانب الطبانات أو الطبخانات، فقد كانوا يعملون كالجسد الواحد للحفاظ على أمن واستقرار المدينة من أي هجومات محتملة خاصة منها البحرية.[3]

(اللوحة(14))

– أسوار مدينة الجزائر:

يعود تاريخ إقامة أسوار مدينة الجزائر إلى الفترة الزيرية، وتحديدا القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تاريخ إنشاء المدينة ،على غرار عدد من المدن الزيرية نتيجة الأوضاع الأمنية السائدة أنداك مثل مدينة أشير، وقد نقل لنا" ابن حوقل " وصفا لتحصينات المدينة بقوله: « **جزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على سيف**

---

[1]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية .....ص،379.

[2]- لخضر درياس، المرجع السابق،ص،107.

[3]- Fray Diego de Haedo , « **Topographie générale d'Alger .....**p,418.

البحر...». وأكّد هذا القول الجغرافي المقدسي بقوله:« **و جزيرة بني مزغناية على ساحل البحر مسورة ».**[1]

كانت هذه الأسوار في بداية القرن العاشر الهجري/16م قائمة، ونستشف ذلك من وصف حسن الوزان للمدينة قبل خمسة سنوات من فتحها من طرف الأتراك بقوله:" ...**شيّدوا (الإسبان) قلعة جميلة كبيرة في جزيرة صغيرة مقابلة تماما للمدينة وقريبة منها، بحيث كانت قذائف المدفعية تصل إلى اليابسة، بل وتمر فوقها من سور إلى سور...**[2]، و يقصد بذلك السور القديم للمدينة والتي يبلغ أقصى امتداد لها نحو الجنوب إلى القصبة البربرية، وهي نفسها التي اخترقها الأتراك من الناحية الغربية حيث باب الوادي في معركتهم مع الإسبان، وتمكنوا على إثر ذلك دخول المدينة سنة 922هـ/1516 م.[3]

استحقت المدينة اسم الجزائر المحروسة،عن جدارة كاملة طوال الفترة العثمانية، وذلك بفضل تلك الاستحكامات المتنوعة الوظائف التي بناها مهندسون وتقنيون ذوي خبرة كبيرة في هندسة العمارة العسكرية، وتطوير النظام الدفاعي للمدينة[4]وهذا ما أكدته الشواهد المعمارية الأثرية التي عرفت أعمال الترميم، نذكر على سبيل المثال؛ حصن 23*، وبرج تامنفوست** و قلعة الجزائر أو القصبة العليا التي تحوي على أروع هندسة معمارية، لأحد مبانيها المتمثلة في دار البارود والفريدة من نوعها في المغرب العربي، وذلك لاشتداد العدوان الأوروبي المسيحي، و بفضل

---

[1]- أبو القاسم بن حوقل النصيبي، المصدر السابق،ص،7.

[2]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص، 38.

[3]- Fray Diego de Haedo , Histoire des Rois d'Alger .....p, 23.

[4]- وليمام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق، عبد القادر زيادية ،دار القصبة للنشر، الجزائر1980،ص،52.

* يعود بناؤه إلى 984 هـ/ 1576 م من طرف رمضان باشا (حكم لمدة ثلاث سنوات ما بين 982 هـ -985 هـ/1574م و 1577 م

** بني بأمر من الباشا إسماعيل من طرف حمدان أغا سنة 1077 هـ/ 1666م.

هذه الاستحكامات الضخمة التي تعتبر كمؤسسة عسكرية، فاقت مدينة الجزائر المدن العثمانية الأخرى.[1]

بالجمال الرائع الذي ميز مدينة الجزائر وعمرانها ، خاصة الاستحكامات القوية من حيث هندستها البنائية، سواء داخل مبانيها أو خارجها، فقد دفعت العديد من الرحالة والجغرافيون الذين زاروها، وكذا الأدباء والكتاب والشعراء الذين يعودون إلى القرن 12 هـ/18م يتغنون بها، كعبد الرحمن الجامعي* في قوله:« **الجزائر والحمد لله دار الجوهر الفرد في الأدب وعلم العقل**....». [2]

و تعرضت أسوار مدينة الجزائر خلال الحكم التركي إلى عدّة تجديدات و إضافات إلى غاية 1246هـ/1830 م. و "خير الدين باشا" اول من باشر بهذه الاضافات و التجديدات[3].و يعد "حسن باشا" أول من جدد أسوارها،و كان ذلك سنة 944 هـ/ 1540م، حيث قام بمد أسوارها القديمة جنوبا إلى غاية القصبة التركية مشكلة أسوارها الخارجية، وفتحت بها أبواب أخرى على رأسها باب الجديد بالسور الشرقية أسفل القصبة.

جددت هذه الأسوار مرة أخرى سنة981هـ/1573م من طرف"أعرب احمد باشا" ، إلاّ أن هذا العمل اقتصر على السور الشرقية للمدينة فقط، حيث توسعت شرقا على حساب ربض باب عزون مع الحفاظ على اتجاه مسارها السابق، وهذه التوسعة في أسوار المدينة باتجاه الجنوب والشرق، جاء نتيجة النمو الديموغرافي السريع وما لحقه من حركة عمرانية كبيرة بالمدينة، أملت على الرعية التوجه إلى

---

[1]- وليام سبنسر، المرجع السابق، ص،52.

*هو أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله الفاسي الشهير بالجامعي ،أديب وكاتب، ولد بفاس سنة 1087هـ، صاحب « قريحة جيدة في نظم الشعر البليغ...» للمزيد انظرعبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث- الجزائر، مدية، مليانة ، دراسات وأبحاث ،ط2، الجزائر، 1972 ،ص،154.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث.....ص،154.

[3]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص، 336.

النمط العمودي في البناء[1]، حسب روزي **Rozet** في قوله:« **عرفت مدينة الجزائر في فترة حكم خير الدين زيادة سكانية بنسبة سريعة، حيث قدّرت سنة 981 هـ/1573 م، بما يفوق 12 ألف نسمة،وكان بها 100 مسجد و34 مستشفى** ».[2]

نشير إلى أن أسوار مدينة الجزائر، قد اتخذت شكلا مثلثا، و قد دُعِّمت بعدد من الأبراج المربعة الشكل[3]، مسلحة بالمدفعية[4]. أما بدنها فقد شيّدت بشكل مائل، وهذا التخطيط فرضه التقدّم في نظام التسلّح عند العدو باستعماله للمدفعية.[5]

يقدّر محيط الأسوار حوالي 3400 خطوة، إذ يبلغ طولها بالواجهة البحرية 1600 خطوة، وفي الجانب البري 1800 خطوة، و قد لعبت دورا كبيرا في تجسيد هذا الشكل الهندسي، فهي تنحدر من أعلى المدينة متخذة اتجاهين متعاكسين إلى غاية مستوى البحر، وقد بلغ طول السور الأول والواقع بناحية باب الوادي حوالي 900 م ويبلغ ارتفاعهما عموما ما بين 11 متر إلى 13 متر[6]، بحيث تكون أكثر سمكا وارتفاعا عند الواجهة البحرية باعتبارها الخط الدفاعي الأول للمدينة، لتعرضها لقصف قوي ومتكرر من طرف مدفعية السفن البحرية المعادية للحكم القائم بالجزائر.[7]

---

[1]- ليليان مسلم، " الجزائر نشأة المدينة وتطورها قبل سنة 1830 "، من كتاب: القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1985 ، ص،23.

[2]- Rozet et Carette , Algérie, Paris,France,1850, p,71.

[3]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence d'Alger, trad, I.M Carthy, 2éme ed, Bouslama Tunis, 1980 , p, 289.

[4]- Peyssonnel et Desfontaines, Voyage dans la régence de Tunis et d'Alger,Tom1,Librairie de Gide ,Paris, 1838 , p,451.

[5]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق،ص،396.

[6]- Henri Klein, Les feuillets d'El Djezair, Ed Chaix,Alger,1937,p,71.

[7]- Boutin, Vincent Yves, Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger par le chef de bataillon Boutin1808, suivie des mémoires sur Alger par le consuls de Kerev 1771,Lib ancienne, honore champion,paris,1927,p,p,32-33.

يتراوح متوسط سمكها ما بين 11 و 12 شبر أي ما يعادل 2.75 م إلى 03 امتار[1]، حيث يقل سمك هيكله بالقسم العلوي من المدينة كلما اتجهنا من الأسفل إلى الأعلى[2]، وذلك للتقليل من ثقلها والزيادة في صمودها، إضافة إلى كون هذه الجهة من المدينة أقل عرضة للخطر، ومحصنة بالمنحدرات الطبيعية، ما ينعكس على عمارتها من حيث السمك والارتفاع، وعلى نوعية الملاحق المعمارية المشكلة لها، وكان سببا في قلة الدفاعات الخارجية لها، التي اقتصرت على برج النجمة وحصن الإمبراطور اللذان شيّدا خارج سور المدينة جنوب القصبة، مقارنة بالجهة السفلية التي هي في عرضة دائمة للخطر الذي يأتيها من البحر، هذا ما انعكس على توزيع النظام الدفاعي للمدينة، حيث تركزت معظم التحصينات بهذه الجهة منها، أما ارتفاعها فقدّر بحوالي 30 شبرا بالجهة البرّية وبـ 40 شبرا بالواجهة البحرية، لكون هذه الأخيرة شيدت على أرضية صخرية مرتفعة، صنعت فارقا بـ10 أشبار.[3]

بنيت جدران السور الدفاعية من مادة الطابية عرضه(من 1 إلى 1.70م)، يعلوه ارتفاع يقدر بـ (1م و 1.32م)، وفتحت في أعلى هذا السور كوات للبنادق كالمدفعية جميعها متساوية في الحجم.[4]

أما عن تقنية بناء اسوار مدينة الجزائر؛ بنيت بمادة الحجارة في الجهة السفلية، بينما بنيت بمادة الآجر في الجهة العلوية، أما عن ارتفاع السور؛ فإنه وصل الى30 قدم عن سطح الأرض و 40 قدما عن مستوى سطح البحر.* [5]

1- Fray Diego De Haedo, Topographie et histoire générale. D'Alger , Traduit de l'espagnol par Dr. Monnereau et A. Berbrugger ,1870,p,p,22-23.

2- Vincent-Yves Boutin, Op.cit., P 192.

3- Fray Diego De Haedo , Topographie et histoire…….. ,P, 23.38 .

4- Vincent-Yves Boutin, Op,Cit.,p,p,,19-34.

5- Laugier de Tassy,Op,Cit,p,175.

* للمزيد عن اسوار مدينة الجزائر انظر علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر...، ص،29.و ايضا الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص، 42. و عن مسار أسوار مدينة الجزائر في العهد العثماني راجع كل من ألبارت ديفولكس، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق، مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات،2004 ، ص،55. و Fray Diego De Haedo, Topographie.....p, 28.

أما هايدو **Haedo** ؛فقد شبه أسوار هذه المدينة خلال الفترة العثمانية، بقوس ذات وتر، يمتد من وجهته البحرية بين الشرق و الغرب، ويتبع الميناء نحو هذا الاتجاه، و كذا الزوًايا ، الاروقة، سطوح البيوت المدينة، و الجدران التي تمثل الخشب في القوس،وقد شيدت على ربوة ترتفع بمدرجات حتى قمتها،حيث نهاية الجبل ومحاطا بأسنان،و كان المحيط الري للمدينة يقدر بثمانية وألف قدما، بينما يبلغ طول الجبل الذي يمثل وتر القوس الممتد على الشريط البحري ستمائة و الف قدم، وبذلك يكون المحيط العام للمدينة أربعمائة و ثلاثة الاف قدم، و السور في الجانب المقوس الذي يأخذ في التصاعد ابتداء من البحر الى قمة الهضبة، ذو ارتفاع متجانس يبلغ ثلاثين شبرا، اما على جانب البحر حيث شيد جزء من هذا السور على صخور فقد كان ارتفاعه يبلغ حوالي اربعين 40 شبرا، اما سمك السور فقد بين احدى عشر و اثنى عشر شبرا و كان يتوسط الجانب البحري المائي المسمى خير الدين بربروس الذي انشئ ليكون ميناء، و ذلك بعد أن تم ربط مجموعة الجزر بباقي المدينة.[1]

لقد بنيت على طول السور الذي يحيط المدينة سواء من الجهات الثلاث طبانات (بطاريات) نلاحظ ابعادها غير المتساوية فتحات اكبر من فتحات التصويب العادي، يمكن استعمالها كفتحات للمدفعية، و نتيجة للموقع غير المنتظم، هذه التحصينات المسننة المطلية بالجير.[2]*

و يتألف سور مدينة الجزائر من ممر (ممشى) أو درب يسير عليه جنود المرابطين و الحراس و يبلغ عرضه حوالي 2 م، و جدار ذي سمك يتراوح بين 0.50م و

1- Fray Diego de Haedo , « **Topographie générale d'Alger .....**p,p,418-419 .

* يذكر دوفولكس انً المباني الواقعة داخل المدينة مباشرة ، تتصاعد في شكل طوابق على مدرجات في غالب الاحيان متقاربة الواحدة من الاخرى.

2- Albert Devoulx, ,« **Etude archéologique et topographique sur cette ville aux époques romaines,(Icosium)arabe (Djezair beni mezeranna) et Turque(El Djezair)**,in Re afr, n°20, année 1876, p,74.

0.95م، و عادة ما يكون مبنيا بالحجارة او الاجر المشوي ثم التراب المركوم الذي له شكل مائل ، تكون القاعدة بانحراف يقدر بـ 30°، و سمك القسم الذي أجريت عليه قياسات، و هو القسم المتبقي من سور باب الجديد الغربي، يبلغ 3.50م و سمك الجدار كله 6.45 م، وكانت بأعلى هذا الجزء دورات الاحتماء بها تتخللها فتحات، تساعد المحارب على النظر و التسديد الى الخندق دون أن تصيبه رميات المهاجمين[1].

إنً بقايا سور مدينة الجزائر، الواقع عند سجن سركاجي ومقر الدرك الوطني، حيث يظهر و بوضوح، شموخ و عظمة هذا السور الذي يفوق طوله 14م، بني على شكل مائل من الجهة الخارجية، مما لا يسمح لأي عدو صعوده و تسلقه، أما الجهة الداخلية جعلت له أقواس ليتحمل الممر الذي يسير عليه الجنود.[2] **الصورة (02).**

القصبة :

إنً الموضع الذي اختاره العثمانيين، لبناء قصبتهم بمدينة الجزائر، كان امتداد على ربوة، أعاد بناءها الزيريون في حدود 339هـ/950م، لتوفره على عدة شروط نذكر منها كثرة المياه فيه وانتعاش الزراعة به، وكذا كثرة مواد البناء الناتجة عن تهدم أسوار ومنازل رومانية قديمة، مع احتفاظ شوارع وأنهج هذا الموضع على تخطيطاتها، الشيء الذي لم يكلف الزيريون سوى إعادة بنائها وترميمها.*[3]

---

[1]- على خلاصي، المباني العسكرية العثمانية بمدينة الجزائر، دراسة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الدراسات المعمقة، جامعة الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، فرع التاريخ،الجزائر،1979 م،1979، ص، 147.

[2]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،387.

[3]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 53.

* قصبة العرب أو الزيريون التي بناها بلكين بن مناد ،تمتد بين خطي شارع باب الوادي وباب عزون، و خط نهج بالمي حنبعل أي بين كنتور 20 إلى80 تقريبا. وكان السور المحيط بمدينة بلكين ينطلق من باب عزون ليمر بشوارع أو أنهج كبيرة ،ثم ينحني جنوبا ، ليخرج في باب الوادي، بالقرب من مدينة سيدي عبد الرحمان الحالية. عبد القادر حليمي، المرجع نفسه، ص،ص، 169 - 171 .

شرع العثمانيون في بناء القصبة بالمنطقة العليا سنة 922هـ/1516م، بعد أن أصبحت القصبة الأولى لا تؤدي وظيفتها اتجاه طمع الإسبان في احتلال مدينة الجزائر، ثم إن هذه القصبة نفسها لا تكفي لموجات الهجرة الأندلسية التي أدت إلى كثافة النمو الديموغرافي، فكل هذه الأسباب بالإضافة إلى أسباب ثانوية أخرى جعلت عروج يشرع في بناء هذه القصبة**،بالمنطقة العليا من المدينة ابتداء من سنة 922هـ/1516م ، وجهزها ببعض المدافع و بعض الجنود، وقد انتهي من بنائها مبدئيا ما بين 1000هـ /1591م- 1592م من قبل الخضر باشا بعد تجهيزها في تلك الفترة ببعض المدافع المدعمة من الأتراك، وأصبحت القصبة مقر الدايات ابتداء من عام 1233 هـ/1817م.***[1]

اما النظام الدفاعي للقصبة بما فيها قصر الداي، فكان يتركز على سبع بطاريات موزعة عل أضلاعها ، و فتحت فيها فتحات للمدفعية و أخرى للبندقية و جهزت بثمانية و ثمانين مدفعا ، تتكفل بها حامية تتكون من ثلاث أفواج أي مجموع تسعة و خمسون جندي انكشاري، يتم تغيرهم كل ربيع من كل سنة يشرف عليهم قائدين

** تقع على ارتفاع 118م من مستوى سطح البحر، و كان يحيط بجدران القصبة أكثر من مائتين مدفع منها الكبيرة و الصغيرة يقوم بحراستها سبعون عريفا يتداولون كل أسبوع، و في سنة(1232هـ / 1817 م) أمر علي خوجة بإتمام تحصين القصبة و انتقل إليها و اتخذها مقرا لإمارته بعد مغادرته قصر الجنينة ، و ذلك لإخماد الفتن و توترات العساكر العثمانية، و في سنة (1233 هـ/ 1818 م). أتم حسن باشا بناءها و شدد في تحصيناتها و فرض عليها حراسة مشددة و أصبح يطلق عليها اسم "قصر الداي". انظر كل من Fray Diego de Haedo , **« Histoire des Rois d'Alger »** Rev- Afr,1880,p,22 . و المدني أحمد توفيق , كتاب الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر 1984 م . ص41 . و Albert Devoulx, Histoire d'une cité d'Icosium à Alger, Edition critique par Benhamouche Mustapha et Badradine Belkadi,ENAG,EditionAlger,2003,p,158.

-[1] Fray Diego De Haedo, « **Histoire des rois d'Alger……**p,p,73-74.

*** هي السنة التي نقل فيها الداي علي خوجة* المقر السياسي للمدينة من قصر الجنينة إلى القصبة العليا بعد توليته دايا على الجزائر متخذا القلعة مقرا للإمارة، حينما أدرك أن القصر معرض لأي هجوم داخلي يقوم به الجيش الانكشاري، وابتداء من هذا التاريخ وهو تاريخ الانتقال السياسي والذي يعتبر حدثا تاريخيا مهما في تاريخ القصبة ،و بعد أن تم تحصين هذه القلعة وتزويدها بمدافع جديدة، صارت ملائمة لتؤدي دورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والمالي، بعد أن لعبت دورا دفاعيا عسكريا محضا يتمثل في الإشراف على بروج و تحصينات المدينة البرية والبحرية، وبذلك أصبحت القصبة العليا أو القلعة المقر الجديد للحكام العثمانيين في مدينة الجزائر. انظر كل من أندريه ريمون، العواصم العربية ،عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تعريب قاسم طوير، دار المجد،دمشق،1986، ص،25. و علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر وقصر الداي، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم الأثرية، أرشيف حصن 23، تيبازة من 14 إلى 29 فيفري1988،ص،3. و ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر....ص، ص، 50-51.

للمدفعية، و يتوسط القصبة مصنع للبارود فوق قاعدة مربعة[1]، أما بالنسبة للبطاريات السبعة للقصبة، فلم يتبقى منها إلا خمسة.[2] **(المخطط(01))**

المنشآت المعمارية بقصبة الجزائر:

تعتبر قصبة مدينة الجزائر العليا أو القلعة من أكبر معالم مدينة الجزائر التاريخية على الإطلاق والتي يعود بنائها إلى الفترة العثمانية، تتميز بتنوع عمائر نسيجها العمراني بين الدينية والمدنية والعسكرية. وما ميزها أيضا مكانها الاستراتيجي الذي تحتله ونظرا لاكتظاظها بالمسؤولين و الخدم والحرس ، فقد بنيت كثكنة خصيصا للحرس القائم على خدمة القصبة ومراقبة الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من السور، وكذا مراقبة الممرات والشوارع.

نتيجة للتزايد المطرد لعدد السكان بسبب قدوم مهاجري الأندلس، بأعداد كبيرة ودخول الأتراك العثمانيين، وهجرة السكان من الداخل إلى العاصمة الجديدة، فاستلزم وضع مخطط عمراني جديد دام حوالي 40 سنة[3]، اتسعت فيه المدينة التي كانت حدودها عند القصبة القديمة إلى القمة، التي تنحدر منها الشعبتان اللتان أعطتا للمدينة شكلها المثلث، فمن باب الوادي يتواصل البناء إلى حوالي 300 مترا أي إلى ارتفاع 118م عن مستوى سطح البحر، لتبنى القصبة الجديدة ابتداء من 922هـ/1516م، من طرف الإخوة عروج وخير الدين.[4]

1- Devoulx Albert, Histoire d'une cité d'Icosium ……p,162.

2- خلاصي علي، المباني العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر.....ص، ص، 169 - 171 .

3- علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر.....ص،2.

4- ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر.....ص،60. انظر ايضا علي خلاصي، قصبة الجزائر-القلعة وقصر الداي-رسالة لنيل شهادة الدكتوراه الحلقة الثالثة، جامع الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية-فرع التاريخ والآثار،1984،ص،23.

للقصبة* شكل مثلث تشترك فيه مع المدينة بضلعين، الضلع الشمالي والضلع الشرقي، ونظرا لأهمية موقعها المتمثل بالدرجة الأولى في إشرافها على تحصينات المدينة وضواحيها، فقد حظيت بعناية واهتمام الحكام طيلة الفترة العثمانية.[1]

تعرضت قلعة الجزائر إلى تغيرات معمارية في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/نهاية القرن السادس عشر الميلادي خاصة في عهد مصطفى باشا في فترة 1192هـ-1220هـ/1778م-1805م، إذ قام بتوسيعها و إضافة مباني أخرى. أما من الناحية الوظيفية، فقد تم تحويلها من ثكنة عسكرية وقلعة إلى مقر سكني للداي وحريمه وحاشيته، بالإضافة إلى تحويلها إلى إدارة شؤون البلاد، وذلك ابتداء من سنة 1233هـ/1817م، بسبب تمرد الجنود الانكشاريين على سلطة الدايات. وقد عرف عهد آخر دايات الجزائر حسين باشا حسين الذي حكم ما بين 1234هـ-1246هـ/1818م-1830م) تغييرات كبرى، إذ قام ببناء المسجد الجديد* وإضافة طوابق العليا و أجنحة بأكملها لقصر الداي، وكذا بناء قصر البايات[2].

- الجناح الشرقي: ويشمل القصور الخاصة ببايات الشرق والغرب حين زيارتهم لتقدم فروض الطاعة والخراج، بالإضافة إلى مصنع البارود وأربع بطاريات.
- الجناح الغربي: يعرف بقصر الداي ومرافقه وهو أهم بناية بقلعة الجزائر ويضم قسم الحريم بحدائقه، غرف الداي، قاعة الديوان، الحمامات، المطابخ، قصر الآغا

*تعرضت قلعة الجزائر إلى تغيرات معمارية في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/نهاية القرن السادس عشر الميلادي خاصة في عهد مصطفى باشا في فترة 1192هـ-1220هـ/1778م-1805م، إذ قام بتوسيعها و إضافة مباني أخرى. أما من الناحية الوظيفية، فقد تم تحويلها من ثكنة عسكرية وقلعة إلى مقر سكني للداي وحريمه، وحاشيته ، بالإضافة إلى تحويلها إلى إدارة شؤون البلاد، وذلك ابتداء من سنة 1233هـ/1817م، بسبب تمرد الجنود الانكشاريين على سلطة الدايات، وقد عرف عهد آخر دايات الجزائر حسين باشا حسين الذي حكم ما بين 1234هـ-1246هـ/1818م-1830م) تغييرات كبرى، إذ قام ببناء المسجد الجديد وإضافة طوابق العليا و أجنحة بأكملها لقصر الداي، وكذا بناء قصر البايات. انظر علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر.....ص،ص،3-4.

[1]- علي خلاصي، نفسه،ص،3.

* و هو مسجد الداي ومازال قائما ومحافظا على عناصره ووحداته المعمارية .

[2]- علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر.....ص،4.

ومرافقه، خزانات المياه، الأجنحة المنزهة ،كجناح خوجة الباب، بالإضافة إلى مسجد الانكشاريين، جامع الداي والبطارية الخامسة.

لقد صمم المدخل الرئيسي للمدينة على السور، والذي تعلوه بطارية لها خمس فوهات، ويغطي هذا المدخل ظلة كبيرة يقف تحتها حراس الباشا، به سلسلة. وأعلى هذا الباب لوحة باللغة التركية من ستة اسطر على الرخام[1]،سجلت عليها تاريخ 1000هـ /1591م–1592م، ويرجح أن يكون تاريخ إنهاء أعمال بناء القصبة، بالإضافة إلى اسم المؤسس، خضر باشا الذي حكم الجزائر بين 998هـ–1001هـ/1589م–1592م.[2] **(المخطط(01))**

الخنادق:

تعددت المنشآت العسكرية في مدينة الجزائر كالقلاع و الحصون و الابراج بالإضافة الى حفر الخنادق لغرض الدفاع عن المدينة. ففي مجال الخنادق، فان العثمانيون خلال القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، قاموا بإنشاء خندقا جديدا يحيط بالمدينة اثناء عملية تجديد و اعادة بناء سور مدينة الجزائر كسلاح دفاعي يدعم السور وقد سماه المكناسي في رحلته بالحفير و هو محصور بين السورين الداخلي و الخارجي، و يوازيهما من الجهة الارضية حيث ينتهي عند ساحل البحر.[3]

1- Albert Devoulx ,**« Etude archéologique.....** p, p,160-161.

2- Henri Klein, Feuillets D'El Djezair,,T III ,Le vieil d'Alger et sa banlieue,1912p,19.

3- بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر و مينائها خلال العهد العثماني "**، مجلة الحضارة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس ،سيدي بلعباس، الجزائر، العدد14، شعبان 1431هـ/2010ص،153.

يبلغ عرض هذا الخندق في بعض الأوقات ستة عشر قدما[1]، و يبلغ في نواحي أخرى 20قدما و 07 أقداما عمق.[2]و يصف لنا هايدو **Haedo** هذه الخنادق قائلا:" و بغض النظر عن البروج و الطبانات فان المدينة محاطة من كل الجوانب بخندق يبلغ عرضه حولي ستة عشر مترا، قد انجز في وقت سابق، ردم قسم منه بسبب الفضلات والقاذورات،لكن ابتداء من القصبة وعلى طول السور الذي يشمل باب الجديد يتواصل ليرتبط برج اعواب الذي يقع بشاطئ البحر،ويبلغ عرض هذا الخندق على طول امتداده 20 قدما،عميق مثل الرمح في حالة جيدة من الصيانة، هذا الامتداد يبلغ طوله حوالي 450 قدما (149م)،رمم كليا بأمر من اعواب احمد باشا* سنة 980هـ/ 1573م.*[3]

أما الأب دان فيصف هذا الخندق بكونه" كان أحسن الحصون ذلك الذي كان في باب عزون، و كان حوله خندق عميق من جهة البر ، وقد اقيم على صخور من جهة البحر حيث كانت الامواج تتكسر عليه". أما الدكتور شو فيقول:" لقد كان الخندق الذي كان يحيط بالمدينة في الغالب مسدودا ، باستثناء اماكن باب الوادي و باب عزون ، حيث لم يكن على كل حال ذا فائدة دفاعية.[4]

كما وضع الجاسوس بوتان* مخططا للمدينة حين زارها سنة 1223 هـ/ 1808م، قصد أخذ كل المعلومات على التحصينات و المنشآت الدفاعية و من خلالهما معرفة

---

[1]- ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر.....ص، 79.

[2]- Laugier deTassy, Histoire de royaume d'Alger,Amsterdam,1794,p,175.

*تولى الحكم سنة979هـ/ 1575م وللمزيد انظر عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر ج3 .....ص،98.

[3]- Haedo De Diego, « **Topographie générale d'Alger** ……p, 425.

* للمزيد وللاطلاع مصطفى احمد بن حموش، المدينة و السلطة في الاسلام- نموذج الجزائر في العهد العثماني- ، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، دبي، ط1، دار البشائر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1999،ص، 284.

[4]- ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر.....ص،80.

* يعد بوتان الوحيد الذي اشار الى الاسوار البرانية التي تسبق الاسوار الكبيرة للمدينة. Vincent- Yves Boutin , Op,Cit , p,p, 32-33.

نقاط ضعف تسمح للجيوش المعادية الفرنسية اختراق المدينة و احتلالها. فيصف الخندق قائلا:" **لقد حفر الخندق الذي يتراوح عمقه بين ستة و ثمانية امتار، و كان الخندق محاطا بسور خارجي ارتفاعه نحو ستة الى ثمانية اقدام و سمكه بين 12-الى 15 شبرا، و كان يستمر ابتداء من الباب الجديد الى غاية باب عزون، كذلك اعلى و اسفل باب الوادي ، و قد قسم الى نصفين بواسطة سور موازي و مائل، و كانت تعلوه كتل صغيرة متباعدة لتوضع فيها البنادق**". كما اشار الى وجود الخندق ما بين كل من السور الخارجي الصغير و السور الداخلي الكبير و السميك.[1]

و قد افادنا حليمي عبد القادر بمعلومات حول الخندق اذ يرى ان تخطيطه يعود الى سنة 941هـ/1534م،في عهد حكم حسن اغا، و ذكر انه محكم البناء، و يصعب عبوره و تتخلله جسور يمكن رفعها وقت الحاجة.*[2] **(اللوحة(14))**

- أبواب مدينة الجزائر:

تخللت أسوار مدينة الجزائر خمسة أبواب، و اختلف في تحديد عددها، فهناك من يرجح عددها الى خمس، و آخرين الى ستة[3] أبواب رئيسية ، و هي تسمح باتصال المدينة بالخارج*، لكن هايدو يشير الى وجود تسعة ابواب، وذلك في نهاية القرن 10هـ/القرن16م، فتحت على أسوار المدينة، باحتساب الخمسة المعروفة[4]، خمسة منها رئيسية[5]، و أربعة من هذه الأخيرة بالجهة البحرية[6]، و يمكن اعتبار أبواب

1- Vincent- Yves Boutin , Op,Cit , p,p,32-33.

2-عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 231.

* للمزيد ايضا عن الخنادق في مدينة الجزائر في العهد العثماني انظر Sakina Messoum, Alger à l'époque Ottomane –la médina et la maison traditionnelle,Inas,Alger,2003,p,119-125,127.

3- J.M.H.B ,Itinéraire de Royaume d'Alger, L.Laurent ,Lib,Editeur sur le port ,Toulon, 1830, p,p,38-39

* انظر أيضا Haedo De Diego, « **Topographie générale d'Alger** …….,p,p,419-421

4- Haedo Don Diego,Ibid,P,425

5- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ، 336.

الجهة السفلية من المدينة من الأبواب التي ورثها الأتراك عند دخولهم المدينة، والتي حافظت على مواضعها بالسور أو على الأقل على اتجاهاتها مثل :باب عزون بالسور الشرقية التي جددت في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ النصف الثاني من القرن السادس عشر، نظرا لأعمال التوسعة التي عرفتها سور المدينة بهذه الجهة.[1] **(اللوحة(15))**

- **باب الوادي:**

سميت بباب الوادي نسبة إلى الوادي الذي يمر بجانبها، وتفتح نحو الشمال أو نحو الطريق التي تمر بجبل بوزريعة، وهي أقل الأبواب أهمية تنتهي إلى جسر بالإمكان رفعه وقت الخطر.*[2]**(اللوحة(15))**

- **باب عزون:**

تنسب هذه الباب إلى أحد الثوار من الأهالي اسمه عزون، ثار ضد الحكم التركي و حاصر المدينة و لكن بدون جدوى، وقد تم القضاء عليه في مطلع الحكم التركي. وتعد هذه الباب من أهم أبواب المدينة، ومنها كان يدخل القادمون من الجنوب والشرق، ومن السهل المتيجي عن طريق الحواش، وهي أهم طريق تربط المدينة بشرق البلاد، كما كان لهذا الباب جسر يرفع أثناء الخطر.[3] و لقد تعرضت إلى عملية ترميمات من قبل الباشا أعواب محمد مابين980هـ-982هـ/1572م-1574م، لكونها كانت الباب الأكثر تعرضا

---

[6]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص،81.

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،149 .

[2]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 233.

* للاطلاع اكثر عن ابواب مدينة الجزائر انظر كل من رزوق نعيمة ، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني - قصر الداي نموذجا - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، السنة الجامعية،2010-2011،ص،44-46، وكذا محفوظ بوطبة، المرجع السابق،ص، ص، 149-158. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،394-406.

[3]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 232.

للهجمات المختلفة للجيوش الصليبية، وهذا ما جعل أعواب باشا يقوم بتوسيع الخندق الذي كان يحيط بها من كل جانب.[1] **(اللوحة(15))**

- **باب الجزيرة:**

تقع بالناحية الشرقية، وتعتبر الممر الوحيد ما بين الجنينة والميناء، وقد أنجز من طرف المهندس موسى سنة 1078هـ/1667م[2]ويدعى أيضا بباب الجهاد لأنها الباب التي كانت مخصصة لدخول وخروج القراصنة أو المجاهدين في البحر، وقد سماها الفرنسيون بعد احتلالهم للمدينة بباب فرنسا، ثم باب البحر، وضل الأهالي يطلقون عليها إلى يومنا هذا باب الجزيرة. وهي أشد الأبواب متانة ومناعة، وبجانبها كانت عدة ثكنات للجيش الانكشاري.[3] **(اللوحة(15))**

- **باب الجديد:**

تقع بأعالي القصبة بالجهة الجنوبية من السور، يدخل منها القادمون من الغرب ومن البليدة حيث يربطها طريق رئيسي بغرب البلاد منذ العهد الروماني، وهو سبيل وعر يسلك الروابي والمرتفعات ،إلا انه أحسن من طرق السهل المتيجي التي كان تتخللها المستنقعات والأحواش في بعض أجزائها.*[4]

---

[1]- Henri Klein, Feuillets D'El Djezair,,T III …….p,16.

[2]- نجيب وركوب، التحولات العمرانية لمدينة الجزائر، التحولات العمرانية لمدينة الجزائر ما بين 1830م و1914م،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ، جامعة بوزريعة-الجزائر- التاريخ، 2007 م، ص، ص،17.

[3]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق،ص،ص،233- 234.

[4]- عبد القادر حليمي، المرجع نفسه، ص، 232.

*انظر أيضا بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،157-158.

- باب السردين أو باب الديوانة:

كانت مخصصة للتجارة البحرية وكان يدخل منها الصيادون او التجار، لذلك سميت بباب السردين، وقد علقت بهذه الباب خمسة أجراس، قيل أنه جيء بها من مدينة وهران بداية القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي اي سنة 1120هـ/ 1708م.*[1]

كما وجدت مجموعة من المنشآت والوسائل الدفاعية، والتي جعلت من طريقة انجازها، وحدة متكاملة ومتجانسة مع الشكل العام للمدينة، ومن أهمها البنايات العسكرية كالأبراج كبرج السردين وبرج رأس المول ،إلى جانب مجموعة من الحصون والقلاع و منها التي بني اغلبها في الواجهة البحرية[2]، مثل برج الأربعة والعشرون ساعة الذي تم انجازه سنة 1218هـ/1803م في الجهة الشمالية للمدينة،[3] وقلعة الجزائر أو القصبة العليا ، بعد أن تم انتقال دار الإمارة من قصر الجنينة بالقصبة السفلى إلى القلعة، من طرف الداي علي خوجا سنة1233هـ/1817م.و ما يلاحظ أن عدد القلاع والحصون التي بنيت داخل المدينة قليلة جدا، نذكر على سبيل المثال قلعة مولاي حسن.*[4]

من هنا يتضح أن الموقع الاستراتيجي لهذه المدينة،هو الذي دفع بحكام الجزائر إلى تركيز جهودهم ، من أجل منح المدينة دفاعات بحرية بالدرجة

---

[1]- عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص، 234.

* انظر ايضا مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،402.

[2]- نجيب وركوب، المرجع السابق، ص، 17.

[3]- Albert Devoulx, « **Alger, Etude archéologique et topographique sur cette ville d'Alger, aux époques romaines,(Icosium)arabe,(El Djezair beni Mezeranna) ,et Turque(El Djzair)** »,in Re-Afr ,n°19,année 1875,OPU,Alger,p,239

* بدأ الأشغال بها في سنة 1545 م من طرف حسن باشا، للمزيد انظر.Réne Lespes, Op, cit, p, 123

[4]- Lespes René, Alger, Etude de géographie et d'histoire urbaine, Paris, 193,p, 123.

الأولى ، وقد تم انجازها على مراحل متعددة من تاريخ المدينة ، بدءا من تاريخ دخولها تحت الحماية العثمانية في سنة 926هـ/1519م، إلى غاية 1246هـ/1830م. و كل هذه الانجازات ، جعلت من المدينة قلعة حصينة كما يشير إليها اسمها السابق والذي كان يطلقه عليها سكانها إليها اسمها السابق والذي كان يطلقه عليها سكانها.[1] **(اللوحة(15))**

2- بطاريات الأسوار و القلعة :

تندرج عملية توزيع البطاريات* على أسوار المدينة، ضمن مخطط دفاعي رسمه الأتراك العثمانيون لمقر حكمهم و عاصمة دولتهم- مدينة الجزائر-، انتشرت على سطوح اسوار المدينة.[2]

بطاريات السور الغربي للمدينة:

- بطارية الحمام المالح:

تبعد عن باب الوادي بخمس و اربعين مترا، تحمي شمال غرب المدينة و يعود تاريخ بنائها الى العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي و هي مزودة بعشرة قطع للمدفعية.

- بطارية سبع التبارن*:

تبعد عن باب الوادي بمائة و ثلاثين مترا مزودة بستة مدافع.

- بطارية سيدي رمضان **:

1- George, Guauchain , Alger, Ed de l'imprimerie Algérienne,Alger,1905,p,136.

* و يقصد بالبطاريات؛ حسب الدكتور بلبروت بن عتو الطبانات او الطبخانات وهي معاقل للمدفعية في الأسوار و الحصون و الابراج و في التراب بعد حفرة و احاطتها بأكياس من التراب او الرمال. انظر بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر....."**ص 160،

2- بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ....."**ص،151

* و تسمى ايضا سباط الحوت أو أرناؤوط مامي.

**تسمى أيضا قطع الرجل.

قطع الرجل حسب الدكتور بلبروات هو المكان الذي كان يحظر فيه التجوال بعد غروب الشمس.[1]

- بطارية رحى الريح*:

تبعد عن البطارية السابقة بمائتين و خمس و عشرين مترا تحتوي على تسع فوهات نارية.

بطاريات السور الشرقي للمدينة:

- بطارية الباب الجديد:

تقع على مسافة تسعين مترا من الجدار الجنوبي للقصبة، و هي مزودة بتسعة مدافع.

- بطارية حومة السلاوي:

تقع اسفل البطارية السابقة على بعد مائتين و خمس و عشرين مترا ، تحتوي على سبع فوهات نارية.

- بطارية بدون تسمية:

تقع على بعد خمس و سبعين مترا اسفل باب عزون، على شاطئ البحر، و هي مزودة بعشرة مدافع ذات عيار 24 ، و اربعة مدافع ذات عيار 18.

- بطارية العسل: تجاوز فندق العسل، وكان بها خمسة مدافع، ثلاثة منها مصوبة نحو البحر و مدفعين نحو البحر.

---

[1]- بلبروت بن عتو،" **المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**"ص،160.

* تسمى ايضا حومة زيان.

بطاريات السور الشمالي للمدينة:

- بطارية المارستان:

تسمى ايضا بطارية المجانين لأنها كانت تجاور سجن المجانين، وهذه البطارية العائد تاريخها الى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وكانت مزودة بثلاثة أو أربعة مدافع.

- بطارية الجامع الكبير:

تبعد عن بطارية قاع السور ب بثمانين مترا، مزودة بـ ثلاثة مدافع ابتداء من نكسة المدينة امام حملة اللورد اكسموث سنة 1232هـ/1816م.[1]

- بطاريات القلعة :

كانت قلعة الجزائر في مراحلها الأولى تتكون من خزام يتكون من سبع بطاريات ، الجزء الجنوبي الشرقي من قصر البايات ، الطابق الأرضي من قصر الآغا والطابق الثاني من جناح الحريم، إلا أنه بعد انتقال مقر الحكم إليها واتخاذ الأجزاء الأخيرة مقرا لإيواء العدد الضخم من العمال والعسكريين، اقتصر الجانب المعماري الدفاعي على البطاريات فقط.[2]

و من بطاريات قلعة الداي او القصبة العليا نذكر:

- البطارية الأولى:

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه، الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر،1989-1990، ص، ص،132-136.

[2]- رزوق نعيمة، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر، سلسلة دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلوم للنشر و التوزيع و الطباعة، الجزائر،2016،ص،65.

تقع البطارية الأولى في القسم الشمالي الشرقي من القصبة، يحدها من الغرب قصر الداي ومن الجنوب حديقة النعام ومصنع البارود، ومن الشرق البطارية الثانية، وتشترك القصبة مع المدينة بهذا الضلع الذي يشرف على المدينة والميناء.

- البطارية الثانية:

تقع بالقسم الجنوب الغربي للقصبة، ما بين قصر البايات ومخزن الأسلحة من الجهة الجنوبية الغربية وتتصل بالبطارية الأولى بواسطة ممر ذو سقف مقبى وقاعة مستطيلة الشكل. بها أربع فتحات للمراقبة وثلاث فتحات للبنادق. وتشتمل المساحة التي بنيت عليها البطارية على قاعة الأسلحة وكشك قصر البايات والمرافق الجنوبية الشرقية و المخزة والغرف الملحقة بها.

البطارية الثالثة:

تقع غرب قصر البايات، يحدها من الشمال مصنع البارود ومن الغرب البطارية الرابعة، نصل إليها عن طريق المنحدر الثاني الواقع شرق مصنع البارود.[1]

البطارية الرابعة:

تقع بين البطاريتين الثالثة والخامسة ومصنع البارود والعين ونادي الجيش، و هدمت مرافقها حاليا ولم يبق إلا آثارها، وعند جنوب البطارية الرابعة نجد قنطرة المياه وهي التي كانت تغذي القصبة والجزء الجنوبي من المدينة. و الملاحظ أنها شوهت هذه البطارية عند شق الطريق وسط القصبة فهدمت الغرف وسدت فتحات المدفعية وأزيلت قنطرة المياه.[2]

---

[1]- رزوق نعيمة، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر، سلسلة..... ص،66.

[2]- علي خلاصي، القصبة وقصر الداي.....ص،41.

البطارية الخامسة:

تقع في القسم الجنوبي الغربي من القصبة. يحدها قصر الآغا من الجهة الشمالية، والنادي الجديد من الجهة الشمالية الشرقية، والبطارية الرابعة من الجهة الشرقية، أما من الجهة الغربية والجنوبية فقد كان هذا البرج أعلى نقطة بالمدينة وينهي جدار التحصين من هذه الجهة. وتتكون البطارية من طابقين مبنيان على تراب مركوم، ويمثل شكلا مضلعا يتكون من ستة أضلاع خارجية بها مجموعة من الفتحات.[1]

يعود بناء هذا البرج للفترة التي بنيت فيها تحصينات القصبة قبل بناء الطوابق الأولى من جناح الحريم وقصر الآغا ومرافقه.

يذكر خلاصي أن هذه البطارية كانت قد ربطت بقنطرة المياه و بسانية غرب البرج، كانت تزود القاعة الشمالية من البطارية بالمياه الصالحة للشرب، وبعد دخول الفرنسيين هدمت بعض أجزائها. و بداخل البطارية بني خزان للماء بالخرسانة المسلحة كانت تزود الثكنة العسكرية المجاورة بالمياه الصالحة للشرب.[2]

البطارية السادسة:

تقع بشمال جناح الحريم وبالقسم الغربي من قصر الداي والتي هدمت بعد سنة 1256هـ/1840م.[3]

---

[1]- علي خلاصي، القصبة و قصر الداي.....ص،41.

[2]- علي خلاصي، نفسه، ص،42.

[3]- نفسه،ص،44.

البطارية السابعة:

تتمثل البطارية السابعة في الطابق العلوي من السقيفة، والتي تعود إلى المرحلة الأولى من مراحل بناء القصبة. ولقد بنيت لمراقبة شارع القصبة و الممر الضيق الذي كان يفصل البطارية الأولى والثانية عن المدينة.[1]

نشير أن هذه البطاريات كانت تطلى بمادة الجير مرة واحدة في السنة، على الأقل وكل واحدة منها كانت تحوي على مجموعة من العيون والمراحيض الخاصة بالجيش وكانت تحظى بعناية فائقة.[2]

3- تحصينات ميناء الجزائر:

إنً تشييد الميناء لم يكن في وقت واحد فقد اولى حكام الجزائر في الفترة العثمانية الاهتمام و الحرص الشديدين بالميناء، الذي يعتبر قبل أن يكون مرسى للسفن التجارية و الحربية التي كانت تمد خزينة الدولة بالأموال و الخيرات، فكذلك يعتبر الميناء من النقاط الدفاعية الهامة التي أفشلت تحصيناتها كل الهجمات خلال الفترة العثمانية و شكلت بذلك خطا دفاعيا أماميا للمدينة.[3]

أثناء دخول الاخوة بربروس مدينة الجزائر، وجدوا ميناء لا يعدو مأوى طبيعيا شبه مربع، يتشكل من أرصفة صخرية، ومن هذه الصخور أربع قطع كبيرة هي أشبه بالجزر، موقعا للقلعة الاسبانية المسماة "البنيون"،أو الصخرة الكبيرة الضخمة.[4]

رأى خير الدين أنه من الضروري بعث الحيوية لميناء مدينة الجزائر و تمكينه من استيعاب النشاط التجاري مع الدول الاجنبية، فحرص بادئ ذي بدء على هدم القلعة

---

[1]- علي خلاصي، القصبة و قصر الداي.....ص،46.

[2]- علي خلاصي، نفسه،ص،47.

[3]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،407.

[4]- بلبروات بن عتو، " **المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر "** .....ص،155.

الاسبانية و تسنى له ذلك في سنة 936هـ/1529م، بعد مساندة سكان مدينة الجزائر له، و اعتراف مدن شرق البلاد بحكمه، ومن ثم بدء في تخطيط الميناء بكيفية تجعله ميناء محصنا يحمي السفن الراسية من العواصف البحرية، و يتصدى للاعتداءات الاجنبية، و يستوعب نشاط كل من له صلة بالبحر سواء كان عاملا بورشات السفن او صيادا او مجاهدا، و اذا كانت خطة الميناء قد ارتسمت خلال القرن العاشر الهجري/القرن السادس عشر الميلادي، فإنً التحسينات المعمارية قد تواصلت الى غاية فترة حكم الداي حسين1234هـ-1246هـ/1818م-1830م.[1] **(اللوحة(16))**

الأبراج و الحصون و البطاريات بميناء مدينة الجزائر:

يوجد بالميناء عدد من الابراج و الحصون و البطاريات و هي :

- برج رأس المول:

يعد اخر التحصينات التي كانت على البحر، وقد سمي البرج بهذه التسمية أي راس المول نسبة إلى الموضع الذي يحتله في نهاية الرصيف الكبير للميناء على يمين مدخل الميناء مباشرة خلف برج" القومان "(برج الحبال[2])،و سمي ايضا حسب ديفولكس باسم برج "الحاج علي باشا" فلأنه آخر من قام بتجديده وأعاد إصلاحه[3]، و يشتمل هذا البرج على طابقين سفلي وعلوي، مزودين بأربع عشرة فوهة نارية، تقيم به

1- بلبروات بن عتو، **" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**ص،155.

2- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,91 . Voir aussi Henri Klein, Les feuillets …..p,169.

3- Albert Devoulx , « **Alger**, **Etude archéologique et Topographique sur cette ville aux époques romaines,(Icosium)arabe (Djezair beni mezeranna) et Turque(El Djezair) »**, in Re afr, N° 21, 1877, p, 59

سفرة*انكشارية تتجدد عند حلول فصل الربيع، ودامت أشغال بنائه عشر سنوات من 1115هـ- 1124هـ/ 1703م-1712م.[1] **(اللوحة (16))**

- برج السردين:

سمي البرج بهذه التسمية، لوجود رسم بارز يتوج اللوحة الرخامية التي تحمل الكتابة التذكارية للبرج، يمثل سمكتين متقابلتين تشبهان نوع السردينة، و قد أشار ديفولكس إلى ذلك في المجلة الافريقية[2]، أما الموقع؛ يقع البرج برأس المول في الجزء المحصور بين" برج القومان" "وبرج ما بين".[3]

بالنسبة لتاريخ إنجازه، فقد نقلت إلينا الكتابة التذكارية مجموعة من المعلومات التاريخية، إلاّ أنها تتسم بعدم توافقها مع بعضها، إضافة إلى إغفال الدراسات السابقة التدقيق في مضمونها وعلى رأسها مدونة" كولان " حول الكتابات العربية والتركية الجزائرية، ودراسة ديفولكس حول مدينة الجزائر.*[4]

بني هذا البرج في عهد أحمد باشا سنة 1077هـ/1667م، ثم أعاد بناءه الباشا بن عثمان سنة 1190هـ/1777م،حيث كان لبرج السردين الامتداد الدفاعي للميناء ، فهو يشرف من الناحية الشرقية على البحر ، ويتصل من الناحية لشمالية ببرج " ما بين" و مسجد الأمرالية (مسجد سيدي ابراهيم البحري)، ويتصل مع برج القومان من الناحية الجنوبية الغربية. تعلو المدخل في الجهة الامامية للقبو الجنوبي لوح من

---

* السفرة حسب بلبروات بن عتو هي مجموعة من الجنود الانكشاريين ، يتراوح عددهم بين اربعة عشر و عشرون جنديا ، و مجموع السفرات يسمى الحامية او النوبة، للمزيد ايضا انظر بلبروات بن عتو،" **المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**ص،160.

1- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,119 .

2- Albert Devoulx , «**Alger, Etude archéologique……..** », in Rev- Afr, N° 21, 1877, P, 51.

3- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,91

4- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،175.

* للمزيد عن هذا البرج أنظر محفوظ بوطبة، المرجع نفسه، ص،175-178.

الرخام ثبت ابان الاحتلال الفرنسي على جدار أحد المخازن الواقعة شرق برج الفنار كتب بالخط النسخي الشرقي و باللغة التركية.*[1]

إلا أن لاكوست **Lacoste** أشار إلى تاريخ بنائه الذي يعود الى سنة1077هـ/ 1667م، وإعادة بناءه من جديد من طرف الداي محمد بن عثمان باشا سنة 1190 هـ-1191هـ /1776م-1777م،و يحوي طابقين سفلي و علوي مزودين بثلاثين مدفعا، موزعة على طابقين 14 على المستوى السفلي و18 في الطابق العلوي.[2]

برج القومان:

بناه الداي عمر باشا سنة 1231هـ-1232/1814م-1815م على أنقاض برج صغير كان موجودا في القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع عشر الميلادي، يتكون من طابقين بهما ثلاثين فوهة نارية و ثلاثين مدفعا، و سمي بالجومان أو القومان لكون الطابق السفلي منه استعمل كمخزن لحفظ الحبال المستخدمة في المراكب البحرية.[3]

يقع البرج بالرصيف الكبير في الجزء المحصور بين برج " السودين" و برج "راس المول"[4]، وقد حلّ مكان البرج الذي أقامه"أعرب أحمد"سنة981 هـ/ 1573م، لحراسة الميناء والسفن الراسية به[5]، قام بتجديد عمارته"عمر باشا" و ذلك نتيجة قدم

---

[1]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،413.

* للمزيد أنظر Colin Gabriel, Corpus des inscriptions arabes et turques de L'Algérie, Ernest Leroux Paris, France, 1901, p60

[2]- Devoulx, Albert « **Alger**, **Etude archéologique……** in Rev- Afr, N° 21, 1877, P,50.

[3] Albert Devoulx , Ibid , P, 201. Voir aussi - Gabriel Colin , Op.cit., P. 56.

[4]- Sakina Messoum,Op,Cit,p,p,91.

[5]- سعيد بوزرينة،**"التحصينات العسكرية الجزائرية المؤرخة بالكتابات الأثرية خلال العهد العثماني"**، دراسات تراثية، ج2،العدد،05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر2،الجزائر، نوفمبر 2014، ص،ص،418. للاطلاع اكثر انظر: Fray Diego De Haedo ,Topographie…P, 29.

منارته والأضرار الكبيرة التي لحقت بعمارتها[1]، وخلّدت عمله كتابة تذكارية كانت تعلو مدخل البرج، وهي كتابة تركية بخط عربي من نوع نسخ شرقي نفذ بأسلوب الحفر الغائر.*[2]

- برج الفنار:

عُرف عند الأوروبيون بحصن الفنار أو الحصن الدائري، ولدى الجزائريين برج الفنار،و يحتوي على أكبر مخزن للبارود، وصفه كات كارث قائلا:"**و يسكن هذا باش طبجي معين خصيصا للإشراف عليه ولا يخضع تعيينه لعادة الاقدمية بل للكفاءة، وبحوزته جميع مفاتيح مخازن البارود للمدينة.....**".[3]

يقع هذا البرج برصيف "خير الدين" ،و قد بني بنفس موضع حصن "البينون" الذي اتخذ من أكبر الجزر الأربعة، المشكلة للرصيف أرضية له، على بعد حوالي 300 م عن المدينة.*[4]

---

[1]- علي خلاصي، القصبة وقصر الداي.....ص،31.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،187.

* للمزيد أكثر راجع مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،425-426 و أيضا محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،ص،187- 189.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دكتوراه.....ص،118.

[4]- خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص،134 .

* للمزيد عن تحصين هذه الجزيرة انظر كل من اسماعيل العربي، المدن المغربية.....ص،16.و بن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص، 78. و محمد دراج، المرجع السابق، ص،ص،115-116.

بقي هذا المكان على حالته، إلى أن أقدم مهاجرو الأندلس على تحصينه[1]، ببنائهم برجا صغيرا على هذه الصخرة*، و البرج يتألف من طابقين مزودين بسبع عشرة فتحة نارية لمدافع ذات عيار كبير[2].

الفنار كلمة محلية تعني المنارة (منارة البنيون) بناها الاسبان سنة916هـ/1510 م، في وسط الجزيرة الكبيرة، وهي بشكل مستدير يصل ارتفاعها إلى أربعين مترا على مستوى سطح البحر، وكانت بمثابة منارة و نقطة استطلاع احتله الكونت بيدرو نافرو **Pedro Navaro**، الاسباني و بنى فوقه سنة 916هـ/ 1510م حصن البنيون.[3]

بعد ان استولى خير الدين على الحصن الإسباني وأسر من فيه، وعلى رأسهم القائد " دون مارتين دي فيرغاس" ، قام بتهديم جل أسواره المسننة و المباني التي كانت توجد به،و لم يحتفظ إلا بحصن بارز استخدمه خير الدين كبطارية من ناحية عرض البحر اقام فوقه منارة.[4]

في موضع حصن الصخرة الاسباني أعلى المنارة، بنى "أعواب أحمد" برجا جديدا خماسي الأضلاع سنة 980 هـ/1573م و أحاطه بسور[5]، الغرض منه إرشاد السفن إلى الميناء وحماية السفن الراسية. [6]تعرض البرج

بعدها لعدة عمليات تجديد و اضافات، كانت أولها سنة 1029هـ/1619 م في عهد الباشا "حسين الشيخ باشا" خلال فترة حكمه الثانية1027 هـ- 1039هـ/1617 م-

---

[1]- أبوراس محمد بن الناصر العسكري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية ص، تحقيق: سليمة بن اعمر، ط1، دار هنين للطباعة والنشر ، الجزائر، 2002 ،ص، 510.

* تعد اكبر صخرة من الصخور الاربعة المشكلة للجزيرة المقابلة لمدينة الجزائر ،للمزيد انظر Albert Devoulx, «**Alger Etude Archéologique et topographique…… »** in Rev-Afr,1875,p,295.

[2]- بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ....."**ص،157.

[3]- بلبروات بن عتو، **" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ....."**، ص،157. .

[4]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،410.

[5]- . Rene Lespes,Op,Cit,p,116

[6]- Fray Diego de Haedo « **Alger Archéologique et Topographique……** » in Rev-Afr,1875,p,295.

1629م، أما عملية إصلاحه الثانية فكانت سنة 1108هـ- 1109 هـ/1696م-1697م، من طرف "الحاج أحمد داي".[1]

فيما يخص شكل البرج فهو ثماني الأضلاع يتكون من أربعة طوابق، تحتوي على فتحات بعدد 61 فتحة، تضم 55 مدفعا اغلبها من العيارات الكبيرة، و يفوق ارتفاع جدرانه 36م و مجهز بخزان كبير للماء، ومخزن للبارود يوجد أسفله.[2]

ضم البرج ثلاثة طوابق في البداية ، ثم أُضيف له طابقارابعا بعد حملة اكسموث سنة 1232 هـ/1816م،و مجموع الفتحات النارية للطوابق الأربعة، ستة و ستون فتحة، تضم خمس و خمسين مدفعا أغلبها من العيارات الكبيرة. وتتجلى أهمية هذا البرج بكونه يقع في الخط الأمامي للميناء، و يتوفر على دار للبارود، و خزان ماء كبير، ومقر الباش طبجي، ومكان اجتماع عساكر سلاح المدفعية، وبه سفوة عسكرية انكشارية تتجدد كل ربيع[3]. لكن تغير شكله كثيرا، بعد الانفجار الذي حدث سنة 1262 هـ/1845م بمخازن البارود.*[4]

- برج ما بين:

أطلق على برج ما بين بهذه التسمية نسبة إلى مكان إنشائه الذي يتوسط البرج الجديد وبرج السودين[5]، و قد شيد من طرف الباشا حسين باشا اخر دايات الجزائر سنة 1239هـ-1240هـ/1823م-1824م، حسب ما جاء حسب ما جاء في الكتابة

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،182.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه، ص،183.

[3]- بلبروات بن عتو، بلبروت بن عتو،**" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر و مينائها .....**ص،157.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه.....ص،118.

[5]- سعيد بوزوينة، المرجع السابق، ص،420 .

التأسيسية التي تعلو مدخله، كتبت بخط نسخ شرقي ومنفذة بطريقة الحفر الغائر، وملئت بالرصاص.*[1]

كان البرج مسلحا بـ 18 مدفعا، أربعة باتجاه الشمال، 13 باتجاه الشرق و مدفع واحد باتجاه الجنوب الغربي[2]، و ذلك لأداء دوره الدفاعي ولتحية السفن الوافدة إلى الميناء[3]، على غرار برج المنارة[4]، وبرج الجديد،برج السردين،برج القومان وبرج راس المول، إضافة إلى دورها في الإعلان عن عيد الفطر و عيد الأضحى[5]، وقد كانت هذه التحية تتمثل بطلقات مدفعية عددها 21 طلقة، مقسمة على عدة أبراج منها **برج الجديد**(04 طلقات)،**برج الفنار**(05 طلقات)،**برج السردين**(04طلقات)، **برج القومان** (04طلقات) و **برج راس المول**(04 طلقات).*[6] **(اللوحة(16))**

- برج رأس عمار القديم:

يقع هذا البرج شمال برج الفنار بحوالي 100م، يحتل هذا البرج آخر نقطة في النظام الدفاعي للميناء من ناحية البحر، هذا النظام الذي يمتد من الجنوب حيث

1- Gabriel Colin,Op.Cit, p,p, 200-226. Voir aussi:- Albert Devoulx, «**Alger, Etude Archéologique…..**in Rev- Afr, N° 21, 1877,p, p, 45-50.

* للمزيد و للاطلاع عن هذا البرج انظر.Gabriel Colin,Op.Cit, p,p, 200-226 و انظر ايضا كل من مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،427-429. و محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،ص ،190-192.

2- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..**», in Rev- Afr, N° 21, 1877, P, 51.

3- Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger 1518-1830,T02 , Bibliothèque Nationale d'Algérie,Algerie,1996,p,07.

4- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،187.

5- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة دكتوراه.....ص،121 .

6- لخضر درياس، نفسه.

* للمزيد عن البرج انظر لخضر درياس، المرجع نفسه، ص، ص،121- 125. أنظر أيضا بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،190-191. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،427-429.

برج "رأس المول" وينتهي عند موضع برج رأس عمار القديم[1]، هذا الأخير الذي يتقدم برج "الفنار" من الناحية الشمالية على بعد 160 م منه. [2]

بني هذا البرج من طرف"محمد عثمان باشا" في قتاله الأخير مع الإسبان[3]، مستطيل الشكل، وقدرت مساحته إجمالية تقدّر بحوالي 145م²، حيث يصل طوله الى حوالي 21م وعرضه 7 امتار، أشرف عليه باش طبجي، و كان يحتوي على طابقين؛ السفلي منه تتوزع عليه 25 فوهة للمدفعية، وطابق علوي ويتمثل في السطح وزعت على مساحته 28 فوهة للمدفعية.[4]

دعمت فتحات هذا البرج بمدافع صغيرة الحجم[5]، عددها 25 مدفعا من عيار 18 ملم و7 هاونات ذات العيار الكبير حسب مخطط سنة 1245هـ/ 1829م.[6]

واستعدادا للتصدي للحملة الدانيماركية سنة 1184هـ/1770 م، أمر محمد باشا بإقامة متراس جديد جنوب برج راس عمار القديم لتواصل خط الدفاع، وضع حلقة مهراسين و مدفعين عياره 24[7]، و يبلغ طول هذه المترس 42 م، كما تحتوي على ثلاث صفوف من المهاريس يصل عددها الى 18 مهراس، وهذا البرج قد تم تهديمه في فترة الاستعمار الفرنسي و بنيت في مكانه عمارات جديدة.[8]

- برج رأس عمار الجديد:

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،192.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص، 118.

[3]- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا.....ص،97.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص، 118.

[5]- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..** » in , Rev- Afr N° 20, Année 1876, p, 481.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،118.

[7]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،423.

[8]- مفتاح عثمان، نفسه.

شيّد هذا البرج من طرف الداي حسين*سنة 1245هـ/1829م[1]، في موضع القناة البحرية التي كانت تفصل "برج الفنار" عن الجزيرة الشمالية حيث " برج راس عمار القديم".[2]وهذه القناة الصخرية كانت تغمرها مياه البحر عند هيجان امواجه مما يعرقل حركة المرور عبرها. و بالتالي لا بد من ردمها ببناء البرج.[3]

يشرف على هذا البرج باش طبجي، إلا أنه لم يسجل في مخطط سنة 1245هـ /1829م، و الملاحظ أنً هذا البرج كان البرج مسلحا بحوالي30 مدفعا و موزعين على طابقين، لكن الصحيح حسب ديفولكس هو 34 مدفعا.[4]

نذكر بأن الطابق السفلي من هذا البرج كان محصنا، وقد دعم بـ 17 فتحة للمدفعية، و الباقي من الفتحات؛ قد وجدت بالطابق العلوي، و يشرف على خدمتها قائد المدفعية.

نشير إلى أنه قد كان بباب البرج كتابة تذكارية أشار اليها دوفولكس، لكنه لم يستطيع قراءتها لوجودها تحت الانقاض.[5]

- **البرج الجديد:**

يقع هذا البرج في الجهة الجنوبية من الأبراج السابقة[6]، بالتحديد بالمكان الفاصل بين برج " ما بين" و البطارية التي لا تحمل أي اسم ، و تتقدم برج المنارة من الناحية البحرية.[7]

---

* نفسه، ص،424.

1- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..** » in , Rev- Afr N° 20, Année 1876, p, 489.

2- Albert Devoulx « **Alger Etude Archéologique ……..** » in , Rev- Afri N° 20, Année 1876, p,488.

3- بلبروات بن عتو، **" المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر .....**ص،157.

4- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....118.

5- لخضر درياس، المرجع نفسه.

6- لخضر درياس، نفسه.

7- Sakina Missoum, , Op, Cit.,p, 91.

بني هذا البرج على الجزيرة الصغيرة الشرقية، من طرف محمد عثمان باشا سنة 1157هـ /1774م، وبناءا على نص الكتابة التذكارية التي تعلو مدخل البرج، يظهر أن بناءه تم سنة 1178هـ/1773م-1774م.[1]

يحتوي هذا البرج المسجل في مخطط سنة 1248 هـ/1832م على 12 مدفعا، لكن دوفولكس لاحظ في عين المكان 09 فتحات أخرى في الطابق السفلي، وبذلك يصبح عدد المدافع 21 قطعة.[2]

إنّ بناء هذه البطارية بهذا الشكل و بهذه الطريقة، وتدعيمها ببرج الجديد الذي يضم واحد وعشرين فتحة مدفعية موزعة على مستويين، تسعة منها بالقسم السفلي له تحت إشراف " باش طوباجي"[3]، إضافة إلى برجي "راس عمار القديم و الجديد" والأبراج الشرقية، جعلها تحجب الرؤية أمام الطابق الأرضي لبرج المنارة، ما أفقد هذا الطابق أهميته الدفاعية، وكانت توفر في نفس الوقت الحماية لمخزن البارود الذي يتقدمه.[4]

أبراج الجهة الغربية (الأبراج البرانية):

تتمثل المنطقة الغربية لمدينة الجزائر في سهل ضيق ينحصر بين الجبل و البحر و يتكون من الصخور الكلسية و السيليسية، فقد بنيت أغلب الأبراج على سفح الجبل و فوق كتل صخرية من الحجر الكلسي، هذا ما منح الابراج القوة و الصلابة و حماهم من ضربات العدو، من الجهة الشرقية و الغربية ومن الجهة الجنوبية، فهي محمية بجبل بوزريعة و بالتالي فهو محمي طبيعيا، و الملاحظ أنً من مواقع هذه الأبراج يمكن رؤية مساحة كبيرة من البحر، و بالتالي السيطرة عليها بالمدفعية، كذلك الشاطئ الغربي هو عبارة عن صخور و نتوءات، فالإنزالات البحرية للجيوش

1- Albert Devoulx ,« **Alger Etude Archéologique ….** » in, Rev- Afr N° 21, Année, 1877, p, p,47- 48.

2- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،119.

3- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** » in , Rev- Afr N° 21, Année 1877, p,46

4- علي خلاصي، القصبة وقصر الداي.....ص،31.

المعادية شبه مستحيلة، إلا أنه حظيت بمجوعة من الأبراج لا تدع مجال لأي مفاجأة.[1] ومن هذه الابراج ما يلي:

- **برج الجديد:**

يعرف هذا البرج باسم برج "رمضان باشا [2]، و كذا اسم برج المزبلة أو الزوبية[3]، لقربه من مزبلة المدينة (مكان رمي الزبالة)*، و شيّد هذا البرج بالشمال الغربي في عهد "علج علي"(976هـ-979هـ/1568م-1571م)،سنة 1569م ،خارج أسوار المدينةولا يفصلها عنه سوى خندقها وموضع تشييده قريب من البحر مقارنة ببرج 24 ساعة[4]، ثم أعاد بناؤه" رمضان باشا " خلال فترة حكمه الأولى(982هـ-985هـ/1574م-1577م) سنة984هـ /1576 م[5]،وفي فترة حكم "مصطفى باشا"1213هـ-1220هـ/1798م-1805م، تعرّضت عمارة البرج للتجديد[6]،وتمّ ذلك سنة 1217 هـ-1218هـ/1802م-1803م على أنقاض برج صغيرالذي بني من طرف رمضان باشا سنة984هـ/1576م[7]،وهذا ما تؤكده الكتابة التأسيسية المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة، وهي عبارة عن لوح رخامي

---

[1]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،430.

[2]- Fray Diego de Haedo **, Histoire…** P, 23 .

[3]- Albert Devoulx , «**La marine de la Régence D'Alger** », in Rev- afr, n°77, année 1969,p,35.

* كانت مزبلة مدينة الجزائر بربض باب عزون، ومنها تستخرج الأسمدة الطبيعية (الدبال) ليستعملها الفلاحون في نشاطاتهم الزراعية، للمزيد لكثر انظر.Thomas Shaw ,Voyage dans la Régence…..p, 305p, 293

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،226.

[5]- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 20, 1876, p.147.

[6]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص،80.

[7]- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 20, 1876, ,p,p,146-147.

مستطيل الشكل، نقشت عليه كتابة تركية، من نوع خط الثلث وبتقنية الحفر الغائر المطعم بالرصاص.[1]

يتميز هذا البرج بمسقطه الثلاثي الأضلاع، بنيت جدرانه من الحجارة المنحوتة المجلوبة من مدينة روشقونة الرومانية، يتكون من طابقين، فالطابق السفلي منه عبارة عن مخزن مسقوف بأقبية نصل إليه عبر باب سرّي يفتح على الشاطئ، ويساعد على نقل السفن الصغيرة لحفظها به.[2] أما بابه فجاء على شكل حدوة الفرس ، و هو البرج الذي قال عنه بوتان **Boutin** في 1223 هـ/1808م، بأنه أُكمل مؤخرا و لم يسلح بعد.[3]

لقد سلح البرج بـ 27مدفعا، ثلاثة وعشرون منها بالواجهة البحرية، و قد أشار الى ذلك دوفلكس[4]وأربعة عشر بالطابق العلوي وتسعة بالطابق السفلي، والمدافع الأربعة المتبقية موزعة بالشكل التالي:

مدفعين في القسم العلوي موجهان إلى الريف في الشمال الغربي، و إثنان في نفس المستوى باتجاه المدينة، يطلان على الطريق المؤدية إلى باب الوادي.

قدر عدد مدافعه بـ 23 مدفعا، أمّا الكتابة التذكارية التي وجدت على بابه فتوجد حاليا بالمتحف العمومي الوطني للأثار القديمة.[5]

لقد جاء هذا البرج لتقوية الخط الدفاعي الموجود على يسار الميناء، وحسب دوفولكس فقد جاء تدعيما لتحصينات الواجهة البحرية الغربية للمدينة، وذلك بمنع العدو الاقتراب من الشاطئ، إضافة إلى استغلاله كدار صناعة تحفظ به السفن الصغيرة

---

[1]- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص، 42.

[2]- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ……..**in Rev- Afr, N° 20, 1876, p, 146.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،96.

[4]- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 20, 1876,,p, 146

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،96.

الحجم، حيث ساعد على ذلك موضعه القريب من البحر[1]، وظلّ البرج قائما إلى غاية الفترة الاستعمارية، حيث استغل بداية الأمر كسجن عسكري[2]، وبعد أن هُدِّم ، بُنيت مكانه ثكنة سميت بثكنة " بيليسي **Pélissier**.[3]

- برج باب الوادي:

سمي كذلك نسبة إلى مكان تشييده بربض باب الوادي، ويعرف هذا البرج بأسماء عديدة كبرج محمد باشا وبرج 24، لكونه تعرّض للحصار من طرف الإنجليز طيلة مدة الحصار[4]، وهناك من يرجع هذه التسمية إلى المدة الزمنية المستغرقة في إنشائه ومنها أخذ تسميته برج بوليلة[5]، بالإضافة الى تسميته ببرج ستي تاكليلت* و برج العلج علي[6]،ويعتبره هايدو من ضمن الأبراج الرئيسية الثلاثة في الدفاع عن مدينة الجزائر في القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي، و لو أنّ الاسم المقبول من هذه الأسماء كلها، هو اسم برج محمد باشا الوارد في الكتابة التذكارية التي وجدت على باب البرج. أما كتابة البرج التذكارية، فهي موجودة حاليا بالمتحف الوطني للآثار القديمة تحت رقم 29.

بني هذا البرج على بعد حوالي300 م عن البرج الجديد[7]،لتحصين وحماية الناحية الغربية من جهة شاطئ باب الوادي، ومنع السفن المسيحية القادمة لمهاجمة المدينة

1- Albert Devoulx,**« Alger Etude Archéologique …. ,** in Rev- Afr, N° 20, 1876, p,146.

2- Henri Klein, Les feuillets d'El Djezair…… p,78.

3- علي خلاصي، القلاع و الحصون في الجزائر- المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، مطبعة الديوان،2008،ص ،101.

4 Fray Diego de Haedo, « **Topographie générale d'Alger …….**p,424.

5- Gabriel Colin , Op.cit, P,P, 22-23.

* ستي تاكليلت، امة من الاماء و تعني باللغة الامازيغية، و هي ولية أو مرابطة امازيغية سمراء اللون ، و يقال أنّ ضريحها كان المكان نفسه. أنظر بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف..... ص،516.

6- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،94.

7- Albert Devoulx , « **Alger Etude Archéologique ….**in Rev- Afr, N° 21/ 1877, P, 149 .

من أي نزول من جهة باب الوادي[1]، بالإضافة إلى توفير الحماية للمقبرة الملكية و مصادر المياه التي كانت بجواره.[2]

يتميز بشكله المربع الأضلاع الغير المنتظم، محصن من جهة البحر، و يتكون من طابقين السفلي منه خال من فتحات المدفعية[3]، لكن هايدو يشير إلى وجود فتحات للمدفعية في الطابق السفل و هي فتحتان للمدفعية[4]،أما الطابق العلوي فيظم 34 فتحة بها27 مدفعا[5]. وحسب هايدو فإنً البرج يتوسطه فناء مربع الشكل مغطى، كما يتوسط هذا الأخير صهريج أو ماجل لتخزين مياه الأمطار، و في هذا المجال يشير روزي الى وجود غرف و مطابخ و مخازن و كذا مصلى كل هذه المرافق تستلزم الجنود لذلك يمكن اعتبارها من خلاله ثكنة عسكرية.[6]

أمًا حاليا فإنً مكان البرج أصبح مبنى المديرية الوطنية للأمن الوطني، ومازال جزء قليل من أساسات المبنى شاهدة على هذا البرج.[7]

- برج قامة الفول:

عرف هذا البرج تحت اسماء عدة كبرج الحاج علي، وبرج الانكليز و في بعض المراجع و المصادر سمي ببرج قامة الفول[8]، لكونه حسب دوفولكس كانت

1- René Lespes ,Op,Cit,p,52

2- محفوظ بوطبة ،الرجع السابق، ص،229.

3- لخضر درياس،المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،94.

4- Boutin, Vincent Yves , Op ,Cit., p36,

5- Fray Diego de Haedo, **«Topographie générale d'Alger ……** p, 424.

6- Claude Antoine, Rozet Voyage dans les régences d'Alger ou description du pays occupé par l'armé français en Afrique, Tom3, Paris,p,133.

7- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،434.

8- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،93.انظر ايضا، مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،ص،107-108.

تحيط به حقول مزروعة بالفول[1]، وحسب كولينس غابريال **Gabriel colins,** نسبة الى نشاط زراعة الفول الذي كان يغرس بجواره.[2]

يقع البرج بالقرب من باب الوادي، على قمة صخرة عند شاطئ البحر شمال غرب مدينة الجزائر، و بموضعه هذا احتل موقعا طبوغرافيا هاما ومكشوفا بالنسبة لجميع تحصينات المدينة، ما جعله في اتصال مباشر معها[3]،كما مكنه موقعه المشرف على البحر على حماية خليج باب الواد الذي يعتبر أهم نقطة لإزال العدو بالناحية الغربية للمدينة.[4]

شيّد البرج في عهد "حسن فتريانو" سنة985 هـ/1577م، خلال فترة حكمه الأولى سنة 988هـ/1580م، وقد عرف عنه بمحاربته للإسبان، وبتطويره للنظام الدفاعي لمدينة الجزائر احترازا من أي حملة عدوانية عليها[5]، وتمت أشغال البرج على يد عامله "جعفر باشا" الذي تقلّد بدوره الحكم في الفترة الممتدة ما بين988 هـ/1580م إلى 1000هـ/ 1582م.[6]

في 1184هـ/1770م رمم الحاج علي البرج[7]، حسب اللوحة التأسيسية التي كانت بمدخل البرج مكتوبة بالخط العثماني.[8]

1- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….** in Rev- Afr, N° 21/ 1877, p, 149

2- Gabriel Colins,Op,Cit,p,66.

3- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،233.

4- محفوظ بوطبة، المرجع نفسه، ص،233.

5- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان.....ص،31.

6- Henri Klein, Les feuillets d'El Djezair ……p, 80 .

7- Ibid .

8- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،435.

عند تولية مصطفى باشا الحكم 1213هـ- 1220 هـ/1798م-1805م، فكّر في تجديد وتوسيع عمارة البرج[1]، لتواضع عمارته التي لا تتناسب مع أهميته الدفاعية[2]، بصورة أكثر فعالة و متانة، فأحضر مواد البناء الى الموقع. وقد باشر عمله بإنشاء عين وربطها بقناة سنة1219هـ-1220هـ/1804-1805م[3]، تؤدي إليه إلاّ أنّ وفاته حالت دون إتمام مشروعه.[4]

حافظ برج" قامة الفول "على دوره الدفاعي إلى نهاية الحكم التركي للجزائر، حيث كان أوّل ما استهدفته البحرية الفرنسية من دفاعات مدينة الجزائر سنة 1246هـ/ 1830م، إلاّ أنّها فشلت في الاستيلاء عليه، وأجبرها على التراجع بعد ألحاق الاضرار بسفنها[5]، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر واصل الفرنسيون استغلاله كمخزن للبارود، ثم تركوا لتربية الحمام الزاجل[6]، وعرف البرج عرف زيادات خلال فترة الاحتلال الفرنسي خاصة في الطابق الاول منه، و ما زال قائما الى يومنا هذا.*

فيما يخص الكتابة التأسيسية و طريقة تنفيذ الكتابة؛ فقدت على لوحة رخامية مربعة الشكل بكتابة تركية وبخط عربي من نوع نسخ تعليق بطريقة الحفر

---

[1]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج 2.....ص،469.

[2]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق،ص،ص،80-81.

[3]- بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج2.....ص،469.

[4]- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….**, in Rev- Afr, N° 21/ 1877, P 155 .

[5]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق ، ص ،174.

[6]- Klein Henri, Feuillets …….p,p,68-74. Voir aussi Louis Piesse, Op, Cit, p, 33.

* للمزيد ايضا انظر مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،435-437.

البارز*[1].وقد نقلت هذه اللوحة سنة1271هـ/30 ديسمبر1854م إلى المتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر، و قد نشرها دوفولكس تحت رقم 31.[2]

يتميز البرج بشكله الذي جاء على هيئة مربع طويل، ضلعه المواجه للبحر نصف دائري، ويتكون من طابقين.

حسب بوتان فان البرج احتوي على13 فتحة للمدفعية موزعة على جدران البرج، فهناك ست فتحات موجهة نحو الشمال الشرقي، و خمس فتحات موجهة نحو الجهة الشمالية الشرقية، وخمس فتحات موجهة نحو الجهة الجنوبية الغربية، وفتحة واحدة في كلتا الجهتين الجنوبية والغربية[3]. أمّا دوفولكس فيشير إلى وجود 22 فتحة نارية بالطابق العلوي بها20 مدفعا[4]،بينما الطابق السفلي منه فجاء خاليا من فتحات للمدفعية[5]، يحيط به خندق و يدخل اليه بواسطة جسر خشبي في جهته الشمالية الغربية. اما تسقيفه فقد سقف بأقبية و عن مواد بنائه ؛ فقد استخدم في بناء جدرانه بالحجارة المصقولة و كذا الآجر.[6]

- أبراج مرسى الذبان:

كان برج الملقب ببرج "مرسى الذبان" محصنا ببرجين خلال العهد العثماني، و الملاحظ ان هذين البرجين يُعدّان آخر تحصينات خليج مدينة الجزائر

1- Gabriel Colins, Op,Cit , p65-66

* للاطلاع اكثر عن الكتابة انظر كل من خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في الأثار الإسلامية ،جامعة الجزائر02 ، معهد الآثار، السنة الجامعية،2010-2011 ، ص،52. و Gabriel Colins, Op,Cit, p65-66.

2- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،93.

3- Boutin, Vincent Yves , Op , Cit p, 37 .

4- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ….**, in Rev- Afr, N° 21/ 1877, p, 50.

5- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،93.

6- Albert Devoulx,« **Alger Etude Archéologique ……**, p,50.

من الجهة الغربية، و قد بُنيا على حافة البحر على بعد حوالي 05 كلم عنها [1]، لغرض حماية هذه النقطة البحرية على حد قول الجغرافي البكري التي يمكن للعدو الرسو بها، حيث كانت فيما من موانئ المغرب الأوسط القريبة من مدينة الجزائر على غرار مرسى جنابية [2]،ومرسى تامنفوست.[3]

- برج مرسى الذبان القديم:

يشبه شكل هذا البرج حدوة الفرس[4]، ويعود تاريخ بناء البرج الى بداية الحكم التركي للجزائر(فترة حكم خير الدين بربروسا)، وهو نفسه برج خيرالدين[5]، في حين فان لجنة الجزائر القديمة من خلال كلاين تؤرخه إلى سنة1082هـ /1671م . [6]

تعرّض البرج إلى إصلاحات و تجديدات 1082هـ /1671م،من طرف علي آغا الذي حكم ما بين(1076 هـ-1082هـ /1665م-1671م)[7]وأعيد ترميمه سنة 1137هـ/1724 م من طرف محمد بن حسان. [8]

يظم البرج طابقين[9]، أرضي و علوي، به فتحت بواجهاته الثلاث مجموعة من فتحات المدفعية موزعة على واجهاته الشمالية والشمالية الغربية والشرقية بالتساوي بمعدل فتحتين بكل واجهة، يصل عدده الاجمالي إلى حوالي 06 فوهات نارية اثنتان

1- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،236.

2- أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص،82

3- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص،89 .

4- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،112.

5- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ……..,** in Rev- Afr, N° 28/ 1878, p, 229.

6- Henri Klein, Les feuilletsd'El Djezair…… p,81.

7- Ibid,p,229.

8- Ibid.

9- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،91.

نحو الشمال و اثنتان نحو الغرب و اثنتان نحو الشرق، وبه غرفة في الزاوية الشمالية الغربية[1]، و كان يضم الى جانب ذلك مخزنا مسقف بقبة لحفظ البارود.[2]

يذكر بوتان بأنً البرج يتكون من طابقين؛ فالسفلي منه خاليا من فوهات المدفع، أما العلوي منه فيحتوي على مدفعين موجهين لليابسة[3]،ويشير الدكتور درياس أنً حامية هذا البرج تكونت من 12 مدفعا، و قد بقيت آثار هذا البرج حتى الاحتلال الفرنسي حيث شاهده دوفولكس، و أمكن له التعرًف على جزئه الأمامي، الذي كان يحتوي على فتحتين من الجهة الشمالية و مرقب في الزاوية الشمالية الغربية[4]، لكنه وعلى حد قول الدكتور خلاصي، لم يكن على المستوى المطلوب الذي تطلبه الناحية من التحصينات، ولهذا دعم بالبرج الجديد و كذا بطانة مرسى الذبان.[5]

برج مرسى الذبان الجديد:

شيّد هذا البرج شمال مصنع الاسمنت وراء البرج القديم بحوالي 50 مترا، بالتحديد غرب جدار مدينة الجزائر و تعرف المنطقة حاليا باسم الرايس حميدو.*[6] أنشأ برج مرسى الدبان الداي حسين آخر دايات الجزائر سنة 1239هـ-1240هـ/1823م-1824م،وهذا ما تظهره الكتابة التأسيسية له المنفذة على لوح رخامي بكتابة تركية بحروف عربية من نوع خط نسخ مشرقي، وبطريقة الحفر البارز، وزعت على ثلاثة أسطر.[7]

1- بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج2.....ص،468.

2- Albert Devoulx , «**Alger Etude Archéologique ……..,** in Revue Africaine, N° 22/ 1878, P. 229

3- Boutin, Vincent Yves , Op.Cit, p38.

4- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،91.

5- علي خلاصي، القلاع و الحصون في الجزائر.....ص،104.

6- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،114.

* للمزيد انظر مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، المرجع نفسه، ص،ص،114-115.

7- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص،427 .

لاحظ دوفولكس أنً موقع هذا البرج رديء، لأن مجال طلقاته النارية معوق بالحصن القديم و حصن موسى الذبان كما انه ينخفض عنهما.[1]

يشبه شكل البرج حدوة الفرس، مسلح بـ19 فتحة للمدفعية، زيادة عن المراقب في حين تتكون حاميته من 15 مدفع تتغير في ربيع كل سنة[2]، تتوزع هذه الفتحات على واجهات البرج بالشكل التالي،عشرة (10) فتحات شمالا بالواجهة البحرية، و أربعة(04) فتحات بالجهة الغربية، وثلاثة فتحات الجهة الشرقية، وخمسة عشر فتحة من الناحية الجنوبية[3]،وفوق الباب اثنتان احداهما مغطاة جزئيا بغرفة.[4]

حسب روزي ؛ فإنً البرج هو عبارة عن ثكنة عسكرية حيث يجد الجند الانكشاري كل مستلزمات العيش من غرف للنوم، مصلى، حمام و مطبخ ،و برج موسى الدبان الجديد هذا يحوي على 09 غرف، مصلى، سقيفتين صغرى و كبرى و فناء، حيث بإمكان إسكان سريتين من الجنود التي تتكون من 15 جنديا.[5]

- برج سيدي فرج :

يتخد الشكل المربع يبلغ ارتفاعه ما بين 16 و 20 مترا، و ضلعه ما بين 3 و 4 امتار، و ليس به سوى مدفع واحد.

يذكر بوتان؛ هذا الاخير الذي عاين تحصينات مدينة الجزائر سنة 1223هـ/ 1808م، بأن هذا البرج لا يستحق الذكر لكونه قديم جدا، ولا يقاوم حتى المدافع

---

[1]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.....ص،469.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص، ص،91-92.

[3]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.....ص،ص،468-469.

[4]- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي، القصبة.....ص،114.

[5]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،ص،440.

الخفيفة[1]واعيد بناؤه من طرف يحيا آغا سنة 1234هـ-1241هـ/1818م – 1825 م،والذي وضع به اثنى عشر (12) مدفعي و عين به حامية.[2]

يقع البرج غرب مدينة الجزائر على بعد 29 كلم منها[3]، حيث يوجد ضريح سيدي فرج، لحماية الخليج البحري، حيث يمكن لسفن العدو الرسو، وذلك لما يتوفر عليه من مزايا طبيعية، فشبه الجزيرة التي شيّد بها توفر الحماية للمراكب في المواسم الهادئة أو المضطربة بفضل استعمال أحد جانبيها، وذلك حسب اتجاه الرياح.[4]رغم أهمية موقعه إلاّ أنّه برج متواضع وقدرته الدفاعية[5]ضعيفة، ما جعل الإسبان يسمونه " البرج الصغير"**Torre Chica**، ووصفه الجاسوس الفرنسي" بوتان" بقوله: « **له شكل مربع، يتراوح ارتفاعه ما بين 16 الى 20 م، أو أكثر، كلّ واجهاته يتراوح عرضها ما بين 3 الى 5 ومسلّح بمدافع سيئة صغيرة العيار، وهذا البرج قديم، ولا يصمد أمام المدفعية الثقيلة**"[6]. كما أنه لا يستحق الذكر لكونه قديما جدا،ولا يقاوم حتى المدافع الخفيفة، فالبرج بني على أنقاض برج قديم مربع الشكل، استعملت في بنائه الحجارة البيضاء كمادة أساسية، قديمة يتراوح يتراوح ارتفاعه ما بين 16 الى20 م، أو أكثر، كلّ واجهاته يتراوح عرضها ما بين 3 إلى5م.*[7]

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،239.

[2]- الشريف الزهار، المصدر السابق،ص،163.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،106.

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،،239.

[5]- Rinn Louis, « Le Royaume d'Alger sous le Dernier Dey »,IN Rev-Afr,N°,224,Année 1897,p,142 .

[6]- Vincent yves -Boutin, Op,Cit, 08.

[7]- Ibid,p24.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج انظر مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،442-443.

تعرض هذا البرج لإهمال كثيرا أواخر العهد العثماني، من خلال أحمد باي في مذكراته، حيث يذكر أثناء النزول الفرنسي في سنة 1246هـ/1830م:" **ليس بسيدي فرج سوى قلعة قديمة مخربة يحتاج اصلاحها الى شهور كاملة.**"[1]

بعد الندوة العسكرية التي عقدت بناحية سيدي فرج قبل نزول قوات الاحتلال، تقرر بناء متاريس على شاطئ البحر تبعد عن الساحل بستة (6) كلم، على خط قليل الارتفاع يشرف على خليج سيدي فرج، إلا أنً هذه المتاريس لم تُدعَّم إلا بمدافع صغيرة و خفيفة لعدم وجود العربات التي يمكن ان تحمل المدافع ذات العيار الكبير.

من هنا بدأت عملية القصف حيث اصيبت عدة سفن قامت بدورها بقصف المتاريس و تحطيمها، ورغم الإصابات التي لحقت بالقوات الفرنسية و التي تزيد عن 570 جنديا بين قتيل و جريح، انهزمت القوات الجزائرية و سقطت مدينة الجزائر بدخول الجيوش الفرنسية نحوها.[2]

أبراج الجهة الجنوبية (الأبراج البرانية) لمدينة الجزائر في العهد العثماني:

لقد كشفت الحملة التي شنًها شارل الخامس عشر، على مدينة الجزائر سنة 948هـ/1541م، نقاط ضعف كثيرة في الجزام الدفاعي خاصة الناحية الجنوبية للمدينة، فقد كانت النقاط الدفاعية كلها محصورة في الجهة البحرية، فبعد هذه الحملة الاسبانية، أصبح الاهتمام أكثر بهذه الناحية وتم إنشاء برجين لحماية المدينة وهما:

- برج النجمة:

يعرف بهذا الاسم نسبة الى شكله الخماسي الاضلاع على شكل نجمة، و له عدة تسميات منها برج الثغرين، لأنه أقيم بالمكان الذي كان يسكنه جماعة من العرب

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،91.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،106.

الأندلسيين في الفضاء المحصور بين القصبة و حصن الإمواطور[1]، و كذا برج محمد باشا نسبة إلى مشيّده محمد باشا(976هـ-976هـ/1567م-1568م).[2]

يقع هذا البرج على مرتفع جنوب برج الامواطور بحوالي 330م ، وغرب القصبة بحوالي 200م.[3]

بني برج النجمة سنة (976هـ-976هـ/1567م-1568م) خلال فترة حكم محمد باشا، و الملاحظ أنً محمد الصقيلي هو من قام بإنجاز هذا العمل. و عندما وصف الجاسوس بوتان تحصينات مدينة الجزائر ذكر أنًه اندثر، ولم يبق منه إلا بعض الآثار.*[4]

يقدر محيط البرج من الداخل بحوالي 16.50م[5]،أما ارتفاع أسواره فتصل إلى حوالي07 أمتار متوجة بسلسلة من الشرافات عددها خمسة(05)،و يظم غرف خصصت لسكن الحامية تطل على صحن أو فناء. وقد غطت هذه الغرف على طول امتدادها خزانا للمياه مستدير الشكل[6]، يضم ثماني (08) مدافع من العيارات الصغيرة.

لقد تميز بناء البرج بارتفاعه الشديد، و بارتفاعه هذا جعله على حد قول بيسونال يأخذ **Peyssonnel** المرتبة كأعلى مبنى عسكري ضمن تحصينات مدينة الجزائر في

1- Peyssonnel et Desfontaines, Op,cit, P, 451.

2- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني.....ص،131.

3- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،111.

4- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،99.

* يذكر بوتان من خلال الدكتور خلاصي ان سبب انهيار البرج يعود الى امة اشعلت النار داخل مخزن البارود فانفجر و تهدم البرج منتقمة بذلك من سيدها الذي كان حاكما للجزائر. لكن هذه الحكاية او بالأحرى هذا الاستنتاج فيه نوع من الغرابة و بعيد عن الواقعية و الحقيقة حسب الدكتور خلاصي قائلا:" و بالرجوع الى تركيبة الجيش و الانضباط الذي كان يميزه و الى التقاليد المتبعة في حراسة الابراج و الحصون ... نستغرب هذا الاستنتاج حتى و لو كانت الامة تابعة لحكام الجزائر فان جلب الكبريت او وسيلة اشعال النار التي لم تكن في حجم علبة الكبريت و انتقالها من قصر الجنينة الى ارتفاع 180م و تخطي الحرس من الامور التي لا تصدق." للمزيد اكثر انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،106.

5- علي خلاصي، المرجع نفسه.

6- علي خلاصي، نفسه، ص ،99.

العهد العثماني بعد حصن الإمبراطور، مما أكسبته الأولوية الدفاعية[1]، واختيار هذا الموقع المرتفع و اتخاذه مكانا لإنشاء هذا البرج كما ورد في بعض المراجع* ، لحماية القصبة ولتغطية الخلل الموجود في النظام الدفاعي للمدينة من الناحية البرية، حيث كان العدو يركز في خططه الحربية على احتلال المرتفعات بعد إزاله في شاطئ باب الواد، وذلك للإشراف على المدينة واستهدافها من الأعلى[2]. ظل موقع البرج قائما في مخططات العدو، حيث استعمله الفرنسيون سنة 1246هـ/ 1830م، لنصب أحد بطارياتهم لضرب القصبة والأبراج السفلية بجهة باب الوادي.[3]

رغم أنً البرج تهدم، إلا أن جميع الرسومات التي خلدت مآثر الجزائر العمرانية، تُظهر برج كنقطة دفاعية مهمة و خاصة الرسومات الاسبانية التي وضعت للجزائر في السنوات971 هـ/1563م، 1012هـ/1603م،1168 هـ/1754م و 1184هـ /1770م.[4]

- برج مولاي حسن:

يقع هذا البرج في مكان يعرف بكدية الصابون[5] غرب برج النجمة ، و على بعد 800م من القصبة العليا المواجهة للبر[6]، و ينسب خلاصي هذا البرج الى الثغريين النازحين من مدينة ثغر الأندلسية ، و هو يشرف على المدينة و الميناء و ضاحية باب الوادي و الجهة الغربية من خليج الجزائر.[7]

1- Peyssonnel et Desfontaines , Op.cit, P. 451

* انظر أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة.....ص،181.

2- أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص،181.

3- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،224.

4- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،99.

5- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،111.

6- بلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج2.....ص،477.

7- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،97.

بنى هذا البرج و صممه مولاي حسن باشا*،وله عدة تسميات منها برج الأمواطور و برج بوليلة* *،كما سمي ايضا ببرج الطاووس* * *حينما نقل اليه طيور النعام و الطاووس التي كانت موجودة بالقصبة قبل أن تتحول الى قصر الداي سنة 1232هـ/1817م، و سمي أيضا برج " السلطان قلاصي و برج مولاي حسن.[1]

يعتبر هايدو هذا البرج من ضمن الابراج الثلاثة الرئيسية للدفاع عن المدينة، شكله عبارة عن برج غير منتظم، يبلغ ارتفاع جدرانه بحولي 10 امتار.[2]

يأخذ البرج شكلا مستطيلا طوله مائة و خمسون (150) م و عرضه مائة (100) م اما ارتفاعه فيصل الى حوالي عشر (10) امتار.*[3]

كان يحتوي على 77 فتحة تضم 35 مدفعا في سنة 1223هـ/1808م،أما أسلحته فقد بلغت اثناء الاحتلال 91 قطعة، وتجدر الاشارة الى ان هذا البرج طرأت عليه عدة تعديلات او تغيرات كالتي وقعت في1067هـ-1068هـ/ 1656م-1657م،أو1155هـ- 1156هـ/1742م – 1743م، إثر انفجار مخزن البارود.[4]

عند وصول القوات الفرنسية الى المنطقة المجاورة للحصن من الناحية الجنوبية(الابيار)، اطلقوا على الحصن نيران مدافعهم مدة خمس ساعات، و عندما علم المدافعون ان صمود الحصن لن يدوم طويلا، انصرفوا و لم يبق إلا من اشعل

---

* تم تشييد البرج سنة 1545م من طرف مولاي حسن باشا و هو يوناني الأصل. أنظر بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.... ص،477.

** سمي بهذا الاسم لبنائه على الربوة التي أقام بها شارل الخامس سنة 948هـ/ 1541م معسكرا و قضى بهذا المكان الليلة محاصرا المدينة لمهاجمتها. انظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،111.

*** سمي ايضا بهذه التسمية حينما نقل إليه طيور النعام و الطاووس التي كانت موجودة بالقصبة قبل ان تتحول الى قصر الداي سنة 1232هـ/1817م. انظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، المرجع نفسه.

[1]- لخضر درياس، نفسه.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،111.

[3]- بلبروات بن عتو، المدينة و الريف،ج2.....ص،477.

* للمزيد اكثر انظر كل من بلبروات بن عتو، المرجع نفسه. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص، ص،446-448.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،112.

النار في مخزن البارود ، و هدم الحصن بأمر من "الباش طبجي" و دمره من الداخل لئلا لا يقع في ايدي الفرنسيين.*[1]

ابراج الجهة الشرقية (الأبراج البرانية) لمدينة الجزائر في العهد العثماني:

لقد عزز سكان مدينة الجزائر مدينتهم،من الناحية الشرقية الساحلية، و الممتد من باب عزون الى تامنتفوست ، بمجموعة من أبراج و طبخانات دفاعية، باعتبار أنً هذه المنطقة الأكثر مواجهة للإزالات البحرية، للجيوش المعادية كبرج تامنتفوست و برج الكيفان، بل انشؤوا طبخانات عديدة كطبخانة الحميز و طبخانة الحراش و من هذه الأبراج:

- **برج تامنفوست:**

يقع هذا البرج في الناحية الشرقية من خليج الجزائر علىراس عوف باسمه، وبذلك يعد آخر نقطة دفاعية بخليج مدينة الجزائر من الناحية الشرقية على بعد 650 م عنراس" تامنفوست"[2]، شيّد لحماية المرسى الطبيعي الذي بجانبه[3]، حيث يسمح برسو السفن به لتوفره على حماية ضدّ العواصف البحرية بفضل الراس المتقدم في البحر، وقد جاءت عملية بنائه حسب الاستاذ بورويبة تداركا للخلل الدفاعي الموجود بهذا المكان بعد استعماله من طرف"شارل الخامس"، عند حملته على الجزائر سنة 948 هـ/1541 م[4]. هذا الاخير الذي فر مع ما تبقى من اسطوله عند مشارف هذا البرج ، حيث المرفأ الروماني لمدينةرسقونيا.[5]

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،99.

* للاطلاع اكثر انظر كل من علي خلاصي، القلاع والحصون.....ص،99.وبلبروات بن عتو ، المدينة و الريف،ج 2... ....ص،477. و كذا محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،218- 224.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،239.

[3]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence……..p, 305. Voir aussi: Peyssonnel et Desfontaines , Op.cit., P. 446.

[4]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،239.

[5]- رشيد بورويبة ، الجزائر، سلسلة فن و ثقافة، الجزائر،1974،ص،55.

ان اختفاء اللّوحة التأسيسية دفع بالمؤرخين إلى الاختلاف في تحديد سنة بناء البرج، فيرارد **Berard** يرى أنه بُني سنة 963هـ/1556م، في فترة حكم الباشا محمد كرد، بينما بربروجر **Berbrugger** يرجعه إلى سنة 1170هـ /1660م من طرف البكباشي خليل آغا، استنادا الى حوليات خطية موجودة بالمكتبة الوطنية[1]، بينما كلاين يرى أن هذا البرج يعود تاريخ بنائه الى سنة1071هـ/ 1661م، من طرف رمضان آغا بأمر من الباشا اسماعيل[2]، في حين فإنّ بوتان يشير إلى تاريخ بنائه الذي يعود الى 1068هـ/1685م[3]، بينما مارسي يرجع تاريخه الى سنة1135هـ/ 1722م اعتمادا على كتابة تاريخية تعود الى فترة حكم محمد باشا.[4]

لقد كانت بالبرج حامية تتكون به 15 مدفعي يراسهم باش طبجي ، اما عدد المدافع التي كان يحوي عليها فتبلغ 20 قطعة[5]، في حين نجد الفتحات تصل الى 24 فتحة تنحصر فيما بينها فتحات للمكاحل يصل عددها الى 28 فتحة نارية خاصة بالبنادق[6] .

تعرض هذا البرج لعدة أضرار لكن بعد كل حملة كان يرمم اذ يذكر انه ترمم سنة 1096هـ/1685م، من طرف موزومورطو بعد الحملة الفرنسية على الجزائر بقيادة دوكان، كما رمم ايضا حسب مارسي من خلال الدكتور خلاصي سنة1100هـ/

1- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،457.,

2- Henri Klein Les feuillets……d'El Djezair p, p,81 .

3- Vincent yves -Boutin, Op, cit., p. 30.

4- George Marcais, L'Architecture musulmane d'occident, Art et métiers graphiques, Paris,1956,154.

5- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،91.

6- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،104.

1688م بعد الحملة الفرنسية التي قام بها ديستري باسم الملك " لويس الرابع عشر.[1]

بني البرج على قاعدة ثمانية الشكل يبلغ قطرها 28 م، على خلاف الأبراج العثمانية التي شيدت بالجزائر على حد قول الدكتور خلاصي عند تعرضه لقلعة ميناء الجزائر قائلا:"**مثل هذه الأبراج هي أحسن التحصينات لأن المدافعون عندما يحاولون الدوران حولها يجدون حرية و سرعة**"[2]. و يواصل خلاصي قائلا " **إنَّ أسوار البرج بنيت بالحجارة المقطوعة المجلوبة من اطلال المدينة القديمة المجاورة له، يصل ارتفاع البرج إلى حوالي 09 أمتار، و يحيط به خندق يتراوح عمقه ما بين 02م و أربعة امتار و عرضه حوالي 07 أمتار، يدخله الداخون عبر جسر خشبي طوله 9.50م و عرضه 1.50م** ".*[3]

- برج القنيطرة:

أطلقت عليه عدة تسميات منها برج القنطرة نسبة إلى القنطرة التي شيّدها "الحاج أحمد داي"*(1107هـ-1110هـ/1695م-1698م)سنة1109هـ/ 1697م،واعيد بنؤها من طرف ابراهيم بن رمضان (1145هـ-1158هـ / 1732م-1745م)سنة 1149 هـ/1736م، و برج الاغا نسبة إلى الذي أعاد بناءه

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،91.

[2]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[3]- علي خلاصي، نفسه.

* للاطلاع اكثر انظر كل من مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،.ص،457-459 . و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،206 - 210 .

* للمزيد اكثر عن هذه القنطرة انظر عثمان مفتاح، العمارة الدفاعية لشرق مدينة الجزائر.....ص،ص،51-52.

سنة1240هـ/1824م[1]وعرف أيضا باسم الدار المربعة في فترة الاحتلال الفرنسي، وسمي ايضا بحوش الاغا كونه يحتوي على اسطبلات للخيول، وكذا سمي بثكنة القنطرة لكبر حجمه و قوة استيعابه.[2]

يقع هذا البرج شمال شرق قنطرة الحراش الشهيرة[3]، على بعد 12 كم شرق مدينة الجزائر، على الضفة اليمنى من وادي الحراش و على ارتفاع 60م على مستوى سطح البحر.[4]

أُنشئ البرج على يد الداي بابا عبدي سنة 1137هـ/1724م،وقد بني فوق أراضي ملك الوالي دادا، وكان من مهام البرج حماية القنطرة التي تعتبر بوابة مدينة الجزائر، جمع الضرائب بالنسبة لسكان سهل متيجة، مراقبة الطريق السلطاني الذي كان يمر بجانبه الأشراف على طبانات حلق الوادي.[5]

يشير كلاين بأنً هذا البرج عرف ترميمات سنة 1143هـ/1730م.كما أنَّه لم يكن سوى ثكنة تعرف بـ الدار المربعة، و كان مقر استراحة بايات الشرق قبل دخولهم الجزائر.[6]

إنً البرج عبارة عن بناية مرتفعة ذات قاعدة مربعة مقاساتها من الخارج85مx85م،وعند دخول الجيوش الفرنسية واحتلال مدينة الجزائر،استغل البرج كأول نقطة دفاعية كمقدمة لجيوشها، سمي حينها بالبرج المربع **la maison carrée** والى يومنا هذا لازال البرج قائما و محافظا على عمارته الأصلية العثمانية،رغم

---

[1]- لخضر درياس، لخضر درياس، المدفعية، أطروحة.....ص،108.

[2]- عبد القادر حليمي ، المرجع السابق،ص،242.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،93.

[4]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،452.

[5]- مفتاح عثمان، المرجع نفسه.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،108.

كل الاضافات التي طرأت، و هو بحي حسن بادي (بلفور سابقا) بداخل ثكنة عسكرية.[1]

- برج باب عزون:

يعد برج باب عزون من أهم الأبراج الدفاعية البرانية الشرقية، وهذا لقيمته الاستراتيجية و عدد فتحات الرمي فيه، حيث بلغت ثلاث و تسعين (93) فتحة، و يقع في طرف الساحل البحر على بعد 900 م عن باب عزون.[2]

يطلق على هذا البرج عدة تسميات منها برج " السفيد" (البرج الأبيض) لبياضه الدائم لأنه كان يطلى دائما بمادة بالجير الابيض لاهتمام الحكام بعنايته و نظافته، بالإضافة الى تسميته ببرج "راس تافورة، و الحقيقة ان اسم باب عزون حسب الشريف الزهار اعطي لبرجين القديم و الجديد فالبرج القديم او الاول؛ فالبرج الأول بني ما بين سنة 989هـ- 922هـ/1581م-1584م،ولم يبق منه إلا الجزء الامامي المشرف على البحر و الذي قال عنه بوتان سنة 1223هـ /1808م، بأنه يحتوي على احدى عشر قطعة مدفعية.[3]

أما البرج الجديد فقد تم بناؤه من طرف مصطفى باشا سنة 1213 هـ/1798م على انقاض جزء من البرج القديم ، و قد بني هذا البرج لحماية باب عزون، و حراسة الشاطئ الشرقي منها.*[4]

---

[1]- عثمان مفتاح، العمارة الدفاعية لشرق مدينة .....ص،53.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،215.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،108

[4]- لخضر درياس، لخضر درياس، المرجع نفسه.

* للمزيد انظر علي خلاصي ، القلاع و الحصون.....ص،ص،94-96.

نظرا لأهمية البرج، تعرّض إلى عدّة اصلاحات و اضافات ، كانت أوّلها فترة حكم "مصطفى باشا[1]، كما توضحه الكتابة التأسيسية المحفوظة بمتحف الآثار القديمة بالجزائر، نفذت بطريقة الحفر الغائر المطعم بالرصاص على شكل أبيات شعرية، على لوحة رخامية بلغة تركية وبحروف عربية بخط نسخ شرقي.[2]

إنّ المكان الذي كان يحتله البرج ونوعية تسليحه جعل منه سدّا منيعا أمام الحملات البحرية ومنعها من الاقتراب من تحصينات الميناء، إضافة إلى توفير الحماية لحصن الإمبراطور.

لقد لعب هذا البرج دورا هاما سنة 1246هـ/1830م،حيث أنه منع البحرية الفرنسية من الاقتراب من الشاطئ، و الاستلاء على الارواج الرانية من الخلف. وقد واصل هذا البرج أداء دوره العسكري في فترة الاحتلال الفرنسي، حيث حوّل إلى إقامة للجيش ليستغل جانب منه كسجن عسكري،ثم استعمل كسوق للحبوب و الدجاج و الفحم قبل أن يهدم سنة1323هـ/1905م.

كان لبرج باب عزون93 فتحة للمدفعية[3]،68 فتحة للمدفعية في الجهة العلوية و27 فتحة حسب كلاين في الجهة السفلية للبرج، وقد وزعت على كامل واجهاته الاربعة حسب الاتجاهات المسلحة بعشرات من القطع المدفعية، فالواجهة البحرية مثلا بها 19 فتحة سفلية و 18 فتحة علوية. اما من الواجهة المطلة على الطريق بها 18 فتحة علوية و انعدام الفتحات في الجهة السفلية من البناية، و بالنسبة للواجهة الجنوبية الشرقية فبها 18 فتحة علوية و05 فتحات سفلية، وعن الواجهة الشمالية الغربية؛ فتتوزع بها 12 فتحة علوية و 03 فتحات في الجهة السفلية.

---

[1]- أحمد الشريف الزّهار، المصدر السابق، ص82 .

[2]- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص،95.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،95.

للبرج مدخل رئيسي وحيد بالواجهة الشمالية، يفضي إلى قبو واسع به أربع مجموعات من المقاعد، تستعمل من طرف القبجية أو الحرس المكلف بمنع المدافعين من مغادرة البرج اذا أمر الباشا بذلك[1]. و في الفترة الاستعمارية استحدث مدخل آخر بالواجهة الغربية، نصل من خلال المدخل الرئيسي إلى صحن واسع، وزعت على جوانبه مجموعة من المرافق منها؛ غرف الجند التي كانت بالواجهة الغربية، حيث كانت تتسع لإقامة 300 جندي، أما مخازن الذخيرة، فكانت بالواجهة الجنوبية[2]، كما كان البرج يضمّ مصلى، وتتزود حاميته بحاجياتها من الماء من عينين مجاورتين له، أحداهما متصلة بجدرانه[3]، إضافة إلى توفره على خزانين لتجميع مياه الأمطار عبر ميازيب متصلة بالسطح، يتسع أحدهما لـ 295م3 ، والآخر لـ 140 م3، كإجراء احترازي عند الحصار.[4]

- برج الكيفان:

يعرف أيضا باسم برج الماء[5]، لقربه من البحر، حيث كانت تصطدم المياه بواجهته البحرية، وكثيرا ما اتخذت الأبراج التي تحتل هذه المواضع هذه التسمية*، وكانت شائعة بالفترة المرينية على عهد السلطان " أبي الحسن".[6]

يعتبر هذا البرج ثاني أبراج مدينة الجزائر من الناحية الشرقية بعد برج" تامنفوست"، يبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 19 كم، في خليجها الشرقي بحيث بني على راس

1- علي خلاصي، المرجع نفسه،ص،96.

2- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،218.

3- Vincent Yves – Boutin , Op,Cit., p. 191.

4- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،218.

5- Henri Klein, Les feuillets……d'El Djezair p p,82.

* كانت هذه التسمية شائعة بالفترة المرينية ، على عهد السلطان " أبي الحسن". انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،211.

6- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه.

صغير داخل البحر شيّده محمد باشا سنة1135هـ-1136هـ/1722 م - 1723م[1]، و قد جاء ذلك في اللوحة التأسيسية التي تعلو مدخله الوحيد بالواجهة البرّية،حيث تحمل كتابة عربية، منفذة بخط مشرقي ثم ملئت بالرصاص.[2]

في حين فان دوفولكس يشير من خلال الدكتور بن حموش ان البرج قد تم بناؤه سنة 989 هـ/1581م من طرف جعفر باشا[3]، ويشاطره في الراي كلاين فيذكر أنّه بني سنة989 هـ/1581م من طرف جعفر باشا.

بنيت عمارة هذا البرج لحماية قلب الخليج من كل حملة او تنظيم لمراكب الحملات التي استهدفت المدينة. اما عن دوره الدفاعي؛ نسجل على حد قول توفيق المدني من خلال الدكتور خلاصي؛ تصدي مدافع هذا البرج للحملة الاسبانية التي وجهت ضد مدينة الجزائر سنة 1189هـ/ 1775م، حيث وقفت في مواجهته سفينتان و صبتا عليه قذائفها قبل ان تنسحب بانكسار الحملة.[4] واستمر البرج في أداء وظيفته الدفاعية إلى غاية احتلال المدينة من طرف الفرنسيين الذين حوّلوه في أفريل من سنة1272 هـ/ 1855 م إلى مركز للجمارك.[5]

اتخذ الشكل المربع الغير المنتظم، و في سنة 1223 هـ/1808م، كان البرج يحتوي على فتحة واحدة، في اتجاه اليابس و أربع فتحات تجاه البحر، و أما الجانبين فنجد به 8 فتحات ؛ أربع منها في كل جانب متجهة نحو الشاطئ.*[6]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص،105.

[2]- Gabriel Colin ,Op,cit, p,97.

[3]- مصطفى بن حموش و بدرالدين بلقاضي.....ص،124.

[4]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،92-93.

[5]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،211. أنظر ايضا .Henri Klein Les feuillets……d'El Djezair p,p,82

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،105.

* للمزيد ايضا انظر كل من محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،.ص، ص، 211- 213. و مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية.....ص،.ص،454-456.

الى جانب الى جانب الاواج المقامة للدفاع عن المدينة في نواحيها الغربية الشرقية الجنوبية و الشمالية وجدت بها مجموعة من الطبخانات لتعزيز الخط الدفاعي.

بالإضافة إلى الاواج و الطبخانات التي تحرس مدينة الجزائر هناك اواج اخرى موزعة في النقاط الاستراتيجية من اراضي دار السلطان كوج شرشال وج منايل وج تيزي وزو و وج سيباو و قد سماها الدكتور لخضر درياس باسم اواج الاوطان نتطرق اليها حاليا.[1]

التحصينات الشرقية لدار السلطان:

مع قدوم الاخوة بربروسة (عروج و خير الدين و اسحاق) في مهمة جهادية بغرض انقاض بجاية من الاحتلال الاسباني لها سنة 918 هـ/1512م، ارتبط تاريخ منطقة القبائل ، مثل بقية مناطق البلاد الجزائرية ، بالحركة الجهادية ضد النصارى بالسواحل و التي اسفرت على حد قول سعيدوني عن تأسيس حكم عثماني مركزي في الجزائر، و كان لتضحية عروج و مساعي خير الدين دور أساسي في ربط الجزائر بالسلطة العثمانية سنة 924 هـ/1518م.[2] و في إطار هذه الملحمة الجهادية، تمت محاصرة الخطر الاسباني و تصفية مراكزه بالسواحل و ابعاد نفوذه عن بلاد القبائل بتحرير بجاية من طرف صالح رايس سنة 963 هـ/1555م، وبذلك أمكن لحكام الجزائر العثمانية بسط نفوذهم على منطقة القبائل، الأمر الذي أدى الى الاصطدام بالقوى المحلية القائمة على النظام القبلي، و المدعمة بالتجمعات الجهوية التي تبلورت في ظهور إمارتين متنافستين ببلاد القبائل، هما إمارة ابن القاضي التي

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،138.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل"** .....ص، 191.

اتخذت قلعة كوكو بآيت يحي مركزا لها، و إمارة آل مقران التي تحصنت بقلعة بني عباس شرق وادي الصومام.[1]

لقد حالف حكام الجزائر النجاح في اخضاع بلاد القبائل، عندما تمكن كل من خير الدين و ابنه حسن و خلفه صالحرايس من إخضاع الامارتين. و قد استخدموا أساليب حربية تعتمد على أسلوب المجابهة ، واستعمال السلاح الناري و استغلال النفوذ القبلي ، فألحقوا بلاد القبائل بالحكم المركزي، بعد ان تمكنوا من تصفية إمارة ابن القاضي سنة 948هـ-949هـ/1541م-1542م،و آل المقراني سنة961 هـ-967هـ/1553م-1559م،و بذلك ظلت بلاد القبائل تابعة للحكم المركزي، رغم حركات العصيان و التمرد و الثورة التي عرفتها بلاد القبائل في السنوات التالية:1000هـ/1591م،1003هـ/1594م،1131هـ/1718م، 1168هـ/1754م،1172هـ/1758م،1181هـ/1767م،1214هـ/1799م،1183هـ /1769م،1222هـ/1807م،1225هـ /1810م، 1234هـ /1818م، 1244هـ /1828م.و الجدير بالذكر أن حكام الجزائر العثمانية، قد أولوا أهمية قصوى لفرض نفوذهم على بلاد القبائل،وذلك حتى يبعدوا خطر القبائل المتمردة عن مدينة الجزائر القريبة من بلاد القبائل، و قد اعتمدوا في ذلك على عدة اساليب منها استغلال التنافس بين الاحلاف القبلية و ذلك بمناصرة حلف على اخر، ثم الانقلاب عليه عندما تقوى شوكته ، و منح امتيازات و ترضيات للشيوخ الكبار ذوي النفوذ.*[2]

إنً تلك الأساليب التي استعملها حكام الجزائر في فرض نفوذهم على بلاد القبائل، كانت تستند على سياسية دفاعية محكمة وأساليب عسكرية متطورة ، تمثلت

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية .....ص،192.**

* للمزيد و للاطلاع ناصر الدين سعيدوني، **المرجع نفسه**،ص،ص،191-193. و أنظر أيضا الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق،ص،ص،28-47.

في إقامة شبكة دفاعية تطوق بلاد القبائل الجبلية ببالد القبائل، لتظل بعيدة عن المناطق السهلية حيث تنتشر مزارع لبياليك (الدولة)، و تتمثل هذه الشبكة الدفاعية في سلسلة من الحصون لها هدف عسكري و غرض اداري في ان واحد ، و يتلخص في مراقبة السكان و التحكم في تحركاتهم و تامين طرق المواصلات و دون قيام حركات التمرد و تطويق حركات العصيان الواسعة النطاق.

هكذا شيّد الحكام الأتراك مجموعة من الأبراج على امتداد الطرق السلطانية، خاصة بالطريق الرابطة بين دار السلطان و بايليك الشرق، الذي يقطع منطقة القبائل المعروفة بكثرة ثوراتها ضدّ الحكومة التركية.و يرجع تاريخ بناء الأبراج إلى فترة متقدمة من حكمهم للإيالة الجزائرية، كانوا يهدفون من وراء إنشاء هذه الاستحكامات، إلى استتاب الأمن بالمنطقة، من خلال اتخاذها كقواعد عسكرية تحمي هذه المسالك خاصة، عند خروج محلاّت تحصيل الضرائب، وتأديب القبائل المتمرّدة والمتخلفة عن أداء واجباتها اتجاه سلطة البايليك،إضافة إلى توفيرالحماية للأسواق، واتخاذها كمخازن للحبوب المتحصل عليها ،عن طريق العشور و كأماكن راحة توفر الماء لقاصديها من عابري السبيل.[1]

نشير إلى أنً أغلب الأبراج قد أُقيمت على أنقاض القلاع القديمة التي سبقت دخول الأتراك إلى الجزائر، مثل" قلعة بوغني "و"قلعة ذراع الميزان "بقيادة بوغني. اشتهرت هذه المنطقة بكثرة حصونها منذ الفترة الرومانية، حيث كانت تشغل جوانب مسار الأودية خاصة "واد سبا" و "واد يسر"، وبالقرب من طرق المواصلات التي يمتد بعضها إلى ساحل البحر، حيث "مرسى جنات" و "مرسى الدجاج"[2]. و الجدير بالذكر

---

[1]- Louis Piesse, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie comprenant le Tell et le Sahara, Paris, 1862, p,135.

[2]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،273.

أنً هذه الحصون و الأبراج عبارة عن حلقة محكمة تطوق بلاد القبائل ، فمن الغرب حصون دلس و برج منايل ، و برج سيباو و برج تيزيوزو و برج بوغني، و من الجنوب برج حمزة وبرج سور الغزلان و برج المسيلة ، و من الشرق ابراج بجاية و مجانة وزمورة.[1] و من اهم هذه الاستحكامات الحربية : **اللوحة(17))**

برج منايل:

سمي البرج باسم برج امناين[2]، يعد اقدم برج في وطن "يسّر"، ويعود فترة بنائه الى عهد شعبان باشا سنة 1003هـ/1594م بمنطقة برج منايل،التي أصبحت تسمى بإسمه، و قد أُنجز هذا البرج لحماية سهول "يسّر"،..., P. 135 من هجمات القبائل الجبلية، كما حضي بحماية رجال المخزن الذين كانوا يشكلون المناعة الحقيقية لدار السلطان[3]، و كان تحت إمرة قائد يتبع لقيادة سباو. و يحتوي على مجموعة من الجند و قطع من المدفعية.[4] و بعدما تم بناء برج سيباو أصبح مقرا لإقامة وكيل الخرج العثماني المكلف بالإشراف على أراضي البايلك، في حين يذكر روبان **Robin** أنً برج منايل اصبح سنة 1246هـ/1830 م مقرا لأغوات فليسة إم الليل.[5]

كان موضع تشييد البرج بالضفة اليمنى لواد" يسّر[6]، على أنقاض موقع أثري روماني[7]، وبه كانت قلعة بربرية أعاد الأتراك استغلالها بعد ترميمها[8]، و قد شُيِّد من

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية.....**ص،ص،192-193.

[2]- حول التسمية أنظر زيدين قاسمي، قيادة سيباو- تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي -،دار الامل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر ،2009، ص،91.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،179.

[4]- رابح كنتور، أوقاف البليدة ووطن يسر بين 1671و 1900 من خلال وثائق المحاكم الشرعية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2016، ص،33.

[5]- رابح كنتور، المرجع السابق،ص،33.

[6]- رابح كنتور، نفسه.

[7]- Louis Piesse, Op,Cit, p, 153.

[8]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،274.

طرف محمد الذباح" في إطار مشروعه الدفاعي بمنطقة القبائل في نفس فترة إنشاء " برج سباو" و" برج تيزي وزو" [1]، لمراقبة الجانب الشمالي الغربي لأراضي"فليسة".[2]

فَقَد البرج دوره الدفاعي بعد أصبح مجرّد مستودع لقبائل المخزن، سنة1246 هـ/1830م،[3] وفي الفترة الاستعمارية شغلت عمارته مقر البلدية والدرك والكنيسة و المدرسة[4]، و قد استعمل كثكنة عند دخول القوات الفرنسية الى الجزائر، ثم هدم و لم يبق منه أي اثر،رغم البناء الذي مازال البعض يصفه بالبرج لأن حل محله.[5]

- برج سيباو الجديد

يقع برج سباو أو برج سباعو او برج سباو كما أطلق عليه الأهالي[6]، عند سفح جبل ذراع الكروش،على الحافة الشمالية لنهر سباو، على يسار وادي سباو و على بعد ثلاث (03) كيلومترات من تادميت، و كيلومترا وحدا (01) من تيزيوزو[7] و بالتحديد في مريجة[8]، بجوار منبسط من الأرض على مرتفع صخري، و يدعى أيضا برج تاورقة نسبة الى المكان الذي اسس فيه[9]، وبرج سباو بموقعه يشكل نقطة التقاء الطرق الآتية من مدينة الجزائر، ومرفأ دلس و المسالك المتوجهة الى داخل بلاد القبائل*، وهذا ما جعله مركزا ممتازا لحراسة المعبر الطبيعي الوحيد نحو مواطن

1- Le Colonel Robin, Historique sur la Kabylie, Adolphe Jourdan, Alger , 1905 , p, 105 .

2- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،274.

3- Louis Piesse ,Op ,Cit, p, 143.

4- Ibid,p,53.

5- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،179 .

6- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،204.

7- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

8- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،140.

9- زيدين قاسمي، المرجع السابق، ص،85.

* بمعنى يشكل همزة وصل حسب الدكتور سعيدوني بين الطريق الرابط بين دار السلطان و دلس و تيزي وزو و مختلف الطرق و المسالك المتجهة الى منطقة القبائل الكبرى، انظر رابح كنتور، المرجع السابق، ص،34.

القبائل الجبلية، الواقعة بين جبال سيدي علي بوناب في الجنوب و جبال القوارقة وواقنون في الشمال.*[1]

يعود انشاء هذا البرج الى أغا العرب(قائد فرق الجند بالجزائر) علي خوجة متولي ادارة وطن ساباو[2]، و الذي كان يمضي في رسائله باسم أمير الاوطان، فقد أمر ببنائه حوالي 1090هـ/1679م[3]، و ذهب غافوا **Gavoy** الى أنً هذا البرج، بني على عهد القائد محمد بن علي المعروف بالذبًاح عام 1131هـ /1718م، و هذه رواية تخلو من الصحة اذا عرفنا ان اسم برج سباو ورد ذكره لأول مرة في وثائق الإدارة المحلية 1133هـ/ 1720م[4]، و قد لاحظ روبان اثار لبناء قديم كان يقول عنها المواطنون بانها بقايا برج سباو، و بعد تحرياته وجد أنها بناية مدببة، قد تكون حوش لمزرعة. والواقع أنه من الصعب معرفة تاريخ وصول القائد علي خوجة الى هذا المكان، ولعل الوثيقة الوحيدة كما ذكر غافوا و المؤرخة ؛ هي التي تعود إلى سنة 1133هـ/1720موالتي يعتقد في تاريخها أنه نفس تاريخ برج سباو، لأن بايسونال كتب في سنة1138هـ/1725م يقول[5]:«**و القبائل امتدت في وقت من الاوقات حتى سهل متيجة الموجود بضواحي الجزائر، لكن في الأخير عين أحد الأتراك المعروف بعلي خوجة فاستطاع أن يدفعهم إلى الجبال و يخضع كل من كان في غرب واد الزيتون و بنى برجا جهزه بمدفع لحماية كل السهول حتى مدينة الجزائر**».[6]

(اللوحة(17))

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،"**الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،204.

*للمزيد ايضا نظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص،ص،204-208. وانظر ايضا Albert Devoulx,Tachrifat…..p,39.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،"**الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،204.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، "**الشبكة الدفاعية العثمانية**..... ص،205.

[4]- نفسه.

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،140.

[6]- Peyssonnel et Desfontaines, Op,cit, P, 451

حسب رين **Rinn** فإن هذا البرج كان مسكنا لخليفة الامير عبد القادر سي أحمد الطيب بن سالم، قبل فترة الاحتلال الفرنسي و بعد سنوات هوجر و اندثر.[1]

يذكر بوفوا **Beavois** أنً هذا البرج كانت به حامية، قدرًها " بوفوا " بسبعين (70) مدافعا، يشرفون على ادارة و مراقبة محيط البرج، و الإشراف على سرية المدافع التي قدرها بـ ستة عشر (16) قطعة[2]وحسب ما نقله سعيدوني عن دفتر التشريفات، فإنً عدد المدافع بالبرج يصل الى ثمانية (8) قطع و خمسين رجلا يُشكّلون الحامية ، وتحت تصرفه ثلاث زمالات و هي التي كان يتكون منها مخزن عمرلوة.*[3]

يتمتع برج سباو بتنظيم هام يختلف عن بقية الأبراج، لموقعه من جهة، و لقربه من دار السلطان من جهة أخرى بـ87كم اذ يشتمل على طوابق.[4]

يذكر روبان في هذا المجال بأن هذا البرج يضم طابقين؛ فالطابق السفلي منه؛ محاطا بسور دفاعي و بداخله توجد مخازن للقمح و الشعير و الزيت و البارود، زد على ذلك ساحة يتجمع فيها الأسرى،أما الطابق الاول؛يحتوي على مكان مخصص لقائد البرج و دار الصناعة، و غرف الحراس، كما يحيط بالبرج اسطبل و مطحنة وورشة لصناعة الزجاج، بالإضافة إلى اسطبل الحيوانات.*[5]

تعرّض برج سباو إلى إصلاحات و توسعات و ترميمات سنة 1273هـ/1856م، حيث شيّدت حوله سور من جهة الجنوب والغرب والجنوب الغربي، ودعّمت بعدد من

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،140.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص، ص،179-180.

[3]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،205..

* للاطلاع انظر. Albert Devoulx, Tachrifat……p,39

[4]- رابح كنتور، المرجع السابق،ص،34.

[5]- Le Colonel Robin,Op,Cit,p,105.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج انظر Le Colonel Robin, Ibid, p,p 46-105.

الأبراج، وبنيت داخلها بنايات خاصة بالمؤونة، مخازن، ثكنات وإقامات للضباط ... إلخ.[1] **اللوحة(17))**

برج تازرارت(برج سباو القديم):

إن أول نقطة دفاعية اقيمت في هذه المنطقة هو برج تازرارت، يقع يمين نهر سباو و يقابل احد روافده المدعو وادي بن عيسى[2]، و شيّد ليكون مقر لقيادة سباو ونقطة لمراقبة المنطقة والسوق التي بجواره.[3]

يعتقدان أن برج تازغرت أو تازرارت كما جاء في بعض المراجع* هو أقدم تحصين اقيم بهذه الناحية[4]،و يطلق على هذا البرج تسمية برج سباو لموضعه الذي كان موجودا بالضفة اليمنى من واد سباو، بالقرب من سوق برج تازرارت[5]*. **اللوحة(17))** كان البرج عبارة عن مخزن شُيِّد لاستقبال حبوب و حيوانات الجباية،و بها مخازن للأعلاف.[6]وحسب المعلومات التي استقيت من قاضي عمراوة ، فإن قرية تيكوباين أو تيقوباين قد خرِّبت البرج في سنة 1127 هـ- 1128هـ/1715م- 1716م، أي قبل تاريخ بناء المخزن الذي شيده الأتراك العثمانيين سنة 1725م، وكان هجوم قبيلة

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،276.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

[3]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،274.

*انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص ،142 .

[4]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180.

* يذكر ساحي في بحثه عن الزواوة ان مخزن تزغرت تأسس قرب تيكوباين أو تيقوباين في سنة 1725م، و عيَّن عليه القائد سليمان. علي خلاصي، المرجع نفسه، ص،180.

[5]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

إبراثن بقيادة قائد تازرارت المدعو سليمان[1]، قد ألحق أضرارا كبيرة بعمارة هذا البرج، و نظرا للخلل الموجود في نظامه الدفاعي المتصل بعمارته وموضع إنشائه تخلّت عنه السلطة التركية وعوّضته ببرج سباو الجديد، في موضع مشرف بالجهة اليسرى من وادي سباو.[2]

إنّ آثار البرج المتهدم التي شوهدت أثناء الاحتلال الفرنسي تبين ان مساحة البرج كانت لا تتعدى 450 م،اذ ان قياساته لا تتعدى 30م x 15م، و جدرانه شديدة السماكة و الصلابة، كما ان فتحات المدافع و مزاغل السهام رتبت بعناية جيدة ، وبقيت اثارها ظاهرة الى فترة متأخرة من العهد الاستعماري الفرنسي.*[3]

- برج بوغني :

يسمى كذلك نسبة الى المكان الذي اسس فيه ، وواغني يعني المكان أو السهل الذي يقع في مكان عالي و بين الجبال[4]، و يذكر دوفوكس في التشريفات ان اصل التسمية يعني المكان المسطح العالي حسب التعبير البربري.[5]

يقع برج بوغني على المنحدرات الشمالية لجبال جرجرة، ويتوسط منخفضا يعبره وادي بوغني احد الروافد الجبلية العدية التي تنتهي عند نهر سباو، و هو بموقعه هذا يبعد الى الشرق من ذراع الميزان بـ 14كم، وإلى الجنوب الغربي من تيزيوزو بـ 33 كم،

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،274.

[3]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،180.

* للمزيد انظر كل من لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،142. و علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،180

[4]- زيدين قاسمي، المرجع السابق،ص،90.

[5]- Albert Devoulx,Tachrifat…….p,353.

كما يمكن الوصول منه الى مصيف تلاغيلاف أو عين الدِّبِّ المتوحش(1500م) الواقع الى الجنوب منه بـ 20 كم.[1]

ارتبط تاريخ برج بوغني بالإدارة العثمانية ببلاد القبائل[2]، اذ يرجع تاريخ بنائه إلى نفس التاريخ الذي بني فيه برج سباو تقريبا*،ومن المعروف أنَّ بناء البرج قد تم من قبل القائد محمد بن علي المعروف بالذباح، وذلك حوالي عام 1136هـ/1724م، و جعله مقرا للقائد التركي العثماني بتلك الناحية، فتعاقب عليه العديد من القياد**،ورد اسم احد قياد بوغني وهو سيدي علي أو موسى التلمساني و بني خلفون، و بذلك ضل برج بوغني نقطة مراقبة عسكرية، بين عين الراوية و مشتراس و مركز ادارى، يتحكم في قبائل قشتولة و ايت صدقة و تزليوة و بني خلفون، و يحد من تحركاتهم التي بدأت تشكل خطرا على نفوذ البايليك بحوض سباو، منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي.[3]

كانت قيادة بوغني تتبع دائما لبرج او لقيادة سباو والذي تبع بدوره لمدة طويلة الى بيلك التيطري، وكان يحتوي على 04 صفوات تتكون الواحدة منها على 16رجل، و من قادة هذا البرج الذين اعتلوا عرش بايلك التيطري كمحمد بن علي المعروف بالذباح[4]، و اصبح برج بوغني في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أي منذ

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،208.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

* ففي إحدى العقود المؤرخة بشهر رمضان 1136هـ/1724م، نجد ان القائد محمد الذي كان قائدا على سباو و كلف قائد قاسم بن عيسى لتسوية قضية ارث عند اولاد سيدي علي اوموسن. و يذكر **روبان** ان هناك وثيقتان مؤرختان سنة 1137هـ–1137هـ/1724م-1725م، كتبت واحدة من طرف قاضي اولاد سيدي علي اوموسى، و الثانية من طرف قاضي بني خلفون، وتذكر احداهما ان سي محمد التلمساني هو ممثل الداي في البلاد، و قد اعطى له لقب نائب اوطان قشتولة، و في الثانية يعين كقائد لبوغني، وهذا ما جعل روبان يؤكد على ان برج بوغني كان موجودا في سنة 1137هـ/1724م. انظر كل من Le Colonel Robin,Op,Cit,p,144 و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،142.

ورد اسم احد قياد بوغني وهو سيدي علي أو موسى التلمساني و بني خلفون .انظر ناصر الدين سعيدوني،"الشبكة الدفاعية العثمانية.....**ص،208.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

1159هـ/1746م، مركز مراقبة الطريق الجبلي العابر لبلاد القبائل، والذي كانت تسلكه الحاميات العسكرية في أوقات السلم.*[1]

في عام 1234هـ/1818م، تعرض البرج الى تهديمه مرة اخرى عندما داهمه رجال قبائل قشتولة وايت صدقة لتتحول بناءاته إلى أنقاض، وأُعيد بناؤه للمرة الثالثة من طرف يحي أغا*قائد الجيش الجزائري، بمساعدة الشيخ محمد شيخ قبيلة أيت قاسمي الذي أصبح قائدا بحوض سباو(قائد عمارة الفواقة)عام 1235 هـ/1819م،وزود البرج بعدة مدافع و استقرت به الحامية العسكرية مجددا سنة 1239هـ/1823م،ووضعت تحت تصرف قائد حامية قبيلة ترليوة، التي برهن رجالها على اخلاصهم للبيلك، و أصبحوا متعاونين معه و أدمجوا في نظام المخزن.*[2]

بعد احتلال فرنسا لمدينة الجزائر سنة 1246هـ/1830م، وبعد انسحاب رجال الامير المعسكرون من برج بوغني، احتلت طلائع الجيش الفرنسي البرج، و استولت عليه بعد أن وجدته مهجورا و شبه مهدم، فقاموا بإعادة ترميمه و تنصيب حامية به، ثم جعله مقرا صالحا لإقامة الجند سنة1272هـ/1855م،والجدير بالذكر أنً مصاريف الترميم الضرورية، قد قدرًها الفرنسيون حسب معلومات أحد الضباط الفرنسيين الى ما يناهز ثلاثين (30) فرنكا، و قد ورد وصف دقيق لحالة البرج عند استيلاء الفرنسيين عليه، في إحدى الوثائق التي كتبها أحد الضباط الفرنسيين قائلا:" **إنه بناء مربع**

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،209.

* تعرض برج بوغني الى مهاجمة قبائل فليسة عدة مرات، ففي 18 شوال 1169هـ/ 16 جويلية 1756م ، تمكن رجال قبائل فليسة ام الليل من هدم تحصيناته و قتل حاكمه القائد محمد ، ثم اعيد بناؤه بعدما تمكن داي الجزائر الداي بابا علي الملقب ببوصبع، اخضاع القبائل الثائرة في حملة عسكرية على مواطنهم جهزها في 25 ذي القعدة 1169هـ/ 25 اوت 1756م، و المتكونة من محلة قسنطينة و الجزائر و تيطري، ولم تتمكن القوات العثمانية التي وجهت لإخضاع القبائل من إرجاع الامور إلى نصابها إلا في منتصف عام 1757م. أنظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه،209.

* حسب درياس توفي شنقا بالبليدة سنة 1827، للمزيد أيضا أنظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،142.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه، ص،142.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج و للاطلاع انظر كل من ناصر الدين سعيدوني ،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،208-211. ولخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه.....ص،142،وعلي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص، 180 .

الشكل يتميز بواجهته الاربعة مزودة بأبراج مربعة الشكل يمكن الوصول اليها عبر حواجز متدرجة الإرتفاع، حيث توجد فتحات لإطلاق النار".*[1] اللوحة(17))

- برج تيزي وزو:

يقع مركز تيزي وزو**وسط حوض سباو داخل بلاد القبائل، وأخذت تيزيوزو تسميتها من اللفظ القبائلي، فعرفت بممر القندول(**Col du genêt épineux**)*.

بني برج تيزي وزو بمكان مرتفع على انقاض آثار رومانية، وقد ساعده هذا الموقع على مراقبة المنطقة الشرقية وكل حوض سباو[2]، ولكن رغم هذه الميزة إلاّ أنّ الاعتماد عليه في العملية العسكرية كان محدودا، وذلك نظرا لطبيعة موقعه الجبلي.[3]

نشير إلى أنً تشييد هذا النوع من الاستحكامات كان من قبل محمد بن علي الذباح، و كانت به حامية من الجيش العثماني تتراوح بين ستين و خمسين رجلا، زيادة عن الزمالة التي كانت تساعده في التدخلات ضد القبائل، بالإضافة الى عدد المدافع التي تقوم بحراسة البرج*[4].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،210-211.

* للمزيد و للاطلاع اكثر عن وصف البرج انظر ناصر الدين سعيدوني، **"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،210-211.

** يحتل معبرا طبيعيا للمواصلات على شكل واد عريض يقدر طوله حوالي 03 كم عند سفح جبل بلة غير بعيد عن نهر سباو. و هذا ما جعل من موقع تيزي وزو محطة مراقبة للجهات الجبلية المحيطة بحوض سباو و نقطة اتصال بالبحر عن طريق ميناء دلس او بمدينة الجزائر عبر الطريق الطبيعي الذي يمر بذراع بن خدة و الثنية (ثنية بني عائشة). ناصر الدين سعيدوني، نفسه.

* نبات شوكي كان ينبت بكثرة في ذلك الممر الطبيعي الذي قامت عليه مدينة تيزي وزو(ممر القندول)، ومن الراجح ان يكون هذا الممر مكانا لموقع عسكري روماني كان يعرف باوبيدوOppidum)) و ذلك ما ذهب اليه البارون أوكبيتان(Baron Aucapitaine) من خلال سعيدوني في ملاحظاته حول موقع تيزي وزو؛ و اقام مكان هذا الممر حكام الجزائر العثمانية (الدايات)،معسكرا بسيطا حوالي 1640م، لتدعيم دفاعات برج سباو، ولم تلبث عمارة هذا المعسكر ان تطورت في الربع الأول من الثامن عشر (حوالي 1715م-1718م)، فتحولت الى بناء محصن يتميز بمتانة جدرانه. وقد عرف هذا الحصن لدى سكان تلك الجهات ببرج تازاغارت أو تازاررت كما ورد اسمه في بعض الكتابات. أنظر ناصر الدين سعيدوني، نفسه،ص،ص،211-213.

[2]- Louis Piesse, Op ,Cit , p,157.

[3]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،278.

[4]- Le Colonel Robin,Op,Cit,p,144.

كان برج تيزيوزو يحتوي على03 صفوات[1]، و قد استُغلَّ كمركز عسكريا رئيسيا في حملاته العسكرية على قبائل جرجرة، و جهات الساحل شرق مدينة دلس، فتأكدت أهميته العسكرية عندما صدمت تحصيناته هجمات القبائل الجبلية سنة 1181هـ/1767م، وهذا ما شجع قياد سباو فيما بعد تجديد بناءاته للمرة الثانية، فأصبحت أي تحصيناته تتميز بمتانة أسوارها و صلابتها و التي بلغت علوها ما بين خمسة و ستين (65) مترا، وانتشرت في اعلاه منافذ زودت بستة عشر(16) مدفعا، جلبت من حصون دلس.*[2]

نلج إلى البرج عبر مدخل يعلوه عقد، يؤدي إلى صحن مكشوف به بئر وتحيط به غرف لمبيت الحامية المرابطة به، والتي كانت تتشكل من 50رجلا، لينخفض عددها إلى 29رجلا سنة 1246هـ/1830م.[3]

بقي البرج مستعملا حتى بعد الاحتلال الفرنسي مع برج حمزة و برج منايل، حيث اعيد ترميمه في سنة 1268هـ/1851م، و عين به بلقاسم اوقاسي كباش، و بعد خمس (05) سنوات اصبح مقرا للقائد العام بتيزي وزو.[4]

تعرضت عمارة البرج في عهد "يحيى آغا" قائد القوات الجزائرية إلى الترميم، و استمر البرج في أداء دوره الدفاعي في الحقبة الاستعمارية، بعد أن أصلحه الجنرال "كوني" **Cuny** و كان ذلك في سنة سنة 1268هـ/1851م.[5] **(اللوحة (17))**

---

* لم يعرف هذا البرج تطورا حتى تولى قيادة سباو القائد محمد بن علي الفريرارا الذي خلف خاله حسين بن عثمان عام 1150هـ/1737م، فأولى عناية خاصة ببناءاته و توسيع برج تيزي وزو، واعادة بناء برج تزاغارت "ثازارارت" الذي يقع بين ثالة عثمان و عبيد شملال ، و الذي قام سكان عرش واقنون بهدمه عام 1129هـ/1716م. Le Colonel Robin,Op,Cit,p,144.

[1]- زيدين قاسمي، المرجع السابق،ص،92.

[2]- للمزيد انظر ناصر الدين سعيدوني،**"الشبكة الدفاعية العثمانية**.....ص،ص،212-213.

* للاطلاع اكثر انظر للمزيد انظر ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص،ص،211-215.

[3]- Rinn Louis,Op,Cit,p,143.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،142.

[5]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق ، ص،278..

- برج شرشال:

بعد ربط مدينة شرشال بالجزائر سنة 922هـ/1516م قدم عروج إلى شرشال فحررها، ثم رجع الى مدينة الجزائر« **بعد تحصينها و اقام بها قلعة ذات شان**»، ثم تواها دوريا **André Doria** سنة 9371هـ/1530م بعشرين (20) سفينة، عليها ما يزيد من 1500 من أحسن المهاجمين، ففر سكان شرشال و بقيت القلعة تقاوم في انتظار وصول المدد[1]، و تمكن المدافعين من استرجاع المدينة بعد تنظيم هجوم كاسح، لاستغلالهم فرصة انشغل جيش دوريا بأعمال النهب و السلب فتمكن هؤلاء المدافعون من القضاء على ما يزيد عن 1400 جندي،و عندما وصل خيرالدين على رأس الأسطول وجد دوريا قد غادر المدينة مهزوما.[2]

بني برج شرشال من طرف القائد محمود بن فارس التركي سنة 924هـ/1518م[3] بأمر ن القائد التركي" عروج بن يعقوب"واتضح ذلك من خلال لوحة تأسيسية تذكارية مثبتة أعلى مدخله، من خلال حفرية حسب ستيفان جزال **Stéphane Gsell** ، أُجري في الموقع سنة 1348هـ/1926م ، وهي محفوظة حاليا بالمتحف الوطني بشرشال[4]، و لقد تم بناءه بمساهمة الجند **الأتراك العثمانيين والأهالي.***[5]

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،190.

[2]- توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا.....ص،222.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،138.

[4]- Stéphane Gsell , Cherchell antique, Iol Césarea, Paris, 1952, P, 31 .

[5]- Adrien Berbrugger **« Le fort de Cherchell »** in Rev-Afr,1865,p,p,205.

* للمزيد اكثر عن البرج انظر سعاد بن شامة، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري- شرشال – البليدة – القليعة- و مظاهر التمدن الاندلسي فيها، دراسة وصفية تحليلية أنموذجية، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة بزريعة 2، معهد الاثار،2014-2015 ،ص،ص،89-93.

استطاع هذا القائد العثماني ان يدعم دفاعيات المدينة ضد الغزوات الاجنبية خاصة حملة اندري دوريا **André Doria** سنة937هـ/1530م[1]. وقد وجدت كتابة تذكارية مثبتة حسب الدكتور درياس على باب البرج.[2]

للإشارة؛ فإنّ هذه اللوحة الرخامية مربعة الشكل نقشت عليها كتابة عربية منفذة عن طريق الحفر البارز وبخط نسخ مغربي، وجاءت موزعة على ستة أسطر متوازية.* [3]

نجد وصفا لمدينة شرشال ببرجها في التقرير البحري العسكري و السياسي حول الساحل الإفريقي الذي اعده كل من **Lanfereducci** و **Bosio** لحاكم مالطة سنة هـ/1587م، حيث يشير هذا التقرير الى اهمية هذه المدينة بدفاعاتها ورجالها خاصة المدفعية الى تتوفر فيها.[4]وهي محفوظة حاليا بالمتحف الوطني بشرشال.

– الاستحكامات الدفاعية لبيلك الشرق و الطرق السلطانية:

يضم بايلك الشرق مجموعة من الابراج و الطبخانات موزعة حول المدن الرئيسية و اسوارها خاصة الساحلية منها بالإضافة الى الطرق السلطانية.**(الخريطة (06))**

1– تحصينات بيلك الشرق

من تحصينات المدن الرئيسية لبيلك الشرق وأسوارها نذكر أهمها: **(الخريطة (06))+ اللوحة(18))**

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،138.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

[3]- Gabriel Colin, Op,cit., P, 11-12

* و عن الكتابة التأسيسية للبرج انظر كل من Gabriel Colin, Op,cit. P, 11-12، و لخضر درياس، المدفعية الاطروحة..... ...ص،138.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، المرجع السابق.

تحصينات مدينة قسنطينة:

تتربع مدينة قسنطينة فوق صخور وعرة تحيط بثلاثة أرباعها ، و في سفحها يجري وادي الرمال (بومرزوق) الذي يمر بجهاتها الجنوبية و الشرقية و الشمالية في اتجاهه نحو الشمال الغربي، و لذلك فهي محصنة طبيعيا*، بغض النظر عن أسوارها*، وللمدينة أربعة أبواب ،أحدها في الشرق و يدعى باب القنطرة و تنتهي إليه طرق الساحل الشرقي، محصن بطبخانة و تضم ستة(06) مدافع، أما الأبواب الثلاثة فتقع في الجنوب الغربي،و يبعد الواحد منها عن الآخر بحوالي مائتي خطوة، وهي على التوالي باب الرحبة في الغرب، وقد أصبح يعرف أثناء الاحتلال الفرنسي باسم الباب الجديد، و يقول عنه شلوصر بأنه تحرسه طبخانة تحتوي على خمسة مدافع، وفي الشرق نجد باب الجابية وما بين الاثنتين يقع باب الواد، ومن بين الأبواب الثلاثة بطاريات المدافع التي تضم أربعين مدفعا لحراسة المدينة من أي هجوم.[1]

في أعلى الصخور المقاومة للمدينة، يقوم حصن القصبة* الذي يشرف على الباب الجديد و باب القنطرة، متربعا على مساحة تقدر بـ مساحة القصبة و نصف، وتعد المقر الاساس للحامية العثمانية بالمدينة تحرسها ثمانية مدافع حسب هيبوليت من خلال درياس وواحد و عشرون حسب بوايي **Boyer** حسب المعلومات التي استقاها من القائد ابراهيم.[2]

---

* عن تاريخ قسنطينة و عن وصفها انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،151-152، و شلوصر فندلينن، قسنطينة أيام احمد باي،ص،ص،74-75،و عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني- دراسة عمرانية اثرية- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر02 ، 2009-2010،ص،ص،65-268.

* للمزيد عن أسوار قسنطينة أنظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،152-154، و عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص،ص،65-268. و كذا محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،ص،306-309.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،161. أنظر أيضا عبد القادر دحدوح، المرجع السابق. و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،ص،306-314.

* انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق ، ص،ص،315-316.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،162-165.

برج المنصورة:

يبني هذا البرج في أوائل العهد العثماني ، وذلك بسبب هجومات الأعراب على الحامية التركية بالمدينة، و قد تعرض لعدة هجومات خاصة هجوم مراد باي بوبالة سنة 1112هـ/1700م، و تتكون أسلحته من أربعة هاونات، في حين يشير بوايي من خلال درياس استنادا الى المعلومات التي استقاها من القائد ابراهيم، بأن البرج كان مسلحا بخمسة عشر(15) مدفعا. وهكذا يمكن القول بأن مجموع المدافع التي كانت تحرس مدينة قسنطينة أثناء الاحتلال الفرنسي تبلغ تسعا و ستين (69) مدفعا، زيادة عن الحامية من الجيش العثماني التي يبلغ عدد افرادها الى تسعمائة (900) كتيبة.*[1]

تحصينات مدينة بجاية:

كانت مدينة بجاية في بداية القرن العاشر الهجري/الموافق لبداية القرن السادس عشر الميلادي، من أهم المدن الساحلية بالجزائر واغناها*، إذ عمدت إلى تسليح العديد من السفن الحربية المختلفة وإرسالها الى غزو الشواطئ، من ثم اعتبر هذا العمل من الاسباب التي دعت اسبانيا، لاحتلال المدينة سنة 915 هـ/1510م،

---

[1]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

* للاطلاع اكثر انظر لخضر درياس، نفسه،ص،ص،161-165. علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،157، و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،ص،317- 318 .

*عن تاريخ بجاية انظر كل من الإدرسي، وصف افريقيا ،ص،63،و الوزان، وصف افريقيا ،ج2،ص،50. روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 م إلى نهاية القرن 15 م،ج1، ترجمة : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1988، ص،410.

ورغم المحاولات التي بذلت لاسترجاعها إلا انها بقيت في يد الإسبان حتى سنة 963 هـ/1555م، و هي السنة التي استولى عليها صالحرايس، وركز بها حامية من الجند العثمانيين بعد تحصينها و تزويد ابراجها بالمدفعية[1] و أهم هذه الابراج. **اللوحة(18))**

برج موسى fort Barral

يحتل برج موسى موقعا مرتفعا مقارنة بالبنايات العسكرية الهامة داخل أسوار المدينة مثل القصبة و برج سيدي عبد القادر، هذا الخط الدفاعي الذي يمثل إلى يومنا هذا النقاط المرجعية لمسار سور المدينة خلال الفترة الإسبانية والتركية، انطلاقا من القصبة في الجنوب الغربي مرورا ببرج موسى في الشمال، وينتهي عند برج سيدي عبد القادر في الجنوب الشرقي.[2]

شيد من طرف الاسبان في بداية القرن العاشر الهجري/لبداية القرن السادس عشر الميلادي على أنقاض قصر النجمة، وكان البرج الأول الذي سقط في يد صالحرايس قد اعترته كثيرا من التعديلات، سواء في العهد العثماني أو الفرنسي. [3]

اتخذ برج موسى حسب بوطبة شكلا مستطيلا، ويتكون من طابق واحد بأربعة واجهات[4]، اما الدكتور خلاصي فيشير الى وجود اربع طوابق؛ طابق ارضي و ثلاثة طوابق.*[5]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،165.

[2]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص،340.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،ص،165-166.

[4]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق،ص،342.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،141.

* للمزيد أيضا عن وصف البرج أنظر علي خلاصي، المرجع نفسه، ص،ص،140-145. وأنظر أيضا محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،340-344.

يتوج الواجهة الشمالية منها برجان منتظمي البناء، متناظران ومتماثلان من حيث الشكل والمقاسات التي تتراوح من الداخل ما بين 8.90 م و11.20م، أما ارتفاع البرج فيصل الى 10.80م.[1]

تكمن قوة البرج في سمك جدرانه التي لا تقل عن02 م و المسلحة بعدد من قطع المدفعية، حسب ما تظهره الفتحات الموزعة في مناطق مختلفة من هيكله.[2]

كانت تتكون أسلحة البرج عند دخول القوات الفرنسية الى بجاية، من أربعة مدافع يشرف على إدارتها أحد القادة برتبة بولكباش مع حامية من 16 الى 20 جندي يقوم على خدمتها.[3]

و بعد احتلال المدينة من طرف القوات الفرنسية في سبتمبر1249هـ/1833م، حوّل إلى ثكنة للجيش الفرنسي[4]، ثم حُوِّل بعد ذلك الى برج في سنة 1267هـ/ 1850م ، وأطلق عليه اسم" برال" **Barral** نسبة الى الجنرال الفرنسي" برال" **Barral** الذي قتل بـ" ببني حيمل" اثناء احتلال المدينة ودفن بالواجهة الشمالية له من الداخل.[5]

اللوحة(18))

برج سيدي عبد القادر:

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،141.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،342.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،141.

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،342.

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة الدكتوراه.....ص،165.

يحتل برج* سيدي عبد القادر مكانا استراتيجيا هاما، اذ كان يحمي قصر اللؤلؤة في العصر الحمادي، ثم اختاره الاسبان لغلق جدار التحصين من الجهة الشمالية للمدينة التاريخية.[1]

يعد هذا البرج الوحيد الذي كان موجودا بمدينة بجاية أثناء الاحتلال الاسباني سنة 915هـ/1510م،غيرأنً الاسبان قاموا بتجديده، و جعلوا منه أحد الحصون المهمة بالمدينة.

شيّد البرج على أنقاض برج حمّادي، وموقعه جعله يحتل مكانة استراتيجية هامة بالواجهة البحرية الشرقية للمدينة، حيث يشرف على مرسى سيدي يحيى وعلى رصيف الشحن بالناحية الغربية له، كما أنّ المتتبع لمسار السور الإسبانية والتركية والفرنسية يلاحظ أنه نقطة مرجعية ثابتة لبداية السور من الناحية البحرية.[2]

يعود تاريخ استغلال موضع برج سيدي عبد القادر إلى الفترة الحمّادية،وعند احتلال بجاية من طرف الإسبان شيّدوا مكانه برجا بإشراف قائد الحملة "بيدرو نافارو" تحت اسم برج البحر، وبعد الحملة الفاشلة لشارل الخامس على مدينة الجزائر، اتجه إلى بجاية باعتبارها قاعدة عسكرية إسبانية إلى جانب مدينة وهران بشمال البحر الأبيض المتوسط، وذلك لاسترجاع أنفاسه، ولقي البرج* إثر ذلك إضافات في دفاعاته بأمر من الإمبراطور نفسه،وعند فتح الأتراك للمدينة، واصلوا الاعتماد عليه للدفاع عن بجاية، خاصة من الواجهة البحرية، حيث كانت ترابط فيه حامية، تتمثل في الكاهية

* يعرف البرج أيضا باسم برج البحر حسب روبار برنشفيك ، و في مذكرات الجنيرال رشيد، ذكر باسم برج المرابيط خلال القرن الحادي عشر الهجري/ للقرن التاسع عشر الميلادي. انظر كل من الجنيرال رشيد، رحلة الجنيرال رشيد الى الجزائر سنة 1847،تحقيق و تقدي؛ الشيباني بن بلغيت، ط1،مكتبة علاء الدين، صفاقص، تونس، 2007،ص،24. و روبار برنشفيك ، المرجع السابق، ص،415.

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،143.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،ص،342.

* بعد احتلال المدينة من طرف القوات الفرنسية، وأصل الفرنسيون استغلاله على عهد سابقيهم، إلا أنّه مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري و بداية القرن الرابع عشر الهجريين/ لنهاية القرن التاسع عشر ميلادي، وبداية القرن العشرين، فقد دوره الدفاعي وحوّل إلى سجن للأهالي وحاليا هو ملك للقوات الجزائرية. لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه....ص،166.

وستة عشر جنديا. و عرف البرج صمودا قويا خاصة اثناء هجوم رايس امام المهاجمين لمدة خمس (05) أيام، و بعدها عدل و رمم من طرف العثمانيين. ولقد كانت أسلحته أثناء الاحتلال الفرنسي بجانب الطبخانة الموجودة بجانبه تبلغ 20 مدفعا.[1]

يتخذ البرج شكلا شبه مستطيل ممتدا بشكل طولي على الرصيف الشرقي لميناء المدينة، تبلغ مقاساته بـ 56 م طولا x 18 م عرضا.

يظم طابق تحت الأرض، وهي عبارة عن مخازن ضيقة مسقوفة بسقف أسطوانية، يعلو هذا المستوى طابق أرضي مقسم إلى أربعة غرف تتسع لإقامة 50 رجل، أما عن تسليحه، فكان يضم 15 فتحة للمدفعية موزعة على واجهاته بالشكل الآتي: ثلاثة موجهة نحو رصيف الشحن، وثلاثة نحو الجبل وأربعة باتجاه المرسى وخمسة صوب خليج سيدي يحيى، حيث يوجد الميناء البترولي حاليا و اشار شارل فيرو أنّه عند الحملة الفرنسية على المدينة كان مسلّحا بالإضافة إلى بطارية سيدي أحمد الملحقة به بعشرين (20) مدفعا.*[2]

القصبة:

شيّدت قصبة بجاية على هضبة معتدلة الارتفاع مقارنة بمعظم التحصينات المعاصرة لها وهي تشغل الركن الجنوبي الغربي للمدينة[3]*، و قد بنيت هذه القصبة

---

[1]- لخضر درياس، لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،166..

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،345-346.

* للاطلاع اكثر عن هذا البرج انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،143. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،344-346.و. Louis Piesse ,Op ,Cit,p,376

* كانت تحدّ قصبة بجاية من الغرب دار الصناعة، وهي تمثل جانبا من سور الواجهة البحرية في نفس الوضعية مع باب البحر في الجهة الغربية منها. انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،125-132. و محفوظ محفوظ ،المرجع السابق، ص، ص،332-342. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني.....ص، ص،186-187.

من طرف الموحدين.**

تواصل استغلالها من طرف القوات الفرنسية بعد احتلالها المدينة سنة1249هـ/ 1833م، وقد ذكر الجنرال رشيد في مذكراته عند زيارته مدينة بجاية في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن 19 م، و من مجمل ما أقاموا بها، إضافة إلى الإسطبل ودار البارود، ثكنة لسلاح الهندسة زد على ذلك مخزنتين لتغطية حاجيات الجند الذين كان يقدّر عددهم بـ5000 جندي.[1]

تحصينات مدينة عنابة:

إنً التحصين الطبيعي الذي تتمتع به مدينة عنابة، والمتمثل في البحر المتوسط في الشمال، و كتلة الجبال الايوغ بالجهة الغربية والجنوبية لم يمنع الحكام عبر مختلف الفترات الاسلامية على تحصينها اصطناعيا تحسبا لأي هجوم اجنبي بحكم موقعها الاستراتيجي.[2]

اختلفت مدينة عنابة خلال العهد الاسلامي بنماذج من العمارة الاسلامية بشمال افريقيا عبر العصور.*

---

[3]- محفوظ محفوظ، المرجع السابق،ص،332.

**تعرضت قصبة بجاية عبر العصور المتتالية الى كثير من التحويرات خاصة تلك التي وقعت في بداية القرن العاشر الهجري الموافق لبداية القرن السادس عشر، و عن مدى القوة الدفاعية التي كانت تتمتع بها، يقدم لنا مارمول من وصفا هاما عن ابراج المدينة خاصة برج البحر، وبرج موسى و القصبة، و عن هذه الاخيرة يقول فيرو بأنها اي القصبة مبنية بالآجر الأحمر فوق أسس البنايات المحصنة و التي كانت تحمي الميناء في العهد الروماني ، و قد عرفت القصبة اصلاحات خاصة بعد احتلال المدينة سنة 916هـ/1510م من قبل الاسبان، وقد حرص قائد الحملة" بيترو نافارو "على تحصينها، وحظيت القصبة بنصيبها من ذلك، و تعرضت للمرة الثانية لإصلاحات جديدة من طرف " شارل الخامس" خاصة عند زيارته للمدينة سنة 952 هـ/ 1545م، وعندما فتح الأتراك العثمانيين مدينة بجاية بقيادة " صالح رايس" سنة 969هـ/ 1555م، كانت القصبة آخر معقل للإسبان بالمدينة بعد أربعة وعشرين يوم من الحصار، دخلها الأتراك العثمانيون وتركوا بها حامية من 28 رجل. وعن اسلحة هذا البرج فكانت تتكون من تسعة قطع من المدفعية. انظر كل انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،125-132.و محفوظ محفوظ ،المرجع السابق، ص،ص،332-342. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني.....ص، ص،186-187.

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،ص،332- 340

[2]- رزقي فهيمة ،" **الاستحكامات العسكرية بمدينة عنابة حصن المعذبين انموذجا** "، دراسات تراثية ،مجلة علمية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، اعمال الملتقى الدولي – النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني، ج2،العدد،05، عدد خاص، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر2، الجزائر، نوفمبر 2014، ص،436.

* اشارت المصادر التاريخية الى تاريخ عنابة امثال البكري (القرن 5هـ/11م) و البلوي (القرن8هـ/14م) و حسن الوزان (القرن 10هـ/16م)، بالإضافة الى المؤرخ و المستشرق الاسباني مارمول كربخال (القرن10هـ/16م)،ان استحكاماتها العسكرية تعود الى فترة حكم الحماديين و الحفصيين و العثمانيين و خلال هذه الفترة بالتحديد التي تعتبر فترة انتقالية من الحكم الحفصي الى الحكم العثماني. انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،166-167. رزقي فهيمة، المرجع السابق ،ص، ص،436-448، و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص، ص،371- 374 .

عن أسوار عنابة؛ تعد من اهم تحصينات هذه المدينة، وبناءا على النصوص التاريخية السابقة فإن تاريخ تشييدها يعود الى القرن الرابع الهجري/ للقرن العاشر الميلادي، وتعرضت الى التجديد في القرن الخامس الهجري/ للقرن الحادي عشر الميلادي خلال الفترة الحمادية في عهد الأمير عبد الناصر بن علاء الناس، وذلك نتيجة الأوضاع الأمنية المضطربة التي كان يعيشها المغرب الأوسط والأدنى بفعل غزو بني هلال لهما.**[1]

خلال الفترة الحفصية تم بناء قلعة على الهضبة الواقعة بالجانب الشرقي للمدينة، و قد احاطوها بأسوار سميكة فأصبحت بذلك الجهاز الاساسي للدفاع عن المدينة، و بهذه القلعة استقرت الحامية العسكرية التركية سنة947هـ/1540م، بعد أن أخرج منها عامل شارلكان الميركيز مندخوالي ، و احتل المدينة سنة 942هـ/1535م.[2]

أثناء الحكم العثماني عملت الحامية بتحصين القلعة و المدينة، بسلسلة من الأبراج و الحصون نذكر من بينها؛ حصن القصبة*والحصن أو الجنوي (البلارج)*الذي شيد سنة947 هـ/1540م،و حصن الخروبة*،زد على ذلك برج القصرين.[3]*

---

[1]- ابو عبد الله البكري، المصدر السابق، ص،55.

** خلال الفترة الحفصية تم بناء قلعة على الهضبة الواقعة بالجانب الشرقي للمدينة و احاطوها بأسوار سميكة فأصبحت بذلك حسب عبد القادر الجيلالي في كتابه " تاريخ الجزائر العام" الجهاز الاساسي للدفاع عن المدينة ، و بهذه القلعة استقرت الحامية العسكرية التركية سنة 947هـ/ 1540م، بعد ان اخرج منها عامل شارلكان الميركيز مندخار الي احتل المدينة سنة 942هـ/1535م. انظر كل من ابو عبد الله البكري، المصدر السابق،ص،55.و علي خلاصي، القلاع و الحصون....ص،ص،166-167. رزقي فهيمة، المرجع السابق ،ص، ص،436-448، و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،ص،371- 374 .

[2]- عبد القادر الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، طبعة جديدة، بيروت، 1980، ص،200.

* للاطلاع اكثر انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،353-365.

* كان البرج يعرف عند البعض بالحصن الجنوي، نسبة إلى الجنويين الذين شيّدوه، وعند البعض الآخر ببرج البلارج نسبة إلى المتا رس الذي ينتهي به البرج وله شكل منقار اللقلق، ويرى آخرون منهم سبب التسمية في ارتفاعه أو لبناء هذا الطير عشه عليه. انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص. 165. و انظر ايضا محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،366-367.

*عن حصن الخروبة انظر محفوظ محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص، ص،367-371. أنظر أيضا علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،165-170.

* يقع بالقسم المتصل بالسور الجنوبي و تربط بين طبانة القلعة و طبانة المعدومين التي تتكئ على السور الشمالي. شيّد بأعلى المنحدر الصخري المطل على الواجهة البحرية بالركن الشمالي الشرقي لمدينة عنابة، بالقرب من باب المقابر أسفل مستشفى ابن سينا. يعرف باسم برج المعذبين أو المعدومين لأنه اتخذ كسجن للمحكوم عليه بالإعدام خلال الحرب العالمية الثانية. انظر رزقي فهيمة، المرجع

نظيف الى هذه التحصينات؛ الأبواب، كذا الطبخانات الجديدة منها طبخانة القصبة قرب مسجد سيدي ابي مروان، و طبخانة المقابر الملاصقة لبرج المعدومين في السور الشمالي، و طبخانة السور الجنوبي أو باب قسنطينة التي يعتبرها فيرو من أكبر الطبخانات تجهيزا و أقواها.[1]

أما الأسلحة التي كانت تحتوي عليه هذه الحصون؛كلها حسب معلومات استقاها بواي من القائد ابراهيم فتبلغ 28 مدفعا، في حين يذكر فيرو أنً أسلحتها أثناء الاحتلال الفرنسي كانت مائة و خمسون مدفعا.[2]

تميزت أغلب هذه التحصينات بشكلها القريب من المستطيل، محصنة بأسوار ذات بريجات و ثلاثة ابراج عالية، تتخللها كوات للمدافع و فتحات للبنادق، تشبه إلى حد بعيد المدافع الضخمة، من نوع الثعبانيات (**Coul-oeuvrines**) مغروسة في الأرض، لكن هذا التحصين الذي يبدو هاما في القرن السادس عشر الميلادي، و بدأ يتراجع في العهد العثماني أمام التقنيات الحديثة، خاصة بعد ان امتلأت خنادقها بمرور الزمن بالأوساخ بسبب الإهمال. كما أنً الترميمات العثمانية التي جرت عليها عدة مرات لم تكن مطابقة للوصف، وهو ما جعلها تفقد اهميتها شيئا فشيئا ألى وقت الاحتلال الفرنسي الذي ازيل السور و البرج المقابل للمدينة في سنة1270هـ/ 1853م.[3] **اللوحة (18))**

تحصينات مدينة بسكرة:

السابق،ص،439. وللمزيد عن هذا البرج انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون.....، ص،ص،166-167. رزقي فهيمة، المرجع السابق ،ص، ص،436-448، و محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص، ص،371- 374 .

[3]- أرزقي فهيمة، المرجع السابق،ص،439.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،167.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،167.

شيّدت مدينة بسكرة على الضفة اليمنى لواد القنطرة[1]، وهي من أهم المدن الصحراوية التابعة للإيالة الجزائرية، لكثرة خيراتها والموقع الهام الذي تحتله كمنطقة بين التل والصحراء، وقد خضعت للسلطة التركية في عهد " **حسن بن خير الدين باشا**".[2]

تعد مدينة بسكرة من أجمل المدن الصحراوية عاصمة الزيبان*[3]،إذ تتكون دفاعياتها من برجين مسلحين بثمانية عشر مدفعا حسب معلومات القائد ابراهيم، بينما يذكر شاو **Shaw** أنً المدينة لا يوجد بها سوى برج واحد مسلح، بستة مدافع و بعض المكاحل الموضوعة على العجلات،زيادة عن بعض قطع المدفعية الخاصة بالميدان و المستعملة عند التدخلات لدى القبائل.*[4]

2- أبراج الطرق السلطانية الشرقية:

من المعروف أن دار السلطان كانت ترتبط بباياليك الشرق بثلاث طرق رئيسية تمتد من الغرب الى الشرق (بحكم ان عاصمة الدولة)،تقع في غرب البايلك فالطريق الاولى؛ الطريق البحرية كانت تربط ميناء الجزائر بموانئ دلس و بجاية جيجل و عنابة و القالة وكانت تنقل عبره خاصة القوات التي تجهز لصد الحملات أو لإخماد الفتن، كما كانت تؤمن الملاحة الدولية.*

---

[1]- عبد الحق معزوز،" **مدينة ميلة الإسلامية بين النصوص التاريخية والآثار المادية**" ،دراسات تراثية، العدد،02،مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر02،الجزائر،2008،ص،200.

[2]- مارمول كاربخال، المصدر السابق،ص،168.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،183.

* تعد احدى القواعد العسكرية العثمانية على حدود بلاد الجريد، اتبعت في تحصيناتها نمط القصور الصحراوية. علي خلاصي، المرجع نفسه.

[4]- Dr Shaw Thomas,Voyage dans la Régence……..p, 180.

* للاطلاع اكثر عن تحصينات مدينة بسكرة انظر كل من علي خلاصي، القلاع و الحصون...ص،183.و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،170. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،.388- 390.

* للاطلاع أنظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،175.

أما الطريق الثانية وهي الطريق التلية أو الداخلية الاولى حكم هذه الطريق كانت تربط مدينة الجزائر بمدينة بجاية على الخصوص، و كانت تحت اشراف و حماية شيوخ القبائل و تحرسها حاميات دائمة، ونظرا لطول هذه الطريق فإنً القوافل و المارة كانوا يخضعون لأمان المرابطين من مدينة جيجل حتى مدينة الجزائر خوفا من قطاع الطرق. وبالنسبة للطريق الثالثة؛ و هي طريق الهضاب التي نمتد من ثنية بني عمران الى حمزة و البيبان فرج بوعريرج سطيف قسنطينة عنابة و القالة، اي انها اطول طريق كانت تعتمدها قوافل الحجيج و التجارة و لهذا نجد بها حاميات و استحكامات هامة.[1]

يعود تاريخ انشاء هذه الاراج، إلى فترة تأسيس بايلك الشرق سنة975هـ /1567م، قصد تامين المواصلات بينه و بين دار السلطان، و قد كانت الطريق التي تربطه ذات مسلكين؛ فالأول يمر بوادي الزيتون وبن هارون و حمزة و البيبان و مجانة، و هذه هي التي سلكها بايصونال في سنة 1138هـ/1725م، و ديسفونتان في 1200هـ/1785م،و الثانية تشمل ثنية بني عائشة، شعبة الاحمر، تاشنتيرت، بن هارون و حمزة وونوغة ، و لأجل ذلك أقيمت أراج في كل من برج منايل و سور الغزلان و حمزة و برج بوعريرج، و برج مجانة و برج زمورة. و الملاحظ أنً هذه الاراج كانت حامياتها ذات عدد محدود تكفي فقط للدفاع عن البرج، أما التدخلات فقد كانت تقوم بها قبائل الزمالة، المخزن وأهم هذه الاراج:[2]

برج بوعريرج :

شيّد على صخرة مرتفعة ووعرة على أنقاض آثار رومانية، وقد أكسبه موقعه الأولوية الدفاعية، وذلك لارتفاعه ومنح المدافعين القدرة على استهداف العدو من كلّ

---

[1]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص،170.

الجهات بشكل دائري، وهذا أمر مستحب ويوصى به في اختيار مواضع إنشاء العمائر الدفاعية.[1]

يقع على بعد حوالي 86كم غرب مدينة سطيف،و يحتل موقعا ملائما لمرور لقوافل المتجهة نحو المسيلة[2]،و يعد هذا البرج من أعمال حسن بن خير الدين باشا بناه هذا الاخير اثناء حربه لأمير قلعة بني عباس عبد العزيز سنة 966هـ/1559م، مهمته مراقبة الطريق السلطانية الرابطة بين بايليك الشرق ومقر دار السلطان،والإشراف على جميع الضرائب من القبائل المجاورة، زيادة عن كونه يعتبر أحد المراكز الهامة على الطريق الرابط بين الجزائر و قسنطينة.*[3]

برج مجانة و زمورة:

يقع برج زمورة على ارتفاع 955م بجوار وادي شرطيق على إحدى منحدرات جبل القرقور التي تكسوها غابة اولاد رزوق الجميلة، و هو بهذا الموقع لا يبعد عن مدينة برج بوعريريج الا بـ34 كلم ، كما أنه غير بعيد عن أنقاض المدينة الرومانية سيرتي **Sertei**. *[4]

يشكل برج زمورة حلقة مهمة في إطار التنظيمات الادارية و العسكرية، التي اعتمدها حكام الجزائر العثمانية منذ القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، تقوم على إنشاء مجموعة من الأبراج و الحصون، لمراقبة بلاد القبائل الواقعة الى

---

[1]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،392.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،182.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص،170.

* للمزيد عن هذا البرج أنظر كل من لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ،أطروحة الدكتوراه.....ص ،170. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص، 392-394.

* تعرف مينة سيرتي بخربة القدرة و قد اشتهرت حسب الدكتور سعيدوني بفسيفساء ابريشيتها المسيحية Episcopale (القرن الخامس الميلادي)، و مع انقراض هذا المركز العمراني الروماني، ظلت الزياتين تغطي سفوح تلك المرتفعات ، فعرفت لدى السكان بزمورة التي تعني في اللسان المحلي البربري الزيتونة لكثرة زياتينها و جودة زيتها. انظر ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....ص،193

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

الشرق من مدينة الجزائر، فكان برج زمورة ضمن هذه الخطة العسكرية، بمثابة القاعدة الموجهة لمراقبة الجهات الجنوبية الشرقية لبلاد القبائل.[1]

شيد من طرف بيلرباي الجزائر الباشا حسن بن خيرالدين الملقب بحسن قورصو خلال فترة حكمه الثانية(965هـ/975هـ/1557م-1567م)سنة966 هـ/1559م[2]،بعد أن فرغ من بناء برج مجانة كانت مهمته الأشراف على الطريق السلطانية، و لأجل السيطرة على القبائل، و لتامين عملية جمع الضرائب المترتبة على القبائل و الأوطان المجاورة، مثل الغرامة الخطية أو المعونة،و يشير مرمول من خلال بربروجر **Berbrugger** بأن مادة البناء التي استعملت في عملية بنائهما كانت من الحجر.[3]

يشير الدكتور درياس بأن الباشا حسن بن خيرالدين، ترك بهذين البرجين حامية يبلغ عددها 400 جندي، لكن بمجرد مغادرته الناحية هجم عليهما الأمير عزيز و هدمهما، بعد أن أخذ عدد من المدافع بهما التي غنمهما حسن بن خيرالدين من مستغانم ، ولكن بعد انتهاء الحرب أعاد الأتراك العثمانيين بناءهما، و استمرا قائمين الى غاية الغزو الفرنسي ، حيث أديًا دورا كبيرا في السيطرة على القبائل التي كانت تنزع للانفصال دائما.و عليه كانت فكرة تطويق منطقة مجانة و زمورة بهاذين البرجين أمرا لا مفر منه لتأديب القبائل أحيانا، عن طريقة الحملات العسكرية.*[4]

برج حمزة (بويرة حاليا):

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، نفسه.

[2]- نفسه،ص،194.

[3]- Adrien Berbrugger, Les époques militaires Les époques militaires de la Grande Kabylie , Paris ,

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،171.

* للمزيد اكثر عن البرجين انظر كل من ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....193-195. و علي خلاصي، القلاع و الحصون.....، ص،182. و محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،391-395.

يمثل هذا البرج من أهم المراكز الاستراتيجية ، على الطريق الرابطة بين بايلك الشرق و دار السلطان، و نقطة إلتقاء الطريق السلطانية المتجهة نحو بايلك الشرق، و الطريق السلطانية المتجهة نحو جنوبا نحو بسكرة و سور الغزلان، و يحمي وطن بني جعد و مداخل بايلك التيطري[1]. يقع برج حمزة المعروف قديما بسوق حمزة* و الذي يحمل اليوم اسم البويرة بالسهل يحمل اسمه (سهل حمزة) غير بعيد عن سلاسل جبال جرجرة على الطريق الرئيسي الرابط بين مدينتي الجزائر و قسنطينة، و قد أقيم هذا البرج على إحدى الهضاب المتوسطة الارتفاع حوالي 525م، المحاذية لوادي الدوس أحد روافد وادي الساحل(الصومام الاعلى)[2]، على الضفة اليمنى لوادي الزيتون.[3]

يعود تاريخ بنائه الى الى النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، تعرض لعدة هجومات من طرف القبائل اهمها، تلك التي وقعت في سنة 1189هـ/1775م، و بذلك دعًم هذا البرج بالكراغلة الذين استقروا بوادي الزيتون ، عقب انتفاضتهم او انقلابهم الفاشل سنة1038هـ/1628م، و تحطيمهم لمصنع البارود بقصبة مدينة الجزائر، كذا تنظيم قبيلة عمراوة المخزنية، التي كانت تتحكم في طريق دار السلطان – بجاية. وبالتالي تخفيف العبء عن برج حمزة، كما أعيد ترميمه بعد الهجمة التي شنتها بعض القبائل سنة 1189هـ/ 1775م.[4]

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....، ص،181.

* يعود تاريخ تأسيس سوق حمزة الى الفترة الاسلامية الاولى(النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي، عندما اتخذه حمزة بن الحسن بن سليمان العلوي سكنا له و مكانا لإقامته. للاطلاع اكثر عن هذا السوق انظر ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....ص،196.

[2]- ناصر الدين سعيدوني،" **الشبكة الدفاعية العثمانية** ".....196.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،171.

[4]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،181.

أما اسلحة هذا البرج؛ فتشير إحصائيات الجيش الفرنسي لسنة1246هـ/1830م، أنها كانت تحتوي ما بين ستة و ثمانية مدافع.[1]

برج بمدينة نقاوس :

يكتنف الغموض تاريخ بناء برج نقاوس و مؤسسه، فالمعطيات التاريخية ناقصة. ومن المعلوم أنً مدينة نقاوس قد عُرفت بحصانتها منذ الفترة القديمة، على غرار عدد من المدن الواقعة شمال الأوراس، وحافظت على نظامها الدفاعي في الفترة الإسلامية بداية من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[2] ، إلى غاية القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي، وإلى ذلك أشار حسن الوزان بقوله: «**مدينة بناها الرومان...،تحيط بها أسوار متينة عتيقة**.....».[3]

عمل الأتراك منذ دخولها على تحصينها، وقد ذكر الدكتور شو **Dr.Shaw** أنه بها على عهده حامية من صفوة واحدة من المشاة[4]، تضم 20 رجلا[5]، وأنً المدينة على حد قول الدكتور شو عليها سورين من الطين مسلّح بعدد من المدافع، قوّها بوتان سنة1215هـ/1800م بثلاثة مدافع، للتحكم في محيط المدينة، و الظهور بمظهر القوة اتجاه القبائل المجاورة مثل أولاد السلطان، أولاد سلام، أولاد علي بن صابر، أولاد براج و غيرها من القبائل التي طالما خرجت من سلطة البايلك أثناء دفع الضرائب.[6]

برج القل :

1- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه.....ص،172.

2- Rachid Bourouiba, L'architecture militaire ……p,p,6-17 .

3- حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج،2، ص،53.

4- Dr ShawThomas, voyage dans La régence……p,389 .

5- Vincent – Yves – Boutin, Op, cit , P, 195

6- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،173.

يكاد لا يعرف تاريخ بناء هذا البرج، بالرغم من ان المدينة دخلت تحت سلطة العثمانيين في سنة 925هـ/1519م،حتى ان مدينة القل*[1]،قد حظيت حسب الدكتور خلاصي بنصرة الاخوة بلربروس[2]، وتكون بها مكتب لشركة لانش الفرنسية لصيد المرجان[3]، ويشير بوتان بان المدينة تحتوي على برج مسلح ما بين08 إلى10 قطع من المدافع في سنة 1223هـ/1808م،و قد استولت عليها الجيوش الفرنسية في سنة 1259هـ/1843م.[4]

تتمثل أهمية البرج حسب خلاصي في نفس الأهمية التي يمثلها برج دلس من حيث الدعم و الحماية و استقبال المحلة.[5]

برج جيجل :

بنيت مدينة جيجل على مساحة تقدر ب حوالي 42الف م2،أما التحصينات التي تعود إلى العصر الجنوي فلم يبق منها إلا برج مربع، رممه العثمانيون للدفاع عن المدينة، إنما الأبراج التي كانت تتوج السور فقد أُزيلت كلًها.[6]

تعرض هذا البرج إلى عدة إصلاحات أثناء حملة الدوق بوفورسنة1075هـ /1664م وما بعدها، و الملاحظ أنً هذا البرج هو الذي كانت تقيم فيه الحامية العثمانية المتكونة من صفوة واحدة، ويشير إليه بوتان بأنه كان مسلحا بعدة قطع من المدافع في 1223هـ/ 1808م.[7]

---

[1]- لخضر درياس، المرجع نفسه.

* مدينة القل قد احتلت من قبل الجنويز منذ القرن الثالث عشر و جعلوها مرفأ تجاريا و نقطة ارتكاز للمراكب كانت تغزو شمال افريقيا او التي كانت تنهب المرجان من السواحل الجزائرية. انظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،177.

[2]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،172.

[4]- Vincent – Yves – Boutin, Op.cit., P, 59.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،178.

[6]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،172.

[7]- لخضر درياس، المرجع نفسه. أنظر أيضا علي خلاصي، القلاع و الحصون.....،ص، ص،176-177.

- الاستحكامات الدفاعية لبيلك الغرب:

يعد بايلك الغرب في الدرجة الثانية بعد دار السلطان،من حيث التحصينات الدفاعية التي تشتمل عليها مدينة وهران، مستغانم، معسكر و تلمسان[1]، حيث تنوع نظامها الدفاعي ما بين الابراج و الطبخانات و الحصون، والأمثلة عديدة. **الخريطة (05))، اللوحة(19))**

1- تحصينات و أبراج مدينة وهران:

تعود فترة بناء تحصينات مدينة وهران القديمة إلى الفترة الاسلامية، فهناك من الأبراج التي تعود تاريخ انشائها الى فترة السلطان المريني أو الحسن علي ، و و هناك من يعود تاريخ الانشاء الى العهد الاسباني* و العثماني.[2]

من الأعمال التي أنجزت خلال القرن السادس عشر تلك التي قام بها المركيز دو كومارس **DE COMAREZ**، ما بين924هـ-942هـ/1518م-1535م؛ بناء برج المونة أو برج اليهود، برج لوس سانتوس**LOS SANTOS**.أما الأعمال التي قام بها خلفه الكونت الكوديت **COMTE D'ALCAUDITE**؛ فكان إنشاء برج سانت تيريز **SAINTE THERES** و برج بوبنيقة **SAINT CARLOS**[3]وفي سنة 1100هـ/1588م بنى دون بيير دوباديا **DON PIERRE DE PADIA**،برج حسن بن زهرة **SAINT GREGORE** ،برج المرجاجو **SANTA CRUZ**و غيرها.[4]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،143.

* نشير الى ان المستعمر الاسباني اعاد احتلال وهران من جديد سنة على ترميم اسوار المدينة وقام بإنشاء نقاط دفاعية جلبت من محاجر القديس اندري Saint André.انظر لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،143.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه،143.

[3]- لخضر درياس، نفسه.

[4]- نفسه،ص،144.

لكن كل هذه التحصينات لم تضعف من هزيمة الجزائريين، الذين استولوا على المدينة بقيادة الباي بوشلاغم سنة 1119هـ/1708م، و عملوا بدورهم على إنشاء بنايات جديدة، و ترميم بعض النقاط الدفاعية المتضررة بفعل المعارك. و لسوء الحظ فإن المدينة*لم تدم طويلا، وسقطت مرة أخرى في يد الاسبان سنة 1145هـ/ 1732م.[1]

ومن أهم تحصينات المدينة**:**الخريطة(05)+اللوحة (19))**

برج العيون:

برج العيون يعرف ببرج الونيسي، نسبة إلى أحد رؤساء المدينة المسمى بابن الونيسي بناه الاسبان سنة 915هـ/1509م، في الجنوب الشرقي للمدينة عرف عندهم باسم **(CASTILLO FERNANDO)**، تعرض لعدة هجمات من طرف الجزائريين بقيادة حسن قورصو في 964هـ/1556م،و حسن بن خيرالدين سنة 971هـ/1563م،من طرف الباي بوشلاغم سنة1119هـ/1708م، لكن الاستمرار في تجديده كان دائما ضروريا، لأنه يعد من أهم التحصينات الدفاعية في المدينة دُعِّم في عهد فاليجو**(VALLEGO)** ببرج القديس شارل و برج القديس كارلوس، في جنوبه الشرقي و الغربي، وواصلا به عن طريق أنفاق أرضية، هدم من طرف الباي محمد الكبير بأمر من داي الجزائر.[2]

---

*هناك من أعطى وصفا دقيقا لمدينة وهران و حصونها وهو صاحب الثغر الجماني مع إحصاء لأسلحتها و قوتها الدفاعية في عهد الباي بوشلاغم و الاسبان من بعده حيث يقول: " و من جملة حصون هذا البلد قصبتها العظيمة و طباناتها المتلاصقة المؤدي بعضها الى بعض الى غير ذلك من الابنية التي أتقنوا بنائها ، و أحكموا وضعها و أكثرها، إنما يعرف بلغة النصارى لبعد العهد بينها و بين المسلمين و لاستحداث النصارى دمرهم الله اكثرها بعد استيلائهم عليها من يد ابي الشلاغم". و يواصل "..وهناك بقية مواضع لم احفظ اسماءها..... و أما المواضع التي وضعت لمجرد الرمي بالرصاص فلا يمكن حصرها و ما من موضع من هذه المواضع الا وفيه نفق يؤدي الى غبره فمن كان فيها و أراد أن يذهب تحت الارض إلى أيٍّ موضع أو من المدينة ذهب".

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،146.

** معظم التحصينات تهدمت سواء بسبب الحروب المتواصلة بين الجزائريين و الاسبان ،أو بسبب الزلازل المدمر الذي وقع سنة 1205هـ/ 1790م، زيادة الى بعض الابراج التي هدمت من قبل الجزائريين بعد استرجاع المدينة من طرف محمد الكبير خوفا من اعادة الكرة من طرف العدو استغلالها كما وقع في عهد الباي بوشلاغم. لخضر درياس، المرجع نفسه. للمزيد و للاطلاع عن تحصينات مدينة وهران كل من انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص،446 – 500. و لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،ص،146-148

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه،ص،148.

يعتبر حسب بن ميمون صاحب الحلفاوية، بأنه أول برج سقط في يد الجزائريين عام 1119هـ/1708م[1]، في حين يشير ابن سحنون الى اهميته قائلا:" ودون الجديد لجهة الجنوب برج العيون و هو البلد و قفلها".[2]

برج المرجاجو:

شيد هذا البرج أو بالأحرى قلعة مرجاجو، على قمة جبل هيدرو أو ايدرو على الجهة المواجهة لهضبة مزيطا التي تشرف عليها من ارتفاع يفوق 50.42م،و تراقب ميناء وهران و ميناء المرسى الكبير، و قد احتلت مكانا شبيها بعش النسر و على بعد 507 م نجد انقطاعا طبيعيا يشكل مضيقا. [3]

شيد البرج من طرف الاسبان عام 975هـ/1567م، بايعاز من رجل من بني عامر المناصرين للإسبان، هاجمه الباي بوشلاغم سنة 1119هـ/1708م، و أسر به مائة و سبعين (170) رجلا و ثلاث (03) نسوة حسب رواية الجامعي و مئة وستة(106)رجل و ست نسوة (06) حسب رواية فاي Fey ،وعدم جزء منه أثناء حرب1145هـ/1732م، لكن جدد سنة 1151 هـ/1738م، و افتتحه محمد للمرة الثانية في سنة 1206هـ/1791م، و هو الذي قال عنه الحلفاوي اثناء هجوم الباي بوشلاغم.[4]

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،148.

[2]- لخضر درياس، المرجع نفسه،ص،ص،146- 148.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،227.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،148.

إنً أرضية القلعة صغيرة قاسية و شكلها غير منتظم، و لا تحتوي على خاصرات (Flancs) للحماية، و يعتقد أنه لا يمكن اختلالها بسبب ارتفاع الصخر الذي يكون قاعدة لها. أما عن تسليح البرج؛ فقد سلح في عهد فاليجو بسبع مدافع بروترية و هاونين، في حين يذهب ابن سحنون من خلال درياس إلى أنً أسلحته تتكون من ثلاثين (30) مدفعا،و احتله الفرنسيون سنة1246هـ/1830مووجدوه وسموه باسم القديسة لاكروا (Sainte-Croix).[1] **اللوحة(19))**

تتكون القلعة سانتا كروز من مجموعة من التحصينات، تتلاحم لتكون شكلا مضلعا يضم 64 فتحة للمدفعية،وعند فتحه كان به 16 مدفعا، وكان مزود ببرج للمراقبة.*[2]

برج حسن بن زهرة:

أقرب الأبراج الى المدينة، و يوجد تحت حصن المرجاجو لحماية المرسى الصغير و طريق المرسى الكبير، أقامه الإسبان مكان قلعة وجدوها هناك عند دخولهم المدينة، ووسعوها و سموها بـ(**El Hacho**)، و سقط في يد المسلمين سنة 1119هـ/ 1708م[3]. أما عن أسلحته؛ قبل مغادرة الاسبان لوهران*، فقد كانت تتكون من ثلاثين (03) مدفعا.[4]

2- تحصينات و ابراج مدينة تلمسان :

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،227.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،229.

* للمزيد اكثر عن هذا البرج أنظر علي خلاصي، المرجع نفسه،ص،ص،227- 229.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،148.

* اثناء تواجد العثمانيون بمدينة وهران الفترة الاولى ما بين 1120 هـ و 1145 هـ/1708م و 1732م، لم يضيفوا منشآت معمارية دفاعية من خلال التقارير الصادرة عام 1145هـ/1732م. أنظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،435.

[4]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه.....ص،149.

تعد مدينة تلمسان* من أهم النقاط الدفاعية الداخلية ضد الاسبان بوهران و المغاربة بفاس، تعرضت لأضرار بالغة من جراء الحروب، بين العثمانيين و الاسبان، لذلك نجد أنً العثمانيين قد أولوها عناية كبيرة بعد ضمهم اياها سنة 963هـ/1555م، حيث ركزوا بها حامية و جددوا تحصيناتها الدفاعية، بعد أن أحدثوا بها تعديلات تتفق ووسائل الحرب الحديثة.[1]

اتخذ العثمانيون من "المشور" مقر لسلطتهم السياسية بالمدينة، وثكنة للحامية التركية التي تحميها، ودعموا أبواب المدينة بطبانات تقيم بها حامية دائمة، إضافة إلى بعض ثكنات الإنكشارية التي كانت مجاورة . لباب القرمديين"- بالجهة الشمالية الغربية، وأقاموا أيضا حامية بأغادير تتكون من أربعة حراس(رهط).[2] رغم أن هذه المدينة قد هدمت أسوارها وفقدت مكانتها التي كانت عليها، في وقت قريب من فترة الحكم التركي لها، كما كان بمرتفعاتها حصنين كل واحد منهما مسلح بـ 20 مدفعا، ويتسعان لحامية من 100 إلى 150رجل*[3]. و من أهم تحصيناتها نذكر على سبيل المثال: **الخريطة(05)اللوحة(19))**

القلعة:

تقع هذه القلعة (المشوار) في الجهة الجنوبية للمدينة على شكل مستطيل مقاساتها(460مx 280م)، محصنة بأبراج مربعة وأخرى دائرية الشكل، أما أسوارها فتتوجها شرفات، تحصر فيما بينها فتحات المدافع و البنادق، و يتراوح

* إن طابع مدينة تلمسان الدفاعي الذي فرضته مكانتها السياسية كعاصمة للدولة الزيانية، واستجابة أيضا للأوضاع الأمنية المضطربة التي كانت تعيشها طيلة ثلاثة قرون، جعل الأتراك يكتفون بإعادة استغلال تحصيناتها القديمة، وتدعيم البعض منها بأعمال ثانوية.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،155.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،435.

[3]- محفوظ بوطبة ، المرجع نفسه، نفسه.

* للمزيد و للاطلاع عن تحصينات مدينة تلمسان راجع محفوظ بوطبة ، المرجع نفسه ، ص، ص،،423-446.

سمكها ما بين خمسة أو ستة أمتار، أما طولها ما بين عشرين إلى ثلاثين مترا، بالنسبة للخندق؛ فيقتصر على الجهة الشرقية فقط. و للقلعة بابان مقببان الأولى قرب الزاوية الجنوبية و يعرف بباب التروية، و الثاني في الجهة الغربية و يعرف بباب الحديد.[1]

أما في الجهة الشمالية فإنه يوجد برجين دائرين مزدوجين، تختلف مواد بنائها عن باقي البناء الأول، وهنا تقع الطبخانة الرئيسية التي تتحكم في كامل المشوار و مسلحة بخمسة مدافع ذات العيار الصغير، في حين نجد مدفعتين آخرين في باب التروية، و ثلاثة مدافع في طبخانة سيدي بوجمعة وهي بناء مستقدم أقيم من طرف الكراغلة، وفي الجهة الغربية نجد ثلاثة مدافع أخرى، بالإضافة إلى ثلاثة مدافع اخرى تستعمل في الحملات الخارجية.[2]

نجد أنً كل هذه المدافع تتراوح عياراتها ما بين (4-8)،و يبلغ عدد مدافع القلعة اثنان وعشرون مدفعا ومهرسان اثناء الاحتلال، وقد كانت سنة 1153هـ/ 1740م.[3]

تتكون من ستة مدافع من الصناعة القديمة و ذات عيار كبير، و تعمر عن طريق المغلاق(**Culasse**)، و ستة مدافع أخرى ذات عيار أصغر، كانت قد جلبت من إحدى السفن ووضعت في الأسوار باتجاه الاسوار. لكنها قد ارتفعت سنة 1228هـ/ 1808م عشرون مدفعا فوق الأسوار زيادة عن برجين منفصلين عن المدينة، يضم كل منهما عشرون مدفعا، وهو ما يجعل عدد المدافع بمدينة

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،155.

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،ص،436-441.

[3]- نفسه، ص،ص،436-441

تلمسان* في هذه الفترة يصل الى ستين مدفعا دون البنادق، و تجدر الاشارة هنا بأنً في عهد الامير عبد القادر كانت تملك مصنعا لسبك المدافع.[1] **الخريطة(05) اللوحة (19))**

3- أبراج و طبخانات مدينة مستغانم:

اهتم الأتراك بالجانب الدفاعي لمدينة لمدينة مستغانم** منذ تحريرهم لها سنة 923هـ/ 1517م، فقد قام " خيرالدين باشا" بتحصينها وتوسعة أسوارها، وذلك لحمايتها من الخطر الإسباني، حيث وقفت سدا منيعا أمام محاولات" الكونت الكودات" استرجاعها، ولتكون قاعدة لعملياتهم العسكرية باتجاه وهران والمرسى الكبير آخر معاقل الإسبان بالبلاد الجزائرية.[2]

يشير في هذا المجال خلاصي إلى أنً مدينة مستغانم، دُعِّمت بخط دفاعي هام يعود الى الفترات السابقة عن العصر الحديث و من أهم التحصينات[3]: **الخريطة(05) اللوحة (19))**

برج المحال:

* حافظت القلعة على مكانتها السياسية والعسكرية بالمدينة بعد دخول الأتراك إليها، حافظت القلعة على مكانتها السياسية والعسكرية بالمدينة بعد دخول الأتراك إليها، حيث اتخذ منها حاكم المدينة مقرا لسلطته تحت إمرته حامية من خمسة صفرات تضم 76 رجلا ، إضافة إلى عدد كبير من الجنود الاحتياطيين من الأتراك و الكراغلة لحماية المدينة. انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص، ص، 436- 441.

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،155.

** تعتبر مدينة مستغانم من المدن الجزائرية التي لعبت دورا كبيرا في الجهاد ضد الاسبان في اوائل العهد العثماني، حيث كانت المدينة الاولى في بايلك الغرب التي دخلت تحت لواء الجيش الجزائري، و من ثم اضحت قاعدة انطلاقهم ضد الاسبان المتمركزين بوهران، خاصة من طرف حسن قورصو سنتي 958هـ-964هـ/1551م-.1556م، ثم بعده حسن بن خيرالدين سنة 971هـ/1563م، و العلج علي سنة 976هـ/1568م. الى هذه الفترة يرجع تحصين المدينة و ترميم اسوارها، و اضافة نقاط دفاعية جديدة. انظر كل من لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،157. انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،437

[2]- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه، ص، ص،405.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

كانت المحالة أو المحال الذي تتجه غربا عبر الطريق السلطانية، تتمركز بهذا البرج الذي يعتقد حسب بودان **Bodin** من خلال الدكتور خلاصي انه قد بني قبل الفترة الحديثة بسبب الطريقة المعتمدة في البناء، فالإشارة حسب هذا الاخير الى هذه الحماية المذكورة سابقا تبين ان هذا البرج قد شيد قبل سنة917هـ/ 1511م.[1]

يشير بلحميسي إلى أنً بناء هذا البرج يعود لحميد العيد، الذي جدد ووسع سور المدينة[2]، كما شاهد الطبيب طوماس شو أثناء زيارته لمستغانم، بقايا هذ البرج و أرجع تاريخه الى ما قبل استخدام الاسلحة النارية استنادا الى طريقة بنائه، وقد أُعيد ترميم هذا البرج أثناء الاحتلال الفرنسي و استعمل كسجن مدني.[3]

اجمعت الدراسات التاريخية حسب ناجي جلول على أن تاريخ إنشائه، يعود إلى الفترة المرابطية، على يد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين سنة475هـ/1082 م.[4]

يقع هذا البرج أعلى" حي الطبانة " بالجهة الشرقية المطلة على وادي عين الصفراء، أما تسميته لها علاقة بعدة احتمالات، فهناك من ينسبه إلى طائر اللقلق الذي يعرف محليا بالمحال، أو نسبة إلى قبيلة الأمحال التي هي فرع من القبيلة العربية الأم سويد التي كانت تسكن نواحي الشلف ومستغانم تحت قيادة أحميدة العبد لتصبح خلال الحكم التركي للإيالة الجزائرية ضمن قبائل المخزن تحت قيادة آغا الدوائر، ومن عناصرها المكلفة بحماية الباي، كما يمكن أن تكون لهذه التسمية علاقة

---

[1]- علي خلاصي، المرجع نفسه، ص،192.

[2]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،157.

[3]- لخضر درياس، المرجع نفسه،ص،157.

[4]- Djelloul Neji, Eau et Fortifications au Maghreb au Moyen Age, Colloque International , université de Tunis Tunisie, Novembre 2007, P, 216.

بالنظام العسكري المعروف بالمحلة، والتي من مهامها تحصيل الضرائب، والقيام بحملات عسكرية تأديبية ضد المناطق الممتنعة.[1]

أعاد الأتراك العثمانيين استغلاله منذ سنة 1145هـ/1732 م في عهد باي بوشلاغم، فقد ذكر طوماس شو الذي عاصر هذه الفترة انه قال:" **أنه هناك إلى جانب البرج الذي يحتل الجهة الشمالية الغربية(برج الجواد)، برج آخر أكثر انتظاما تقيم به حامية تركية.**"[2]

كان برج المحال حوالي 12 قطعة مدفعية، و كان يشرف عليه حوالي 32 رجلا، وبعد الاحتلال الفرنسي رمم و استعمل من طرف الادارة الفرنسية كسجن مدني.[3]

إنً وضيفة هذا البرج التي شغلها في الفترة الفرنسية، هي نفسها التي يشغلها حاليا كسجن مدني لكن خاص بالنساء، نظرا للاستغلال المتواصل لعمارة البرج لوظائف أمنية إلى يومنا هذا. [4]**الخريطة(05)اللوحة(19))**

برج الترك:

يعرف هذا البرج لدى الأوروبيين باسم برج الشرق و عند بعض المؤرخين اسم القلعة ، و يشير الزياني من خلال الدكتور خلاصي الى ان بنؤه يعود الى الباي مصطفى بن يوسف المسراتي، و يعد من الابراج الفريدة من نوعها في الجزائر*[5]، ويرجع البعض بناءه إلى أوائل العهد العثماني. والملاحظ أنً برج الترك قد شُيِّد خارج

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص،36.

[2]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence…..p,237.

[3]- Shaw Thomas ,Ibid. Voir aussi Louis Piesse ,Op, cit, p,280 .

[4]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،410.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

* حسب خلاصي لكن وجد برج اخر مطابق للأصل وهو برج جبران او جبرين بإمارة الجبل الاخضر ، للمزيد أيضا أنظر علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

أسوار المدينة بأعلى نقطة منها، في مكان مشرف مباشرة على حي المطمور في وضعية مستقلة عنه، وقد أهله موقعه ليكون أهم تحصينات المدينة، و يشير طوماس شو الى ذلك في قوله:" **مدينة مستغانم تشرف عليها المرتفعات وقوتها الرئيسية تتمثل في قلعة شيدت في إحدى المرتفعات، تتحكم في المدينة والمناطق المجاورة**" .[1]

رغم أنً هناك مصادر عاصرت الحكم التركي للجزائر، أرجعت تاريخ بناء البرج إلى الباي بوشلاغم في فترة اتخاذه مستغانم عاصمة لبايليك الغرب سنة 1145هـ-1147هـ/1732م-1734م،إلا نص للإسباني مارمول يعود للقرن العاشر الهجري/للقرن السادس عشر الميلادي يذكر فيه " **وفي الطرف الأعلى من المدينة، حيث توجد ربوة مشرفة، يقوم حصن جهة الجنوب**"[2]، ما يجعل العديد من الباحثين و المؤرخين من خلال بوطبة، يرجحون إلى أنً تاريخ بناء هذا البرج إلى القرن العاشر الهجري/للقرن السادس عشر الميلادي في خيرالدين باشا، كونه ذكر في أحداث هجوم حاكم وهران" الكونت الكودات" على المدينة سنة966هـ /1558م[3]، وإلى ذلك أشار القس الإسباني مارمول بقوله:" **ولما وصلت جميع الكتائب وعسكرت أمام المدينة، أمر القائد بأن يقام حاجز من أغصان أشجار التين والعنب المجاورة اتقاء لهجمات فرسان العدو، وأثناء تلك الليلة قام الجند بحفر خندق محيط بمحالهم ونصبوا آليتين للمدافع لضرب الحصن من جهته الجنوبية، وفي الغد وجهت سبع ضربات أو ثمان إلى ركنين من أركان سور الحصن، ولم يكن لها تأثير كبير لأن آلات القذف أعلى م ما ينبغي، بحيث كانت تمر فوق السور وتسقط في البحر**".[4]

---

[1]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence…..p,237.

[2]- مارمول كربخال، المصدر السابق،ص،350.

[3]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،413.

[4]- مارمول كربخال، المصدر السابق،ص،334.

استعمل هذا البرج كمخزن للمؤن العسكرية، و حتى سنة 1329هـ/1911م كان به مدفع من العيار،يستعمل لإخبار الناس ببداية رمضان و عيد الفطر.[1] كانت تقدر أسلحته بعشرين مدفعا سنة1246هـ/1830م، بينما كان تسليحه سنة1188هـ /1774م، يتكون من 9 مدافع من الحديد جلبت من حطام السفينة،التي كان الاسبان قد أغرقوها قرب أرزيو[2]. و في هذا السياق يشير بوتان من خلال الدكتور درياس أنها كانت تقدر في 1234هـ/1818م،عدد المدافع ما بين 15 الى 20 مدفعا[3]. لكن الإحصائيات الفرنسية تثبت أن أسلحة مستغانم هي أربعة مدافع في الأسوار، و 12 مدفعا في البرج الصغير ، و 20 مدفعا في القلعة و هو ما يساوي تقريبا 36 مدفعا.[4] يتكون برج الترك من بناء رباعي الشكل،مقوج من جهته الشمالية الشرقية و الجنوبية الغربية برؤوس بارزة تضم مجموعة من الفتحات المدفعية، و لكل منهما شكل سداسي منتظم أ أما سمك الجدران فتتراوح بين 1.50 و2 مترا، مبنية بالحجارة. و تتوسط البرج مساحة مركزية تحيط بها قاعات من الناحية الشمالية و الغربية و لقد اجريت عليها عدة تشوهات.[5] * **الخريطة(05)اللوحة(19))**

4- ابراج و طبخانات مدينة معسكر:

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،158.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

[3]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،158.

[4]- لخضر درياس، المرجع السابق، ص،158.

[5]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

* للمزيد و للاطلاع عن برج الترك انظر محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،417.

شيدت مدينة معسكر من طرف "الباي بوشلاغم"،على أنقاض المدينة الرومانية، وإليها حول عاصمة بايليك الغرب ،بعد أن كانت بمدينة مازونة، ليتخذ منها قاعدة لأعماله ضد الإسبان بمدينة وهران وحلفائهم من القبائل المجاورة.[1]

بعد أن تمكن"الباي بوشلاغم"من فتح وهران سنة 1120هـ/ 1708 م، جعل منها عاصمة للمقاطعة الغربية من الإيالة، واستمر ذلك إلى سنة1145هـ/1732م تاريخ خضوعها للمرة الثانية للإسبان، وعلى إثرها نقل عاصمته مؤقتا إلى مستغانم، و بها وفته المنية، لينقل"ابنه يوسف" مقر سلطته مرة أخرى إلى العاصمة القديمة معسكر، وكان ذلك سنة1148هـ/1735 م، واستقرت بها السلطة السياسية للبايليك من جديد إلى سنة1207هـ/ 1792م تاريخ فتح وهران واتخاذها نهائيا قاعدة لبايليك الغرب.[2]

حافظت المدينة على مكانتها السياسية والعسكرية بعد احتلال الفرنسيين للجزائر 1830م، حيث اتخذ منها الأمير عبد القادر عاصمة لدولته،وفي نفس الوقت مركزا عسكريا يدعم الخط الدفاعي الثاني الممتد من تلمسان غربا إلى المدية شرقا، ومصنعا حربيا يزود الجيش الجزائري بما يحتاج إليه من البنادق والذخيرة.[3]

برج العسكر بمعسكر:

بني برج العسكر بمعسكر من طرف الباي بن اسحاق ابراهيم الملياني الذي حكم بايلك الغرب عام1185هـ/1771م حسبما جاء على الكتابة التأسيسية المخلدة للبناء.

---

[1]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،417.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

كان البرج سنة1223هـ/1808م مزودا بحوالي عشرة (10) ، مدافع لرد اية حملة اسبانية محتملة حوالي[1]وحوالي اربعة (4) مدافع في الاسوار على حد قول بوتان[2]، لإيقاف الهجمات التي كان الأعراب يشنونها ضد عاصمة المقاطعة، و التي كان آخر هجوم سيدي أحمد التيجاني ، بعد ان انتقل مقر الحكم إلى وهران.[3]

- التحصينات الدفاعية لبايلك التيطري:

تعتبر مدينة المدية عاصمة البايلك، تقع جنوب غرب مدينة الجزائر على إحدى هضاب جبال التيطري، وقد بنيت مدينة المدية على أنقاض المدينة الرومانية التي أعاد الزيريون استغلال بقاياها في تشييد المدينة الإسلامية، وتم ذلك على يد " بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي"[4]، لتصبح إحدى أهم قلاع بني زيري بالمغرب الأوسط.[5] **الخريطة(04)**

استمرت المدينة في أداء دورها العسكري، حيث اتخذ منها الزيانيون قاعدة لأعمالهم الحربية[6]، قبل أن تنتقل إلى سلطة الأتراك الذين جعلوا منها عاصمة لبايليك التيطري[7]. و في فترة حكم الأتراك، كانت مدينة المدية*في العهد العثماني محاطة بسور بني بالحجارة الصلبة، ولها خمسة أبواب اثنان منها محروسان بطبخانتين،

---

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

[2]- Vincent – Yves – Boutin, Op.cit., P, 195 .

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،192.

[4]- Louis Piesse ,Op,cit ,p,104.

[5]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،501.

[6]- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج،2 ، ص،372.

[7]- محفوظ محفوظ ،المرجع السابق،ص،501.

* للمزيد عن تاريخ مدينة المدية انظر كل من ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية و مليانة في العهد العثماني،ط1، مكتبة الرشاد، الجزائر،2009،ص،ص، 35-109. عبد الرحمان الجيلالي، و اخرون، تاريخ المدن الثلاث - لمدية- مليانة - بمناسبة عيدها الالفي ، المدية، مليانة، ط2، مطبعة ساري بدر الدين و ابنائه، الجزائر، 1972، ص،359. و العربي اسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ص،90.

تضم كل واحدة أربع مدافع[1]، و زيادة عن عدد المدافع الميدانية التي كان يستخدمها البايلك في حملاته ضد القبائل المتمردة. أما حاميته فتتكون من خمسين جنديا (صبايحيا) و خمسة عشر مكاحليا كحرس خاص للباي، بالإضافة إلى خمس صفوات موزعة في أراضي البايلك، و مقسمة حسب أربع قيادات: قيادة التل الصحراوية، قيادة التل القبلية، قيادة سور الغزلان، قيادة الجنوب و ولاد المختار. أما أهم النقاط العسكرية في أراضي البايلك فهي[2]: **الخريطة(04)**

برج سور الغزلان:

عُرف هذا البرج بعدة تسميات منها اسم برج الغزلان حسب بررجر في مقال له بعنوان" **أوزيا** "[3]، و قد سمي بهذه التسمية نسبة الى كثرة الغزلان بهذه المنطقةوأشار العالم الألماني"ج. أو. هابنستزايت" إلى ذلك، إذ ذكر في رحلته أنه عندما حل بمدينة سور الغزلان، استقبله قائد البرج وأهدى له غزالة[4]. كما أنً هناك من ينسبه إلى اسم شخصية عربية[5]،أو إلى الفراغل حسب بيليسيي**Pellissier** و التي فتحت بأسواره.*[6]

بني هذا البرج أسفل جبل دبرة من الناحية الشمالية على أنقاض المدينة الرومانية **Auzia** سنة1004هـ/1595م،التي شغلت مكانها في الفترة الاستعمارية مدينة

---

[1]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،174.

[2]- عبد الرحمان الجيلالي و اخرون، تاريخ المدن الثلاث.....ص،ص،359-360.

[3]- Adrian, Berbrugger , «**Auzia** », in Rev- Afr, N 63, 1867, P, 249.

[4]- جون أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس،(1145هـ/ 1732م)، ترجمة وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت ، ص 68.

[5]- Louis Piesse, Op,Cit,p,134.

[6]- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق،ص،509.

* للمزيد ايضا عن تاريخ البرج و تسمياته انظر كل من،Shaw Thomas, Op,Cit,318. ، جون أوهابنسترايت ، المصدر السابق، ص68 . و Albert Devoulx , Tachrifat……, p, 47. .

"أومال" Aumale ،واتخذوا منها مركز عسكريا للتصدي لمقاومة الاهالي من منطقة القبائل.[1]

أما عن تاريخ انشائه و عن منشئه؛ فقد اختلفت و تعددت أراء المؤرخين، فمنهم من يرجعه الى حسن بن خير الدين باشا **و** مثال ذلك **جون أو. هابنستوايت**، و هناك من ينسبه الى شعبان آغا(1001هـ-1004هـ/1592م-1595 م،كتوفيق المدني مثلا[2]،وهناك من يرجحه الى خليفته مصطفى باشا في1004هـ/جويلية 1595م،كعبد الهادي منصور خلال فترة حكمه الأولى التي لم يلبث بها سوى أربعة أشهر.[3]

اتخذ البرج شكلا مربعا بمساحة إجمالية تقدر بحوالي 4900 م2 [4]، تقيم به حاميته تظم ثلاثين جنديا و ستين احتياطيا و عدد من المدافع.[5]

عند دخول الفرنسيين إلى المدينة سنة 1263هـ/1846م، كانت عمارته قائمة بمركز المدينة الفرنسية في الجهة المقابلة للحديقة العمومية، إلا أن أسواره قد أصابها كثير من الخراب، وظل قائما إلى غاية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/للقرن التاسع عشر الميلادي لتحل محله مدرسة الذكور.*[6]

برج السواري:

---

[1]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،510.

[2]- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا.....ص،33.

[3]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق، ص،510.

[4]- Louis Piesse, Op,Cit,p,134

[5]- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، اطروحة الدكتوراه.....ص،174.

[6]- محفوظ بوطبة ، المرجع السابق،ص،511.

* للمزيد و للاطلاع عن هذا البرج انظر محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص، ص، 509-511.

شيد هذا على الحدود الجنوبية للبايلك، لمنع و لتصدي هجمات الرحل[1]، و قد ذكر الدكتور شو **Shaw** على أنه شُيِّد على مدخل الصحراء، على بعد أربعة مراحل جنوب غرب "عين بوسيف"وعلى بعد عشرة مراحل جنوب المدية.[2]

يتمثل برج السواري في برج صغير مسلح بمدفعين، وتدافع عنه حامية من أربعين (80)رجلا[3].

نشير إلى أنَّ برج السواري فقد أهميته الدفاعية ،بعد وفاة "الباي الوزناجي" أواخر القرن الثاني عشر الهجري/أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، حيث لم يسلم منه خلال القرن19 م سوى القليل من أسواره، أما مدفعيته؛ فقد نقلها" الباي جعفر" إلى عين المشرف بأولاد علان، حيث انفجرت عند استعماله. *[4]

ثانيا: العمارة العثمانية الدفاعية في الجزائر خلال العهد العثماني:

مكث العثمانيون في الجزائر ما يزيد عن ثلاثة قرون من 1516م إلى غاية 1830م،خلفوا فيها آثارا عمرانية و معمارية، تجسدت في مختلف مستويات المنجزات الحضرية، ابتداء بعيون الماء لسقي المارة و انتهاء بالمدن و المستوطنات البشرية، مرورا بالمساجد و الأسواق و الحصون و القلاع و قصور الحكم،وغيرها من المباني

1- Vincent – Yves – Boutin,Op, Cit,p,41 .

2- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence…..p,318 .

3- محفوظ بوطبة ،المرجع السابق، ص،511.

4- محفوظ بوطبة ،المرجع نفسه،ص،512.

* للمزيد و للاطلاع عن هذا البرج انظر محفوظ بوطبة ،نفسه، ص،ص،511-512 .

العامة. و تعد هذه المنجزات المادية بالأخص العمارة العسكرية حاضرة و شاهدة على هذه الحركة العمرانية.[1]

و دخول العثمانيين لدول المغرب العربي عموما و الجزائر خصوصا، لم يكن غزوا او تدخلا مباشرة من طرف الدولة العثمانية كما هو الحال بالنسبة المناطق المشرق العربي ، بل أمر فرضته التهديدات المسيحية الاسبانية لوائل القرن 16م ، حيث جذب هذا الصراع الجديد رجال الجهاد البحري الذين اسسوا اساطيل حربية ، لمقاومة الغزو المسيحي بقيادة الاخوين عروج و خيرالدين بربروس[2]، فكان إذن هذا الدخول العثماني أساسا بطلب النجدة من أهلها ، فربطوا مصيرهم في الغالب بمصير هذا الأخير و تحالفوا معهم تحالفا شديدا سياسيا عسكريا ، جنبا الى جنب داخليا و خارجيا ، لتوطيد الأمن و الاستقرار[3] . و قد ظل الوجود العسكري أو النظام العسكري ان صح التعبير ظاهرة مميزة للحكم العثماني في الجزائر ، بل الظاهرة المميزة ايضا لهذا الحكم في جميع انحاء الدولة العثمانية ، و كان لهذا النظام الفضل في إنشاء دولة قوية في الجزائر.[4]

مع استقرار الأتراك العثمانيين في الجزائر، بدؤوا بتحصين المدن التي استقروا فيها و ذلك بإنشاء العديد من الاستحكامات العسكرية، من قلاع و أسوار و أبراج، واستمر ذلك الى غاية 1830م[5]،لضمان وسلامة المدن والمواقع الاستراتيجية على السواحل من الغزو الخارجي، ولتأمين خطوط المواصلات و الطرق التجارية، من

---

[1]- مصطفى بن حموش، "**التشريع العمراني و المعماري في العهد العثماني**" السلسلة الثانية : الاثار العثمانية رقم 4، أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الاثار العثمانية حول التأثيرات الأوروبية على العمارة العثمانية و آليات الحفظ و الترميم، اشراف و تقديم أ.د عبد الجيل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ،زغوان .اوت/آ 2001،ص،55.

[2]- جخدان بو عبد الله ، الولايات العثمانية الثلاثة – الجزائر- تونس- ليبيا " قيام دولة الموحدين الى غاية الانضمام للخلافة العثمانية7-12هـ/13م- 18م دار الايام للنشر، عمان ،2018م،ص،ص،77-78.

[3]- سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الاول-1500-1830م، دار الغرب الاسلامي،بيرت،1998،ص،ص،141.

[4]- خلاصي علي، القلاع و الحصون في الجزائر.....ص،269.

[5]- Ben hamouche Mustapha, Dar Es sultan, l'Algérois ……p,8.

اللصوص و قطاع الطرق ايضا، اذ اهتموا بتحصين المواقع الاستراتيجية دعموها بتحصينات عسكرية متنوعة، بعضها كانت كنقاط للمراقبة والأخرى كأبراج أو بروج لحماية حدود قبائل المخزن، بينما بنيت بعض الاستحكامات لاستراحة المحلات، التي تتجه للمقاطعات وأراضي البيلك لجمع الأمن و الحماية.[1]

تطلّب على العثمانيين تحصين الجزائر، بإنشاء استحكامات عديدة و يدخل ذلك في إطار الاجراءات العسكرية الدفاعية التي اعتمدت عليها الادارة العثمانية بالأرياف، في فرض سيطرتها و إخضاع السكان، وربطهم بالحكم المركزي بالجزائر، و ذلك بإقامة نظام دفاعي يستند على نظام الحاميات العسكرية(النوبات) كما اصطلح تسميتها، و قبائل المخزن الموزعة على النقاط الاستراتيجية بالقرب من الطرق الرئيسية بجوار المراكز العسكرية، للحد من تحرك القبائل واحتواء حركات التمرد لا سيما بمنطقة القبائل المتخامة لدار السلطان، و التي كانت مصدر تهديم لنفوذ البايلك بأوطان متيجة والساحل(دار السلطان).[2]

اذن لغرض الحماية طوقت المنطقة بسلسلة من الأبراج العسكرية نذكر؛ برج منايل، برج سيباو، برج تيزيوزو، برج بوغني برج حمزة و برج سور الغزلان [3]، و المعروف أنً الدولة العثمانية كانت عدة حاميات عسكرية، وهذا دلالة على الوجود العسكري العثماني، و كانت هذه الحاميات و ما يتبعها من عسكر الدرك تشكل حماية للوالي العثماني و لموظفين الاداريين التابعين للدولة. و كانت الدولة تدعم هذه الحاميات

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة الأولى، بيروت ،دار الغرب، 2000، ص،237.

[2]- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية.....ص،237.

[3]- سعيدوني ناصر الدين، المرجع نفسه.

بقوات عسكرية نظامية و غير نظامية، يكون افرادها من اهالي التابعة لها، أو من بين افراد القبائل المؤيدة لها. و قد اشرنا الى ذلك مرارا.[1]

يعتمد هذا النظام كذلك على اجراءات عسكرية عاجلة مثل تجريد الحملات الفصلية(المحلات) و شن الهجمات الانتقامية المفاجئة(الغزات) من طرف فرسان المخزن و فرق اليولداش (الجند الانكشاري) التي كثيرا ما كانت تباغت قبائل الممتنعة عن دفع الضرائب ، او التي جاهرت بعصيانها و أعلنت عدائها للبيالك.[2] نشير إلى أنً التحصينات الدفاعية لم تكن وليدة عصر معين، و لا مرحلة محددة في اطار، بل كانت استجابة لمتطلبات الحماية، من الخطر الخارجي المتكرر على المدن منذ العصور التاريخية القديم، لكن الفترة العثمانية في الجزائر، كان لها مزات يمكن تلخيصها في:

- العصر الحديث أو الفترة العثمانية هو عصر المواجهة المباشرة بين المسيحية و الاسلام، وتمثلت هذه المواجهة في الهجمة الاسبانية في الشمال، ومطاردة المسلمين الاندلسيين الفارين بدينهم و أموالهم و جلودهم من الخطر الصليبي بعد سقوط اخر معقل للمسلمين بالأندلس.و عصر التقارب المشرقي – المغربي بعد نهاية الامارات المستقلة ،و احياء الخلافة الاسلامية و لو انتماء. و التحصينات العسكرية التي خلفتها المواجهات الحربية لخير دليل على عنفها و على التطور الكبير الذي بلغته القوات المتحاربة في فن التحصين و البناء خصوصا و فن الحرب عموما.[3]

---

[1]- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية.....ص،237.

[2]- نفسه، ص،238.

[3]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،267.

- لم تكن تحصينات المدن في بعض الأماكن كافية لصد غزوات و نزول قوات الحملات العسكرية، فدعم محيط المدن و ضواحيها وأرباضها، بقلاع و حصون و ابراج للمراقبة.[1]
- تتميز العمارة العسكرية للعصر الحديث بالقوة و الصلابة ، اذ جاءت المنشآت الدفاعية ككتلة متماسكة ، لكنها تحمل اهم ما توصل اليه المعلمون (رؤساء البناؤون) من افكار، و ما توصل ال يه الحرفيون من اختراعات و ابتكارات ، و ما توصل اليه المهندسون المعسكرون في تدعيم و تنظير و تطوير في مجال الاستراتيجية العسكرية.[2]
- الميزة التي تميزت العمارة العثمانية في الجزائر تتمثل في فن العمارة العسكرية و ما صاحبها من تطورات في التنظيمات العسكرية، إذ أنً هذه الاخيرة تُبنى على مبادئ و لكنها لا تبنى على نظام معين، لأنها تتأقلم مع المحيط و مع الظروف، فجاءت استجابة لمواكبة التطور في فن الحرب، و في تطور صناعة الأسلحة النارية، ثم لتحصين نقاط الضعف في مواقع و أرباض المدن، استفاد منها الجزائريون بعد الحملات العسكرية الاوروبية، فكان التنافس على الاطاحة بدار الجهاد من مبادئ الساسة في اوروبا و سمة من سمات العصر الحديث.[3]
- من جهة اخرى؛ أنً الاستحكامات العسكرية الداخلية،لم تكن منفردة قائمة وحدها دائما، بل كانت تشكل سلسلة من الحصون و القلاع و الأبراج المترابطة بينها، وقد انشئت على الطرق الرئيسية و المضايق الجبلية،و قد

---

[1]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،267.

[2]- نفسه،ص،270.

[3]- نفسه، ص،270.

فرضت المواقع الطبوغرافية الطبيعية موقع كل برج و حصن، وكان الحكام يزيدون في قوت التحصينات بزيادة عدد فتحات المدافع.[1]

- بالنسبة للمنشآت العسكرية العمومية؛ اي ذات الخدمات المشتركة، من ثكنات و نوادي خاصة، مساجد، إدارات و حمامات، فإنها لا تختلف عن الفنادق و القصور و كذا المقاهي، باستثناء فرق واحد وهو ما يميز حياة العسكري عن حياة المدني، فالأول جمعت له كل المنشآت و المرافق في حيز ضيق جعلته، يعيش حياة خاصة متمتعا بقوة الشباب و بعزوبية الرهبان، والثاني يتمتع بحرية اكثر في محيط اوسع لكن بنفوذ و سلطة و جاه أقل، و قد ساعد هذا الوضع في انفراد أصحاب القوة، في ادارة عجلة الحكم و استئثارهم بالسلطة على حساب الصناع الحرفيين و الفلاحين و المزارعين و التجار و رجال الدين، وعلى هذا نجد الضباط و قدماء الجيش يخلدون مرورهم بغرف الثكنات بكتابات تذكارية.[2]

- عندما تم انتقال المدن من الداخل الى الشريط الساحلي، ازدهرت الأعمال البحرية، فمن الجهاد البحري الى التجارة البحرية و بالتالي من ترقية الموانئ و حمايتها و تحصينها والى صيانة المراكب و الصناعة الحربية، و في هذا السياق برزت موانئ ؛ الجزائر بصفة خاصة، بالإضافة الى وهران و بجاية، وقد دعمت بأرصفة و قلاع و أبراج و العديد من المرافق الهامة مثل النوادي و المساجد و العيون و المخازن، و معظمها قد بنيت بالحجارة المجلوبة من المدن القديمة المندثرة، و البعض الاخر من المقالع التي فتحت لهذا الغرض.[3]

---

[1]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،267.

[2]- خلاصي علي، نفسه.

[3]- نفسه.

- أقيمت معظم المدن الساحلية على الجزء الغربي من الخلجان منها على سبيل المثال؛ عنابة ، جيجل، دلس ،الجزائر، وهران، و المرسى الكبير، و تتربع كل مدينة على مساحة تتراوح ما بين 30 الى 40هكتارا، و احتلت اماكن مدن قديمة، لكنها اتخذت أنماطا و أشكالا جديدة، فرضتها هجرة الأندلسيين و توافد العثمانيين من أتراك ومستتريكن، أثّروا وتأثّروا في مختلف النواحي الاجتماعية الاقتصادية، الثقافية و الفنية.[1]
- في ما يخص الارواج فإنها كانت وقت السلم، بمثابة عنوان ولاء للسلطة المركزية، كما كانت تقوم بحماية و حراسة الطرق الداخلية، خاصة الطريق السلطانية الممتدة من عنابة الى تلمسان وكانت الحراسة تتم من طرف المواطنين، اذ توضع قوائم تحدد رجال المداومة.[2]
- لم تكن التحصينات في الفترة الحديثة – العثمانية– قواعد هجومية تنطلق منها الجيوش، سواء في المدن الشرقية او الوسطى ، اما بالنسبة لتحصينات وهران فكانت تؤمن افضل الشروط الممكنة لمراقبة الاراضي المحيطة بها، و كانت مدعمة بأرواج رباعية محصنة بزوايا و خاصرات لتعزيز النقاط الضعيفة فيها بشكل خاص.[3]
- الطريقة المتبعة منذ القدم تهدف إلى تسلق الأسوار و اقتحام التحصينات، لكن بتطور الأسلحة الهجومية، عمد القادة إلى تقوية الأسوار و توسيع الخنادق و تشييد المراقب، وكونوا انحناءات نحو الخارج لتفادي الالغام و لحماية أسس المبنى.[4]

---

[1]- خلاصي علي، المرجع نفسه.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

[4]- خلاصي علي، العمارة العسكرية.....ص،161.

- تتويج الأسوار بعدة بروج أبراج أو طبانات رباعية الشكل، وتحتوي في معظمها على تراب مركوم يكون مسطحا، توضع عليه قطع المدفعية، و يكون البناء عادة انحناء تحو الداخل بمقدار ثلاثين درجة.
- اهتمام المهندس المعماري بالجانب الجمالي الفني في المنشآت العسكرية، ما دامت حياة العسكري مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة الجماعية، فهو أعزب و متمسك بالشعائر الاسلامية ، يعتبر نفسه مجاهدا لكنه يحب التمتع عن النفس، و ما دامت الخدمة العسكرية تدوم عشر سنوات ، فان الجندي يحن الى الماضي فيزين كل ما يربطه بماضيه.[1]
- من مميزات العمارة الدفاعية الجزائرية في العثماني، أنً مبانيها أي المباني العسكرية كانت تخضع لمراقبة تنظيم دائمين، وكان الإشراف عليها لقادة يختارون من بقية العسكريين، و لكن الحراسة كانت موزعة بين الصفوات أو الحاميات التي تعين في الابراج وقت السلم، و لكن وقت الحرب المداومة على الحراسة، تتم من طرف المدنيين المجاورين لكل برج، و بما أنً هذه الأبراج قد قامت بها مجموعات من الأهالي بتكليف من الدايات، فإنً هذه العمائر قد حملت صبغة جزائرية.[2]

[1]- خلاصي علي، القلاع و الحصون في الجزائر.....ص،ص،269-271.

[2]- خلاصي علي، العمارة العسكرية في مدينة الجزائر.....ص،7.

الفصل الثالث

الأندلسيون في الجزائر خلال العهد العثماني

أولا : الهجرات الأندلسية

ثانيا : أماكن استقرار الأندلسيين و آثار هم في الجزائر

الأندلسيون في الجزائر خلال العهد العثماني:

كان للهجرة الأندلسية إلى الجزائر أثر بارز في المجتمع الجزائري في كل المجالات نخص بالذكر الاقتصادي، الحضاري لما في ذلك المعماري.

أولا : الهجرات الأندلسية:

إرتبطت الأندلس مع بلاد المغرب بصلات تاريخية وحضارية وثيقة، منذ العصر الفينيقي، ذلك التوسع الفينيقي ثم القرطاجي في سواحل الشمالي الأفريقي و السواحل الجنوبية و الجنوبية الشرقية لشبه جزيرة ايبيريا، ساعد على قيام نوع من التواصل بينهما في القرن الخامس الميلادي، عندما اضطرت قبائل الواندال الجرمانية إلى النزوح جنوبا صوب المغرب تحت ضغط القوط الغربيين.[1]

هذا ما جعل أغلب المؤرخين يرجعون العلاقة بين أقطار المغرب العربي و الأندلس إلى فترة مبكرة، إذ تعود الصلات بين العدوتين المغربية و الأندلسية إلى ما قبل الفتح الإسلامي، و هي صلات فرضتها طبيعة الجوار و أملتها المعطيات الجغرافية، ومن مظاهر هذه الصلات* ما يرويه المؤرخين الأوائل عن وجود قنطرة**[2]، وكانت تمثل هذه الأخيرة حسب المؤرخين الأوائل ممرا للمسافرين

---

[1]- علي أحمد علي كرير، المهاجرون الاندلسيون و تأثيراتهم على بلاد المغربيين الادنى و الاوسط خلال القرنين (13-14م)،ط1،دار الكتب الوطنية،- بنغازي، جمهورية ليبيا ،2013،ص،21.

*للمزيد اكثر عن الصلات بين العدوتين المغربية و الأندلسية أنظر عبد الكريم طهير، التواصل الحضاري بين الاندلس و بلاد المغرب على عهدي المرابطين و الموحدين(ق5-7هـ/11-13م)،اطروحة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ ،جامعة ابي بكر بلقايد،تلمسان،2016-2017،ص،ص،13-69.

[2]- أبو الحسن المسعودي علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد،ج1، دارالفكر،ط5، بيروت ، 1973 ، ص، ص، 364-365.

** بنيت بالحجارة و الطوب تربط الاندلس و بين الموضع الذي يسمى –الخضراء- و هو قريب من فاس المغرب و طنجة تمر عليها الإبل و الدواب من ساحل المغرب الى بلاد الاندلس، و ماء البحر تحت القنطرة متقطع خلجانات صغارا تجري تحت قناطرها و ما عقد من الطاقات تحتها على صخور صم ، وقد عقد من كل حجر الى حجر طاق، و هو مبدا بحر الروم الاخذ من اوقيانوس ، و هو البحر المحيط الاكبر، فلم يزل البحر يزيد ماؤه و يعلو أرضا فأرضا في طول ممر السنين، يرى زيادته اهل كل زمان ، و يتبينه أهل كل عصر، و يقفون عليه، حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش و بين قبرس و علا القنطرة التي كانت بين الأندلس و بر

و التجار بين العدوتين.[1]

قويت وتوطدت هذه العلاقات بينهما منذ بداية الفتح الاسلامي[2]، ولم يترك المسلمون من أرض الأندلس على حد قول الدكتور علي كرير، إلا منطقة جبلية قاحلة صغيرة للغاية في أقصى الشمالي الغربي تسمى **كوفادونجا** أو **كهف أونجا** **Covadonga** بإقليم اشتوريس (جليقية)، حيث تركها المسلمون دون فتح لعدم أهميتها لديهم، فتحصنت فيها فلول الجيش القوطي المنهزم حيث كونوا مركزا للمقاومة ضد المسلمين، وأصبح هذا المركز نواة لمملكة اسبانية مسيحية اخذت تتسع تدريجيا على حساب الأقاليم الإسلامية، مستغلة الضعف و التذمر التي بدأ يدبٍ في جسم الدولة الاسلامية في الأندلس.[3]**(الخريطة(07))،(الخريطة(08))**

لنعود لموضوعنا؛ ثم تعززت هذه العلاقة حتى أصبحت تتخذ شكل الوحدة منذ أيام المرابطين والموحدين من بعدهم، ثم في عهد بني مرين حتى الدولة الرستمية.[4]

كان بلاد المغرب الحصن الذي يلجا اليه الأندلسيين لطلب النجدة، كلما واجهوا تزايد الخطر الاسباني، و كان المغرب يلبي دائما هذه الاستغاثات، و بذلك سجل صفحة مشرقة من صفحات الجهاد لإنقاذ الاندلس و حمايتها، لذلك من الطبيعي أن يلجا الاندلسيون إلى المغرب، حينما تعرضوا للنفي والتهجير من قبل الإسبان.[5]

هكذا شهدت بلدان المغرب الاسلامي هجرات جماعية و فردية، من بلاد الاندلس خلال القرنين07و08 الهجريين/للقرنيين 13 و 14 الميلاديين، لتمتد إلى

طنجة ، و ما وصفت فبين طاهر عند الاندلس و اهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة ،و ربما بدا الموضع لأهل المراكب تحت الماء، فيقولون: هذه قنطرة ، و طولها نحو اثني عشر ميلا، في عرض واسع. انظر أبو الحسن المسعودي علي، المصدر نفسه،ص،ص،364-365.

[1]- ابو الحسن علي المسعودي، المصدر السابق، ص،88. أنظر أيضا عبد الكريم طهير، المرجع السابق، ص، ص،13-69.

[2]- محمد عبده حتامله و آخرون، موسوعة الأندلس و المغرب العربي- الأندلس التاريخ و الحضارة و المحنة، دراسة شاملة، الكتاب الاول – الجزء الثاني، ط1، دار المدار الثقافية للطباعة و النشر و التوزيع، البليدة، الجزائر ،2009، ص،896.

[3]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،ص،22.

[4]- علي أحمد علي كرير، المرجع نفسه.

[5]- علي أحمد علي كرير، نفسه.

غاية القرنين09 و11 الهجريين/ للقرنين15و17الميلاديين.[1] لكن قبل الحديث عن هذه الهجرات و أسبابها و ما نتج عنها، لا بد و لو باختصار من إعطاء تعريف شامل و كامل لمفهومها و أنواعها.

لقد أفرد علماء اللغة و الاجتماع المختصون بهذه الجوانب، تعريفات كثيرة نقتصر على التعاريف المأخوذة من جملة قواميس عربية المتعددة الأصل، فهذه الأخيرة اللفظ اللغوي لكلمة هجرة عدة معاني،رغم أنها تتفق على الأصل المشتق منها الفعل "شهجر" و يقصد بها الترك و المغادرة، فيقال هجر الشيء أي تركه، كذلك هي حد للصداقة و التعاون مع الغير.[2]

يرى ابن منظور في أصل الاسم من الهجر، وهي ضد الوصل و الخروج منارض الى اخرى ، و اصل الهجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن، و تعني الترك اذ يقال هجر الشيء و اهجره اي تركه، كذلك الابتعاد.*[3]

و الهجرة من هاجر يهاجر مهاجرة و هجرة،و لغة: القطع و الصرم و الاعراض عن الشيء، أما اصطلاحا؛ فمعناها؛ الخروج من أرض إلى أخرى، و من الناحية الشرعية فمعناها كما حدده ابن العربي" **الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام**"[4]. و تكون الهجرة واجبة عندما يصبح الإنسان مضطهدا في دينه، و عاجزا عن دفع الأذى عن نفسه، و عقله و نسله و ماله و عرضه. و قد وردت الكثير من الآيات الكريمة و الأحاديث النبوية الشريفة التي توجب الهجرة إذا ما حصل ذلك[5]، و من الآيات قوله تعالى: ﴿ **إنَّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم، قالوا**

---

[1]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق، ص،63.
[2]- علي أحمد علي كرير، المرجع نفسه ، ص،63..
[3]- علي أحمد علي كرير، نفسه، ص،ص،63-64.
* للمزيد عن مصطلح الهجرة أنظر علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،ص،ص،63-69.
[4]- بوحسون عبد القادر، الاندلس على عهد بني الأحمر – دراسة في التاريخ السياسي و الثقافي- النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2016، ص،94.
[5]- بوحسون عبد القادر، المرجع السابق، ص،94..

كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم و كان الله عفوا غفورا. ﴾.[1]

عرف التاريخ عبر عصوره الطويلة الكثير من الهجرات، ولقد كان لتدهور الأوضاع السياسية بعد ضعف الموحدين و الهزيمة في معركة العقاب[2]، أثر كبير على الوجود الإسلامي في الأندلس[3]، فتوالت الفتن و الثورات ما بين المسلمين أنفسهم، أو مع النصارى الذين استغلوا تلك الأوضاع و صعدوا من حدة هجماتهم على المدن الاسلامية التي تساقطت الواحدة تلو الأخرى كمرادة (627 هـ/1228م)،قرطبة (633هـ/1236م)، بلنسية في(636هـ/1238م) وإشبيلية (646هـ/1248م).[4]

لعل الهجرة الأندلسية تجاه مختلف الأقطار والأقاليم التي قصدوها سواء الداخلية منها أو الخارجية، هي من أهم الهجرات التي عرفها الإنسان في العصر الوسيط و الحديث.[5]

---

[1]- الآيات 96-97-98-99 من سورة النساء.

[2]- بوحسون عبد القادر، المرجع السابق، ص،95.

[3]-عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري ط1، المكتبة العصرية ،بيروت ،2006 ، ص، ص، ص ،235-236.

[4]- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق؛ محمد عبد الله عنان، المج 2 ،ط2،الشركة المصرية للطباعة و النشر، القاهرة،1973،ص،ص،90-93. انظر ايضا ابن خلدون ابو زيد عبد الرحمن بن محمد، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ايام العبر و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ضبط و مراجعة، خليل شحادة، سهيل زكار،ج4، ط2، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، 2000،،ص،ص،204- 205 .

[5]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق، ص،69.

نشير إلى أن هذه الهجرات كانت قديمة و سابقة لسقوط غرناطة سنة 898هـ /1492م[1]، وأول هجرة جماعية للمسلمين الأندلسيين للمغرب الإسلامي كانت أيام دولة إدريس الثاني، بعد أن ثاروا ضد أميرهم الأموي الحكم بن هشام، فاضطر الى طردهم نهائيا من الأندلس، و قد رحب بهم الأمير إدريس و سموا بالربضيين " **نسبة الى ربض الأندلس**" و عرض عليهم الإقامة في مدينة فاس فاستجابوا لطلبه و انتقلوا الى عاصمته.[2]

أما الهجرات الاندلسية الكبرى" **الجماعية**" لبلاد المغرب الإسلامي منذ أن دبَّ الضعف و الانحلال في البلاد أيام ملوك الطوائف، وظهور عنصر الفتنة و تزايدها بسقوط المدن الاندلسية و ازدياد الضغط النصراني، فكانت الهجرة في كثير من الأحيان وسيلة من وسائل سكانهم، للتخلص من أزمة داخلية أو مصالح تجارية او للتدريس، و كانت للسياسة الخارجية دور كبير في وفود عناصر إسبانية و أندلسية الى المناطق الساحلية في بلاد المغرب الاسلامي.[3]

إثَّر سقوط طليطلة ذات الموقع الهام وسط المدينة سنة 478هـ/1085م في مسلمي الأندلس، أيام ملوك الطوائف، يذكر المقري عن خبر سقوط طليطلة قائلا: "**و أول ما استرد الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذي النون سنة 475 هـ** "[4]، و يذكر ابن بسام عن طليطلة قائلا:" **لما توالت على اهل طليطلة الفتن المظلمة و ترادف عليها البلاء و الجلاء ، و استباح الفرنج لعنهم الله أموالهم و أرواحهم**...."[5]، وذكر المسلمين بمأساة صقيلية التي احتلها النورمان سنة

---

[1]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق، ص،69.
[2]- علي أحمد علي كرير، المرجع نفسه.
[3]- علي أحمد علي كرير، نفسه.
[4]- المقري شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، مج. 4، دار صادر، بيروت، 1988، ص،352.
[5]- المقري، نفح الطيب، ج4.....ص،447.

456هـ/1064م، فقتلوا و أسروا عشرات الآلآف من السكان دون التمكين من نجدتهم، و بناء على ذلك علت بعض الأصوات اثر السقوط مطالبة بترك الاندلس و الرحيل عنها[1]. و في موضوع سقوط طليطلة* يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال الطليطلي الفقيه الزاهد من خلال المقري:

يا اهل الاندلس حثوا مطيكم * فالمقام بها الامن الغلط**

الثوب ينسل من اطرافه وارى * ثوب الجزيرة منسولا من الوسط**

و نحن بين عدو لا يفارقنا * كيف الحياة مع الحيات في سفط [2]**

إلى جانب هذه الدعوة لمغادرة الاندلس، كانت هناك دعوات أخرى تحث على البقاء حتى و إن كان ذلك يعني الرضوخ لحاكم طليطلة الجديد، الذي نصب نفسه امبراطورا على الملتين أي النصرانية و الإسلام،فبعض أهالي الأندلس لم يستطيع التخلي على بلده و مغادرتها، و يصر على البقاء فيها مهما كانت الظروف غير ملائمة، و لو كانت في ظل النصارى[3]. يقول أحد الشعراء من خلال المقري رثاء طليطلية و سكانها :

كفى حزنا فان الناس قالوا * إلى أين التحول و المسير**

أنترك دورنا و نفر عنها * و ليس لنا وراء البحر دور **[4]**

فكان على المسلمين بعد سقوط مدنهم في الأندلس أن يسلكوا أحد الطريقتين، إما الاستسلام للإمبراطور الفونسو السادس و غيره، أوالهجرة الجماعية الى بلاد المغرب

---

[1]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،ص،69.

* عن سقوط مدينة طليطلة انظر المقري، نفح الطيب، ج4.....ص،ص،352-357.

[2]- انظر أحمد المقري، نفح الطيب، ج4.....ص،ص،352.

[3]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،ص،69،ص،70.

[4]- انظر احمد المقري، نفح الطيب، ج4.....ص،485..

** لمن اراد الاطلاع على القصيدة الكاملة في رثاء طليطلة من قبل أحد الشعراء انظر المقري، نفح الطيب،ج4.....ص، .ص،483-487..

الاسلامي، و يبدو أنً كثيرا منهم مالوا للطريق الأخير، و أخذوا يفكرون بمغادرة البلاد، وبالتالي لم تكن الهجرة الرسمية لأهالي الاندلس الى بلاد المغرب إلا بعد واقعة العقاب و سقوط المدن الاسلامية.[1] **الخريطة (09)**

نجم عن هذه الظروف أن هاجر الكثير من الأندلسيين إلى مدن أخرى كانت و لا تزال بيد المسلمين، و على رأسها غرناطة التي استق بها بنو الأحمر و استطاعوا الصمود لفترة من الزمن ضد ضربات النصارى. أما الكثير منهم فقد فضلوا الهروب من الواقع المحتوم، الذي ينتظر جميع المدن المتبقية بالهجرة خارج بلاد الاندلس و لا سيما الى العدوة المقابلة[2]، فأصبحت سواحل المغربيين الأوسط و الأقصى ملاذا آمنا للمهاجرين الاندلسيين، خاصة بعد تراجع دولة بني الاحمر و انحصارها، و تزايد التهديدات الإسبانية أكثر من أي وقت مضى، بحيث أصبح الاسبان يروا في طرد المسلمين من اسبانيا عملا مقدسا.[3]

و عن طبيعة هذه الهجرات الأندلسية إلى بلاد شمال إفريقيا عامة و المغرب الإسلامي خاصة في إطار الهجرات الاضطرارية من جهة، و التلقائية من جهة أخرى، بدأت خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري/للقرن الثالث عشر الميلادي، وتواصلت حتى نهاية القرن العاشر الهجري/للقرن السابع عشر الميلادي، دون أن نغفل أنً الهجرات لم تعرف توقفا قبل هذا التاريخ كما سبق ذكره، و كانت هذه الهجرات جماعية أكثر من السابق، بحيث نلاحظ أنً المؤرخ ابن خلدون عند

---

[1]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،ص،70.

[2]- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة، نبيه امين فارس، منبر البعلبكي ، ط5،دار العلم للملايين ، بيروت، 1968، ص،344.

[3]-عبد القادر بوحسون، الاندلس في عهد نبي الاحمر،-راسة تاريخية و ثقافية، 635- 897هـ/1238-1492م،اطروحة الدكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ و علم الاثار، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان ، 2007-2008،ص،101.

تطرقه للموضوع يستعمل في كل الحالات كلمة "جالية"، مما يعني أنً القدم لم يكن فرديا بل كان جماعيا، وهذه الهجرات الجماعية تواصلت و تجددت بتجدد النكبات.[1]

بدأ تيار الهجرة الأندلسية الجماعية الى بلدان المغرب الاسلامي، عندما داهم العدو النصراني مدن الاندلس، و استمر يهدد وجود المسلمين فيها و يحتل مقاطعاتهم الواحدة تلو الاخرى، وكان الاندلسيون الذين سقطت مدنهم في أيدي النصارى المفاضلة بين ثلاث خصال اما ان يلبثوا في ديارهم خاشعين لسلطان النصارى على شروط اقرت عليهم منذ البداية، أوان يهاجروا إلى بر العدوة فينزلوا فاس أو وهران أو تونس، أو حيث ما شاءوا، أما الخيار الثالث فهو التوجه إلى مملكة غرناطة حيث اصبحت المملكة الوحيدة، تحت حكم المسلمين في الاندلس.[2]

لقد ساهمت الفتاوي في عملية الهجرة و الجهاد، فهناك من الفتاوي التي صدرت عن علماء عاشوا الفترة و التي حثت على الهجرة، و بينت وجوبها في مثل هذه الظروف في تزايد عدد المهاجرين، لا سيما اتجاه الضفة الأخرى، و من تلك الفتاوي فتوى العالم الجزائري أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن علي الونشريسي المتوفي سنة 914هـ/1508م، و المسماة بـ" **أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ،و لم يهاجر و م ترتب عليه من العقوبات و الزواجر.**" و التي حث فيها مسلمي الاندلس المضطهدين على الهجرة، واعتبر ذلك فرضا واجبا على المستطيعين، فيقول:"**إنً الهجرة من دار الكفر أرض الإسلام فريضة إلي يوم القيامة، و كذلك الهجرة من أرض الحرام و الباطل بظلم أو فتنة.....و لا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية – لعنه الله – على معاقلهم و بالدهم إلا**

[1]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،،ص،ص،70-71.
[2]- علي أحمد علي كرير، المرجع نفسه، ص،71.

تصور العجز عنها بكل وجه و حال ، لا الوطن و المال فان ذلك ملغى في نظر الشرع ".[1]

نشير من جهة أخرى إلى أن بعض الفقهاء و العلماء المسلمين، قد حثوا على الجهاد سواء لأهل الاندلس أو لأهل العدوة المغربية، بل هناك من فضل الجهاد على الحج فيذكر البرزلي* قائلا: " **سُئل ابن رشد عمن لم يحج من اهل الاندلس في هذا الوقت، هل الحج افضل له أو الجهاد، و كيف لو حج الفريضة، فأجاب فرض الحج ساقط في زماننا هذا على اهل الاندلس لعدم الاستطاعة و هي القدرة على الوصول مع الأمن على النفس و المال. اما غير الاندلس كاهل العدوة فان خافوا على أنفسهم و أموالهم منهم كالأولين، و إن لم يخافوا فالجهاد لهم أفضل من تعجيل الحج**".[2**]

حسب علي أحمد علي كرير، فإن البرزلي ربما قصد بالحج هنا الهجرة سواء إلى الأراضي المقدسة أم الى بلدان المغرب الإسلامي، بعد انقضاء شعائر الحج، لكن ابن رشد*** يرى أنً الجهاد أفضل الى العدوة المغربية، كذلك ذكر ابن الخطيب أنً الجهاد أفضل من الهجرة باعتبار ان لها فضيلة خاصة بمفرد، في حين أنً الجهاد فضيلة خاصة بالجماعة.[3****]

هكذا فإنً دول المغرب الاسلامي الثلاث في تلك الفترة قد استقبل سلاطينها وفود المهاجرين بحفاوة، حيث أكرموا وفادتهم على غرار الدولة الزيانية و سلطانها، على

---

[1]- بوحسون عبد القادر، الاندلس على عهد بني الاحمر- دراسة في التاريخ.....ص،97.

* هو فقيه و عالم عاش في الحقبة القريبة من هذه الاحداث و توفي سنة 841هـ.

[2]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،ص،71.

** للمزيد عن هذا الموضوع (**موضوع فتو الجهاد في الاندلس**....) أنظر علي أحمد علي كرير، المرجع نفسه،،ص،ص،71-73.

*** عالم و فيلسوف اندلسي

[3]- علي أحمد علي كرير، نفسه ،ص،72.

**** للمزيد اكثر عن هذا الموضوع (موضوع فتوة الجهاد الهجرة في الاندلس....) أنظر علي أحمد علي كرير، نفسه، ص، ص، 71-73.

سبيل المثال لا الحصر أحمد العاقل(834-862هـ/1431-1459م)، الذي وفد في عهده عدد كبير من الأندلسيين، فأكرمهم و أنزل كل واحد بالمقام الذي يليق به، فأنزل العلماء و الوجهاء بالعاصمة و التجار و الحرفيين بدار خاص بهم عرف بدرب الاندلسيين.[1]

أما من لم يسعفه الحظ للهجرة أو آثر البقاء بأرضه، فاتبع أسلوب آخر من أجل تجنب المحاكمة ألا و هو التقية .[2]

1- أسباب الهجرات الاندلسية :

لقد نشطت الحملات الصليبية خلال القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي على أرض الأندلس، و تنادى ملوك النصارى في ممالكهم القوية، بل و في أوروبا كلها لنصرة الصليب، في الوقت الذي كان المسلمون لا يخرجون من فتنة حتى يدخلوا أخرى هي أعظم واطم، و ذلك طمعا في كرسي زائل ورسم حكم خامل. فكثر على اثر ذلك الأمراء و الخلفاء المتناحرين في الأندلس، لا سيما بعد انهيار سلطان الموحدين فيها تحت وطأة الهزائم العسكرية الكبيرة و انشغالهم بفتن الكرسي في مراكش وما جاورها، و تسبب هذا الوضع السياسي المتعفن الى اندفاع جيوش النصارى في حماسة و شوق لاقتلاع الوجود الاسلامي وتنصير الجزيرة، و كان ممازادهم فرحا، تنوقهم لنشوة الانتصارات المتتالية على جيوش المسلمين التي انهكتها الصراعات الداخلية و الجانبية بين امرائها الضعاف و الذين صاروا يستجيشون بالنصارى على بعضهم البعض. و هكذا شهد القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي سقوطا متواليا و محزنا

[1]- عبد القادر بوحسون ، الاندلس على عهد بني الاحمر- دراسة في التاريخ.....ص،96.
[2]- عبد القادر بوحسون، الاندلس في عهد نبي الاحمر،اطروحة الدكتوراه .....ص،103.

لكبريات العواصم الاسلامية في الأندلس في فترة لم تتجاوز الثلاثين عاما، وهو ما حتم على الأهالي الاختيار بين الهجرة أو التهجير أو التقتيل أو التنصير.[1]

مع اشتداد وطأة الهجمات النصرانية الناجمة على الأراضي الاندلسية ، اضطر الأهالي خلال القرن 7هـ/13م، إلى ترك الوطن الذي تقاسمته المماليك النصرانية، في غياب الناصر و المنافح عنه. وتقطعت السبل بالأندلسيين المنكوبين في وطنهم، و هاموا على وجوههم في كل صوب، و ذلك طمعا في الوصول إلى أماكن أكثر أمنا أن تقوم مقام الوطن الضائع، في الوقت الذي شمرت فيه الممالك النصرانية عن ساعد الجد- في ضل تنامي قواها العسكرية و الاقتصادية مع ما واكبه من استقرار سياسي- للاستيلاء على كل ما أمكنها من أراضي المسلمين الغنية و الخصبة.[2] **الخريطة (09)**

لم تقتصر هجرة الاندلسيين على بلاد افريقية فحسب، بل تعدتها لتشتمل أغلب مدن المغرب الاسلامي، من طنجة إلى أقصى الشمال الغربي إلى مدينة طرابلس الغرب في اقصى الشرق، بل تجاوزت ذلك الى الديار المصرية و الحجازية، خاصة بعد فاجعة سقوط غرناطة، والاضطهاد الذي تصاعدت و تسارعت وتيرته بشكل رهيب وخطير بعد نقض الإسبان معاهدة التسليم وانشاء محاكم التفتيش، وقد دفعت جملة من الأسباب إلى هذه الهجرة حيث لم تقتصر على جانب واحد و إنما شملت عدة جوانب منها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية.[3]

- العامل السياسي:

[1]- عمارة سيدي أحمد، هجرة الاندلسيين الى بلاد المغرب الاوسط خلال القرن (7هـ/13م) و دورهم الثقافي، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ او الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة السانيا، وهران ،2012-2013،ص،6.

[2]- عمارة سيدي احمد، المرجع نفسه،ص،6.

[3]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،ص،75.

يعد الدافع السياسي الأقوى و الأبرز، بل من الأسباب المباشرة من بين كل هذه الدوافع و الأسباب، على توالي الهجرات الاندلسية نخص بالذكر تدهور الاوضاع السياسية بالأندلس تجاه المغرب الأوسط بصفة عامة، لا سيما بعد ضعف الموحدون[1]، ورغم عودة الاستقرار للبلاد، إلا أنه لم يدم طويلا اذ ما لبثت المدن الأندلسية أن تساقطت في أيدي النصارى، بعد انتصارهم على المسلمين في حصن العقاب سنة 609هـ/1212م، تلك المعركة التي كانت بداية نهاية الوجود الإسلامي بالأندلس[2]، و بداية موجة الاسترداد.[3]

نتيجة لهذه الأوضاع ، توالت الفتن و الثورات ضد الموحدين، سواء من المسلمين كثورة نبي مردنيش[4]، وابن هود الجذامي 625هـ/1228م، بالمرية[5]، أو من قبل المسيحيين الذين استغلوا تلك الأوضاع، فراحوا يُصَّعدون من حدة هجماتهم و ضرباتهم على المدن الاسلامية، فسقطت الكثير من المدن بأيديهم، وعاثوا فيها فسادا كمارة التي سقطت سنة 627هـ/1228م،قرطبة633هـ/1236م، بلنسية 636هـ/1238م،إشبيلية 646هـ/1248م[6]وغيرها من المدن الأخرى.[7]

نتيجة لذلك هجر الكثير من الأندلسيين تلك المدن من اضطهاد النصارى، إلى المدن التي كانت ولا تزال بأيدي المسلمين،لا سيما غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس، و التي كانت تحت حكم بني نصر(بني الاحمر)واستطاعت الصمود في

---

[1]- بوحسون عبد القادر،العلاقات الثقافية بين المغرب الاوسط و الاندلس خلال العهد الزياني، 632- 962هـ/1235م-1554م، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في تاريخ المغرب الاسلامي، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان ،2007-2008،ص،14.

[2]- عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، شرح صلاح الدين الهواري ط1، المكتبة العصرية، بيروت ، 2006،ص، ص،ص،235-236.

[3]- ابن خلدون عبد الرحمن ،العبر، ج4.....ص ،ص، 204-205.

[4]- ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص،ص،204-205.،ابن الخطيب، أعمال الاعلام، المصدر السابق، القسم الثالث، ص، ص، 270-277.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة ، ج2.....ص،ص،90-93،ابن خلدون، ابن خلدون، العبر ،ج4.....201-204.

[6]- ابن خلدون، العبر ،ج4.....ص،ص، 204-205.

[7]-عبد القادر بوحسون، الاندلس في عهد نبي الاحمر،-دراسة ثقافية و تاريخية، اطروحة الدكتوراه .....ص،71.

وجه ضربات النصارى[1]، وسقوط هذه المدن في أيدي النصارى الاسبان، كان لها أثر بليغ في لها دور كبير في تفوق أهاليها داخل مدن الأندلس المسلمة، ودور كبير في الهجرة إلى إفريقية خاصة بعد سقوط دانية و شاطبة تفوق أهلها في البلاد. [**2]

عدّد ابن الآبار المدن الاندلسية التي سقطت بأيدي الاسبان و التي يتوقع سقوطها بقوله:" **تلك البيرة بصدد البوار ، ورية في مثل حلقة السوار لا مرية في المرية و حققها على الجوار إلى بثبات لواصق بأمهات، و توافق بهاك لأول ناطق بهات**".[3]

هكذا عرف الوضع السياسي لبلاد الاندلس تدهورا كبيرا، فنكبة طليلطة و سقوطها و كذا المدن الأخرى وتجزؤ السلطان في الأندلس، و كذا اقتتال هذا الملك مع ذاك و غيرها من الأسباب، التي ولدت شعور الناس بضرورة الرحيل، و هجر الكثير من الاندلسيين تلك المدن، بعد الاستلاء عليها من قبل النصارى خاصة إشبيلية، و التي تركت اثرا كبيرا في نفوس المسلمين فكان بداية الهجرة الجماعية، ومع سقوط كل مدينة، يرحل أغلب أهلها طالبين المكان و الأمان من اضطهاد النصارى، إلى المدن التي كانت و لا تزال بأيدي المسلمين، لا سيما غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس، والتي كانت تحت حكم بني نصر (بني

---

[1]- المقري، نفح الطيب،ج5.....ص،394. أنظر أيضا شكيب ارسلان، خلاصة تاريخ الاندلس الى سقوط غرناطة، مطبعة المنار،مصر،1925، ص، 72.

[2]- ابن ابي عبد الله محمد بن الآبار، الحلة السوداء، تحقيق، حسين مؤنس،ج2،دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص،144.

** للمزيد اكثر انظر كل من المقري، نفح الطيب،ج2.....ص،590.ابن خلدون، العبر،ج6.....ص،57.عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة – 92هـ-897هـ/711م-1492م، ط2، دار القلم، بيروت، لبنان،1981،.....ص ،476 .

[3]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،ص،81.

الأحمر)،و استطاعت الصمود في وجه ضربات النصارى[1]، هذه المدينة التي كانت امامهم و كذا بلاد المغرب بأسرها.[2]

في حين فضل الكثير من الاندلسيين عدم البقاء بالأندلس، والجواز إلى بلاد المغرب الاسلامي وحتى إلى المشرق الاسلامي، نظرا لتوقعهم بعدم صمود غرناطة، وأنً سلطان المسلمين بالأندلس قد اوشك أمده على الانتهاء، خاصة وأنً دول المغرب الإسلامي الثلاث (بني مرين، بني زيان، بني حفص)، كانت تعاني هي الأخرى الضعف و الصراع المتواصل فيما بينها، ولم يعد الأندلسيون ينتظرون منها الكثير سيما بعد انهزام بني مرين و بني الاحمر، في وقعة طريف* ضد المسيحيين المتكونين من القشتاليين و الارجونيين و البرتغاليين، والتي انتهت بهزيمة كبرى للمسلمين سنة 741هـ/1340م، واستشهد فيها عدد كبير من المسلمين، كان من بينهم الكثير من علماء المغرب و الاندلس[3]، وكان من نتائجها انكسار بني مرين، الأمر الذيزاد من تشجيع الاندلسيين على ترك بلادهم و الهجرة نحو اماكن آمنة.[4]

اذن؛ لم يكد ينته القرن السابع الهجري/للقرن الثالث عشر الميلادي حتى أصبحت مدن الأندلس في أيدي ملوك النصارى، وأصبح عهد انتصار الصليبيين الشماليين من إسبانيا و فرنسيس(فرنسا) و غيرهم، وكان عصر انكسار لدار الاسلام، لقد انحسرت هذه الدار شيئا فشيئا من الاندلس، ولم يكن سبب هذه النكبة جمهور

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج5.....ص،394. انظر شكيب ارسلان، خلاصة تاريخ الاندلس.....ص،72.

[2]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،ص،ص،80-81.

* تعرف هذه المعركة في المصادر الاسبانية بمعركة سالادو Battalla de salado ، وسماها ابن الخطيب بالوقعية العظمى، انظر لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني(ت؛776هـ)، كناسة الدكان- بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب في القرن الثامن الهجري، تحقيق، محمد كمال شبانة، مراجعة، حسن محمود، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ،القاهرة، جمهورية مصر العربية، د.ت، ص،38.

[3]- احمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق، احسان عباس، الجلد الاول، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968، ص،ص،203-207، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني (ت؛776هـ)، كناسة الدكان- بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب..... ص،ص،35- 40، ابن خلدون، العبر،ج4 .....ص،ص،310-311،

[4]- بوحسون عبد القادر، العلاقات الثقافية بين المغرب الاوسط و الاندلس.....ص،94.

المسلمين في الاندلس،وإنما سببها الأمراء و الرؤساء المسلمين هناك لينحصر المد الاسلامي في ثلاث مناطق و هي إمارة غرناطة ثم إمارة مالقة و اخرا الجزيرة الخضراء.[1]

عجلت هذه الهجمات الاسبانية الفاعلة التيرافقتها شروط و إجراءات قاسية من قبلهم، ضد كل من آثر البقاء في هده المدن المحتلة، و التي تصل في غالبية الأحيان إلى حد الإهانة و المذلّة، إضافة إلى الأحوال السيئة و الاضطرابات الداخلية و عدم الاستقرار، بقيام أهالي الأندلس المطرودين من مدنهم بالرحيل و النزوح عن الاندلس ، إلى بر العدوة و خاصة بلاد افريقية فكانت الغالبية من المسلمين في القواعد الاندلسية، تؤثر الالتجاء إلى أرض الاسلام و التثبت بلواء الدولة العربية الاسلامية.[2] و هكذا كانت حركة الاسترداد المسيحي النصراني لولايات الاندلس السبب الحقيقي و الرئيسي لهجرة هؤلاء الاندلسيين، إذ لم يتمكن اغلبهم من البقاء تحت سيطرة هؤلاء الاسبان النصارى و أثروا العيش في بلاد الاسلام، خاصة بلاد المغرب البعيدة عن الاندلس، اذ ان المهاجرون الى بلاد المغرب كانوا على يقين ان مملكة غرناطة سيؤول مصيرها الى ما الت اليها بقية المدن.[3] **الخريطة (09)**

هكذا كانت هذه السياسة من اقوى دوافع ترك المسلمين بلادهم ورحيلهم الى بلدان المغرب، خاصة تونس.[4]

---

[1]-علي أحمد علي كرير، المرجع السابق،ص،ص،81-82.
[2]- محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، العصر الرابع، نهاية الاندلس و تاريخ العرب المنتصرين، الطبعة الرابعة، المؤسسة السعودية للنشر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، القاهرة،1997،ص،ص،70-90.
[3]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق، ص،82.
[4]- علي أحمد علي كرير، المرجع نفسه، ص ،ص،75.

– العامل الاقتصادي:

ان الاسباب السياسية السيئة ، لم تكن وحدها السبب في الرحيل و الهجرة و النزوح من الاندلس، بل يبدو أنً الحالة الاقتصادية السيئة كانت سببا في ذلك، حيث أصابها هي الاخرى التدهور و الانهيار بشكل لا يمكن الحياة فيها بأي حال من الأحوال[1]، خاصة بعد تغيير الملكين الكاثوليكيين سياستهم، تجاه هؤلاء الاندلسيين و ذلك بإصدار مجموعة ن المراسيم تحد من حرياتهم و تفرض عليهم مغام جديدة يقول صاحب "اخبار العصر:"...واستطال عليهم النصارى و فرضت عليهم الفروضات و ثقلت عليهم المغارم" ،أو مصادرة أراضيهم و ممتلكاتهم، ففي 979هـ/1571م تمكن المسلمون من إقناع محاكم التفتيش بإعفاء أراضيهم و ممتلكاتهم من المصادرة مقابل دفعهم لمبلغ خمسين ألف سولدي أو 25 الف دوكاد ذهبية.[2]

لقد تمادت السياسة الاسبانية في فرض العديد من المغارم، كان الهدف خاصة استنزاف الثروة الموريسكية و تفقير هؤلاء الأندلسيون، خاصة لما عرف عن هؤلاء من كد و حرص على جمع الثروة.[3*]

هكذا انتشر الفقر و عم الجوع و كثرت الاوبئة و استشرى الغلاء، و ضاعت مصادر النقد من تجارة و زراعة و صناعة، من جراء هذه السياسة التي اتخذها هذين المجرمين.[4]

---

[1]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق، ص ،ص،83.
[2]- احمد كانون و هاشم السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب ،ط1، سلسلة دفاتر المركز، مركز الدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، وجدة، المغرب، 2010، ص، ص،63-64.
[3]- أحمد كانون و هاشم السقلي، المرجع السابق،ص،64.
* للمزيد أكثر عن الوضاع الاقتصادية أنظر احمد كانون و هاشم السقلي، المرجع السابق،ص،ص،63-68.
[4]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق، ص، ص،83-84.

جعلت هذه الوضعية سكان الاندلس يختارون افريقية و بلاد المغرب مكانا لهجرتهم ، فجاؤوا اليها املا في الاستقرار و الاطمئنان في طيب الاقامة و توفر الرزق و العمل في كنف الدولة الحفصية التي كانت في حاجة الى مثل هذه المواهب. و من المعلوم أن انتقال الأشخاص من بلد الى اخر ، يرجع في أوقات كثيرة الى بواعث اقتصادية ، مثلما يلعب عامل الدين و الجنس دورا في بعض الاوقات، و بالتالي فقد ساهمت حالة الاندلس المزرية ، في نزوح الاندلسيين عن أراضيهم ، و أن الامر لم يكن ناتجا عن تدهور الاحوال السياسية فحسب، إنما كان أيضا بسبب الركود الاقتصادي التي تزامنت مع تدهور الاحوال السياسية.[1]

نشير إلى أن أغلب المهاجرين الاندلسيين يضطرون الى بيع ممتلكاتهم ومزارعهم في كثير من الاحيان، سواء بأمر من السلطات النصرانية او من تلقاء أنفسهم و الانشغال في البلدان المهاجرة اليها ، سواء في التجارة او في الزراعة او حتى في الصناعة ، فكان من ضمن شروط المسلمين للحكام النصارى عند كل تسليم ، ان يبقوا أحرارا آمنين محتفظين بمنازلهم و اموالهم، لا يُؤدِّون سوى الضرائب العادية أو أن يهاجروا منها بعد أن يبيعوا أملاكهم.[2]

و لكن في غالب الاحيان ، كانوا يطردون دون الحصول على اموالهم أو بيع ممتلكاتهم، فيكون وصولهم الى بلاد المغرب فرارا بدينهم ،و للعيش في هذه البلاد و العمل بها حتى لا يكونوا عالة على غيرهم من المسلمين، ورغب بعضهم في إيجاد عمل مناسب على مستوى التوظيف في ميادين الأعمال الحرة و الحرف.[3]

كولان في هذا الموضوع يشير من خلال التاريخ الاسلامي في اسبانيا، إلى أن الهجرة إلى المغرب في كثير من الاحوال، كانت وسيلة من وسائل سكان الأندلس

---

[1]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق، ص،83.
[2]- علي أحمد علي كرير، المرجع نفسه، ص،84.
[3]- نفسه، ص،84.

للخلاص من أزمة داخلية، و يضيف إلى المصالح التجارية و الخارجية الأندلسية ، لعبت هي الاخرى دورا فعالا ، في وفود و خروج العناصر الإسبانية الإسلامية إلى المناطق الساحلية في غربي بلاد المغرب و وسطها.[1]

– العامل الاجتماعي و الثقافي :

لم تقتصر اسباب الهجرة على الجوانب السياسية و الاقتصادية بل شملت الجوانب الاجتماعية و الثقافية، بمعنى أنً هؤلاء المهاجرون الأندلسيون عاشوا أسوا عهود الاندلس لا من الناحية السياسية و الاقتصادية فقط، بل تعدت أيضا ناحية الأوضاع الاجتماعية و الأخلاق الإدارية، نبدأ بالأوضاع الاجتماعية في الأندلس؛ فقد كانت لها دور كبير في هجرة العديد من الأندلسيين نحو بلاد المغرب الإسلامي، بسبب الظلم و ثقل أعباء الضرائب بسبب الصراع العنصري بين طبقات المجتمع الاندلسي[2]، هذا الصراع العنصري الذي نتج عن الازدحام و الاكتظاظ السكاني بمدينة غرناطة من جراء الهجرات المتوالية اليها من المدن الاندلسية الاخرى التي سقطت في أيدي الاسبان[3]، فعرفت الأسعار ارتفاعا كبيرا جعلت الحياة بالبلادة صعبة و غالية، مما دفعت بالكثير من السكان التخلي عن البلاد الاسلامية غرناطة و الهجرة خارجها، ونشير من جهة أخرى إلى أنً الصراع الدائم الذي كان قائما بين المسلمين والمسيحيين بالأندلس، هو من تتسبب في ارتفاع الضرائب بشدة و ذلك لتغطية نفقات الحرب فكان المواطن الغرناطي يدفع مثلا في القرن 9هـ/15م ضريبة اكثر بثلاث مرات ما كان يدفعه المواطن القشتالي.[4]

---

[1]- ج. س كولان المرجع السابق، ص،141.

[2]- عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري،ط1، دار الشروق، بيروت، القاهرة ، 1983، ص، 88.

[3]- ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر ،ج4.....ص،ص، 204-205.

[4]-الطوخي أحمد أمين، مظاهر الحضارة في الاندلس في عصر بني الاحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997، ص، ص ، 258-264.

نشير أنً أوضاع المسلمين قبل سقوط آخر معقل إسلامي بالأندلس، خاصة في المماليك الإسبانية كانت أحسن من الوضعية التي أصبحوا عليها، بعد افول نجم غرناطة[1]،خاصة بعد قيام دولة اسبانيا الموحدة سنة 898هـ/1492م،إذ في بداية قيامها كان يتظاهر حكامها باتباع أسلوب اللين في معاملة المسلمين، فتركوا رعاياهم الجدد يتمتعون بمزايا معاهدة تسليم مدينتهم، ومع أنً بنود المعاهدة قد اخترقت من أول يوم بتحويل مسجد غرناطة الجامع الى كاتدرائية، فإنً المسلمين قد تحلوا بالصبر، و تحملوا ذلك على مضض لأكثر من قرن من الزمن.[2]

هكذا شكل الواقع الاجتماعي الذي عاشه الاندلسيون، عاملا حاسما في عملية الهجرة خارج اسبانيا، فلا المعاهدات و لا الاتفاقيات و لا الوعود المعقودة بين المسلمين الأندلسيين و الاسبان المسيحيين بعد سقوط غرناطة، استطاعت أن تحفظ لهم حريتهم الدينية ثم تقاليدهم الإسلامية، و أخيرا ان يأمنوا على أرواحهم و اموالهم[3]، فكان هذا المجتمع الأندلسي؛ فزيادة على أن هذا العدو الغاشم اللدود متربص بهم و بالسيادة الاسلامية لبلادهم، كانوا يعيشون عيشة التآمر و الخيانة و الغدر، على مختلف درجات المسؤولية و المسؤولين[4].

أما على الصعيد الثقافي؛ فقد كانت دور تدريس المسلمين في الأندلس قليلة، خاصة بعد استيلاء النصارى عليها، فقد قدمت أعداد كبيرة من العلماء و الفقهاء و لقضاة للتدريس في دول المغرب، بل وتعدتها الى الديار المصرية و بلاد الشام و الحجاز، وكان بعض أهالي الأندلس يمرون بطريقهم بمدن المغرب لأداء فريضة الحج، أو

---

[1]- أحمد كانون و هاشم السقلي، المرجع السابق،ص،79.
[2]- قدور عبد المجيد، **" الهجرة الاندلسية الى المغرب الاسلامي و نتائجها الاجتماعية و الحضارية – الجزائر كنموذج**-"مجلة العلوم الانسانية ، العدد ، 20 ديسمبر 2003،جامعة منتوري قسنطينة ،الجزائر، 2003 ص، 8.
[3]- احمد كانون و هاشم السقلي، المرجع السابق،ص،79.
[4]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق، ص،84.

في طريقهم لطلب العلم بالمشرق، فكانوا يحطون رحالهم بالمدن الكبرى فيطيب لهم المقام.[1]

زداد هذا الإقبال و المقام لما اجتمعت المدن في أيدي النصارى و الإسبان، بل و حتى المدن الباقية ومملكة غرناطة، كان اهلها يقيمون في مدن المغرب لوقت طويل، ومنهم من استقر نهائيا بأرض الإسلام وهي أرض المغرب، و قد ساهمت العقيدة الدينية الواحدة مساهمة كبيرة في ذلك سنتعرض اليها لاحقا، و هناك من هاجر متخلصا من زمة داخلية أو هروبا من مشاكل مع حكام الامارات خاصة أيام بني الأحمر في غرناطة، فيذكر التلمساني بن مرزوق من خلال أحمد كركير من قوله:" **كان من بني ابي العلى القاطنين بالأندلس من النفرة عنه و عدم القيام بواجب حقه و التعرض لمناوأة و التطلع لما لم يبلغوه ، ما استقر في النفوس و استفاض و ظهرت عليهم غير مرة شواهد ، فلم يزالوا على هذه الحالة ، و هم بالأندلس حتى تحقق صاحب الاندلس تقرر هذا و تخوف منهم علة نفسه فأخذهم.....اجلاهم الى تونس.**"[2]

– العامل الديني:

الى جانب هذه العوامل التي دفعت بشدة الأندلسيين العرب من التخلي عن بلادهم الاندلس ، هناك عامل كان له نصيبا في ذلك و هو عامل الدين، فالكل يعلم ان المسلم و النصراني كان يتعايشان منذ زمن طويل في اسبانيا ، و كان كل واحد منهما سيدا في زضه و يتعامل مع الاخر المثل بالمثل، و لكن منذ دخول الملكين الكاثوليكيين غرناطة، اصبح المسلم في أي مكان ومن اسبانيا مهزوما، و ان كان من الظاهر من الناحية القانونية مازال يتمتع بنفس حقوق المواطنة على

[1]- علي أحمد علي كرير، المرجع السابق ، ص،ص،84-85.
[2]- علي أحمد علي كرير، المرجع نفسه ، ص،ص،84-85.

حد قول الدكتور أحمد كانون، إذ يمكن الحديث عن معايشة بين جماعيتين، لكنه في الحياة الواقعية العامة، بدا ضغط المنتصر و قهره يزداد يوما بعد يوم حتى وصل الى التفكير بإنهاء وجود هذه الاقلية.[1]

هكذا شكّل اعتناق اسبانيا للمذهب الكاثوليكي، على حساب المذهب الاريوسي ثم النزعة الصليبية للكنيسة و لرجال الدين، ورغبتهما في نشر المسيحية سببا في اضطهاد المسلمين و محاولة تنصيرهم قسرا، فظهرت هذه النزعة منذ وقت مبكر في الأندلس، فقد أعفت الكنيسة الاسبان من المشاركة في الحملات الصليبية في المشرق، واعتبر البابا ان حروب ملوك اسبانيا مع مسلمي الاندلس هي حروب صليبية، و اشتد الصراع خاصة عقب سقوط غرناطة، واتبعت في تحقيق هاته النزعة كل الوسائل من سياسة الإغراءات و تطبيق قرارات و مراسيم التي اصدرها الملكان في ادماج و تنصير المسلمين، و امام فشل فاعلية هذه القرارات و المراسيم، تم تفويض مهمة تنصير المسلمين و اجتثاث عقيدتهم، الى محاكم التفتيش* ودفعهم الى الاندماج. و هذا ما دفع بالأندلسيين الذين لم يتحملوا ذلك الخروج الفوري من إسبانيا متجهين الى بلدان المغرب الاسلامي.[2]

هذه أهم الأسباب التي دفعت المهاجرين الأندلسيين لترك بلادهم و التحول صوب بلدان المغرب الاسلامي، إضافة إلى عوامل اخرى سنستدرجها لاحقا.

2- مراحل الهجرات الأندلسية:

---

[1]- أحمد كانون و هاشم السقلي، المرجع السابق،ص،69.

* انظر فصل المصطلحات من الاطروحة .

[2]- أحمد كانون و هاشم السقلي، المرجع السابق،ص،ص،69-70

مما لا شك فيه، ان العلاقة التي تربط الاندلس ببلاد المغرب كانت وثيقة و عميقة و متعددة المجالات منذ الفتح الاسلامي،و مرورا بجميع العصور التاريخية اللاحقة، ومن ثم لا يمكن حصر الهجرة الاندلسية في فترة زمنية معينة و محدودة، لأن الهجرة الأندلسية الى العدة المغربية كانت حاضرة، في مختلف الفترات التاريخية بأعداد قليلة أو كثيرة[1].

من ثم يمكن تقسيم المراحل التي مرت بها الهجرة الاندلسية إلى مرحلتين أساسيتين على حد قول الدكتور محمد سعداني؛ مرحلة ما قبل سقوط الخلافة الاموية بالأندلس، و مرحلة ما بعد سقوطها، على اعتبار أنً انهيار الخلافة الأموية و تفككها، هو المؤثر الأول في تغير مسار الهجرات الاندلسية و طبيعتها، لأنه بزوال سلطة الأمويين و أفول شمس خلافتهم، انتقلت بلاد الاندلس، من القوة إلى الضعف و من الوحدة الى التفرق، و من دولة مركزية متماسكة ذات هيبة و بأس الى دويلات متقاتلة، أطمعت النصارى الاسبان في اكتساح المدن الاندلسية، فكان هذا الأمر بداية للهجرات القسرية الجماعية للأندلسيين،فرارا من الصراعات الدولية للملول الطوائف و من خطر الغزو النصراني الإسباني.[2]

يشير الأستاذ جمعة شيخة إلى أنً العد التنازلي للوجود العربي بالأندلس قد بدأ منذ بداية القرن 5هـ/11م، إثر سقوط الخلافة الأموية بقرطبة، و انتثار عقد الجزيرة بانقسامها إلى عدة دويلات ضعيفة و متناحرة، فكانت محاولات المرابطين في نهاية القرن5هـ/11م،ثم الموحدين في نهاية القرن 6هـ/12م ناجعة لإطالة عمر الدولة العربية بالأندلس.[3]

---

[1]- محمد سعداني، الأندلسيون و تأثيراتهم الحضارية في المغرب الاوسط من القرن السابع الى القرن التاسع الهجريين/ القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر الميلاديين، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ و الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران- احمد بن بلة- الجزائر،2015، ص،81.

[2]- محمد سعيداني، المرجع نفسه.

[3]- محمد سعيداني، المرجع السابق،،ص،81.

لكن هذه المحاولات، سرعان ما باءت بالفشل ابتداء من القرن 7هـ/13م، و لم يجد الأندلسيون تحت ضغط حركة الاسترجاع المسيحية من سبيل للخلاص بدينهم و أنفسهم إلا الهجرة الى العدوة الافريقية(المغرب الاسلامي)،و في هذا المجال يقول ابن خلون:" **أما المغرب فانتقل إليهم منذ دولة الموحدين من الأندلس حظر كبير و انتقل من أهلها طوعاوكرها."**[1]

تمت هجرة مسلمي الاندلس إلى المغرب الإسلامي، على مراحل ثلاث أولها؛ الهجرة الاختيارية لبعض المجموعات منذ بداية سقوط الحواضر الإسلامية، مثل قرطبة و إشبلية في القرن السابع الهجري/للقرن الثالث عشر الميلادي، والموجة الثانية للهجرة بعد سقوط غرناطة(897هـ/1492م)، و أخيرا موجة الهجرة الاجبارية بعد مرسوم طرد المسلمين نهائيا من إسبانيا بعد قرون و نيف من سقوط غرناطة[2]وهذا الاختلاف بمعنى تقسيم مراحل الهجرات تختلف من منطقة لأخرى من مدن المغرب الأوسط و المغرب الادنى و كذا المغرب الاقصى، وسبب هذا الاختلاف سنتطرق إليه.وعموما فمراحل الهجرات إلا المغرب تنقسم إلى :

– الهجرة الاندلسية خلال القرن 7هـ /13م(الهجرة الاختيارية):

لقد كانت للهزيمة التي مني بها الموحدون بالأندلس في معركة العقاب، في بداية القرن7هـ/13م الآثار السيئة على مصير الخلافة الموحدية، وقد انهار الجدار

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد الله محمد درويش،ط1، دار البلخي، دمشق،2004،ص،45.
[2]-محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي – خروج العرب من الأندلس التطهير العرقي و جرائم الابادة الجماعية ضد المسلمين في اسبانيا، ط1، دار الكتاب الحديث،2012ص،228. انظر ايضا جمعة شيخة، **" المنشآت و التحصينات الاندلسية بالبلاد التونسية "** ،أعمال ندوة تاريخ التحصينات بالبلاد التونسية ايام 4 و 5 و 6 اكتوبر1999، ادارة العمل الاجتماعي و الإعلام و الثقافة،، تحقيق و انجاز دائرة الإعلام و الثقافة، وزارة الدفاع الوطني، الجمهورية التونسية، جويلية ،2001،ص،89.

الذي كان يحمي المسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية، وأصبحت جل المدن الكبرى بالأندلس معرضة للخطر النصراني مباشرة، وقد عرف هؤلاء كيف يستغلون الفرصة للانقضاض على فريستهم و بدؤوا يخططون للاستيلاء على أهم المدن في شرقي الاندلس ووسطها و جنوبها، فكان سقوط قيجاطة و لوشة و قرطبة و بلينسية و شقر و جيان واشبيلية، وكانت الهجرة من العدوة الاندلسية إلى العدوة الإفريقية حسب جمعة شيخة، أحد الحلول التي اضطر إليها الأندلسيين مقتنعين أو مجبرين، وكان أغلب المهاجرين من العلماء الكبار و القضاة المحنكين و الشعراء الفحول و الكتاب المهرة.[1]

– الهجرة الاندلسية بعد سقوط غرناطة بعد 897 هـ /1492م:

تمت هذه الهجرة أي هجرة مسلمي الأندلس، إثر سقوط آخر معقل للعرب في الأندلس و هو مدينة غرناطة عاصمة الدولة النصرية، و كان سقوطها خاتمة محتومة لصراع مرير دام حولي ثلاثة قرون بين قوتين غير متكافئتين، و حاول الملكان الكاثوليكيان فردناند و إلزابيت عند ابرام وثيقة الاستسلام، أن يوفرا للمسلمين في غرناطة كل الضمانات للبقاء في أرض أجدادهم، و لكن هذه الوثيقة و ما فيها من عهود لم تكن الا وسيلة للتعجيل باستسلام المدينة، فقد نقضت هذه الشروط الخلابة كلها لأعوام قليلة من تسليم غرناطة.[2]

و هكذا أصبحت الهجرة إلى أرض الإسلام بالنسبة إلى الأندلسيين، شغلهم الشاغل بعد أن أفتى بوجوبها بعض فقهاء العدوة الافريقية.[3]

الهجرة الاندلسية الكبرى سنة 1017هـ /1609م.

---

[1]- جمعة شيخة، المرجع السابق، ص،89.
[2]- جمعة شيخة، المرجع نفسه.
[3]- جمعة شيخة، المرجع السابق ، ص،90.

مهما كان عدد المهاجرين الأندلسيين قبيل سقوط غرناطة و بعد سقوطها كبيرا، فإنً من بقي منهم بأرض الآباء و الأجداد كان عددا لا يستهان به، و قد عمل التعصب الديني مجسما فيما عرف في التاريخ الإسباني بمحاكم التفتيش، و قد ذكرناها في أسباب الهجرة على تصفية هذه الأمة الأندلسية تصفية حضارية و دينية و أخيرا جسمية، فضلت الحالة تزداد كل يوم سوءا بعد سوء، حتى امتلأت القلوب حقدا و كراهية، و بعد فشل و عجز كل المحاولات و الطرق الإسبانية اللاإنسانية عن تنصير الموريسكيين، أو عن سحق كيان هذه الأمة الإسبانية و اضطهادها و القضاء عليها، جاء قرار الطرد أو النفي النهائي لجميع مسلمي الاندلس في بداية القرن 11هـ/17م، و بالتحديد22 سبتمبر1609م، و كان من طرف فليب الثاني[1]، فكان كالصاعقة مفاجأة شديدة الوقع على الجميع ليضاعف معاناتهم، فظلت السفن الاسبانية تلقى بهم على الشواطئ المغاربية، و استمرت هذه السفن شهورا بل اعواما، تحمل أكداسا من تلك الكتل البشرية المعذبة، فتلقى بها هنا و هناك في مختلف الثغور الافريقية التونسية خاصة الى السواحل الجزائرية... *[2].

3- أقاليم و مواطن المهاجرين الأندلسيين:

شهدت بلدان المغرب الاسلامي توافد هجرات جماعية و فردية من بلاد الاندلس، وتنوعت ما العديد من الأقاليم نذكر من أهمها المغرب الأقصى و المغرب الأدنى و كذا المغرب الأوسط .

---

[1]- جمعة شيخة، المرجع نفسه،ص،90.

[2]- جمعة شيخة، نفسه،ص،ص،90-91. انظر ايضا قدور عبد المجيد، المرجع السابق،ص،173. و محمد حسن العيدروس، العصر الاندلسي – خروج العرب من الأندلس ..... ص،228 .

* عن قرارات الطرد و المعاملة الاضطهادية الاسبانية لمسلمي الاندلس انظر محمد حسن العيدروس ، المرجع نفسه، ص،ص،18-230.

أ – هجرات الاندلس إلى المغرب الأدنى:

هاجر عدد كبير من مسلمي الأندلس على الأراضي التونسية، وقدر عددهم بنحو ثمانين ألفا، وأكد الشهاب الحجري هذا الكلام بقوله[1]:"...**بلغ نهاية جميع الأندلس بصغارهم ثمان مائة ألف مخلوق، أكثرهم خرج إلى تونس"، كما أشار المقري لذلك بقوله:**" فخرجت ألوف بفاس وألوف أخرى بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج إلى تونس".[2]

استقبل الأندلسيون استقبالا حسنا بتونس، سواء على مستوى الأفراد أو على المستوى الرسمي، فعلى المستوى الرسمي أكرمهم حاكم تونس عثمان داي(1002هـ– 1019هـ/1593م–1610م)، وأوسع لهم في البلاد وفوق ضعفاهم على الناس لرعايتهم ،وأذن لهم أن يعمروا حيث شاءوا واشتروا الهناشير*، و بنوا فيها واتسعوا في البلاد، واستوطنوا في عدة أماكن كسليمان وبلي و نبال و قرنبالية وتركي والجديدة وزغوان وطبربة وقريش الواد ومجاز الباب و الصلوقية وتستور[3]، وغرسوا فيها الكروم والزيتون ومهدوا الطرق بالكراريط** للمسافرين[4]، أما على مستوى الأفراد فقد بادر التونسيون إلى تقديم المساعدات لفقرائهم وضعافهم، وكان الولي الشهير سيدي أبو الغيث القشاش*، يتصدق عليهم بألف وخمسمائة قرصة خبز كل يوم[5].**(الخريطة(10))**

---

[1]- شهاب الدين أحمد بن قاسم الحجْري، رحلة أفوقاي الأندلسي مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، تحقيق: محمد رزوق، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2004، ص،58.

[2]- أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب.....مج4،ص،528.

*الهناشير: مفرد هنشير وهو مصطلح خاص بمنطقة المغرب الإسلامي يقصد به الأراضي الكبيرة الشاسعة.

[3] محمد بن أبي دينار أبي عبد الله محمد، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (د. م)، 1286هـ ، ص.193.

** الكراريط: جمع كَريطة وهي كلمة إسبانية تعني آلة تنقل ومنها جاءت الكلمة الدارجة كروسة. أنظر: نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص،256.

[4] محمد ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص، 193.

* أبو الغيث القشاش هو أبو الغيث غالب بن محمد القشاش ولد بتونس، كان صوفيا وزاهدا عاش في القرن 11هـ/17م.

[5] أحمد بن قاسم الحجري، المصدر السابق، ص،58.

لا شك أنً الأندلسيين المهاجرين وجدوا في إفريقية (تونس) المكان الأنسب للعيش في أمن و استقرار، فقد كانت افريقية بداية من القرن7هـ/13م نتيجة لأسباب متعددة منها الحروب و الفتن و الاوبئة – تشكو فراغا ديموغرافيا- ، بدأ يستفحل في القرون الموالية، لذا رحب حكام تونس، منذ قيام الدولة الحفصية إلى حلول الاتراك العثمانيين بالإيالة، بهؤلاء المهاجرين و فسحوا لهم المجال للاستقرار في اماكن متعددة كمدينة تونس و ضواحيها، وعلى طول نهر مجردة في الوطن القبلي.[1]

في البداية، شهدت الدولة الحفصية توافد العديد من الأسر الأندلسية، خاصة في فترة الازمات السياسية للأندلس[2]، وتشير بعض الدراسات التاريخية أنً الوجود الأندلسي ببلاد المغرب الادنى يعود الى زمن مبكر، و لعل ذلك مرده أنً الدولة الأموية كانت تبحث لها عن قاعدة أندلسية أمامية في المغرب، تقف بها في وجه المد الفاطمي، ولهذا لجات الى الشواطئ المغربية، وأسست فيها قواعد لها لضرب مخططات الفاطميين و الحد من توسعهم و انتشار مذهبهم.[3]

عرفت الأجزاء الشرقية من المغرب الأوسط التي خضعت لسلطان الحفصيين، توافد عدد كبير من الأندلسيين خاصة مدينة بجاية، التي عرفت تطورا حضاريا ملحوظا، بل كان يزداد العدد من قرن إلى آخر، و ظهر بها لأول مرة مصطلح (رأس الجماعة الاندلسية)[4]وأقدم العهود الفترة الحمادية، حيث استقبلت مدينة بجاية الناصرية العديد من المهاجرين الاندلسيين، خاصة بعد أن اصبحت عاصمة للدولة

---

[1]- جمعة شيخة، المرجع السابق،ص،91.

[2]- البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،(د س) ص،61.انظر ايضا ابن الحوقل ابي القاسم النصيبي، المصدر السابق، ص،133

[3]- عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و بلاد المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص ، ص،96-109.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية- مظاهر التأثير الايبيري و الوجود الاندلسي بالجزائر، دار الغرب الاسلامي، ط1،لبنان ،104.

الحمادية، و يشير البكري الى الوجود الاندلسي بهذه المدينة منذ القرن الرابع الهجري فيقول:" **مدينة بجاية ازلية آهلة عامرة باهل الاندلس.**" و يبدو ان توافد الاندلسيين عليها خلال هذه الفترة كان له علاقة بالجانب التجاري حيث ازدهرت المبادلات التجارية بين موانئ المغرب و الاندلس، و يشير البكري قائلا:" إنهم يتوافدون عليها لغرض النشاط التجاري.[1]

لقد مثلت بجاية ملجا سياسيا مهما بالنسبة للأندلسيين لا يسما في فترة الازدهار الحضاري[2]، وممن لجا إليها نذكر على سبيل المثال علي بن مجاهد العامري صاحب دانية* و كذا معز الدولة بن صمادح حاكم المري ة بعد استيلاء يوسف بن تاشفين عليها فاستقبله المنصور بن الناصر بن عليناس و اقطعه دلس و ضواحيها.[3]

لكن أهم هجرة عرفتها الاندلس باتجاه المغرب الادنى كانت في مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي اثر انهيار الثغور و المدن الواقعة بشرق الاندلس، وعلى الخصوص مدينة بلنسية التي سقطت سنة 636هـ/1238م، و اشبيلية سنة 646هـ/1248م.[4]

و يمكن تقسيم مراحل الهجرة الأندلسية تجاه الدولة الحفصية الى مرحلتين أساسيتين:

---

[1]- البكري ، المصدر السابق،ص،82.

[2]- ابن خلدون، العبر،ج6.....ص،248.

*فر من ابن الحجاج قائد يوسف بن تاشفين، و قد نزل عند الناصر بن علناس فاكرمه. انظر ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص،248.

[3]- ابن ابي عبد الله محمد بن الآبار، الحلة السوداء، تحقيق، حسين مؤنس،ج2،دار المعارف، القاهرة، د.ت،ص،90.

[4]- مريم بوعامر، الهجرة الاندلسية الى المغرب الادنى و دورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7 و9 هـ - 13 و15 م، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في تاريخ المغرب الاسلامي، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2009 -2010،ص،46.

- **المرحلة الاولى: قبل سقوط غرناطة 897هـ/1492م**: و هي الفترة الممتدة من قيام الدولة الحفصية سنة 624هـ/1226م الى غاية سقوط مدينة غرناطة، و قد عرفت خلالها توافد و استقرار العديد من المهاجرين والاندلسيين، وهناك المجموعة من العوامل التي دفعت بالأندلسيين الى الاستقرار بالمغرب الادنى دون غيره من المناطق اهمها:

- **العلاقات الودية التي جمعت بين الأسرة الحفصية و أهل الأندلس**؛ ذلك أنً الأسرة الحفصية التي كان مؤسسها أبو محمد عبد الواحد، قد استقرت بالأندلس قبل انتقالها الى افريقية، فكان الحفصيون يميلون إلى أهل الاندلس، و يقدرون مواهبهم لخدمة دولتهم و سياستهم، لذلك أحسنوا استقبالهم، ومنحوهم مناصب مهمة في الدولة.[1]

- **الاستقرار النسبي** الذي كانت تتمتع به تونس دون غيرها من المناطق، مما جعلها الملاذ الأخير للمهاجرين الذين ضاق بهم الامر بالمغرب، بسبب الفتنة التي كانت تهزه، و يشير ابن خلدون في هذا المجال بقوله: "**و لما تكالب الطاغية على العدوة و التهم ثغورها و اكتسح بسائطها و اشق على قواعدها و امصارها اجاز الاعلام و اهل البيوت الى الارض المغربين و افريقية**"، و كان قصدهم إلى تونس لاستفحال الدولة الحفصية بها.[2]

- الانهيار الديموغرافي الذي عانت منه إفريقية منذ منتصف القرن الثامن الهجري/للقرن الرابع عشر الميلادي، مما فتح المجال أمام الوافدين الأندلسيين لاستثمار مواهبهم في قطاعي التجارة و الصناعة على الخصوص، بالإضافة الى الميدانيين الفكري و السياسي.[3]

---

[1]- محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب،ط1،مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء ،1991،ص،28.
[2]- ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر،ج6.....ص،238.
[3]- محمد رزوق، المرجع السابق،ص،28.

- **الموقع الجغرافي لمدينة تونس بخاصة و بلاد افريقية بعامة؛** إذ اعطاها الموقع التي تتمتع به، أن تكون ارضا للمسلمين المطرودين من الأندلس أو القادمين من المشرق و مركز عبور للراغبين في اداء فريضة الحج، و الرجوع منه و مواصلة الدراسة و ممارسة التجارة و الاستقرار بها.[1]

- **المصاهرات بين أهالي الاندلس و تونس؛** اذ شكلت هذه المصاهرات بين الطرفين دورا كبيرا في وفود الاندلسيين الى افريقية ، و يكفي ان ام الخلفاء الحفصيين جارية اسبانية.*

- **الحياة العلمية و الفكرية المتقدمة في افريقية؛** اذ شكلت المدارس التي انشئت في مدينة تونس دورا كبيرا في جذب العلماء الاندلسيين منذ القدم، لكنها ازدادت جذبا أيام الحفصيين، حيث امتهن بعض الاندلسيين مهنة التدريس، و كان اهم المدارس المدرسة الشماعية التي اسسها أبو زكريا الحفصي سنة 629هـ/ 1231 م.*

هكذا ساهمت هذه العوامل مجتمعة في تدفق اعداد كبيرة من الاندلسيين الى عاصمة الحفصيين تحديدا (تونس) و يشير ابن حزم القرطاجني في قصيدة طويلة اولها:

فتونس تؤنس الابصار رؤيتها ***** و تمنح الاسم و الاسماء و الامما

كأنما الصبح فيها ثغر مبتسم ***** وجوه الليل فيها حورة و لمى

قد ندى فيها الاس الى اهل الاندلس***** و الانس فيها عليهم رنده قدما

---

[1]-علي احمد علي كركير ، المرجع السابق،ص،90.

* للتوسيع اكثر في هذا المجال أنظر علي احمد علي كركير ، المرجع نفسه، ص،ص،90-91.

* للمزيد أكثر أنظر علي احمد علي كركير، المرجع السابق،ص،ص،91-92.

و ابدلوا جنة من جنة حرموا ***** منها و قد يوار و من ظلها حرما[1]

نعود الى موضوع مراحل الهجرة بالنسبة للمغرب الادنى؛ فأول نزوح للأندلسيين كان باتجاه جنوب الاندلس، ورأى البعض منهم ان هذا النزوح ما هو الا خطوة لنزوح آخر لذلك انتقلوا الى العدة المغربية فور نزوحهم الأول، و أكبر عمليات النزوح الجماعية وقعت في القرن 7 هـ/13م،عندما سقطت مدينة اشبيلية، و يعتقد ان عدد النازحين وصل الى مئات الالاف. [2]

أما فيما يخص الهجرة الكبرى نحو افريقية الحفصية، فقد تمت بعد سقوط مدن الاندلس الكبرى خاصة بعد بلنسية(636هـ/1238م)، واتخاذ قرارات الطرد ضد السكان،فهاجرت جاليات مهمة من شرق الاندلس الى غرناطة أولا، ومن المغرب و افريقية بالخصوص، حيث كونوا جاليات متميزة من غيرها.[3]

و الجدير بالذكر أنً معظم هذه الجاليات كانت من الاسر الاندلسية العريقة، التي لعبت دورا بعيد الأثر في تاريخ الاندلس السياسي و الثقافي[4]، ومن بين هذه الأسر؛ أسرة ابن الآبار الذي غادر الاندلس سنة 637هـ/1240م، مباشرة بعد سقوط بلنسية و فضل الإقامة في ضل الحفصيين، فاتجه أولا إلى بجاية و هناك استقبله أبو يحي بن ابي زكريا وولي عهده، و لم يقم ابن الابار طويلا في بجاية كبيرا، فقد كانت تونس هدفه، فاتجه اليها و عمل في البلاط الحفصي كاتبا لدى الخليفة الحفصي أبو زكريا، ثم تولى الانشاء و العلامة في عهد الخليفة المستنصر (647-675هـ).[5]

---

[1]- علي احمد علي كركير المرجع السابق ، ص،ص،92-93.
[2]- عادل السعيد بشتاوي، الاندلسيون المواركة ، ط1،القاهرة ،1983. ص،102.
[3]- محمد الطالبي،" **الهجرة الاندلسية الى افريقية ايام الحفصيين**"، مجلة الاصالة، العدد 26، وزارة التعليم الاصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر،1975 ، ص،54.
[4]- الطاهر أحمد المكي ، دراسات اندلسية ، ط3،دار المعارف ، القاهرة،1987،ص،273.
[5]- مريم بوعامر، المرجع السابق،ص،ص،47-48.

تاتي بعد المجموعة الأولى أكثر أهمية و هي جالية غرب الاندلس، التي هاجرت بعد ضياع اشبيلية سنة 646هـ/1249م، ويتمثل أهميتها في أنها كانت مقربة أكثر من الأولى من أبي زكريا الحفصي و أبنائه من بعده، و يشير ابن خلدون اليها بقوله:" **كانت لأهل اشبيلية خصوصا من بين اهل الاندلس و صلة بالأمير ابيزكريا بن عبد الواحد بن ابي حفص و بنيه منذ ويته غرب الاندلس**".[1]

من بين الأسر التي هاجرت الى المغرب ضمن المجموعة الثانية؛ أسرة ابن الدباغ التي لقيت حضرة أبي زكريا الحفصي، و ارتقت الى مناصب الحجابة و نجد ذكر لهذه الاسرة عند ابن خلدون اذ يقول:"**وكان من خير ابن الدباغ هذا إنً ابراهيم أباه وفد على تونس في جالية اشبيلية سنة ستة و أربعين و سبع مئة، فولد هو بتونس و نشا بها و أفاد صناعة الديوان و حسابته**"[2]. أما فيما يخص أهم الأسر التي هاجرت نحو تونس؛ أسرة ابن سيد الناس التي بلغت مبلغا عظيما في الدولة الحفصية، حيث تقلد افرادها وضائف مهمة في تسيير شؤون الدولة، كالحجابة في عهد الخليفة ابي فارس و ابنه زكريا، و يشير ابن خلدون في حديثه عن ولاية ابي فارس فيقول:".....**ذلك أنً اباهما أبا بكر بن سيد الناس كان من بيوت إشبيلية حافظا للحديث رواية له، ظاهريا في فقمه على مذهب داود و أصحابه**...".[3]

نشير إلى أنً معظم المهاجرين الذين استقروا بالمغرب الأدنى، كان جلهم من الفقهاء و العلماء و الادباء، وقد تمت هجرتهم عقب الفتوى التي أصدرها الونشريسي*، و التي توجب الهجرة قائلا:" إنً الهجرة من أرض الكفر إلى أرض

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج6،ص،237.
[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ص،256.
[3]- عبد الرحمن ابن خلدون، نفسه، ص ،437

* الونشريسي: هو احمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي من أهل تلمسان ولد بها سنة 834هـ/1428م، متخصص في علوم الشريعة الاسلامية و اصول الفقه، توفي سنة 914هـ/ 1508م،و من اشهر مؤلفاته " المعيار المعرب و الجامع المغرب في فتاوي علماء افريقية و الاندلس و المغرب"، انظر ابو العباس احمد بن احمد التبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، هامش على ديباج ابن فرحون، مطبعة الفحامين ،مصر،1351هـ،ص،ص،87-88.، ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الاولياء و العلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 ، ص،53.

الإسلام فريضة الى يوم القيامة، و كذلك الهجرة من أرض الحرام و الباطل بظلم أو فتنة.[1]

يواصل الونشريسي قائلا:" **و لا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولوا الطاغية لعنه الله على معاقلهم و بلادهم ، إلا تصور العجز عنها بكل وجه و حال و لا الوطن و لا المال**"، و يستدل على ذلك بقوله تعالى[2]:﴿ **إلا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا**﴾.[3]

- **المرحلة الثانية : بعد سقوط غرناطة**: وهي المرحلة التي اعقبت سقوط غرناطة و هو افجع ما حصل للمسلمين بالأندلس، و قد عرفت هذه المرحلة اشتداد حركة الهجرة بشكل ملحوظ مقارنة بالمرحلة الاولى، اذ تحولت الهجرة المحدودة إلى هجرات جماعية[4]. ومما أجبر على الهجرة و النزوح الى المغرب هو إنشاء محاكم التفتيش التي تهدف الى تنصير المسلمين، بإشراف الكنيسة و تطبيق أشد العذاب، إضافة الى تشدد فتاوي العلماء في وجوب الهجرة، و قد استنكروا البقاء في ديار الكفر، و حثوا على ضرورة الهجرة، وقد أفتى الونشريسي بعدم جواز الإقامة في ديار الكفر، في شأن رجل من الأندلسيين التمس موافقة الفقهاء على البقاء في الأندلس، لمعاونة إخوته الضعفاء و التكلّم باسمهم عند السلطات و مداخلة الرؤساء، و قال في هذا الصدد: " **و الاعتدال لإقامة الفاضل المذكور بما عرض من غرض الترجمة بين الطاغية و اهل ذمته من الدجن، و العصاة لا يخلص من واجب الهجرة و لا يتوهم معارضته ما سطر في السؤال من الاوصاف الطردية لحكمها**

---

[1]- أبو العباس احمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المعرب و الجامع المغرب في فتاوي علماء افريقية و الاندلس و المغرب، أخرجه محمد حجي و اخرون، ج2،دار الغرب الاسلامي ، بيروت،1981،ص،119.

[2]- ابو العباس احمد بن يحي الونشريسي، المصدر نفسه ،ص،120.

[3]- الآية 98 ، من سورة النساء.

[4]- مريم بوعامر، المرجع السابق،ص،50.

بالواجب إلا متجاهل أو جاهل معكوس الفطرة، ليس معه من مدارك الشرع خيرة لأن مساكنة من غير أهل الذمة و الصغار لا تجوز و لا تباح ساعة من النهار....".[1]

يشير الونشريسي و يؤكد على وجوب الهجرة لارتباطها بالعقيدة الصحيحة، وذلك بقوله بعد عرض طويل لقواعد الإسلام فيقول:" **فكيف يتوقف متشرع أو يشك متورع في تحريم هذه الإقامة مع استصحابها لمخالفة جميع هذه القواعد الإسلامية الشريفة الجليلة".**

كل هذا كان سببا في هجرة الكثيرين من سكان الاندلس خلال هذه المرحلة، و مما يلفت النظر و يؤكد على ارتفاع عدد المهاجرين، أنً عدد سكان مملكة غرناطة كان يقدر قبل سقوطها في سنة 886هـ/1482م بأكثر من مليونين إن صحت الوثائق، التي تقدر من تبقى من المسلمين في مملكة غرناطة بحوالي ثلاثمائة الف، فمعنى ذلك فإنً الهجرة بلغت حدا عاليا جدا[2]. أما عن وجهة معظم المهاجرين؛ فكانت إلى بلاد المغرب الأدنى نتيجة للعوامل التي سبق ذكرها، و قد أشار المقري الى ذلك قائلا:" ...**و خرجت ألوف بفاس و ألوف آخر بتلمسان من وهران، و جمهورهم خرج بتونس، فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم، و هذا ببلاد تلمسان و فاس ، و نجا القليل منهم من هذه المعرة، و أما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم، وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية و بلادها..**"[3]. وفي هذا القول إشارة إلى أنً المهاجرين قاموا بتعمير البلاد و قراها، كما ساهموا بشكل كبير في الازدهار الحضاري للمغرب الادنى، بفضل ما حملوه معهم من معارف و خبرات جديدة.

---

[1]- مريم بوعامر، المرجع السابق،ص،50..
[2]- مصطفى شاكر، موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها،ج2،ط1،دار العلم للملايين،1993،ص،1333.
[3]- أحمد المقري، نفح الطيب، ج4.....ص،528.

هكذا بدأت موجات المهاجرين من الأندلس تتجه الى تونس، بعد تساقط المدن الأندلسية التي اشرنا اليها في أواسط القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ورحبت بهم دولة بني حفص ووجدت الجالية الاندلسية في تونس التقدير و الاحترام، فقاموا بخدمة بني حفص في المجالات الثقافية و الاقتصادية و الإدارية، بفضل ما كان يتمتع به الاندلسيون من قدرات و مواهب في هذه المجالات.[1]

جاءت اولى الجاليات الى تونس من شرق الاندلس بعد سقوط بلنسية سنة 631هـ/1238م، ثم توالت الهجرة على إثر سقوط مرسية، وأخذت تتزايد بتزايد الاضطهاد الذي تعرض له المسلمون في تلك المدن، من اغتصاب الارض و التضييق عليهم من جميع النواحي، الأمر الذي أدى إلى ثورة أهالي بلنسية سنة 647هـ/1254م، واستمرت ثورتهم ثلاث سنوات، وحين تم القضاء عليها، اتخذت بحق المسلمين قرارات انتقامية من ضمنها التضييق على المسلمين حتى يهاجروا الى خارج البلاد.[2]

أما الجالية التي جاءت من غرب الأندلس، فقد توجه قسم كبير منها إلى تونس بعد سقوط اشبيلية سنة 646هـ/1249م،و لقيت هذه الجالية العناية و الرعاية من قبل أبي زكريا يحي بن ابي حفص و خلفاؤه، و التي كانت علاقته بأهل اشبيلية متميزة منذ ولايته على غرب الاندلس، وكانت الجالية الأندلسية تشمل فئات مختلفة من الاعيان، و ذوي الجاه و اليسر، بالإضافة الى جماعات من عامة الناس، وأصبح لهم نفوذ واسع في البلاط الحفصي.[3]

---

[1]- أحمد المقري، المصدر نفسه.
[2]- محمد عبده حتامله و آخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،914.
[3]- محمد عبده حتامله و اخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،914.

لقد ذكر ابن خلدون في العبر أنه لما تكالب الطاغية على العدوة (الاندلس) و التهم ثغورها و اكتسح بسائطها، و أسف إلى قواعدها و أمصارها، أجاز الاعلام و أهل البيوت إلى أرض المغربيين(الأوسط والاقصى)وافريقية(تونس)،وكان قصدهم الى تونس اكثر لاستفحال الدولة الحفصية.[1]

أما الموجة الثانية من هجرة الاندلسيين إلى تونس و غيرها من أقطار المغرب العربي، فقد حدثت في أعقاب مرسوم التهجير القسري الصادر سنة 1019هـ/ 1609م.[2]

و كانوا هؤلاء المهاجرون على أصناف ثلاثة:

- النخبة الأندلسية من كبار العلماء وأغنياء التجار ومهرة الحرفيين، سكنوا مدينة تونس.
- زراعو البقول و صغار الصناع،سكنوا في مناطق قريبة من العاصمة كأريانة و الجديدة و طبرنة، و كانوا يأتون بإنتاجهم إلى الحاضرة من الخضراوات و الشاشية و الخزف و الحرير.
- كبار الفلاحين من أهل الريف الأندلسي،وعددهم كان أكبر من الصنفين الأولين، و قد استقروا في المناطق الخصبة التي يتوفر فيها الماء، لذا لا نستغرب أن يستقر أغلبهم في حوض مجردة . أما المناطق التي يقل فيها الماء فقد استعمل الأندلسيون طواحين الريح، لاستخراج الماء من باطن الأرض كما في منطقةزغوان و الوطن القبلي وفي منطقة الرأس الطيب*، قام أندلسي يدعى "مصطفى قردناش **Moustaphas de Cordenas**" بزراعة ثلاثين ألف شجرة زيتون مع عدد كبير من أشجار اللوز، وجلب المياه من الجبال المجاورة عبر قنوات مائية صغيرة، وكان

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج6.....ص،437

[2]- محمد عبده حتامله و اخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،915.

* رأس الطيب: يسمى أيضا باسم رأس الدار ويقع بالزاوية الشمالية الشرقية لشبه جزيرة الوطن القبلي غير بعيد عن مدينة الهوارية.

يملك ثلاثمائة عبداً لخدمة الأرض، ونظرا لهذه الثروة الطائلة طرده حاكم تونس ليستحوذ عليها، لجأ إلى مدينة عنابة[1]، أما فئة الصناع والحرفيون الأندلسيون، فقد اختصوا بصناعة الشاشية ونسيج الحرير ونقش الرخام والجبس والنحاس والزليج.[2]

هكذا وبعد صدور هذه الفتوى و سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في الاندلس، ارتفع عدد مهاجري مسلمي الأندلس على الأراضي التونسية، و قدر عددهم بنحو ثمانين ألفا، وأكد الشهاب الحجري هذا الكلام بقوله:"...**بلغ نهاية جميع الأندلس بصغارهم ثمان مائة ألف مخلوق، أكثرهم خرج إلى تونس**"[3]، كما أشار المقري لذلك بقوله:" **فخرجت ألوف بفاس وألوف أخرى بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج إلى تونس**".[4]

إن السمة البارزة في الوجود الأندلسي بتونس كما في الجزائر، هو انصرافهم عن السياسة انصرافا تاما وكاملا وتوجههم إلى نقل مظاهر الحياة الأندلسية في شتى الميادين فقد استقر الأغنياء والوجهاء والمثقفون بالعاصمة وأنشأوا لهم أحياء خاصة مثل: "حومة الأندلس" وزّقاق الأندلس"، وأنشئوا بحومة الأندلس سنة 1034هـ/1624م جامعا سموه "جامع سبحان الله"، وبعد سنوات وسعوا هذا الجامع لإنشاء مدرسة أطلق عليها " المدرسة الأندلسية" تختص بتعليم العلوم الشرعية،كما اهتم الأندلسيون بتشييد عدة مساجد أخرى من أهمها،المسجد الشهير بمدينة تستور ومسجد قرية العالية وهي من بين القرى الكثيرة الّتي بناها الأندلسيون في بداية القرن 11هـ/17م في منطقة بنزرت.[5]

1- J A ,Peyssonel ,Voyage dans la régence de Tunis et d'Alger , Ed ,la découverte ,Paris,1987,p,125.

2- محمد قشتيليو، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها،(د.م)،2001، ص،40.

3- أحمد بن قاسم الحجري، المصدر السابق، ص.58.

4- أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب،مج،4.....ص. 528.

5- مليكة بن مصباح، مليكة بن مصباح، التأثيرات الأندلسية على العمارة والفنون التطبيقية في الجزائر خلال الفترة العثمانية، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة بزريعة 2، معهد الاثار(اب و القاسم سعد الله)،2017-2018 ،ص،56.

تذكر المصادر العربية و الإسبانية أنً تونس، هي البلد الذي استقبل عددا من الموريسكيين أكثر من العدد الذي استقبله المغرب نفسه، وزادت هجرة الأندلسيين إلى تونس، اذ انتقل ثلاثون الفا منهم من أراغون، عن طريق ميناء أجدى **Agda** الفرنسي بصحبة القنصل التركي الى تونس، و لقوا الترحيب و الإحسان من الوالي العثماني عثمان داي،و أوسع لهم في البلاد فاستوطنوا في أكثر من عشرين مدينة، كما اشتغلوا بزراعة الزيتون و الكروم و البساتين، كما أعطاهم عثمان داي كثيرا من الامتيازات، فأعفاهم من معظم الضرائب و سمح لهم بتشكيل قوة، للدفاع عن أنفسهم و استمر قسم منهم في الجهاد البحري ضد الاسبان.*[1]

لقد أكد جل المؤرخين على تأثير هذه الجالية في المجتمع التونسي في مختلف الميادين. قال الاستاذ محمد الطالبي نقلا عن الاستاذ جمعة شيخة:".... و **لا شك ان الهجرات الاندلسية اثرت تأثيرا بليغا في المجتمع الافريقي ، و لقد بقي هذا التأثير بارزا إلى يومنا هذا في الفن المعماري و الفلاحات و الصناعات ، و حتى في بعض العادات و التقاليد زيادة عن أسماء بعض العائلات التي تذكرنا بأصلها الأندلسي**". و يقول الشيخ محمد الحبيب بلخوجة في نفس الموضوع:" ...**قد كان بدون شك لهذه الهجرة أثر ملموس في مختلف نواحي الحياة بالبلاد التونسية ، فتغيرت الأوضاع الزراعية و الفلاحية، و تطورت الصناعات و خاصة في الفن المعماري و النقوش، و تبدلت الاوضاع الاجتماعية بما حمل المهاجرون الى البلاد من عادات و تقاليد و اذواق**".[2]

ب- هجرات الأندلس إلى المغرب الأقصى:

---

[1]- محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 ـ 17م، ط3، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية ، 1998م ،ص، ص،132-135

* لمن اراد التوسع و الاطلاع اكثر عن الهجرات الاندلسية بالمغرب الادنى خاصة تونس أنظر أحمد كركير، المرجع السابق،86-99. محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب.....ص،ص،132-135

[2]- جمعة شيخة، المرجع السابق،ص،ص،91-92.

لم تكن هجرة الموريسكيين من بلنسية و قشتالة وغرناطة ومرسية وأراغون وغيرها من مدن الاندلس الى المغرب عامة و المغرب الأقصى خاصة بموجب مرسوم سنة 1018هـ/1609م اول هجرة من هذا النوع، بل سبقتها هجرات متعددة في فترات متباعدة تعود الى وقت مبكر نسبيا ابتداء من سقوط طليطلة.

توالت الهجرات الاندلسية الى المغرب الاقصى خلال فترات متعددة، يمكن تقسيمها حسب الدكتور رزوق محمد الى ثلاث فترات متميزة:

- **فترة العهد الوطاسي**** : ففي هذه المرحلة كان المغرب يعيش ظروفا قلقة سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا، مما كان لها تأثير على استقرار هذه الجالية الاندلسية.

- **فترة العهد السعدي الاول:** و هي فترة كان المغرب يعيش فيها عيشة استقرار في مختلف الميادين السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، فوجد الاندلسيون مجالات العمل مفتوحة امامهم.

- **فترة العهد السعدي الثاني**وهي المرحلة التي تميزت بالخصوص باستقرار المهاجرين الاندلسيين بالمنطقة بالأخص في كل من مصب ابي رقراق و تطوان و بمحاولتهم خلق كيان خاص بهم نتيجة الاضطرابات التي عرفها المغرب آنذاك.[1]

بدأت تتوافد جموع غفيرة من الأندلسيين إلى المغرب الأقصى عن طريق المراكز التي احتلها الإسبان، كطنجة وسبتة ومليلة.....ومن هنا تسربوا إلى داخل المدن " الداخلية " ، وقد اتوا من مختلف مناطق الأندلس كبلنسية و قشتالة وغرناطة و مرسية و بعض العناصر من الأراغون وكتالونيا.[2]

** الدولة الوطاسية: تسب إلى محمد الشيخ الوطاسي الذي كان من المتمردين على الحكام المرينيين، ففر إلى مدينة أصيلة المغربية واتخذها كقاعدة لمواصلة تآمره ومنها زحف على مدينة فاس مع عدد كبير من أنصاره فاستولى عليها وأسس الدولة الوطاسية. أنظر: نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس، ج3، دار الأمير للثقافة والعلوم بيروت، 1995، ص، 202.

[1]- رزوق محمد، الاندلسيون و هجراتهم الى المغرب..... ص، 140.

[2]- محمد رزوق، المرجع نفسه، ص،ص،129-130.

و قدرافق هذه الهجرة موجة من الغلاء المفرط و الوباء المهلك حيث وصل قفيز القمح الى ثلاثين دينارا كما روي ابي زرع[1]، و قد ظلت الرباط في عهد الدولة المرينية مركزا و منطلقا لجيش الغزاة الذي انشأه المرينيون لنجدة الاندلس، و تمكنت الرباط من التصدي للغزو البرتغالي الاسباني الصليبي في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي، و من بسط نفوذهم في المنطقة.[2]

و مدينة الرباط او كما جاءت في الدراسات التاريخية تحت اسم رباط الفتح و كذا سلا من المدن الاولى التي عرفت نزوحا وهجرة كبيرة من الاندلسيين بل شكلت هجرة هؤلاء حلقة من حلقات حركة التهجير العامة التي شهدتها الاندلس ابتداء من سقوط طليطلة سنة478هـ/1085م حتى صدور مرسوم تهجير موريسكيي بلنسية عام 1018 هـ /1609م.[3]

تعود علاقة الأندلسيين برباط الفتح إلى فترة مبكرة نظرا لاشتراك المغرب باستمرار في تقديم العون للأندلس، الا ان هذه العلاقة توطدت اكثر فاكثر نتيجة لهجرة عدد كبير من الأندلسيين الى اقطار المغرب العربي، و لا سيما الرباط.[**]

على ان مدينة رباط الفتح لم تعمر بالسكان حتى قيل إن المنصور الموحدي حين حضرته الوفاة سنة 595هـ/1297م،ندم على بنائها على ان عمران المدينة لم يتخذ شكلا جديا الا منذ اواخر الموحدين على عصر الخليفة الرشيد في القرن

---

[1]- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط ، المغرب،1972، ص،183.

[2]- محمد عبده حتامله و اخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،901.

[3]- محمد عبده حتامله و اخرون، المرجع نفسه، ص،899.

[**]يعود بناء مدينة رباط الفتح الى عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي سنة 545هـ، الذي اعطاها اسم المهدية تيمنا باسم المهدي بن تومرت ، و في عهد ولده يوسف بن عبد المؤمن ، و اكتمل بناؤها و تخطيطها و تشييدها سن 593هـ/1197م،في عهد امير المؤمنين عبد الله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الطومي الموحدي (555هـ-595هـ/1160م-1199م)، لدى عودته من الاندلس حيث نزل بمراكش ، ثم انتقل الى مدينة سلا، و أعجب بحدائقها و منتزهاتها ، و كان قد بنى بالقرب منها مدينة سماها رباط الفتح لتكون قاعدة و منطلقا لجيوش الموحدين الى الاندلس شمالا و الى افريقيا شرقا. لكونها واسطة العقد، و لأهمية موقعها الجغرافي بين مراكش و فاس و الاندلس . انظر محمد عبده حتامله و اخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،، ص،914.

السابع الهجري عندما هاجر اليها سكان الاندلس بعد سقوط بلادهم في ايدي الاسبان. و قد شجع خلفاء الموحدين سكان الاندلس على الهجرة الى بلاد المغرب حيث اصدر الخليفة الرشيد في شعبان سنة 637هـ/ 1239 م، مرسوما* يأذن بموجبه اسكان جالية بلنسية و جزيرة قشر و شاطبة و غيرهم من بلاد شرق الاندلس رباط الفتح اذ يقول:" **أذن لهم.....في النقلة الى رباط الفتح..... وعن رباط الفتح.....و ان يتخذوا مساكنه و ارضه بدلا من مساكنهم و ارضهم و أن يتوسعوا في الحرث ففي ارضه متسع،....في كل ما لهم منه مكافئ و به ينتفع و يغرسوا الكروم و انواعا على عاداتهم ببلادهم و ينشئوا الاملاك لأنفسهم و لأولادهم و لأولاد أولادهم.....".**[1]

انتقل بعض الأندلسيين من مدينة وهران إلى المغرب الأقصى بعد أن ضاقت بهم المدينة، وحسب لباحثين الاسبان امثال **Rojas Juan Luis de**، فقد تجمع عدد كبير من الاندلسيين بتطوان و العرائش لكي يكونوا على مقربة من اسبانيا، و اكد هذه الحقيقة الدوق **Medina Sidonis** ، اذا اكد انه كان يوجد بمدينة تطوان وحدها في سنة 1022هـ/1613م حوالي 10.000 اندلسي**، كما استقر عدد اخر بمصب ابير رقراق كما هو معلوم. و بصفة عامة، فإنً المصادر الاسبانية تقدر عدد مهاجري الاندلس بحوالي 40.000 اندلسي، في حين تقدره المصادر الموريسكية بحوالي 60.000 أندلسي، كما تشير المصادر الاسبانية تشير في نفس

* سمي المرسوم بظهير حق الاستيطان في رباط الفتح سنة 637هـ، و قد اصدره ابا محمد عبد الواحد الرشيد الموحدي سنة 637هـ /1235م

[1]- علي احمد علي كركير، المرجع السابق،ص،ص،100-101.

** لمن أراد الاطلاع على موضوع الهجرات الأندلسية بالمغرب الاقصى انظر كل من محمد رزوق، الأندلسيون و هجراتهم إلى المغرب.....ص،ص،140-261.

الوقت الى عمليات التقتيل الجماعية التي تعرض إليها الموريسكيون، مما أدى إلى ابادة مجموعات كاملة منهم و بالتالي ادى ذلك الى تناقصهم باستمرار.[1]

هكذا شهدت بلاد المغرب الاقصى توافد اعداد كبيرة من اهالي الاندلس منذ القدم سواء كانوا جماعات او فرادى، و أن شهد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي نزوحا جماعيا بسبب سقوط المدن الأندلسية كما اسلفنا سابقا، فقاموا بتأسيس بعض المدن فيه، و يظهر بوضوح دور الموقع الجغرافي في إقامة هؤلاء المهاجرين الاندلسيين في مدنه، و أصبحت مدينتا رباط الفتح و سلا وجهة الأندلسيين حتى اعتبرتا مدينتي أندلسيتين تماما.[2]

توافدت العناصر الأندلسية إلى أغلب مدن المغرب الأقصى، و كانت مينة فاس قد استقبلت أعدادا كبيرة من أهالي قرطبة بعد سقوطها سنة 633هـ/1235م، و زدادت المدينة عمقا و اتساعا بعد أن عادت إليها أفواج الأندلسيين القاطنين الجزيرة الخضراء و جيان، و في عهد المرينيين الذي تزامن مع سقوط قواعد الاندلس استقبلت فاس عاصمتهم العديد منهم. و كان للأندلسيين نصيب كبير في إعادة تعمير و إنشاء مدينة فاس و تطوان ، فكانت هاتان المدينتان مدنا اندلسية الهيئة و الروح، و كأنهما حي من أحياء غرناطة أورندة و غيرها.[3]

استغل القشتاليون نصوص معاهدة تسليم غرناطة بدهاء حيث وفروا السفن لنقل الراغبين في الهجرة مجانا خلال شهرين من تاريخ إبرام الاتفاقية.

توالت الهجرات الأندلسية كما اسلفنا سابقا إلى المغرب الأقصى خلال مراحل متعددة أبرزها تلك التي جرت في العهد الوطاسي (876–961هـ/1471–1533م)، حيث نزحت أعداد كبيرة من الأندلسيين بالرغم من أن المغرب كان يعيش في هذه

[1]- محمد رزوق، المرجع نفسه، ص،ص،130-131.
[2]- علي احمد علي كركير، المرجع السابق،ص،ص،100-101.
[3]- محمد رزوق، الأندلسيون و هجراتهم الى المغرب..... ص،131.

الفترة ظروفا قلقة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. أما في العهد السعدي*(916هـ-1070هـ/1510م-1659م)، فقد وجد الأندلسيون مجالات العمل مفتوحة أمامهم، لما وجدوا في هذا البلد من استقرار سياسي ونمو اقتصادي[1].

بلغت الهجرة أوجها في عهد فيليب الثالث بصدور مرسوم بلنسية سنة1018 هـ /1609م،وفي هذه المرحلة تمت الهجرية الى المغرب الاقصى[2]، وفضل الكثيرون البقاء في بلادهم و القبول بالأمر الواقع و التنصير القسري ولو ظاهريا، حيث غزا عليهم مفارقة البلاد التي ولدوا فيها، و نشأوا تحت سمائها و امتزج حبها بدمائهم و عمرها الآباء و الأجداد ما يقرب من ثمانية قرون، و هناك فريق آخر أبت عليه عزة الإسلام أن يعيش ذليلا منتصرا، فهاجروا إلى جهات متعددة، حيث خرج بعضهم الى مصر و الشام، و خرج الكثيرون منهم الى بلد المغرب العربي بل ذهب بعضهم إلى فرنسا و صقيلية، و شارك بعضهم في رحلات كولومبس، فتشرد الملايين من أهل المسلمين الى شتى بلدان العالم، إذ لا تكاد تخلو دولة من مجموعة من المهاجرين الذين يعودون بجذورهم إلى الأندلس.[3]

عمَّر الأندلسيون مدينة فاس وتطوان وسلا والرباط والمعمورة، واستقبلت مدينة تطوان وحدها سنة1022هـ/1613م حوالي 10000 أندلسي[4]، وقد أسندت إليهم مهمة الدفاع عن الشواطئ فكونوا قوة خاصة،واستحوذوا على مراكز مهمة في الجيش، وأصبحوا يتدخلون في الأمور الداخلية للبلاد، مما جعل طموحاتهم السياسية تنمو وتكبر، محاولين خلق كيان مستقل خاص بهم، لكن السلطات

*الدولة السعدية: تسب إلى أبو عبد الله الشيخ السعدي الملقب بالقائم بأمر الله، أسس في جنوب المغرب مملكة صغيرة وما لبث أن استولى على كل القسم الجنوبي للمغرب ودخل في حرب مع الوطاسيين، انتهت باستقلال الحركة السعدية بمراكش. أنظر، نجيب زبيب، المرجع السابق، ج،3، ص،246 — 247.

[1]- محمد رزوق، الاندلسيون و هجراتهم الى المغرب.....ص،140.

[2]- محمد عبده حتامله و اخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،902.

[3]- محمد عبده حتامله و اخرون، محمد عبده حتامله و اخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،901.

[4]-محمد رزوق، الاندلسيون و هجراتهم الى المغرب.....ص،ص،130-131.

المغربية كانت لهم بالمرصاد. وعلى كل فإن كان الأندلسيون قد أخفقوا في وجودهم السياسي في المغرب، فإنهم نجحوا في تثبيت وجودهم الحضاري، إذ انصهروا في المجتمع المغربي وساهموا في شتى الميادين، حيث صارت الأسواق مليئة بمنتوجاتهم الصناعية والفنية، وبرزوا في الميدان التجاري، فانتعشت المبادلات التجارية مع الخارج عن طريق البحر الّذين كانوا خبراء بشؤونه، وقد ساعدهم في هذا إتقانهم اللغة الإسبانية والبرتغالية.[1]

ج- هجرات الأندلس إلى المغرب الأوسط:

لقد كانت العلاقة التي تربط بلاد الاندلس بالجزائر (المغرب الاوسط) وثيقة منذ القدم، بسبب القرب الجغرافي و الرحلات المتبادلة بين القطرين، اما في العصر الاسلامي ، فقد ازداد التواصل الحضاري بين الاندلس و المغرب بحكم الدين و اللغة[2]، و بالتحديد منذ ايام الخلافة الاموية و لا سيما حين استقرت بعض الجاليات العاملة في التجارة في عدد من المدن الساحلية و ذلك بمساهمة البحرية الاسلامية بالمغرب الناشئة بالعبور الى الاندلس بداية الفتح الاسلامي(92هـ/ 710 [3]، بحيث ان الاندلس بعد فتحها استقطبت العديد من المسلمين المغاربة ، هؤلاء سرعان ما امتزجوا مع سكانها عن طريق المصاهرة ، ما وثقت العلاقة اكثر[4]، فنشأت طبقة جديدة في المجتمع الاندلسي هي طبقة المولدين. [*5]

---

[1]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص،ص،58-59.

[2]-ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار المغرب و الاندلس ، تحقيق و مراجعة، ج،س، كولان، ليفي بروفنسال ، ط3،ج 2، د.ط، د.ت، ص،38.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الاسلامي، ط1، الجزائر،1999 ،ص،187.

[4]- ليفي بروفنسل، حضارة العرب في الاندلس، تر: ذوقان قرنوط، مكتبة الحياة للنشر، بيروت، د.ت، ص،17.

[*] هي مزيج من دم اهلا البلد الاصليين و دم البربر و العرب. انظر توفيق سلطان اليوزبكي ،**" الحضارة الاسلامية في الاندلس و اثرها في اوروبا "**، مجلة ثقافتنا للدراسات و البحوث، العدد 20، 1431هـ/ 2010 م ، ص،121.

[5]- توفيق سلطان اليوزبكي ، المرجع نفسه، ص،ص،121-122.

بحكم الموقع الجغرافي للدولة الرستمية**(160-296هـ/776-909م) بالمغرب الاوسط، و ظروفها السياسية و المذهبية، عقد بني رستم في تيهرت و بني امية في الاندلس، تحالفا وديا أدى إلى تقارب في العديد من المجالات كالسياسي و العسكري و الاقتصادي و كذا الحضاري، حيث استمرت العلاقات الرستمية الأموية أكثر من قرن و نصف قرن.[1]

توثقت أواصر العلاقات أكثر منذ محاولة الخلافة الأموية استمالة العشائر الزيانية بالمغرب الاوسط، للوقوف في وجه الاطماع الفاطمية، وتعززت العلاقة أكثر في عهد المرابطين و الموحدين، بعد تمكنهم من ضم أقاليم الأندلس الإسلامية إلى اقطار المغرب العربي و منها الجزائر[2]، حيث أصبحت الجزائر و الأندلس و المغرب الأقصى في عهد دولتي المرابطين و الموحدين، كيانا سياسيا واحدا، و كان الأندلسيون يشكلون جالية كبيرة في بجاية عندما كانت تابعة للحفصيين ، و كانت هذه الجالية تتألف بالدرجة الاولى من العلماء و التجار و الصناع. [3]

هكذا بدأ الحضور الأندلسي في المغرب الأوسط يتوافد، و بدأت علامة الاستقرار تظهر بداية من منتصف القرن الثالث الهجري/للقرن التاسع الميلادي على طول السواحل المغربية، ممازاد من عمق و قوة ترابط الصلات بين العدو الاندلسية و العدوة المغربية[4]، و ازداد الهجرات بكثرة على هذا الاقليم(المغرب الاوسط)واسهاماته في العديد من المجالات نخص بالذكر تشييد و بناء المدن و الثغور و كذا المدن على سواحل المغرب الاوسط، تعمرها هذا ما أكدّه الرحالة

** نسبة الى مؤسس الدولة الرستمية عبد الرحمن بن رستم الذي اتخذ من مدينة تيهرت عاصمة للمغرب الاوسط، للمزيد اكثر انظر صالح فركوس

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص،96.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر – العهد العثماني- ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص،127.

[3]- محمد عبده حتامله و اخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،918.

[4]- البكري ابو عبيد الله ابن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشره البارون دي سلان، باريس، 1965، ص،61.

الجغرافي البكري حينما سجل عدد من الاندلسيين الذين استوطنوا بعض المدن الساحلية بالمغرب الاوسط، و اسهموا في تنشيط الحياة الاقتصادية و العمرانية، و قد وصفهم البكري بـ" البحريين " و بالأندلسيين.[1] **الخريطة(11))**

1- عوامل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط:

ان الاسباب التي ادت الى الهجرة الى المغرب الاوسط و تزايدها من ما هو متعلق بالأوضاع الداخلية للأندلس[2] ، و هذه العوامل ان كانت تختلف من ناحية قيمتها كعوامل ايجابية مشجعة ، او كعوامل سلبية قاهرة بالنسبة للأندلسيين انفسهم، فالعوامل الموجودة على الصعيد الاندلسي في تلك الفترة من الزمن كانت اتسمت عموما بالسلبية، الأمر الذي أجبر العديد من السكان على النزوح عن وطنهم نهائيا، بعد أن غدا أمر بقائهم مستحيلا فيه. و هذه العوامل التي كانت

مصدر و أداة قهر و ضغط و إجبار، هذه العناصر أدخلها الدكتور علي أحمد في عوامل الطرد*، أرغمت الأندلسيين على ترك وطنهم و ديارهم و املاكهم، و الارتحال الى مناطق خارج بلادهم بحثا عن الأمان و الاستقرار و الحماية[3]، أما العوامل التي تخص المغرب نخص بالأوسط و هي(هناك عوامل تخص بلاد المغرب و نخص بالذكر المغرب الاوسط تتسم بالإيجابية[4]، الأمر الذي ساعد الأندلسيين المقهورين على ارتياد و استقطاب جمهور غفير منهم، إلى مدن مغربية مثل تلمسان الزيانية و بجاية الحفصية. و من اهم العوامل وراء الهجرة الاندلسية الى المغرب الاوسط نذكر باختصار.

---

[1]- ابي عبد الله البكري المصدر نفسه، ص،ص،61-65-69-70.

[2]- محمد سعداني، المرجع السابق،ص،110.

*يقصد بعوامل الطرد حسب علي احمد، مجموعة من الاضطرابات و التبادلات السياسية التي حدثت على صعيد الاندلس الداخلي، و تلك الاخطار التي احدقت بالأندلس و سكانها من جراء الهجمات الإسبانية الفاعلة. أنظر علي أحمد، الأندلسيين و المغاربة في بلاد الشام، من نهاية القرن الخامس و حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار طلاس، دمشق، 1988، ص، 84.

[3]- علي أحمد علي كركير ، المرجع السابق، ص، ص،83-84.

[4]- علي أحمد علي كركير، المرجع نفسه ، ص، ص،83-84.

- **العامل السياسي:**

يعتبر العامل السياسي من ابرز العوامل التي دفعت الاندلسيين الى الهجرة نحو المغرب الاسلامي عموما و المغرب الاوسط خصوصا، و يتضح ذلك **أولا** من خلال ما قدمت به الدولة الموحدية، من بسط نفوذها على كل ربوع المغرب الاسلامي و بلاد الأندلس، بحيث صارت العدوتان الاندلسية و المغربية تحت حكم سلطة و سياسة واحدة، وهذا ما هيا الاجواء لانتقال كثير من سكان بلاد الاندلس الى منطقة المغرب الإسلامي، سواء كان بتشجيع من الأمراء الموحدين او بإجبارهم على الهجرة[1]،و ثانيا، نجد سلاطين الدولة الزيانية هم كذلك قد حثوا الاندلسيين على الهجرة الى حاضرتهم تلمسان، حيث نجد أنً الأمير الزياني يغمراسن يصدر ظهيرا في شأن هؤلاء الأندلسيين الوافدين عليه، يؤكد فيه على ضرورة العناية الفائقة بهم،ومنحهم كل ما يحتاجونه من مال و سكن و أراضي، مواساة لهم على ما اصابهم من ضياع منازلهم و اموالهم، و جبر خاطرهم على ما ألحق وطنهم الأندلس من عدوان و غزو نصراني، و إظهار التعاطف معهم و طمأنتهم على حياتهم في الحاضر و المستقبل[2]. وكان للسياسة الزيانية من قبل السلطان يغمراسن صداها في بلاد الاندلس، مما حث كثيرا من الأندلسيين المهددين في وطنهم بالقتل أو الأسر، إلى اتخاذ حاضرة تلمسان الزيانية وطنا ثانيا لهم.[3] *

- **العامل الجغرافي و الإقتصادي:**

---

[1]- محمد سعداني، المرجع السابق،ص،ص،110-111. انظر ايضا عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج2.....ص،225.

[2]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،ج1، موفم للنشر و التوزيع،الجزائر،2002، ص،ص،175-176. انظر أيضا محمد سعداني، المرجع السابق،ص،111.

[3]- محمد سعداني، المرجع نفسه،ص،111.

*عن حياة الجالية الأندلسية في تلمسان انظر كل من عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1.....ص،ص،175-176. و عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق، درويش الجويدي،ط2،المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1416هـ/1996م ص، 255. و محمد سعداني، السابق،ص،ص،111-112.

إنً التقارب الجغرافي بين بلاد الاندلس و بلاد المغرب الاسلامي، سهل وشجع الجالية الاندلسية من التنقل و التحرك بدون معوقات طبيعية، سواء من البحرأو من اليابسة، ولعل هذا ما دافع الجغرافيون أمثال البكري، ليخصص فصلا كاملا من كتابه لرسم خريطة لمراسي المغرب الأوسط، و ذاكرا ما يقابلها من الجهة الأندلسية. ففي هذا الصدد نجد أنه يذكر أنً مرسى مدينة تنس يقابله من بر الاندلس مرسى شنتبول، في حين يقابل مرسى شرشال من بر الأندلس مرسى مدرة، ومرسى الدجاج يقابله من بر الأندلس جزيرة ميورقة[1]. و انطلاقا من ذلك يشير البكري إلى وجود علاقة جغرافية و طبيعية وثيقة بين العدوة الأندلسية و المغربية.[2]

لهذا نجد أغلب الجاليات الأندلسية التي جاءت من الأندلس مهاجرة الى المغرب الأوسط، أجازت البحر كما أشار الى ذلك ابن خلدون في مقدمته، بالإضافة إلى أنً المناخ السائد في بلاد المغرب الاسلامي، تتشابه على الساحل مع مناطق الاندلس خاصة الساحلية منها، مما جعل الاستقرار ميسرا للأندلسيين الوافدين الى بعض المدن الساحلية. و لذلك يبتدئ اثر العامل الجغرافي من خلال كون اغلب المدن الساحلية للمغرب الاوسط موطنا للجاليات الاندلسية منذ وقت مبكر، و يعود ذلك لقرب هذه المدن و المراسي من المدن و المراسي الاندلسية، حيث نجد مدينة هنين تقابل مدينة المرية، و مدينة مستغانم تقابل مدينة دانية بشرق الاندلس ، و لا تبعد عنها الا بنحو يوم و ليلة.[3]

---

[1]- البكري ابو عبيد الله ابن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشره البارون..... ص،ص،71-72.
[2]- محمد سعداني، المرجع السابق،ص،120.
[3]- القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا ،ج5، الطبعة الاميرية، القاهرة ، 1915،ص،211. أنظر أيضا ،أحمد المختار العبادي ، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972، ص ،ص،145. انظر محمد سعداني، المرجع السابق، ص ،120 .

إنً العامل الجغرافي يتداخل مع العامل الاقتصادي، فمن العوامل المساعدة كذلك على استقطاب المهاجرين الأندلسيين إلى حاضرة تلمسان؛ ما تعرضت له دولة بني عبد الواد الزيانية من انهيار ديموغرافي و نقص كبير في عدد سكانها، بسبب النزعات العسكرية التي كانت تقع بين مملكة بني عبد الواد و القبائل البربرية و قبائل عرب بني هلال، والحصار المشدد و الطويل الذي كان يضرب مرارا على عاصمة الزيانيين من المرينيين و الحفصيين، بالإضافة إلى انتشار الامراض المعدية و الاوبئة الفتاكة كمرض الطاعون الذي تسبب في هلاك الكثير من سكان المملكة الزيانية[1]، وقد يكون هذا الفراغ السياسي في العديد من مدن الدولة الزيانية،من العوامل التي حثت سلاطين بني زيان إلى الاهتمام بالمهاجرين الأندلسيين و الاهتمام بهم رسميا.[2]

هناك عامل اقتصادي آخر بمثابة اداة هدم و سلب، دفع بكثير من الأندلسيين إلى الهجرة الجماعية من بلادهم إلى مناطق أخرى مجاورة لهم قسرا، نتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية الناجمة، و الباقي من الأمراض و الأوبئة أو عن تردي الأوضاع السياسية و احتدام الصراعات العسكرية و اندلاع نيران الحروب.[3]

كان وراء كل سقوط لمدينة اندلسية حصار مشدد من الجيوش النصرانية، يتبعه مجاعة شديدة تدفع بالسكان إلى الاستسلام أو الموت جوعا، فمدينة اشبيلية سبق سقوطها تعود للأوضاع الاقتصادية، بسبب الحصار المضروب عليها من النصارى الاسبان، و في هذا الصدد يصف ابن العذاري حالة المدينة المنكوبة بالحصار قائلا:".. **و عدموا المرافق كلها قليلها و جليلها إلا ما كان في بعض ديار الأغنياء فإنهم كانوا يحتاطون في تلك الأمور مثل الفقيه القاضي ابن منظور، فإنه كان يطمع في إقلاع**

[1]- مختار حساني، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائري،ج4، دار الحكمة ، الجزائر،2007، ص،47.
[2]- ابن العذاري ابو العباس أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب- قسم الموحدين.....ص،380.
[3]- محمد سعداني، المرجع السابق،ص،122.

النصارى عن المدينة ، فيأمر الناس بالقتال و الرمي بالنبال كثيرها ، و الناس مع ذلك حيارى ، يمشون سكارى و ما هم بسكارى ، و مات بالجوع خلق كثير، و عدمت الاطعمة من القمح و الشعير، و أكل الناس الجلود ،و فنيت المقاتلة من العامة و اصناف الجنود ."[1]

من الملاحظ أنً أهل إشبيلية قد فتكهم الجوع و الحرمان و المرض، بعد الحصار الشديد المرهق الذي استمر خمسة عشر شهرا (15 شهرا)، وغاض كل أمل في الإنقاذ و الإنجاد، فلم يتحرك الموحدون لانشغالهم بمكافحة بني مرين من جهن و أمير إفريقية الذي اتخذ لقب الخلافة، و لم يتحرك هذا الأمير لما سبق من موقف الإشبيليين نحو عماله، و ربما أيضا اعتبارا بما حدث من فشل محاولته لإنقاذ بلنسية، انتهى الأمر في الأخير بتسليم مدينة إشبيلية للنصارى سنة 646 هـ/1248.[2] *

هكذا كانت الأحوال الاقتصادية المزرية الدافع القوي و أداة ضغط، أجبرت الأندلسيين المطاردين على الهجرة، إما نحو المدن الأندلسية التي لم تزل آمنة من العدوان، أو النزوح الجماعي باتجاه المدن المغربية العامرة كتلمسان الزيانية و بجاية.....

2- مراحل الهجرات الاندلسية إلى المغرب الأوسط:

يربط المغرب و الاندلس علاقات وطيدة منذ اقدم العصور ترتبت عنها عدة أحداث، و شكلت في الأساس تاريخا مشتركا بين العدوتين، وحدت تفاعل كبير

---

[1]- ابن العذاري ابو العباس أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب- قسم الموحدين.....ص،380.
[2]- عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، العصر الرابع –نهاية الاندلس.....ص، ص،80-85.
*للمزيد اكثر عن الموضوع انظر كل من ابن العذاري، المصدر السابق، ص، ص،380-381. و عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، العصر الرابع- نهاية الاندلس.....ص،ص،383-393.

بين البلدين و الشعبين في مختلف المجالات، و كثر التنقل ووقعت هجرات متعددة، قويت و تلاحقت في زمن قصير، ايام المحن، لا سيما بعد سقوط القواعد العسكرية بالأندلس و قيام مملكة غرناطة[1]، ومع تغيير الوجهة و التي أصبحت من العدوة الاندلسية الى العدوة المغربية، بعد أن كانت في القرون الأولى من المغرب الى الاندلس[2]، نأخذ على سبيل المثال المغرب الأوسط.

نشير إلى أنه منذ قيام الخلافة الاموية في الاندلس، لم تكن الهجرة الاندلسية كبيرة أو من جميع فئات المجتمع الاندلسي و بطريقة قسرية، و إنما كانت طبيعية فردية و اختيارية و بأعداد قليلة و فردية، ومن ثم فإن الهجرة الأندلسية في هذه المرحلة لم تكن وليدة اضطراب الاوضاع السياسية بالأندلس، ووقوع مدن أندلسية بيد النصارى ومظهرا من مظاهر اللجوء السياسي، وإنما كانت نتيجة للوحدة الجغرافية و الحضارية التي تربط بين العدوتين، على اعتبار أنً هاتين العدوتين منطقة جغرافية و ثقافية و اقتصادية، تتوحد في الدين و اللغة و المصير، ولذلك فإنً الأندلسيين كانوا يرون أنً ساحل المغرب الأوسط، مكان مهم للثراء الاقتصادي و التبادل التجاري و الاستقرار المعيشي، لذلك يمكن اعتبار أنً الهجرة الأندلسية في هذه الفترة المبكرة، كان دافعا الأقوى و الأكبر هو تحقيق مصالح سياسية، اقتصادية بالدرجة الاولى.[3]

اختلف المؤرخون في تحديد مراحل الهجرات الأندلسية إلى المغرب الاوسط، فهناك من يحددها في مرحلتين أمثال الدكتور محمد سعداني فالأولى؛ تبدأ من الفتح الإسلامي الى سقوط الخلافة الاموية، و المرحلة الثانية تكون بدايتها ما بعد سقوط

---

[1]- نبيلة رزقي، الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الاوسط و الاندلس (القرن 7-8هـ/13-14م) - دراسة تحليلية مقارنة - اطروحة الدكتوراه علوم في علم الاثار و المحيط، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، قسم علم الاثار، جامعة ابي بكر بلقايد ،تلمسان، 2014 -2015 ، ص،32.

[2]- نبيلة رزقي، المرجع السابق،ص،38.

[3]- محمد سعداني، المرجع السابق،ص،82.

الخلافة الاموية، وهذه المرحلة يمكن تقسيمها حسب هذا الاخير الى مرحلتين فرعيتين : مرحلة ما قبل سقوط غرناطة و مرحلة ما بعد السقوط ، و لكل مرحلة من هذه المراحل و خصائصها التي تميزها عن غيرها[1]. و هناك من المؤرخين أمثال الدكتور بلغيت الذي قسمً الهجرة في ثلاث مراحل، و كذا كل من الدكتور هلايلي حنيفي و الدكتور سعيدوني... الخ. فالمهم أنً كل المؤرخين يتفقون في أنً الهجرات الأندلسية خارج بلاد الاندلس الى المغرب عامة و المغرب الأوسط(الجزائر) خاصة لم تتم دفعة واحدة.

و الملاحظ أنً المغرب الأوسط قد عرف نزوح الاندلسيين على ثلاث مراحل، تميزت كل مرحلة بأحداثها التاريخية، كما ارتبطت معظم هذه الهجرات بظروف سياسية و اقتصادية و اجتماعية ، وحددتها طبيعة الهجرة التي كانت لها أثر على المغرب الاوسط. و من ثم يمكن تقسيم المراحل إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة ما قبل سقوط الخلافة الاموية بالأندلس، و مرحلة سقوطها، على اعتبار أنً انهيار الخلافة الأموية حسب محمد سعيداني و تفككها هو المؤثر الأول في تغير مسار الهجرات الاندلسية و طبيعتها،لأنه بزوال سلطة الأمويين و الخلافة الأموية انتقلت بلاد الأندلس من القوة الى الضعف، من الوحدة الى التفرق و التشتت، و من دولة مركزية متماسكة ذات هيبة الى دويلات متقاتلة، أطمعت النصارى الإسبان في اكتساح المدن الاندلسية، فكان هذا الأمر بداية للهجرات القسرية و الجماعية، فرارا من الصراعات الدموية لملوك الطوائف و من خطر الغزو النصراني الاسباني.[2]

و اعتمادا على أراء المؤرخين و على الدراسات التاريخية، سواء في التاريخ الوسيط أو الحديث، أمثال الدكتور حنيفي هلايلي و الدكتور سعيدوني مثلا ، كلهم يجمعون

---

[1]- محمد سعداني، نفسه،،ص،81.
[2]- محمد سعداني، المرجع السابق، ص، 81.

بأنً المغرب الأوسط عرف نزوحا أندلسيا على مراحل، تميزت كل مرحلة بأحداثها التاريخية، كما ارتبطت معظم هذه الهجرات بظروف سياسية و اقتصادية و اجتماعية، وحددتها طبيعة الهجرة التي كانت لها أثرا على المغرب الأوسط.[1]

انطلاقا من هذه الدراسات؛ يمكننا تقسيم فترة الهجرات الاندلسية الى المغرب الاوسط الى مرحلتين اساسيتين: المرحلة الأولى تبدأ من الفتح الاسلامي إلى سقوط الخلافة الاموية، و المرحلة الثانية تكون بدايتها ما بعد سقوط الخلافة الأموية، و هذه المرحلة يمكن تقسيمها الى مرحلتين فرعيتين: مرحلة ما قبل سقوط غرناطة و هذه المراحل يمكن دمجها في المرحلة الأولى(**الهجرة الاندلسية من الفتح الاسلامي إلى ما قبل سقوط غرناطة 898 هـ/1492م**) و بالنسبة لمرحلة ما بعد سقوط غرناطة،ويمكن دمجها في المرحلة الثانية:(**الهجرة الاندلسية إلى الجزائر ما بين 898 –1017 هـ/ 1492–1608م**)، و **المرحلة الثالثة (الهجرة الأندلسية الاخيرة ما بين 1013–1023هـ/ 1604–1614م**).

لقد كانت العلاقة التي تربط بلاد الاندلس بالجزائر (المغرب الاوسط) وثيقة منذ القدم، بسبب القرب الجغرافي و الرحلات المتبادلة بين القطرين[2]، والعلاقة بين العدوتين في العصر الاسلامي تبتدئ مع الفتح الإسلامي الأندلسي، و تستمر الى غاية سقوط غرناطة 898 هـ/1492م.[3]

نشير أنً في العصر الإسلامي، ازداد التواصل الحضري بين الأندلس و المغرب بحكم وحدة الدين و اللغة، وذلك منذ القرن الأول الهجري نقلا عن الجغرافي

---

[1]- حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، الجزائر،2010، ص، 7.

[2]- سامية مصطفى السيد، العلاقات بين المغرب و الاندلس في عصر الخلافة الاموية،ط1،عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر،2000،ص،175.

[3]- سامية مصطفى السيد، المرجع نفسه، ص،175.

المراكشي في كتابه " **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**"، فإنً مدن المغرب القريبة من السواحل مثل طنجة و زويلة عرقت تدفق العديد من المهاجرين الاندلسيين سنة 136هـ/753م، بسبب القحط و الجفاف الذي تعرضت له بلاد الأندلس سنة 134هـ/751م و استمر لسنوات[1]، كما استقبلت الأندلس هي الأخرى عدد كبير من العرب الذين تمازجوا مع المسلمين الجدد من سكان شبه الجزيرة الإيبيرية، و توثق ذلك الامتزاج حسب الباحث المستشرقي الاسباني ليفي بروفنسال، بفضل الزواج الذي أحدث "تمازجا عرقيا"، نتج منه تمازج حضاري ظهر جليا مع بداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[2]،فنشأت من خلاله طبقة جديدة في المجتمع الأندلسي هي طبقة المولدين.[3*]

في موضوع أقدمية العلاقة بين الأندلس و الجزائر(المغرب الأوسط)، يرى الدكتور سعيدوني أنً العلاقة قديمة توثقت أواصرها منذ محاولة الخلافة الأموية بقرطبة استمالة العشائر الزيانية بالمغرب الاوسط، للوقوف في وجه المخططات الفاطمية[4]، لا سيما منذ استقرار بعض الجاليات العاملة في التجارة في عدد من المدن الساحلية، بمساهمة البحرية الاسلامية بالمغرب الناشئة بالعبور إلى الأندلس بداية الفتح الإسلامي(92هـ/ 710م).[5]

أصبحت العلاقة بين الدولتين في عهد المرابطين و الموحدين أكثر تعززا بعد تمكنهم من ضم اقاليم الأندلس الاسلامية، الى ممتلكاتهم بأقطار المغرب العربي و منها الجزائر، حتى انه في هاتين الفترتين(المرابطين و الموحدين)[6]،

---

[1]-ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق،ج2،ص،38.
[2]- ليفي بروفنسل، حضارة العرب في الاندلس، تر، ذوقان قرنوط، مكتبة الحياة للنشر، بيروت، د.ت، ص،17.
[*] هي مزيج من دم اهلا البلد الاصليين و دم البربر و العرب. انظر توفيق سلطان اليوزبكي، المرجع السابق،،ص،121.
[3]- توفيق سلطان اليوزبكي، المرجع نفسه.
[4]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر– العهد العثماني-المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص،127.
[5]-ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر- العهد العثماني.....ص،187.
[6]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه ، ص، ص،127-128.

أصبحت الجزائر و الأندلس و كذا المغرب الأقصى كيانا سياسيا واحدا، حتى أنً الأندلسيين كانوا يشكلون جالية كبيرة في بجاية عندما كانت تابعة للحفصيين، و كانت هذه الجالية تتألف بالدرجة الأولى من العلماء و التجار و الصناع. [1]

ممازاد هذه العلاقات و الصلات عمقا و ترابطا؛ استقرار عدد كبير من الأندلسيين على السواحل الجزائرية ابتداء من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وهذا ما ساعد على تجديد عمران كثير من المدن الساحلية مثل وهران، عنابة، بجاية..[2]

لم يمنع الخلاف و العداء السياسي و المذهبي خلال فترة الموحدين و المرابطين من الاتصال الثقافي بين الطرفين، والدليل على ذلك الهجرات المتتالية من فئة العلماء إلى الأندلس للاستزادة من العلوم نذكر على سبيل المثال محمد بن هشام بن الليث اليحصبي*، و محمد بن حارث الخنشي** و غيرهم، أما من الأندلسيين الذين هاجروا الى المغرب من اشهرهم محمد بن يوسف الرواق.[3]***

إنً العلاقة بين العدوتين في العصر الاسلامي تبتدئ مع الفتح الإسلامي الأندلسي، و تستمر الى غاية سقوط غرناطة898 هـ/1492م[4]، ويرى الدكتور سعيدوني في هذا الصدد من خلال الدراسات التاريخية التي قام بها في هذا المجال، أنً علاقة الأندلسيين بالمغرب الأوسط تعمقت بشدة، حينما شرعت الخلافة الأموية في استمالة القبائل البربرية اليها لمواجهة الفاطمين[5]، وعملت على إنشاء قاعدة

---

[1]- محمد عبده حتامله و اخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،918.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر- العهد العثماني.....ص،ص،127-128.

*حسب ابن الفرضي من خلال الباحثة مريم بوعامر يُكنىً بأبي عبد الله، روي عنه كثير من مشايخ القيروان مثل يحيا بن عمر، رحل الى الاندلس و استقر بقرطبة ، و اشتغل بالأوقاف و كان اديبا ، توفي سنة 343هـ. انظر مريم بوعامر، المرجع السابق، ص، ص ، 16 -17. ،

** ولد و نشا بمدينة القروان ، سمع عن علماء القيروان و ارتحل الى الاندلس سنة 312هـ و استقر بقرطبة. كان حافظا للفقه عالما بالفتيا، الف للخليفة المستنصر كتبا عديدة و توفي سنة 361هـ. انظر مريم بوعامر، المرجع السابق،ص،ص،16-17.

*** اصله من الاندلس من مدينة وادي الحجارة، انتقلت أسرته الى القيروان اين نشا و تعلم بها، ثم عاد الى الاندلس ودخل في خدمة الخليفة المستنصر ، والف كتب عديدة عن مسالك افريقيا و ممالكها .انظر كل من سامية مصطفى السيد، المرجع السابق، ص، ص،177-180، و كذا مريم بوعامر، المرجع السابق، ص،ص،16-17.

[3]- مريم بوعامر، المرجع السابق،ص،ص،16-17.

[4]- حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص،8.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر- العهد العثماني.....ص، ص، 127-128.

اندلسية امامية في منطقة الغرب الاسلامي، لوقف التوسع الفاطمي و مطامعه في العدة الاندلسية، وذلك بتأسيس قواعد على طول شواطئ المغرب الإسلامي بالأخص في المغرب الأوسط.[1]

لقد ساعد الموقع الجغرافي للدولة الرستمية في المغرب الاوسط و ظروفها السياسية و المذهبية، في إنشاء تقارب ودي عسكري و سياسي و عسكري، بين بني رستم في تاهرت و بني أمية في الأندلس[2]، فبحكم الموقع الجغرافي للدولة الرستمية*(160-296هـ/776-909م) بالمغرب الاوسط، وظروفها السياسية و المذهبية، عقد بني رستم في تيهرت و بني أمية في الاندلس تحالفا وديا، أدى إلى تقارب في العديد من المجالات كالسياسي و العسكري و الاقتصادي و كذا الحضاري، حيث استمرت العلاقات الرستمية الأموية اكثر من قرن و نصف قرن[3]. فاستفاد الرستميين من جراء هذه الخدمات بالخراء، حتى اصبحوا أعضاء بارزين في مجلس الشورى الإباضي التاهرتي، و اشتهر من بين هؤلاء الوافدين الاندلسيين عمران بن مروان الاندلسي و مسعود الاندلسي، اللذان كانا من بين السبعة أشخاص الذين رشحهم الامام عبد الرحمن بن رستم، لإمامة الاباضية في تاهرت قبل وفاته.[4]

كما ساهم الرستمون مساهمة كبيرة في مد أموي الاندلس بما يحتاجونه، في إطار العلاقات الاقتصادية الثنائية، و شكلت التجارة عصب الحياة الاقتصادية بين تاهرت و قرطبة، و تعددت العلاقات الاموية- الرستمية إطار التعاون السياسي الى الميدان التجاري، فكانت السفن التجارية تتردد بين موانئ المغرب الأوسط و موانئ

---

[1]- عبدالعزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني،ج1.....ص،174. انظر ايضا محمد سعداني، المرجع السابق،ص،82-84.

[2]عبدالعزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،ج1.....ص،174.

* نسبة الى مؤسس الدولة الرستمية عبد الرحمن بن رستم الذي اتخذ من مدينة تيهرت عاصمة للمغرب الاوسط، للمزيد اكثر انظر كل من ابن خلدون، العبر.....ص،ص،107-108.و عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الأندلس ....ص، ص،96-100.و كذا ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث- العهد العثماني.....ص، ص،127-128.

[3]- عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الاموية .....ص،96.

[4]- حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص،8.

الاندلس، مثل ميناء فروج، ومرسى الجزيرة الخضراء و شاطبة محملة بالتجار و بالعلماء و المسافرين.[1]

هكذا بدأ الحضور الأندلسي في المغرب الأوسط، كما ذكرنا في البداية يتوافد و يتزايد، على طول السواحل المغربية مما زاد من عمق و قوة ترابط الصلات بين العدوتين[2]، و يبدو أنً مشاركة الأندلسيين خلال هذه المرحلة كانت واسعة، و ازدادت الهجرات بكثرة على هذا الإقليم(المغرب الاوسط)، وازدادت مساهماتهم في العديد من المجالات حيث قام البحارة الاندلسيين بإنشاء المدن و الثغور على طول ساحل المغرب الأوسط و تعمرها شكلوا جماعات هامة من سكانه بمعنى، و هذا ما أكده الرحالة الجغرافي البكري، حينما سجل عدد من الاندلسيين الذين استوطنوا بعض المدن الساحلية بالمغرب الاوسط، و أسهموا في تنشيط الحياة الاقتصادية و العمرانية، و قد وصفهم البكري بـ" البحريين" و بالأندلسيين[3]،وكان بين هؤلاء من سكن مرسى الحجاج و مدينة تنس، و قد ذكر البكري أنً البحرين من أهل الاندلس قد ساهموا في تشييد و بناء تنس سنة (262هـ/875م) التي ذكرناها سابقا، و كان من بين مؤسسيها الكركني و أبو عائشة الصقر و صهيب و غيره، و هم من أهل البيرة و أهل تدمير الأندلسية، و إقامة هؤلاء في تنس لدليل على انهم لعبوا دورا رئيسيا في عمليات التبادل التجاري بين المغرب الاوسط و الاندلس، هؤلاء الذين قاموا بتشييد مدينة تنس سنة 262هـ/876م،و قد ظهر ذلك واضحا من خلال ما يذكره البكري عن هذه المدينة في كتابه" **المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب**"، فيقول:" **إنً مدينة تنس أسسها و بناها البحريون من أهل الاندلس منهم " الكركني"، و أبو عائشة و الصقر** ....، و

---

[1]- حنيفي هلايلي، المرجع نفسه.
[2]- البكري أبو عبيد الله ابن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشره البارون..... ص،61.
[3]- البكري أبو عبيد الله ابن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشره البارون..... ص،ص،61- 70.

غيرهم و ذلك سنة 262هـ/902م، و أنه سكنها فريقان من أهل الأندلس ، من أهل البيرة و اهل تدمير"[1]. **و الملاحظ انه** بالقرب من هذه المدينة (تنس) تقع مدينة بني جليداسن و يسكنها كما ذكر البكري " **الأندلسيون و القرويون**".[2] **الخريطة(11))**

أما بجاية فقد وصفها البكري في عصره قائلا:" **مدينة أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس"**[3]، بالإضافة الى هذه المدينة، نلاحظ مدينة مرسى الدجاج الواقعة بساحل المغرب الأوسط قد ذكرت من قبل ذكرها العديد من الجغرافيين و المؤرخين، أحيطت بالبحر من جهاتها الثلاث و سكنها الأندلسيون الذين كانت لهم مساهمة كبيرة في اعادة النشاط التجاري لمرساها، و من الجغرافيين؛ الحموي الذي يقول في شان هذه المدينة:"...**و مرسى الدجاج**...[4]. و نظيف إلى جانب ذلك مدينة وهران التي عرفت توافد عدد كبير من الأندلسيين و كان لهم أثر كبير في تشييد المدينة و تعميرها سنة 290هـ/903م.[5]

لقد لعب الاندلسيين أيضا دورا رئيسيا في عمليات التبادل التجاري بين المغرب الأوسط و الأندلس، و كانت مساهمة الأندلسيين واسعة في مدينة تاهرت، حتى أطلق اسم الأندلس على أحد أبواب المدينة[6]، وقد اعتبرت العلاقات الاقتصادية أقوى الروابط حيث ساهمت في نشاط الحركة التجارية مع المغرب الاوسط، خاصة المدن التي كانت من أهم المراكز التجارية في تلك الفترة نذكر؛ بونة "عنابة"، وهران، تيهرت.[7]

---

[1]- البكري أبو عبيد الله، نفسه، ص، 61.
[2]- نفسه، ص، 69 .
[3]- نفسه ، ص ،82.
[4]- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان،ص،70
[5]- البكري أبو عبيد الله ابن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشره البارون.....ص،70.
[6]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث- العهد العثماني.....ص،ص،8- 9.
[7]- سامية مصطفى السيد، المرجع السابق، ص،175.

في طليعة المدن الجزائرية الأكثر تأثرا بالأندلسيين مدينتا بجاية و تلمسان، فأما بجاية**؛التي اتخذها ملوك الحماديين عاصمة لهم، أصبحت محطرحال الأندلسيين الذين أصبحوا يشكلون نسبة كبيرة من سكانها، و نقطة عبور نحو تونس و بلاد المشرق، بالإضافة الى كون بجاية مركز اشعاع حضاري و قاعدي للحكم خلال فترة الحماديين، الموحدين و الحفصيين[1]، كما اعتبرت كعاصمة اقليمية و بابا لإفريقية الحفصية على الأندلس بعد التحاقها بالدولة الحفصية، هذه المدينة التي عرفت ازدهارا كبيرا و نهظة علمية و ازدهار اقتصادي في ضل الحماديين ثم الحفصيين، فلولا قدوم هؤلاء الأندلسيين من علماء و صناع و تجار لما وصلت بجاية* إلى هذه الدرجة من الرقي[2]، فقد وصفها البكري في عصره قائلا:" **مدينة أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس**..."[3]. أما تلمسان؛ أصبحت هي الأخرى مقصد المهاجرين الاندلسيين إثر انقسام دولة الموحدين و تقليص الدولة النصرية أو دولة بني الأحمر بغرناطة، واتباع الملوك الزيانيين سياسة حسن الجوار إزاء حكم الأندلس ليتصدعوا للأطماع الحفصية و الغزات المرينية[4]، وهذا ما شجع السلطان النصري أبا عبد الله محمد الخامس ملك غرناطة، على إرسال وفد إلى تلمسان سنة 763هـ/1361م، يطلب العون و المدد من السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني(760هـ/1359م)**،قد أشار إلى ذلك ابن الخطيب نقلا عن سعيدوني قائلا:

** للمزيد أكثر عن الاندلسيين في بجاية و ما جلبوه للمدينة في كل الميادين انظر حنيفي هلايلي، أبحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي..... ص، ص،13-15.

[1]- حنيفي هلايلي، المرجع نفسه، ص،13.

*للاطلاع اكثر عن دور الاندلسيين في ازدهار بجاية أنظر فصل الأندلسيين .

[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث- العهد العثماني.....ص،128.

[3]- البكري أبو عبيد الله ابن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشره البارون.....ص،82.

[4]- علي احمد علي كركير ، المرجع السابق،ص،100.

** لقد كان على رأس هذا الوفد الكاتب ابراهيم بن الحاج الذي نجح في مهمته، و تحصل من السلطان الزياني على خمسين الف قدح من الزرع و ثلاث الاف قطعة من الذهب لكراء السفن و شحنها الى الاندلس. انظر ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث- العهد العثماني.....ص، 128. و انظر ايضا ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي،ط1، 2003، ص،13.

قالوا الجزيرة قد صوحت **** فقلت غمام الندى تنتظر اذا و كف
كف موسى بها **** غماما يعود الجناب الخضر[1]

بنزوح الاندلسيين إلى تلمسان أضحت معهدا للتدريس، حيث توافدت إليها شخصيات أدبية و علمية منها؛ محمد بن ابي يوسف الثغري و الشاعر محمد بن علي ابن القاسم المرسى و البركات محمد بن الحاج البافيقي*، كما حل بتلمسان المحدث أبو عبد الله محمد بن جابر الواد آشي**الذي برع في النسخ.[2]

و من بين الأسر الأندلسية التي بحسن التدبير في الشؤون المالية في الدولة الزيانية، عائلة بني ملاح القرطبيين الذين استقروا بتلمسان، و قد اتخذتم بنو زيان أمناء على بيت المال، و فوضوا اليهم ضرب السكة من دنانير و دراهيم، كما استقرت اسرة اندلسية اخرى بتلمسان و هي آل الآبلي*،و التي استخدمها السلطان الزياني يغمراسن في جيشه الى جانب شخصيات علمية و دينية مثل الشيخ شعيب بن الحسن الاشبيلي المعروف بابي مدين دفين تلمسان سنة 594هـ/1197م.[3] و بالإضافة الى هذه المدينة، نلاحظ مدينة مرسى الدجاج الواقعة بساحل المغرب الأوسط قد ذكرت من قبل ذكرها العديد من الجغرافيين و المؤرخين، أُحيطت بالبحر من جهاتها الثلاث و سكنها الأندلسيون، الذين كانت لهم مساهمة كبيرة في إعادة النشاط التجاري لمرساها، ومن الجغرافيين الذين كان لهم مقال في شأن هذه المدينة نذكر؛ البكري بقوله:" **و مدينة مرسى الدجاج قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح، وقد ضرب بسور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ومن هناك يدخل إليها"**[4] ، و يواصل

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث- العهد العثماني.....ص،128.انظر ايضا ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية.... ص،13.

*نسبة الى بلفيق حصن من حمل مدينة المرية. انظر حنيفي هلايلي، أبحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص،16.

** نسبة الى وادي آشي ، مدينة تقع شرق غرناطة. انظر حنيفي هلايلي، المرجع نفسه ، ص،16..

[2]- حنيفي هلايلي، نفسه ، ص،16.

* نسبة الى آبلة ، مدينة تقع شمال غرب مدريد انظر حنيفي هلايلي ، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص،16.

[3]- حنيفي هلايلي، المرجع نفسه، ص ،ص،16-17.

[4]- البكري أبو عبيد الله ابن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشره البارون .....ص،ص،65-82.

واصفا محطاته قائلا:" **و من أراد الطريق من القيروان إلى مرسى الدجاج فإنه يأخذ إلى المسيلة على ما تقدم، ثمّ إلى أوزقور وهي عين عذبة باردة عليها شجرة عظيمة، وهذا آخر حد بلد صنهاجة إلى سوق ماكسن، وهي مدينة على وادي شلف لصنهاجة عليها سور ولها عيون إلى سوق مزة وهي مدينة عليها سور وخندق و آبار عذبة وهي لصنهاجة،وكان نزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي، إلى بني جناد، وهي مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر نحو ميل، ومنها إلى مرسى الدجاج**"" [1]، إلى جانب ذلك نجد ابن الحوقل في قوله:" **وهي مدينة عليها سور منيع على نحر البحر وفي شفيره.**"[2]، و المقدسي و الإدريسي بقوله:" **ومدينة مرسى الدجاج كبيرة القطر لها حصن دائر بها.**"[3]، و كذا الحموي في قوله:".....**و لها مرفأ ضيق، يسكنها الاندلسيون الذين ساهموا في اعادة النشاط التجاري لمرساها.....**[4].

أما عن مدينة وهران؛ هي الأخرى التي عرفت استقطاب العيديد من الأندلسيين و كان لهم دور كبير في تأسيس المدينة و تعميرها، و ذلك سنة 290هـ/903م[5]، و يذكر عبد القادر بوباينة في وصفه لميناء وهران قائلا:"....**كما كان لمينائها دور هام في الاتصالات و المبادلات بين ضفتي البحر المتوسط.....** ".[6]

بداية من ذلك التاريخ أصبح لمدينة وهران علاقات متينة مع العدوة الأندلسية، إذ كانت بحكم موقعها الجغرافي تقابل مدينة المرية من ساحل بحر الاندلس، يذكر الإدرسي في وصفه لهذه المدينة قائلا: " **وهران على مقربة من ضفة البحر.....بها**

---

[1]- البكري أبو عبيد الله ، المصدر نفسه.
[2]- ابن الحوقل النصيبي، المصدر السابق،،ص،ص،77.
[3]- محمد بن محمد الشريف الادريسي،نزهة المشتاق في اختراق الافق،ج2،ط1، عالم الكتب ، بيروت، لبنان،1989،ص،159.
[4]- شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان،ص،70
[5]- البكري أبو عبيد الله ابن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشره البارون.....ص،70.
[6]- محمد سعداني، المرجع السابق،ص،82.

أسواق مقدرة و صنائع كثيرة و تجارات نافعة و هي تقابل مدينة المرية، من ساحل بر الاندلس.....و عليه بساتين و جنات، و بها فواكه ممكنة، و أهلها خصب، و العسل بها موجود.....و مراكب الأندلس اليها مختلفة". .[1]

هكذا كان للموقع الجغرافي لمدينة وهران القريب من العدوة الاندلسية دور بارز في توثيق الروابط الثقافية و الحضارية بين الاندلسيين و المغاربة[2]، وبإيعاز من قرطبة تم تجديد و تعمير مدينة وهران سنة 290هـ/903م، من طرف أندلسيين هما "محمد بن ابي عون" و "محمد بن عبدون"،و جماعة من بحارة الأندلس الذين كانوا يترددون على مرسى وهران*،بمساعدة العشائر المحلية القريبة منها كنفوة و مسغن من زداجة*[3]والجدير بالذكر أنً العلاقات الاقتصادية بين العدوتين قد مثلت أقوى الروابط، فنشطت الحركة التجارية مع المغرب الاوسط، خاصة مدينة بونة "عنابة"،وهرن، و تيهرت التي كانت من أهم المراكز التجارية.[4]

إلى جانب هذه المدن، شيدت و ظهرت إلى الوجود مدن أخرى كمسيلة مثلا، التي برزت في داخلها على حد قول ابن خلدون واصفا هذه المدينة :" **أسرة تحت ظل الدولة الفاطمية وهي أسرة بني حمدون الأندلسية التي ترأست إمارة قوية سياسيا و مزدهرة حضاريا ، و كانت ذات طابع أندلسي عمرانيا و ثقافيا، بفضل الأسر الوافدة على هذه الحاضرة**[5]، إضافة إلى ذلك فقد تمكنت جماعات من الأندلسيين من

---

[1]- الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق،(المغرب و ارض السودان و مصر و الاندلس)،مطبعة ابريل ،1863، ص 83،.

[2]- محمد سعداني، المرجع نفسه ، ص،82.

* عن الاندلسيين في وهران انظر حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص،ص،8-12.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر.....ص، ص، 127-128. انظر ايضا حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،9.

* يذكر لومبار نقلا عن سعيدوني ان تاريخ تأسيس وهران يعود الى سنة 902-903هـ ، و قد احرقت من طرف جماعة من البربر عام 910 م، ثم اعيد بناؤها عام 911م، ثم دمرها بنو يفرن عام 545م، و بعد ذلك ببعض سنوات اعيد بناؤها. انظر كل من ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية.....ص،28.. و محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب.....ص،ص،49-50.

[4]- سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص175.

[5]- ابن خلدون،العبر،ج4.....ص،ص،107-108.

الاستحواذ على العديد من المدن الساحلية، منها مدينة بونة، مرسى الفروخ و تمكنت من السيطرة على التجارة بهذه المدن.*[1]

يجب الإشارة إلى أنً في هذه المرحلة أي مرحلة ما قبل سقوط الدولة الأموية، لم تكن الهجرة من الأندلس الى بلاد المغرب فحسب، بل أيضا كانت من العدو المغربية إلى العدوة الأندلسية، فبعد الفتح الاسلامي لبلاد المغرب خاصة في فترة عصر الولاة، وقعت هجرة جماعية و بأعداد كبيرة من القبائل العربية و المغربية إلى الأندلس، لتستوطنها و تؤسس وحدة بشرية و إدارية ببلاد المغرب.[2]

أما عن الهجرات الأندلسية الى الجزائر عامة و متيجة خاصة، فحسب محمد الأمين بلغيت؛ فقليلة بالأخص مدينة الجزائر لقلة المصادر و المراجع عنها[3]. فأعقب العلاقات و الهجرات المحدودة الى المغرب الأوسط ، بداية نزوح جماعي للأندلسيين لأقطار المغرب، وعلى رأسها الجزائر إثر تدهور الاوضاع السياسية للأندلس.[4]

يقول ابن خلدون في هذا الصدد:".... **و أما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها، و من خلفهم البربر، و تغلبت عليهم أمم النصرانية ، فانتشروا في عدوة المغرب ، وإفريقية و لدن اللمتونية إلى هذا العهد، و شاركوا أهل العمران بما لديه و تعلقوا بأذيال الدولة ".** [5] **الخريطة(11))**

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الاموية.....ص،ص،101-102.

* للمزيد اكثر عن الرستميين و مع الاندلس انظر عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية.....ص، ص،96 -102. انظر ايضا محمد سعداني، المرجع السابق،ص،ص،83-84..

[2]- محمد سعداني، المرجع نفسه، ص،84.

[3]- محمد الامين بلغيت، حلقت في تاريخ الغرب الاسلامي" حلقات الاستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيت غير كاملة 6"،القافلة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2014،ص،59.

[4]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الأمة ، الجزائر، 2010، ،ص،273.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت،2002،ص،401.

من مدن المغرب الأوسط أيضا التي استوطنها المهاجرون الاندلسيون بأعداد كبيرة، مدينة القل التي ذكر مارمول كربخال في رحلته بأنها مدينة المهاجرين الاندلسيين، حيث حدد أعداد المهاجرين و المدن الاندلسية التي جاؤوا منها، و أسباب تفضيلهم لهذه المدينة، و يخبرنا أن فيها:" أكثر من ثلاثمائة من سكانها من المسلمين الذين هاجروا من قشتالة و الاندلس، و من اهل الثغور من مملكة بلنسية، وتزداد هذه المستوطنة يوما بعد يوم، لأن البلد خصب كثير القمح و الماشية و به جميع الفواكه كما في اوروبا، منها أشجار الليمون و أشجار البرتقال الوافرة ".[1]

مع تقدم قوات الشمال (النصارى الاسبان) بجيوشهم نحو وسط الأندلس في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، واستلائهم على المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، نزح مئات الآلآف من سكان المدن و القرى باتجاه الجنوب، أو رأى البعض منهم أنً الانتقال الى مدينة أخرى، مما تبقى من الأندلس تحت سيطرة العرب، سيكون مجرد خطوة أولى في الطريق الى نزوح آخر، و لذا انتقلوا إلى العدوة المغربية فور نزوحهم الأول أمام إصرار الإسبان على إخلاء المدن من السكان الاندلسيين، أو بسبب المذابح المريعة التي ارتكبوها جنود الشمال،زاد من حدة النزوح الجماعي الى جنوب الأندلس ثم الى العدوة المغربية.[2]

لعل أكبر عملية نزوح جماعية للأندلسيين وقعت في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، إلى أقطار المغرب الاسلامي خاصة بين فترتي 633هـ/1235 م-897هـ/1492م، وخصوصا الى حاضرة تلمسان الزيانية(وهي فترة ميلاد و تطور الدولة الزيانية)، وفي هذه الفترة كان أغلب المهاجرين مستقرون بالعاصمة تلمسان التي تكونت بها جاليات أندلسية عديدة، اشتهر ذكرها كأسرة بني وضاح التي رحلت

[1]- مارمول كربخال، افريقيا، ج2 ، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد زنيبر ، محمد الاخضر ، أحمد التوفيق، أحمد بن جلون، دار نشر المعرفة للنشر و التوزيع ، الرباط،المغرب،1409هـ/ 1989 م،ج2،ص،362.

[2]- ابن خلدون، العبر،ج7.....ص،93.

من شرق الاندلس، وكان لها مكانة كبيرة لدى السلطان يغمراسن بن زيان، وأسرة بني ملامح القادمة من قرطبة، والتي اشتهرت بالعلم و الأدب، واختص بعض أفرادها بوظيفة صك النقود ومنهم من تقلد وظيفة الحجابة[1]، ومنصب صاحب الأشغال لدى السلطان يغمراسن كعبد الرحمن بن محمد بن الملاح، و كان لبعض الأسر دور في دفع الحركة العلمية و التعليمية بالمغرب الاوسط كأسرة العقباني* التي انجبت عدد من العلماء، لا سيما في مجال العلوم الدينية من أبرزهم سعيد العقباني**، وقاسم بن سعيد العقباني***وغيرهم[2].

تواصلت الهجرة الاندلسية نحو المغرب الأوسط في عهد بني زيان، ولم تقتصر نحو تلمسان فقط، بل قصد الكثير من الاندلسيين مدن اخرى كهُنين، ندرومة، تنس، الجزائر، بجاية[3] و مدن أخرى[4]، عندما سقطت مدينة إشبيلية و المدن القريبة في يد النصارى الاسبان.[5]

لقد شهدت الجزائر مثل المدن الأخرى عرفت تواجد اندلسي بكثرة مع عائلاتهم، فصاروا فيها من المستوطنين الفاعلين في الجانب الثقافي أو الاقتصادي، ومن هؤلاء المهاجرين الذين استقبلتهم، بل و ضمنت لهم الاقامة و سخرت لهم جزءا من أراضيها لصالحهم خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي الميلادي.[6]

---

[1]- ابن خلدون، المصدر نفسه.

* نسبة الى عقبان وهي قرية شمال الاندلس، شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1995، ص، 401.

** توفي سنة 811هـ / 1408م انظر مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الاوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ الاسلامي، جامعة تلمسان،2005، ص، 64.

*** توفي سنة 854هـ/1450م. انظر مبخوت بودواية، المرجع نفسه.

[2]- مبخوت بودواية، نفسه.

[3]- عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الاوسط و الاندلس .....ص،102.عبد العزيز فلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص، 175.

[4]- عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس .....،ص،102.

[5]-عادل سعيد البشتاوي، المرجع السابق،ص،102.

[6]- عادل سعيد البشتاوي، المرجع نفسه.

يشير محمد الأمين بلغيت إلى قلة الوثائق التي تشير الى هجرات اندلسية مبكرة الى الجزائر قبل سقوط غرناطة، وقبل الطرد النهائي لبقايا المدجنين من كان في حي البيازين و ثوار جبال البشرات عام 1019هـ/1610م، وأولى الهجرات إلى مدينة الجزائر هي هجرة واضحة نحو الجزائر" جزائر الثعالبة"،على إثر سقوط سرقسطة البيضاء عام(512هـ/1120م-1121م)واستقرارهم في أعالي الجزائر، موطن استقرارهم في أعالي الجزائر و موطن استقرارهم بحي أو حومة الثغريين، فتشكل حي خاص بهم هو حي الثغريين بضواحيها و الذي يعرف باسم "تاغرة"[1]. و لا تزال الهضبة التي استوطنوها تحمل اسمهم الى اليوم، و يعود لهم الفضل الكبير في أحياء المنطقة، و القضاء على أحراش بوزريعة واستصلاح غابات المنطقة[2].و هذا يؤكد أنً الجزائر كانت مكانا حاضنا للجالية الأندلسية.[3]

لقد خط سير الثغريين من سرقسطة البيضاء أيام حكم أمير المسلمين علي بن يوسف تاشفين(537هـ- 1143م)، فقد حملهم الأسطول المرابطي العامل في السواحل و الجزر المرابطية، من ميناء المرية إلى جزائر الثعالبةرأسا،وقد كانت في الحاضرة المرابطية الشهيرة بالمغرب الاوسط.[4]

أما الهجرة الثانية؛ في الفترة المبكرة في منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، حيث تمت ايام سقوط المرية نفسها على يد الصلبيين الفرنسيين من بروفانس و إمارة لانغدوك (Langue d'Oc) جنوب ووسط فرنسا، وكانت محطة استقرارهم الأولى **بجاية الناصرية**، ثم تحولوا في ظروف لا نعلم دواعيها إلى فحص الجزائر، و كان استقرارهم ببساتين تامنتفوست، لقرب سهول المنطقة من المرافئ

[1]- مختار حساني، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، ج1.....ص،17.
[2]- محمد الأمين بلغيت، حلقات في تاريخ الغرب الاسلامي، الحلقة.....ص،59.
[3]- محمد سعداني، المرجع السابق،ص،102.
[4]- محمد الامين بلغيت، حلقت في تاريخ الغرب الاسلامي، الحلقة .....ص،59.

البحرية للجزائر الشرقية[1]، عمرًها الأندلسيين و كونوا منها حصنا و قلعة في عهد الجزائر العثمانية، وكانت تنطلق السفن تنطلق من تامنتفوست لحماية الساحل الشرقي[2]، وصد الحملات الإسبانية التي تسعى للسيطرة على ضفتي المتوسط في اطار الامبراطورية الجديد[3]، وقاموا بتعمير المنطقة الفلاحية، وهذا ما جلبوه من خبرات في الري و مد القنوات، و سنتحدث عن هذه المساهمات الأندلسية في الفصول اللاحقة.

أما الهجرة الأندلسية الثالثة من مرحلة هجرة ما قبل سقوط الاندلس وهي هجرة أهل بلنسية الشهيرة، وهي هجرة كثيفة نحو تونس الحفصية و بجاية، كما خرجت عائلات كثيرة من تونس و استقرت أولا : بمدينة القل و تادلس " دلس" حاليا، و منها الى فحص الجزائر متيجة أيام اشتداد الحملات الصليبية الاسبانية على بجاية و بونة و القالة ودلس، و هذه الهجرات حسب الدكتور بلغيت كانت بطريقة او بأخرى تتم نحو جزائر الثعالبة، منذ ايم المرابطين و الموحدين، ثم أسسوا مدينة القليعة فيما بعد. [4]

و من الاسباب الموضوعية التي أدت إلى استقرار هذه الجاليات الأندلسية، من سرقسطة البيضاء والمرية و بلنسية خاصة الى رغبة الثعالبة*، لحاجتهم الى خبرة هؤلاء الأندلسيين الزراعية خاصة و الحرفية عامة.[5]

لقد تميزت الهجرات الأندلسية الأولى كما ذهب الى ذلك جل المؤرخين الجزائريين، بأنها هجرات اسر وجيهة و أعلام أندلسية بارزة،كان لها الأثر الكبير في

---

[1]- محمد الامين بلغيت، المرجع نفسه، ص،ص،59-60.

[2]- جمال بن عمار الأحمر،**" الوجود الاندلسي بالجزائر "** ، أعمال المؤتمر العالمي الرابع عشر للدراسات الموريسكية – الأندلسية مهداة إلى الاستاذ الإسباني ميكال دي ايبالثا " السلسلة الرابعة: تاريخ الموريسكيين الاندلسيين رقم 28،ماي،2011،ص،ص،35-36.

[3]- محمد الأمين بلغيت، حلقت في تاريخ الغرب الإسلامي.....ص،ص،59-60

[4]- محمد الامين بلغيت، المرجع نفسه، ص،61.

* هم فرع من عرب المعاقيل الذين ملكوا متيجة و ضواحي مدينة الجزائر العاصمة و الفحص بصورة خاصة. أنظر محمد الأمين بلغيت، محمد الامين بلغيت، المرجع نفسه.

[5]- محمد الامين بلغيت، نفسه.

جميع الميادين العلمية و الاقتصادية، وقد استقطبتهم بجاية الناصرية و الحفصية بصورة بارزة، و استقرت حوالي ثلاثمائة (300) أسرة أندلسية هاجرت من قشتالة و الأندلس، و من أهل الثغور من مملكة بلنسية، واستوطنوا مدينة القل مدينة المهاجرين الاندلسيين[1]. لذا عرفت هذه المدينة العتيقة التي استوطنها الأندلسيون من شرق الاندلس وحواضره الشهيرة و مثاغري جزيرة شقر تطورا، و القل كما هو معروف غني بالفواكه ومنها اشجار الليمون و البرتقال، كما كسبت من خلال خبرات الأندلسيين درجة عالية في تربية دودة القز، لذا كانت من أطماع بيدرو الثالث الأراغوني، الذي سعى للسيطرة عليها، ثم الزحف على مدينة قسنطينة في مغامرة غير محمودة، بتواطئي مع ابن الوزير الطامح في عرش تونس بمساعدة مملكة أرغون الصليبية.[2]

لم تعرف الهجرات الاندلسية إلى ربوع المغرب الاسلامي و بالتحديد الى المغرب الاوسط انقطاعا، بل بالعكس واصلت استمرارها و بأعداد كبيرة، خصوصا بعد سقوط إمارة بني الأحمر بغرناطة سنة 897هـ/1492م[3]، و قد شرع النصارى الإسبان في طرد اهل غرناطة من المسلمين من وطنهم، الى العدوة المغربية منذ الوهلة الأولى التي تسلموا فيها عاصمة بني الاحمر. و في هذا الصدد يقول صاحب " **نبذة العصر**" عن سياسة الملك النصراني:" **فلما اطمان في البلد ، سرح لهم الجواز و اتاهم بالمراكب الى الساحل ، و صار كل من اراد الجواز يبيع ماله و رباعه، فكان الواحد منهم يبيع الدار الكبيرة المعتبرة بالثمن القليل ....و أمرهم بالمسير إلى الساحل بمن معهم يرفعهم النصارى في البحر ، محترمين مطمئنين و يجوزونهم إلى عدوة**

---

[1]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ص،362.

[2]- ناصر الادين سعيدوني، **"صور من الهجرة الاندلسية الى الجزائر"**، المجلة العربية للثقافة، السنة الرابعة عشرة ، العدد السابع و العشرون، عدد خاص بالتاريخ العربي في الاندلس، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، 1994،ص،232.، انظر ايضا محمد الامين بلغيت، حلقت في تاريخ الغرب الاسلامي.....ص،61-62

[3]-عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،ج1،.....ص،177.

المغرب أمنين مطمئنين"[1]، و الملاحظ ان الهجرة الأندلسية بعد أن كانت أو بالأحرى بدأت تمثل هجرات جزئية و عددها محدودا جدا، أصبحت هجرات جماعية تفوق اعداد كبيرة .

تعتبر هذه المرحلة حسب الدكتور محمد بشير حسن راضي العامري، بالنسبة للأندلسيين و للعالم الاسلامي كارثة كبرى و فاجعة دامية، مازالت جروحها حتى الان لم تندمل، اذ كان سقوط مدينة غرناطة و استسلام امرها للنصارى الاسبان، إعلانا رسميا على ضياع أرض الاندلس من يدي العرب المسلمين بعدما حكموها ثمانية قرون[2]، و إنهاء الحكم الاسلامي بالأندلس[3]. و بالتالي لم يجد مسلمو الأندلس مكانا آمنا في بلاده، إذ أصبحت كلها في يد النصارى فلم يبق لهم إما اعتناق المسيحية و الذوبان في المجتمع الاسباني النصراني، والتخلي كلية عن الهوية العربية الاسلامية، وإما التعرض لأبشع أنواع التعذيب، بواسطة محاكم التفتيش التي أقامها النصارى بإشراف الكنيسة لاضطهاد مسلمي الأندلس و إجبارهم على التحول إلى الديانة النصرانية، و إما الهجرة من بلاد الأندلس إلى أقطار أخرى ، حيث أنً ما وقع من عمليات التهجير و النفي و الاضطهاد لمسلمي الاندلس، من النصارى الاسبان بواسطة المحاكم التي أقاموها ، وًصف بأنه من أشد القصص ألما على مر التاريخ، بل من الصعب أن تجد له مثيلا في جميع العصور، لاقتران عملية التهجير بأبشع الأفعال و أكثرها همجية في تاريخ الإنسانية.[4]

أنً النزوح الثاني الذي عرفته الاندلسيون المهاجرون نحو الجزائر، يبدأ بسقوط غرناطة سنة 897هـ /1492م، فلم يمضي الكثير على تسلم النصارى

---

[1]-مؤلف مجهول، نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر، ضبط: الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة ،الدينية، 2000،ص،43.
[2]- محمد بشير حسن راضي العامري، تاريخ بلد الاندلس في العصر الاسلامية،ج1،دار الكتب العلمية، بيروت،2014، ص،177.
[3]- أحمد المقري، نفح الطيب،ج6.....ص، 422.
[4]- محمد بشير حسن راضي العامري، المرجع السابق، ص،177.

لغرناطة، حتى شرعوا في نقض شروط الصلح التي اشترطها المسلمون عليهم مقابل تسليم المدينة، وسلّطوا عليهم شتى أنواع الاضطهاد و العذاب، وأجبروهم على ترك دينهم واعتناق المسيحية، ومنعوهم التحدث بالعربية[1]، و كان ذلك سنة 904هـ/1498م، وزادت الأمور سوء بالنسبة لمسلمي الاندلس، بعد إنشاء الإسبان لمحاكم التفتيش التي كانت تهدف الى تنصير المسلمين، بإشراف الكنيسة وبأي وسيلة وتعرض الرافضون للدخول في دين النصارى، أو أخفوا إيمانهم و تظاهروا بالمسيحية الى التعذيب و القتل[2]، ونتيجة لذلك اعتنق الكثير من المسلمين المسيحية[3]، في حين فضل الأغلبية منهم الهجرة و الفرار بدينهم[4]، خاصة بعد إصدار الكثير من العلماء عدة فتاوي تحث على الهجرة، وترك بلاد الكفر مثل الفتوى التي أصدرها الفقيه أبو العباس الونشريسي المعنوية بـ:« **أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى و لم يهاجر، و ما ترتب عليه من العقوبات و الزواجر**»، والتي تحث المسلمين على الهجرة من الأندلس، بعد أن تغلب النصارى عليها الى بلاد المسلمين، واعتبر هذه الهجرة فريضة وواجبة على المستطيعين[5]. فكل ذلك كان سببا في هجرة الكثير من الأندلسيين تجاه المغرب الإسلامي بصفة عامة، و المغرب الاوسط بصفة خاصة.

أما السكان الأندلسيين الذين مكثوا في الاندلس و لم يتركوها، يصفهم المقري و يصف أوضاعهم و حالهم ومعاناتهم من ويلات الاسبان النصارى، من تنصير و تعذيب و تقتيل و تشريد، قائلا:"....**ثم إنَّ النصارى نكثوا العهد ، و نقضوا الشروط عروة عروة، إلى أنَّ آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع و تسعمائة**.....

---

[1]- مؤلف مجهول، غزوات عروج و خيرالدين، تعليق، نورالدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934،ص،ص، 209-210.
[2]- مريم بوعامر، المرجع السابق، ص،50.
[3]- مريم بوعامر، المرجع نفسه،ص،ص،16-17.
[4]- كمال السيد أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ المغرب و الأندلس، مركز الاسكندرية للكتاب، 2006، ص،ص، 212-218.
[5]- ابو العباس الوانشريسي، أسنى المتاجر في بيان احكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر(حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية)، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ، ص،ص، 69-80.

و بالجملة، فإنهم تنصروا عن آخرهم و بادية و حاضرة، و امتنع قوم من التنصر، و اعتزلوا الناس ، فلم ينفعهم ذلك، و امتنعت قرى و أماكن كذلك منها بلفيق و اندرش و غيرهما، فجمع لهم العدو الجموع، و استأصلهم عن آخرهم قتلا و سبيا....ثم بعد هذا

كله كان من اظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية و يصلي، فشدد عليهم النصارى في البحث، حتى انهم احرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك، و منعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد، و قاموا في بعض الجبال إلى النصارى مرارا و لم يقيض الله لهم ناصرا، إلى أن كان إخراج النصارى إياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر و الف....."[1]. و ما قاله المقري في وصف حال الاندلسيين تأكيد على سياسة الطرد و الأبعد الكلي للأندلسيين المتمسكين بدينهم و ثقافتهم العربية و الاسلامية.[2] *

و الملاحظ أنً معالم الهجرات الأندلسية لهذه المرحلة، ظهرت مع سقوط الحواضر الإسلامية الكبرى للأندلس **قرطبة، بلنسية، إشبيلية** في يد الملوك المسحية[3]، اذ توجه أغلب النازحين إلى مدن **تلمسان، عنابة، هنين، تنس،** وطبقة من العلماء و الأثرياء ما شجعهم على الهجرة شعورهم بالتهديد بالزوال، **و** هذا ما يفهم من وصية ابن خطيب لأبنائه بقوله:" **من رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد الذي لا يصلح لغير الجهاد فلا يستهلكه الجمع في العقار يصبح عرضة للمذلة والاحتقار".**[4]

عندما بدأت الحواضر الإسلامية " الدويلات و الإمارات الأندلسية " تتساقط تحت ضربات الإسبان المسيحيين، خصوصا في السنوات

---

[1]- أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب،ج6.....ص،ص،527-528.

[2]- محمد سعداني، المرجع السابق،ص،106.

* للمزيد أكثر عن حالة الاندلسيين الذين بقوا في الاندلس انظر كل من المقري، نفح الطيب،ج4.....ص،ص،527-529. و عادل سعيد البشتاوي، المرجع السابق، ص،ص،185-192. و كذا محمد سعداني، المرجع السابق،ص،ص،104-110.

[3]- نصيرة عزرودي ،**"هجرة الأندلسيين السياسية إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7هـ /13م-8هـ /14 م."**، مجلة الموافق للبحوث في المجتمع و التاريخ، العدد 4، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة،2009،ص،42.

[4]- إبن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة،ج7.....ص،404

التالية(742هـ/1341م،867هـ/1462م،898هـ/1492م)[1]،أضحى العنصر اليهودي عرضة للبطش و القتل خصوصا في سنة 796هـ/1393م في اشبيليا، حيث مارست الأوساط المسيحية أساليب التعذيب و الاضطهاد التعسفي ضده، و بعد صدور مرسوم بتاريخ 898هـ/31 مارس1492م، يقضي بطرد اليهود من مملكتي قشتالة وأراغون و بعدها من اسبانيا، فاضطر اليهود تحت هذه الضغوطات و الاضطرابات، الى البحث عن مواقع جديدة، لإعادة هيكلة أمورهم في مناطق أكثر أمنا و استقرارا، مما جعل هذه الفئة من السكان تدمج مع الهجرات الأندلسية المتجهة نحو الجزائر و قد لقبت جماعات من اليهود هذه بـ **الميغورشيم**** أو يهود الإسبان.[2]

مع مطلع القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، أصبحت مدن و الحواضر الكبرى للمغرب الاوسط (الجزائر، شرشال، تنس، مستغانم، تلمسان، بجاية، وهران بالإضافة إلى قسنطينة و مليانة[3]، بينما اختارت قلة منهم المناطق الداخلية وامتزجوا في الأحياء بنوا مساكنهم بين المسلمين بشرط أن لا ترتفع أو تعلوا على منازل المسلمين ومساجدهم، كما سمح لهم بإقامة شعائرهم الدينية شرط أن لا يضربوا النواقيس[4]. **الخريطتين (11)،(12))**

تشير بعض الدراسات الى مساهمة يهود اسبانيا في دفع الحركة التجارية بالمغرب الاوسط خلال الفترة الزيانية و هذا من خلال نشاطاتهم المالية و التجارية[5]،

---

[1]- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط 2، دار الأمة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2004، ص،143.

** الميغورشيم كلمة عبرية ومفردها ميغوارش (Mégorach)، وتعني الهارب أو المطارد وأطلقت على اليهود الذين فروا شبه الجزيرة الايبيرية إلى شمال افريقيا وتشمل اليهود السفاردين و يهود الأشكيناز ، أنظر حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص ،44. و نميش سميرة، دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين(7- 10هـ/13-16م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان،2013-2014،ص،17.

[2]- حنيفي هلالي، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص،ص،44-45.انظر ايضا نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في معالم العصر الحديث، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1988-1987 ، ص،35 .

[3]- حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص ،45.

[4]- نميش سميرة، المرجع السابق، ص،46.

[5]- حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص،45.

فالملاحظ ان الجماعة اليهودية بتلمسان أصبحت تشكل طبقة اجتماعية ذات تأثير واضح على الحياة الاقتصادية والاجتماعية بفضل نشاط **الربي أفراييم أنكاوة** الذي هاجر من الأندلس واستقر بتلمسان وقد تخرج عليه وتتلمذ له العديد من الأطباء اليهود الذين توارثوا معارفه وعلومه أوكلت العناية بشؤونهم إلى أحد أعيانهم المعروف بمقدم اليهود فهو بمثابة أمين جماعة اليهود .[1]

لقد كان لحاضرة تلمسان نصيبا من المهاجرين الغرناطيين ، خصوصا العلماء و الامراء فقد ذكر المقري قائلا أنً :" **جماعة من علماء الأندلس خرجوا إلى تلمسان ، منهم القاضي الشهير ابوا عبد الله بن الازرق، صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل، و كتاب السًياسة الملخًص من مقدًمة تاريخ ابن خلدون، و فيه زيادات بديعات و كتاب روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام ، و غير ذلك، و ارتحل من تلمْسان و سنُلم بذكره. و منهم بن داودَ المذكورين في فهرسة الشيخ ابن غازي ، و هؤلاء خرجوا من الاندلس قبل أخذ غرناطة. و لكن لما راو استطالة العدو عليها، و أنه آخذها لا محالة، قوًضوا رحالهم عنها فنزلوا بتلمسان المحروسة ، و اُخذت الحضرة الغرناطية بعد ارتحالهم بقريب رحمهم الله . و منهم الفقيه الاديب، حائز قَصَب السق في كثرة النًسْخ و الكتابة ، عبد الله محمد بن الحدًاد الشهير بالوادي آشي".**[2] ** **الخريطة(13))**

---

[1]- ج.أد هانبستيرايت، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر تونس طرابلس الغرب(1145هـ- 1732م)، ترجمة ناصر الدبن سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، ص،55.

[2]-ابو العباس المقري التلمساني، أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبد المنعم عبد العظيم شلبي، ج1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، مصر،1358هـ /1939م ، ص، 71 .

** للمزيد ايضاً أنظر كل من ابو العباس المقري التلمساني،المصدر السابق،ص،ص،71-73. عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر، تاريخ الجزائر،ج2.....ص، ص،201-202.

و من جملة المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب الاوسط ملك غرناطة الاسبق أبو عبد الله الزغل* عم آخر ملوك غرناطة، و قد انتقل من وهران الى تلمسان ، حيث دفن به سنة 899هـ/1493م.[1]

إضافة الى حضرة تلمسان التي اختارها المهاجرون الاندلسيون للإقامة بها، نجد ان مدينة الجزائر ايضا من المدن التي اتخذوها هؤلاء المهاجرون ملجا لهم، ومن الحكم العثماني نفوذا مناسبا لأمالهم و طموحاتهم.[2] **الخريطتين (12))،(13))**

اعقب هذه العلاقات و الهجرات المحدودة ، بداية النزوح الاندلسي الجماعي نحو المغرب العربي و علىرأسها الجزائر، اثر سقوط حواضر الاندلس الكبرى في ايدي النصارى الواحدة تلو الاخرى، و كان اكثرها وقعا و اشدها اثرا سقوط مدينة اشبيلية في يد الاسبان عام 722هـ/1371م،الذي كان بداية للهجرة الجماعية، التي اصبح لا مناص منها بعد فشل ثورة جبال البشرات(**Las Alpujarras**) (905هـ-908هـ/1499م-1502م)،وتخيير المشاركين فيها من أهالي غرناطة و نواحيها بين التنصير و إعلان الولاء للملك الإسباني من جهة أو النفي، فقد فضلت الغالبية منهم الهجرة إلى أقاليم المغرب العربي و منها الجزائر[3]، وذلك لسبب طمس الإسبان لمظاهر الحياة الإسلامية في الأندلس.[4]

في قضية تصفية الوجود الإسلامي في اسبانيا نهائيا، يرى بلغيت أنً هذه القضية تطلبت اتخاذ سيادة قاسية تمثلت في سياسة التنصير الإجباري للمسلمين، التي أشرفت عليها الكنيسة الكاثوليكية و تبناها الكاردينال خيمينيس (**Cinseros**

---

* من الأمراء الأندلسيين الذين نزحوا الى تلمسان الأمير الغرناطي النصري أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل الذي حكم مالقة ثم صار اميرا على غرناطة مدة في مكان اخيه السلطان ابي الحسن، وقد خرج من الاندلس قبل سقوط غرناطة يقول المقري:".. و لما ذلك السلطان الزغَل و هو ابو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة بادر بالجواز لبر العدوة فجاز لوهْران ، ثم لتلمسان ، و استقر بها، و بها نسله الى الان يعرفون ببني سلطان الاندلس .انظر المقري، نفح الطيب،ج4.....ص،524.

[1]- احمد بن محمد بن علي ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق و تعليق، المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة، للنشر، ط1،الجزائر،2003،ص،17.

[2]- عبد العزيز فيلالي، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص،18.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر.....ص،130. انظر ايضا مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة.... ص،215 .

[4]- نصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية .....ص،20.

Ximénés) ونفذها البغيض الاسباني فردناند وإزابيلا العهد الذي أعطى للمسلمين مقابل تسليم غرناطة*، فالمعاملة القاسية اللاإنسانية التي تعرض إليها الأندلسيون ادت الى القيام بانتفاضات و ثورات عديدة مثال ذلك ثورة البشرات(976 هـ/1568م–1570م) وبعد سنتين فشلت الثورة، وارغموا على التهجير إلى السواحل المغربية، وأعقب هذه الانتكاسة زيادة الضغط على المسلمين، فاتخذت في حقهم إجراءات قمعية رادعة مهدت الى قرارات الطرد الجماعي، التي أصدر قوانينها و مراسمها فيليب الثالث ما بين1016هـ–1023هـ/1607م–1614 م.**[1]

تواصلت الهجرات الجماعية بكثرة واشتدت خاصة مع قرارات الطرد الجماعية التي أصدرها الملك الاسباني فيليب الثالث لغرض تصفية الوجود الإسلامي في اسبانيا، وأهمها التي حدثت في فترة مابين 1018هـ – 1023هـ/ 1609 – 1614م، والتي بلغ عدد المهاجرين فيها حوالي 10الاف عائلة[2]، ولم يبق إلا عدد ضئيل من المسلمين الذين تنصروا فيما بعد وأعلنوا ولاءهم الرسمي للملك الإسباني.[3]

يذكر الدكتور بلغيت أنً سواحل المغرب الاوسط – الجزائر – قد تعرضت في هذه الفترة إلى العديد(فترة سقوط غرناطة)من الهجمات الاسبانية، و ذلك بانتهاج الاسبان النصارى سياسة متابعة و تعقب المهاجرين الاندلسيين بها، وهي ما اصطلح عليها بحركة الاسترداد ببلاد المغرب،(**Reconquista**)،و ذلك و للحيلولة دون قيامهم بالجهاد البحري، انتقاما لما تعرضوا له، و قد أسفرت هذه السياسة عن استيلاء الإسبان على العديد من المراكز الساحلية بالسواحل الجزائرية، فقد فرضوا

---

* للاطلاع عن معاملة الاسبان للمسلمين انظر فصل الاندلسيون من الأطروحة.

[1]- محمد الأمين بلغيت، حلقت في تاريخ الغرب الاسلامي.....ص،63.

** للاطلاع و التوسع اكثر عن الموريسكيون الاسبان ووقائع طردهم انظر دون باسكوال بورونات أي براتشينا ، الموريسكيون الاسبان ووقائع طردهم،ج1،تر: كنزة الغالي،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت،2013.

[2]- Mouloud. Gaid, Op,Cit,p,116.

[3]- نصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي،ط1، 2003 ، ص ،22،ص،22.

سيطرتهم على العديد من المراسي كالمرسى الكبير بغربي الجزائر (911هـ/1505م) ووهران (915هـ/1509م) ومستغانم(917هـ/1511م)، وتلمسان(918هـ/1512م) وكذا كل من تنس (915هـ/1509م) وبجاية (916 هـ-1510م) والجزائر (917هـ/1511م)وعنابة(918هـ/1512م).[1] **الخريطتين ((11)،(12))**

رشح العامل الجغرافي منطقة شمال إفريقيا لاستقبال أكبر عدد من المهاجرين[2]، و كان للبحارة العثمانيين وعلى رأسهم الأخوان بربروسة خير الدين و عروج دور كبير في تسهيل هجرة الأندلسيين، والإسراع بنقل المضطهدين منهم إلى السواحل الجزائرية، إذ تمكنوا في الفترة الممتدة بين سنتي935هـ و992هـ/1528و 1584م، من شن ثلاث وثلاثين غارة بحرية ناجحة على السواحل الاسبانية، أنقذوا أثناها كثيرا من الأندلسيين.[3]

هكذا عرفت الجزائر هجرة اندلسية واسعة خلال مراحل الهجرات الكبرى نحو المنطقة، إلا أنً الوثائق المتعلقة بها و بالجالية الجزائرية محدودة جدا، و الموجودة منها ما زال معظمه موزعا عبر مختلف أرشيفات دول البحر المتوسط زيادة على وضعية الجالية الأندلسية بالجزائر و طبيعة الحكم العثماني بالإيالة، كلها جعلت الدراسة الموريسكية الاندلسية بالجزائر تتأخر عن زميلاتها بتونس و المغرب الاقصى.[4]

---

[1]- محمد الأمين بلغيت، حلقت في تاريخ الغرب الاسلامي.....ص،63. انظر ايضا، حنيفي هلالي، أبحاث و دراسات في التاريخ. ....ص،19.

[2]- مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام، دار البشائر،ط1،دمشق،1999،ص،215.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،22.

[4]- حنيفي هلالي،" **الحضور الاندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية**"، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، د. عدد، د.ت، د. ترقيم

من هنا و اعتمادا على دراسات الدكتور سعيدوني التاريخية فإنً الوجود الأندلسي عرف ثلاث مراحل كبرى متميزة فالأولى؛ استغرقت الفترة الإسلامية المتقدمة من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي الى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وارتبط فيها استقرار العناصر الاندلسية بالنشاط التجاري خاصة، و كانت نتيجة الصلات الوثيقة بين الاندلس الاسلامية و بلاد المغرب الاوسط، و التي ميزت سياسة الدولة الاموية ثم ملوك الطوائف بالدول الإقليمية التي ظهرت بالجزائر، قبل ان تأخذ طابع التحدي من جراء التنافس بين خلفاء قرطبة الاموية، و حكام المغرب الفاطميين، و قد ساهم الاندلسيون في هذه المرحلة في انشاء أو تجيد عمران العديد من المراكز الساحلية بالمغرب الاوسط*، خاصة اثناء القرنين الثالث و الرابع الهجريين/التاسع و العاشر الميلاديين مثل وهران و تنس و برشك و هنين و غيرها.[1]

أما المرحلة الثانية للوجود الاندلسي بالجزائر، فقد بدأت في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، مع حكم المرابطين للمغرب و الأندلس و استغرقت فترة الموحدين و الدول الاقليمية الى ورثتهم، و استمرت حتى انتهاء الحكم الاسلامي بالأندلس و سقوط غرناطة(897هـ/1492م) بيد الاسبان، و قد تزايد نزوح الاندلسيين في هذه المرحلة مع سقوط الحواضر الاسلامية الكبرى بالأندلس و قد تعرضنا اليها**،فتوجه أغلب النازحين الى مدن بجاية و تلمسان و عنابة و هنين و هنين و تنس و غيرها. و قد اصبحت كل من بجاية و تلمسان بفعل هذا النزوح الذي كان في مقدمته رجال العلم و أهل الصلاح و ذوي الثرة و الجاه ،مراكز

*للاطلاع عن الهجرات الاندلسية و مساهمتها في مدن المغرب الاوسط انظر فصل الاندلسيين من الاطروحة.

[1]- ناصر الدين سعيدوني،" **الاندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر(دار السلطان) أثناء القرنين السادس عشر و السابع عشر** "، حوليات جامعة الجزائر ، العدد 7، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر،1993،ص،107.

** للاطلاع انظر فصل الاندلسيين من الاطروحة.

اشعاع علمي حضاري و نشاط اقتصادي متميز***، فلم تنافسها في ذلك سوى مدينة تونس عاصمة الحفصيين و مدينة فاس قاعدة المرينيين.[1]

إلا حظوظ مدينة الجزائر من هذه الهجرات التي شكل معظم صفوفها من أهل الثقافة و العلم فقد كانت ضعيفة نسبيا بمقارنته بالأعداد الهامة التي نزلت على بجاية الحفصية و تلمسان الزيانية، وهما المدينتان اللتان كانتا تعدان من اهم المراكز الحضارية في المنطقة و للعلاقات الزيانية – الاندلسية السابقة من جهة اخرى[2]. في هذا الصدد يشير الدكتور محمد رزوق الى ان الوجود الاندلسي بالجزائر في العصر الوسيط يبدو ضعيفا اذا ما قورن بمثيله في كل من المغرب وتونس، فالجزائر في الحقيقة في هذه الفترة لم تكن إلا ملجا لمن فشل في احدى القطرين.[3]

تأتي المرحلة الثالثة للنزوح الأندلسي إلى الجزائر، التي تبتدئ مع نهاية القرن التاسع الهجري/القرن الخامس عشر الميلادي، و تستمر الى مستهل القرن الحادي عشر الهجري/أواخر القن السابع عشر الميلادي، حيث تواصلت الهجرة و قد اتخذت الهجرة الاندلسية في هذه المرحلة طابع النزوح الجماعي بكثرة ،واشتدت مع قرارات التنصير القسري و الطرد الإجباري الجماعي(1016هـ- 1023 هـ/1609م-1614م)، تواصلت الهجرات الجماعية بكثرة واشتدت خاصة مع قرارات الطرد الجماعية التي أصدرها الملك الاسباني فيليب الثالث للقضاء نهائيا على العنصر أو بالأحرى لغرض تصفية الوجود الإسلامي في اسبانيا، وأهمها التي حدثت في فترة ما بين 1018هـ- 1023هـ/ 1609- 1614م، والتي بلغ عدد المهاجرين فيها

***عن المدن الجزائرية بجاية و تلمسان وعن فضل الاندلسيين في دفع عجلة التقدم العلمي و الاقتصادي طالع الصفحات من فصل الاندلسيين.

[1]- ناصر الدين سعيدوني،" **الاندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر.....**ص،107.

[2]- حنيفي هلالي،" **الحضور الاندلسي بالجزائر في العهد العثماني.....**

[3]- محمد رزوق، دراسات في التاريخ المغرب.....ص،131.

حوالي 10الاف عائلة[1]، ولم يبق إلا عدد ضئيل من المسلمين الذين تنصروا فيما بعد وأعلنوا ولاءهم الرسمي للملك الإسباني.[2] فغادرت أعداد ضخمة من المزارعين و الصناع و التجار من بقايا المسلمين مواطنيها الاصلية بإسبانيا، و توزعت على سواحل بلاد المغرب العربي.[3]

لقد ظهرت الجزائر كقوة بحرية قاهرة في المنطقة الغربية للبحر الابيض المتوسط خلال القرنين العاشر و الحادي عشر الهجريين/ للقرنين السادس عشر و السابع عشر الميلاديين[4]، بعد تأسيس الحكم العثماني بمدينة الجزائر سنة 925هـ/1519م كأولى قاعدة عثمانية في الصراع العثماني و النشاط البحري الذي بذله الأخوة بربروسة في الحوض الغربي من البحر المتوسط من حملات بحرية واسعة على السواحل الاسبانية ، و استغاثة الاندلسيين و نقلهم[5]، اذ قاموا بشن ثلاث و ثلاثين غارة بحرية تمكنوا من خلالها انقاذ عدد كبير من الاندلسيون في فترة ما بين 935هـ-994 هـ/1528م-1585م[6]، أعطى لمدينة الجزائر سمعة و شهرة في المنطقة[7]، مما ادى استقطاب العديد من مهاجري الاندلس و اختيارهم الجزائر كملجأ لهم، ومن الحكم العثماني نفوذا مناسبا لأمالهم و طموحاتهم. لذلك ربطوا مصيرهم في هذه المرحلة بالأتراك العثمانيين. فمنذ إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، عرفت معظم المناطق الساحلية للجزائر استقرار الجالية الجزائرية بسبب الدور الفعال الذي لعبته الدولة العثمانية في مساندتها للمهاجرين الاندلسيين، هذه الاخيرة التي كان لها دور فعال في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر، وتمثلت

1- Mouloud. Gaid, Op,Cit,p,116.

2- نصر الدين سعيدوني، الدراسات الاندلسية.....ص،20.

3-ناصر الدين سعيدوني،" **الاندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر.....**ص،107.

4- وليام سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1980،ص،7.

5- حنيفي هلالي،" **الحضور الاندلسي بالجزائر في العهد العثماني**.....

6- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر.....ص،130.

7- حنيفي هلالي،" **الحضور الاندلسي بالجزائر في العهد العثماني.....**

مساعداتهم العثمانيين من خلال التصدي للحملات الاسبانية المتكررة من جهة، و المساهمة في القضاء على تمردات الامارة المحلية بالجزائر من جهة اخرى.[1]

نشير إلى أنً خير الدين بربروسا تمكن من جعل ايالة الجزائر*، قوة بحرية في المنطقة المتوسطية هزت إسبانيا و أرعدت أوروبا، واستحقت بان يطلق عليها(بلد الجهاد)،و على مؤسساتها (أكبر مدارس الاسلام البحرية).و الجدير بالذكر أنً معرفة خير الدين بالملف الموريسكي كانت جيدة، مما جعله يعتقد وجوب انشاء دولة قوية و موحدة بالمغرب الأوسط، و التي انطلاقا منها يكون باستطاعته استرجاع الاندلس مرة أخرى، و العمل على انقاذ الموريسكيين من سياسة الاحتواء الثقافي التي مارسها محاكم و دواوين االتفتيش.[2]

هكذا قدم خير الدين ثلاثيين سفينة لنقل الثائرين و عائلاتهم الى الجزائر، و قامت هذه الاخيرة بسبع رحلات خلالها سبعين ألفا من الاندلسيين المضطهدين[3]، و في نطاق هذه الجهود التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون من أتراك و أهالي من اجل انقاذ اخوانهم الاندلسيين و نقلهم الى الجزائر، نشير من خلال الدكتور سعيدوني إلى أنًه في سنة 932 هـ/1525م، أرسل خير الدين مجموعة من سفنه بقيادة ايدن رايس و صالحرايس لنجدة مسلمي بلنسية المضطهدين فأسفرت هذه العملية الحربية الجريئة عن نقل حوالي 600 أندلسي كانوا ينتظرون النجدة من سفن الرياس الاتراك العثمانيين عند مصب نهر افيلا **Ovila** ، و قد تمكنت تلك السفن من العودة بهم الى الجزائر رغم اعتراض البحرية الاسبانية معهم في معركة بحرية ضارية بميناء

---

[1]- حنيفي هلالي، دراسات و ابحاث في التاريخ الموريسكي.....ص،ص،18-19.

* حول تأسيس إيالة الجزائر، انظر كل من شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب؛ محمد مزالي و البشير بن سلامة، ط2،ج2،تونس،الدار التونسية للنشر،1983،ص،ص،321-350 و حماش ابراهيم خليفة، العلاقات بين الإيالة الجزائرية.....
،ص،92-93. ارزقي شويتام، دراسات و وثائق في تاريخ الجزائر العسكري، الفترة العثمانية،1519م -1830م،دار الكتاب العربي، 2016،،ص،ص،11-22. و كذا نعيمة بوحميوش، نعيمة، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1999، ص،6.
De Grammont (H.D) Histoire d'Alger sous la domination Turque 1515-1830,Paris,1887,)

[2]- جون-ب- وولف، المصدر السابق، ص،21.

[3]- محمد عبده حتامله و آخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،918.

الجزائر الشرقية " الباليار"[1]. كما تم نقل حوالي نقل 7700 أندلسي من أهالي بلنسية و اليكانت في فترة ما بين941هـ- 977هـ/1534م-1569م، وهذا ايام البحارة المشهورين (صالح رايس- ايدن رايس -دوغوث رايس-حسن فينيزيايو-مراد رايس). و شارك مئات المتطوعين الانكشاريين ثوار جبل البشرات **Las Alpujarras**، و هذا بإنزال بحري على شواطئ "المرية" و" مربلة" ما بين 976هـ-977هـ/ 1568م-1569م،كما انتقل حوالي ثلاثون الف أندلسي موريسكي من الأندلس إلى الجزائر، إثر فشل ثورة البشرات الثانية سنة 978 هـ/1570م، وقد انتقل هؤلاء على سفن عثمانية، واستمر تيار الهجرة الأندلسية إلى الجزائر بمساعدة المجاهدين الجزائريين و العثمانيين.[2]

أشار كتاب "غزوات عروج و خير الدين" أنً خير الدين قد انقذ ما لا يقل عن 70.000 أندلسي و حملهم الى الجزائر، و كان هؤلاء المرحلون من المستويات المتوسطة المعيشية والفقيرة،اذ جلبهم من الفلاحيين، وأصحاب المهن، و الصنائع، و التجار، و قليل منهم له حظ في العلم، وهذا على خلاف ما كان من احوال الاندلسيين في المراحل الاولى للهجرة الاندلسية للجزائر.[3]

و فعلا عبرت ايالة الجزائر عن تعاطفها مع الاندلسيين ، فبعثت اليهم بالرجال و كمية من الذخيرة الحربية، وقد اعترف حكام الجزائر و على رأسهم قليج علي (علج)، بأن الاندلس لا يمكن استعادتها بدون اسطول عثماني و قوة برية كبيرة، و لكن مع هذا فان ثورة الموريسكيين في إسبانيا كانت مفيدة لبيلارباي شمال إفريقيا، لأنها جمدت القوات البحرية الإسبانية بالإضافة الى تجميدها للجيش الاسباني الذي

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر.....ص،ص،130-131.
[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر.....ص،ص،130-131.
[3]- جمال بن عمار الأحمر، المرجع السابق،ص،37.

كان قد بقي في حوض البحر المتوسط ، كما انها عطت لعلج علي فرصة ذهبية لمحاولة سيطرة الجزائر من جديد على ساحل الشمال الأفريقي.[1]

يرى المؤرخ سعيدوني أنً الظروف التاريخية التي عرفتها الجزائر ابتداء من القرن التاسع الهجري/القرن الخامس عشر الميلادي، شجعت الأندلسيين على الهجرة الجماعية الى الجزائر، في حين لم تساعد الأوضاع في أواخر العهد الحفصي و ما صحبها من تدخلات، أنً المغرب الأقصىرغم علاقاته التاريخية و صلاته البشرية و قربه الجغرافي من الاندلس، فإنً الهجرة اليه لم تكن تماثل الهجرة الى الجزائر بسبب العداء الذي كان قائما بين السعديين و العثمانيين.[2]

بلغت الهجرة الاندلسية الجماعية لمسلمي اسبانيا أوجها، مع قرارات الطرد الجماعية التي صدر قوانينها و مراسيمها الملك الاسباني فيليب الثالثما بين 016هـ-1023هـ/1607م-1614م، بايعاز من الكنيسة و تشجيع من الاقطاعيين فخصصت لهم السفن لنقلهم الى السواحل المغربية ، وبفعل هذا التوافد الأندلسي المكثف والهجرات المتتالية،أمكن للمناطق الساحلية من المغرب الأوسط التغلب على الانهيار الديمغرافي، إلا أنه يجهل عددهم الإجمالي، فقد بلغ عددهم في مدينة الجزائر في مطلع القرن 11هـ/17م حوالي2500[3]، فعلى سبيل المثال نجد أن عدد سكان مدينة الجزائر قد ارتفع من 25.000 نسمة في 924هـ/ 1518م-إلى70.000 نسمة في 988هـ/1580م، ليصل إلى حوالي 120.000 في1044هـ/1634م، خاصة بعد قرارات الطرد الجماعية(1018هـ- 1023 هـ/1609م-1614م) في حقهم، خاصة بعد صدور مرسوم نفي مسلمي بلنسية بتاريخ 1018هـ/22 سبتمبر1609م، كما تم ترحيل 28000 أندلسي نحو ميناء دانية (**الصورة(03)**)، و15000 أندلسي من ميناء بلنسية وحملت السفن الإسبانية

[1]- وولف جون، المصدر السابق ، ص،ص،84-85.
[2]- محمد عبده حتامله و اخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،ص،918-919.
[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث.....ص،132.

الأولين منهم على نفقتها الخاصة إلى مدينة وهران. بينما اعتمد الآخرون على أنفسهم في استئجار السفن الّتي حملتهم صوب السواحل الجزائرية[1]. وقد تميزت سنوات(1060هـ/1650م،1078هـ/1667م،1081 هـ/1670م) بوصول عدد كبير منهم إلى مدينة الجزائر حتى فاق عددهم يفوق 25الف نسمة[2]، فأصبح الأندلسيون يشكلون ربع سكان مدينة الجزائر في بداية القرن الحادي عشر الهجري(بداية القرن السابع عشر الميلادي)،فقد قدر الراهب الاسباني هايدو* **(Haedo)** عددهم في1018هـ/1609م بما لا يقل عن 25.000 نسمة.[3]

لقد تبعتهم جماعات أخرى من مسلمي أراغون واسترامادورو* و المانشا، التي لم تتمكن من الإبحار إلى السواحل الجزائرية مباشرة، فاضطرت الى مغادرة مواطنها عبر فرنسا و الانتقال إلى مرسيليا ومنها إلى ليفورن بإيطاليا ثم إلى الجزائر، بعد تعرضهم لمضايقات وعراقيل بفرنسا بسبب اغتيال الملك الفرنسي هنري الرابع سنة 1019هـ/1610م الذي سبق ذكره، بحيث أنه كان يسهل هجرة الأندلسيين من الأراضي الفرنسية. و قد انظم إلى هؤلاء المهاجرين عن طريف فرنسا كثير من الأندلسيين الذين كانوا يعيشون في المناطق الجنوبية من إسبانيا، و الذين حرصوا على اصطحاب أبنائهم الصغار معهمرغم حظر القانون الإسباني ذلك.[4]

حسب سعيدوني فإن الهجرة الاندلسية التي حدثت سنة 1018هـ/ 1609م، كان لها صدى واسع في اقطار المغرب العربي و منها الجزائر.[5]

---

[1]-حنيفي هلالي، الابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،34. أنظر ايضا ناصر الدين سعيدوني، دراسات و أبحاث.... ص،132.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ،ج4.....ص،98.

* وهو الإسباني الرهباني الأسير فراي دييجو دو هايدو Fray Diego De Haedo

[3]- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ،ج4.....ص،131.

* سترامادورو **Eshamadure** : مقاطعة إسبانية قريبة من البرتغال، كانت أيام الحكم الإسلامي عاصمة أحد ملوك الطوائف.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،16.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه.

لقد تضمنت الوثائق الاسبانية قوائم السفن التي حملت الاندلسيين المهجرين الى وهران و المرسى الكبير باعتبارهما مركزين أساسيين يوجه اليهما المهجرون. و قد نقل ما بين شهري اكتوبر و نوفمبر(1018هـ/1609م) 116022 مسلما من مناطق شرق الاندلس. وارتحلت اعدادا كثيرة من الاندلسيين من بلادهم للاستقرار بالمدن و الاقاليم الجزائرية الساحلية خاصة، و أهم مراكز الاستقرار بالغرب الجزائري مدينة وهران و نواحيها و مستغانم و ارزيو و جهاتها و تلمسان و قلعة بنيراشد و مازونة و ندرومة [1].

كما استقرت بالشرق الجزائري جاليات اندلسية ببجاية و جيجل و القل و قسنطينة و بونة (عنابة) و القالة ، اما في الوسط؛ فقد اختارته بعض الجاليات الثغرية القادمة من وشقة و مرقسطة البيضاء و بطليوس بالغرب (البرتغال). و تجمع الاندلسيون في مدن الجزائر كالبليدة و القليعة و شرشال و تادلس و مليانة و المدية و مازونة و في اقليمي المتيجة و الساحل القريب عنها.[2]

ذكر المقري الذي كان معاصرا لهذا العصر قائلا:" **فخرجت ألوف منهم بفاس و ألوف بتلمسان و وهران. و جمهورهم خرج بتونس. فتسلط عليهم الاعراب و من لا يخشى الله تعاللى في الطرقات ونهبوا اوالهم . و هذا ببلاد تلمسان و فاس، نجا قليل من هذه المعرة، اما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم اكثرهم و هم لهذا عمروا قراها الخالية و بلادها. و كان بتطاوين و سلا و متيجة الجزائر. و لما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا و سكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الان. وحصنوا قلعة سلا و بنوا بها القصور و الدور و الحمامات و هم الان بهذا الحال**".[3]

---

[1]- جمال بن عمار الأاحمر، المرجع السابق،ص،37.
[2]- محمد الامين بلغيت، حلقت في تاريخ الغرب.....64.
[3]- أحمد المقري ،نفح الطيب،ج6.....ص،ص،527-528.

إنّ ما يلاحظ أنّ الأندلسيين كانوا يتعرضون إلى مخاطر جمة في طريقهم إلى الجزائر، ففضلا عن الأضرار التي لحقت بهم من جراء غارات الأعراب و انتشار الاوبئة، نجدهم يتلقون ابشع انواع العسف و الظلم على أيدي ربابنة السفن الإسبانية. وقد ينتهي بهم الامر الى الغرق في البحر* ولعل هذه الظروف الصعبة التي عرفها المهاجرون الاندلسيون نحو الجزائر، هي التي دفعت البعض منهم إلى العودة مرة اخرى الى اسبانيا و اعلان تبعيتهم لملك اسبانيا و التظاهر باعتناقهم المسيحية مثل الجماعة التي عاد بها القبطان برت **Capitaine Barret** من وهران الى اسبانيا على ظهر سفينته.[1]

تقاطر عدد كبير من الموريسكيين على الجزائر حتى بلغ عددهم في العاصمة وحدها 25000 موريسكي، و كان استقبالهم على العموم في البداية حسنا بفعل وجود جالية موريسكية مهمة كانت مستقرة بها قبل الطرد، فقد ذكر الأب هايدو أن عددهم كان يبلغ1000.و قد استقبلت وهران حوالي 22000 موريسكي. لكنها لم تستطيع أن تؤي هذا العدد الضخم ، فاضطر رفيق منهم مكون من حوالي 500 الى 600 موريسكي التوجه الى تلمسان.[2]

لم يقتصر استقرار الأندلسيون على مناطق معينة من الجزائر، بل شمل عدّة جهات خاصة المراكز الساحلية، سنتعرض اليها لاحقا و هكذا أصبحت مدينة الجزائر خاصة موطن استقرار رئيسي للعناصر الأندلسية حيث استقرت في فحوصها وانتشرت بالأرياف القريبة منها فعرفوا عند عامة الناس بأهل الأندلس.[3]

---

*كما حدث لمهاجري سفينتين كانتا متجهتين من قرطاجنة الى وهران فغرقتا في وسط البحر في شهر ديسمبر من عام 1609م . انظر ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث.....ص، ص، 135-136.

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث.....ص. 136. انظر ايضا محمد رزوق، الاندلسيون و هجراتهم.....ص، ص،131. و محمد عبده حتامله و اخرون، موسوعة الاندلس،ج2.....ص،919.

[2]- محمد رزوق، الاندلسيون و هجراتهم.....ص،131. انظر ايضا مرجاني عبد القادر، " **هجرات الأندلسيون الى الجزائر و مساهمته في مواجهة المد الايبيري في حوض البحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر**" مجلة القرطاس، دورية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات الحضارية و الفكرية تعني بنشر البحوث في التاريخ و الحضارة و الفكر معتمدة من طرف المديرية العامة للبحث و التطوير التكنولوجي ، العدد الحادي عشر، جانفي ،2019، ص، ص،47-58.

[3]- محمد رزوق، الاندلسيون و هجراتهم.....ص،131.

إن ما يمكن استخلاصه مما سبق أن كل الأعمال التي قام بها البحارة الجزائريون وعلى رأسهم خير الدين دفعت الفئة الباقية من المسلمين بغرناطة إلى طلب الاستنجاد بالدولة العثمانية*، في رسالة بعثوها إلى السلطان سليمان القانوني في 948هـ/1541م اثنوا فيها على جهود خير الدين وأشادوا بمآثره بهذه العبارات: " **فقد كان بجوارنا...المجاهد خيرالدين و ناصر الدين و سيف الله على الكافرين علم بأحوالنا ... فاستغثنا به اغاثنا و كان سببا في خلاص كثير من المسلمين من أيدي الكفرة المتمردين و نقلهم الى ارض الاسلام و تحت ايالة طاعة مولانا السلطان و لعمارة مدينة برشك**،و شرشال و نواحي تلمسان**".[1] المخطوط(01))+ المخطوط(02))**

و بعد استقرار الحكم العثماني بالجزائر وتزايد نشاط العثمانيين في مياه البحر المتوسط واتخاذ الصراع العثماني الاسباني أبعادا عالمية، استمر تيار الهجرة الأندلسية قويا نحو الجزائر التي استقبلت عددا ضخما من المهاجرين وهذا ما دفع حكام الجزائر إلى التفكير في إمكانية تقديم المدد لمجاهدي الأندلس[2]،وأول مبادرة للسلطة العثمانية كانت على يد قائدها خير الدين وهي تلك التي حدثت سنة 940هـ/1533م حيث أرست 63 سفينة بشواطئ الأندلس لتنقل المهاجرين إلى مدينة الجزائر على مراحل[3]، وتكرر تنظيم مثل تلك الرحلات حتى بعد موت القائد خير الدين، فقد جدد القائد علي علج 976هـ- 979هـ/1568م-1571م) إعلان

*عن عبد الجليل التميمي ، "**رسالة من مسلمي غرناطة** " المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، العدد 3، 1975، ص. 45- 46.

**وهي مدينة ساحلية تقع غرب مدينة شرشال ،تعرف حاليا باسم قورايا ،تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 120كم.

[1]- محمد رزوق، الاندلسيون و هجراتهم.....ص،131. أنظر ايضا مرجاني عبد القادر، المرجع السابق، ص،ص،47-55.
[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،22 .
[3]- مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة.....ص، 215.

الحرب ضد الإسبان وأمد ثوار البشرات بالسلاح والعتاد وأنقذ 30000الف مهاجرا نقلهم إلى سواحل المغرب الكبير.[1]

في تقييم لحملات الطرد التي حدثت في 1018هـ/1609م يرى لابير **(Lapeyre)** نقلا عن عبد القادر نور الدين، أن عددهم وصل إلى 300.000 شخص، أما ابن المفتي فيعتقد أن حوالي 500الى600الف أندلسي من المزارعين والحرفيين قد تركوا الأندلس متسببين في نكسة اقتصادية في جميع أنحاء البلاد.[2]وأكبر عدد يصادفنا هو تقدير دو جرامون **(De Grammont)** نقلا عن ليسبس للمهاجرين الذين بلغوا حوالي مليونا ونصف مليون اغلبهم حسب قوله من الأغنياء والشجعان والحرفيين والمتمسكين بدينهم[3]،خاصة بعد إنشائهم لحصن خارج باب الوادي من طرف جماعة الثغريين وبناء تحصينات أخرى بأعالي المدينة عرفت بطبانة الأندلس من قبل مهاجرين موريسكين*،وكان اغلبهم من مايورقة والأرغون و قطالونيا وغرناطة.**[4]

في هذا الصدد نشير الى ان احد المؤرخين من خلال جودي، تمكن من القيام بإحصاء تقريبي لمن هُجر انطلاقا من سنة 968 هـ/1560م، و قدم الرقم ما بين 140 الف موريسكي...أما اشبيلية فقد غادرها حوالي 7000 مهني موريسكي اي 1/12 من مجموع السكان، و هذا يبرر نقصان حركة التصدير الصناعية الى الهند في الفترة الزمنية بالذات. اما طليطلة و قرطبة، فقد تضررتا ضررا بالغا فقد تضررتا تضررا بالغا من جراء طرد المهنيين الموريسكيين الأندلسيين. كما تاثرت منطقة

---

[1]- مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة.....ص،216.

[2]- عبد القادر نورالدين، المرجع السابق،ص،257.

[3]- Réne Lespes,Op,cit,p,105.

*وهم شعب المور الذي بقي على شبه الجزيرة الإيبيرية (اسبانيا والبرتغال) بعد سقوط غرناطة في 897هـ/1492م.للمزيد انظر سهيلة مظهر، الحوار الموريسكي الجديد بمدينة الجزائر في بداية القرن العشرين، الحالة جريدة لاديبيش الجزائرية- دراسة تاريخية تحليلية- رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ،كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الدراسية،2009-2010،ص،11.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،47.

** للمزيد اكثر انظر رزوق نعيمة، الشبكة المائية، المرجع السابق،ص،ص،50-55.

كتالونيا و بلنسية و غرناطة و خصوصا منطقة اراغون على امتداد مسافة 40 كم ، حتى جنوب الالب حيث اصبحت خرابا.[1]

نشير إلى أنً الهجرات الأندلسية لم تقتصر فقط على بلدان المغرب الاسلامي ، بل وصل جزء كبير منهم إلى أراضي الحجاز و بلاد الشام و الديار المصرية، وكذا تركيا و ليبيا بل تعدت حتى امريكا.

ثانيا: أماكن استقرار الاندلسيون واثارهم بالجزائر:

لقد كانت للهجرة الاندلسية الى الجزائر انعكاس ايجابي على الحالة العمرانية التي شهدت بفضل استقرار العنصر الاندلسي نموا ملحوظا و تطورا حسب الدكتور سعيدوني لم تعرفه الجزائر منذ العصر الحمادي.[2]

قبل التعرض إلى الدور الذي لعبه الاندلسيين في التطور الحضاري و الاقتصادي و الثقافي أو بالأحرى التساهم الحضاري في كل الميادين، نحاول التطرق و لو باختصار إلى أهم مراكز استقرار الجالية الاندلسية بالجزائر في العهد العثماني.

1- مناطق استقرار الجالية الأندلسية في الجزائر:

لقد تنوع استقرار الجالية الأندلسية بالجزائر تنوعا كبيرا،اذ لم يقتصر على مناطق معينة بل شمل مناطق عدة، من أقصى الشمال الغربي إلى أقصى الشمال الشرقي، و من أهم مراكز الاستقرار بالغرب الجزائري كوهران و نواحيها و مازونة، أما بالشرق الجزائري فاستقرت هذه الجالية الاندلسية ببجاية و جيجل و قسنطينة و القل،أما في الوسط فقد استقرت هذه الجالية في مدينة الجزائر و البليدة و القليعة و

---

[1]- اسماعيل جودي، المرجع السابق،ص،66.
[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر- العهد العثماني.....ص،136.

شرشال. ويمكننا حصر هذه المراكز الساحلية و المدن في : **(الخريطتين(11)،(12)،(13))**

دار السلطان:

بفعل التوافد الأندلسي الموريسكي المكثف، أمكن للمناطق الساحلية من المغرب الأوسط التغلب على الانهيار الديموغرافي، الذي تمثل في قلة السكان و إفقار الريف و اضمحلال المدن، وأصبحت مقاطعة الجزائر(دار السلطان) موطن استقرار رئيسي للعناصر الأندلسية الموريسكية التي استقرت بالمدن و فحوصها، وانتشرت بالأرياف القريبة منها فعرفوا عند عامة الناس بأهل الاندلس، وإن اختلفت تسمياتهم المحلية باختلاف مواطنهم التي هاجروا منها، فهم حسب سعيدوني غرناطيون **Grenadins** بشرشال و اقليمها، و ثغريون **Tagarins** بالجزائر و فحوصها و مدجنون **Mudéjars** بالبليدة و القليعة و النواحي القريبة منهما. مع العلم بان الجماعات الاندلسية الموريسكية، قد تلاحمت في مواطنها الجديدة و أصبح من الصعب تمييز طائفة منها عن الاخرى، فالكل يعرف بالأندلسيين.[1]

يشير سعيدوني بأنً لمقاطعة الجزائر المركزية المعروفة بدار السلطان و الممتدة من دلس إلى تنس و من البحر الى البليدة، نصيب وافر من المهاجرين الأندلسيين وذلك لتعاطف الحكام العثمانيين معهم، وقلّة سكان المنطقة مع توفرها على إمكانيات اقتصادية مساعدة على الاستقرار وخدمة الأرض، هذا ما جعل الحياة الاقتصادية و الاجتماعية بهذه المقاطعة المركزية من البلاد الجزائرية، ترتبط أساسا بتواجد العنصر الأندلسي الذي تعرفه المصادر الاجنبية الغربية بالموريسكي [2]، فتحولت مدينة الجزائر بفعل هذه الهجرات الى بيئة يغلب عليها الطابع

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،40.
[2]- ناصر الدين سعيدوني، " **الاندلسيون الموريسكيون بمقاطعة الجزائر.....**ص،108.

الاندلسي[1]، أما عن استقرار الأندلسيون؛ فقد انتشروا و استقروا تقريبا في جميع مدن المقاطعة كالجزائر والبليدة وشرشال وبرشك والقليعة و مليانة وتنس ودلّس[2] ، و من المدن: **(الخريطتين(02)،(03))**

الجزائر:

تعتبر مدينة الجزائر من أهم المدن التي استقطبت انظار المهاجرين الاندلسيين باعتبارها قاعدة التحكم التركي[3]، و لم تلبث مدينة الجزائر لوفرة من التحق بها من المهاجرين الاندلسيين أن اصبحت المركز الجهادي الأول في المنطقة، و قام عروج* بتحرير مدينة تنس بجيش بري و اخر بحري معظمه من مهاجري الاندلس قبل ان يتوجه الى تلمسان استجابة لرغبة اهلها،[4].حيث قدرت في بعض المصادر على سبيل المثال هايدو عدد المنازل التي سكنها الاندلسيين المهاجرون في مدينة الجزائر يصل الى الف منزل. [5]

لقد اصبح سكان مدينة الجزائر في مطلع القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي يصل الى 25 الف اندلسي حسب الاب دان من خلال الدكتور سعيدوني، وكان الاندلسيون بها يتميزون حسب اقاليهم الاصلية فمنهم اهالي غرناطة و اقاليم الاندلس الجنوبية الذي عرفوا بالأندلسيين **Mudéjares** ، و فمنهم فمنهم سكان الثغور من مواطني طالونيا و اراغون و فلانسيا **Levant** الذين اطلق

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية.....ص،40.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، نفسه.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر- العهد العثماني.....ص،137..

* قتل عروج سنة 922هـ/1518م بتامر بين الاسبان و عملائهم الزيانيين. محمد حجي،" **الموريسكيون في المغرب**"، سلسلة « الندوات»، الندوة الثالثة، 22-24 جمادى الثانية 1421هـ/21 -23 سبتمبر ،مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، شفشاون، الرباط، المملكة المغربية، 2000،ص،62.
ص،69.

[4]- انظر محمد حجي، المرجع نفسه.

[5]- Diego Haedo ,Topographie et Histoire d'Alger , in Rev-Afr,n°14 ,1870 ,p,495.

عليهم جماعة الثغريين الذين حل اغلبهم بالجزائر اثر قرارات الطرد عام 1018هـ/1609م، و استقروا ظاهر المدينة،ولا زال الحي الذي اقاموا به خرج باب الجديد يعرف اليوم بتاغزان **Tagarin** نسبة اليهم. و من الاثار العمرانية و الفنية التي تركها الاندلسيين في الجزائر يدفعنا على حد قول سعدوني الى القول ان الجزائر مع قدوم الاندلسيين عرفت نهضة عمرانية* و نموا سكانيا بحيث تضاعف عدد السكان في المدن و الفحوص المحيطة بها، حتى اعتبرت سهول متيجة على حق مناطق استيطان و تمعير اندلسي، و حتى أنً المقري خصها بالذكر عندما تعرض للأثار العمرانية للهجرة الاندلسية بقوله:" **وعمروا قراها الحالية و بلادها (أي نواحي تونس) و كذلك بمتيجة الجزائرية** "[1]. ومما أصبغ طابعا خاصا على الهجرة الأندلسية في الجهات الساحلية من الجزائر انها حدثت في وقت كانت البلاد الجزائرية تعاني انهيارا ديموغرافيا و انكماشا و بشريا نتج عن اجتياح الأوبئة و تكرار المجاعات و اضطراب الأمن.[2]

أجمع الباحثون رغم الاختلاف في عدد الأندلسيين الذين استقروا في مدينة الجزائر، أن عدد سكان المدينة عرف نموا سريعا خلال القرن 10هـ/16م إلى غاية القرن 11هـ/17م بفضل قدومهم، و اعتبروا أهم فئة من طبقة الحضر بحيث انهم شكلوا النسبة الكبيرة لها**[3]، حتى أنهم فاقوا و تعدوا حسب روزي عدد الفئات

* عن موضوع المساهمة الاندلسية في كل الميادين الثقافية الفنية الاقتصادية في الجزائر في العهد العثماني انظر فصل الاندلسيون من الأطروحة.

[1]- أحمد المقري،نفح الطيب،ج6.....ص،6. انظر ايضا Diego Haedo ,Topographie et Histoire d'Alger , in Rev-Afr,n°14 ,1870 ,p,495.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر- العهد العثماني.....ص،137. للمزيد اكثر انظر الصفحات التالية من الاطروحة ،ص،ص، . .

[3] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 ــ 1830 مقاربة اجتماعية ـ اقتصادية، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص،22.

**للتوسع في موضوع استقرار الاندلسيين في مدينة الجزائر أماكن استقراراهم انظر كل من مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، ص،66-74. و كذا ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص، 137-141.

الأخرى من الأتراك واليهود والأسرى المسيحيين[1]. و هذا الارتفاع الشديد تسبب في تحويل قسم منهم إلى الأرياف المجاورة.[2]

أما عن توزيع الأندلسيون في مدينة الجزائر؛ فقد وزعت على أحياء أو حومات كما جاءت في بعض العقود الشرعية ، فلا يمكن تعيين حي خاص بهم دون غيرهم داخل المدينة، خلاف ما وجد في تونس وكما ذكر سابقا فقد استقر الأندلسيون بالعاصمة التونسية وكوّنوا حيا خاصا بهم عرف بـ " حومة الأندلس"، إذ انتشر الأندلسيون في كافة أنحاء مدينة الجزائر و التي كانت تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: **الخرائط (10)،(12)،(13))**

- **القسم السفلي** المحاذي للبحر ويشمل القسم المسطّح من المدينة ويسمى " اللوطى". وهو بمثابة حي خاص بالأعمال التجارية، ففيه الشارع الذي يربط باب الوادي بباب عزون ووجود الميناء بالقرب منه. وقد تفرع هذا القسم إلى أحياء سكنية منها حي البحرية وحي باب الوادي وحي باب عزون.

- **القسم العلوي** وهو القصبة العليا والمسماة أيضا "بالجبل" وتتميز بمباني مكتظة، وهي المنطقة المفضّلة لإقامة الدايات وأصحاب المناصب في الدولة.[3]

يعتبر الجزء السفلي المركز أو القلب النابض لمدينة الجزائر ، حيث تم فيه تمركز وتجمّع المؤسسات الحيوية، لكن الأندلسيين توزعوا وتفرقوا في أماكن عديدة و فضلوا الاستقرار في المراكز التجارية والأحياء ذات الفعاليات الاقتصادية وفي

1- Rozet M, Voyage dans la régence d'Alger, t 2, Paris, 1833, p. 53

2- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،132.

3- مليكة بن مصباح ، المرجع السابق، ص،71. انظر ايضا علي بن بلة، المشغولات الخشبية الفنّية بقصور قصبة مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، منشورات سيرتا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص،ص، 26 ــ 27.

مقدمتها الأسواق لكونهم مارسوا عدّة حرف، ضف على ذلك استقرارهم حول المعالم الدينية كالزوايا والأضرحة والمساجد.[1]

للاشارة ؛ فانه قد تم إحصاء 150 منزلا أندلسيا في المدينة من خلال عيّنة من الوثائق المحفوظة بالأرشيف الوطني بالجزائر والتي تعود إلى الفترة الممتدة من 1055هـ/1645م إلى 1247هـ/1831م، و الملاحظ أنً إقامات الأندلسيين تعرضت للتشتت داخل النسيج الحضري، إذ تمركزت النسبة الكبيرة لها المقدّرة ب 35% في محيط المباني الدينية كزاوية " أهل الأندلس"، التي تم أنشاؤها سنة 1033هـ/1623م وكانت تضم مسجدا ومدرسة، ثم تقل كثافتها حيث أن 12% انتشرت في الجنوب الغربي للمدينة، ونسبة 8% توزّعت في الأسواق كسوق الكتّان وسوق السّمن، أما بالنسبة للشمال الغربي فقد تمركزت حوالي 5% من باب الوادي إلى القصبة. واستقرت حوالي 10% في المحور المؤدي من باب عزون إلى باب الوادي، وتمركزت أكثر من 13 % حول الجامعين الكبيرين الجامع الكبير السابق الذكر الّذي كان مخصصا للمذهب المالكي والجامع الجديد، وهو غير بعيد عنه خصص للأتراك العثمانيين المقيمين في الجزائر، الذين يتبعون المذهب الحنفي، وقد أُنهي من بنائه سنة 1076هـ/1665م[2].**(الخريطتين (12)،(13)**

شرشال:

تعتبر مدينة شرشال* من المدن التي استقطبت الاندلسيين منذ زمن مبكر، و قد عمرها الاندلسيون بعدما كانت خالية، و ما ذكره حسن الوزان في قوله :" ...**كان جزء منها كثر السكان ايام المسلمين، رغم تعرضت له من تخريب**

---

[1]- مليكة بن مصباح، المرجع نفسه،ص،71.

[2]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،ص،71-72.

* للمزيد اكثر عن المهاجرين الاندلسيين في مدينة شرشال انظر كل من سعاد بن شامة، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري في العهد العثماني- شرشال – البليدة- القليعة- و مظاهر التمدن الاندلسي فيها(دراسة وصفية تحليلية –انموذجية)، اطروحة الدكتوراه علوم في الآثار الإسلامية ،كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الدراسية،2014-2015، ص،ص، و كذا 14-16.

شديد على القوط، وذلك طوال مدة تقرب من خمسمائة عام، ثم هجرت اثناء الحروب القائمة بين ملوك تلمسان و ملوك تونس، و بقيت خالية من السكان زهاء ثلاثمائة سنة حتى سقوط غرناطة في ايدي المسيحيين فقصدها الغرناطيون اذ ذاك و أعادوا بناء عدد مهم من دورها، و جددوا القلعة، ووزعوا الأراضي بينهم..."[1]، كما سكن قسم من المنفيين في شرشال[2]، و كان للمهاجرين الاندلسيين في شرشال حوالي 5000 مسكن، و هم خليط أو بالأحرى نواتهم من الثغريين، المدجنين و الأندلسيين[3].**(الخريطة (12))**

لقد قام الاندلسيون بتجديد مختلف هياكل ومرافق مدينة شرشال، و في هذا الصدد يصفها حسن الوزان حين زارها في النصف الأول من القرن 10 هـ/16م قائلا: "...**وكان جزء منها كثير السكان أيام المسلمين، وذلك طوال مدة تقرب من خمسمائة عام، ثم هجرت أثناء الحروب القائمة بين ملوك تلمسان وتونس، وبقيت خالية من السكان زهاء ثلاثمائة سنة حتى سقوط غرناطة في أيدي المسيحيين، فقصدها الغرناطيون إذ ذاك وأعادوا بناء عدد مهم من دورها، وجددوا القلعة ووزعوا الأراضي بينهم، ثم صنعوا كثيرا من السفن للملاحة، واشتغلوا بصناعة الحرير إذ وجدوا هنالك كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود. فعاشوا في رخاء دائم حتى أصبحوا يسكنون في مائتين وألف بيت**"[4]. و أكد مارمول الذي زار المدينة في منتصف القرن 10هـ/16م حقيقة ما قاله حسن الوزان عن شرشال ودور الأندلسيين فيها إذ يذكر: " ...**إلى أن جاز**

---

[1]- حسن بن محمد الفاسي الوزان، المصدر السابق، ص،34 .
[2]-عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق،ص،191.
[3]- حنيفي هلالي، الابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،23.
[4]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص،34.

عدد الأندلسيين إلى إفريقيا فقام بعضهم يعيد بناء القلعة والدور التي رأوا فائدة في إصلاحها. وشيئا فشيئا قام العمران بهذا السهل على أيدي المدجنين ومسلمي الأندلس، حتى صارت لهم الأراضي المزروعة الممتدة وأشجار كثيرة من الكروم والزيتون، كما قاموا بغرس عدد من أشجار التوت تقتات منها دودة القز، وصار الحرير أهم مواردهم لأن البلد طيب لمثل هذا النشاط حتى إنك تجد اليوم بهذه المدينة أكثر من خمسة آلاف دار".[1]

من كلام الوزان و مارمول حسب توفيق المدني يستنتج أن مدينة شرشال من بين المدن الأولى والهامة التي استوطنها الأندلسيون مباشرة بعد سقوط غرناطة، كما قاموا بإعادة و إحياءها بعدما أصابها الاضمحلال، فنهضوا بعمرانها وطوّروا زراعتها وصناعاتها وساهموا في إنتاج مادة الحرير ذات الجودة العالية، كما اتخذوا شرشال قاعدة لهم لمحاربة والانتقام من الإسبان حيث قاموا بإنشاء معملا لصناعة الأخشاب وبناء السفن التي كانت تعتمد على غابات الونشريس[2].

أما عن أماكن استقرار الأندلسيون؛ في الحي العتيق الذي يسمي "عين القصيبة"* ، ولقد قام الأندلسيون ببناء حي القصيبة في نهاية القرن 9هـ/15م وتحديدا في سنة 902هـ/1496م، كما قاموا ببناء سور المدينة الذي يحيطها من كل الجهات،[3] وقد استغل الأندلسيون وجود قلعة قديمة قائمة على صخرة، كانت تسمى "بلاط الحكام" فأعادوا بناءها وتجديدها[4].

---

[1]- كربخال مارمول، المصدر السابق، ص. 356.

[2]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا .....ص،204.

*اشتقت هذه التسمية من ينبوع ماء استعان السكان بقصبة مجوفة لاستخراج مائه لتسهيل ملء الدلاء. والقصيبة هي تصغير لكلمة قصبة، وهي عادة أندلسية في تصغير الأشياء والأسماء. انظر مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، 82.

[3] - محفوظ بوطبة، دراسة اثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2007-2008،ص، 120.

[4]- هاينرتيس فونمالتسان، ثلاث سنوات إقامة في شمال غرب إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، ج1، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1973، ص. 168.

بقي الأندلسيون يتوافدون جماعات جماعات إلى شرشال، و لما ضاقت بهم بدأوا ينتشرون على حد قول الدكتور شاو بضواحي المدينة في بلدات صغيرة، على مرتفعات جبال الشّنوة في منطقة تيبازة حاليا، كبلدة الدَّاموس[1]**، ويتشابه اسمها مع بلدة صغيرة في شرق الأندلس معروفة باسم "دايموس"[2].

برشك :

برشك هي مدينة صغيرة بناها الرومان تقع بين مدينتي تنس وشرشال في المكان المسمّى اليوم قورايا [3]، تحدث عنها العديد من الجغرافيين أمثال الإدريسي الذي زارها في أواخر القرن 5هـ/12م، و قد وصفها قائلا:"**و مدينة برشك مدينة صغيرة على تلّ وعليها سور تراب، وهي على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون، وماؤها عذب وبها فواكه ومزارع وحنطة كثيرة وشعير. ومنها إلى شرشال 20 ميلا ويصل بينهما جبل منيع يسكنه قبيلة من البربر". ولعل موقعها بين هاتين المدينتين جعلها تستقبل وفود من المُهاجرين الأندلسيين.**"[4] و كما تم ذكر هذه المدينة "برشك" في رسالة و التي بعثها سكان مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليمان القانوني يطلبون فيها إبقاء خير الدين حاكما على الجزائر، وجاءت هذه العبارة:"... **وتحت إيالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك وشرشال ونواحي تلمسان"**[5]. **(مخطوط(01))**

** و تعني "المنطقة المظلمة. انظر Dr Thomas Shaw, Voyage dans la Régence d'Alger…… Tuni, 1980 p,p, ,147.

1- Dr Thomas Shaw, Ibid .

2- مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،82.

3- عبد الرحمن الجيلالي، " **تحقيق موقع مدينة برشك** "، مجلة الأصالة ،العدد،23، 1975، ص. 77.

4- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، صححه ونشره هنري بيريس، الجزائر، 1957، ص. 61.

5 - عبد الجليل التميمي، "**رسالة من مسلمي غرناطة**....."،ص،ص،45-46.

لقد عمل الأندلسيون في إعادة بناء برشك وتعميرها وأصبحت في القرن 10هـ/16م، تضـم العديد من البيوت داخل أسوارها الّتي يبلغ طولها حوالي 3 كلم. واشتغل معظمهم بالزراعة لامتلاكهم الأراضي التي استثمروا فيها أموالهم، وكانوا ماهرين في حياكة الأقمشة وصنع الكتان.[1] **(الخريطة(14))**

البليدة:

يعود تعمير مدينة البليدة إلى العناصر الأندلسية الموريسكية القادمة إلى الجزائر، التي اقطعها خير الدين بربروسة عام 942هـ/1535م، أراضي بتلك الجهة، فاستقرت بها تحت زعامة أحد الاندلسيين من ذوي الصلاح و التقوى و هو سيدي أحمد الكبير، وقد تعرض البعض منهم إلى مضايقات شديدة من طرف قبائل جبل شنوة*، فلما سمع هذا الشيخ بما يحدث للأندلسيين وأبناء وطنه، طلب العون من أعيان قبيلة أولاد سلطان لإقامة المهاجرين الأندلسيين، فوضعوا كل أراضيهم تحت تصرّفه لينالوا بركته باعتباره وليّا صالحا.[2]

اكتفى الشيخ بقطعة قريبة من مقامه، فأشرف على بناء مسجد و حمام و فرن بالمدينة، و ارتبط بالمصاهرة مع قبيلة أولاد السلطان بالقرب منها، فأصبحت مدينة البليدة مقرا مفضلا للعديد من الأسر الأندلسية الموريسكية المهاجرة في مطلع القرن11هـ/17م، هذا ما جعل أغلب سكانها من الأندلسيين و الموريسكيين ، اذ يستقروا على مقربة منه بالضفة اليمنى من وادي الرمان الذي عرف كذلك باسم

---

[1]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص،85.

* جبل شنوة: تبلغ قمته حوالي 904 كلم شكله يمثل امرأة حامل نائمة، وهو غير بعيد عن ولاية تيبازة . يضم عدة قرى و مداشير منها البلج و شنوة الشاطئ والناظور ومرابط. أنظر: انظر مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،76.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،41.

وادي سيدي أحمد الكبير الأندلسي، وبعد زمن قصير أصبح لكل عائلة أندلسية مسكنا بسيطا وبستانا يرد إليه الماء من هذا الوادي.*[1]

استقر الأندلسيون في بادئ الأمر في المنطقة الجنوبية للضفة اليمنى لوادي سيدي الكبير وفي مطلع القرن 11هـ/17م أصبحت مقرا مفضلا للعديد من الأسر الأندلسية حتى بعد التحاق جماعات أخرى بهم كالأتراك والكراغلة وبعض قبائل متيجة والأطلس البليدي، إلا أن الأندلسيين ظلّوا يشكلون نسبة كبيرة من السكان لا يقل عن النصف مما دفعهم بالنزوح نحو غرب المدينة.[2]

مليانة:

عرفت مدينة مليانة هي الاخرى توافد العديد من الاندلسيين، و قد شكلت هذه الفئة بالإضافة إلى فئة الأتراك والكراغلة طبقة الحضر، وكانت هذه الطبقة متميزة تسكن الإقامات الجميلة والفاخرة بحيث تبلط الأرضية بالرخام والأعمدة التي تسند شرفات الطابق الأول في غاية الجمال، وينطبق هذا الكلام تماما مع وصف حسن الوزان لمدينة عندما قام بزيارتها، في منتصف القرن 10 هـ/16م قائلا:" **لمليانة دور متقنة الصنع، في داخلها كلها سقايات جميلة يكاد يكون سكانها كلهم صنّاعا، نساجين أو خراطين، ويصنع هؤلاء أواني من خشب في غاية الحسن**"[3]، و نفس الشيء ذكره مرمول في وصفه لمدينة مليانة قائلا:" **دُورُها معتبرة تتوفر على عدد من الينابيع ومعظمهم من صنّاع الجوخ والسروج على طريقة المغاربة، ومن سكانها خراطون يصنعون أوعية خشبية للشراب، يقبل**

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، نفسه. انظر ،مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، ص، 76-79.

* للمزيد اكثر عن المهاجرين الاندلسيين بمدينة البليدة انظر كل من مليكة بن مصباح، المرجع انفسه، ص، ص،76-80. سعاد بن شامة، المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني، (المساجد ــ الأضرحة ـ المساكن ــ الحمامات) ــ دراسة معمارية أثرية ـ رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2008-2009،ص،ص،115-

[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،47. انظر ايضا مصطفى بن حموش، المدينة والسلطة.....ص،251.

[3]- حسن بن محمد الفاسي الوزان، المصدر السابق، ص، 35.

الناس على اقتنائها، وتحيط بالمدينة بساتين شاسعة بها أحسن ما في بلاد البربر من أشجار الليمون، تنمو بها أيضا أشجار البرتقال التي تعطي ثمارا جيدة تحمل لبيعها في تنس وغيرها من المدن".[1]

لقد كان للأندلسيين اثر كبير في تطوير وتعمير مدينة مليانة، إذ هم من طوروا الزراعة و جلبوا معهم غرس انواع عديدة من الاشجار المثمرة، من أشجار الليمون والبرتقال والرمان أيضا، كما ساهموا في بناء المباني السكنية من بينها؛ الدور الجميلة و ذلك لمهارتهم في البناء.

نشير إلى أنً هؤلاء الأندلسيين استقروا داخل المدينة وكانوا يعيشون بأعداد كبيرة وامتلكوا الدور والجنائن، والأدلة على ذلك؛ الأوقاف الخاصة من خلال العقود الشرعية، هذا الاخير الذي قام بمسح على مستوى الأرشيف.....، مثلما يظهر في وقف لأحد الأندلسيين لدار وجنينة بمليانة على الحرمين الشريفين، كما ترح بعض الأندلسيين خارج المدينة في فحوصها التي كانت تمتد جنوبا إلى جبل زكار، وضمت سبعة فحوص؛ فحص العناصر ، فحص حروشة ، فحص برقوق ، فحص الفج ، فحص زقالة ، فحص بويطان وفحص سوفاي[2]. واحتوت على منابع للمياه وحقول للبقوليات وأشجار اللوز والزيتون والكروم، فقد حبس الأندلسي المدعو علي طوليض بستانه بفحص حروشة قرب مليانة على الحرمين الشريفين[3].**(الخريطة(15))**

القليعة:

---

[1]- كربخال مارمول، المصدر السابق، ص،360.

[2]- ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي لمدينتي المدية و مليانة في العهد العثماني، ط1، مطبعة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،2009، ص، ص،154 - 155.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،91.

إلى الشمال الغربي من مدينة البليدة، تنصب مدينة القليعة على مرتفعات الساحل بالقرب من وادي الرعفوان،و هي المدينة الأندلسية الموريسكية الخاصة التي ظلت تحافظ على الطابع الموريسكي الاندلسي الأصيل، منذ أن أنشأتها جماعة من المدجنين من مقاطعة قشتالة و نواحي غرناطة، على عهد حسن باشا بن خير الدين سنة 557هـ/1550م،و قد امكن لهذه الجماعات أن تفرض نفوذها و تحافظ على تماسكها، بفعل اعترافها بأصولها وولاتها لاحد العلماء، من أهل الأندلس و هو سيدي علي بن مبارك، الذي حضي بتقدير و احترام قبائل متيجة، و قد توسع عمران القليعة بعد توافد اليها جماعات الثغريين، من إقليم بلنسية خاصة حتى أصبحت تظم ما يقل عن خمسة آلاف مترل وزاد عدد سكانها، عن الثلاثين ألف مع مستهل القرن11هـ/17م.[1] **(الخريطة(16))**

بايلك التيطري:

استقر الأندلسيون في مدينة المدية، و انحصر وجودهم فقط في عاصمة بايلك التيطري المدية فقط. **(الخريطتين(02)،(04))**

المدية :

كانت المدية مركزا حضريا هامّا تضم عائلات عريقة بالإضافة إلى عائلات تركية و أندلسية[2]، و كان استقرارها خاصة بالقصبة التي أنشأها الأتراك في أعلى قسم من المدينة، وكان بها بنايات ضخمة مربّعة الشكل تحتوي على محلات تجارية. وكان يحيط بالمدينة سور مبني بالحجارة به خمسة أبواب*[3].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية .....ص،ص،41-42.
[2]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج،2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص،270 .
[3]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص.،98
* للمزيد عن الموضوع انظر كل من مليكة بن مصباح ، المرجع السابق، ص، ص،97-99. و ودان بوغوفالة، المرجع السابق ص. 112.

في هذا الصدد يصف مارمول[1] المدية قائلا:" **أرضها كثيرة الحدائق والبساتين ومنابع المياه، غنية يجود بها الزرع وتكثر الماشية، أهلها متميزون بلطف المعاملة، لهم دور أنيقة ومسجد رائق البناء**".

لقد حملت الأحياء العتيقة للمدية أسماء المناطق الأندلسية، التي جاء منها المهاجرون على غرار "حومة القْرطبة" نسبة إلى قرطبة، و"حومة الغْرَانْطَة" نسبة إلى غرناطة، وينفذ منها إلى شارع الغرانطية الذي يعد جزءا من السوق القديمة، حيث كان مزدهرا بتجارة القماش والنسيج*[2]

بايلك الغرب:

يعتبر بايلك الغرب ثاني بايلك بعد بايلك الشرق من حيث الأهمية الاقتصادية والمساحة، واستقر الأندلسيون في مدنه الساحلية مثل وهران وتلمسان ومستغانم، إلى جانب استقرارهم في المناطق الداخلية كمازونة وقلعة بني راشد. و من أهم مدن المقاطعة التي توافد اليها الأندلسيين نذكر:*[3].**(الخريطتين(05)، ((02))**

وهران:

عرفت مدينة وهران هجرات أندلسية عديدة و هي من أسست هذه المدينة، و كان ذلك على يد مهاجرين بحريين و جماعة من بحارة الاندلس، الذين كانوا يترددون على مرسى وهران*، بمساعدة العشائر المحلية القريبة منها كنوة و مسغن

---

[1]- كربخال مارمول، المصدر السابق،ص،373.

[2]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق،98.

* للمزيد و لاطلاع عن العائلات الاندلسية في مدينة المدينة انظر كل من مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،ص،97-99. و ودان بوغوفالة، المرجع السابق ص. 112.

[3]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص.،98

* للمزيد عن الموضوع انظر كل من مليكة بن مصباح ، المرجع السابق، ص، ص،97-99. و ودان بوغوفالة، المرجع السابق ص،112.

* عن الاندلسيين في وهران انظر حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي.....ص،ص،8-12.

من ازداجة[1]. و تشير الروايات التاريخية الى ذلك، ومن الجغرافيين؛ البكري الذي ذكر ذلك، و في هذا الصدد يقول:" **و بنى مدينة وهران محمد بن أبي عون و محمد بن عبدون و جماعة من الأندلسيين البحريين، الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق مع كنفرة و بني مسفن و هم من ازدارجة، و كانوا أصحاب القرشي سنة 290هـ/903م ، فاستوطنوها سبعة أعوام**"[2]، و يشير إلى ذلك صاحب الاستبصار حيث يذكر أنً مدينة وهران هي مدينة على ضفة البحر بناها جماعة من الاندلسيين بسبب المرسى"[3]. و هذا ما أكًده صاحب كتاب الاستبصار بقوله:" **بناها جماعة من الاندلسيين البحريين بالاتفاق سبب المرسى مع قبائل البربر المجاورين لها فسكنوها مع قبائل البربر**".[4]

لقد بلغت هجرة الاندلسيين الى مدينة الى وهران ذروتها او حدها الاقصى حسب شكيب ارسلان بعد سقوط غرناطة 898 هـ/1492م، حيث هاجر عدد كبير منهم الى المغرب العربي، فانتشر معظم المهاجرون الاندلسيون من وهران الى الجزائر[5]، وازدياد هذا التضخم في الهجرات كان بسبب الاضطهادات و المعاملات اللاإنسانية من جراء محاكم التفتيش[6] ، فكانت بذلك مدينة وهران الملجأ لهؤلاء المهاجرين.

و الجدير بالذكر بان مدينة وهران قد عرفت توافد هجرات اندلسية جديدة خاصة بعد صدور قرار الطرد الجماعي، حيث وصلت أعداد اخرى من الموريسكيين بواسطة سفن اسبانية ابحرت من العديد من الموانئ نحو شمال افريقيا، نذكر على سبيل المثال أهم الموانئ الإسبانية التي تم ترحيل المهاجرين، منها الموانئ التالية

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر-العهد العثماني.....ص، ص، 127-128. انظر ايضا حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،9. انظر ايضا فصل الاندلسيين من الاطروحة.

[2]- البكري، المصدر السابق،ص،70.

[3]- البكري، المصدر السابق،ص،70. طالع أيضا فصل الاندلسيين من الاطروحة.

[4]- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار(وصف المدينة و مصر و بلاد المغرب)،نشر و تعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب،1985،ص،133.

[5]- شكيب ارسلان، خلاصة تاريخ الاندلس الى سقوط غرناطة، مطبعة المنار، مصر، 1925، ص،4.

[6]- بشير مقيبس، مدينة وهران –دراسة في جغرافية العمران-،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983،ص،83.

أليكانت و غروا متجهة نحو وهران و المرسى الكبير* بتاريخ1018هـ/5 و6 اكتوبر1609م، تحمل على متنها حوالي 1791 موريسكي، و في 1018هـ/17 اكتوبر 1609م، أبحرت ما يقارب 17 سفينة من اسبانيا نحو مهران و هي تحمل على متنها 3406 موريسكيا.[1]

نشير حسب بشير مقيبس ان الفئة الوافدة من الأندلس كانت من العلماء و التجار و أرباب الحرف و الصناعات منهم التجار القلطونيين و الجنوبيين، و مازالت إلى يومنا هذا دار تسمى بدار الجنوبيين و الوهرانيين، ما جعل مدينة وهران من أهم الحواضر ببلاد المغرب العربي.[2]

كما استقر عدد كبير من الأندلسيين في المناطق المجاورة لوهران، كأرزيو و مستغانم و كذا تلمسان، حتى تجمعوا بها في احياء خاصة بهم، و عندما ضاقت بهم تلك المدن انشؤوا بجوارها القرى و المستوطنات التي لا زال البعض، منها يحمل اسماء اندلسية مثل قرية الاندلس غرب مدينة وهران.[3]

جعل الأندلسيون من وهران منفذا تجاريا لبضائعهم داخل المغرب الأوسط، وامتد حتى إلى بلاد السودان، فكان الوافدون من الاندلس يجدون مجالا واسعا لاستثمار مواهبهم في قطاعي التجارة و الصناعة[4]، وبهذا أصبحت مدينة وهران* همزة وصل بين أوروبا والمغرب. وقد شهدت وهران في نهاية القرن 3هـ/10م تطورا

---

* يشير محمد حجي الى ان الاندلسيون الاولون الى المغرب الاوسط ، جاؤوا الى تلمسان قريبا من التاريخ الذي حل فيه المنظري و صحبه بتطوان ، فساعدهم ملكها على بناء بلدة بالمرسى الكبير القريب من وهران، سكنها المهاجرون الاندلسيون و معهم عرب تلك الناحية،و بذلك اصبحت البلدة و المرسى من أهم مراكز القرصنة الاسلامية ضد السفن المسيحية التابعة للأعداء. غير أنّ مقام الاندلسيين بالمرسى الكبير لم يطل، اذ هاجمتهم اساطيل فردناند الثاني و تغلب عليهم بعد حصار دام 50 يوما لقلة عددهم،(500 مجاهد)، و احتلها الاسبان يوم 23 اكتوبر 1505 و نصبوا فوقها رايتهم. انظر محمد حجي،" **الموريسكيون في المغرب**".....ص،62.

[1]- حنيفي هلالي، الابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،ص،37- 38..

[2]- بشير مقيبس، المرجع السابق،ص،83.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر.....ص،ص،137-138.

[4] حنيفي هلايلي، الابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،10.

* احتلت وهران من طرف الإسبان ثلاث مرّات، المرة الأولى سنة 903هـ/1497م بقيادة الدوق مدينا سيدونيا، والمرّة الثانية سنة 908هـ/1502م، أما المرة الثالثة فكانت عام 915هـ/1509م بقيادة الراهب المتعصب خمينيس دي سيسنيروس، وظل الإسبان في وهران قرابة ثلاثة قرون وحررت من طرف محمد عثمان الكبير عام 1207هـ /1792م. انظر ايضا مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،101.

سريعا في عمرانها ونشاطا كثيفا في تجارتها،ولعب الأندلسيون دورا كبيرا في تعميرها.** [1]

خلال القرن10هـ/16م عمّرت مدينة وهران وزادت منازلها على ستة آلاف منزل، فقد أنشأ الأندلسيون بجوارها قرى ومستوطنات التي لازال البعض منها يحمل أسماء أندلسية مثل "قرية الأندلسيين" أو " فالكون دي لوس أندلوسيس" التي تقع حاليا في غرب بلدية عين الترك[2].

تلمسان:

تعتبر تلمسان من المدن التي عرفت نزوحا شديدا من مهاجري الأندلس، بل أصبحت مقصدهم، إثر انقسام دولة الموحدين و انكماش دولة بني الأحمر بغرناطة[3]، وبعد سقوط غرناطة 898هـ/1492م واشتداد ضغط حركة الاسترداد على المسلمين، أخذ الاندلسيون يتسللون فرادى و جماعات الى المغرب العربي، فقد وفد عدد وافر على تلمسان، هؤلاء الأندلسيون استقروا في أحواز تلمسان ممتهنين لحرفهم كحرفة التطريز و حرفة التجليد، ومنهم البناؤون و الحدادون و النجارون.[4] " لقد زادت الهجرة الأندلسية الى تلمسان خاصة ، بعد اصدار يغمراسن بن زيان ظهيرا سلطانيا لأهل بلنسية شرق الاندلس، بتسهيل توطينهم في تلمسان و العناية

---

[1]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق ، ص،101.

*** تعرضت المدينة إلى غارات برتغالية بعد خمسة قرون من إنشائها ،أهمها تلك التي قاداها الملك جان الأول (817 - 841 هـ / 1415 - 1437م) ؛ ولما باءت حملته بالفشل تحولت أعداد كبيرة من الأندلسيين إلى وهران واتخذوها مركزا لشن غارات انتقامية ضد الإسبان والبرتغاليين في البحر، و في مطلع القرن 10 هـ/16م احتل الإسبان مدينة وهران والمرسى الكبير ، وقد صاحب هذا الاحتلال استمرار تدفق الأندلسيين على وهران، وتحولت إلى ملجأ كبير لإيوائهم، وقد بلغ عددهم 22000 . انظر مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، 101.

[2]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص،102.

[3]- حنيفي هلالي، الابحاث و دراسات في التاريخ الأندلسي.....ص،15.

[4]- صادق خشاب، تأثير الفن الزخرفي الاندلسي على نظيره المغاربي – تلمسان انموذجا- مذكرة الماجيستير في الثقافة الشعبية، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة ابي بكر بلقايد،تلمسان،2001،ص،33.

بهم، بالإضافة الى أنه هناك تشابه كبير بين اقليم تلمسان و الاندلس، مما شجع أهل الأندلس على الاستقرار فيها.[1]

لقد تواصلت و ازدادت الهجرات الأندلسية نحو تلمسان بكثرة أيام الطرد النهائي سنة1018هـ/1609م،و قد أشار إليه صاحب نفح الطيب في قوله:"..... **إلى أن كان إخراج النصارى إياهم بهذا العصر القريب بأعوام سبعة عشر و ألف، فخرجت ألوف بفاس و ألوف آخر بتلمسان من وهران**...."[2]، اذ وصل عدد المهاجرين الوافدين من الأندلس إلى تلمسان نحو 600 مهاجر، و في مقدمتهم الكثير من الأدباء والعلماء والفقهاء الذين كانوا ينظّمون حلقات تعليم و تدريس بالمدارس والمساجد،، بالإضافة الى تحفيظ القرآن الكريم للصغار و الكبار و نشره*[3]، ومن بينهم محمد بن يوسف بن سعادة الإشبيلي[4]**، بالإضافة الى محمد بن عبد الله بن خطاب الغافقي*(ت. سنة) وأكرمه السلطان يغمراسن.[5]

كما استقبلت أهل الصنائع والحرف، فاستقر الفلاحون والمزارعون في الضواحي على ضيفتي وادي الوْرِيط الواقع على بعد 7 كلم جنوب شرق المدينة، وأقدموا على تطوير الزراعة و حولوا الأراضي إلى بساتين وجنان[6]، واستقر التجار والحرفيون داخل المدينة، واختصوا في صناعة الجلود وبرعوا في الطرز وفي المصنوعات

---

[1]- نصيرة عزرودي،**"هجرة الأندلسيين السياسية إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7هـ/13م الى القرن 8هـ/14م"**، مجلة الموافق للبحوث في المجتمع و التاريخ، العدد 4، جامعة الأمير عبد القادر،قسنطينة،2009،ص،46.

[2]-أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب،مج4.....ص،528.

[3]- محمد الطمار الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1983،ص،232.

* عن الهجرات الاندلسية بتلمسان انظر فصل الأندلسيين من الاطروحة.

** من العلماء الأندلسيين بإشبيلية الذين هاجروا من الأندلس الى تلمسان توفي سنة 600هـ/1203م، عالما كبيرا في الفقه، وكان يجود القرآن و يضبطه و يروي الأحاديث النبوية ويصححها. أنظر مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،105. أنظر أيضا عبد الله بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، مراجعة: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1908، ص،227.

[4]- عبد الله بن مريم، المصدر نفسه.

* يعتبر من أبرع الكتاب خطًا وأدبا وشعرا ، ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه في تلك الفترة ، عاش في غرناطة ثم ارتحل إلى مرسية ومنها جاء إلى تلمسان، و أكرمه السلطان يغمراسن. توفي سنة 636هـ/1238م. عبد الله بن مريم، نفس المصدر، ص،227. انظر ايضا مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، 105.

[5]- عبد الله بن مريم، المصدر السابق،ص،227.

[6]- مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،ج4، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص. 36.

النسيجية خاصة الحريرية منها، وأتقنوا حياكة القطن والكتّان وغزل الصوف[1]، وقاموا بتطوير صناعة الخزف والسلاح. وقد أدمج هؤلاء الحرفيون في الوظائف التي تليق بهم وتولوا بدرب خاص بهم عرف "بدرب الأندلسيين"[2] .

يجدر بنا الإشارة إلى أنً بعض المهاجرين الأندلسيين، فضلوا التوجه إلى المناطق القريبة من تلمسان، كهنين التي اشتهرت بمرساها التجاري الهام والّذي كان يربطها بالأندلس، و في هذا الصدد يصفها قائلا:" ..... **وكان سكان هنين في القديم نبلاء شرفاء يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات، ودورهم في غاية الجمال والزخرفة، لكل دار بئر من الماء العذب، وفناء مغروس بكرم معروش؛ أرضها مبلطة بالزليج الملوّن، وسطوح الحجرات مزينة بنفس الزليج...وتنتج الممتلكات المجاورة لهنين كميات وافرة من الثمار كالكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ وما لا يحصى من التين والزيتون**"[3]، بالإضافة الى مدينة ندرومة التي اشتهرت بصناعة الأقمشة القطنية**، بفضل الأندلسيين الذين ساهموا في زراعته.[4]

مستغانم :

مدينة مستغانم هي الأخرى من المدن التي عرفت توافد المهاجرين الاندلسيين إليها، بعد الاستيلاء عليها من قبل الإخوة بربروسا من يد الزيانيين ، و في هذا الصدد يشير كتاب عروج و خير الدين إلى بعض العمليات البحرية التي قام بها الاخوين بربروسة لإنقاذ الاندلسيين، و من بينها سفن خير الدين فبعد أن

---

[1]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، 106.
[2] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ، ج1، ص،176.
[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص، ص،15-16.
** من المعروف حسب الوزان ان مادة القطن تنبت بكثرة بأراضي مدينة ندرومة، و لذلك اشتهرت بصناعة الاقمشة القطنية .حسن الوزان، المصدر نفسه، ص،14.
[4]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،108.

تمكن هذا الأخير من الاستيلاء على مستغانم من يد الزيانيين، توجهت سفنه إلى سواحل الأندلس، و استطاعت نقل أكبر عدد من مسلمي الأندلس إلى الجزائر.[1]

يذكر محمد حجي أنً معظم سكان مدينة مستغانم القدامى، كانوا قد هاجروها بسبب اضطراب حبل الامن حواليها و تدهور سلطة ملوك تلمسان، فعمروها و حولوا ميناءها الصغير الذي كان يستقبل السفن التجارية الايطالية الى ميناء حربي ترابط فيه اثنتا عشرة سفينة يركبها مهاجرو الأندلس الثغريون، ولقد هاجموا انتقاما من الاسبان مدن بلنسية و اليكانتيي و غيرهم و غنموا منها.[2] *

اتجهت العائلات الاندلسية نحو مدينة مستغانم لأسباب عديدة اهمها خصوبة أراضيها فعملوا على توسيع وتطوير زراعة القطن و استثمار هذه المادة وهي القطن في صناعة الأقمشة، كما اعطوا عناية كبيرة لبعض الاشجار المثمرة كأشجار التوت، و من جهة اخرى اهتموا بتربية دودة القز والصناعات الحريرية.

لم تتوقف المساهمة الأندلسية في الزراعة و الصناعة، بل تعدت الى بناء المطاحن التي تدار بالطاقة المائية لخبرتهم في هذا المجال. و في هذا الصدد يصف الوزان مستغانم قائلا:" **تضم قرابة ألف وخمسمائة كانون وفيها مسجد في غاية الحسن وصنّاع كثيرون ينسجون الأقمشة ودورها جميلة، وسقاياتها عديدة، يخترقها ماء جدول يحرّك الطاحونات، وفي خارجها عدة بساتين جميلة**".[3]

بايلك الشرق:

انحصر استقرار الأندلسيين في بايلك الشرق، بصورة كبيرة في مدن قسنطينة وبجاية وعنابة وجيجل والقل[4]. **(الخريطتين(06)،(02)**

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر- العهد العثماني.....ص،130.

[2]- محمد حجي،" **الموريسكيون في المغرب".....**ص،ص،62-63.

* عن المساهمة الاندلسية في مدينة مستغانم انظر فصل الاندلسيين من الأطروحة.

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج،2، ص،32.

[4]- حنيفي هلالي، الابحاث و دراسات في التاريخ الأندلسي.....ص،ص،33-34.

و من اهم المدن نذكر:

بجاية:

استقبلت بجاية الحفصية اعدادا كبيرة من المهاجرين الاندلسيين مع سقوط الحواضر الكبرى بالأندلس كقرطبة634هـ/1236م،بلنسية 636هـ/1238م، و كان معظمه من رجال العلم و اهل الصلاح و ذوو الثروة و الجاه، و لم تنافسها في ذلك الوقت سوى مدينة تونس عاصمة الحفصيين و مدينة فاس قاعدة المرينيين.[1]

ان ما يشد انتباهنا هو انتشار الفن الموسيقي الاندلسي خاصة في المدن التي استقر بها الاندلسيين استقرارا كثيرا، و جل تلك المدن على السواحل، و من جملة تلك المدن بجاية الساحرة التي كانت المرحلة الاولى التي نزل بها الاندلسيون اللاجئون الى افريقية، و كثير منهم القى بها عصى الترحال، و استوطنها نهائيا، و من المؤكد حسب الدكتور محمد رزوق ان في هذا الاستيطان الكثيف للجالية الاندلسية ببجاية هو الذي جعل منها مدينة تشبه اشبيلية في شغفها بالموسيقى و انصرافها الى الطرب[2]، يذكر الحسن الوزان الذي زار افريقية في الربع الاول من القرن العاشر الهجري/ للقرن السادس عشر الميلادي، يصف أهلها قائلا:"..... **و البجائيون أناس طيبون ميالون الى المرح و الموسيقى و الرقص، لا سيما منهم الأمراء الذين يشهروا الحرب قط على أحد.....فكل هذه الصفات تناسب تماما الاندلسيين**".[3]

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية، 2013.....ص،38.

[2]- حسن مؤنس، تاريخ المغرب و حضاراته من قبل الفتح الاسلامي الى الغزو الفرنسي،مج2،ج2، العصر الحديث للنشر و التوزيع، ط1، لبنان،1992 ،ص، 297.

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص،42.

لم تكتف بجاية باستقبال النخبة المثقفة بل استقطبت ايضا التجار وأهل الصنائع، هؤلاء الذين ساهموا مساهمة كبيرة في تطوير وتوسيع ميناء بجاية ليلبي احتياجات هذه المدينة المتزايدة النمو. و كذا تجديد أسطول الدولة الحفصية أيام السلطان أبي العباس أحمد*، فقاموا بتطوير القوة الدفاعية للأسطول حسب المؤرخ الجزائري عبد الرحمن الجيلالي، و ذلك من أجل مواجهة الأساطيل البحرية بغرب المتوسط، و جعلوا بذلك من بجاية أكبر قاعدة لانطلاق الغزوات على السواحل الأوروبية.[1]

في نهاية القرن 9هـ/15م الذي تميز بسقوط غرناطة وما تبعها من طرد وتشتيت للمسلمين، توافدت إلى بجاية هجرات اندلسية اخرى وكان اغلبها من الفئات النخبوية من صناع وحرفيين ومزارعين ،كان عددهم كبير جدا لدرجة ان أن المدينة لم تكن قادرة على ضمهم داخل أسوارها، فخصَّص لهم السلطان الحفصي عبد العزيز** مكانا خارج المدينة في الجهة الشرقية، واختار المزارعون الاستقرار في البساتين المحيطة بوادي الصومام*** من أجل ممارسة الزراعة****[2].

قسنطينة:

بالرغم من الاهمية التي نالتها مدينة قسنطينة في العهد العثماني باعتبارها العاصمة الثانية مدينة الجزائر، الا انها لم تكن من بين المدن المهمة التي استقبلت أعداداً كبيرة من الأندلسيين كمدينة الجزائر وشرشال وتنس ووهران ومستغانم وتلمسان وبجاية. وربما يعود لموضع قسنطينة باعتبارها مدينة غير ساحلية وبعيدة

* السلطان أبو العباس أحمد الفضل: تولّى الحكم سنة 749ه/1348م وضم ملكه مدينة عنابة وقسنطينة وبجاية. انظر مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص،118.

[1]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر...،ج2،ص،63.

** السلطان عبد العزيز: يُكنى أبا فارس حكم في الفترة الممتدة من 796هـ/1393م إلى 837هـ/1434م.

*** وادي الصومام : يقع في شمال الجزائر يولد من التقاء وادي بوسلام ووادي أقبو، ويمتد حتى يصب قرب بجاية.

[2]- صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006، ص، ص ، 374- 375.. انظر أيضا مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، 118.

**** للمزيد اكثر عن بجاية و مساهمة المهاجرين الأندلسيين انظر فصل الاندلسيين من الاطروحة. و كذا مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، ص،115-119.

عن البحر، وكان الأندلسيون يلجئون إليها عبر تونس وبجاية، كما أنهم قدموا إليها من مدن أخرى كجيجل وعنابة اللّتين عرفتا حضورا أندلسيا معتبرا.[1]

مثلت الجالية الأندلسية في مدينة قسنطينة فئة الحضر وهم الكثرة الغالبة[2]، وساهموا في العديد من الأنشطة الحرفية، وذكر حسن الوزان خلال القرن10هـ/16م قائلا: " **أن أسواقها عديدة حسنة التنسيق بحيث أن جميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض، وفيها صنّاع وتجّار يمارسون تجارة الأقمشة الصوفية المصنوعة محلّيا**[3]. أما مارمول الّذي زارها في مرحلة لاحقة وصفها قائلا:" **أنها مدينة غنية بها عدد من التجار والصنّاع، وتجارتها الأكثر ربحا هي المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية**".*[4]

نشير ان الهجرة الأندلسية إلى الجزائر صاحبتها جماعات كبيرة من يهود الأندلس، إذ أصبحت المدن الساحلية مراكز حضرية تشكل أهم نقاط تمركز الجالية اليهودية بالجزائر وقد شهدت مدينة الجزائر احتضان أكبر عدد منهم، وقد شكلت الجماعات اليهودية الأندلسية فئة متميزة عن باقي التشكيلات الاجتماعية، إذ أصبحوا يمثلون عنصرا هاما بامتهانهم التجارة، كتجارة الصوف والحرير والأصبغة وريش النعام، كما كانوا يتاجرون بالمعادن الثمينة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة، و اشتغلوا بمختلف المهن والحرف اليدوية الثمينة ذات الدخل المرتفع، إلى جانب سك النقود في دار السكة تحت رقابة أمين مسلم يسمى " أمين السك".[5]

اكتسب يهود مدينة الجزائر وباقي المدن الأخرى عادات وتقاليد الأهالي، واتخذوا من اللغة العربية لغة تعبيرهم في معاملاتهم اليومية قصد الاندماج في

---

[1]- فوزي سعد الله، قصبة الجزائر- الذاكرة، الحاضرة والخواطر، دار المعرفة، الجزائر، المرجع السابق، ج2، ص،257 . انظر ايضا مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،114. أنظر ايضا فوزي سعد الله، المرجع السابق، ج. 2، ص. 257.

[2] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ج1.....ص،175.

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 56.

[4]- كربخال مارمول، المصدر السابق، ج،3، ص. 11.

* للمزيد عن مدينة قسنطينة و دور الاندلسيين في تعميرها انظر ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ج1.....ص،ص،175-177.

[5]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،ص،52-53.

مجتمعهم الجديد ولم يعد يميزهم عن غيرهم من السكان سوى ملابسهم القاتمة وامتناعهم عن ركوب الخيل وحمل السلاح والتزامهم بدفع الجزية سنويا الذي يتولى مقدم اليهود في كل مدينة تقديمها إلى شيخ البلد** الذي يقدمها بدوره إلى الخزينة.[1]

2-النشاط الحضاري الأندلسي في الجزائر:

سبقت الاشارة الى ان الجزائر قد توافدت عليها مجموعات كبيرة من المهاجرين الاندلسيين و الموريسكيين من غرناطة و الأندلس و أراغون و بلينسة و كاطالونيا، خاصة بعد صدور قرارات الطرد الجماعي سنة1018هـ /1609م. **المخطوط(01))**

نشير أنً الجزائر عرفت تغييرا جذريا وكليا منذ مطلع القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي، منذ حلول الأتراك العثمانيين إليها واستقروا بها، وأسسوا قاعدة لحكمهم وعاصمة لملكهم، فتعددت فيها المؤسسات ومست كل الميادين جعلتها قوة حربية سياسية واقتصادية، فنزل فيها أجانب ونازحون من الأندلس وأسرى من أوروبا، مما أدى إلى ارتفاع عدد سكانها واكتظت المدينة خاصة بالأندلسيين الفئة الاكثر حضا مقارنة بالفئات الاخرى[2]. حتى أن هناك من المؤلفين من قاموا بقدير عدد سكانها في أواخر هذه الفترة، حتى أن هناك من المؤلفين من قاموا بقدير عدد سكانها أمثال الراهب **هايدو**، والذي قدرها في أواخر القرن العاشر الهجري/16م بـ 60.000الف نسمة[3]،و **الأب دان (Dan)** الذي زارها سنة 1044هـ/1634م يقول 100.000 نسمة[4]،يضاف إليهم 25.000 أسير[5]، وقد يكون هذا الارتفاع بدون شك

** شيخ البلد: هو صاحب المدينة المسؤول على تسييرها وإدارتها.

[1]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،ص،52-53.

[2]- رزوق نعيمة، المرجع السابق، ص،ص،40-45.

[3]- Fray Diego De Haedo, Topographie générale , in Rev -afr, année 1870……p,p,366-374.

[4]- Pierre Dan, Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes et villes d'Alger ,de Tunis, de Salé et de Tripoli,T2,2eme Edition, Paris,1649,p,p,96-100.

حسب هلالي إلى التوافد المستمر للأندلسيين.[1]

كل من قام بزيارة مدينة الجزائر في تلك الفترة قد لاحظ كثافة السكان الهائلة، فهذا الفرنسي **فانتور دي بارادي**(Venture de Paradis) والضابط الجاسوس بوتان، كلاهما يسجل في مذكراته هذه الظاهرة الاجتماعية،رغم الأوبئة الفتاكة والحوادث المرعبة والتي أدت إلى وفاة عدد كبير من سكان المدينة[2]. و في هذا الصدد يشير المؤرخ الامريكي وولف ان أعداد المهاجرين نحو الجزائر خلال المرحلة 1029 هـ/1619م، قد بلغ الى نحو سبعة الاف نسمة، حيث يقول:" و الثغريون الذين جاؤوا الى الجزائر في عائلات لاجئة من الأندلس،وهم في العادة سبعة الاف نسمة.[3]

يضيف هايدو أن 6000 موريسكي نزحوا من اسبانيا نحو الجزائر كانوا معظمهم يمتهنون صناعة الجلد و صنع الاسلحة، وهذا مما يؤكد شهادته حسب المؤرخ توفيق المدني على نشاطهم الجهادي و العسكري، و مساهمتهم الفعالة في تدعيم ايالة الجزائر[4]. ويحولًون بسرعة الى جنود متمرسين للدفاع عن المدينة عند تعرضها للغزات الاسبانية[5]. كما تشير مصادر أخرى إلى أنً الاندلسيين نزلوا مدينة شرشال، و اعادوا بناءها ومنهم الوزان الذي يقول في هذا الصدد :" **نزل الأندلسيون مدينة شرشال و اعادوا بناء عدد من دورها، و زرعوا الاراضي بها، ثم صنعوا كثيرا من السفن الملاحية، و اشتغلوا بصناعة الحرير، بعد حصولهم هناك على أعداد**

---

[5]- مولاي بلحميسي،" **الجزائر العاصمة ومشكل المياه في العهد العثماني" ، مجلة الدراسات الأثرية، حولية علمية ،العدد الثاني، الجزائر، بني مسوس، 1992**.ص،76.

[1]- حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،50.

[2]- مولاي بلحميسي، المرجع نفسه.

[3]- جون (ب)وولف، المصدر السابق،ص،157.

[4]-احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر ..... ص، 278.

[5]- حنيفي هلايلي، أبحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،50.

كبيرة من أشجار التوت الأبيض و الأسود، فعاشت الجالية الأندلسية في رخاء حتى اصبح عدد المنازل المقامة في شرشال مائتين و ألف بيت...".[1]

إنً المساهمة الأندلسية في مختلف المجالات، جعلت منهم نخبة مميزة في نظر السلطات، حيث استفاد الاتراك العثمانيون من خبراتهم و مهاراتهم، في شتى الميادين سواء الاقتصادي منه او العسكري او المجالات العمرانية و المعمارية و الفينة، و حتى الاجتماعي.

النشاط الإداري و العسكري:

ساعد الأندلسيون في تدعيم قواعد الحكم العثماني بالجزائر، فقدموا يد العون و المساعدة للأخوين عروج و خيرالدين بربروسة، في صراعهم مع الاسبان، حيث كان هذين الاخوين سببا بعد الله على حد قول بلغيت في خلاص الكثير من المسلمين من ايدي الكفرة المتمردين و نقلهم إلى أرض الإسلام[2]، كما وقَفوا بجانبهما في محاربة بقايا الادارة الحفصية، وناصروهما ضد الزعماء المحليين، مثل سليم التومي شيخ الجزائر و أحمد بن القاضي امير كوكو، وكثير من الكتاب يؤكدون ان الاندلسيين قد اغنوا مدينة الجزائر بكفاءتهم و مهاراتهم.[3]

تذكر العديد من المصادر التاريخية عن الأدوار التاريخية التي لعبها مهاجري الاندلس عند وصولهم الجزائر خاصة في المرحلة الاولى، من تأسيس ايالة الجزائر 922هـ-948هـ/1516 م-1541م، اذ ساهمت هذه الجالية في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الخطر الإسباني و غاراته المتكررة.[4]

---

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق،ج2،ص،34.
[2]- محمد الامين بلغيت، حلقات في تاريخ الغرب الاسلامي.....ص،ص،66-67.
[3]- جون (ب)وولف، ، المصدر السابق،ص،151. حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،52.
[4]- حنيفي هلايلي ،المرجع نفسه ، ص،52.

يذكر مرمول بان الاتراك العثمانيين قد ارسلوا حوالي 300 جندي من الموريسكيين لحماية الجزائر و في هذا السياق يقول:"..... **الأتراك العثمانيين قد أرسلوا حوالي 300 جندي من الموريسكيين، ذو اصول اندلسية و مدجنة و ثغرية إلى مدينة الجزائر لحمايتها و استتباب الامن فيها...**".[1]

قدمت الجالية الاندلسية خدمات كبرية في المجال الإداري لصالح العثمانيين، فقد اشتهر الاندلسيون بتحصيل الضرائب و جمع موارد الخزينة العامة، و القيام بتسجيلها وفقا لتعليمات الادارة العثمانية بالجزائر، و هذا ما سهل تعامل الإجارة مع بقية عناصر مجتمع الإيالة، و بفضل خبرتهم المالية مارسوا أعمال القرصنة و النخاسة و مبادلة الأسرى والمشاركة الفعالة في تموين مشاريع القرصنة.[2]

من الملاحظ أنً الأندلسيون القاطنون بإيالة الجزائر، قد شكلوا خطرا كبيرا على أمن الشواطئ الاسبانية و خاصة في الحوض الغربي بالبحر المتوسط، اذ كانت هجوماتهم مع الأسطول الجزائري تزرع الرعب في قلوب سكان سواحل اسبانيا، وقد عبر الكتاب الغربيين عن ذلك بقوله:" **إنً الميزة المشتركة بين الموريسكيين هي أنهم يكرهون المسيحيين،و عندما تسمح الفرصة و تتوفر الامكانيات ، يجهزون سفنا، و يلقون القبض على من في السفن الإسبانية، و يتخذونهم اسرى، رغبة في الانتقام**".[3]

كما أنهم قد عملوا على تنشيط حركة الجهاد ابحري و الهجوم المتواصل ضد السواحل الاسبانية، بواسطة الاسطول البحري الجزائري لمعرفتهم الجيدة للغة القشتالية و للاماكن الجغرافية و الطرق البحرية، و ترجع المساهمة الأندلسية في

---

[1]- مارمول كربخال،ج2.....ص،214.

[2]- Laugier de Tassy, Op,Cit,p,69.

[3]- كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510م- 1541م، تر: جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص،14.

ميدان الجهاد البحري إلى مجالات تجهيز السفن و المعدات، و لهذا من أجل إنقاذ من بقي من المسلمين في الاندلس.[1]

رغم المجهودات المكثفة التي بذلتها اسبانيا، لوضع حد نهائي لأي اتصال بين الموريسكيين داخل اسبانيا و المجاهدين، فان تبادل الرسائل ضل مستمرا و ذلك بغرض تدبير عمليات انقاذ الموريسكيين و إمدادهم بالأسلحة،وهذا ما أكده الكونت دي ميراند **Compte De Miranda** عام997هـ/1588م،عندما صرح بأن" الموريسكيين يجتازون البحر في الربيع الى شمال افريقيا".[2]

الجدير بالذكر أنً شمال افريقيا هي منطقة آهلة بموريسكيي غرناطة و بلنسية و راغون، و توجد خلفها الغابات اللازمة لصناعة السفن الصغيرة التي تتميز بسرعة الحركة و القدرة على الهجوم، و فعلا فقد انتظم (موريسكيو شرشال في جماعات خاصة تقوم بهجمات سريعة و خاطفة على السواحل الاسبانية، اذ بمجرد ما تصل سفنها الصغيرة الى الرمال، ينطلقون نحو الداخل لتخليص الأهالي و أسر المسيحيين الذين يباعون في أسواق الجزائر).[3]

ساعد الاندلسيون البحرية الجزائرية في الهجوم براعة على السواحل الشرقية الاسبانية، و تمكنوا من صنع شفن شراعية و فرقاطات من الخشب بشرشال، و كانوا يفضلون النزول ليلا الى سواحل اسبانيا ، و هذه احدى الحيل التي استعملها الاندلسيون في حركاتهم الجهادية.[4]

فالموريسكيين الأندلسيين الذين كانوا يمثلون اقلية هامة في الجزائر، قد ساهموا الى جانب عروج في المعارك ضد الاسبان سنة 922 هـ/1516م،و قد تضاعف هذا

---

[1]- حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ الأندلسي.....ص،53.
[2]- حنيفي هلايلي ، المرجع نفسه.
[3]- حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ الأندلسي.....ص،53..
[4]- Fray Diego De Haedo, Topographie ……p,p92-93.

العدد بشكل بارز اثناءولاية خير الدين لمدينة الجزائر، و هم بالإضافة الى معرفتهم الكاملة لميدان العدو كانوا يتكلمون لغته، و يعتبرون انفسهم ممثلي اقلية بائسة امتحنت وتعرضت الى مناورات اسبانية كاثوليكية متعصبة للقضاء عليهم.[1]

يشير مصطفى زبيش من خلال مرجاني الى مساهمة الأندلسيين في الجانب الجهادي البحري و غيره فيقول:" **و ظهرت اثار الأندلسيين في إحياء الاراضي و استغلال خيراتها ، و راجت المصنوعات اليدوية و تحرك بها دولاب التجارة، فنمت الثروة العامة ،و جهزت السفن لمقاومة القرصنة الرومية فكانت تعود الى مراكزها مثقلة بالغنائم مثمونة بالأسرى**".[2]

أما المنور مروش يقول في هذا الصدد:" **جلب الأندلسيون إلى مناطق هجراتهم ليس فقط تقنيات جديدة، بل كانوا قبل كل شيء مصدر للشعور العنيف المعادي للإسبان و المتشبث بإرادة استعادة الأرض السليبة. إنً دورهم في تنمية القرصنة المغاربية ابتداء من القرن 08 هـ/ 14م مازال مجهولا إلى حد كبير لغياب الدراسات المعمقة حول هذا الموضوع. لكن من المعروف أنهم جعلوا بعض الموانئ كشرشال و برشك قواعد بحرية أندلسية كان لها الدور المهم في القرصنة**".[3]

حسب هلايلي فإنً معظم المصادر التاريخية تشير الى الدور الذي لعبه الاندلسيون الموريسكيون في المرحلة الثانية من تأسيس الحكم العثماني بالجزائر 1023-1246هـ/1614م-1830م،حيث كان هذا التواجد واضحا في الإدارة و الجيش، خاصة منهم فئة نشيطة دائما في الجيش العثماني المؤسس بالإيالة[4]، اذ

[1]-عبد الجليل التميمي، الدولة عثمانية و قضية الموريسكيين الاندلسيين، منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق و المعلومات،تونس،ط1،1989،ص،15. انظر مرجاني عبد القادر،ص،ص54.
[2]- عبد القادر مرجاني، المرجع السابق،ص،54.
[3]- المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني- القرصنة ، الأساطير و الواقع،ج2،دار القصبة للنشر،2009،ص،61.
[4]- حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،54.

نجد أن حكام الجزائر منذ حكم خير الدين اتخذوا جنودا لحراسة ابراج مدينة الجزائر و الفوا منهم فرقا عسكرية شاركت في توطيد الحكم العثماني في الاقاليم الداخلية للجزائر[1] ،فخير الدين بربروسا مثلا؛عندما دخل مدينة المدية كلف جماعات الأندلسيين بحراستها بعد انهزام حاكمها محمد بن عابد و تنحيته، و الحاق المدينة بالجزائر سنة 923هـ/1517م،فترك بها هذه الجماعات أي الأندلسيين الى جانب الحامية التركية، كما شارك في الحملة التي شنها خير الدين ألف (1000) جندي انكشاري و حوالي 500 أندلسي من أهالي غرناطة و بلنسية و أراغون،و ذلك للقضاء على حميد العيد حليف الاسبان بمدينة تنس و نواحيها[2]، و قد جرت معركة حاسمة قرب سهل الشلف، انهزمت فيها قوات حميدة العبد.[3]

يشير مرمول الذي رافق شارل الخامس للحماس البطولي الذي تميز به حسن اغا ابن و خليفة خير الدين، الذي تصدى لحملة شارل الخامس على مدينة الجزائر 948هـ/1541م،بقوات شكلها 80 جندي من الاتراك العثمانيين و القبائل المحلية و حوالي 5000 أندلسي.[4]

تزايد عدد المدجنين الاندلسيين المدافعين عن الجزائر المحروسة، و بلغ شهداؤهم أيام حملة الصليبي شارل كانت حوالي 5000 شهيدا، وبلغ عدد الأندلسيين المجندين 6000 فرد من مجموع 15000رجل المقدرين للجيش و القوة العسكرية الجزائرية، في رسالة ذكر فيها الملك فيليب الثاني لسفير فرنسا* " **إنه بمدينة الجزائر 15 الف ممن يحسنون استعمال الأسلحة النارية من بينهم 10**

---

[1]- محمد الامين بلغيت، حلقات في تاريخ الغرب الاسلامي.....ص،67.

[2]- محمد الامين بلغيت، المرجع نفسه، أنظر أضا، حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،54.

[3]- Fray Diego De Haedo, Topographie ……p,p92-93

[4]- مارمول كربخال،المصدر السابق،ج2.....ص،210.

* انظر رسالة الملك فيليب الثاني ملك اسبانيا الى سفير فرنسا فورك فو بمدريد بتاريخ 6 جويلية 1566م، و التي جاء فيها انه يوجد بإيالة الجزائر حوالي 15000 جندي جيد التنظيم و التسليح، من بينهم ستة الاف (6000) موريسكي، حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،55. و محمد الامين بلغيت، حلقات في تاريخ الغرب الاسلامي.....ص،68.

ألاف رجل من العرب الذين نزحوا من اسبانيا في السنوات الأخيرة و هم من غير الجنود.."[1]، و لا يمكن إلا الاعتراف لهؤلاء الأندلسيين بالفضل الكبير في تحديث الجيش الإسلامي بالجزائر في العهد العثماني، نظرا لخبرتهم الطويلة في الجهاد و صد حملات القوات العسكرية الإسبانية التي أضاقتهم الأمرَين.[2]

أما في المجال البحري؛ فلقد كان لهم دور فعال في هذا المجال، بل ازداد نشاطهم البحري و توسع خاصة في مدينة الجزائر، و من جهة اخرى برعوا في تجارة الأسرى و الغنائم، و لقد اشتهر منهم بحارة (ريّاس) كثيرون، منهم الرايس بلانكو و الرايس احمد ابو علي من اشونية ، مراد الكبير و جواد يانو من نيودال ريال ، و كانوا يعملون في الجهاد البحري ضد الاسبان.[3]

لعل اغلب العمليات العسكرية التي قام بها الموريسكيون تتمثل في شنهم حربا استنزافية حقيقية، و تضييق الخناق على مصالح أعدائهم في مجال يمتد عرض الشواطئ المغاربية الى سواحل ايبريا، كما أدخلوا بإيالة الجزائر عدة صناعات جديدة،وعملوا على تطوير ما كان موجود من المهن التقليدية، بين صناعة الاسلحة و تحضير البارود و تزويد البحارة الجزائريين به، بالإضافة الى هذا فقد شاركوا الموريسكيون الصناع المحليين،في بناء السفن بترسانة الجزائر و شرشال.[4]

إلى جانب الخدمات الاندلسية في الميدان العسكري، فقد ساهم في القضاء على ثورة الشيخ بوطريق بإقليم الجزائر[5] و أصبح لخير الدين مؤدين، و بفضل هؤلاء البحارة الجزائريين و العثمانيين و كذا الاندلسيين، استطاع خير الدين أن يدعم عمارته البحرية التي كانت تتكون من ثلاث سفن عند مغادرة الجزائر، لتصبح تظم 13

[1]- مرجاني عبد القادر، المرجع السابق، ص،54.
[2]- محمد الامين بلغيت، حلقات في تاريخ الغرب الاسلامي.....ص،67.
[3]- محمد عبد الله عنان، نهاية الاندلس.....ص،388..
[4]- مرجاني عبد القادر، المرجع السابق، ص،53.
[5]- حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،55.

سفينة، ثم ارتفع عددها ليصل الى أربعين سفينه، وأصبحت تشكل اسطولا الذي بفضله استطاع الاستلاء على مدينة القل سنة 928هـ/1521م و مدينة قسنطينة سنة 929 هـ/1522م.[1]

نشير إلى أنً استعان خيرالدين بحاكم مليانة حسن علي من خوات 500 أندلسي من مجموع 4000 مقاتل من المشاة، وقد شكل الاندلسيون فرقة الرماة للقضاء على.[2]

شارك الموريسكيون في حملة البيلرباي في حملة حسن قورصو، الذي انتخبه الانكشاريون خليفة لصالح رايس في حملته ضد الحاكم الاسباني بوهران سنة 964هـ/1556م، و دوغوت رايس ضد المحمية العسكرية الاسبانية بالمهدية، و يضاف هذا الى مساهمتهم الفعالة في تسليح و تموين السفن و تكوين الفرق البحرية.[3]

لقن الموريسكيون سكان إيالة الجزائر فنون اوروبا خاصة في المجال العسكري، و بذلك اصبحت مدينة الجزائر منطقة اسطورية في الدفاع، وتشير بعض الدراسات إلى براعة الموريسكيون، في صنع الاسلحة و تحضير البارود و صناعة السفن و بخاصة في مدن الجزائر و شرشال و جيجل.[4]

كما ساهم الأندلسيون في تقوية الجيش العثماني بإيالة الجزائر بفضل خبراتهم كمقاتلين محترفين، حيث تعتبرهم بعض الدراسات المؤسسين الحقيقيين للإيالة الجزائرية.[5]

---

[1]- عبد القادر فكاير، الصراع الجزائري الاسباني في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر ، رسالة ماجستير، معهد التاريخ ،جامعة الجزائر،2001،40.

[2]- عبد الله فكاير، المرجع نفسه، ص، 100.

[3]- عبد الله فكاير، المرجع السابق،100.

[4]- عبد الله فكاير، نفسه.

[5]- نفسه.

ضلت اهمية النشاط الاندلسي تزداد باستمرار و مما على ذلك خاصة في الاعمال البحرية ،المعاهدة الفرنسية الجزائرية لعام 1050 هـ/1640م*، خصت السفن الأندلسية بالذكر، عندما حددت في البند العاشر مسؤولية ما يلحق بالمراكب الفرنسية، من خسائر جراء التعرض لها من طرف السفن الجزائرية.[1]

تبدو أهمية الموريسكيين بشمال افريقيا و بالأخص بإيالة الجزائر، من خلال التقارير الواردة من المنطقة إلى اسبانيا، ففي تقرير سري اسباني عن حالة الجزائر بعث من بجاية في 942 هـ/29 مارس 1535م ورد ما يلي:**(يوجد الان في مدينة الجزائر الفان(2000) من الاتراك و سبعة او ثمانية الاف من مهاجري الأندلس في مدن الجزائر و مليانة و بقاع أخرى وضع بها بربروس حاميات)** .[2]

لقد كان للموريسكيين الأثر البارز في الدفاع عن الجزائر، و عرقلة الكثير من جهود الاسبان و حملها في كثير من الاحيان على التريث، أو الاحجام على تنفيذ مشاريعها العدوانية الضخمة على شواطئ المغرب، و حملة مينورقة (**Menorca**) عام942 هـ/1535م، التي استطاع خلالها أن يأسر ما بين 6000 و 8000 أسير خير مثال، حيث تذكر المصادر التاريخية الأوروبية أنّ سكان مينورقة لما رأوا سفن خير الدين تدخل ميناءهم، لم يقم الحراس بضربها لاعتقادهم بأنها من الاسطول القادم من تونس، لان العلم المرفوع كان يشبه العلم الاسباني، و هذا ان دل ، انما يدل على مساعدة الموريسكيين لخير الدين، لأنهم كانوا ادرى منه بعلم الاسبان و بالميناء فرسموا له طريق الدخول.[3]

---

* هي معاهدة السلم التي ابرمتها فرنسا مع الجزائر بتاريخ 7 جويلية 1640م و تحتوي على 16 بندا. انظر حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،56.

1- حنيفي هلايلي ، أبحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،56.

2- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا .....ص، ص،278-279.

3- Fray Diego De Haedo, Histoire des Rois d'Alger,Tr, De Grammont,Alger,Jourdan,1881,p,217.

تعدى التحالف العثماني – الاندلسي في هذه المرحلة، حدود الايالة نفسها، بحيث عند قيام حاكم ايالة الجزائر آنذاك ، رمضان باشا (982هـ-983 هـ/1574م-1575م)،بمساعدة مولاي عبد الملك ، لاسترجاع عرشه بالمغرب عام 984هـ /1576م، كان يصاحبه الى جانب القوات التركية عدد هام من الموريسكيين.[1]

ان كل هذه الاشارات التاريخية دليل على قوة التحالف ووحدة الهدف الذي ربط العثمانيين و الأندلسيين في المرحلة الاولى من تأسيس ايالة الجزائر ، و كان معظم العائلات الاندلسية المهاجرة الى ايالة الجزائر، قد لفتت انظار الرحالة و الكتاب الغربيين و خاصة اذا علمنا كانوا يخرجون الى البحر في اساطيل مهاجمة ، و يغيرون على بلاد الاندلس بمهارة و دراية لا تأتي الا بمعرفتهم بالبلاد. و عليه فلن نستغرب ان تكون السواحل الجزائرية قد عرفت تطورا سريعا و حركة بحرية نشطة بفضل هؤلاء الموريسكيين ذوي الأصول الأرغواتية و البلنسية و غيرها، كما ناتل الثغريون شهرة بدفاعهم المستميت و قوتهم ضد محاولات الازال الاسبانية.[2]

و اثناء تواجد الموريسكيين في البحرية الجزائرية تمكن البحارة من شن 33 غارة بحرية ناجحة على السواحل الاسبانية في الفترة الممتدة من935هـ-992هـ/1528-1584م،انقذوا خلالها الكثير من الاندلسيين الفارين و المضطهدين و المهددين بالتنصير او الموت، و من اشهر الغارات الغارة التي شنَوها غارة ايدين رايس و صالحرايس[*3] عام 936هـ/1529م،حيث حملوا خلالها ستمائة (600) من

---

[1]- شكيب بن حفري، **" موقف الدولة العثمانية من الجالية الاندليسية بالجزائر ما بين 1571م و 1573و"** اعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الاندلسية 1991، زغوان، سيرمدي،1993،ج2،ص،33. حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ.....ص،57.

[2]- حنيفي هلايلي ، ابحاث و دراسات في التاريخ.....ص،57.

* من اصل عربي حسب البعض او من غربي الأناضول حسب اخرين، ولد بالإسكندرية، و من اهم رفاق بربروس ، اصبح منذ 1525م من طليعة رياس البحر،عين بايلر باي (1552م-1556م)، و بسط نفوذ العثمانيين الى الجنوب ، و حرر بجاية عام 1555م ، و كان يعد لحملة على وهران، و لكن الاجل وافاه. انظر Fray Diego De Haedo, Histoire des Rois d'Alger… p,85.

مسلمي بلنسية كانوا يجتمعون عند مصب نهر اوفيلا(**Ovila**)، و عمليات حسن فتريانو*[1] الذي نقل عام992هـ/1584م حوالي 2000 من الاندلسيين من جهات اليكانت في الوقت الذي قام فيه بحارة جزائريون بهجمات مباغتة على سواحل لورقة و ضواحي قرطاجنة، كما ساهموا في تطوير ميناء بجاية و اسطول الدولة الحفصية ايام السلطان ابي العباس احمد و تطوير فعاليته في مواجهة الاساطيل بغرب المتوسط، و كان امير البحر آنذاك محمد بن ابي مهدي ، فجعل من مدينة بجاية اكبر قاعدة لانطلاق الغزوات على السواحل الاوروبية.[2]

أما عن الناحية الاقتصادية؛ فلقد لعبت الهجرة الأندلسية إلى الجزائر دورا ايجابيا فعالا في تحريك النمو الاقتصادي لمدينة الجزائر ، مما ساعد على ازدهار هذه المدينة بالإضافة إلى العديد من المدن و المناطق الجزائرية التي نزلوا بها كالجزائر وتلمسان و مستغانم والبليدة و القليعة و شرشال وغيرها، حتى هذه الفئة استطاعت الإمساك بدواليب الاقتصاد الجزائري والتحكم فيه رغم قساوة الظروف التي عانى منها الموريسكيون، اذ تمكنت بعبقريتها ومركزها الثقافي في البلاد ووفرة براعتها أن تحقق ما يشبه قهر الطبيعة واستغلالها لسائر مبتكراته في نشر أنماط الحضارة الأندلسية في الجزائر ما جعلهم يشكلون نخبة مميزة في نظر السلطات[3]، هذا ما يدفعنا للإشارة إلى أن دور هذه الجالية كان فعالا في إثراء خزينة الجزائر بما حملوه معهم من مبالغ مالية وكنوز ثمينة.[4]

---

* هو من اصل ايطالي احترف مهنة الكتابة بمدينة البندقية لذلك دعي بفنزينوا ، اسره درغوت باشا و كان عبدا للعلج علي أسلم و لقب ابن القبطان علي ، و كان أول من عقد مع بريطانيا معاهدة تجارية سنة 1579م، و تولى ولاية الجزائر مرتين،(1577م-1580م) و (1583م-1587م) انظر : Fray Diego De Haedo, Histoire des Rois d'Alger,.....p,p,168-181

[2]- عبد القادر مرجاني، المرجع السابق، ص،56 .

[3]- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني- 1519 م- 1830م،اطروحة الدكتوراه الدولة في التاريخ الحديث و المعاصر قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2005-2006،ص، أنظر أيضا :عبد الله عنان، نهاية الأندلس. .....المرجع السابق، ص، 420.

[4]- Fray Diego De Haedo, Topographie générale , in Rev -afr, année 1871……p,428.

هكذا كان استفاد الجزائر من استقرار العنصر الاندلسي بها، اذ باستقرار هذا الاخير في هذه البلاد نتج نشاط اقتصادي غير معهود برز في مختلف المجالات الاقتصادية من زراعة*، صناعة**[1] و تجارة و خدمات[2]. و كان للعائلات الأندلسية المهاجرة إلى الجزائر خاصة بمهارتها المتعددة سواء في المجال الصناعي في المنسوجات الحريرية او الصوفية او في صنع الاسلحة....الخ، او في المجال الزراعي في مجال الري و البستنة اثر كبير في تطوير الاقتصاد الجزائري في الفترة العثمانية خاصة.

و لم يقتصر عمل الأندلسيون في إنشاء الزوايا ومعاهد العلم في المدن والحواضر، وإنما ساهموا مساهمة كبيرة في التعليم وتحفيظ القرآن ورواية الحديث وشرح المسائل الفقهية وتلقين اللغة العربية في ريف بلاد القبائل[3] ، مثال ذلك مدينة بجاية ، هذه الاخيرة مع تعرضها للاحتلال الإسباني دفع بعلمائها البارزين إلى الهجرة نحو المناطق الداخلية، وبهذا فقد أدى الأندلسيون دورا كبيرا في استمرار الثقافة العربية الإسلامية في هذه المنطقة.[4]

المساهمة الاندلسية في بعض الجوانب الثقافية و العلمية في الجزائر في العهد العثماني:

* عن مساهمة الاندلسيين للجزائر في المجال الزراعي في العهد العثماني انظر كل من إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، " الزراعة في إسبانيا المسلمة"، في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج.2، بيروت، 1998، ص،1367. و محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس.....مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،ص،171- 178.جون(ب) وولف،الجزائر و اوروبا 1500-1830م،تر: ابو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر،2009 ،ص،166. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في التاريخ الجزائري.....ص،ص،139-140. و كذا Saidouni Nacerddine., L'Algérois rural à la fin de L'époque Ottomane (1791- 1330), dar al- Gharb al- islami, Beyrouth, 2001, p. 78. ناصر الدين سعيدوني، **"الأندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر**.....ص،140.

** عن المساهمة الأندلسية في الميدان الصناعي في الجزائر في العهد العثماني انظر كل

[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،21.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....، ص. 128.

[4]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، 146.

كان للهجرات الاندلسية تأثير كبير في ازدهار الحركة الثقافية في بلاد المغربين الادنى و الاوسط، اذ استقرت الادمغة الاندلسية في مدن البلدين من وهران غربا الى طرابلس شرقا، و قد استطاع هؤلاء الاندلسيون من تغيير وجه البلاد الثقافي بفضل مجهوداتهم و حرصهم على اشباع حاجاتهم عن طريق الارتوان بالعلم و عملهم في التدريس بالمكاتب و الجوامع و المدارس الحفصية و الزيانية و المرينية و اجمع الدارسون على ان هذه الحقبة تمثل ذروة الثقافة الاسلامية في بلاد المغرب الاسلامي لأنها لم تعد محصورة في منطقة معينة دون سواها بل شاركت كل المناطق بنصيبها في وحفضها و نشرها.[1] *

نشير الى ان بلاد المغرب الاوسط- الجزائر – عرفت نهضة علمية و تعليمية في فترات مختلفة من تاريخها، فمثلا مدينة بجاية التي ظهر فيها الكثير من النبغاء ، و تلمسان التي شيدت العديد من المدارس الامر الذي اثار الاعجاب و سحر الالباب ، ثم ظهرت مدينة الجزائر التي حملت المشعل من بعدهما، لكون هذه المدن من اهم المدن التي احتضنت الجالية الاندلسية. فبجاية صارت دار هجرة لكثير من علماء الاندلس و قبلة لمشاهير العلماء و مدرسي العلوم و اهل الفتوى و القضاء و غيرهم ، فازدهرت بها الحركة العلمية ، و بلغت درجة من التقدم و العمران. اما تلمسان التي ورثت مدينة بجاية ، فقد اهتم ملوك بني زيان بالجانب العلمي ، حيث كانوا يحبون العلم و يقربون العلماء الذين كانوا اغلبهم من الاندلس ، و شيدوا الكثير من المدارس الانيقة التي مازال اكثرهما قائما الى اليوم يشهد لتلك المدين بالمجد و العظمة.[2]

---

[1]- على احمد علي كرير، المرجع السابق،ص،307.

* للمزيد وللاطلاع اكثر عن الحياة العلمية الثقافية و العلمية في المغربين الادنى و الاوسط خلال القرنين 13-14الميلانين انظر على احمد علي كرير، نفسه، ص، ص، المرجع السابق،ص،ص،307-353.

[2]- عبد المجيد قدور، المرجع السابق،ص،177.

في العهد العثماني عرفت بلاد الجزائر العثمانية نشاطا علميا و فنيا، ساهم الاندلسيون فيه بقسط كبير، رغم ان الهجرة الاندلسية المتأخرة في القرن العاشر و الثالث عشر الهجريين /القرن السادس عشرو القرن التاسع عشر الميلاديين ، لم تكن غالبية افرادها ذوي معارف ثقافية تضاهي مستوى الهجرات السابقة من حواضر الاندلس الكبرى مثل قرطبة و اشبيلية و غيرها. بل معظمهم كانوا الفلاحين وأصحاب المهن والصنائع، الا انها ضمت من بين افرادها بعض العلماء و الصلحاء الذين تعاونوا مع الفقهاء و المرابطين من اهل الجزائر و في هذا الصدد يشير احد المؤرخين الجزائريين الى هذه الحقيقة و هو مصطفى بن ميمون* قائلا:" **كانت الثقافة في القطر الجزائري يمثلها أشخاص معينون في أماكن محدودة، وكان هؤلاء الأشخاص أغلبهم من المهاجرين الأندلسيين الذين لجأوا إلى القطر الجزائري واتخذوه موطنا ومستقرا"**[1]. و من جملة العلماء من اهل الجزائر نذكر سيدي احمد بن يوسف دفين مليانة سنة 951هـ/1524م، كما دعي هؤلاء الفقهاء و العلماء بالتعاون مع أهل البلاد واستطاعوا تجنيد السكان و دعوتهم للجهاد ضد الإسبان وطردهم من السواحل الجزائرية، فكانوا عونا للسلطة العثمانية بالجزائر[2].

عرف العديد من الاندلسيين ارتقاء في الوظائف الادارية و الدينية كالقضاء و الامامة و النظارة ، و اشتهر العديد من بينهم نذكر" ابن النيقرو" و " ابن الكبابطي " كما ساعدت النخبة الاندلسية في عملية تأطير مجموعتها من خلال تخصيص الاوقاف للإنفاق على المحتاجين من ابناء جلدتهم للمحافظة على نفوذها في اوساط

* عاش في نهاية القرن 11هـ وبداية القرن 12هـ/ الموافق للقرن 17م – 18م. انظر

[1]- محمد بن ميمون، التحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم،ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، (د. ت)، ص،68.

[2]- حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،82.انظر ايضا ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية...ص،133.

الاندلسيين ، و لإظهار نفسها للحكام العثمانيين بالجزائر على انها الحليف الطبيعي لهم في حربهم ضد الاسبان. [1]

و نذكر من المجالات العلمية و الثقافية التي كان للأندلسيين فيها اثر كبيرا على المجتمع الجزائري في الفترة العثمانية؛ **التعليم** او بالأحرى طريقة التعليم و يعد من المجالات العلمية التي تأثر بها مجتمع المغرب الاوسط، و في هذا الصدد يذكر الدكتور ابو القاسم سعد الله انه لا يمكن اغفال تأثير الهجرة الاندلسية على الجانب الثقافي خاصة التعليم، خاصة و ان الاندلسيين قد احتكروا ميدان التعليم في المغرب العربي لا سيما في الحواضر مثل تلمسان ، بجاية، الجزائر، قسنطينة و نقلوا طريقتهم الخاصة* بهم اليها، ومن ذلك عدم الاقتصار في تعليم الاطفال على حفظ القرآن كما كان الحال قبلهم ، بل اضافوا اليه تعليم الحديث و القواعد العامة لمختلف العلوم و تدارس بعضها. كما علموا روايات القرآن و انواع قراءاته.[2] كما ساهموا في تنظيم حلقات التعليم بالمدارس والمساجد لاسيما بالمساجد الجامعة كمسجد الجامع بتلمسان الذي أصبح معهدا للتدريس يضاهي جامع الزيتونة بتونس و القرويين بفاس، فبرز عدد وافر من العلماء في الأصول و التفسير والتوحيد والعلوم اللسانية و الرياضية[3]. ضف الى ذلك التعليم العالي و الذي كان يعطي في المساجد و الزوايا و دور العلماء و مجالس المناظرة، بالإضافة الى مدارس خاصة أنشأتها السلطة و عينت بها كبار العلماء الاندلسيون و غيرهم و اجرت لهم المرتبات، و الجدير بالذكر حسب ابو القاسم سعد الله فان التعليم العالي كان يعتمد

---

[1]- حنيفي هلايلي ،ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،82.

* عن منهج الاندلسيين في التعليم و تحفيظ القران انظر كل من ابن خلدون، المقدمة.....ص، ،545 عبد القادر بوحسون ، العلاقات الثقافية .....ص،ص،124-125. و

[2]- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1.....ص،47.

[3]- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص،222. انظر ايضا مختار حساني، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن ج3، مدن الشرق.....ص،264.

في اغلب الاحيان على النقل و الرواية لا على الراي و الاجتهاد و هذه الطريقة بعينها قد استمرت ايضا خلال الفترة العثمانية.[1]

لم يقتصر دور صلحاء و علماء و فقهاء على دعمة الجهاد و توحيدهم للتصدي ضد النصارى، بل تعداه الى الاعمال الخيرية و الخدمات التعليمية فقد اخلصوا في رعاية شؤون السكان و عملوا على انشاء الزوايا و معاهد العلم، و هذا مازاد من تقدير السكان لهم و اكسبهم اتباعا من مختلف فئات السكان**، وهذا مازاد من تقديرهم لهم وأكسبهم أتباعا من مختلف الفئات.

تبرز مساهمة ذوي الصلاح و العلم بين الجماعة الاندلسية في البلاد الجزائرية و نخص بالذكر حسب سعيدوني في ما اسسوه من زوايا و ما أنشؤوه من معاهد العلم ذات المستوى العالي ، و التي كانت مقصد الطلاب من مختلف الجهات لتلقي العلوم اللغوية والدينية وبعض المعارف العصرية كالحساب والفلك والمنطق و الطبيعة والتاريخ، ومن أشهر هذه الزوايا الأندلسية بالجزائر نذكر **زاوية أهل الأندلس بمدينة الجزائر*** و قد شيدت بحي مسيد العدالية بمدينة الجزائر[2] ، **زاوية محمد بن علي المجاجي بتنس[3]**** ،بالإضافة الى **زاوية احمد الكبير الاندلسي** بالبليدة التي تخرجت منها افواج عديدة من طلبة العلم، نظيف زاوية

---

[1]- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1.....ص،47.

** من الامثلة سيدي فرج الولي الاندلسي الذي اصبح محل تقدير بين الناس و تحول ضريحه بعد وفاته الى مزار، سيدي يعقوب الشريف الزبوج القرطبي الذي حضي مرتبة كبير ة لدى السكان عند استقراره بسفوح الاطلس البليدي بعد هجرته من الاندلس و انتقاله من مراكش الى الحج،، فتحول ضريحه الى مكان الزيارة و التبرك بعد ان وافته المنية بمقره بحوش الشفة حوالي 927هـ/1521م. و كذلك سيدي الكبير الاندلسي الذي استقر بمواطن قبيلة اولاد السلطان و تزوج منهم فتنازلوا له عن نصف اراضيهم اكراما له فانشأ عليها مدينة البليدة و اقر به المهاجرون ، و بعد وفاته اصبح محل اكبار و اجلال من قبل سكان البليدة و نواحيها .للمزيد انظر ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية.....ص،ص،55-56

* عن هذه الزاوية انظر كل من أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 - 1930، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ،64. و .Haedo F. D., Topographie et histoire …, p. 120. نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص، 165. ناصر الدين سعيدوني ،دراسات اندلسية.....ص،56.و Albert Devoulx, « Les édifices religieux de l'ancien Alger » in Rev-Afr,n°67,Alger,1868,p,278.

[2]- ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية.....ص،56.

** أسست من طرف علي بن محمد المجاجي المشهور "بابهلول" في القرن 10هـ/17م، و كان شريفا، أندلسي الأصل عرف بالتقوى والسخاء والشعر، وكان من العلماء البارزين الذين لعبوا دورا في الجهاد ضد النصارى. تعتبر زاويته مركزا للمجاهدين في سبيل الله ويذكر أن حوالي 1300 مجاهدا خرجوا ذات مرّة لقتال الإسبان بثغر تنس، ولمّا اشتد بهم الجوع لجأوا إلى زاويته فأطعمهم جميعا حتى شبعوا من الرغائف والثريد والزبدة والعسل. انظر مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، 146.

[3]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص، 146.

سيدي علي مبارك بالقليعة التي ظلت منذ تاسيسها على يد الولي الصالح الذي تنتسب اليهفي اوائل القرن الثالث عشر الهجري/اوائل القرن السابع عشر الميلادي تقدم التليم و توفر الايواء للطلبة و عاوي السبيل.***[1]

لم ينحصر التعليم في الزوايا بمدينة الجزائر، بل تعدى الى منطقة القبائل حيث كان الاندلسيون يقومون بتعليم القرآن و مبادئ اللغة و الفقه بأوطان بني جعاد و بني خليل كما ساهموا ايضا في نشاط الزوايا الكبرى مثل زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية و زاوية سيدي عبد الرحمن بن سعيد اليلولي حيث كانت مقصد الفقهاء الاندلسيين و ملجا الصالحين منهم.[2]

نجح الأندلسيون ايضا في تأسيس الزوايا و المعاهد العلمية بوادي الصومام و جرجرة و بني يعلى.....، من اهمها زوايا سيدي عبد الرحمن البلولي و سيدي علي بن شريف و سيدي منصور،[3] كما اهتموا ايضا بتأسيس الزوايا و التعليم بمطقة الغرب الجزائري بل نجحوا في ذلك و اثار هذه المباني شاهدة على ذلك، فتلمسان مثلا كان لها نصيب في ذلك و من امثلتها زاوية سيدي الحلوي التي اسهمت في نشر التعليم سواء الريف او المدن مع استقبال الفقراء من العلماء لذلك اعتبرت دار علم و تقوى و جمع بين الشرف و العلم و الصلاح.*[4]

اما في الميدان الفني و نقصد به الجانب الادبي(شعر و نثر)، و مجال الموسيقى و الغناء و الطرب...الخ، فقد طبع الاندلسيين المقيمين بإيالة الجزائر و مدن دار السلطان خاصة و كذا المدن الجزائرية هذه الحياة الفنية بطابع خاص مميز[5] ، فقد

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية.....ص،ص،56-57.

*** للمزيد عن موضوع الزوايا انظر ناصر الدين سعيدوني ،دراسات أندلسية.....ص،56.و ناصر الدين سعيدوني ، **"الاندلسيون الموريسكيون بمقاطعة الجزائر**.....ص،ص،119-121.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،ص،56-57.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،122.

[4]- محمد مقصودة، الكراغلة و السلطة في العهد العثماني1541-1830،مذكرة لنيل الماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة وهران،2014-2015،ص،92.

* للتوسع ايضا في موضوع الزوايا بالجزائر انظر كل من ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،ص،54-57 و 121-122.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،57.

شاع نظم الموشحات ***و تلحين الاغاني التي حافظت على بنائها اللغوي و طريقة انشادها حسب تقاليدها الاندلسية المتوارثة[1]. علما ان ظهور الموشحات بالأندلس كان خلال القرن 3هـ/9م عندما كثر الشعر وبلغ درجة عالية من التهذيب والتنميق فاستحدث منه فنا سمى بالموشح.[2]

و المعروف ان الاندلسيين قد نشطوا الحياة الفنية بالجزائر من خلال الموسيقى التي طوروها عبر الموشحات و الازجال و المالوف*. كانوا ولعين بنظم الموشحات و ترديد المدائح، ففي تلمسان اشتهر ابي عبد الله محمد بن امد بن مسايب الاندلسي* نظم حوالي 3034 قطعة شعرية "مالوف" اغلبها عن موضوع المدائح النبوية (المولوديات)[3]. اما مدينة الجزائر فقد اشهرت محمد بن الشاهد الاندلسي** و الذي عرف بترديده لموشحات ابن سهل و ابن زهر و لسان الدين ابن الخطيب.[4] بالإضافة الى ابو العباس احمد بن عمار الاندلسي**، و عمر بن محمد بن سيدي علي الأندلسي.**[5]

كانت تنشد الموشحات بالات الموسيقية في المواسم الدينية و الحفلات و السهرات العائلية ، و قد تفنن سكان دلس و شرشال و البليدة و و الجزائر و القليعة و تلمسان بالعزف على مختلف الآلات الموسيقية الوترية كالعود (الكويترا) و الرباب و القانون و الكمانجا، او الصوتية كالقصبة و الزرنة و الغايطة ، او الايقاعية كالطبل

*** تعود بداية ظهور هذه الموشحات الى النصف الاول من القرن الرابع الهجري/ الميلادي على يد ابن عبد ربه في عهد عبد الرحمن الناصر وقبل ان تكتمل في فترة لاحقة على يد اقطاب الموشحات مثل انظر،" **الاندلسيون الموريسكيون بمقاطعة الجزائر**.....ص،ص،120-121.

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،57.

[2]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق،ص،151.

* هو فن تلحيني اخترعه زرياب، على نظام النوبات . أنظر حنيفي هلايلي، المرجع نفسه،ص،85.

* توفي سنة 1768م

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر.....ص،144.

** توفي سنة 1739م

[4]- حنيفي هلايلي، ابحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،85.

** توفي سنة 1766م.انظر انظر حنيفي هلايلي، أبحاث و دراسات في التاريخ الاندلسي.....ص،85.

[5]- حنيفي هلايلي، المرجع نفسه، ص، ص،82-85.

** توفي سنة 1749م

و الدف و الطبيلة و الطار و الدربوكة ، و عمل الاندلسيون على تحسين معظم هذه الآلات.[1]

و هكذا انتشرت الموسيقى الأندلسية تقريبا في كل المناطق التي استوطنها الأندلسيون كدار السلطان وعلى رأسها مدينة الجزائر وباقي المدن الأخرى التابعة لها كشرشال والبليدة والقليعة ومليانة ودلس. و كان لمساعدة المغرمون بالموسيقى الأندلسية من الأندلسيين المهاجرين ومن الأهالي دور كبير على بقاء هذا الفن حيا عبر قرون، وقد حافظت المدن الجزائرية على هذه الموسيقى باعتمادها على النوبة ونقلتها إلى الأجيال.

رغم أن أصول هذا الفن بقي بعيدا عن تغيير أو تحوير، لكنه تأثر بالحياة اليومية وبالمناظر الطبيعية لكل مدينة. مما أدى إلى ظهور عدة مدارس، فهناك مدرسة الجزائر ومدرسة تلمسان ومدرسة بجاية ومدرسة قسنطينة. وإن اتفقت كلها في الأصل الواحد فإنها اختلفت في بعض الفروع، كزيادة السرعة في العزف أو العكس، أو استعمال بعض الآلات الموسيقية أو عدم استعمالها، أو عدد القطع من الآلة الواحدة.[2]

آثار الأندلسيين معماريا في الجزائر في العهد العثماني:

لقد قام المهندسون المسلمون في المغرب و الاندلس بالأخص الاندلسيون بأعمال معمارية و فنية خالدة ما زالت اثارها شاخصة الى اليوم تحاكي الدهر و تغالبه بكل صلابة و شموخ والمهندسين الذين سجلوا الفكر المعماري المنظور في منشاتهم دينية او مدنية او حتى عسكرية ، استطاعوا بكل قوة ان يُعبِّروا بها عما تركوه لنا من تراث معماري و فني عن حضارة امة الاسلام في الاندلس خصوصا

[1]- حنيفي هلايلي، المرجع نفسه،ص،85.
[2]- مليكة بن مصباح، المرجع السابق، ص،

و العالم الاسلامي عموما ، و فرضوا بعبقريتهم الفذة الطابع الاسلامي الذي صار علامة مميزة على كل ما شيدوه من ابنية و ما انتجته ايديهم من تحف فنية ظلً تأثيرها يمتد شرقا و غربا، و اصبحت المنهل الخصب الذي اقتبس منه فنانوا اوروبا اعظم اعمالهم، و قد شهد لهم بذلك علماء الفن الاسبان انفسهم[1].

و عرفاء الاندلس منهم قد اشتهروا بمعرفتهم التامة بوسائل استخراج المياه من باطن الارض بعدة طرق و اساليب فنية و كذلك بجلبها من اماكن بعيدة و تخزينها في خزانات(صهاريج اعدوها لذلك، الى جانب خبرتهم الكبيرة في معرفة طرق ووسائل الري المختلفة و بناء القناطر، و قد حفلت نصوص المؤرخين بأسماء العديد منهم، الى جانب ما عثر عليه من اسمائهم منقوشا على اعمالهم المعمارية التي شيدوها. و لم ينحصر اعمالهم في مجال الماء و الري بل تعدى ذلك البناء المعماري و العمراني في مجالات البناء المختلفة، من بناء الجسور و شق الانهار و شيد المواجل و السقايات و الدواليب المائية و الصهاريج لحفظ المياه و نقل الماء على قناطر من اماكن بعيدة من اجل ان يوفرها للإنسان و الزرع و الدواب، و يكفي ما قاله بعض المستشرقين الاسبان في فضل العرب في بناء المنشآت المائية في الاندلس " **لولا ما اقامه المهندسون العرب في الاندلس من القناطر و السدود و الجسور و السقايات لمتنا و ماتت ارضنا ضمأ** ". ومن العرفاء و الحرفيين الذين اختصوا في مجال المياه في الفترة العثمانية في المغرب نذكر اسم العريف او الاسطى او المعلم موسى الاندلسي، و كذا علي بن ديسيم الاندلسي الذي نقش اسمه على السبيل الواقع بمدينة بنزرت الذي شيده ليوسف داي حاكم تونس عام 1019هـ/1610م. [2]*، و في مجال بناء المساجد ؛ فقد وصلنا من العرفاء الذين

[1]- محمد محمد الكحلاني، بحوث في الاثار الاسلامية في المغرب و الاندلس، ج1، كلية الاثار، جامعة القاهرة، القاهرة، 1999، ص، ص،1-3.

* للمزيد اكثر عن المهندسين انظر ايضا المقري، عرف الطيب ،ج8.....ص،483.الادريسي،نزهة المشتاق.....ص،43. و من عرفاء الفترة

انتسبوا الى الفترة العثمانية اسم العريف " بن غانم" ،الذي ينتسب اليه بناء جامع يوسف داي الواقع بسوق الترك[1] ،بالإضافة الى عرفاء و حرفيين و صناع من شيدوا المساجد و خططوها على اعظم مساحة و اوثق بنيان، و من قاموا ببناء المدن و القصور التي ما زال بعضها قائما في اطلال الوهواء و اشبيلية و سرقسطة و مراكش و فاس و حمراء غرناطة، و هي جميعها شاهدة على عبقرية مهندسيها من العرفاء و الصنّاع الذين شغلوا حوائطها بالجص و الرخام المنقوش و اسقفها بالقباب المقرنصة و ارضياتها بالزليج، و جمعوا بين تخطيط البساتين التي ترينها الفوارات، و غير ذلك الكثير و الكثير من الاعمال المعمارية و الفنية التي تؤكد على عظمة هؤلاء العرفاء و الصناع بناة الحضارة الاسلامية الخالدة.[2]

هكذا شهد الجانب العمراني و المعماري نموا ملحوظا لم تعرفه الجزائر منذ العهد الحمادي و ذلك بفضل قدوم المهاجرون الاندلسيون فملاوا مدينة الجزائر بعد ثورة غرناطة سنة 1501م ، و كانت مدينة وهران بدورها مكانا لإيواء عدد كبير منهم منذ 1493م.

نشير الى ان البناء او حرفة البناء بايالة الجزائر قد هيمن عليها العنصر الاندلسي و بالأخص في بمدينة الجزائر خلال القرن 11هـ/17م، اذ ان معظم المعلمين الذين اسندت اليهم ادارة جماعة البنائين و تسييرها كانوا اندلسيين.[3]

---

[2]- محمد محمد الكحلاني، المرجع السابق،ص،ص،7-12.
[1]- محمد محمد الكحلاني، المرجع نفسه،7-12.
[2]- محمد محمد الكحلاني، المرجع السابق،7-12،ص،ص،13-36.
[3]- Shaw Thomas, Voyage dans la Régence…..p,93.

و من ابرز العائلات الاندلسية المتخصصة في البناء عائلة الثغري التي تصدرت جماعة البنائين من 1044هـ/1634م الى ما بعد 1070هـ/1659م، حيث تولاها علي الثغري ثم خلفه اخوه ابراهيم الثغري.[1]

ذُكر في بعض وثائق سجيلات البيلك من خلال هيلايلي اكتساب الجالية الاندلسية شركات متعددة للخدمات خاصة بالأشغال العمومية و البناء باسم "شركة الاندلس" و التي تعني الشراكة، و هي تخص جماعة من الاندلسيين المهتمين بالإنشاء الهندسي كبناء المنازل و الحمامات و قنوات المياه و كذا التحصينات، كما تقوم هذه الجماعة بترميم المباني الهشة [2]، و قد ضمت هذه الوثيقة حسب ميسوم المواد المستعملة في عملية البناء و كذا اسعارها كالآجر و التراب و الخشب.**(المخطوط ((03)**

و الملاحظ ان الحضور الميداني و القوي للأندلسيين في مجال البناء قد أدى الى ارتقائهم أعلى المناصب في هذا المجال. كما كشفت بعض العقود الشرعية على مستوى الارشيف الوطني ان كبار البنائين المهرة حسب غطاس في مدينة الجزائر الذين ارتقوا الى رتبة امناء البناء أغلبهم كانوا اندلسيون. ومن جملة البنائين الاندلسيين التي وردت اسمؤهم في الوثائق الخاصة امين البنائين الثغري بن علي و المعلم على البنائين بن هاشم الاندلسي و المكرم ابراهيم شتوش، البناء بن ابراهيم الاندلسي.[3]

عرف الجانب المعماري والعمراني نموا ملحوظا لم تعرفه الجزائر منذ العهد الحمادي وذلك بفضل استقرار العنصر الأندلسي، وكان له الأثر المباشر والواسع على الفن المعماري بالمنطقة وهو ما تشهد عليه بعض العناصر المعمارية المعروفة نأخذ

---

[1]- غطاس عائشة، الحرف و الحرفيون.....ص،233.

[2]- حنيفي هلايلي، او راق في تاريخ الجزائر.....ص،209. انظر ايضا .Sakina Messoum,Op,Cit,p,173

[3]- غطاس عائشة، الحرف و الحرفيون.....ص،158..

على سبيل المثال وسائل الدعم كالعقود المدببة او المتجاوزة و الأعمدة ذات الابدان الحلزونية والتيجان الملونة و كذا المداخل المسقفة والقرميد الأخضر، زد على ذلك العمل على انشاء و تشييد عمائر متعددة و مختلفة المجلات متراوحة ما بين المباني العسكرية، المدنية و الدينية ، كما كان الحال بالنسبة لمدينة شرشال و التي أعادوا بناء قلعة شرشال ودورها.[1]

بالنسبة للمجال العمراني؛ شهدت الجزائر على يد الأندلسيين نهضة عمرانية و نموا سكانيا كبيرين، فلقد ساهم الاندلسيون في البناء والتعمير في اماكن استقرارهم، فقد أعادوا بناء عدد من المدن مثل مدينة برشك التي كان اغلب سكانها من الأندلسيين ، و شرشال التي بلغ عدد منازل الاندلسيين فيها اثني عشر الفا، و بذلك شكل الأندلسيون فيها الاغلبية[2]. و في هذا السياق يذكر الوزان أنً مدينة شرشال كانت خالية من السكان،زهاء ثلاثمائة سنة حتى سقوط غرناطة ، فقصدها الغرناطيون ، و اعادوا بناء عدد من دورها بالإضافة الى مدينة برشك [3]، حيث ساهم الأندلسيون في إعادة بنائها وتعميرها، وأكد مارمول الذي زار المدينة في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م حقيقة ما قاله حسن الوزان عن شرشال ودور الأندلسيين[4] ، وأصبحت في القرن 10هـ/16م تضم العديد من البيوت داخل أسوارها الّتي يبلغ طولها حوالي 3 كلم، بالإضافة الى مدنية جيجل. كما انشئت مدنا جديدة كالقليعة و البليدة ، و طوروا بعض المدن القديمة كتلمسان و مستغانم و عنابة.*

أدخل الأندلسيون استعمال القرميد بدل السطوح التي كانت شائعة قبل حلولهم بالجزائر الغربية، من المدن التي تميزت به مليانة و تنس التي اصبحت تختلف في

---

[1] كربخال مارمول، المصدر السابق، ص. 356.
[2]- سعيدوني ناصر الدين، دراسات و ابحاث.....ص، ص،136-138.
[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص، 34.
[4] كربخال مارمول، المصدر السابق، ج. 2، ص. 356.
* للمزيد عن اماكن استقرار الاندلسيين انظر الفصل الرابع من الاطروحة.

طابع البناء عن باقي المدن القريبة منها كمازونة، كما عرفوا باستخدام الزخارف و المجصصات و التفنن بتشكيلها و تخريمها و الامثلة عديدة من بينها مساجد تلمسان مثل الجامع الكبير(530هـ/1136م) و جامع سيدي بلحسن (696هـ/1296م) و جامع العباد(739هـ/1338م) و التي مازالت محاربها تشهد على التفوق الهندسي البنائي الزخرفي من زخرف نباتية،رمزية و كتابة*[1].

من اهم المجالات التي ابهرت فيها الجالية الاندلسية قدرتها و تقنياتها ؛ مجال الهندسة الهيدروليكية او هندسة المياه، فكان لهذه الفئة من المجتمع الفضل الكبير في تزويد المدن الجزائرية ومدها بشبكة مائية لتزويدها بالمياه الصالحة للشرب خلال الفترة العثمانية في غاية الإتقان والتطور بالمناطق التي استقروا بها بعد سقوط مدينة غرناطة في853هـ/1449م[2]، ولعل فحوص مدينة القليعة والبليدة وكذا مدينة الجزائر الى غير ذلم من المدن التي استقرت فيها الجالية الاندلسية خير مثال على ذلك* كمدينة جزائر، شرشال ، القليعة...[3]، وهذا ما تؤكده المصادر التاريخية، فهم من قاموا بجلب مهنة الري و النظام المائي التي ألفوها في شبه جزيرة إيبيريا إلى إقليم الجزائر، مما أدى إلى كثرة الحدائق في فحوص المدينة وضواحيها. وقد ساعد على ذلك كثرة الآبار و الينابيع و العيون الجارية، وأول من قام باكتشاف ينبوعا للماء هو أحد الأندلسيين المهاجرين في 1020هـ/1611م في مكان مرتفع قرب سيدي يعقوب غير بعيد عن برج مولاي حسن،[4] وإثر هذا الاكتشاف تم إخبار الداي ودفعه إلى ضرورة استغلال الينبوع وذلك للمنافع التي ستنجز عنه، وبعد الموافقة شرع في إنشاء أول قناة رئيسية لتموين المدينة من خلال

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر.....ص،ص،144- 145.

* عن موضوع المساهمة الاندلسية في مجال العمارة و العمران انظر فصل الدراسة التحليلية من الاطروحة.

[2]-مولاي بلحميسي، الجزائر العاصمة ومشكل المياه .....ص،77.

* للمزيد انظر ناصر الدين سعيدوني، ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية.....ص،ص،51.وانظر أيضا مصطفى بن حموش ،المدينة والسلطة في الإسلام .....ص،ص،249- 262.

[3] - علي خلاصي، المرجع نفسه، ص،60.

[4]- جون – ب- وولف، المصدر السابق، ص،151 .

قنوات ثانوية تتفرع في الأماكن الآهلة بالسكان، و يعد انشاء هذه القناة أهم المشاريع للمعلم الأندلسي المعروف بباسطة موسى الذي نجح في جلب مياه عيون الحامة في عهد قوصة باشا[1]*، و في هذا السياق نشير الى أنً معظم أعمال جلب المياه تعود إلى خبرة هؤلاء الأندلسيين الذين اشتهروا بهذه الأعمال، وقد صادفت هذه الخبرة اهتمام الحكام العثمانيين الذين كانوا مولعين بمشاريع الري وبناء العيون، لذلك اهتموا بهذا الجانب اهتماما كبيرا ، فأقاموا العديد من التجهيزات المائية كالأحواض والصهاريج و مدوا السواقي والقنوات،**اللوحة(20)**وأنشؤوا الناعورات «النوريات»**(الصورة(04))**، فأصبحت سهول الحامة ومنخفضات وادي كنيس وبئر مرادرايس وبني مسوس ووادي المغاسل تنتشر فيها هذه التجهيزات المائية المتعددة الوظائف كالنوريات والأحواض والسواقي التي أقيمت على الآبار التي حفرت بها، هذا في الوقت الذي نجح فيه الصناع الأندلسيون في استغلال مياه العيون والواقعة بالمرتفعات فاستعملوا جزءا منها فيري البساتين بعد استصلاح العديد من الأراضي خاصة بنواحي بئر خادم و بئرطرارية وحي الثغريين بينما وجهوا الجزء الآخر لسد حاجات سكان مدينة الجزائر.[2]

و من المنشآت المائية التي شيدها الاندلسيين في مدينة الجزائر لجلب المياه من المناطق البعيدة نذكر القنوات او السواقي او القناطر الاربع و التي تعد من المشاريع الكبرى المنفذة خلال الفترة العثمانية و هي قناة تيليملي و قناة بيرطرايلية وقناة الحامة و قناة عين الزبوجة ، و تعتبر قناة الحامة القناة الوحيدة الّتي عُرف اسم مُنْشئها وهو الأندلسي " المعلّم موسى" الذي غير مهنته بعد انهاء اشغال البناء

* حكم في فترة 1610م- 1613م.
[1]- عبد المجيد قدور، المرجع السابق،ص،177.
[2]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة الأولى، بيروت ،دار الغرب، 2000، ص،395 .

فيها، ليصبح جنديا في الجيش الانكشاري و يهتم ببناء المباني العسكرية.[1]

المخطوط (04))

Yالى جانب القناطر ، اهتموا بإنشاء مجموعة كبيرة من العيون او الاسبلة كما جاءت في بعض المراجع ، و المؤكد ان مدينة الجزائر وفحوصها عرفت انشاء عدد كبير من العيون لتوزيع المياه ، فجاءت موزعة على الشوارع الرئيسية وفي الممرّات وفي الدروب؛ وبلغ عددها أكثر من 100 عين على حد قول الاب دان [2]، منها وجدت في السجون(البانيوس) للأرقاء، وبعضها في ثكنات الجيش الانكشاري والبعض الآخر في الشوارع حيث تمكن السكان من ملء جرارهم[3]. و مما يلاحظ أن هذه العيون مجهزة أغلبها بأحواض تستعمل لسقي الحيوانات من خيل وماشية.

ويبدو أنّه من بين الأعمال الجليلة الّتي يقوم بها الفرد المسلم هو إنشاؤه لعين كصدقة جارية. ورغم كثرة هذه العيون فإن معظمها يخلو من كتابة تذكارية تخلّد اسم منشئها، لذا من الصعب تحديد أسماء العيون التي أنشأها الأندلسيون.[4]

هناك نص أصلي خاص بتأسيس زاوية الأندلسيين الّذي يعود إلى سنة 1033هـ/1623م، و يضم أسماء الأشخاص الّذين ساهموا في هذا الإنجاز "الحمد لله بعد أن استقر على ملك الجماعة الكرام الفضلاء الأخيار وهم محمد بن محمد العبلي وابراهيم بن محمد أبو ساهل و**المعلم موسى معلم العين**..."[5].

من خلال هذا النص يمكن استخلاص بأن "المعلّم موسى" لقب بـ "معلم العيون" نظرا لأفضاله و جهوده الكبيرة في إنشاء العديد من العيون، فقد عزّز الشبكة

1- Eugène pasquali, l'Alimentation en eau potable, de l'époque romaine à nos jours ,doc dactylographie,1951,p,7 .

2- Pierre Dan,Histoire de barbarie,T1……p,100.

3- جون-ب- وولف، المصدر السابق،ص،151

4- بم مصباح مليكة، المرجع السابق،ص، 229.

5 - م. ش. علبة 82، الوثيقة، 2.

المائية لمدينة الجزائر بعيون عامّة في مختلف الشوارع والأحياء والجوامع مولها محسنون. ورغم كثرتها إلا أنه لا توجد كتابة تذكارية تخلد اسمه. واحتمال كبير أن تكون هذه العيون قد هدّمها الاستعمار الفرنسي، خاصّة إذا علمنا أن القسم الجنوبي لمدينة الجزائر بجزْئية الجنوبي والشرقي شهد تهديما كليا، والّذي كان يضم الأربعة والعشرين عينا المزودة من قناة الحامة.[1]

الى جانب العيون، أدخل الأندلسيون بفحص مدينة الجزائر الناعورات* " النوريات" ، و هذه الظاهرة و هي دخيلة على الجزائر و هي تدخل في مجال الري ، الّتي اتّخذت شكل برج مجهز بدولاب، وتوزّع على دائرتها الخارجية دِلاء (ما يشبه الكؤوس للشرب) تغرف في المياه أثناء الدوران لتصبّ عندما ترتفع في قنوات تسقى منها الحديقة. أقيمت هذه الناعورات إما داخل الحديقة أو خارجها فهي تزوّد طوابق المنزل العلوية بالمياه ويقوم بتشغيلها حصان مغمض العينين. وفي السهول تقوم برفع المياه الموجودة بالقرب من الآبار.

[1] حورية شريد، " **الأسطة موسى الاندلسي**"، حوليات المتحف الوطني للآثار، مطبعة سومر، بئر خادم، الجزائر، العدد السابع، السنة 1998/1419، ص،27.

* أدخل العرب إلى الأندلس أساليب رّي شامية كالنوريات أو الناعورات منها ما يعمل بفعل قوّة الماء، ومنها ما تُستعمل الدوّاب في تحريكها، ومن الأندلس انتقل استعمال هذه الأنماط من النواعير إلى بلاد المغرب ، كما اقتبسها النصارى في شمال إسبانيا من المسلمين. بن مصباح مليكة، المرجع السابق،ص،ص،230-231.

الفصل الرابع

العمارة العسكرية من خلال مصطلحاتها و تاريخها

اولا : ضبط المصطلحات المتعلقة بالتحصينات الدفاعية

ثانيا : المصطلحات المتعلقة بالعناصر الدفاعية

العمارة العسكرية من خلال مصطلحاتها و تاريخها:

من المتعارف عليه أنً مسألة الدفاع شكلت منذ القديم هاجسا لدى الانسان، حيث ظهر مفهوم التحصينات الدفاعية، منذ انشغاله بالاستقرار و استشعاره بضرورة وضع حد للهجمات و الاعتداءات، فلم يتوان في البحث عن أساليب مختلفة تقيه الخطر المحدق، فانتقل من تحصينات بسيطة ببساطة فكره إلى اعتماده في مراحل تاريخية لاحقة على طرق و مناهج، تتخذ من الهندسة و العلوم المصاحبة في تطور استحكاماته الدفاعية، بنوعيها الخفيفة الوقتية او القوية الدائمة[1] *،و التي كان الغرض الأصلي منها، هو تقوية مواقع الدولة كالمعابر و الثغور البحرية ، و التي يلزم لأجل الوثوق بتملك هذه المواضع المهمة، و الاستمرار على الاستحواذ عليها، أن يشيدًوا بها في مبدأ الأمر، حصونا حصينة تكون فيها قابلية لمقاومة كل التأثيرات الطبيعية المخربة، و جميع المجهودات الناشئة عن هجوم منتظم.[2]

إنً خاصية الاستحكامات القوية او بالأحرى المنشآت العسكرية او الحربية؛ هي دلالتها على درجة محققة من القوة تكون معلومة من قبل، و هذه الدرجة تتحصل باستعمال الوسايط المعلومة الجيدة لأجل الوصول الى الغرض المذكور آنفا بشرط

* يشير الهيثم مقدم الأيوبي إلى أنً الاستحكامات الدفاعية تتمثل في مجموعة من المنشآت و المواقع و الستائر تقام لتقوية موقع ما و حمايته من الهجمات. و هناك التحصينات الثابتة و منها الاسوار ، الأبراج و التحصينات الميدانية فتقام اثناء المعركة.

[1]- الهيثم مقدم الأيوبي، موضوع التحصينات الموسوعة العسكرية ، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للنشر و التوزيع ،ج1 ،بيروت ،1977، ص، ص،257-258.

[2]- مصطفى سالم، المرجع السابق،ص،78.

ان يستغرق في انشاء هذه الاستحكامات، ما يلزم لها من المدة ، و يصرف اليه من النقود[1].و بهذا التقديم البسيط و من هذا المنطلق، يجدر بنا الإشارة إلى المصطلحات المتعلقة بالعمارة العسكرية، وما يتعلق بها و تقديم تعاريف موجزة.

أولا : المصطلحات المتعلقة بالتحصينات الدفاعية :

إنً الحديث عن مفهوم التحصينات العسكرية أو الاستحكامات العسكرية خلال الفترة العثمانية، يستدعي ضبط بعض المصطلحات التي كثرا ما تتردد على الألسن دون معرفة مفهومها ودلالاتها، وهو ما يدفع على تحديد سياقها التاريخي ومهماتها والغرض من إنشائها.

و التحصين يعتبر أسلوبا عسكريا دفاعيا وهجوميا، اعتمدته الشعوب قديما و حديثا، ممثلة في مجمل المنشآت من الحصون و القلاع و الابراج، و غيرها من المباني الدفاعية الحربية، شكلت أداة هامة في ضمان المحافظة على استمرار كيان الدولة و حماية سكانها[2]، بالإضافة الى الموانع التي تنجز في مناطق يتم اختيارها على أسس فنية و حربية، تسمح بتقوية موقع دفاعي ما أو حمايته من هجمات العدو و رصد تحركاته، فحسب ذلك تأخذ التحصينات نوعين متباينين؛ **نوع تحصيني دائم(ثابت)**[*]، و **نوع تحصيني ميداني(غير ثابت)**[**].و لتثبيت المنشآت التحصينية

---

[1]- مصطفى سالم، المرجع السابق،ص،78.

[2]- موسى هصام،" **الدفاعات الحربية الحمادية – منشآت و فنيات القلعة و الناصرية (بجاية) أنموذجا**، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، أعمال الملتقى الدولي – النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني 27/26 نوفمبر 2014،العدد05 ،الجزء الأول، السنة،2014، ص،386.

* تبنى هياكله في أوقات السلم عادة بالحجارة أو غيرها من مواد البناء، في شكل مدن أو قلاع أو أسوار أو خنادق، مع تدعيمها بوسائل دفاعية أخرى كاستخدام جذوع الاشجار أو المجانيق أو السهام لضرب العدو، لتتطور إلى استخدام السلالم أو الأبراج المتحركة لكسر القدرة الدفاعية و اقتحام التحصينات الدفاعية المختلفة. أنظر موسى هصام، المرجع السابق، ص،401.

العسكرية، تطلب الرصد الميداني لطبيعة الارض التي تنجز عليها الحصون و القلاع وغيرهما، والتي من مواصفاتها المميزة الدفاعية البحتة. و توقع نوعية الأسلحة المستخدمة و القدرة على تقييم الموقع بالنسبة للقوة المهاجمة أو المدافعة،وكذا تقييم أدائها الايجابي أو السلبي عقب أي مواجهة تفاديا لمبررات الهزيمة و تغليبا لكفة الانتصار.[1]

تبنى هياكل التحصينات في أوقات السلم عادة بالحجارة أو غيرها، من مواد البناء في شكل مدن أو قلاع أو أسوار أو خنادق، مع تدعيمها بوسائل دفاعية أخرى كاستخدام جذوع الأشجار أو المجانيق أو السهام، لضرب العدو لتتطور الى استخدام السلالم أو الابراج المتحركة، لكسر القدرة الدفاعية و اقتحام التحصينات الدفاعية المختلفة.[2]

في بداية تناولنا الحديث عن التحصينات الحربية لا بد من معرفة الفرق بين كل من الحصن و القلعة و البرج، نظرا لأنً معظم المراجع العربية لا تفرق من الناحية اللغوية أو المعمارية بين القلعة و الحصن و البرج.[3]

وردت في كتابات الرحالة عدة مصطلحات، تتعلق بالعمارة الحربية وعن التحصينات الحربية أو الاستحكامات العسكرية من حيث مسمياتها العامة، أو من حيث مسميات مفرداتها و عناصرها المختلفة و منها؛ الرباط، القصبة، الحصن،

** تستخدم في حالة الحرب و المواجهة المباشرة مع العدو، لتحقيق غرض رئيسي هدفه إحداث التفوق على القوات المهاجمة، أو وضع عراقيل أمامها للحد من حركتها، أو حماية الجنود من موقع المعركة و عادة ما تستخدم الخندقة وسيلة لإحاطة القوات المعسكرة للحماية من نقاط الضعف لدى العدو.

[1]- موسى هصام، المرجع السابق، ص،ص،401- 402.

[2]- موسى هصام، المرجع نفسه، ص،ص،401- 402.

[3]- مرفت عثمان، التحصينات الحربية و أدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر و الشام زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربي، القاهرة، 2010 ، ص،90.

القلعة، الاطم، الحصار، المرصد المسلح، الفصيل، السقالة، الباشورة، السور، الأبواب، البرج، الممشى و الخندق إلى غير ذلك من المنشآت العسكرية[1]، و تختلف هذه الاخيرة حسب وظائفها، التي شيدت من أجلها كالحراسة و المراقبة، أو الاستطلاع و الدفاع.....الخ، فهذه التعريفات الاصطلاحية تدل على الارتباط الوثيق ما بين مختلف هذه البنايات والمفاهيم الدفاعية العامة، وإن كان عنصر الاختلاف فيما بينها يتحدد انطلاقا من طبيعة الأدوار والمهمات، التي تخصص لها. لكنها في نفس الوقت تحافظ على منطق الموقع الثابت من حيث الواجهة الدفاعية، والقوة التحصينية ونوعية الشكل الهندسي، والخصوصية الجغرافية والطبوغرافية، سواء على مستوى المناطق الساحلية أم الداخلية؛ علما أن هذا التنوع المجالي حاضر بقوة ضمن الجغرافية المغربية المتميزة.[2]

في هذا الصدد سنتناول المصطلحات المتفق عليها ، بين الدارسين في مجال الآثار والعمارة خاصة العمارة الحربية (العسكرية)،ونعرفها مع أدراج وظائفها، و من ثم نعرج على المصطلحات التي لم نستخدمها في الدراسة الوصفية و التحليلية للنماذج المدروسة(الدراسة الميدانية)،ونحاول التعرف عليها مع التعرض لوظائفها، ومنها القصبة، الحصن، القلاع، الابواب، الخنادق، الرباط، الستائر، حائط الممشى و الفيصل.

الاستحكامات العسكرية:

[1]- محمد حمزة اسماعيل الحداد، بحوث و دراسات في العمارة الاسلامية، الكتاب الاول ،الطبعة الثانية، دار القاهرة، جمهورية مصر، العربية، ص، 2004،ص،16.

[2]- محمد حمزة اسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص،16.

الاستحكامات أو التحصينات العسكرية هي عبارة عن تنظيم، وضع جميع أسوار أو سور مدينة أو قلعة أو حصن أو غير ذلك من الأماكن المحصنة، التي يراد حفضها، وجعل هذه الأجزاء على وجه، بحيث يتيسر لعدد يسير من المحافظين المقيمين بأحد هذه المواضع، مقاومة عدد عظيم من العساكر الذين يريدون محاصرة هذا الموضع و التغلب عليه[1]. و الاستحكامات العسكرية هي التحصينات أو العناصر الدفاعية، التي أنشئت لغرض دفاعي بالدرجة الأولى بمختلف أنواعها، كما هي عبارة عن جملة من المنشآت والموانع والستائر، تقام لتقوية موقع ما وحمايته من الهجمات المعادية ومنها:المحارس، الأبراج، القلاع المناظر، المنارات، الأسوار، الخنادق ، الأربطة، الحصون والقصبات، التي تجمع سكن السلطان مع إدارته ودواوينه، ولها جانب دفاعي بحيث تحاط عادة بالأسوار لعزل الحاكم عن رعيته.[2]

القصبة:

القصبة في مدلولها اللغوي حسب ابن منظور، مصطلح معناه جوف القعر كما قيل انها القعر نفسه، و عرفها بانها هي جوف القصر وقيل القصر، وقصبة البلد مدينته و قيل معظمه، والقصبة جوف الحصن يبنى فيها بناء وهو اوسطه، و القصبة القرية، وقصبة القرية وسطها[3]، وعادة ما تكون القصبة تشغل أعلى جزء من البلدة وتكون محاطة باستحكام من الاستحكامات يفصلها عن المدينة أو البلدة [4]. و

---

[1]- محمد حمزة اسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص،134.

[2]- محمد حمزة اسماعيل الحداد، المرجع نفسه،ص،16.

[3]- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تعليق وتنسيق، علي شيرين، دار إحياء التراث العربي- بيروت- المجلد الاول، ص 676.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، تعليق وتنسيق، علي شيرين، دار إحياء التراث العربي-بيروت- م 11،ص،178.

القصبة أيضا يراد بها البناء الذي يكون في جوف الحصن، و أحيانا يطلق اسم القصبة على المدينة او على معظمها اي قسمها الرئيسي، ويقال أيضا قصبة البلاد اي مدينتها كما ترد القصبة بمعنى القرية أي وسط القرية[1]. و يطلق لفظ قصب على كل نبات ذي أنابيب، ومفردها قصبة وكل عظم ذي مخ تشبيها بالقصبة.[2]

أما من الناحية الاصطلاحية القصاب؛ جمع قصبة، بمعنى قلعة، وهي استحكام حربي يبنى للدفاع عن المدن أو عن الطرق التجارية.[3]

اتفقت القواميس والمعاجم ، على أن مصطلح القصبة في مدلوله الاصطلاحي تعني المعقل و الحصن أو القلعة[4]، و القصبة هي الحصن بمعنى الكلمة في المدن الاندلسية المهمة على حد قول باسيليو بانون، فقد كانت رمزا للسلطة و كانت تجسد المركزية السياسية– إضافة الى الأغراض العسكرية، و من هنا فإنً مصطلح القصبة قد أُطلق في بعض الأخبار العربية على المدينة، بمعنى أنها العاصمة أو المركز و المقر السياسي و الإداري للأندلس*[5]، و من حيث تخطيطها فهي قلعة مبنية في موقع بعيدا عن الأحياء السكنية، وسط مدينة تشمل على قسم ملكي ومساكن الحاشية، من رجال البلاط ومساكن الجنود من هذه المدينة، محاطة كلها بأسوار منيعة، و قد استعمل المسلمون القصبات بمعنى

---

[1]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق،ص، 102.

[2]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق ، ص،17.

[3]- عامر حسن احمد عجلان،" **العمائر الحربية الأندلسية- القصاب انموذجا-**"، مجلة كان التاريخية، دورية عربية الكترونية عالمية محكمة ربع سنوية، متخصصة في البحوث و الدراسات التاريخية ،العدد 32،السنة التاسعة ، يونيو 2016،شعبان 1437هـ،ص،152.

[4]- المقدسي محمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، دار النشر مكتبة مدبولي القاهرة الطبعة الثالثة 1991،ص،47.

[5]- باسيليو بانون مالدونادو، العمارة في الاندلس-عمارة المدن و الحصون-المجلد الأول، ترجمة، علي ابراهيم منوفي، مراجعة و تقديم،محمد حمزة الحداد، الطبعة الاولى، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2005،ص،183.

*عن القصبة و مدلولها اللغوي و الاصطلاحي و عن وظائفها أنظر كل من باسيليو بانون مالدونادو، المرجع نفسه،ص،ص،183-200. و علي خلاصي، قصبة الجزائر.....ص، ص، 23-24.

عواصم الاقاليم الجهوية، و اعتبرها المقدسي بمثابة الحجاب، كذلك وأضاف بأن لكل قصبة كورته و ليس لكل قصبة مصرا.[1]

أما في المغرب الاسلامي فقد اعتبرت القصبة، من أهم بنايات المدينة لأنها ترمز الى السلطة التي بدونها لا تستقيم الأمور[2]،اذ كانت تبنى في قلب المدينة ولقد اهتم المسلمون بهذه الوسيلة الدفاعية بهذا النوع من المنشآت العسكرية، منذ العهود الأولى التي تلت الفتح الإسلامي، حرصا منهم على حماية أرواح المسلمين وممتلكاتهم، كما يعد من بين العناصر التي ظلت مواكبة لتطور الفكر الحربي بسبب تطور الفكر الدفاعي، فهي عبارة عن حصن منيع يقام عادة في موقع مرتفع ،هذا ما جعلها تعرف بنواة المدينة.[3]

لقد شاع استعمال لفظ القصبة في المغرب العربي، ويطلق على القلعة التي بها مقر الحاكم، وحسب التعاريف المتفق عليها، فإنً القصبة هي جوف القصر و مدينة البلدة، والقصبة جوف الحصن يبنى فيه بناء يتوسطه، والقصبة القرية وقصبة القرية وسطها. [4]

من شروط بناء القصبة أن يكون موقعها استراتيجيا منيعا أمام الاخطار الخارجية، و للزيادة من التحصين فإنً القصبات احيطت بأسوار عالية و منيعة بالحجارة و محصنة بعدد من الابراج، متصلة فيما بينها بطريق بأعلى السور تسهيل حركة

---

[1]- المقدسي محمد، المصدر السابق،ص،47.

[2]- مصطفى سالم، المرجع السابق، ص،79.

[3]- مصطفى سالم ، المرجع نفسه.

[4]- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، لسان العرب،ج13،دار إحياء التراث العربي، بيروت،1993، ص،55.

المقاتلين فوقه[1]، ثم بدأت تخضع للظروف السياسية و الاستراتيجية والتي غاليا ما طبعت المدينة منذ العصر المرابطي، فانتقلت إلى قمة التجمع السكاني ثم أظهر الموحدون و المرينيون إرادتهم، في فصل السلطة عن النسيج العمراني للمدينة ببناء مدن منفصلة، استقلت عن التجمع السكاني بأسوار تحت المنشآت الإدارية والمالية.[2]

كانت القصبات تشمل عادة قصر الحاكم و القلعة أو القلاع التي تحميه، و دور الوزراء و الحاشية، مسجد جامع، دواوين للإدارة ، الحكم ، مستودعات، مخازن للمال، السلاح و صهاريج لتخزين المياه[3]، باعتبارها منشأة دفاعية تجمع بين المنشآت العسكرية، المدنية، العمارة الدينية والمرافق ذات الخدمات العامة المشتركة[4]، وأحيانا تنمو هذه المجموعة حتى تغدو قاعدة محصنة، كما هو الحال في مدينة الزهراء التي أنشاها الخليفة عبد الرحمان الناصر وابنه الحكم المستنصر سنة 325هـ/936م، ولقدرأت الكثير من الدراسات إطلاق اسم المُدينة على منطقة القصبة، باعتبار أنها بهيئة مدينة صغيرة محصنة في قلب المدينة الكبيرة ، الذي يغلب عليها الطابع التحصيني و هو الأساس، تعمل على تأمين السلطة و الإدارة و يلجا اليها الناس وقت الخطر، كما أنها كانت تحتوي على مسجد جامع و ابواب للاتصال بالخارج و الداخل.[5]

---

[1]- مصطفى سالم ، المرجع السابق،ص،79.

[2]- Roger Le Tourneau , Op,Cit ,p13.

[3]- عامر حسن أحمد عجلان، المرجع السابق،ص،152.

[4]- علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007،ج1،ص،5.

[5]- عامر حسن احمد عجلان، المرجع السابق، ص،152 .

هكذا نجد أنً وظيفة القصبة كانت تظم الوظيفة الحربية و السياسية و الادارية، و اذا ما تحدثنا عن الطابع الحربي، لوجدنا أنً القصبة كانت تتمتع بكافة أنواع الدفاعات و التحصينات، بنفس الدرجة التي للمدينة، وربما اكثر منها، وهي بوابات للدخول ذات تخطيط منحنى (مداخل منكسرة، ابواب ذات مرافق)، و يتقدم السور الرئيسي سورا أخر امامي على شكل الخزام، يبلغ ارتفاعه نصف ارتفاع السور الأساسي ، ليعيقوا عملية نقب الأسوار الأساسية، و مباغتة المدافعين و افشال الهجوم.[1]

أولى القصبات الأولى التي بنيت في بلاد المغرب،نذكر على سبيل المثال قصبة تاهرت التي بناها الرستميون واتخذوها عاصمة لهم سنة (144هـ-296هـ/ 761م-908م)، والتي هي على شكل مستطيل[2]،وقصبة مارده بالأندلس التي شيدها عبد الرحمان الأوسط سنة 267هـ/835م[3]،و قصبة الزيرين بأشير ، نضيف إلى ذلك قصبة أودية- الرباط-التي بناها الموحدون مع نهاية القرن6هـ/12م 524هـ-668هـ/1130م-1269م بمراكش، ففي هذه الفترة أي فترة الموحدون عرف بناء هذا النوع من الاستحكامات، بل اعتبر من السمات العمرانية لهذه الحضارة، وفي هذا المجال يخبرنا ابن الخطيب عن قصبة الرباط (الاوداية) قائلا:".وضربت أبراجها و صوعرت أبراجها، وحصنت أبوابها، عزز جانبها ، دار ببلدها السور و الجسور و الخندق...."[4]، و قصبتا مكناس و المنصورة التي بناها المرينيون في القرن الثامن

---

[1]- عامر حسن أحمد عجلان، المرجع السابق، ص،152 .

[2]- أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك ،دار الكتاب الإسلامي القاهرة،د.س،،544.

[3]- مورينو مانويل جومينو، الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم ،الدار المصرية للتأليف والنشر، د.ت،ص،50.

[4]- ابن الخطيب لسان الدين، معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديار، تحقيق محمد كمال شبالة ، اللجنة المشتركة للتراث الاسلامي بين المغرب و الامارات ، مطبعة فضالة ، المحمدية،1976،ص،ص،152-154.

الهجري/القرن الرابع عشر[1]. و الملاحظ أنه لم يكن للقصبات شكل هندسي معين،بل قيدت بالهندسة الطبيعية التي يقتضيها الموقع الجغرافي التي بنيت فيه.[2] إنّ هذا النمط كان متبعاً منذ العهد البيزنطي، حيث بنيت هذه القصبة على هضبة تراقب المدينة، بها قصر الحاكم و أجنحة خاصة، ومن المدن التي عرفت التقسيم بين التجمع السكاني ومقر السلطة الحاكمة قصبة تونس[3]، بالإضافة الى قصبة مراكش الجديدة[4]، وكذلك تم تقسيم مدينة تلمسان إلى قسمين؛القسم الأول يتمثل في الحي السياسي العسكري مركزه تاغرارت، والقسم الثاني يتمثل في الحي الشعبي ومركزه أغادير والمشور، هو نموذج للقصبة لاحتوائها على جميع الهياكل والمنشآت الإدارية والدفاعية.[5]

الحصن:

الحصن لغة حصن المكان يحصن حصانة، فهو حصين: منع و أحصنه صاحبه و حصنه[6]، و التحصينات و يقال أيضا حصون فردها حصن، وهو عند ابن منظور مكان أو موضع حصين منيع و الجمع حصون، و حصن حصين من الحصانة، وحصنت أي احتضنت القرية اذا بنيت حولها، وتحصن العدو و حصنت

1- Roger Le Tourneau, Op, Cit, p,13.

انظر أيضا كل من علي خلاصي ، قصبة مدينة الجزائر ، ج1،دار الحضارة الجزائر، 2007،ص،ص،49-50. و جوميت مورينو، مانويل، المرجع السابق، ص،50.

2- مصطفى سالم، المرجع السابق،ص،80.

3- Daoulatli abd el Aziz , La Kasbah Tunis,1965, p06

4- Roger Le Tourneau, Op, Cit, p,13.

5- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر.....ص،84.

6- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد ، لسان العرب، تعليق وتنسيق، علي شيرين، دار إحياء التراث العربي-بيروت- المجلد الرابع، ص ، 144.

المرأة حصنها إذا عفت عن الزنا، وقيل العرب حصونها، وقد سميت العرب حصنا[1]. و في حديث الاشعث: تحصن في محصن؛ المحصن : القصر و الحصن. و تحصن إذا دخل الحصن و احتمى به.و ج حصين و حصينة محكمة.[2]
كما يعرف الحصن و جمعه حصون ، جمع أحصان وحصون، مأخوذة من الحصانة و المناعة. و هو المكان المنيع الذي لا يقدر عليه لارتفاعه، وموضع حريز لا يوصل إلى ما فيه[3]، و الحصن كل مكان منيع لا يوصل إلى ما في جوفه، و الحصن أيضا المدينة المحصنة[4].و الحصن(**Forteresse**)ليس فقط القلاع الشامخة فحسب، بل ايضا المطامير، الجبال، المدن و الخنادق، وكل ما يشابهها من حصون و معاقل.[5]

يعرف الحصن من الناحية الاصطلاحية أنه موضع حصين مأهول بالسكان، يكاد أن يضاهي مدينة صغيرة، ويحيط به سور من جميع جهاته، وقد يبنى على السور أبراج.[6]

أما الحصن في المصطلح الأثري المعماري هو البناء الذي لا يوصل إلى داخله إلا بقتال، ويقول بعض الباحثين أن الحصن هو أكبر عمائر الاستحكامات الحربية[7]، و هو كل بناء يحيط بمساحة من الأرض ليحميها و يحصنها ضد أي اعتداء، من

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، علق عليه، ووضع حواشيه علي شيري، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، دار إحياء التراث الغربي للنشر و التوزيع،1988،ص، ص، 208-210.أنظر ايضا: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الإسطنبول ، ترآيا، المجلد الأول،1985، ص،180 .

[2]- ابن منظور ابي الفضل جمال الدين محمد ، لسان العرب، المجلد الرابع.....ص،144.

[3]- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مكتبة مدلوبي، القاهرة – مصر، 2000 ، ص 81.

[4]- عاصم محمد رزق، المرجع نفسه، ص81 .

[5]- طالب عبد الفتاح الصوافي، القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي،ط1، مؤسسة الأسوار عكا، العراق،2000، ص،101.

[6]- فائزة حمزة عباس، " **المظاهر العسكرية في المدن الأندلسية**"، مجلة أبحاث الكلية، العدد 1، المجلد 12،جامعة الموصل - العراق، 2012، ص486 .

[7]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص81.

داخل البلاد او خارجها، و من ثم فإن أسوار المدن كانت تعرف في العصور الوسطى، باسم الحصون، ومثال ذلك أسوار بغداد، القيروان، فاس المهدية، قرطبة، المدينة المنورة، القاهرة ، صنعاء ،زبيد و الدرعية و غيرها كثير[1].ولا يخلو جبل عال أو مكان استراتيجي، إلا وتوجت قمته بحصن من الحصون، و غالبا ما يقوم الحكام ببنائها و شحنها بالجند و العتاد، بصفة مستمرة استعدادا للحرب مع العدو، او لإرهابه و صده . و غالبا ما يقوم الحكام ببنائها و شحنها بالجند و العتاد بصفة مستمرة استعدادا للحرب مع العدو، أو لإرهابه و صده[2]ولأنه لا يوجد فارق معماري بين الحصن و القلعة، نجد كثيرا من المؤرخين و الباحثين يخلطون بين الحصن و القلعة، فنجدهم مثلا يسمون قلعة تيرا تارة حصن القاهرة و تارة قلعة القاهرة، وقد يطلقون التسميتين معا على الحصن فيقولون قلعة الحصن مثلا أو حصن القلعة و هكذا، و أشهر الحصون الإسلامية قلعة الحصن بسوريا.*[3]

تطلق اذن كلمة الحصن في الشرق الإسلامي على صروح عسكرية كبرى ذات تخطيط هندسي معقد، و تتضمن عدة بنايات و طوابق و أبراج قادرة على استيعاب أعداد كبيرة من الجنود،وقد أخذت بعض المصادر التي كتبت عن تاريخ المغرب، عن هذه الكلمة للتعبير عن بنايات عسكرية ضخمة، أُنشئت بجانب الأسوار من أجل تجميع العساكر و أحكام المراقبة على المدن.[4]

---

[1]- عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الاثار الإسلامية.....ص،94.

[2]- عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الاثار الإسلامية.....ص،94.

[3]- عبد الله عبد السلام الحداد، المرجع نفسه.

* يبعد عن مدينة حمص ب 60 كم، احتله الصليبيون لمدة 160 سنة بدا من 1110م ، و حرره السلطان المملوكي الظاهر بيبرس 1271 م ، للمزيد و للاطلاع انظر عبد الله عبد السلام الحداد ،المرجع نفسه، ص،ص،94-95.

[4]- طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع السابق،ص،81.

من أهم الحصون الموحدية نذكر حصن الفرج بإشبيلية، الذي يعتبر المشرف على مراقبته المدنية، والسهل المحيط بها بشكل كامل، وكانت الحصون في معظم الأحيان تشتمل على مخازن للطعام وعلف للدواب و خزانات للمياه، تكفي الحاجة المحاصرين داخلها اشهرا عديدة.[1]

إنً للحصن نوعان ؛ فالأول منه يقام حين يكون هناك اشتباكات مع القوات المعادية ، أو حين يكون توقع وجود اشتباك وتسمى بالحصون الميدانية[2]، وهذا النوع من الحصون يشكل بناء منفصلا بذاته، يبنى على السواحل أو طرق القوافل، أوفي المراكز العسكرية الحساسة المشرفة، أو على حدود البلدان و ثغورها*[3]. أما النوع الثاني من الحصون فيعتبر من الحصون الثابتة و الدائمة، و هي تابعة لبناء سور أو خان او قصر أو مدينة[4]، وتظم مجموعة من الوحدات المعمارية العسكرية كالأسوار، الأبراج، المزاغل، الممرات الخارجية والخنادق.[5]

فبعكس الحصن الذي يبني في مساحات أكبر، وبه مجموعات كبيرة من الأبراج بغرض المتابعة لأنه مكان يسكنه مجموعات كبيرة من الناس، وربما كانت مواقع عسكرية يسكنها الجنود و تحفظ بها المؤن والأغذية، مما يستدعي حراستها بعدد كبير من الجند . وفي العادة يكون الحصن ذو طبيعة عسكرية ومدنية في آن واحد إذ يمكن أن يسكنه مجموعة من السكان المحليون ، حيث يمارسون حياتهم وتجارتهم

---

[1]- طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع نفسه.

[2]- الأيوبي مقدم الهيثم، المرجع السابق، ص،ص،256-257.

[3]- عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، الطبعة جرس برس، بيروت، 1988، ص،319.

* للتوسع اكثر في الموضوع انظر كل من عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص،ص،319-320. و الأيوبي مقدم الهيثم، المرجع السابق، ص، ص،256-257.

[4]- الأيوبي مقدم الهيثم، المرجع نفسه، ص،ص،256-257.

[5]- الأيوبي مقدم الهيثم، المرجع نفسه، ص،ص،256-257.

داخل الحصن، أما الزراعة فتتم خارج الحصن، وتكون ملحقة بجدران الحصن عدد من الغرف ليسكنها الجنود لحماية الحصن والسكان ،و قد تتخذ هذه الحصون أسوارا كبيرة لتبدو في شكل المدن والقرى، لذلك تكون الحصون أكبر حجماً من باقي أنواع التحصينات كالقلعة والطابية والرباط.[1]

لقد تطور استخدام الحصون في العصور الوسطى حتى بداية العصر الحديث، تبعا لتطور النظم العسكرية و السياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، و يرجع أول حصن إسلامي إلى سنة 23هـ- 25 هـ في عهد معاوية بن أبي سفيان، يقع في الشام و أطلق عليه حصن سفيان[2]، فلم يعد الحصن معقلا فحسب بل اضحى المقر الطبيعي لإقامة الامير أو الملك أو السلطان و أتباعه، و قد يضم الحصن المدينة بكاملها*كما هو الحال بالنسبة للقاهرة، إذ كانت القلعة جزءا من حصن القاهرة.[3]

---

[1]- محمد التوم محمد فضل المولى ،القلاع والحصون أسفل الشلال الرابع، رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير الآداب في الآثار، كلية الآداب -قسم الآثار،2010، ص، ص،7-8.

[2]- هشام محمد علي حسن عجيمي، قلاع الازنم و الوجه و ضبا بالمنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية – دراسة معمارية وحضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة و النظم السياسية، كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية ،جامعة ام القرى المملكة العربية السعودية،1986.ص،68.

* نرى ذلك في مدينة خيوة التي تضم حصنين، احدهما داخلي و حتى القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، كما حدث في القاهرة عندما نقل الخديوي اسماعيل مقر الحكم من قلعة صلاح الدين الى قصر عابدين سنة 1874م. عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص، 133.

[3]- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص ، 133.

يكون الحصن** على نوعين إما متصل على هيئة برج، أو سور في قلعة أو مدينة أو قصر أو منفصلا، بحيث يكون عبارة عن بقايا على الثغور والمواقع الاستراتيجية وطرق القوافل.***[1]

القلعة:

القلعة في اللغة بتحريك القاف و اللام و العين هي: الحصن الممتنع في جبل و جمعها قلاع و قلوع و قلع وقلع[2]،و القلعة بسكون اللآم ايضا: هي الحصن المشرف[3].و من معاني القلعة أيضا عند ابن منظور؛ النخلة التي تجتث من أصلها قلعا أو قطعا، و كذلك الصخرة العظيمة تنقلع عن الجبل صعبة المرتقى[4]. وقد ورد تعريف القلعة **Castle** في الموسوعة الامريكية، بأنها قرى محصنة المباني و يعود أصلها الى الكلمة اللاتينية[5]**Castllum**. و في الموسوعة البريطانية وردت عبارة القلعة **Castle**، للدلالة على المكان المحصن الذي يعطي صاحبه القدرة على الدفاع عنه، إما بحكم العوامل الطبيعية أو بما تصنعه يد الانسان، وأنها مسكن الشجعان من النبلاء يتم اختياره على أرض ملائمة – قرب مدينة– ليسهل مهمة

** لم يعد الحصن معقلا فحسب بل اضحى المقر الطبيعي لإقامة الأمير أو الملك أو السلطان و اتباعه، و قد يضم الحصن المدينة بكاملها.

[1]- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص ،133 .

*** لمعرفة أكثر حول موضوع التحصينات بالمغرب الإسلامي أنظر :إبراهيم زكي خورشيد والآخرون،" الحصن"، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى، مركز الشارقة للإبداع الفكري،1996 ، ص 3998.

[2]- ابن منظور، أبي الفضائل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/ 1211م)، لسان العرب، بيروت-، دار صادر، ج 8، مادة قلع ، (د.ت) ص،290.

[3]-المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر ابو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار، القاهرة ، دار التحرير للطبع و النشر (عن طبعة بولاق)،ج3،1853،ص،25،انظر ايضا، ابن منظور، ج8،1968،ص،290. ابن منظور، لسان العرب، الفيروز ابادي، مجد الدين محمد يعقوب (ت. 817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط3، مادة قلع،1994،ص،975.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، ج 8، مادة قلع،ص،290.

[5]-طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع السابق،ص،101.

السيطرة عليها في حال قيام ثورة ما[1]، بينما ورد تعريفها في الموسوعة الاسلامية(**E.I**)، بأنها الحصن**(Forteresse)**، وهي مشتقة من الكلمة الاسبانية (**Cala – Al cal'a**).[2]

من المصطلحات المعروفة والمتداولة لدى الأثريين مصطلح قلعة، والتي عادة ما تكون أصغر في المساحة وشكل البناء من الحصن، وتكون محصنة بأسوار عالية، وربما بنيت في أماكن مرتفعة وذلك لأن ساكنيها ربما كانوا من الملوك أو الشخصيات المشهورة والمباني مختصرة لعدد قليل من الناس. و القلعة في اللغة مأخوذة من الفعل الثلاثي ، و قيل القلعة بسكون اللام حصن مشرف.[3]

تدل هذه اللفظة ايضا على أسماء لمواضع عدة باليمن، الاندلس، المغرب، الشام، الحجاز و البحرين. والقلاع و القلاعة بالتشديد و التخفيف، وتعني قشر الأرض الذي يرتفع على الكمأ، فيدل عليها و القلاع أيضا الطين اليابس و القلاع السدة المقتلعة أو الحجر، يقتلع عن الأرض و يرمى بها.[4]

و القلعة في اللغة بتحريك القاف و اللام و العين هي : الحصن الممتنع في جبل و جمعها قلاع و قلوع وقلع و قلع[5]، و القلعة بسكون اللام حسب المقريزي ايضا: هي الحصن المشرف[6]والقلعة بوزن الفعلة، والقلاع بالكسر الذي يرمى به الحجر و

---

[1]- سعد محمد المومني، القلاع الاسلامية في الأردن الفترة الايوبية المملوكية – دراسة تاريخية ،اثرية استراتيجية الطبعة الاولى ،دار البشير للنشر و التوزيع، الاردن،1988،ص،29.

[2]- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص، 219.

[3]- الفراهيدي الخليل بن احمد البصري، تحقيق عبد الله درويش، ج،3،(ض- ق) ، مطبعة العاني ، 1967،ص،177.

[4]- الفيروز أبادي القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط،ج،3، دار الفكر – بيروت- 1983، ص،732.

[5]- ابن منظور، ابي الفضائل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/ 1211م)، لسان العرب، بيروت-، دار صادر، ج 8، مادة قلع،(د.ت) ص،290.

[6]-المقريزي، المصدر السابق، ص،975.

القلاع بالفتح و التشديد الشوطي، و القلاع بالضم و التخفيف الطين الذي يتشقق اذا نضب عنه الماء.[1]

للقلعة معان و مدلولات عدة و قد ورد ذكرها في معاجم اللغة، ومن معاني القلعة أيضا، وإذا انفصل السور الخارجي مع أبراجه و خنادقه عن الحصن الداخلي، والتجئ اليه العساكر و المدافعة عنه ، بعد سقوط الاستحكامات الخارجية يسمى في الاصطلاح قلعة[2]، وهي مشتقة كما ذكرنا سابقا من الكلمة الاسبانية(**Cala-Alcal'a**)[3]، التي أُطلقت على شبه الجزيرة الايبيرية و التي تظم اسبانيا و البرتغال ، و عرفت لدى المسلمين باسم القلاع (**Al-Kila**)، و بهذا فأصل الكلمة الاسبانية **Al-cal'a** مأخوذة عن المسلمين.[4]

بهذه المعاني؛ فان القلعة و الحصن ترمز الى القوة التي أبدعها الفكر الانساني، في تسخير الطبيعة لحماية نفسه من الأخطار الخارجية التي قد يتعرض لها، و تأمين الظروف المناسبة للصمود و الاستمرار في الحياة.[5]

في هذا السياق يقول ليفي بروفنسال:" **ان لفظة قلعة كانت تعني حصنا كبيرا و منيعا و كذلك مركز حضريا في الوقت ذاته اي انها مناطق محصنة بمعنى الكلمة للسيطرة على السهول الخصبة المأهولة بالسكان و قد شيدت لحمايتهم**"، و يضيف " **إن هذا**

---

[1]- الرازي محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح،ط،1، دار الكاتب العربي، بيروت، 1927،ص،548.

[2]- ابن منظور ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار احياء التراث العربي للطباعة ، ج 11، بيروت،2003، ص، ص، 282-283.

[3]- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص، 219.

[4]- طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع السابق،ص،102.

[5]- طالب عبد الفتاح الصوافي، نفسه .

المصطلح في المشرق كان يطلق على الحصن الخاص بالمدينة. و هو الذي كان يطلق عليه في بلاد المغرب الإسلامية قصبة".*[1]

الواقع أنً فكرة بناء القلاع**و الحصون تعود الى القدماء، فقد توالت الشعوب على بنائها بدءا بالفراعنة و البابليين ثم الاغريق و الرومان، أما العرب فهم كغيرهم من الشعوب و الحضارات اهتموا بإنشاء التحصينات قبل سيطرتهم على البلاد الخاضعة التي خضعت للرومان، إذ لا تكاد تخلو مدينة أو ثغرا من الثغور من قلعة أو حصن منيع.*[2]

لقد كان اختيار موقع القلعة يتطلب عدد من المواصفات الخاصة، يجب توافرها باعتبارها عنصر مهم من عناصر الاستحكامات الحربية الاسلامية، ومن أهمها حسن الموقع ومتانة الاسوار،تدعيمها بالأبراج،الوسائل الدفاعية و الهجومية وتوفر المياه الغذاء اللازم لوقت الحصار،وهذا يؤكد تأثًر بناء القلاع بالبيئة، وفكرة ظاهرة تأثر القلاع بالبيئة، جاءت من قلاع غرب العالم الاسلامي.***[3]

---

[1]- باسيليو بانون مالدونادو، العمارة في الاندلس-عمارة المدن و الحصون-المجلد الأول..... ص،201.

* للمزيد اكثر عن هذا المجال خاصة في الاندلس انظر باسيليو بانون مالدونادو، المرجع نفسه، ص،ص،201-317.

** كانت نشأة القلاع الاولى كقصر للملك او الحاكم يشغل ركنا من اركان المدينة و غالبا ما يكون على تلة مرتفعة او جبل عال، ومحاطا بسور خاص يتصل بالسور الاصلي للمدينة، و يدعمه عناصر دفاعية متنوعة كالبوابات المنكسرة و السرية و الابراج ذات المزاغل و السقاطات، مع إحاطة سور القصر من الخارج بخندق يملا بالمياه عند الضرورة . انظر هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع السابق،ص،57.

* يذكر طالب عبد الفتاح الصوافي انه في اقصى الجنوب في حضرموت الى قلب الجزيرة في الشمال ، نهضت القلاع العربية الشامخة و الحصون ، يمر بها الحجاج و الرواد بأمان و سلام، كما أنً تلك القلاع كانت مخصصة لحماية البلاد من الغزوات الخارجية ، و من اشهر تلك القلاع قلعة يانت (ينت) و قلعة معين. طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع السابق،ص،103

[2]- طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع نفسه،ص،103.

** حسب هشام محمد علي حسن عجيمي، فقد بني حصن غرماج في اسبانيا354هـ/965م بمداميك الحجر المنحوت، اما حصن طريف 349هـ /960 م في شبه جزيرة طريف، في الجزء الجنوبي من اسبانيا فقد بني بكتل الدبش المصفوفة. أنظر كل من جوميت مورينو، المرجع السابق،ص،205-210. و هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع نفسه، ص،57.

[3]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع نفسه،ص،57.

من الملاحظ أنً القلاع عموما كانت تحتوي على ثكنات لإقامة الجند و مخازن للسلاح، وآبار او صهاريج لتخزين المياه، و مسجد لأداء الصلاة وسجن لمن يخرج عن الطاعة، و اسطبلات للخيل و الدواب، و عدد من المنشآت العامة كالحمامات و دواوين الوظائف الادارية و القضائية و الحربية، ومنها دار الأدب و دار العقل، و دار الامارة[1] .

مع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أصبحت القلاع محمية بنظام البوابات التي تقع بين برجين و ممر، كما ظهرت المداخل المنحنية التي اقتبست من البيزنطيين،وتكمن فائدتها في منح المهاجمين من الوصول بسرعة إلى داخل الحصن في حالة نجاحهم في الوصول إليه[2]، و من أشهر قلاع العالم الاسلامي قلعة حلب و قلعة القاهرة و قلعة أيوب[3]، بالإضافة إلى القلاع العراقية[4].أما من أشهر قلاع المغرب الإسلامي؛ قلعة بني العباس في الجزائر، التي يعود تاريخ بنائها إلى القرن التاسع الهجري/للقرن الخامس عشر الميلادي و كذا قلعة بني حماد التي يعود تاريخ انشائها إلى القرن الخامس الهجري الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي[5]، بالإضافة إلى بعض القلاع التي تعود إلى الفترة الموحدية من أهمها ببلد الأندلس قلعة جابر جنوب شرق الاندلس، و كذا قلعة وادي ارة و قلعتا كاسبريس و بادافوست.[6]

---

[1]- طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع السابق،ص،105.

[2]- طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع السابق،ص،105.

[3]- طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع نفسه ،ص،ص،92-93.

[4]- الفيروز أبادي القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب، المرجع السابق، ص،732.

[5]- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق ،ص،219.

[6]- George Marcais L'Architecture Musulmane d'occident Tunisie – Algérie- Maroc- Espagne- Sicile , Arts et métiers graphiques , Paris1954,p,110.

أما القلاع العثمانية في شمال العالم الاسلامي، كقلعة اناضولو حصار وروملي، فقد تأثرت بالبيئة، حيث فقد استخدم في بنائها الحجر الرملي،و كذلك حجر الدبش بالإضافة الى العروق الخشبية القوية.[1]

الخندق:

الخندق هو الوادي و الخندق في اللغة الحفير و خندق حوله: حفر خندقا[2]، و حسب ابن منظور الوادي و الحفير حول اسوار المدن، و خندق حوله حفر و الخندق المحفور ، وقد تكلمت به العرب، قال الراجز(الرجاز): لا تحسبن الخندق المحفور، يدفع عنك القدر المقدورا[3]. واسم خندق معرب من الفارسية " كندة " و تعني المحفور، وهو شكل من اشكال الدفاع السلبي، واستخدم لحماية المدن و الحصون و القلاع.[4]

و الخندق عبارة عن منخفض أو اخدود اصطناعي، يحيط بالمدينة أو بقلعة ما أو أي مبنى آخر من جهة واحدة أو من عدة جهات. و تكون الخنادق في أغلب الأحيان مملوءة بالمياه إذا كانت قريبة من مجرى نهر، و في بعض الأحيان تكون جافة لشحة المياه خاصة في حالة المدن البعيدة عن الأنهار.[5]

---

[1]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع السابق،ص،58.

[2]- الفيروز أبادي القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مادة خندق،ص،793. طالب عبد الفتاح الصوافي، المرجع السابق،ص،105. نظر ايضا ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ج5، ص،ص،280-281.

[3]- ابن منظور جمال الدين بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، ج5، ص،ص، 280-281 .

[4]- محمود رمضان عبد العزيز، القلاع و الحصون في قطر، تقديم؛ سلطان بن حمد بن مبارك العبد الرحمن آل ثاني، الدوحة، 2010،ص،110.

[5]- بهاء موسى حبيب، " **تطور العمارة العسكرية في مدينة اشبيلية** "، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، العدد 20، السنة ، ص،288.

و الخندق (بفتح الخاء و سكون النون) جمعها خنادق، و الأخدود عميق مستطيل الشكل يحفر في ميدان القتال ليتقي به الجنود، و حفير حول أسوار المدن و القلاع و المعسكرات الحربية لحمايتها، و تعويق المهاجمين لها، و قد يكون فارغا من الماء او مملوء[1]. ويعتبر أيضا أحد أساليب تحكيم الأرض، يكون محفورا في الأرض بأعماق متفاوتة لتأمين حماية المقاتلين من أنظار العدو و نيرانه، وتأمين ظروف أفضل للرمي ورصد الحركة، كما يعد من الوسائل الدفاعية القديمة و شكل من أشكال الدفاع السلبي.[2]

أما الخندق من الناحية المعمارية، عبارة عن منخفض مائي أو أخدود صناعي يحيط بالمدينة او قلعة ما ، او اي مبنى من جهة واحدة او عدة جهات. و في الغالب تكون مملوءة بالمياه و هو بذلك يجسد المعنى اللغوي له[3]، و له دلالات عديدة ، فهو الحفير حول الأسوار، و يطلق أيضا على الأخدود العميق المستطيل الذي يحفر في ميدان القتال[4]، إذ أنً الخندق في اللغة العربية هو الحصن الأول حول أسوار المدن.[5]

ورد ذكر الخندق أو القناة في اللغة المسمارية القديمة (الصورية)، وهي علامة تصور القناة ذات الاضلاع الثلاثة، حيث كانت القنوات تحيط بالمستوطنات من

---

[1]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص، 101.

[2]- عثمان محمد عبد الستار، المرجع السابق، ص،141. انظر كل من رعد سعيد محمد، الموسوعة العسكرية،" **الخندق**" ، ج 2. دمشق،1985، ص،13. و بيدي محمد، التحصينات الدفاعية لقصور منطقة عين الصفراء – دراسة معمارية و اثرية- أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، جامعة أبو القاسم سعد الله، معهد الآثار،، الجزائر،2014- 2015، ص،175.

[3]- محمد العاني، أصالة المدينة كوحدة جغرافية و تخطيطية – دراسة تحليلية في عوامل النشأة و خصائص الفكر التخطيطي-، منشورات دار علاء الين للنشر و التوزيع و الترجمة، الطبعة الاولى، سوريا ، دمشق، 2010، ص،232.

[4]- الونشريسي، المعيار و الجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية و الاندلس او المغرب تحقيق، محمد حجي، الرباط، 1981، ص،229 .

[5]- محمد العاني، المرجع السابق، ص،232.

ثلاث جهات في معظم الاحيان، بينما تؤلف الجهة الرابعة موضع المجرى المائي (نهرا أو جدولا كبيرا) الذي يأخذ الخندق مياهه*[1]، كما أنً إنشاء الخندق كان يساعد على كشف من يحاول أن يصل إلى داخل المدينة، من خلال المسارب التي تحفر في باطن الأرض من خارج المدينة و تمتد تحت أسوارها.[2]

للخندق دلالات عديدة فهو الحفير حول الأسوار، و يطلق أيضا على الأخدود العميق المستطيل، الذي يحفر في ميدان القتال[3]، و على العموم، فإن الخندق يعتبر المانع المعد لتعطيل العدو و منعه من الدنو، من الاستحكام العسكري مهما كان نوعه، و قد استغلت الخنادق أيام الموحدين في أيام الحرب و السلم، فهي تملا بالماء اثناء الحروب، او تغطى بالحسك الشائك الذي يعتبر من ادوات الحرب الدفاعية بحيث يتألف من قطع حديدية، وبذلك تصبح عائقا امام تقدم العدو.[4] *

يعد حفر الخندق من التأثيرات التي انتقلت من الحضارة الساسانية الى الحضارة الاسلامية، قبل الفتوحات الاسلامية في المشرق و المغرب، و يعد الخندق من العناصر الدفاعية الهامة في العمارة الحربية " الدفاعية العسكرية"، كما استخدم كعنصر دفاعي و اعتبر من الوسائل الدفاعية القديمة و المعروفة بالخندق أو الوادي، حول الأسوار لحماية وتحصين المدن و القلاع و المعسكرات منذ اقدم

---

[1]- محمد العاني، المرجع نفسه، ص،232.

* للمزيد انظر محمد العاني، المرجع نفسه، ص، ص،232-233.

[2]- عثمان محمد عبد الستار، المرجع السابق ،ص،27.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق، ص،229.

[4]- مصطفى سالم، المرجع السابق، ص،82.

*مصطفى سالم، المرجع نفسه، ص،82 .

العصور[1]، و في هذا الصدد يذكر ابن كثير أنً فكرة بناء الخنادق و اتخاذها كوسيلة حربية دفاعية كانت قديمة[2]،و في فترة ما قبل الاسلام ، في كل من العراق و فارس و مصر و غيرها،و تتطورت فكرة الخندق وأصبحت جزءاً من الفن العسكري،اذ استنبط الانسان فكرة حفر الخندق كوسيلة دفاعية لحماية نفسه غزوات القبائل و الشعوب المعادية.[3]

بتطور وسائل الدفاع، تطورت فكرة الخندق، فأصبحت جزءا من الفن العسكري، و قد دلت الحفائر الاثرية بمدينة اريحا بفلسطين بقلعتها ، التي ترجع الى العصر الحجري الحديث على وجود ما يعتقد انه خندق جاف كان يحيط بها لعرقلة هجمات العدو، و مساعدة المدافعين على الصمود*،و قد عرف الخندق في العصر الهلنستي حيث ظهر في مدينة دورا اوريوس التي تقع على مقربة من الحدود السورية بالعراقية في الوقت الحاضر*، و في الفترة البيزنطية ببلاد الشام استخدم الخندق في قلعة دارا وهي من بناء الأمبراطور انسطاطس 504م، كما استعمل في تحصينات مدينة انطاكية في القرن السادس الميلادي، وفي مصر وجد الخندق يحيط بحصن بابليون، كما عرف الخندق ببلاد اليمن، حيث كانوا يحيطون بالحصون به، و استعمله الفرس والروم ايضا[4]، اذ اعتبر من وسائل الدفاع القديمة ،

---

[1]- رعد سعيد محمد ،المرجع السابق،ص،172. انظر ايضا عبد الله كامل موسى، الاثار الاسلامية في الجزيرة العربية و المشرق و المغرب خلال العصر النبوي الشريف ،موسوعة الاثار و الحضارة الاسلامية – العصر النبوي و الراشدي،ط،1،مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،2008، ص،112.

[2]- ابن الاثير محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (المتوفي سنة 630هـ)، الكامل في التاريخ ،المجلد،2،ط،1، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان- 1987، ص، 70.

[3]- محمود رمضان، المرجع السابق،ص،111.

* للطلاع و للمزيد عن الخنادق في الفترة ما قبل التاريخ انظر محمود رمضان، المرجع السابق،ص،ص،111- 112.

* عن الخنادق في الفترة القديمة انظر كل من محمود رمضان، المرجع السابق،ص،ص،111- 112.

[4]- محمود رمضان، المرجع نفسه،ص،ص،111-112.

حيث كانوا يحفرونهم حول مدنهم و حصونهم، للدفاع عنها حيث كان الخندق عندهم جافا ذا مقطع مثلث الشكل، و على العموم، فان الخندق يعتبر المانع المعد لتعطيل العدو و منعه من الدنو من الاستحكام العسكري مهما كان نوعه.[1]

و الملاحظ أن الخنادق من وسائل الدفاع، وأحد الأساليب الدفاعية القديمة في النظم الحربية القديمة، يكون محفورا في الارض بأعماق مختلفة لتأمين حماية المقاتلين من انظار العدو و نيرانه، و تأمين ظروف أفضل للرصد و الرمي و الحركة، استخدم منذ القدم ، لحماية القلاع و المعسكرات و المدن و دعم القوة الدفاعية للأسوار و أبراج المراقبة[2]، ظهرت عند الفرس والروم، يحفرونهم حول مدنهم و حصونهم للدفاع عنها، ولم يعرفه العرب إلا عن طريق الفرس، ثم أدخل العرب عليه العديد من التطوير خاصة في طرق اقتحام الخنادق**، و استعمل في غزوة الأحزاب وهو أسلوب دفاعي تقني يعتمد على التمويه، حيث يحفرون حول الخندق حفائر تغطى بالقصب والتراب ليقع فيها العدو، ويرمون حوله الحسك الشائك وهو شوك صلب تطور فيما بعد وصار يصنع من الحديد، فيبثونه حول الخنادق لمنع تقدم الخيل والرجال.[3]

عرف المسلمون حفر الخنادق منذ فجر الاسلام بتأثير فكر فارسي، و كان اول استخدام لهم في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم سنة 5هـ /626 م[4]، سنة

---

[1]- محمود رمضان، نفسه،ص،ص،111-112..

[2]- ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون المالكي الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، طبعة جديدة و منقحة، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت، 2004،ص،486.

** من الأمثلة على ذلك ، نجد أن خالد بن الوليد اعترضته مشاكل في خنادق الأنبار الفارسية فقام بذبح الإبل المسنة التي كانت معه، ثم رماها ومعها رحاها في أضيق مكان فيها ثم عبرها ففتحها.

[3]- حمود رمضان، المرجع السابق،ص،ص،111-112.

[4]- عبد الله كامل موسى، الاثار الاسلامية في الجزيرة العربية و المشرق و المغرب خلال العصرين النبوي و الراشدي، مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،2008، ص،112.

5هـ/626م،عندما دعت الحاجة الى الدفاع عن المدينة المنورة، و تأمينها من جهة الشمال، فأحاط الرسول صلى الله عليه و سلم جزء من المدينة بهذا النوع من الاستحكامات الدفاعية الذي وصل عمقه الى 20 ذراعا و عرضه 20 ذراعا أيضا و ذلك قبيل غزوة الاحزاب بمشورة سلمان الفارسي.[1]

نقل السمهودي في أحداث السنة الخامسة من الهجرة عند ذكره غزوة الخندق « سميت بذلك لحفر النبي صلى الله عليه و سلم بإشارة سلمان، وتسمى الأحزاب لاجتماع طوائف من المشركين فيها على الحرب، وهم الذين سماهم الله تعالى الاحزاب»، قال الطبري:"فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و بما اجمعوا له من الامر، ضرب الخندق على المدينة، فحدثت عن محمد بن عمر قال:" **كان الذي اشار على رسول الله بالخندق سلمان**....قال يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس اذا حوصرنا خندقنا علينا.....[2]. فباشر العمل بنفسه صلى الله عليه و سلم و قسم الصحابة الى مجموعات، تتكون كل منها من عشرة (10) اشخاص كلفوا بحفر أربعين (40) ذراعا، وعن أنس رضي الله عنه انه قال:"خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، الى الخندق، فاذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النَّصَب و الجوع قال لهم:﴿ **اللَّهم إنَّ العيشَ عيشُ الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة.**﴾ فقالوا مجيبين لهم:

---

[1]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد،" **اثر تخطيط بغداد على تخطيط المدن الاسلامية في اليمن في العصر العباسي – مدينة زبيد – نموذجا**"، الندوة العالمية الخامسة ، الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، كلية الآداب ، الرياض، (1424هـ/ 2003م)،ص،576. انظر ايضا عبد الله كامل موسى، الاثار الاسلامية في الجزيرة العربية.....ص،111.

[2]-خالد محمد مصطفى عزب ،تخطيط و عمارة المدن الاسلامية، ط1،كتاب الامة، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، قطر،1997،ص،56.

نحن الذين بايعوا محمًدا ..... على الجهاد ما بقينا ابدا "[1]

كما استخدم في عصر الخلفاء الراشدين، بغرض مدني حيث أُقيم حول مسجد البصرة عوضا عن الجدار، مع إتاحة مساحة خارجية لمرور المصلين في سنة 14هـ/635م،وكذلك الخندق الذي اقيم حول مسجد الكوفة الأول في سنة 17هـ/638م.[2]

في الفترة الاموية؛ استعملت الجيوش العربية الخنادق، عندما تعسكر في موضعٍ ما،وفي هذا المجال يشير البغدادي إسماعيل باشا، في وصية لعبد الحميد الكاتب* إلى قائد الجيش الأموي عبد الله بن مروان**يقول فيها:" إياك أن يكون منزلك إلا في خندق أو حصن تأمن من بيات عدوك ، فإذا وُضِعتْ الإثقال وحُطتْ أبنية أهل العسكر، لم يمددْ طنب ولم يُرفعْ خباء ولم يُنصبْ بناءٌ ،حتى تقطع لكل قائد ذرعاً معلوماً من الأرض بقدر أصحابه فيحفروا عليهم خندقاً ".[3]

استخدم الخندق كعنصر دفاعي في سور صلاح الدين الايوبي و في قلعة الجبل بالقاهرة، و كان حفر الخنادق يزيد من مناعة التحصينات، سواء كانت سورا أم قلعة، لأنه يحول دون وصول الأعداء الى المكان المحصن، و يعوق الخندق أسلحة

---

[1]- ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن مغيرة الجعفيي البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله (صلى الله عليه و سلم) و سننه و ايامه، جمعية البشر الخيرية للخدمات الانسانية و التعليمية ، طبعة جديدة، باكستان ،2016، ص، 1827.، وعن قصة هذه الغزوة بالتفصيل انظر كل من ابن الاثير، المصدر السابق، ص، ص، 593-534. و ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، المصدر السابق،ص،ص،1826-1833.

[2]- محمود رمضان، المرجع السابق، ص، 112.

* عبد الحميد الكاتب، هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد أبو غالب مولى بنى عامر بن لؤي بن غالب الكاتب المشهور توفى مقتولا في وقعة مروان بن محمد الأموي سنة 132 اثنتين وثلاثين ومائة، له رسائله تزيد على ألف ورقة .

** عبد الله بن مروان بن محمد الأموي ، هو من بقايا بني أمية في الشام ، شهد وقائع الكارثة وزوال دولتهم في أيام أبيه سنة 132هـ/م، و فر من عبد الله بن علي العباسي (عم السفاح) إلى بلاد النوبة . ثم ظفر به الأمير نصر بن محمد بن الأشعث ، في فلسطين وقيل في جدة فأخذه وقدم به على المهدي العباسي في بغداد ، فحبسه في المطبق سنة 161 هـ و مات في أيام الرشيد .

[3]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق، ص، ص، 288- 289 .

هدم و تسلق الاسوار المعروفة في ذلك الوقت، كالأبراج الخشبية ذات العجلات من الاقتراب من السور، هذا وقد شاع استخدام الخندق في القلاع و الأسوار، فترة الحروب الصليبية لما يؤديه من دور دفاعي مهم.[1]

استُعملت الخنادق كأساليب اعتمدت لزيادة تحصين المدن، ودعم القوة الدفاعية للأسوار، باعتبارها من الأسس التي تستند إليها الدولة، لتأمين حماية المقاتلين من أنظار العدو ونيرانه وتهيئة ظروف أفضل لتدقيق الرمي والحركة، وقد عرف سكان المغرب قبل الفتوحات الاسلامية هذا التخطيط الفكري، فقاموا بحفر خنادق تمنع العدو من اقتحامها، وقد يضعون بعض العراقيل والموانع التي تعرقل عمليات العدو الهجومية، وهذا يؤكد استخدام المرابطون والموحدون هذا الأسلوب باعتبارهم من المغرب.*[2]

يذكر ابن منكلي بعض مميزات الخنادق بقوله، أن هناك خنادقا تغطى بالحطب والتراب، وأما الخنادق التي تغطى بالماء، فلا بد أن تكون هناك شروط يقول عنها : " **أما إذا كان الخندق به ماء وكان واسعا عظيما هنا وجب أن يعقد عليه الجسر أو تستعمل الأطواف وهي عبارة عن خشب يشد ويركب عليه في البحر فيجعل كهيئة سطح فوق الماء**".*[3]

---

[1]- اسامة طلعت ، اسوار صلاح الدين عبد المنعم خليل، اسوار صلاح و اثارها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجيستير ، كلية الاثار ، جامعة القاهرة ،1992،228. للمزيد ايضا انظر ايضا مرفت عثمان حسن علي، التحصينات الحربية و أدوات القتال في العصر الايوبي بمصر و الشام زمن الحروب الصليبية تـ:، عبد العزيز محمود عبد الدايم، ط1،دار العالم العربي ، القاهرة ، 2010 ، ص،110.

[2]- بوراس يحيا، العمارة الدفاعية في منطقة وادي ميزاب(نموذج قصر بني يزقن، رسالة ماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2001-2002،ص،ص،51-52.

* يذكر ابن منكلي بعض مميزات الخنادق بقوله أن هناك خنادقا تغطى بالحطب والتراب، وأما الخنادق التي تغطى بالماء و يضيف الى وجود شروط يقول عنها: " أما إذا كان الخندق به ماء وكان واسعا عظيما هنا وجب أن يعقد عليه الجسر أو تستعمل الأطواف وهي عبارة عن خشب يشد ويركب عليه في البحر فيجعل كهيئة سطح فوق الماء.

[3]- بوراس يحيا ، المرجع السابق، ص، ص، 51-52.

هكذا تجلت عبقرية العرب الهندسية في عملية حفر الخندق، من حيث المواصفات الفنية عرضا و طولا و عمقا، حيث جعلوا عرض الخندق ثلاثة امتار و كذلك عمقه حتى لا يستطيع الفارس اجتيازه قفزا او سباحة.[1]

و يعتقد أن ظهور الخنادق وحفرها حول أسوار المدن، لم يكن قاعدة عامة و إنما كان نتيجة طبيعية، تحصل بعد حفر الأرض ورفع الأتربة من حول المدينة من اجل بناء أسوارها الدفاعية، مما يخلق بالتالي منخفضاً واسعاً يحيط بالمدينة، يُتخذ بعد تسوية ضفافه خندقاً يؤلف جزءاً حيوياً من النظام الدفاعي للمدينة.[2]

يراعي المهندس في عمارة الخندق ، تبليط ورصف قاعه وجانبيه بالآجر والملاط وذلك للحفاظ على جانبيه ومنعه من الانهيار بفعل نحت المياه المستمر لهما ، كذلك لمنع تسرب مياه الخندق أسفل جدران الأسوار الدفاعية، مما يؤدي إلى تآكل وتقويض أُسسها، كذلك فإن إكساء جوانب الخندق من شأنه، أن يحد من تسرب مياه الخندق إلى مصادر المياه الجوفية، كي لا يعمل على زيادة مناسيبها ، ويقلل بالتالي من مستوى الرطوبة داخل المدينة. كذلك فإن من فوائد عملية الاكتساء، هذه منع نمو وانتشار النباتات مثل القصب والحلفاء في باطن الخندق، والذي من شأنه أن يتسبب في خفض سرعة جريان المياه وركودها، وما يترتب عليها من مشاكل صحية. و من الناحية المعمارية، فإن الخنادق تعد الخط الدفاعي الأول للمدينة، فبوجود آلات الحصار ودك الأسوار تبرز أهمية الخنادق، إذ تُشكل عائقا كبيرا بوجه

* فعند البحث في معارك المرابطين والموحدين ،نجدهم قد استخدموا هذا الأسلوب فعند وصول يوسف بن تاشفين إلى الجزيرة الخضراء 479 هـ/ 1086 م، شرع في بناء أسوارها وحفر الحفير عليها وخندقها جيدا. كما نجد مدينة أليسانة مدينة متحصنة بسور قوي محاط بخندق بها من الجهات الأربع، امتازت بعمق قعرها . أما البرتغاليون فقد حفروا خندقا كبيرا حول قصر أبي دانس 587هـ/ 1195 م فعند هجوم المنصور عليها أمر بردم خنادقها، فاقتحمها ودخلها. انظر بوراس يحيا ، المرجع السابق، ص، ص، 51-52.

[1]- محمود رمضان، المرجع السابق، ص، 112.

[2]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق، ص، ص،288- 289.

هذه الآلات وتحُد من حركتها وتمنع وصولها إلى المنشآت الدفاعية، مما تعطي فرصة اكبر في اقتناص المهاجمين.[1]

تعتبر الخنادق التي تسبق الأسوار من الخصائص العسكرية البارزة في المدينة خاصة في العصر الوسيط و العثمانية، إذ أن كثرة هذه الجوانب الدفاعية العسكرية في المدن جعلت البعض يرى و كأنها في حالة دائمة من المواجهة، و هي مستعدة على الدوام للدفاع، كما تتضح الأهمية القصوى للأسوار كالخنادق، في الحياة العسكرية للمدينة الإسلامية المغاربية، وكذا التي تعود الى الفترة العثمانية، إذ أنً أغلب المدن الجزائرية في العهد العثماني، كانت لها خندق كمدينة الجزائر و قسنطينة و مليانة.....

السور:

السور في اللغة حائط المدينة و جمعها أسوار، وهو الذي يطوق المدينة ويحيط بها من جميع جهاتها، وقد ارتبط إنشاء السور بالوظيفة التحصينية للمدينة لصد الأخطار الخارجية عنها وضمان حمايتها، وأدت هذه الدوافع إلى إحاطة المدن الإسلامية بأسوار منيعة منذ فترة مبكرة[2]. و قد شكلت أسوار المدن أهم الاستحكامات الحربية،كونها تعد من أهم المنشآت المعمارية الحربية التي يهتم الحكام بتشييدها، حماية لمدنهم و دفاعا عن أملاكهم[3]، و يعتبر بيار ريكار Pierre Ricard السور أساس العمارة العسكرية الدفاعية، وهو عبارة عن بناء يحيط بالمدينة

---

[1]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق، ص، ص،288- 289.

[2]- خالد عزب، اسوار و قلعة صلاح الدين، الطبعة الاولى، زهراء الشرق، جمهورية مصر العربية،2006،ص،9. انظر ايضا عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الاثار الإسلامية دار الشوكاني للطباعة و النشر، الطبعة الاولى، صنعاء ،الجمهورية اليمنية ، 2003،ص،85.

[3]- خالد عزب، اسوار و قلعة صلاح الدين.....ص،85.

من جهاتها كلها، فيضمن لها الحماية من أعدائها، كما يساعد حكامها على تنظيم حياة سكانها.[1] و السور من الاستحكامات العسكرية الضرورية، في إنشاء الحزام الدفاعي للمدينة، كما يعتبر أحد الأجهزة الوقائية الهامة، في مجال العمارة العسكرية الدفاعية، باعتباره أحد العناصر الداعمة لمظاهر التحصين الأخرى كالقلاع و الحصون و المدن، لتلافي صنوف الخطر الناجمة عن هجمات العدو العسكرية[2]، وهو بناء يرتفع عن سطح الأرض، يحيط بالمدينة كليا في المدن التي تبنى في السهول و الوديان، أو يحيط بها جزئيا كما في المدن التي تبنى في المناطق الجبلية، و غالبا ما تستند المدينة على جبل عال أو تل مرتفع يحميها من أحد جوانبها[3] ، يتحدد مستوى وظيفته، بناءا على حجم السمك المحدد لعرضه، و نسبة الارتفاع الكافي لملامسة فعل الغلبة، و الصمود أمام فعالية السلاح و مقدرته الهجومية.[4]

و تحدث الكثير من المؤرخين عن شروط توافر الأسوار عند بناء المدن و منهم ابن زرع و ابن الازرق و ابن خلدون و غيرهم و قد ذكرنا ذلك سابقا، حيث أشاروا أنه لا بد أنً تحاط المدينة بسور، يدفع عنها المضار الذي لا يكون إلا بإحاطتها بالأسوار خوف اغتيال الاعداء...".[5]

1- Ricard pierre, Pour Comprendre l'Art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne, Lib , Hachette, Paris,1924,p,221.

2- بوقاعدة البشير،" **منظومة التحصينات العسكرية الحمادية الثابتة بين جهود تحصيل و مطامح التوسعي و السيطرة**"، مجلة قضايا تاريخية، العدد 6، 1438هـ/ 2017، ص،19.

3- خالد عزب، اسوار و قلعة صلاح الدين.....ص،85.

4- بوقاعدة البشير، المرجع السابق، ص،19.

5- عبد الله عبد السلام صالح الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة الزبيد.....ص، 84.

السور أي سوّر تسوير، و السور في لسان العرب؛ حائط المدينة و نحوه تسورت الحائط و سورته سورا[1]، و ذكره الله تعالي في سورة الحديد قائلا:"﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة**﴾[2].و يعرفه المقري أحمد بن محمد بن علي الفيومي في كتابه " **المصباح المنير**" بذلك البناء المحيط بالمدينة، فيقول" **سور المدينة هو البناء المحيط بها و الجمع اسوار**"[3]، و بناء السور من الشروط الأساسية الواجبة توفرها في تخطيط المدن الإسلامية[4]، ويشاطره ابن خلدون الذي جعل هو الاخر السور شرطاً يجب توفره لبناء المدن بقوله: " **و يكون ذلك في ممتنع من الأمكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل فيصعب منالها على العدو**"[5]، فأصبح السور وملحقاته في نظر الفقهاء المسلمين « **من البناء الواجب شرعا باعتباره من مقاصد الإسلام**»[6]، أما ابن الرامي فقد ذكر ان السور من بين المنشآت العسكرية التي تنشا لهذا الغرض[7].

أما السور في المصطلح الأثري؛ فهو جدار عال ضخم يحيط بالبناء، لحمايته[8]، أو كل ما يحيط بشيء من بناء أو غيره، يتميز بالعلو والضخامة في العرض و الارتفاع ،و هو تحصين المستوطن من العدو و اللصوص، وهو من بين المنشآت

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب،ج3،ص، 384. انظر ايضا خالد عزب، أسوار وقلعة صلاح الدين، ط 1، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2006 ، ص ،9. انظر ايضا عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الاثار الاسلامية.....ص،85.

[2]- سورة الحديد، الآية ،13.

[3]- المقري أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، صححه على النسخة المطبوعة بالطبعة الامير مصطفى السقا، طبع بمطبعة مصطفى الباي الحلبي و أولاده، مصر 1950،ص،315.

[4]- شهاب الدين أحمد ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص،ص،106-108.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961، ص، ص. 617-618.انظر ايضا خالد زغب، اسوار و قلعة صلاح الدين.....ص،09

[6]- مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص،433.

[7]- ابن الرامي، الاعلان بأحكام البنيان، تحققي محمد عبد الستار عثمان، الطبعة الاولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، 2002،ص،192.

[8]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص،153.

الحربية التي تنشا لهذا الغرض كالدرب و الحفير، و كان الناس يتعاونون في بناء الأسوار على نفقتهم، وكانت النفقة توزع بينهم وفق نظام معين يقبلونه و يرضونه.[1]

و السور من الناحية المعمارية من العناصر المهمة في العمارة عامة و العمارة الاسلامية خاصة، فهو أساس العمارة العسكرية الدفاعية، يتمثل بناء يحيط بالمدينة من جميع جهاتها فيحميها من اعدائها، و يساعد حكامها على تنظيم حياة سكانها، ويفصل بينها وبين الريف المجاور لها[2]،ويتميز بضخامته من حيث السمك الذي يتجاوز المترين و قد يصل الى ثلاثة أمتار أو أكثر...[3]، ويتم استعماله لتحديد الأرض المحاطة بالمبنى، والأسوار تختلف في خاماتها، فقد تكون بناء أو من المعادن مثل الحديد و النحاس، و تشكل بهيئة معينة لتمنح العمارة طرازا مميزا.[4]

يعتبر السور نوع من التحصينات الدفاعية يلي الخندق، وقد اعتبرت من الضروريات في المدينة للتصدي لهجمات العدو و مقاومة حصار طويل الأمد[5]، و قد استخدم للتحكم في عملية الدخول الى الموقع او المدينة، و السور عند محمد رزق هو جدار عال ضخم يحيط بالبناء لحمايته، و الملاحظ أنً هذا المصطلح قد ورد ذكره في العصر المملوكي بمعنى الحاجز الخشبي أو البنائي أو بمعنى اخر ما يحيط بالحديقة أو البستان أو البناء من سور خارجي، ومنه يأخذ شكل حاجز

---

[1]- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، تقديم ، محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العبي ، بيروت ، لبنان، ط ،2003، ص، 383.

[2]- بويحياوي عز الدين، تطور العمران الإسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط(من القرن الثاني إلى القرن الثامن للهجرة أطروحة دكتوراه دولة من معهد الآثار، جامعة الجزائر ، الجزائر،2001-2002،ص،73.

[3]- Pierre Ricard, Op, Cit, p, 221.

[4]- صفا لطفي، **" السور الخارجي في العمارة الاسلامية دراسة تحليلية و انموذج مقترح"** ، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد 7، العدد 02،العراق،2017، ص،29.

[5]-الايوبي مقدم هيثم، "**مقال الاسوار**" الموسوعة العسكرية، الطبعة الثالثة، الجزء الرابع، دار الفارس للنشر و التوزيع بيروت،1990 ،ص، ،ص، 458-489.

ترابي، خشبي او حجري، ظهر السور كأي مانع او حاجز لتعزيز الدفاع من خلال زيادة مستوى الحماية للمدافعين ، و تخفيف صدمة قوات الخصم المهاجمة و الحد من قدرتها الحركية، و استخدام السور للتحكم بعملية الدخول الى الموقع او المدينة او القلعة و الخروج منها.[1]

شكلت أسوار المدن أهم الاستحكامات الحربية لحماية المدن و الدفاع عن الاملاك[2]. و عن بناء الأسوار فإنً مواد متنوعة، تكاد تنحصر في الحجر و الآجر المحروق، و يكون سمك السور و ارتفاعه مناسبا لموقع المدينة لذلك يختلف من مدينة الى اخرى[3]*.

و يتألف السور عادةً من عدة أجزاء؛ الجزء الأول هو الأساس أو القاعدة، حيث يحفر الأساس بعرض وعمق يتناسبان مع سمك وارتفاع السور، وعادةً ما تبنى الأسس من مواد بنائية أكثر تحملاً من تلك المستخدمة في بناء بدن السور، أو تبنى من المواد ذاتها، والجزء الثاني من السور هو بدنه الذي يبنى فوق الأسس، و يشيد عادةً من التراب أو اللبن أو الآجر أو الحجر، أما واجهتا البدن فإنهما كانا يغلفان أحياناً بالآجر أو الحجر ويعرف الجزء العلوي من البدن بـ(قمة السور)، الذي تعلوه أحياناً شرفات يحتمي خلفها الجنود المدافعون.[4]

---

[1]- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الاسلامية، مكتبة مدبولي، ط1،2000،ص، ص،153 - 154.

[2]- خالد عزب، أسوار و قلعة .....ص،9. انظر ايضا عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الاثار الإسلامية.....ص،85.

* حسب الحداد كل سور مدعم بأبراج متنوعة منها المربعة و المستطيل و نصف الدائرة و ثلاثة ارباع الدائرة ،على مسافات محددة تتراوح بين 15 الى 40 م ، وتتميز هذه الابراج بارتفاعها عن مستوى ارتفاع السور، وكذلك باحتوائها على عدد من العناصر الدفاعية كالمزاغل بأنواعها و السقاطات و الممشى بجدرانه الساترة و غيرها من العناصر التي يتم الدفاع بواسطتها عن المدينة. عبد الله عبد السلام الحداد، المرجع نفسه.

[3]- عبد الله عبد السلام ، نفسه. أنظر أيضا محمد الجهيني، المرجع السابق،ص،98.

[4]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق، ص،390.

عادةً ما يرتفع السور عن مستوى سطح المنطقة المسورة، و يتناسب ارتفاعه وحجمه وامتداداته مع ارتفاعات ومستويات ابنية المدينة وحجمها ومع موادها البنائية، والغاية التي شيد من أجلها ومن العوامل الأخرى المؤثرة في حجم السور ومستوى ارتفاعه هي أهمية المدينة نفسها وعلاقتها بالمدن المجاورة لها، ومكانتها السياسية والاقتصادية والدينية تقل أهمية الأسوار، عندما يتسع نطاق المدينة العمراني فيصبح وجودها في هذه الحالة عقبة أمام التطور العمراني للمدينة واتساعها، ويستلزم بالضرورة فتح ثلمات في بنيان هذه الأسوار لمد الدروب والشوارع بين قلب المدينة وأرباضها وبالتالي الربط بين مراكزها العمرانية.[1]*

زادت أهمية السور أكثر فأكثر بمرور الوقت مع ظهور الاضطرابات الداخلية، نتيجة الصراع على السلطة، فأول اهتمام يوليه الحاكم بعد وصوله للسلطة ؛ بناء السور إن لم يكن موجودا وترميمه وصيانته إن كان موجودا، حتى أصبح السور يحيط بالمدينة مهما كان حجمها[2]، ورغم كونه إنجازا يتطلب عملا شاقا وطويلا ومكلفا[3]، إلا أنً كان السمة البارزة لمدن الشمال الإفريقي[4]، ومدن الأندلس[5]، ويندر وجود مدينة إسلامية دون سور يحميها. [6]

*حدث ذلك بالنسبة لإشبيلية، إذ ضاق نطاق أتساعها لسكانها عندما تضخم عددهم واكتظت بهم وبات من المحتم أن يتجاوز العمران الاشبيلي نطاق المدينة، وبدأ يفيض إلى ما وراء سورها الروماني، ونتج عن ذلك أن فتحت في السور ثغرات واسعة لتيسير الاتصال بين سكان المدينة وسكان الأرباض الخارجية. انظر بهاء موسى حبيب، المرجع نفسه، ص،390.

[1]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق، ص،390.

[2]- هنري تيراس،" الحصن" ترجمة، شكري حسن، دائرة المعرف الاسلامية، ج،13، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986، ص،3984.

[3]- ليوبولدو توريس بالباس، المدن الإسبانية الاسلامية، ترجمة من الاسبانية : إليو دورودي لابنيا، ...راجعه: نادية محمد جمال الدين و عبد الله ابراهيم العمير،ط1، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الاسلامية، الرياض،2003،ص،ص،146-194.

[4]- Le Tourneau Roger, Op,Cit,p,13.

[5]- توريس بالباس ليوبولدو، المدن الإسبانية.....ص،191.

[6]- مصطفى شاكر ، المرجع السابق،ج1،ص،433.

إن السور بمثابة خط دفاعي هجومي متكامل، أو من الوسائل الدفاعية التي غلبت على العمارة و العمران الإسلامي التي اهتم الحكام بتشييدها، حماية لمدنهم ودفاعا عن أملاكهم، وحتى يستطيع هذا الخط الدفاعي الهجومي أن يحقق مهمته بكفاءة كان لا بد من سهولة ترويده بما يحتاج اليه من عتاد، و كان لا بد أيضا من سهولة الاتصال بين الجند المدافعين عنه، و تنظيم العمل بينهم بالصورة المطلوبة، وهو أمر استدعى أن يخطط السور بموصفات و قياسات دقيقة تفي بهذه المتطلبات، وقد انعكست هذه الأمور على عمارة و طريقة إنشاء الأسوار، بما اشتملت عليه من عناصر معمارية مختلفة.[1]

إنً بناء الأسوار حول المدن يعد من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس و المال و العرض، و هي من مقاصد الاسلام، و لذلك يصفها الفقهاء في عداد الواجب ،جعلت المدن الاسلامية الاولى مسورة، و خير مثال على ذلك مدينة واسط التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 75هـ/694م، بين الكوفة و البصرة، و كان لها سوران يحيطان بها، و كذلك بغداد و القاهرة.[2*]

و المعروف أنً معظم المدن في كل العصور الحاجة الى الدفاع و الحماية، من اخطار الغزوات القبلية أو الأسرية أو الاقليمية، فلجات الى التحصين بالمتاريس أو

---

[1]- محمد عبد الستار عثمان ، المرجع السابق، ص، 124.

[2]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد،" **اثر تخطيط بغداد على تخطيط المدن الاسلامية**.....ص،580.

* للمزيد اكثر عن اسوار المدن الاسلامية و دورها في الحفاظ على حرمة النفس و المال و العرض انظر كل من عبد الله عبد السلام صالح الحداد، "**اثر تخطيط بغداد على تخطيط المدن الاسلامية**".....ص،580-581. و كمال عناني اسماعيل، المدخل الى اثار المسلمين و حضارتهم في مصر و العالم الاسلامي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الاسكندرية،2012،ص،ص،81-86.

الأسوار المحيطة. و من هنا كان السور أو الحائط هذا القميص الحجري، كما يعبر سور و بواباته ظاهرة مشتركة بين أغلب المدن في الماضي.[1]

أشارت أولى المصادر الكتابية التي ظهرت بهيئة علامات صورية الى هذا المعنى، وقد ظهرت علامة السور بالشكل الذي يعني صورة المدينة، محاطة بسور تتخلل واجهته الخارجية أبراج دفاعية، و تتوسط علامته خطوط متشبعة ترمز الى شوارع المدينة، و تقسيماتها و أحيائها الداخلية، و لذلك صار السور أحد الأقسام المهمة في المدينة، وهو كما نعلم الجزء الثالث من عناصر تكوينها الحضري بعد المنطقة المركزية، والنسيج الحضري الذي أطلق عليه قشرة المدينة.[2]

إن السور عبارة عن مانع اصطناعي محكم البناء يشيد حول المراكز السكنية أو أي مكان آخر يخشى عليه و يراد حمايته والحفاظ عليه، فالغرض من تشييد الأسوار بشكل عام أن تقف عائقاً بوجه من يروم الهجوم والإغارة، ويحول دون اقتحام المنطقة المسورة والسيطرة عليها.[3]

ظهر السور كأي مانع أو حاجز لتعزيز الدفاع، من خلال زيادة مستوى الحماية للمدافعين، و تخفيف صدمة قوات الخصم المهاجمة والحد من قدرتها الحركية، واستخدم السور للتحكم بعملية الدخول إلى الموقع أو المدينة أو القلعة و الخروج منها[4]،كما يمكن اعتبارها رسما حدوديا، للفراغ القابل للتعمير، و لها سمة خاصة في المدينة الاسلامية.[5]

---

[1]- جمال حمدان، جغرافية المدن،ط2 منقحة، دار عالم الكتاب ، القاهرة ، 1987، ص ،ص،20-21.

[2]- محمد العاني، المرجع السابق، ص،234.

[3]- بهاء موسى حبيب ، المرجع السابق، 390.

[4]- بهاء موسى حبيب، المرجع نفسه.

[5]- بن يوسف زكرياء بن محمد، اشكالية العمران و المشروع الاسلامي، مطبعة داود، الجزائر، 1992، ص، 84.

ففي فترة ما قبل التاريخ و فجر التاريخ، يذكر أنً الإنسان القديم قد اهتم بإحاطة منشاته و مدنه بالأسوار منذ القدم، عند البابليين، الاغريق، الرومان و البيزنطيين[1]والأمثلة عديدة تمس الحضارات القديمة، كالحضارة المصرية الفرعونية و العراقية و اليونانية و غيرها، إذ شهد العالم القديم أسوارا شاهقة، ما زال البعض منها صامدا، يحمل ذكريات حضارات كبيرة نالها من الغزوات تارة، ومن الانتصارات تارة أخرى، وبلاد الرافدين حافلة بالمدن المسورة منذ القدم[2]، من الأمثلة التي ما زالت آثارها باقية ليومنا هذا مدينة بابل، حيث وصف المؤرخ الاغريقي "هيرودوت"، أنها كان يحيط بها سور، علوه نحو300 قدم وعرضه نحو 87 قدما و الذي منحها هيبة و مكانة. [3]

و الملاحظ أنً ظهور الأسوار و هي تحيط بالمدن في مرحلة مبكرة[4]، منذ الألف السادس قبل الميلاد، و أقدم مثل لذلك الأسوار التي كانت تحيط بالطبقة السكنية الثالثة بتل الصوان، وفي الألف الرابع قبل الميلاد أحيطت المدن بالأسوار و الخنادق ، و مثال ذلك مدن الوركاء و آشور التي كان لها سورين، و نينوى و بابل في العراق و مدن الجزيرة العربية كمأرب و صرواح و تاج.[5]

---

[1]- بطرس البستاني، دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن و مطلب، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1883، مجلد 7،ص،91.

[2]- فيان موفق رشيد محمد النعيمي، معالجة المشكلات البيئية لعمائر الموصل خلال العصور الاسلامية، المكتب العربي للمعارف، ط1، القاهرة، 2015، ص،ص،35-36.

[3]- صفا لطفي، «**السور الخارجي في العمارة الاسلامية دراسة تحليلية و انموذج مقترح**»، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد 7، العدد 02،العراق،2017،ص،31.

[4]- محمد العاني، المرجع السابق، ص،234.

[5]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة الزبيد.....ص، 243.

إذا ما تجاوزنا أقدم أشكال أسوار المدن؛ نجد سور الوركاء*الذي بناه ملك سلالتها الأول جلجامش(3000ق.م)التي تعرف بقاياه اليوم باسم (حبوبة الكبرة)، يعود إلى بداية الشبه الكتابي في مستوطن وركائي تجري، تعرف بقاياه اليوم باسم (حبوبة الكبرة)، يعد أقدم و أعظم سور يحيط بواحدة من المدن السومرية، حيث بلغ طوله 9050 كم، فإن سور الوركاء الذي بناه ملك سلالتها الأول جلجامش (3000ق.م)، و يعد أقدم و أعظم سور يحيط بواحدة من المدن السومرية، حيث بلغ طوله 9050 كم.، حيث جرت التنقيبات هناك، ففي الجزء الشرقي للسور ظهر وجوده من النوع المزدوج، على شكل سورين متجاورين يحيطان بالمدينة.[1]

شُيِّد السور الداخلي بحجم أكبر و أكثر إتقانا من السور الخارجي، بينما شيد السور الداخلي فوق أساس صلب من اللبن المستوي المحدب اقيم فوقه بدن السور.[2]**

من هنا يتبين الوظيفة الأساسية للسور منذ القديم، جعلته من العناصر البنائية الحضرية في المدينة، و اعتبر كتدبير حربي لصد هجمات الاعداء.[3]

بالنسبة للمجتمعات العربية؛ كانت تبحث عن تحقيق نوع من الخصوصية، لسكانها الذين عاشوا في كنفها. ولتحقيق ذلك سخر الانسان و المعماري العربي منذ القديم

* يشير محمد العاني الى ان بقايا هذا السور بهيئة تلال متفرقة تحيط بالمدينة كالدائرة الكبيرة او بشكل بيضوي، و كان أكثرها وضوحا في القسم الشمالي الشرقي و في الجنوب الشرقي من المدينة. انظر محمد العاني، المرجع السابق،ص،ص،234-235.

[1]- محمد العاني، المرجع السابق،ص،ص،234-235.

** حسب محمد العاني ؛ يتألف من قسمين الأول هو لب السور الذي يتراوح سمكه بين 4 الى 5 م، شيد من اللبن المستوي المحدب ، و قد اعيد بناءها في العصر البابلي القديم بغلاف من اللبن. كما كشفت التنقيبات و الحفريات الاثرية عن وجود بوابتين لهذا السور احداهما شمال المدينة و دعيت بالبوابة الشمالية، و الاخرى في الجنوب باتجاه مدينة اور أسمتها المصادر المسمارية باسم بوابة اور. وقد جدد بناء السور، و تمت تقويته في عهود لاحقة حيث اضيف اليه في العصر البابلي القديم غلاف لتقويته، فتبين انه بني بلبن كبير ذو شكل متوازي المستطيلات و هو يختلف عن بنائه الاصلي، ثم حصلت فيه تجديدات في العصر الآشوري. انظر محمد العاني، المرجع السابق،ص،ص،234-236.

[2]- محمد العاني، المرجع السابق ، ص،235.

[3]- محمد العاني، المرجع السابق، ص156. انظر أيضا Ernesto D'Alfonso et Danilo Samsa, L'Architecture- Les Formes et les styles de l'Antiquité à nos jours,Ed,SOLAR,Paris,2002,p,p,12-15.

عمراته لتلبي هذا المطلب[1]، اذ من المعروف أنً أغلب المدن اليمنية القديمة كان يحيط بها سور حجري، يتخذ شكلا يختلف من مدينة إلى أخرى تبعا لاختلاف الطبيعة التضاريسية للمدينة، فهناك تسوير كامل يظهر على مدن الوديان الشرقية مثل مأرب و مدن الجوف و شبوة، و مدن القيعان كصنعاء و الشكل الدائري للسور هو الطراز المنتشر لمعظم تلك المدن.[2*]

إذن بالنسبة للعرب؛ نجد أنً الأسوار كانت العنصر الأصلي الذي أعطوه اهتماما كبيرا، ونجد هذا الاهتمام أيضا في المدن، التي كانت تتمتع بموقع طبيعي استراتيجي حصين[3].ومن الأمثلة مدينة صور الساحلية، التي ضرب بها المثل الرحالة ابن جبير في الحصانة الطبيعية، كانت الأسوار كما ذكر الدكتور كمال عناني اسماعيل من أهم الوسائل الدفاعية التي ضاعفت من حصانتها، كما يتجلى ذلك في وصف ابن جبير لهذه المدينة قائلا:" **مدينة يضرب المثل بها في الحصانة..... و ذلك انهاراحبة ببابين احدهما في البر و الاخر في البحر الذي يحيط بها الا من جهة واحدة فالذي في البر يُفضي اليه بعد ولوج ثلاث ابواب او اربعة كلها في ستائر (أي أسوار) مشيدة محيطة بالباب، وأما الذي من البحر فهو مدخل بين برجين مستويين الى ميناء ليس في البلاد البحرية اعجب وصفا**

---

[1]- صفا لطفي، «**السور الخارجي في العمارة الاسلامية دراسة تحليلية و انموذج مقترح**»، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد 7، العدد 02،العراق،2017، ص،32.

* للمزيد و للاطلاع عن العمارة في العالم العربي القديم انظر اسمهان سعيد الجرو، الآثار و الحضارة في التاريخ العربي القديم، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2018،ص،ص،،223-230..

[2]- اسمهان سعيد الجرو، المرجع نفسه،ص،224.

[3]-كمال عناني اسماعيل، المدخل الى اثار المسلمين و حضارتهم ..... ص،82.

منه. يحيط بها سور المدينة من ثلاث جوانب، ويحدها من الجانب الآخر جدار معقودة."[1]

من هنا يمكن الجزم أن معظم الحضارات العربية و منجزاتها المعمارية قبل الاسلام ، كان لها اسلوب في هندسة مدنها و عمائرها، والتقاليد العربية تبقى موجودة في عمق التاريخ، فما وجدناه من اسوار و بوابات مميزة في مدينة بابل، نجده في مدن الفراعنة و نجده في الحضارة المعينية و السبأية، و نجده في بادية الشام وما يجاورها.[2]

أما في الفترة الاسلامية؛ فقد أكثر المسلمون من تشييد العمائر ذات الصفة الحربية بالأخص الأسوار، في كافة البلدان التي دخلوها، وكان ذلك للحفاظ على دولتهم، و حضارتهم من أي خطر خارجي[3]، فقاموا بتشييد الأسوار حول الكثير من المدن كالبصرة و الكوفة و الفسطاط و بغداد و القيروان و غيرها من المدن. [4]

لقد أثّر السور في قيام المدن الاسلامية و تخطيطها، وكان من أهم عناصر المدينة[5]، فلم تكن للمدن التي أسسها المسلمون في بداية أمرهم أسوار، حيث لم تكن

---

[1]- ابن جبير ،الرحلة، دار صادر، بيروت،1980،ص،ص،277- 278.

[2]- صفا لطفي، المرجع السابق،31.

[3]- محمد محمود علي الجهيني، اطلالة على العمارة الحربية في شرق العالم الاسلامي، سماتها و احدث ما كتب عنها،ط1،الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،2007،ص،7.

[4]-عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الاثار الإسلامية.....ص،85.أنظر ايضا عبد الله عبد السلام صالح الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد.....243.

[5]- محمد المعتصم،" **المدينة الاسلامية و خصائصها**"، حولية كلية الانسانيات و العلوم الاجتماعية، جامعة الفيصل، العدد الثاني، قطر،1400هـ/-1980م،ص،234.

الحاجة ملحة لإنشائها، و لا سيما أنً دواعي الأمن والأمان في أقاليم الدولة الاسلامية كانت متوفرة.[1]

بدأ إنشاء الأسوار للمدن الاسلامية بعد ذلك، لتُحقًق أهدافا أمنية للقانطين فيها، و اختلف دواعي وأسباب انشاء هذه الاسوار، باختلاف اسباب انشاء المدن و ظروف إنشائها، بالإضافة الى اختلاف مواصفات مواقعها، و من أولى المدن التي اهتم بتحصينها مدينة واسط[*][2]، وفي هذا السياق يشير بطرس البستاني أنً المسلمون لماً قاموا ببناء مدنهم، لم يحيطونها بأسوار كمدينة البصرة و الكوفة و الفسطاط و القيروان،لأنها كانت معسكرات تنطلق منها عمليات الغزو، و لكن مع مرور الزمن و تغير المعطيات أصبحت ضرورية، و من ثم أولوها اهتماما كبيرا خاصة بعد تمصيرها ، فتحولت إلى مقر استقرار دائم لهم، فأصبحت في مطمع الأعداء مما وجب تحصينها[3]،وبحلول القرن الثالث للهجرة/للقرن التاسع الميلادي، قلًما نجد مدينة اسلامية دون سور، ليصبح هذا الأخير عنصرا هاما في مظهرها العمراني.[4]

و الأسوار من أهم مكونات المدينة الاسلامية، ومن أهم شروط تأسيسها؛ تضمن الحماية لسكانها من الخط الخارجي، وتجعلهم في مأمن من أي اعتداء أو هجوم مفاجئ[5]. كما يعد عنصرا معماريا مهما في العمارة الانشائية، وتتبع القيمة الحقيقية

---

[1]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق،ص،122.

[2]- محمد عبد الستار عثمان، نفسه.

[*] للمزيد عن تحصينات مدينة واسط انظر محمد عبد الستار، نفسه.

[3]- محفوظ بوطية، المرجع السابق،ص،86.

[4]- مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص،449. انظر ايضا عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الاثار الإسلامية.....ص،85.

[5]- منير اقصبي، العمارة العسكرية بفاس عبر التاريخ، أفريقيا الشرق، المملكة المغربية، دار البيضاء، المملكة المغربية،2015، ص، 13.

للسور الخارجي في العمارة الاسلامية خاصة من أمرين، **الأول** أنه يمثل أحد المعالم الاسلامية التي تحقق نوعا من الهيبة للأماكن لا سيما المقدسة منها، و التي تشكل نقطة جذب للزوار من جميع بقاع العالم الاسلامي، و **الثاني** أنه يساعد على توجيه الأنظار نحو ما يحيط به من عمارة، وكذا استعمالها لتحديد الأرض المحاطة بالمبنى، والأسوار هذه تختلف في خاماتها و بنائها، فقد تكون بناء أو من المعادن مثل الحديد و النحاس، تشكل بهيئة معينة لتمنح للمدينة طرزا إسلاميا مميزا.[1]

و الجدير بالذكر أنً هذا النوع من المباني الدفاعية، اعتُبرت من أهم عناصر المدينة الإسلامية في فترة الفتوحات الاسلامية[2]، حتى أنها استُعملت أيضا من أجل تحصين بعض القصبات و رباطات الجند، و قد جاء التفكير في إنشائها في بادئ الامر بالنظر، لما كانت تعرفه أماكن استقرار المسلمين في صدر الاسلام، من تهديدات خارجية، و كانت أسوار المدن الاسلامية الاولى بسيطة في شكلها، ثم تطورت تدريجيا حسب متطلبات العصر.[3]*

لقد اهتم المسلمون اهتماما كبيرا في إنشاء هذا النوع من الاستحكامات الحربية، بل طورًوها و ابدعوا في بنائها، فأصبحت مزودة بأبراج مختلفة و بفتحات عادة ما تكون واسعة من الداخل و ضيقة من الخارج، وفي الأعلى زودت بممشى يسهل التنقل من برج الى برج، والسير فوق السور بسهولة مستترين بسور أمامي

---

[1]- صفا لطفي، المرجع السابق، ص،27.

[2]- محمد المعتصم، المرجع السابق،ص،236.

* يشير منير أقصبي أن الأسوار في بداية الامر قد دعمت بأبواب ذات اشكال بسيطة و غير معقدة، و من الأمثلة الأبواب الأربعة التي بناها الخليفة هشام بن عبد الملك في السور الثاني لقصر الحير الشرقي سنة 110هـ/729م، و التي كانت عبارة عن فتحات مستقيمة تحدها من الجانبين ابراج ذات الشكل النصف الدائري من الحجر ،ذات الشكل النصف الدائري. منير اقصبي، منير اقصبي، العمارة العسكرية بفاس عبر التاريخ.....ص،13.

[3]- منير اقصبي، المرجع نفسه،ص،13.

أقل سمكا من الممشى، تتوجه شرفات تسمح للمدافعين رمي النبال من خلالها مع توفيرها لهم الحماية اللازمة.[1]

في هذا السياق نجد أنً المهندسين و المعماريين، قاموا بتطوير هذا النوع من الاستحكامات، لأهمية الدفاعية و الحربية التي يمثلها، وذلك بزيادة الارتفاع و السمك، إضافة الى تحسين أشكال فتحات الرماية كالمزاغل مثلا، كما ابتكر الفنان المسلم نظاما جديدا في بناء الأسوار،حيث اكثروا من الزوايا الداخلية والخارجية، مما جعلت الاسوار من العناصر التي تشكل الهيكل العام للمدينة، وعليه من الأولويات التي رُوعيت في المنطقة، للحفاظ على الأمن و الاستقرار لسكانها.[2]

يشير هنري تيراس إلى أنً الأسوار عادة ما كانت تحاط بخندق من الخارج[3]، و قد شاع استخدامه في مدينة بغداد[4]، وانتشر أيضا في بلاد الاندلس مع بداية القرن 5هـ/11م .[5]

حقق العصر العباسي في بغداد تقدما كبيرا في هذا المجال، اكثر مما حققه العصر الاموي في دمشق، ومن أقدم ما بني من أسوار المدن الاسلامية و أعظمها، سور مدينة بغداد الذي بناه ابو جعفر المنصور العباسي سنة145هـ/762م[6]، ومن أحسن الأمثلة اسوار قصر الحير الغربي، الذي كان امتداده الى ما يقرب من ستة (06)

---

[1]- بطرس البستاني، المرجع السابق،ص،91.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، بحوث اسلامية في التاريخ و الحضارة و الاثار،ج2،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ،1979، ص،22.

[3]- هنري تيراس،" الحصن" ترجمة، شكري حسن، دائرة المعرف الاسلامية،ج،13، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1986 ،ص،2987.

[4]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق،ص،122.

[5]- هنري تيراس،" الحصن".....ص،2987.

[6]- منير اقصبي، العمارة العسكرية.....ص،13.

كيلومترات و أسوار مدينتي بغداد و الرقة بجدران مزدوجة، التي زودت بأبراج نصف دائرية و أربع بوابات ذات مداخل منكسرة،لم يعرفها اليونان و لا الرومان.*[1]

نضيف الى جانب هذه المدن؛ مدينة الموصل العراقية، المعروفة بأسوارها التي استخدمت كقاعدة لانطلاق الجيوش الاسلامية نحو الفتوحات، و نشر تعاليم الدين الاسلامي، فقد اهتم الأمويون (41-132هـ/ 637-749م) ببناء السور في عهد الوالي سعيد بن عبد الملك(25- 89هـ/ 661-685م)،اذ حفًها بسور و أتمً بناءه مروان بن محمد، ثم توالت عليه تجديدات لا سيما في العهد الأتابكي (521 هـ-1122م)،ومن ثم زاد عليه عماد الدين زنكي ما يقارب مثله[2].و الملاحظ إنً عدد الأسوار التي أُحيطت بمدن العراق، قبل و بعد الفتح الاسلامي، كان يتراوح ما بين سور واحد الى عدة اسوار.* [3]

من أقدم أسوار العمارة الاسلامية في مصر، والمتبقية الى يومنا هذا بعد اندثار أسوار الفسطاط؛ أسوار القاهرة الفاطمية، و كان **أول** سور من هذه الأسوار هو ما بناه جوهر الصقلي باللبن حول المدينة الجديدة، من جهاتها الاربع سنة 359هـ/970م،و **ثانيهما** هو ما بناه بدر الدين الجمالي سنة 480هـ/1087م،و**ثالثهما** هو ما بناه صلاح الدين الأيوبي سنة566هـ/1170م،

---

[1]- عاصم محمد رزق ، المرجع السابق، ص، 154.

* للمزيد اكثر عن الأسوار في الفترة الاسلامية انظر عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص،ص،153- 154.

[2]- فيان موفق رشيد محمد النعيمي، المرجع السابق،، ص،36.

[3]- مصطفى عباس الموسوي، المرجع السابق،ص،232.

* للاطلاع اكثر عن الأسوار في المدن الاسلامية انظر مصطفى عباس الموسوي، المرجع نفسه، ص، ص، 232-239.

ليضم في داخله الفسطاط و العسكر و القطائع و القاهرة ضمانا لحسن تحصينها و الدفاع عنها.*[1]

ما يمكن ملاحظته؛ أنً المسلمين قد زداد اهتمامهم ببناء الأسوار و الابنية الحربية حينما أحدقت الأخطار بالعالم الاسلامي، خلال القرنين9و10هـ/15و16 الميلاديين، أثناء حروبهم مع البيزنطيين، ثم خلال فترات الحملات الصليبية، ثم اثناء موجات المغول و التتار، حتى أنً الصليبين قد اقتبسوا العديد من أساليب التحصين كالسقاطات، وهي البروز المغطى في سور القلعة لرمي المهاجمين، وكان أكثر سلاطين المسلمين اهتماما ببناء الأسوار والقلاع سلاطين المماليك، ومن المدن التي حصنت في هذه الفترة بالخنادق و الأسوار و القلاع، مدينة حلب التي جددًت أسوارها خلال القرون(8هـ/14م و9هـ/15م و10هـ/16م).[2]

أما المغرب الاسلامي؛ شهد هو الآخر انتشار هذا النوع من الاستحكامات العسكرية، اذ أن أسوار مدن و قلاع و حصون المغرب الاسلامي، يغلب عليها استخدام مواد انشائية قوية الميل الى الارتفاع وزيادة سمكها، ففي بداية العصر الإسلامي تراوح ارتفاع أسوار المدن ما بين4 الى8 امتار، كما هو الحال بالنسبة أسوار مدينة القيروان، ثم اتجهت الزيادة في ارتفاع الاسوار، إذ وصل ارتفاع السور الداخلي بمدينة المهدية 12م، في حين تراوح ارتفاع سور قصبة مراكش ما بين 8 الى 10 م. أما عن سمك هذه الاسوار فقد تراوح ما بين 1.50 إلى 3.00 امتار، كما في اسوار مدينة المهدية و مدينة مراكش، ووصلت إلى أقصى سمك لها في

---

[1]- بيدي محمد، المرجع السابق، 154.

* للمزيد اكثر عن هذه الاسوار انظر كل من خالد زعب، اسوار و قلعة صلاح الدين.....ص،ص، 9- 50 . و كمال عناني اسماعيل، المدخل الى اثار المسلمين.....ص،81- 86.

[2]- محمد المعتصم، المرجع السابق،ص،ص،236-237.

مدينة صورة، فبلغت حوالي 6م،وقد ساعد زيادة سمك الاسوار على عمل ممرات علوية للجند وحجرات داخلية للرماية، كما ساعدت زيادة السمك على متانة السور و توفير ممشى للجند من أعلاه، يحقق لهم رؤية أفضل ومرمي أبعد، فضلا عن عدم تمكن العدو من ثقب السور في حالة الحصار.[1]

من أسوار المغرب الاسلامي نذكر؛ أسوار سوسة و صفاقس بإفريقية، والتي بنيت في عهد الأغالبة في القرن 2هـ/9م،حيث استعمل في بنائها حجر الدبش و الحجر المنحوت في الزوايا، فيما بينت أسوار القيروان بالأجر التقليدي، و ما تبقى من أطلال كل من مدينة باسكوس و مريدة و قرطبة، وما يلاحظ ان كل هذه المدن، قد حصنت كلها أثناء انشائها بأسوار مبنية من الحجر و بأبراج دائرية، فيما فتحت أبوابها بشكل مستقيم، واستمر الحجر في بناء الأسوار حتى عهد المرابطين، و مثال ذلك أسوار قصبتي أمركو و تاسغيموت بالمغرب.[2]

شهدت الفترة الموحدية ميلاد طريقة جديدة في بناء الأسوار، تعتمد على قاعدة صلبة من الحجر و الطابية، وقد بُنيت عدة اسوار بهذه الطريقة منها سور مراكش و الرباط و تازة[3].

نُسجت أسوار الموحدين على منوال الاساليب المرابطية، من حيث البناء بقطع الحجر الكبيرة غير المنتظمة اي غير المنحوتة ، تتخللها من حين لآخر، تُنتظم بها بطرح المداميك، و هذا ما شُوهد في أسوار قلعة أمرجو المرابطية، و قد طبق الموحدون هذا الأسلوب في أسوار و أبواب مدينة تلمسان،و في أسوار مدينتي من

---

[1]- كمال عناني اسماعيل، الآثار الاسلامية في المغرب.....ص،358.

[2]- منير اقصبي، العمارة العسكرية.....ص،ص،14-15.

[3]- مصطفى سالم، المرجع السابق، ص،83.

تنمل و تازة[1]، كما اقتبس الموحدون من الناصري السور الامامي– الخزام الواني–، إذ أنً هذا الأخير يمنع العدو المهاجم، من شن هجومه مباشرة على الأسوار الأساسية، و يعطل من تقدمه بفتح الثغرات التي يمكنه ان ينفذ منها داخل المدينة، حيث اهتم الخلفاء الموحدون بهذا النظام و العمل به، كما فعل ابو يعقوب يوسف من تحصين قلعة جابر، التي تعد بمثابة المركز الدفاعي لمدينة اشبيلية الاسوار الامامية، من جهة أخرى نجد ان الموحدون قد قاموا بتشييد هذه النوعية من الاسوار، في العديد من المناطق في عدة مناطق نذكر جيان،شريس،الجزيرة الخضراء و كذا مالقة و سور اشبيلية الأمامي الذي حفر حوله خندقا.*[2]

نشير أنً هذا النظام مقتبس من الانظمة البيزنطية، وقد دفعت الحروب المستمرة بين المسلمين و النصارى الى عنايتهم بهذه العمارة الحربية،و ليحكموا تحصيناتهم الدفاعية، وكانت أسوار هذه المدن تتألف من ستارة أساسية، تدور حول الحصن والمدينة ثم سور أمامي آخر، أقل من السور الأساسي،ويحيط بهذا السور الأمامي بالأرواج و يدور حوله خندق.[3]

هكذا عرفت فترة الحكم الموحدًي ميلاد طريقة جديدة في بناء الأسوار، تعتمد على قاعدة صلبة من الحجر و الطابية، وقد بنيت عدة اسوار بهذه الطريقة منها سور مراكش و الرباط و تازة[4]،و اشبيلية و خيريس و كاسيريس.[5]

---

[1]- مصطفى سالم، المرجع نفسه، ص،336.

[2]- مصطفى سالم، المرجدع السابق، ص،336.

* للمزيد عن الأسوار الموحدية انظر مصطفى سالم، المرجع السابق، ص، ص، 83.

[3]- مصطفى سالم، المرجع السابق،ص،84.

[4]- مصطفى سالم، المرجع نفسه، ص،83.

[5]- منير اقصبي، العمارة العسكرية.....ص،15.

لقيت عمارة الأسوار ببلاد للأندلس اهتماما كبيرا لدى الحكام، ويعود ذلك لعدة اسباب منها تعرض الاندلس للهجمات في مختلف البلدان، منها سور العرب الذي بناه العرب على جبل طارق*[1]، وأسوار مالقة، أسوار المرية و كذا أسوار أشبيلية، أسوار غرناطة و قرطبة.[2]

المرينيون هم أيضا كان لهم أثر كبير، والفضل في تطوير بناء هذا النوع من الاستحكامات، واستخدموا في بنائها أيضا مادة الطابية مثل الموحدين[3]، والملاحظ أنً هذه الأسوار قد لعبت الأسوار دورا كبيرا في الحياة السياسية للدولة المرينية، وهذا ما نلمسه في مدينة فاس الجديد، لقد كان الحد الفاصل بين السكان و السلطة الملكية، وهذا المعنى كان يحمي المدينة من الثورات المحلية، إضافة إلى وجود ظاهرة جديدة وهي ازدواجية الأسوار العلية في عملية البناء*، ونفس الشيء نجده في الأسوار الخارجية، وقد كان السور الخارجي محصن بأبراج المراقبة وممشى محمي بشرفات هرمية أو مدببة، وأبواب ضخمة، وباعتبار هذه الأخيرة نقطة ضعف السور، ونظرا لكونها تشكل الحلقة التي تربط المدينة بالعالم الخارجي، فقد كانت دائما محل عناية خاصة، نيت بمواد شديدة الصلابة والمقاومة للعوامل

---

[1]- رغد جمال مناف العزاوي، العمارة الأندلسية من القرن الثاني الهجري الى القرن الخامس الهجري، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، كلية ابن رشد للعلوم الانسانية، قسم التاريخ ، جامعة بغداد،2013،ص،96.

*يقول ابن العذاري في شان هذا السور" لما اجاز المسلمون و نزلوا في المرسى و هم بربر و عرب، و حاولوا الطلوع في جبل و هو جبل .....فلما حصروا في الجبل ، بنوا سورا على انفسهم فسمي بسور العرب. ابن العذاري، البيان المغرب،ج2.....ص،9.

[2]- رغد جمال مناف العزاوي، المرجع السابق،ص،ص،97-111.

[3]- منير اقصبي، العمارة العسكرية.....ص،15.

* التجاء الفنان المريني الى تقسيم إلا سوار الى جزئيين سور اساسي و سور امامي كما هو الحال بفاس الجديدة و الجزيرة الخضراء، و هي طريقة استخدمت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بالأندلس في مدينة طليطلة و مدينة الزهراء.

الخارجية،[1]وتتجلى فيها بوضوح الزخرفة الفنية المغربية والأندلسية، وبذلك تعدّت الصِّبغة العسكرية التي أنشأت من أجلها،و التي تتمثل أساسا في حماية المدينة.[2]

اما بالنسبة للمغرب الأوسط؛ قد عرف هو الآخر انشاء هذا النوع من الاستحكامات العسكرية، ومن المدن التي عرفت بناء الأسوار نذكر مدينة تلمسان من الفترة الإدريسية الى الفترة المرابطية في عهد يوسف بن تاشفين، لتليها الفترة الموحدية ثم الفترة الزيانية الى غاية الفترة العثمانية.**[3]

إلى جانب تلمسان التي تأثرت اسوارها بأسوار المدن الإسلامية، خاصة مدن المغرب الأقصى، كأسوار مدينة "سلا" ومدينة "فاس" ومدينة "الرباط"، مع بعض الاختلافات الجزئية.[4]

لكن في العصر العثماني،ومع استخدام اسلحة متطورة، والازدهار الذي شهده المجال العسكري الحربي في السلاح خاصة، أخذت ملامح العمارة الحربية تتواءم و هذا التطور الجديد في التسليح، عكس ما كان عليه الحال في العصور السابقة، فغدت ارتفاعات الأسوار و الأبراج تقل تدريجيا، بعد أن أصبح في استطاعة آلات الحرب الحديثة هدم الحصون و الأسوار المرتفعة مهما بلغت من العلو و الضخامة و المتانة.[5]

---

[1]- محمد عياش، محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد و المنصورة بتلمسان- دراسة تاريخية و أثرية- ،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الآثار الإسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2005-2006،ص،63.

[2]- محمد عياش، المرجع نفسه ،ص، 63..

[3]- موشموش محمد، المرجع السابق، ص، 355.

** عن اسوار تلمسان انظر موشموش محمد، المرجع نفسه ، ص، ص،355-357.

[4] - عبد العزيز لعرج، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، دراسة في الفكر العمراني الإسلامي.....ص241.

[5]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق،ص،131.

مع بداية القرن10هـ/للقرن16 الميلادي، حدث تحول كبير في بناء الحصون بسبب انتشار المدفعية، و اتقان فنًها في فرنسا و تركيا، خاصة بعد انتشار المواد المفرقعة في ايطاليا ايام النهضة الايطالية، وأصبحت معها المدفعية من الأسلحة الرئيسية، التي انزوت بجانبها اسلحة العصور الوسطى من مجانيق و سيوف فأصبحت المدفعية أساسا قويا في التعامل الحربي[1]، خاصة ما بين القرنين 9 و14 الهجريين/للقرنين 15 و 19الميلاديين، و كان لهذا كله أثره على التحصينات التي يتم انشاؤها لحماية المدن، و لم يعد ارتفاع السور و لا قوته مجديا أمام قذائف المدافع، و تغير مفهوم الدفاع عن المدن و حلت المتاريس محل الاسوار*.[2]

البرج:

البرج بالضم الركن و الحصن[3]،و البرج جمعه بروج و أبراج، وربما سمي الحصن به، والبرج كل ظاهر مرتفع و منه بروج سور المدينة، وسميت البروج بروجا لظهورها و بيانها و ارتفاعها[4]، وبروج سور المدينة و الحصن عبارة عن بيوت تبنى على السور يتجمع فيها الجنود للدفاع عن السور.[5]

---

[1]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع نفسه،ص،131.

* فقد كانت هذه المتاريس تشيد بالتراب و ليست عالية كعلو الاسوار، الا انها كانت حلا مناسبا ، فقد كانت القذائف تغوص فيها دون ان تحدث أي خطر على المدينة.

[2]- خالد محمد عزب،" **فقه العمران في الحضارة الاسلامية**" مجلة الاسلام ، ايسيسكو، العدد 22، السنة 2005،ص،105-106. انظر ايضا محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية.....ص،263.،

[3]- الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مادة البرج،165.

[4]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد،" **اثر تخطيط بغداد على تخطيط المدن الاسلامية**.....ص،140.

[5]- اسامة طلعت، اسوار صلاح الدين.....ص،199.

يعتبر البرج المكوّن بعد السور في التحصينات، فهو بمثابة تقوية أو دعامات للأسوار التي تتسم بمحدودية الرؤية الخارجية .[1]

تشكل الأبراج أحد العناصر الدفاعية في أسوار المدن والقصبات، ويمكن التمييز بين الأبراج الصغرى الموزعة بصفة منتظمة، داخل الأسوار و الأبراج المحصنة من جانبي الأبواب الكبرى، والتي تكون حجمها كبيرا نظرا لما تتوفر عليه من مساكن و ممرات للجند، وهناك من الأبراج ما يكون منفصلا عن السور، حيث يوظف في وظائف دفاعية مستقلة كأبراج الحراسة و أبراج الاشارات، وهذا النوع من الاستحكامات الدفاعية وتكون في مكان مرتفع، مثل قمم الجبال أو المباني المرتفعة كالأبراج و الحصون بالمناطق الثغورية، و ترفع على المحارس النار بالليل و الدخان بالنهار للتبليغ عن الخطر.[2]

شيدت الأبراج فوق الأسوار والأبواب لحمايتها من المهاجمين، وتكون هندسة بنائها عندئذ متناسبة مع هندسة بناء السور أو أعلى الباب، وقد تنتهي بما يشبه الأسنان أو الأفاريز ليتمكن المدافع من إصابة المهاجمين بما عنده من مواد مؤذية، فيمنعهم من اقتحام السور. ولقد عرف العرب في الجاهلية الفن المعماري العسكري، ويقول في ذلك جواد علي:" **تؤلف الأبراج والحصون صفحة من صفحات كتاب الفن المعماري الحربي في التاريخ الجاهلي، فقد بنيت لتؤدي واجب الدفاع والحماية والوقوف بجبروت وتعنت في وجه من يريد الكيد وبمن يحتمي وراء تلك الحصون.**"[3]

1- George Marçais, L'Architecture Musulmane D'occident…..p,p,290-291.

2- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق، ص، 293 .

3- بهاء موسى حبيب، المرجع نفسه، ص، 293 .

يمثل البرج وسيلة مثلى لحل النقائص التي توجد في الاسوار فهو يسهل عملية مراقبة الاجزاء السفلى من الاسوار و الزوايا والاركان، وبواسطته يمكن اكتشاف الاخطار القادمة قبل وصولها الى المدينة، يماثل ارتفاعها ارتفاع الأسوار أو تفوقها، وتكون بارزة عن الجدار الى خارج المدينة، ومملوءة من الداخل ببقايا مواد البناء، ويتم توزيعها في الاركان الاربعة للسور المحيط بالمدينة وعلى طول مساره بمسافات تصل الى حدود عشرين مترا، مما يسمح بوصول رمية سهم القوس. [1]

و البرج هو أحد العناصر المعمارية المهمة، وهو على نوعين، الأول يُلحق أو يُدمج بالبناء فيعمل دعامة ساندة لجدرانه الخارجية*،ويبرز عادة عن سَمت البناء ويأخذ شكلاً اسطوانياً أو نصف دائري أو شكلاً مربعاً أو مستطيلاً أو مضلعاً[2]، و حتى مسدس او سداسية الشكل[3]،و الموحدون قاموا بابتكار تصميم جديد تمثل في البرج الوانى*[4]، حيث نجد برج يوجد خارج السور الاساسي و يرتبط معه بسور ثانوي، وكان يهدف من ورائه تحصين أسوار المدن و القصبات، و من أمثلة هذا النوع من الأبراج ابراج قصبة بطليوس و قلعة باداخوس[5]، و البرج الواني المثمن يمتاز عن البرج الواني المربع،حيث يمكن المدافعين من التحرك في كافة الاتجاهات.[6]

---

[1]- باسيليو بانون مالدونادو، العمارة في الاندلس-عمارة المدن و الحصون-المجلد الأول.....ص،490.

* يرى بهاء موسى حبيب ان البرج بناء مرتفع يشكل عنصراً ملحقاً بسور مدينة أو بقلعة أو قصر أو أية عمارة عظيمة يتكرر عليها أو يحتل أركانها أو جانبي البوابات أو يعلو المداخل. بهاء موسى حبيب، بهاء موسى حبيب، المرجع السابق،ص،293،

[2]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق،ص،293.

[3]- مانويل مورينو جوميت، المرجع السابق،ص،210.

[4]- بيج بريتون، البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتاب، بيروت، 1981...،ص،46.

* للمزيد عن الأبراج و أنواعها . أنظر فصل الدراسة التحليلية من الاطروحة .

[5]- مصطفى سالم، المرجع السابق، ص، 86.

[6]- مصطفى سالم، المرجع نفسه، ص، 86.

أما النوع الثاني هو البرج المستقل الذي لا يتصل بغيره من الأبنية "**وهو المبنى العالي يُرى من بعد ويُشرف على اكبر مساحة ممكنة لاستطلاع العدو وارسال الإشارات الضوئية ، ويُستخدم للدفاع أيضاً**"[1]. و من بين الابراج* نذكر أبراج المراقبة؛ و هي عبارة عن مبان ، تقام في رؤوس الجبال و على السواحل بطول مناطق الالتماس مع العدو، وتعرف باسم أبراج المراقبة، كما تعرف أيضا باسم المناظر و المراقب و مفردها مرقب وأيضا الطلائع، وكان يقيم بكل برج عدد من الرجال بشكل دائم، مهمتهم مراقبة تحركات العدو و ابلاغ الحاكم بذلك، عن طريق إشعال النيران في قمة البرج النار الذي شاهد تحرك العدو، فيراه أقرب برج مقابل له فيشعل النار في قمة برجه، و هكذا يتواصل إشعال النيران من برج إلى آخر حتى يصل الى العاصمة.[2]

نشير إلى أنً أبراج المراقبة متعددة المساقط، منها **ابراج نصف دائرية**؛ و قد وجدت الأبراج نصف دائرية في العمارة الاسلامية المبكرة في القصور الأموية و منها قصر المنية، و قصر الحير الشرقي و الغربي 110هـ /729م، و قصر المشتى و طوبة 129هـ- 126هـ /143 م- 744 م*[3]، وفي أسوار القاهرة الفاطمية منها برج الواقع غرب باب الفتوح و باب الزويلة (485هـ/1031م).[4] أما الشكل الثاني يتمثل في **ابراج ثلاثة ارباع الدائرة**؛ و قد ظهر هذا النوع من الأبراج أول ما ظهر في

---

[1]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق، ص، 293.

* للمزيد عن ذلك اكثر أنظر فصل الدراسة التحليلية من الاطروحة .

[2]- طالع عبد الله عبد السلام الحداد، المرجع السابق،ص،98

[3]- كيبل كريزويل، الآثار الإسلامية الأولى، نقله الى العربية :عبد الهادي عبلة و استخرج نصوصه و علق عليه: حمد غسان سبانو، ط 1، دار قتيبة – دمشق –1404هـ/ 1984،1، ص، ص،116-171.

* للمزيد انظر اسامة طلعت، المرجع السابق، ص،82.

[4]- طالع عبد الله عبد السلام الحداد " **اثر تخطيط بغداد على تخطيط المدن الاسلامية**.....ص،142.

العمارة القديمة قبل ظهور الاسلام، كما ظهر في مدينة ثاج*(4 ق م- 3 ق م)،و انتشر استخدامه كثيرا في العمارة الاسلامية في اليمن و خارجها، حيث وجد هذا النوع من الأبراج في أسوار المدن و القلاع و القصور في الفترة الاسلامية المبكرة خاصة ابراج الزوايا ومنها القصور الأموية كدار الإمارة بالكوفة و قصر الشعبية و قصر المنية و الحير الشرقي و المشتى و طوبة[1]، بالإضافة الى القصور العباسية كقصر الاخيضر[2]، ضف الى ذلك العديد من أبراج أسوار المدن و القلاع في الشام ومصر، منها قلعة الحصن 423هـ/1031م، وقلعة نمرود في الشام و أبراج سور صلاح الدين في القاهرة و قلعة الجبل[3]،و منها: برج درب المحروق، و معظم ابراج مدينة الزبيد اليمنية.[4]

ثانيا : المصطلحات المتعلقة بالعناصر الدفاعية:

الأبواب:

الباب جمعه أبواب وهي الفتحة القائمة في سور المدينة، أو مدخل سور المدينة أو الحصن أو واجهة المسجد أو القصر أو المدرسة،وهناك المدخل الرئيسي أو النوعي و المدخل الخارجي أو الداخلي[5]، و غير ذلك مما يغلق عليه بمصراع او

---

* أحد المدن الواقعة في شبه الجزيرة العربية

[1]- كيبل كريزويل ، المرجع السابق،ص،116-279.

[2]- طالع عبد الله عبد السلام الحداد، المرجع السابق، ص،143.

[3]- احمد فكري، مساجد القاهرة و مدارسها،" العصر الفاطمي" ط1،دار المعرف،1969،ج2، ص،25. للمزيد انظر اسامة طلعت، المرجع السابق،ص،205،

[4]- طالع عبد الله عبد السلام الحداد،" **اثر تخطيط بغداد على تخطيط المدن الاسلامية**.....ص،143.

[5]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص، 23.

مصراعين أو اكثر[1]،و تعد الأبواب من أهم العناصر المعمارية بالمباني الحربية و أضعف نقطة بها، لأنها أكثر استهدافا من العدو، ما جعل هيكلها يتصف بالضخامة و شدة الحصانة مثل أبواب مدينة المهدية بإفريقية،التي اشتملت على هذه الصفات و زادت عليها، ونالت بذلك إعجاب الجغرافي العربي ابن حوقل في قوله: " **المهدية مدينة صغيرة...، ولها سور من حجارة وله بابان ليس لهما فيما أريته من الأرض شبيه ولا نظير...**".[2]

و المدخل يعني الفتحة القائمة في سور و يعد من العناصر المعمارية، يطلق على الفتحة الذي يدخل منه إلى المنزل أو القصر أو المدينة[3]. كما يعرف المدخل أو المداخل بأنها عبارة عن فتحات عميقة مستطيلة الشكل في المسقط الافقي، عمقها يقرب من نصف عرضها، و قد بلغت علو جدران الواجهة، وربما جاوزتها ارتفاعا،وتنتهي بعقد مخصوص[4]،والباب هو المدخل في سور مدينة أو واجهة مسجد أو قصر أو جدار بيت أو بين الغرف، و قد يكون بمصراع (ضلفة)واحد أو اثنين أو أكثر[5]، و قد عرف هذا العنصر المعماري منذ القدم، نظرا لأنه يعتبر المنفذ الرئيسي إلى المبنى بعدة اشكال، ففي مصر القديمة مثلا بني على شكل منحنى، و في المباني الإسلامية تميزت بالضخامة و ارتفاع عقودها و أطرها.[6]

---

[1]- يحي وزيري، **"مقال الباب"**، موسوعة العناصر المعمارية الإسلامية، الكتاب الاول(مداخل و بوابات، ابواب و شبابيك، مشربيات خرط خشبي، ط 02 ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 2005 ، مج 01 ،ص،39.

[2]- ابو القاسم ابن الحوقل، المصدر السابق،ص،73.

[3]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص،ص،266-267.

[4]- كمال محمود كمال الجملاوي ،موسوعة الافكار الرمزية بالعمارة المصرية بعد دخول الاسلام،ط1،دار الكتب و الوثائق القومية، جمهورية مصر العربية،2009 ،ص،59.

[5]- يحي وزيري، **"مقال الباب"**.....ص،39.

[6]- عبد القادر قرمان، عمران و عمارة مدينة معسكر في العهد العثماني- دراسة اثرية، عمرانية و معمارية- اطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر ، 2،2014 - 2015 ، ص،78.

تعد الأبواب أو المداخل من الأجزاء أو من العناصر المهمة في تركيبة أسوار المدن، و تتكون المداخل عموما من العناصر الأساسية التالية نذكر؛ فتحة المدخل، ممر المدخل و باب المدخل[1]، و لقد برع القدماء ثم المسلمون في بنائها [2]، و هذه العناصر السالفة الذكر توجد غالبا بالأسوار الخارجية للمدن القديمة و الحديثة ، والأبواب غالبا ما تكون مصنوعة من الحديد والخشب، وبها غرف للأمن والمراقبة.[3]

تمثل بوابات المدن أكبر المنافذ التي تبنى على مواضع اتصال طرق المدينة الداخلية الرئيسية بخارجها، و من ثم تكون مقاساتها أكبر من مقاييس العناصر و الوحدات الأخرى التي تبنى فوق الطرق الداخلية[4]،وتشير الدراسات الأثرية أنً فكرة إنشاء الأبواب و توزيعها على أسوار المدينة أزلية، وتعود الى الفترات القديمة، حيث كانت اغلب المدن محاطة بأسوار تتخللها أبواب، يزداد عددها حسب اتساع مساحتها، ومن أشهر هذه المدن و أقدمها مدينة بابل[5]*، و كان لأبواب مدينة بابل عامة ومدن الشرق الأدنى القديم، خصوصا أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية.*[6]

---

[1]- عثمان مرفت، التحصينات القتالية و أدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر و الشام زمن الحروب الصليبية، الطبعة الاولى، دار العالم العربي ، بيروت، لبنان،2010،ص،ص،110-111.

[2]- يحي وزيري، **"مقال الباب".**.....ص،ص11 .

[3]- محمد عياش، المرجع السابق، ص، 29.

[4]- خالد عزب، فقه العمران - العمارة و المجتمع.....ص،80.

* أشارت نتائج الحفريات الاثرية التي اقيمت في الموقع الاثري غان ، ان عدد ابوابها كان يبلغ 07 ابواب و تتصل مباشرة بالطرق الرئيسية في المدينة، و تتكون هذه الابواب من دهليز على جانبه غرفة تستخدم كغرفة للحرس، و في نهاية الدهليز نجد فناء مخصص لاستقبال الزائرين و الوافدين على المدينة، و اخضاعهم للتفتيش ، وكان ثمة حراس معدين للمراقبة كانوا يتخذون اماكنهم على الجدران، و قد امتد هذا النمط من التخطيط في جميع مدن الشرق الأدنى القديم . مارغريت روثن، تاريخ بابل، ترجمة: زينة عزار و ميشال أبي فاضيل، ط2، دار عويدات للنشر، بيروت، لبنان، 1984، ص،359.

[5]- مارغريت روثن ، المرجع نفسه، ص،359.

[6]- مارغريت روثن، نفسه،ص،359. .

* أشارت نتائج الحفريات الاثرية التي اقيمت في الموقع الاثري غان ، ان عدد ابوابها كان يبلغ 07 ابواب و تتصل مباشرة بالطرق الرئيسية في المدينة، و تتكون هذه الابواب من دهليز على جانبه غرفة تستخدم كغرفة للحرس، و في نهاية الدهليز نجد فناء مخصص لاستقبال الزائرين و الوافدين على المدينة، و اخضاعهم للتفتيش ، وكان ثمة حراس معدين للمراقبة كانوا يتخذون اماكنهم على الجدران، و قد امتد هذا النمط من التخطيط في جميع مدن الشرق الأدنى القديم . مارغريت روثن، المرجع نفسه، ص،359.

تُعتبر الأبواب من العناصر الأساسية في المدن الاسلامية،لأهميتها في الاتصال بين داخل المدينة و خارجها، و تعد أبواب المدن الاسلامية الباقية المثل على البراعة في تحقيق الهدف الحربي و هدف تسهيل الحركة، و الاتصال بين طرق المدينة و خارجها[1]، و لقد كان للطرق المؤدية الى المدينة تأثيرا كبيرا في تحديد اتجاهات أبوابها، ولا أدل من مدينة بغداد التي كان بها أربعة أبوب.[2]

بالرغم من أنً البوابات تمثل نقاطا ضعيفة في الأسوار، إلا أنها أخذت مقاييس تتوافق و حركة الاتصال و سهولته، التي اكدت عليها الاحكام الفقهية الإسلامية، و عولج الضعف بتخطيط حربي ناضج يمكن من الدفاع عن هذه البوابات، و ضرب أي عدو يصل إليها فأحاطت بها الابراج و زودت بالسقاطات، وجاء تخطيطها المتدرج من الاتساع إلى أعلى الضيق، ثم الاتساع، وإجبار العدو على الانعطاف يسارا فيها، و تكرار هذا الانعطاف في بعض الأبواب أكثر من مرة، من بين الحيل التي أثًرت على تخطيط الطريق عبر هذه الابواب و اتخاذ هذه الهيئة، لكنه في النهاية كان يكفل المرور السهل.[3]

تعد الأبواب أو المداخل جزء مهم من أسوار المدن، فهي وسيلة الاتصال بين داخل و خارج المدينة، و تتكون المداخل من العناصر التالية: فتحة المدخل و ممر المدخل و باب المدخل[4] و برج المسلمون فيها[5]، و قد تحدًث عن أهمية هذه المداخل و الأبواب عدد كبير من المؤرخين والجغرافيين منهم القزويني، الذي جعل تتعدد فتح

---

[1]- خالد عزب، فقه العمران - العمارة و المجتمع.....ص،80.

[2]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق،ص،100.

[3]- خالد عزب، فقه العمران - العمارة و المجتمع.....ص،ص،80-81.

[4]- عثمان مرفت، المرجع السابق،ص،ص،110-111.

[5]- يحي وزيري، **"مقال الباب"**.....ص11 .

الأبواب ضرورة حتى لا يتزاحم الناس في الدخول والخروج من باب واحد، بل يدخل المرء و يخرج من أقرب الأبواب إليه.[1]

يشير جورج مارسي أنّه كان لمداخل المدن و على طول الاسوار أبوابا، لعبت دورا دفاعيا مصفحة بالحديد و الخشب لمقاومة ضربات العدو، اذا ما استطاع الوصول اليها وهو اسلوب شاع استخدامه في جل أبواب المدن الاسلامية، كما كانت هذه الأبواب و المداخل في أسوار المدن و العمائر والمدن و العمائر المختلفة خاصة الحربية منها، أضعف النقاط في المبنى حيث يمكن اقتحام المبنى أو المدينة منها فتنبه المهندسون المسلمون ذلك فاهتموا بتحصينها بأساليب وابتكارات معمارية مختلفة، ولعل أهم ابتكار معماري هو استخدام المداخل [2]، و قد أطلق عليها المؤرخون العرب اسم" الباشورة[3]"، فالمدخل المنكسر يعيق هجوم الفرسان و يمنع دخولهم بسهولة في اندفاعهم مرة واحدة، و من أبرز أمثلتها ما يطلق علي « **الأبواب ذات المرافق** »[4]. و تعتبر هذه الأبواب من الأمثلة المبتكرة عند المرابطون*، و قد اختلفت عن نظام تخطيط أبواب المدن البيزنطية، ذات العقدين المتقابلين اللذين يفتح أحدهما إلى داخل المدينة و الآخر إلى خارجها . فهذه الأبواب المبتكرة تجعل الممر الواصل بين فتحتي الباب منحنيا زاوية منكسرة قائمة في شكل« المرفق».[5]

---

[1]- القزويني ، المصدر السابق، ص8

[2]- George Marcais ,L'Art de l'Islam, Volume I, Librairie Larousse,France,Paris,1946, p,223.

[3]- فريد الشافعي، فريد الشافعي، العمارة الاسلامية في مصر الاسلامية،..... ص،191.

[4]- محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص،129.

* عبد العزيز السيد سالم، بحوث إسلامية.....القسم الثاني، ص،604. انظر ايضا: بيج بريتون، المرجع السابق،ص، ص، 46-47، عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص.144 . انظر ايضا George Marçais, L'Architecture Musulmane D'occident…..p,p,290-291.

[5]- محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص،129.

يمتاز هذا التخطيط بأنه يضع العراقيل و العقبات وراء انحناء الممر أمام المهاجمين. و قد عقد الموحدون هذا النظام ، إذ أنشؤوا أبوابا ذات مرفقين، أخرى ذات ثلاثة مرافق الممرات الواقعة بين مداخل الأبواب و مخارجها، حتى يساعد ذلك المدافعين على قذف المهاجمين بالنبال أو النار الإغريقية . ومن أروع الأمثلة الباقية "باب أغناو "بسور مراكش عام 541هـ- 558هـ/ 1146م- 1162م، وباب الرواح بسور الرباط الفاتح الذي يلتوي الطريق بمدخله إلتواءات أربعة، باب قصبة رباط الفتح عام 558هـ-595هـ/1162م-1198م وأبواب فاس منها باب السمارين وباب السبع، وباب أقدال.[1]

لقد وجد هذا النوع من المداخل في الحضارات القديمة، وفي هذا السياق يشير الشافعي الى أقدم مثل صحيح للباشورة يوجد في شونة الزبيب و يرجع الى العصر الفرعوني و يؤرخ بين سنتي 2625 و 1788 ق.م ، و لكن كما يقول الشافعي " لا نملك ما يساعدنا على القول، بأن الفكرة ابتكار إسلامي لا شك فيه، أو أنها غير اسلامية". إلا أن أقدم نماذج لها في العمارة الاسلامية، تعود الى الفترة العباسية و بالتحديد في القرن الثاني للهجرة الموافق للقرن الثامن الميلادي، بمدينة بغداد عاصمة الدولة العباسية.*[2]

و الهدف من التخطيط المنكسر في المداخل الحربية؛ منع اندفاع المهاجرين بسرعة مقارنة بالممرات المباشرة، التي توفر انسيابية سريعة لهم، كما تعززت بتطوير مخططها بالإكثار من الانكسارات بالمدخل الواحدة، و بالزيادة في عدد المنافذ به،

---

[1]-محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص،ص،129-130. انظر ايضا George Marcais, L'Art de L'Islam…p,223…

[2]- فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الاسلامية، المجلد الاول- عصر الولاة.....ص،191.

* للمزيد اكثر عن هذا الموضوع انظر فريد الشافعي، المرجع نفسه، ص،ص،191- 192.

لإرباك العدو في حالة تمكنه من اختراق فتحة الباب و بالتالي إحباطه نفسيا لعصوبة تحديد المنفذ الحقيقي ما يؤثر سلبا على مؤهلاته القتالية.[1]

كان للمداخل أبواب صفّحت مصاريعها بالحديد لمقاومة ضربات العدو، إذا ما استطاع الوصول إليها وهو أسلوب شاع استخدامه في جل أبواب المدن الإسلامية، و من الأمثلة؛ أبواب المهدية و القاهرة وغيرهما[2]، و قد يختلف عدد أبواب المدن من مدينة لأخرى حسب أبو القاسم الزياني ، حيث كانت لمدينة تاهرت عاصمة بني رستم بالمغرب الأوسط أربعة أبواب، ولمدينة العباسية الأغلبية بإفريقيا وتلمسان الزيانية خمسة أبواب، ولمدينة ورقلة سبعة أبواب، وبالعاصمة الفاطمية القاهرة ثمانية أبواب...الخ، وقد جاءت هذه الظاهرة المعمارية تجنبا لازدحام الناس عند الدخول والخروج، إضافة إلى ما في ذلك من يسر بتقريبها إلى ساكنيها.[3]

نشير إلى أنً المدن الاسلامية قد أُحيطت هي الاخرى كمثيلاتها القديمة، بسور او بأسوار لضرورة أمنية تتخلله أبواب، واختلف عدد ابوابها حسب موقعها الجغرافي والطبوغرافي، ليصل انتشارها الى أغلب المدن الاسبانية كمدينة طليطلة مثلا. [4]

تأثرت أبواب المدن بالمغرب الأوسط من حيث توزيعها و عددها، بالموقع الجغرافي للمدينة و الذي كان له أثر كبير في عملية بناء أبواب المدن بالمغرب الأوسط، وكيفية توزيع هذه الأخيرة على مستوى الأسوار من جهة، وتحديد عددها من جهة اخرى، إضافة الى الجانب السياسي، الذي كان هو الآخر له دور كبير في

---

[1]- محفوظ بوطبة، **" العناصر المعمارية الدفاعية بالعمارة العسكرية الاسلامية"**، مجلة الدراسات الاثرية، مجلد 16، العدد 01،ص،190.

[2]- محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص،128.

[3]- محفوظ بوطبة، **" العناصر المعمارية الدفاعية بالعمارة العسكرية الاسلامية**."....ص، 190.

[4]- مارغريت روثن، المرجع السابق، ص،359.

ذلك*. و كانت أبواب أسوار المدن مرتفعة، بحيث يمكن للفارس أن يلجها على ظهر فرسه، و يحمل العلم أو الراية أو الرمح الطويل، دون أن يميل و تأخذ هذه الأبواب أسماء مشهورة، ففي كل مدينة أبواب معروفة المكان و الاسم، وترتبط بها غالبا أحداثا تاريخية.[1]

الفيصل:

يعتبر الفيصل من الإجراءات الدفاعية التي أشارت كتب فقه العمران الاسلامي، إلى ضرورة توفيرها في تخطيط المدن الاسلامية[2]، و لقد ظلت هذه الإجراءات ثابتة بالرغم من التقدم الحاصل في الترسانة الحربية، وتغير الظرف الزماني و المكاني و نظام الحاكم للدول الاسلامية إلى غاية الحكم العثماني.[3]

و يعد الفيصل نوع من المساحات – الفراغات– الخالية من البناء و حتى الغطاء النباتي و خاصة الأشجار، بمحاذاة الأسوار من الداخل و الخارج، و ذلك لتسهيل مهمة المدافعين عن المدينة في حرية الحركة و التزود بالمؤن و المعدات، و لرصد الاعداء من الخارج بشكل جيد و حماية الرعية ايضا.[4]

يمكن أن يتخذ الفيصل كإجراء معماري ضمن الخطط الدفاعية للقوات المرابطة بداخل المدينة، في حالة اجتياز العدو لأسوارها الخارجية، حيث يعتبر

---

* للاطلاع على ذلك اكثر انظر كل من مارغريت روثن، المرجع نفسه، ص،359. و موشموش محمد، المرجع السابق،ص، ص، 359 - 360.

[1]- بيدي محمد، المرجع السابق، ص، 164.

[2]- مصطفى بن حموش، فقه العمران الاسلامي من خلال الارشيف العثماني الجزائري،ط1،دار البحوث للدراسات الاسلامية، دبي ،2000،ص،ص،109-110.

[3]- محفوظ بوطبة، اطلس العمارة العسكرية.....ص،92.

[4]- محفوظ بوطبة، المرجع نفسه، ص،92.

مجالا ملائما لتشتيت القوات الغازية، و بالتالي زعزعة التكتيك الحربي لها، ما يسهل من القضاء عليها، و قد سبق اعتماد هذا النمط من طرف الدولة العباسية في مدينة الزوراء.[1]

ممشى السور:

يُعرِّف اسامة طلعت الممشى او ممشى الشور انه عبارة عن ممر او مساحة مكشوفة مربعة او مستطيلة او دائرية تعلو الاسوار و الاواج و الثكنات ، مخصصا لمرور الجند من مكان الى اخر اثناء حراسة المدينة و المراقبة و الدفاع عنها، و كذلك يمثل عنصر ربط و توصيل بين أواج السور.[2]

إنَّ ممر أو ممرات السور، أو كما اصطلح تسميته في العمارة العسكرية بممشى السور، عنصرا مهما في العمارة الدفاعية، ولقد اتضح من خلال الدراسات التاريخية و الاثرية حسب رشيد بورويبة، تعدد التسميات التي اطلقت على الممشى منها مطاف الحراس[3]، و ممر الحراس[4]، و درب العسة ".[5]

و ممشى السور عبارة عن مساحة مكشوفة أو ممر استطراق، تربط بين أواج السور، و يتخللها سلالم تؤدي إلى حجرات الرماية[6]، وهو جزء من سمك السور،

---

[1]- محفوظ بوطبة، نفسه، ص،92.

[2]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد ،الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد .....ص،215.

[3]- رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ – العهد الاسلامي من الفتح الى بداية العهد العثماني- ج3،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص،495.

[4]- محمد بن حمو،" **التحصينات العسكرية لمدينة هنين**"، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، اعمال الملتقى الدولي – النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني 27/26 نوفمبر 2014،العدد 05 ،الجزء الثاني، عدد خاص ،السنة، 2014، ص،62.

[5]- وليام و جورج مارسي، المعالم الاثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم و ترجمة، مراد بلعيد و آخرون،ط1، الاصالة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص، 139.

[6]- خالد زغب، اسوار و قلعة صلاح الدين.....ص،25.

ويتوقف عرضه على مدى اتساع عمق السور أو تناقصه، و اتساعه عامل مستحب كونه يضمن التجمع عند اية نقطة معرضة لهجوم الأعداء في أسرع وقت، وبأكثر عدد ممكن من المدافعين. كما يساعد الممشى بصفة عامة على مراقبة محيط المدينة بتغطية المساحات المحصورة بين نقاط الدفاع الثابتة من السور خلال عمليات المناوبة.[1]

عرفت اليمن في عمارتها الحربية الممشى و ذلك قبل الاسلام، كما في سور مدينة الدريب، و في العمارة الاسلامية وُجد في أسوار العديد من المدن و القلاع اليمنية كما في أسوار صنعاء، والذي كان متّسعا بحيث يمكن أن يمشي عليه فارسان بخيلهما بجوار بعضهما، و في أسوار صعدة التي بنيت سنة 920هـ/1514م، و في العديد من العمائر الحربية خارج اليمن كما في أسوار القاهرة الفاطمية، وكان عرض الممشى فيها يسمح بمرور فارسين باتجاهين متضادين، و كذلك في أسوارها الأيوبية و في أسوار قلعة الجبل التي يبلغ عرض الممشى فيها 90.1م [2]، ومرات الأسوار متسعة، تسهل انتقال الجنود بين أرواج المباني سواء الأسوار أو القلاع و اجزائها، خاصة في المباني العثمانية كالقلاع مثلا، وانتقل هذا التأثير إلى دول المشرق العربي خاصة في المدن المصرية كقلعة الجبل في القاهرة مثلا.[3]

حائط الممشى (الجدار الساتر):

---

[1]- محفوظ بوطبة، " **العناصر المعمارية الدفاعية**".....ص،193.

[2]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد ،الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها.....ص،ص،350-351.

[3]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع الاسبق،ص،97.

يصف خالد عزب أنً الجدار الساتر أو حائط الممشى، هو ذلك الحائط الذي يعلو الواجهات الخارجية و الجانبية أمام ممشى السور، الذي يعلو الثكنات أو الاواج أو الابواب أو بدن السور فيما بين الاواج[1]، و يكون متوجا بعدد من الشرفات، و يعرف الجدار الساتر في العمارة اليمنية قبل الاسلام باسم " معذار"، و يعني جزءا من جدار أو حاجز مبني بالحجارة، و جمعها معاذير، و يقصد بها الستور بلغة اليمن، وهي الحواجز التي تعلو الأسوار، والمعذار في اللهجة المحلية حاليا في كثير من المناطق الجنوبية و الغربية من اليمن، يقصد به الشرفة البارزة عن الجدار او الظلة التي يُستظل تحتها من حر الشمس، و لذلك يطلق على ظل الشرفة او الجدار او الشجرة " عِذْر" و" معذار"، لذلك يُرجِّح أنً مصطلح معذار في اللغة اليمنية القديمة يُقصد به الشرفة عن مستوى الجدار، و التي تستر بظلها الناس من حر الشمس فهي ستور، ومنها اشتق لفظ الجدار الساتر الذي يعلو الأسوار لأنه يستر الجند المارين في الممشى أثناء الحراسة، و الدفاع عن أعين العدو و يقيهم هجماتهم.[2]

تتمثل الوظيفة الأساسية للجدار الساتر، في حماية مستعملي الممشى خلال تنقلاتهم بين أجزاء السور أو كساتر يحتمون وراءه،عند التصويب من فتحات الرماية[3].ويرتبط بالجدار الساتر بالممشى، وحسب الدكتور خالد زعب هو ارتباط عضوي، إذ أنً الأول و نقصد به الجدار هو الذي يحمي الممشى، والمكون من ممر استطراق أو مساحة مكشوفة تربط بين أواج السور.[4]

---

[1]- خالد عزب، اسوار و قلعة صلاح الدين.....ص،25.

[2]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد ،الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها.....ص،ص،551-552.

[3]- محفوظ بوطبة، " **العناصر المعمارية الدفاعية**".....ص،194.

[4]- خالد عزب، اسوار و قلعة صلاح الدين.....ص،25.

الشرفات:

الشرافة جمع شرافات وهي مثلثات تُبنى متقاربة، في أعلى القصر أو السور[1]، والشرافة هو عنصر زخرفي حيث أنً وضيفتها في بداية نشأتها كانت تعلو الجدران و أسوار المدن و الحصون و القلاع، و كانت جدرانها ذات سمك كبير بحيث تسمح للجنود أن تدافع من فوق سطوحها[2]والشرفة وجمعها الشرفات هي وحدات هندسية متكررة [3]، والشرًافة هي ما يوضع على أعالي القصور و المساجد وغيرها في العصر المملوكي، و يستخدم هذا المصطلح غالبا بصيغة الجمع شرف و شرفات و شراريف ، و يقصد بها الوحدات الزخرفية التي توضع بجوار بعضها عند نهاية الشيء أو حافته، و تكون من الحجر أو الطوب أعلى العمائر مثل السور أو البرج، أو من الخشب أعلى باب المنبر، أو من المعدن المصفح للأبواب.[4]

يصفها حسن مؤنس بأنها وحدات زخرفية من الطوب أو الحجر او الخشب، توضع متراصة على حافة السقف كأنها اطار اعلى[5]، و قد توًجت بها واجهات العمائر الاسلامية، و هي ذات اشكال هندسية مسننة أو نباتية مورقة، و هذه الأخيرة الأكثر شيوعا و استخداما. و كان الجزء المفرغ منها بمثابة شرافة ثانية متداخلة في الاولى. أما الشرفات الهندسية المسننة فكانت قاعدتها أعرض من قمتها من أجل متانة تثبيتها لأن وضيفتها كانت حربية، حيث تقوم في أعلى الحصون و

---

[1]- محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين (الرابع عشر- العشرين) المجلد 1، دار الفكر، بيروت،ص،379.

[2]- سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة و الفنون في دولة الاسلام، منشاة المعارف ، الاسكندرية ، مصر،2004 ، ص ، 220.

[3]- عبد السلام أحمد نظيف، دراسات في العمارة الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1988،ص،74.

[4]- عبد السلام احمد نظيف، المرجع السابق،ص،74.

[5]- حسن مؤنس، مساجد الاسلام.....ص،127.

الأسوار بعمل المزغلة التي تمكن الجند من رؤية الأعداء و تسديد الرماح ، كما تحميهم في نفس الوقت من سهام العدو.[1]

الشرافة أصلها ايراني و كانت توضع كعنصر زخرفي في تيجان الملوك، وقد اقتبسها المسلمون و تفننوا في اشكالها[2]، فظهرت الشرافات المسننة أعلى واجهات عمائرهم الدينية مرتبطة بفكرة التحصين والدفاع، لأن في الأمصار التي فتحوها كانت بمثابة أربطة و حصونا للدفاع عن المدن الاسلامية الجديدة، فكان أول ظهور لها في العمارة الاسلامية في بداية القرن 2هـ/8م، في بوابة قصر الحير الشرقي في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وفي مصر بأسوار جامع ابن طولون، و كانت عبارة عن عرائس مفرغة في الوسط. أما الشرفات المورقة فكان أقدم مثال عنها في العمارة المملوكية، وتطورت أشكالها لتنتقل من العمارة الحربية إلى العمارة المدنية لتسوية أعلى المباني، فصارت عنصرا زخرفيا متوجًا للواجهات البنائية أو الجصية أو الخشبية.[3]

حسب يحي وزيري؛ فإنً الشرفات قد تكون درجاتها صغيرة و متعددة، وتعمل على هيئةزهرات الليلق أو اللوتس، أوعلى شكل مثلثات، لكن العرة في تواصها وتواليها على نسق واحد بطول واجهات المبنى[4]، كما يطلق عليها العامة تسمية العرائس، لأنها في بعض الأحيان تشبه أشكالا آدمية تجريدية تتلاصق أيديها و أرجلها.[5]

---

[1]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص،161.

[2]- حسن مؤنس، مساجد الاسلام.....ص،127.

[3]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص،162.

[4]- حسن مؤنس، مساجد الاسلام.....ص،127.

[5]- يحي وزيري، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية ، الكتاب الاول ، مكتبة مدبولي ،ط1،1999،القاهرة، 127.

ظهر هذا العنصر المعماري الدفاعي لأول مرة في العمارة الميزوبوتامية، في قصر صارجون بمدينة خورصباد بالعراق عام 722- 705 ق.م[1]، في حين انتشرت في الحضارة المصرية ذات النهاية المقوسة في شكل نصف دائرة، و انتقلت الشرافات المسننة إلى الساسانيين و استخدموها في عمائرهم العسكرية خاصة[2]، حيث ظهرت هذه الشرافات المسننة في طاق كسرى ببلاد الفرس في أواخر القرن السادس الميلادي[3]، ومنه ثم طوروها فبعد أن كانت ذات زوايا قائمة في شكل أفقي أصبحت مائلة و ذات زوايا حادة، ومنهم انتقلت إلى العمارة البيزنطية[4]،ومنه الى العمارة الاسلامية، فلم يكن من الغريب أن تظهر في العمائر الحربية، و انتقل هذا النوع من العناصر المعمارية من الشرق إلى شمال افريقيا و الاندلس.[5]*

ورث الموحدون بناء هذه الشرفات و استخدموها في منشاتهم الحربية، خاصة في أسوارها ومداخلها سواء في المغرب أو في الأندلس، ومن الأمثلة نذكر الشرفات الموجودة في أعلى أسوار و أبراج رباط الفتح وفاس،و لكن لسوء الحظ أنً أغلبها حسب الدكتور مصطفى سالم قد اندثرت، ومن دون شك أنً تلك الشرافات كانت تستخدم لوظيفة عسكرية خاصة،كما أنها وجدت في جدران الأبراج، وفي

---

[1]- احمد عبد الله المعطي، المرجع السابق،، ص،85.

[2]- فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر.....ص، ص، 181-214. انظر ايضا دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني- دراسة عمرانية اثرية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية،ج1،معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2009-2010،ص،643.

[3]- احمد عبد الله المعطي، المرجع السابق، ص،85.

[4]- فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر.....ص،ص،181-214. انظر ايضا دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.....ص،643.

* يذكر سعد زغلول ان بهذه المدن كانت تنزل الحاميات الاسلامية ، و من هنا اخذت تلك المدن شكل المعسكرات او الاربطة ، و لما كانت مساجد الامصار الاولى مرتبطة بالحاميات العربية في تلك البلاد فإنها كانت ذات طبيعة حربية. سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق، ص،ص،220-222.

[5]- سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع نفسه،ص،ص،220-222.

المداخل حيث كان الجند و الحرس يراقبون تحركات العدو، من خلالها كما كانت تسمح لهم بتسديد السهام، وفي نفس الوق كانت توفِّر لهم الحماية اللازمة من سهام العدو.[1]

مع مرور الوقت أصبحت الشرفات المسننة عنصرا زخرفيا لا غنى عنه، لجميع أنواع العمارة الاسلامية من جوامع، قصور، مدارس، خانقوات و سبل و أضرحة، و قلاع وغيرها، فكأنها أصبحت سمة لا غنى عنها من سماتها المميزة، و ظلت مستخدمة في مختلف المناطق الاسلامية حتى غاية العصر العثماني.[2] و سنتوسع في الموضوع لاحقا.*

السقاطة:

لعنصر السقاطات **Machicoulis** أهمية كبيرة في إدراجها ضمن عناصر البناء الاخرى و من أهم العناصر الدفاعية، فقد استخدمت للحماية و الدفاع في آن واحد، و السقاطة لغة معنى سقط (س ق ط): سقط الشيء من يده من باب دخل و أسقطَهُ هو و المَسْقَط بوزن المقعد السقوط وهو الفعل مسقطة للإنسان من أعين الناس بوزن المتربة، والمسْقِطُ بوزن المجلس الموضع يقال هذا مسقط راسه أي

---

[1]- مصطفى سالم، المرجع السابق،ص،ص،338-339.

[2]-سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص،222. أنظر ايضا دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.....ص، 644.

* و لا باس ان تكون الشرفات المسننة هي التي تطورت في القصور و المنازل الى ما يعرف في المصطلح الحديث باسم " المشربية" و هي الشرفة المغطاة بعد ان صارت المكان المفضل لتبريد ماء الشرب في القلل، وهي التحريف اصلا لكلمة " المشرفية " من الاشراف التي اصبحت تتخذ من الخشب المخروط و المخرم، و التي صارت وضيفتها تمكين اهل الدين من النظر و الإشراف على ما يجرى تحتهم سواء في الطريق العام او في داخل القصر او الدار ، دون ان تمكت الاخرين ممن هم موضع النظر و الأمن رؤيتهم ، و خاصة بالنسبة للحريم منهم. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع الاسبق،ص،222.

حيث وُلِد، وساقَطَهُ اي أسقطه. قال الخليل يقال سَقَطَ الولد من بطن أمه و لا يُقال وقع و سُقِط في يده اي ندم، و السقاطة اي مكان إسقاط الشيء.[1]

و السقاطة بتشديد السين وضمها،العثرة و الزلة و السقاط و السقاطة بتشديد السين و ضمها، ما يسقط من الشيء، والسقاطة بتشديد السين و القاف و ضم أولهما و فتح ثانيهما، اداة تثبيت خلف الباب من أعلا لإحكام إغلاقه.[2]

أما السقاطة من الناحية الاصطلاحية؛ هي عنصر معماري يرد في العمارة العسكرية، وهو عبارة عن فتحة دفاعية تُمكن المُدافع من إلقاء مواد كاوية كالزيت أو الزفت أو الماء المغلي، من خلال فتحاتها على المهاجمين أثناء وجودهم تحت الأسوار مباشرة، بالإضافة الى تسديد السهام[3]. و السقاطة عنصر معماري عبارة عن شرفة بارزة في سور مدينة، أو قلعة او برج، بغرض دفاعي و تحصيني، حيث تقام اعلى المداخل و تزود بفتحة في أرضيتها، تلقى منها السهام و المواد الحارقة و الأحجار في حالات الحصار و تقدم المهاجمين[4]،و السقاطة في المصطلح العلمي هي عبارة عن مزلاج، يقفل به الباب بغير مفتاح(**Latch**)، وكان من المعتاد أن تعمل على هيئة قطعة حديدية مستطيلة، تثبت بارزة عن وجه مصراع الباب المتحرك من الداخل، و يمكن تحريكها من الخارج بواسطة حبل أو خيط، يتم رفع

---

[1]- الرازي زين الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الحنفي،(تـ 666هـ)، مختار الصحاح ، تحقيق يوسف الشيخ محمد ، ط5، جزء 1 ،المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا، 1420هـ- 1999، ص،142.

[2]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص، 141.

[3]- ثويني على، معجم عمارة الشعوب الاسلامية،ط1،بيت الحكمة، بغداد2005،ص،1404.

[4]- محمود رمضان، المرجع السابق، ص،113.

عند الفتح و إزاله عند الغلق، فيسقط الطرف البارز في قلب حديدة أخرى ثابتة في المصراع الثابت للباب.[1]

أما السقاطة في المصطلح الاثري، فهي عبارة عن شرفة بارزة أي تبرز عن وجه جدران الأسوار أو فوق بوابة قلعة أو حصن او مدينة، و تحاط بالبناء أو البلاطات، وتحملها كوابل بارزة، وأرضية الشرفة مفرغة بحيث يسهل على المدافعين أن يشرفوا على المهاجمين الذين يحاولون اقتحام الباب، في حالة الحرب او الحصار العسكري أسفل السقاطة، فيسقطون على رؤوسهم الأحجار و السهام و المواد الحارقة، كالزيت المغلي و نحوه، و كثيرا ما كانت تعمل- بالإضافة إلى أعالي البوابات- في الأماكن التي كانت عرضة للهجوم أكثر من غيرها في الأسوار[2]، و في بعض الأحيان تستخدم هذه السقاطات كمراحيض، و ذلك عند وضعها في أماكن ليس فيها ابواب تدافع عنها.*[3]

و السقاطات عبارة عن بناء عن سمت من أعلى في أرضيته " فتحات"، يمكن منها إسقاط الزيت المغلي و الحمم و الضرب بالسهام، لمن يتجرأ على الوصول الى هذه المنطقة، و يتمكن من الالتصاق بالسور. و الجدير بالذكر أنً استحداث هذا النوع من العناصر المعمارية الدفاعية في العمارة العسكرية،راجع إلى الضعف في النظام

---

[1]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص، 141.

[2]- فريد الشافعي، العمارة الاسلامية في مصر الاسلامية،ج1.....ص،146 .انظر ايضا عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص، 141.

[3]- فريد الشافعي، العمارة الاسلامية في مصر الاسلامية، ج1.....ص،146.

*اشار الدكتور فريد الشافعي الى وجود فرق بين السقاطات التي تنشا على ابواب الحصون و القلاع للدفاع عنها، وبين التي تنشا في اماكن ليس فيها ابواب تدافع عنها، فيكون غرض الاولى دفاعيا، اما الثانية فتستخدم مراحيض للمبنى فيكون غرضها انشائي. فريد الشافعي، المرجع نفسه،ص،ص،195-416.

الدفاعي المعماري، بسبب الزيادة في ارتفاع سمك الأسوار، و في هذا السياق يذكر محمد عبد الستار قائلا:" **طور استخدام هذه الفكرة في الجزء العلوي من البوابات التي تفتح في الاسوار، و مكنت هذه الفتحات الافقية من ضرب حواف اساس السور عموديا تماما او في اتجاه مواز للسور. و بذلك تمكن المدافعون من ان يمنعوا اقتراب العدو من الحصن، و لما كان الرماة من داخل هذه البروزات التي تشتمل على الساقطات لم يستطيعوا الاشراف على زوايا منفرجة، و نظرا لضرورة عمل أرضيات و جدران سميكة لا يمكن فتح ثقوب واسعة فيها، كان لا بد من البحث عن طريقة تمكن المدافعين من تطهير حافة الأساس بإلقاء المقذوفات عليهم جميعا.....".**[1]

يصف ثويني السقاطة بأنها عبارة عن أكشاك صغيرة، تبرز عن السطح الخارجي للجدران أو الأسوار*، وتوضع في الطوابق العليا للبناء، و تحتوي على عدد من الفتحات في الجهة السفلية، و تسمى(الكوى) ومفردها(الكوة)وهو الحيز المتشكل بين الطنف التي مفردها (طنفة)، التي تحمي الجدار الأمامي لحجرة السقاطة، و يغطي القسم العلوي من السقاطة قطع حجرية مائلة نحو الخارج للحماية و تصريف المياه و الثلوج.[2]

والسقاطة تكون أيضا كشرفة بارزة في برج القلعة تصب منها الزيوت، كما تسمى ايضا بمزاغل السهام **Mâchicoulis**وهي فتحات إطلاق السهام في القلاع[3]. كما

---

[1]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق،ص،ص،125-126.

* تشير قبيلة فارس ان هذا النوع من العناصر المعمارية، عبارة عن فتحات بأعلى الاسوار او البوابات، يستخدمها المدافعون في القاء المواد الحارقة و الاحجار و السهام على كل من يحاول اقتحامها.

[2]- ثويني على، معجم عمارة الشعوب الاسلامية ، دار حوران للطباعة و النشر،د.ب،2005.، ص،404.

[3]- زياد السلامين، معجم المصطلحات الاثارية المصور(انجليزي- عربي)، دار ناشري، الامارات العربية المتحدة، 2012، ص،157.

تأتي السقاطات أيضا على شكل شقوق راسية، وهي توجد في سقف الباب غير بارزة، و قد توجد في أرضية الممرات الداخلية بالأسوار، كعنصر معماري دفاعي غير ملاحظ.[1]

تعود الأصول الأولى لبناء السقاطات إلى ما قبل الاسلام، ويعتبر كريزويل هذا العنصر المعماري الدفاعي عنصرا عربيا أي من صنع العرب، لانتشار هذا النوع في أقدم العمائر القديمة بشمال بلاد النهرين و في سوريا*[2]، وهذا يناقض رأي بريجز الذي يعتبره عنصر اقتبسه العرب من العمارة المسيحية[3]، أما أقدم مثال للأغراض الدفاعية موجودة في دير قيتا، التي تبدو و كأنها حصن مراقبة منعزل، تاريخه يعود الى سنة 551 م ، و لا تزال ثلاثة طوابق منه قائمة.[4]

انتشر استعمالها في العصرين الاموي و العباسي[5]،و أقدم الامثلة الباقية في العمارة الاسلامية المبكرة؛ سقاطات تعود للفترة الاموية، موجودة فوق مداخل القصور المشيدة في مناطق نائية و التي هي عرضة للهجمات، كقصري الحير الشرقي و الغربي، و قصر هشام شرق مدينة تدمر[6]، كما وجدت في قلاع الشام و مصر و منها قلعة عجلون و العقبة و الأزرق و الكرك و دمشق وحلب.*[7]

---

[1]- محمود رمضان، المرجع السابق، ص، 114.

[2]- كيبل ارشيبلد تشارلس كرزيزويل، الاثار الاسلامية الاولى.....ص،169.

[3]- بريجز مارتن، فن العمارة – تراث الاسلام، ج2،اشراف السر توماس ارنولد، تعريبو تعليق،جرجيس فتح الله، المطبعة العصرية ، الموصل،1954، ص،ص،500-501

[4]- سيماء عطاء الله حسين،" **السقاطات**"، مجلة اوروك ، العدد الاول، المجلد العاشر، العراق،2017،ص،365.

[5]- فريد الشافعي، العمارة الاسلامية في مصر الاسلامية.....ص،274.

[6]- اسامة طلعت، المرجع السابق، ص،233..

[7]- فريد الشافعي، العمارة الاسلامية في مصر الاسلامية،.....ص،ص،193- 274. انظر ايضا طالع عبد الله عبد السلام الحداد، المرجع السابق ،ص ،233..

تشير سماء عطا الله حسين أنً السقاطات تبدو من الداخل كحجرات صغيرة، ترتفع عن منسوب الصالة او الممر بعلو درجة أو أكثر، و نجد بداخلها مصطبة و حقيقتها امتداد لجدار المبنى الأساسي، ولهذه المصطبة مهمتان: فالأولى؛ حماية المدافع من خطر الانزلاق نحو الكوة، و ثانيا؛ الارتكاز عليها لتسديد السهام أو اسناد القدور التي تحتوي على السوائل الحارقة، و قد كانت هذه الحجرات مفتوحة أحيانا. و انطلاقا من هذا يمكن تحديد وضائف هذا النوع من العناصر الدفاعية، فالأولى؛ استخدمت للدفاع و الحماية ، فأما الدفاع؛ فعن طريق وجودها على المداخل، يتم اسقاط المواد الحارقة و الزيوت على كل من يحاول اجتياز المدخل (مدخل القلعة او الحصن)، من الأعداء عن طريق الفتحات الأفقية الموجودة في بنائها، و الثانية استخدمت لرمي السهام على الاعداء عن طريق فتحاتها العمودية، و للحماية؛ لحماية المدافع من مرامي الأعداء بواسطة بنائها، الذي هو عبارة عن شرفة تبرز عن وجه الجدار الأمامي من الخارج، و تحاط بالبناء تحملها كوابل أو مساند بارزة، تكون أشبه بصندوق كبير.[1]

- المزاغل:

* حسب فريد الشافعي هناك نوعين السقاطات؛ سقاطات بارزة، و هي عبارة عن شرفة تبرز عن جدار السور او البرج او الباب محمولة على كوابل تفتح بينها السقاطات في ارضية الشرفة، سقاطات مغيبة، و هي عبارة عن فتحات راسية تقع في بطن عقد الباب من الخارج و في سقوف الطوابق العليا للممرات الداخلية بالأسوار، و يتميز هذا النوع بعدم امكانية مشاهدته من خارج الاسوار، و قد وجد هذا النوع في العمارة الاسلامية المبكرة في مداخل قصر الاخيضر (161هـ /778 م)، و أرضية الممرات الداخلية بالجزء الاعلى من السور الخارجي للقصر ،و استخدم هذا النوع من السقاطات ايضا في ابواب القاهرة الفاطمية ومنها باب النصر و باب الفتوح و باب زويلة 480هـ- 485 هـ/1087-1092 م. نجدها ايضا مشكلة من خمس فتحات محصورة بين عقدي الباب اعلى المدخل مباشرة، كما هو الحال بالنسبة لباب التوفيق و كذا ابواب قلعة الجبل و كذا سقاطة الباب المدرج (579هـ /1183 م). انظر فريد الشافعي، العمارة الاسلامية في مصر الاسلامية،.....ص،195. و كذا أسامة طلعت، المرجع السابق، ص،233.

[1]- سيماء عطاء الله حسين،" **السقاطات**"، مجلة اوروك ، العدد الاول، المجلد العاشر، العراق،2017.

زعل الماء من القربة(بفتح الزاي و الغين) خرج دقيقا، وزغل الصبي أمه رضعها، و الزغل (بفتحتين) الغش، و الزغلة ما يمج من الفم دفقا، و الزغ (بفتح الميم وستكون الزاي،التقطع من الغضب و الزغة(بضم الميم وسكون الزاي)، القطعة من اللحم أو الشحم أو نحوهما، والجرعة من الماء، والزغة (بكسر الميم و سكون الزاي)القطعة من القطن أو الريش أو نحوهما.[1]

الزغل بهذا اللفظ لم يرد لها تعريف في اللغة العربية، لكنها ترد بلفظ الرامي[2]، في حين يعرف في اللغة اليمنية القديمة باسم "صوبت"،و قد تكون مشتقة من كلمة صوب في اللغة العربية،وتعنى الاتجاه بالشيء نحو الهدف كقوله صوب السهم أو البندقية،أي وجهه نحو الهدف و استعد لإطلاقه، في حين في العمارة الحربية في الاردن باسم الطلاقة و جمعها طلقات.[3]

و الزغل في المصطلح الأثري المعماري، فتحة ضيقة في سور المدينة أو القلعة أو الحصن أو البرج او البوابة، تطلق منها الرماح وسهام و غيرها من المقذوفات على المهاجمين، كما تستخدم في نفس الوقت منفذا للتهوية و الإضافة و المراقبة، وقد اعتاد الفنان المسلم أن يجعلها ضيقة من الخارج، و متسعة من الداخل لتمكين المكلف بالحراسة فيها من قذف رماحه و سهامه على المهاجمين لها، في سهولة و يسر. و لعل أقدم ما وجد من هذه الزغاغل طبقا لما أشار إليه كريزويل، هو ما عثر عليه في حصن ساساني قديم على نهر بلخ يسمى شاهلبورج **Chahilburj** *

---

[1]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص، 277.

[2]- طالع عبد الله عبد السلام الحداد، " **اثر تخطيط بغداد على تخطيط المدن الاسلامية**.....،ص،146..

[3]- طالع عبد الله عبد السلام الحداد، المرجع نفسه، ص،146.

*حسب كريزويل من خلال عاصم محمد رزق، كان حصن شاهلبورج عبارة عن بناء شبه معزول بشرف على الطريق المؤدي إلى مجرى الغدير، يتكون من ثلاث صفوف من الجدران، بها أبراج على مسافات بينية ضيقة بنيت مداميكها العلوية بقوالب ضخمة من

و المزاغل هي فتحات رمي العدو بالسهام أو النشاب، و توجد بالأسوار و الأبراج للدفاع عنها وقت الهجوم، و تتكون من شقوق رأسية ضيقة من الخارج و متسعة من الداخل لتسهيل حركة المدافعين بداخلها.[1]

أقدم نماذج المزاغل في عمائر ما قبل الاسلام، موجودة في كل من سوريا و العراق و ايران[2]، أما المزاغل الحجرية فإن أقدم نماذجها تعود إلى سنة 492 ق.م، في برج سوري قديم عثر على التاريخ المشار إليه، منقوشا على العتب الذي يعلو مدخله.*[3]

انتقل استعمال المزاغل الى العمارة الاسلامية،لا سيما عمارة الحصون و القلاع والاسوار[4]، حيث ظهرت المزاغل في بعض المآذن العراقية التي ترجع إلى القرن 6هـ/12م مثل مئذنة أبي هريرة و المسجد الجامع، وانتهى من ذلك إلى أنً المزغل أو شق السهام- سماه هو عنصر غربي إسلامي مبكر مبتكر، ضيفة من الأمام ومتسعة من الخلف(الداخل)،حتى تعطي للمدافعين حرية حركة الدفاع دون أن تعطي الفرصة للمهاجمين، يصوبًوا أسلحتهم إلى المدافعين من خلفها[5]، و من أمثلتها نذكر المزاغل التي وُجدت أسوار مدينة القاهرة و بواباتها، مثل باب النصر و

الطوب، بينما بنيت مداميكها السفلية من الحجر و الطمي. وقد وجدت في هذا الحصن ثلاثة صفوف من المزاغل في برج لا يزال قائما على جزء من التل . عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص،278.

[1]- محمود رمضان، المرجع السابق، ص،114.

[2]- محمد الجهيني، اطلالة على العمارة الحربية .....ص،35. للاطلاع أنظر أحمد فكري، المرجع السابق،ص،ص،21-28.

[3]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص،278.

* اعترض الدكتور فريد الشافعي على هذا الراي و لا سيما فيما يتعلق بمزاغل الاخيضر و اشار الى انها ليست ذات فائدة دفاعية ، و لم يقتصد منها سوى الزخرفة فقط. كما استوقف نظره في رأي كريزويل أنه أعاد هذا العنصر المعماري الاسلامي إلى أصول ساسانية في بقايا اثر فارسي ، ثم تحديد عنصره بغير دراسة او تحقيق. عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص،278.

[4]- عاصم محمد رزق، المرجع نفسه،ص،278.

[5]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص،278.

بوابتي الفتوح و الزويلة[1]، كما استعملت أيضا في قلاع الشام و في أسوار مدينة القدس حيث نجدها في أبراج قلعة دمشق، و في قلعة حصن الاكراد، وكذلك ظهرت المزاغل في قلاع العصر المملوكي، كما في قلعة قايتباى بالإسكندرية.[2]

و الملاحظ أنها استخدمت في غرب العالم الاسلامي في الطوابق العلوية بأبراج سور مدينة سوسة 254هـ/829م، كما تواجدت هذه النوعية من المزاغل أيضا في أسوار القاهرة الفاطمية سنة 480 هـ- 485هـ/1087-1092م، واحتفظت حاليا العمارة الدفاعية الاسلامية في شبه جزيرة قطر بالمزاغل الحجرية المستطيلة بالقلاع الباقية.[3]*

احتوت العمائر الحربية عموما على ثلاثة أنواع من المزاغل؛ منها من المزاغل المفردة و تتكون من فتحة مربعة أو مستطيلة الشكل مباشرة او مائلة متوجة بعقد صغير منكسر، والمزاغل المزدوجة و تتكون من فتحتي مزغل تقعان داخل فتحة معقودة، وقد تكون الفتحتان مباشرتان أو مائلتان[4]، وهناك المزاغل المتسعة التي تسمح بحركة الأسلحة الضخمة، وخاصة المدافع بعد اختراعها، و من الأمثلة مزاغل أسوار صلاح الدين بالقاهرة، ومزاغل أبراج قلعة الجبل و أسوارها، و التي تعد تطورا للمزاغل المستطيلة في أسوار القاهرة الفاطمية من حيث الشكل و

---

[1]- محمد الجهيني، اطلالة على العمارة الحربية.....ص،35. للاطلاع انظر احمد فكري، المرجع السابق،ص،ص،21-28.

[2]- محمد الجهيني، اطلالة على العمارة الحربية.....ص،ص،35-36.

*من القلاع الباقية في شبه جزيرة قطر نذكر قلعة اركيات (1214هـ/1799م)،قلعة الثغب(1231هـ/1815م).محمود رمضان، المرجع السابق،ص115.

[3]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد ،الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها.....ص،357. محمود رمضان، المرجع السابق، ص،114.

[4]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد ،المرجع نفسه،ص،ص،357-361.

الوظيفة[1].أما المزاغل ذات شقوق طولية؛ تفتح عادة في الجدار أو الساتر لممرات الاسوار، كذلك في الجدار الساتر للطوابق العليا من الأبراج، وتستخدم لإطلاق النار منها على المهاجمين.[2]

اتخذت المزاغل أوضاعا مختلفة، اذ نجدها عمودية شاقولية على هيئة شق مستطيل رأسي أو مربع، و تتميز فتحتها من الخارج بالضيق، ليكون المدافع في مأمن من الإصابة الخارجية، وواسعة من الداخل لتسهيل حركة المدافعين[3]، بحيث تسمح لتربص مدافع أو أكثر بالحركة بكل سهولة، وكذا تصويب الأسلحة بدقة إلى الأعداء.[4]

من هنا يمكننا الجزم أنً الاستحكامات و العناصر الدفاعية كان لها دور في تمديد النظام الدفاعي و هذا ما سنراه في الفصول اللاحقة .

---

[1]- فريد الشافعي، العمارة الاسلامية في مصر الاسلامية.....ص،ص،146-274.

[2]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع السابق،ص،95.

[3]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع نفسه، ص،95. انظر ايضا احمد قاسم الجمعة،" **الاستعدادات العسكرية و الاستحكامات الدفاعية**".....ص،84.

[4]- احمد قاسم الجمعة، المرجع نفسه.

الفصل الخامس

الدراسة الوصفية

أولا: اسوار مليانة

ثانيا: برج الأنابود بشرشال

ثالثا: برج القليعة بمدينة القليعة

رابعا: برج المصلى بالمدية

الدراسة الوصفية :

ركزنا في هذا البحث العلمي الأثري على بقايا أو شواهد أو بالأحرى معالم أثرية ميزت النظام او الخزام الدفاعي في الجزائر خلال العهد العثماني، ما زال قائمة إلى يومنا هذا و من النماذج؛ برجين يمثلان النظام الدفاعي بدار السلطان وهما برجي الأنابود بمدينة شرشال و تومبوروخ بمدينة القليعة والسور الواقع في مدينة مليانة، بالإضافة الى برج بمقاطعة بايلك التيطري وهو برج المصلى بالمدية .

بعد الزيارات الميدانية المتكررة على أماكن وجود هذه العينات أو النماذج في وصف لها وصفا خارجيا و داخليا ، مع أخذ صور لها بالإضافة إلى الرفع الأثري لها، من خلاله تم انجاز المخططات و المقاطع تخص مختلف المعالم المدروسة، لتبيين التفاصيل الجزئية لكل معلم.

قبل الخوض في الدراسة الوصفية لنماذجنا الاثرية ، لا بد من التطرق الى الجانب التاريخي لكل مدينة بشكل مختصر، لتحديد مواقع المعالم المدروسة، بدءا بمدينة مليانة باعتبارها المدينة التي تظم أهم استحكام دفاعي كان له الدور الكبير في صد هجمات العدو وهو السور. لتليها كل من القليعة، شرشال و المدية التي ضمت النوع الثاني من التحصينات الدفاعية و هو البرج .

مدينة مليانة:

مدينة مليانة* المعروفة بتحصيناتها الطبيعية بفضل موقعها الطبيعي الموجود ضمن سلسلة جبال الظهرة وتقابلها سلسلة جبال الونشريس من الجنوب، ويعتبر جبل زكار امتداد لهذه السلاسل الجبلية، حيث يتعدى إرتفاعه السبعة امتار و نصف، كما أن الطابع الجبلي يغلب على طبيعة المنطقة، وتشكل هذه الجبال مصدر للمياه في المنطقة، لأنها مصدر لمجموعة من منابع المياه، أما فيما يخص سهول المنطقة هي باتجاه الجنوب وهي عبارة تلال منحدرة، حيث تتميز هذه السهول بخصوبة عالية، ومن أهمها نذكر :سهل العناصر، سهل البرقوق، سهل الفج، سهل زقالة.[1]

تقع المدينة على خطي طول 0 درجة 37 دقائق غربا وعرض 36 درجة 18 دقيقة شرقا، تبعد عن غرب عاصمة الجزائر بـ 130 كم ،تحدها من الجهة الشمالية سلسلة جبال الظهرة،من الجهة الشرقية مدينة المدية ، من الجهة الغربية مدينة الشلف و من الناحية الجنوبية جبال الونشريس. و لها مناخ بارد شتاء وحار صيفا، وهي كثيرة المياه، مماً جعلها دائمة الاخضرار.[2] **الخريطة (15))**

لكن بالرغم من ذلك الموقع التحصيني الذي تميزت به مدينة مليانة، إلا أن هذا الأخير لم يمنع من إقامة أسوار حولها لتحقيق غاية الأمن تحقيقا سليما، اذ أحيطت بأسوار شامخة في كل جوانبها من خلال زيارتنا التفقدية للمنطقة.

---

*حسب الحاج صديق فإن مدينة مليانة كانت تشتمل على مساحة حدودها شرقا ، جنوبا و غربا ، من سهول متيجة و شلف. انظر محمد الحاج صديق، مليانة ووليها سيدي احمد بن يوسف- دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر- ، ديوان المطبوعات الجامعية- بن عكنون - الجزائر، 1989،ص،31.

[1]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، دار البصائر، الجزائر، 2009،ص، أنظر ايضا Lantri ElFoul Miliana la mémoire, Ed, Casbah, Alger, S.D.p,46.

[2]- مولاي بلحميسي، " **مدينة مليانة عبر العصور**" ، مجلة الأصالة، العدد 8،الجزائر،1972، ص، 140.

رغم أن كتب الرحالة والجغرافيين العرب لم تذكر شيئا عن تحصينات المدينة في الفترة المتقدمة من تاريخ المغرب الإسلامي، إلاّ أن المؤكد أنها جمعت بين الحصانة الطبيعية و المعمارية، ونظرا لموقعها الهام باعتبارها مفتاحا إلى داخل البلاد، سارع الأتراك إلى ضمّها إلى أملاكهم بداية القرن 16 م، قبل أن تصبح على عهد الأمير عبد القادر مقر للمقاطعة الثالثة و حصنا من حصون الخط الدفاعي الثاني، وبها كان مصنع المدافع بالناحية الشرقية منها ، وقد كان على رأسها "السيد محي الدين الصغير"، ولما تُوفي خلفه عليها " السيد محمد بن علال القليعي".

تعتبر مدينة مليانة من المدن العريقة التي شهدت حضارة عريقة بسبب موقعها الاستراتيجي جعلها تحتل مكانة هامة عبر العصور، وهذا لتوفر جميع الشروط الاساسية الواجب اتباعها في تخطيط المدن،عذوبة الماء[1]، الشرط الأساسي في اختيار مواقع المدن[2]، اعتدال المكان وجودة الهواء وسعة الماء والقرب من المرعى والاحتطاب وتوفر الغذاء. و ذكر ابن زرع شروطا أساسية و مهمة لإنشاء المدن وهي:" **النهر الجاري، المحراث الطيب، المحطب القريب السور الحصين، والسلطان إذ به صلاح حالها وأمن سبلهاوكف جبابرتها**.....".[3]

حسب ديسانج جهان(**Desanges Jehan**) و بلين القديم (**L'Ancien Pline**) من خلال مصدق ربى، فإن مدينة مليانة (**Zucchabar**) قد تأسست في مكان محصن طبيعيا[4]، أسفل جبل زكار، فكانت تشرف على فضاءات واسعة و تتمتع بثروة

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون.....ص،322.

[2]- عبد القادر قرمان، المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني – دراسة اثرية- رسالة الماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2006-2007،ص،3.

[3]- ابن أبي زرع ، المصدر السابق،ص،200.

[4]- مصدق ربى، مصدق ربى، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب من خلال النصوص الادبية الاغريقية و اللاتينية، مذكرة ماجيستير في التاريخ القديم" تاريخ الحضارات القديمة"، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2009-2010،ص،102.

مائية، من نهر جار لم ينفد إلا في السنوات الأخيرة[1]، و كان إقليمها يمتد باتجاه الجنوب و الغرب، و يشتمل على أراضي خصبة بحوض الشلف[2]، محاطة بسور تتخلله أبراج ومداخل اندثرت، ولم يبقى إلا السور المحاط بالمدينة من الجهة الجنوبية والشرقية والغربية، وقربها من المحطب للعيش وعين تزود أهل المدينة وبساتينهم بالماء[3]، وهذا دليل على أنً مدينة مليانة قد توفرت على تأسيسها الشروط التي ذكرها ابن زرع سابقا[4]، مما أهلًها للاضطلاع بدور تكميلي في مراقبة الاتصالات التي كانت تجريها قيصرية و محيطها الغربي.[5]

أما عن تسمية المدينة؛ فقد اختلف المؤرخون القدماء حول أصول تسمية مدينة مليانة، و تذكر الآداب الرومانية القديمة حسب محمد حاج صادق،المؤيدة بالحفريات التي أجريت أثناء القرن 13هـ/19م، مدينتين هما مانليانا **Manliana** و زوقبار **Zucchabar**.[6*]

في دليل المسافر لأنتونا **Itinéraire d'Autonnin**، ورد اسم مليانة **Malliana**، و في جغرافية بطليموس **Géographie de Ptolémée** الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، ورد اسمها بصيغة منليانة **Manliana**، و هذه التسمية

---

[1]- إبراهيم نغلي، " **تاريخ مدينة مليانة من خلال الكتابات التاريخية** " ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ج/قسم العلوم الاجتماعية العدد 20- جوان 2018، ص،117.

[2]- مصدق ربى، المرجع السابق، ص،102.

[3]- إبراهيم نغلي، المرجع السابق، ص،117.

[4]- إبراهيم نغلي، المرجع نفسه.

[5]- مصدق ربى، المرجع السابق، ص،102.

[6]- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص، 20.

* للمزيد عن أصل التسمية أنظر كل من محمد الحاج صادق، المرجع نفسه، ص، ص، 20-22. و Stéphane Gsell, Atlas Archéologique de l'Algerie,2eme Edition ,Alger,1977,Feuille XIII,N° 70

André Eugène Bloch, Etude sur le non de Miliana, Bulletin d'Archéologie Algérienne, T VI, 1957-1976, Société Nationale d'Edition et de Diffusion , Alger,1980,p, 170.

المتشابهة حسب الحاج صادق توحي بأصل لاتيني لاسم مليانة[1]، لكن هذا الإسم يطلق أيضا على فرع من قبيلة بربرية في ناحية بني هندل جنوب الاصنام تسمى فرقة المحالي بأحد القصور الموجودة بتوات على حد قول باسي روني **René Basset** في دراسته بعنوان " **دراسة لزناتة وانشريس و المغرب الاوسط**" [2]، و على هذا فإن اسم مليانة من البربرية دون ان نعرف له معنى.[3]

نشير إلى أن عبد الرحمن الجيلالي يذكر أن أحد العارفين من سكان المنطقة يدّعي أن مليانة من **ملآنة** لما في الناحية من خيرات[4] ،كما سميت مدينة مليانة من قبل المؤرخ الاسباني مارمول باسم مليان **Miliane** و قال أنها كانت تسمى قديما مغنانة **Magnana** .[5]

استنادا لما ذكر فان إسم ماليانة او منيانة هو إسم مستعمرة أي ضيعة، كبيرة في حوز زوكابار التي هي حاضرة، غير أنّ زوكابار أو سوقبار علَم لم يسمع به الجغرافيون و الرحالة لا من عرب و لا من أوروبيين ،وهم الذين سجّلوا اسم مليانة ابتداء من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في التأليف. و قيل أنّ زوكبار أُبيدت أثناء القرن السادس الميلادي بسبب الفتن و الثورات ، فضاع اسمها معها. [6]

إن الحفريات التي أجريت بالمنطقة، والآثار التي لا تزال قائمة لحد الآن، تدل و بشاهدة قاطعة على تعاقب حضارات وحقب و مراحل مختلفة على المنطقة، من

---

[1]- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص،20.

[2]- René Basset, Etude sur la Zenâta de l'Ouarsenis et du Maghreb, Central, Paris ,1895,p,2.

[3]- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص،20.

[4]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، - لمدية- مليانة - بمناسبة عيدها الالفي ، المدية، مليانة، ط2، مطبعة ساري بدر الدين و ابنائه، الجزائر، 1972، ص،359.

[5]- مارمول كربخال،افريقياج2، المصدر السابق، ص،359.

[6]- محمد الحاج صديق، المرجع السابق،ص،21.

فترة ما قبل التاريخ مرورا بالفترة الفينيقية، الرومانية الإسلامية و العثمانية إلى غاية سقوطها في أيدي الاحتلال الفرنسي.[1] **اللوحة(21))**

لقد عاين الباحثون المختصون تأثرات بونية، في منطقة تحمل اسم زوكبار **(Zucchabar)** ، و هو الاسم الذي يكون قد أُدخل عليه لفظ فينيقي يعني كلمة سوق[2]،جعل منها اغسطس مستعمرة بين عامي 27 و 25 ق.م.

نشير من جهة أخرى أنً مختلف المصادر التاريخية أجمعت بما في ذلك الجغرافيون و المؤرخون و الرًحالة على مدينة مليانة من أصل روماني، أي أنً الرومان هم من قاموا بتأسيس مدينة مليانة[3]، على سفح جبل زكار على أنقاض مليانة القديمة و التي كانت تسمى بمنليانة **Manliana** *حسب الطبيب كاميل **Camille Rique** في كتابه "**Milianah**"[4]، و ذلك في القرن 27 قبل الميلاد على يد الإمبراطور الروماني أوكتافيوس، و كانت تسمى حينها زوكابار و اتخذ هذا الإمبراطور من المدينة حامية عسكرية نظراً لعلوها المرتفع، وتفرع طرقها إلى مناطق عديدة.[5]** **اللوحة(21))**

---

[1]- إبراهيم نغلي، المرجع السابق، ص،117.

[2]- مصدق ربى، المرجع الاسبق،ص،101.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث.....ص،296.

* للمزيد اكثر عن هذه التسمية القديمة و أصولها انظر Le Dr Camille Rique, Milianah ,Paris ,Ve Benjamin Duprat,p,p,3-5.

[4]- عباس كبير بن يوسف،" **مليانة** "،مجلة تصدرها الوكالة الوطنية للآثار و حماية المواقع و المعالم الاثرية، مطبعة – **IMPRIM FAST**، 2000، ص،2 .

** عن تاريخ مدينة مليانة من ما قبل التاريخ الى الفترة القديمة (الرومان – الواندال و البيزنطيين) انظر كل من عباس كبير بن يوسف، مليانة.....ص، ص، 2-3. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث.....ص،296. و Charles André Julien, Histoire de L'Afrique du Nord des Origines a 1830,Ed Rayot et Rivages,Paris,1994,p,p,126-210. و محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية الى سقوط موريطانيا (146 ق.م-40م)،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1985،ص،ص،132-137. و284-282 Thomas shaw,Op,Cit,p,p,. و هانريش فون مالستان، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا،ج1،تر: ابو العيد دودو، الجزائر، 1976،ص،179. و Le Brun, « Miliana »,in Rev -Afr,N°8,1964,Office Public Universitaire ,Alger,1985,p,p,426-433 . و M.M De Caussade et - Adrian Berbrugger, « Milianah », in , Rev-Af ,N°09,Annee 1865,pp,,44-56. و محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993،ص،ص، 115-116. و شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية – تونس- الجزائر- المغرب الاقصى- من البدء الى الفتح الاسلامي- 647 م ،تع: محمد ميزالي و البشير بن سلامة،ط4، الدار التونسية للنشر،1983،ص،ص،126-210.

[5]- Le Dr Camille Rique OCit,p,p,3-4.

من المؤرخين نذكر البكري في قوله"...**مدينة مليانة و هي مدينة رومية ...جددها زيري بن مناد...**"[1]، و الجغرافيين امثال ليون الافريقي في قوله: " **مدينة كبيرة جدا و قديمة ، بناها رومان و أطلقوا عليمها اسم ماكنانة ، لكن العرب حرفوا هذا الاسم...**"[2]، و كذا صاحب كتاب الاستبصار في قوله ايضا: " **و هي مدينة كبيرة من بنيان الروم جددها زيري بن مناد وفيها آثار قديمة. وهي مدينة حصينة في سفح جبل يسمىزكار... ".**[3]

و عن موقعها يقول مارمول: " **...مدينة كبيرة بناها الرومان فوق جبل مرتفع جدا على بعد اربعة عشر فرسخا من شرشال في داخل البلاد، و على بعد خمسة عشر فرسخا غربي مدينة الجزائر، جعل بطليموس موقعها عند خمسة عشرة درجة و خمسين دقيقة من خطوط الطول...".**[4]

عندما استقر بلكين* بن زيري في المغرب الذي كان في خدمة الفاطمين، عقد له المنصور بعض مدن المغرب كتيهرت وما جاورها وأشير التي تحصن بها ، فقام ابنه زيري **بأمر والده بلكين وبناء علىرغبته بإنشاء مدينة الجزائر المنسوبة إلى

---

[1]- ابي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك.....ص، 61-

[2]- حسن الوزان ،المصدر السابق، ص، 200.

[3]- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص،ص،161 -179.

[4]- مارمول كربخال،المصدر السابق،ص،ص،359-360.

* هو الامير زيري بن مناد الحميري الصنهاجي و زيري اول امراء الزيريين ، هو الذي بنى مدينة اشير و حصنها في ايام خروج اليزيد مخلد الخارجي، لما خرج عن القائم بن مهدي و علي ولده المنصور اسماعيل و ملكها، و اعطاه المنصور تاهرت و اعمالها، و كانت بينه و بين جعفر الاندلسي ضغائن و احقاد افضت الى الحرب، فلما تصافا انجلى المصاف عن قتل زيري، و ذلك سنة 360هـ، و ذكر انه كبا به الفرس ، فسقط على الارض فقتل، و كانت مدة حكمه 26 سنة. انظر كل من خديجة بورملة ،" **مدينة مليانة خلال العصر الوسيط –دراسة تاريخية من خلال كتب الجغرافيا و الرحلة** "، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية و التاريخية ،مجلد 8،عدد 1،جامعة معسكر،2017،ص،228.

** هو ابو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي و يسمى ايضا يوسف، لكن بلكين اشهر، و هو الذي استخدمه المعز بن منصور العبيدي على افريقية عند توجهه الى الديار المصرية ، وكان استخلافه سنة احدى و ستين و ثلاثمائة (361هـ)، و امر الناس بالسمع و الطاعة ، و سلم اليه البلاد، و خرجت العمال و جباة الاموال باسمه .....و لم يزل حسن السيرة ، تام النظر في مصالح دولته و رعيته الى ان توفي سنة ثلاث و سبعين. من اهم اعماله ؛ تأسيس المدن الثلاث : مدينة الجزائر(جزائر بني مزغنى) ، مدينة المدية و مدينة مليانة . انظر كل من خديجة بورملة ، المرجع السابق،ص،239. و مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم،ج2،تقديم و تصحيح محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية،2004، 161.

بني مزغنة بساحل البحر، ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من شلف ومدينة لمتونة.....وهم بطن من بطون صنهاجة.

هكذا أُعيد بناء مدينة مليانة الاسلامية خلال القرن العاشر الهجري الموافق للقرن الميلادي، و أُختُير الموقع لأسباب امنية لمراقبة الهضبة (المرتفع)[1]، فاتخذه مقرا لسكناه و جعلها من أهم و أعظم مدن المغرب الأوسط على أيام الزيريين.**[2]

بعد استلاء الاخوين عروج و خير الدين على سهول متيجة و على سلسلة الظهرة بما فيها شرشال و تنس و مليانة، سنة 923هـ/1516م، اصبحت مدينة مليانة عروس زكار في العهد العثماني تابعة لبايلك الغرب وعاصمتها مازونة، و بعد ان أُعيد تنظيم الإيالة إداريا، أصبحت مليانة تابعة لدار السلطان وتحت حكم الباشا مباشرة[3]، بعد تولية حسن ابن خير الدين منصب بايرباي[4] الجزائر، و ظل تسيير إدارة هذه المدينة على يد صاحب حاضرة الجزائر و المسمى خوج لخيل[5]*، فأصبحت مليانة إحدى المدن المهمة التابعة للخلافة العثمانية؛ بعد إدراك الأتراك العثمانيين لموقعها الاستراتيجي، بما أنها تُشرف على الطريق الذي يصل بين الجزائر ومدن بايلك الغرب مثل وهران، تلمسان ومستغانم فاسكنوا بضواحيها قبائل

---

[1]- Boukratem Oumelkheir, Pour une Méthodologie dans la revalorisation de l'Habitat ancien entre la préservation du Patrimoine et la production de l'Habitat, Cas de la ville de Miliana, Architecture et environnement ,Ecole Supérieure d'Architecture – Mémoire de Magister en ENSA-Alger,2010p,124

[2]-يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009 ،ص،101.

** للتطلع اكثر عن تاريخ مدينة مليانة في الفترة الاسلامية انظر كل من عبد الرحمن ابن خلدون،العبر، ج6.....ص،ص،171-450، و مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم ،ج2.....ص،ص،181-182..و عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1،ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384هـ/1965م ،ص،405،.و محمد الحاج صادق، المرجع السابق،ص، ص، 28-29.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن .....ص،298. أنظر أيضا مولاي بلحميسي، " مدينة مليانة عبر العصور" .....ص،146.

[4]-عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص،71.

* خوجة الخيل هو موظف سام له مؤهلات وزير المالية و سيدة ادارة ، بحيث ان نفوذه كان يفوق نفوذ باي التيطري .انظر محمد الحاج صديق، المرجع السابق،ص،31. و أنظر أيضا عزيز سامح الترر، المرجع السابق، ص، 172.

[5]- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص،31. انظر ايضا سامح الترر، المرجع السابق، ص، 172.

المخزن**[1].وفي القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي كانت مليانة تحت سلطة القائد عثمان الكردي والد محمد الكبير باي وهران ثم خلفه ابنه إبراهيم الكردي[2]، وعند ضعف السلطة العثمانية في شمال إفريقيا دخلت مليانة تحت حكم علي بن سليمان ابن عم سلطان المغرب الأقصى الذي امتد نفوذه من المغرب إلى غاية مليانة.[3] **(الخريطتين(15)،(19) ،اللوحة(21))**

أبرزت الدراسات التي اقيمت حول مدينة مليانة أنً الفترة العثمانية، هي أطول مرحلة في التخطيط و التركيب العمراني و المعماري للمدينة[4]، بعد نهاية الحكم العثماني بالمدينة، اتًخذها الأمير عبد القادر بن محيي الدين سنة 1838م، حصناً له، وأسس فيها العديد من المؤسسات العسكرية والسياسية، لكن سقطت في يد الاحتلال الفرنسي 1840 م بعد قتال عنيف من قبل أهلها بقيادة الخليفة بن علال [5]، حيث بادروا بتشويه المعالم التاريخية للمدينة، ومسخ طابعها المميز، وأدى الزحف الأوروبي العمراني على مدينة مليانة التاريخية العتيقة إلى ضياع طابعها الإسلامي. و في هذا الصدد يقول المؤرخ الحاج محمد: " **إنً ليلة استقلال الوطن كانت مدينة ملياننة صغيرة ...خططها الفرنسيون و فصلوها حسب ذوقهم و جعلوا منها حاضرة لهم على طراز مدنهم في جنوب افريقيا و لم يترددوا في أن طبًقوا عليها مسبقا قواعد التخطيط التي سنها من بعد هوصمان Haussmann فخطوا أزقتها بالخيط خطا مستقيما و جعلوها متقاطعة بزاوية مستقيمة و أحدثوا حولها**

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن .....ص،309.

** للمزيد اكثر عن تاريخ مليانة في العهد العثماني انظر كل من محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص، ص، 31-50. و عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن .....ص،ص،306-307.

[2]- عباس كبير بن يوسف، " **تاريخ التطور العمراني لمدينة مليانة** " المؤتمر العاشر للآثار العربية 15- 18 نوفمبر 1982 بتلمسان ، وزارة الثقافة، ص، 4.

[3]- إبراهيم نغلي، المرجع السابق، ص ،118. أنظر أيضا عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن .....ص،298.

[4]- Boukratem Oumelkheir,Op,Cit,,124 .

[5]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن .....ص،298.

الشوارع و غرسوا بها الساج ...و شيّدوا بنايات عمومية كدار البلدية و مدرسة تكوين المعلمات و المدرسة الابتدائية و...المستشفى...و الحديقة العمومية و سور بأسلوب فوبان Vauban عوض السور الذي خلفه الاتراك." و يواصل المؤرخ قائلا:" **هذه العملية الجراحية لم تبق إلا على قطعة من الجزء الشرقي، فيها الان بعض الازقة الملتوية منها ما هو غير نافذ و بعض الديار القديمة من نوع الموريسك...و أخيرا المسجد الوحيد مسجد سيدي أحمد بن يوسف.".**[1] **المخططين(02)،(03))+ اللوحة(21))**

اذن فلم ينج من هذا التشويه كما ذكر المؤرخ إلا جزء صغير من المدينة القديمة[2]، هذا القسم الذي يضم البعض من الآثار التي تعود الى الفترة العثمانية و هي الفترة التي تهمنا.

أولا: أسوار مليانة

تعد أسوار مدينة مليانة الشامخة من أهم المعالم الأثرية، التي تنتمي إلى الممتلكات الثقافية العقارية المادية غير المنقولة للتراث الثقافي الجزائري الباقية إلى يومنا هذا، و تعد ثروة ثقافية و حضارية للأجيال، وجزء لا يتجزأ من سجيل تراثنا المترامية الأطراف، فمنها ما تهدم و هناك ما تعرض للتخريب و شوه تماما خلال فترة الاحتلال الفرنسي ومنها ما زال الى يومنا هذا. **(اللوحة (21))**

الموقع:

[1]- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص،ص،61-62.

[2]- عباس كبير بن يوسف عباس كبير بن يوسف،" **مليانة** ".....ص،45.

يقع هذا النوع من الاستحكامات الدفاعية بمدينة مليانة* التي تعد إحدى المدن الاثرية العريقة و القديمة، إذ تمتد على طول ثلاث كيلومترات. و نصل إليها عبر الطريق الوطني رقم 4 ب الرابط بين مليانة و خميس مليانة و الطريق الرابط بين مليانة و بن علال **(الخريطة (17))**.

تمثل هذه الأسوار شاهدا أثريا، جعلها تتميز بقيمة تاريخية و أثرية مع باقي المعالم الأثرية بالمنطقة، كما تمثل هذه الأسوار من جهة أخرى منظرا طبيعيا خلابا ، فهي بمثابة شرفة تطل على كل المناطق المتواجدة بسهل التلة. اذ تطل من جهة على واد الشلف ومن جهة اخرى على منحدر ينطلق من الهضبة الى مجرى وادي الشلف.[1] **(اللوحة(21))**

من خلال زياراتنا المتعددة على المنطقة للقيام بالعمل الميداني ما لاحظناه؛ وجود العديد من المقاهي بجواره، و قد تكون قد انشئت لغرض الاستراحة و التأمل للجالسين مع عائلاتهم بالمنظر الطبيعي و الاثري للمنطقة، على حد قول بعض سكان المدينة خاصة في فترة الصيف، وهذا ما يؤكد أهمية الموقع و دوره الأثري.

تاريخ بناءها :

* مدينة مليانة تابعة لمحافظة "عين الدَّفْلى" وسط الجزائر، وتبعد عن العاصمة الجزائرية بـ 118 كلم غرباً، ومرتفعة بـ حوالي 720 متراً فوق سطح البحر . ورغم أنها منطقة جبلية إلا أنها أيضا تتوسط جبال "الوَنْشَريس" في جهتها الجنوبية وجبال "الظَّهْرة" شمالاً. الذي جعل منها منطقة استراتيجية "بامتياز" لكل الحضارات التي تعاقبت عليها.

[1]- عباس كبير بن يوسف عباس كبير بن يوسف،" **مليانة** ".....ص،9.

تعد أسوار مليانة الأثرية من أهم الاستحكامات العسكرية، و قد مر بأدوار معمارية متعددة خلال العصور التاريخية ، منذ الفترة القديمة الرومانية الى الفترة الاسلامية ، بدءا بالفترة الزيرية الى الفترة العثمانية ثم فترة الاحتلال الفرنسي، و الجدير بالذكر أن هذه الأسوار، قد لعبت دورا كبيرا في تاريخ المدينة لضمان الأمن و حمايتها ، إذ كانت الحاجز لصد هجومات و غارات العدو الذي عجز عن اقتحامه[1]، باعتباره الهدف من التأسيس بالدرجة الأولى في كل المراحل ، فإشرافها على وادي في غاية العمق، لم يمنع ذلك من بناء أسوار عالية أحاطت كل المدينة،[2] و قد صنَّف عبد الستار عثمان هذا النوع من الاستحكامات عموما من المعايير الحضارية التي تميز المدن.[3]

يحتمل أنَّ تاريخ بناء هذه الأسوار يعود الى الفترة الرومانية، باعتبار أن مدينة مليانة حسب بعض المصادر الأجنبية و العربية تشير إلى تأسيس هذه الأخيرة الى الفترة القديمة ، و عندما جاء الأتراك العثمانيون فأعادوا بناءها على أنقاض السور القديم لتحصين القصبة و المدينة ككل، عند استقرارهم بها مستعملين في ذلك مواد البناء المستعملة التي جُلبت من بعض البقايا الأثرية، التي كانت توجد بضواحي المدينة.[4] **(اللوحة(21))**

لقد وصف العديد من المؤرخين و الرحالة العرب و أجانب و كذا مهندسين و جنرالات و نقباء فرنسيين مدينة مليانة العريقة، وانطلاقا من التقارير العسكرية و كذا بعض الرسومات البيانية و المخططات، التي أنجزوها هؤلاء المهندسون العسكريون في الجيش الفرنسي خلال فترة الاحتلال الفرنسي، تمكنا من معرفة

---

[1]- عباس كبير بن يوسف " **مليانة** ".....ص،9.

[2]- عباس كبير بن يوسف، المرجع نفسه.

[3]- محمد عبد الستار عثمان ، المرجع السابق، ص، 125.

[4]- Boukratem OumelkheirOp,Cit,,p,124

معطيات و خصائص النسيج العمراني للمدينة عامة خلال فترة الحكم العثماني[1]، بالإضافة إلى أسوارها و هي موضوع بحثنا ، و يبدو من الصعب إعادة تصور المخطط الذي كانت عليه مدينة مليانة، في الفترة الرومانية و الإسلامية ، و كل ما ورد في أخبار الرحالة و الجغرافيين، كان مجرد وصفا عام دون إعطاء تفاصيل دقيقة حول مظاهر المدينة منذ نشأتها[2]، و نؤكد على النظام الدفاعي لهذه المدينة خاصة الأسوار باعتباره موضوع البحث ، فقلة المصادر و المراجع عربية كانت أم اجنبية صعّبت تحليل هذا النوع من الاستحكامات.

فمن الرحالة العرب و المسلمين نذكر على سبيل المثال البكري الذي وصف المدينة و في وصفه لها أشار الى ان المدينة رومانية ، بها مباني رومانية بما في ذلك سور روماني اثناء زيارته للمنطقة[3]،ويليه الجغرافي الحسن بن محمد الوزان الفاسي الذي قام بزيارة المدينة في القرن السادس عشر الميلادي، واصفا أسوارها قائلا: "...**مدينة كبيرة جدا و قديمة بناها الرومان... تقع على قمة جبل وهو على أربعين ميلا من البحر اي شرشال و الجبل الذي بنيت عليه المدينة تتفجر منه عيون كثيرة و تكسوه غابات من شجر الجوز...و المدينة محاطة بأسوار عالية عتيقة من جهة تطل على وادي في شدة العمق، و من جهة اخرى يوجد منحدر ينطلق من الهضبة الى وادي الشلف في شدة العمق ،يُذكّرنا بموقع مدينة ناربي القريبة من روما الايطالية....**"[4]. أما كوبخال فقال عنها:" .....**مدينة كبيرة بناها الرومان فوق جبل مرتفع جدا ، على بعد أربعة عشر فرسخا من شرشال في داخل البلاد، و على بعد**

---

[1]- عباس كبير بن يوسف ،" **مليانة** ".....ص،3.

[2]- عباس كبير بن يوسف ، المرجع نفسه.

[3]- El Bekri, Description de l'Afrique Septentrionale, Traduite par Mac-Guckin ,DE SLANE, Paris, Imprimerie, Imperiale,1965,p,146.

[4]- حسن الوزان ، المصدر السابق، ص،ص،34-35.

خمسة عشر فرسخا غربي مدينة الجزائر، جعل بطليموس موقعها عند خمسة عشرة درجة و خمسين دقيقة من خطوط الطول و ثمان و عشرون درجة و خمسين دقيقة من خطوط العرض...."[1]، و يضيف قائلا:" جبالها كثيرة الينابيع و الجداول، و في كل مكان منها أشجار جوز باسقة تثمر من الجوز كميات كبيرة،لا يتوصل السكان الى قطفها كلية...و تحيط بالمدينة أسوار قديمة عالية حصينة جيدة البناء، تجاورها من إحدى الجهات صخرة عالية شديدة الانحدار يوجد في أسفلها واد عميق، في الجهة المقابلة تمتد المدينة على الجبل وبها قلعة كبيرة تشرف عليها ...، وتحيط بالمدينة بساتين شاسعة بها أحسن ما في بلاد البربر من أشجار الليمون، تنمو بها أشجار البرتقال التي تعطي ثمارا جيدة...أما بعد سقوط تلمسان بيد الأتراك، فإنً قائدهم بارباروس قد استولى على مليانة و هي إلى يومنا هذا بيد الأتراك..."[2](اللوحتين(21)،(22))

أما عن أسوار مليانة ؛ فقليل من وصفها تاريخيا و تقنيا مقارنة بالمدينة التًي اهتم بها العديد من المؤرخين و الجغرافيين، وتعد المصادر الأجنبية التي ذكرناها سابقا، الوحيدة التي تطرقت الى حالة هذا المعلم الاثري بالتفصيل من الناحية الأثرية و المعمارية، و تمثلت في تقارير فرنسية عثرنا عليها بالمكتبة الفرنسية " ما وراء البحار" و "مكتبة **Gualica** الالكترونية الفرنسية"، نذكر مصدرين أساسيين يتمثل في جريدة (**Le Moniteur Algérien**[**]) و(**Tableau de la situation.....**[***]) ، بالإضافة الى مقالات بالمجلة الافريقية.

فمن الأجانب من ذكرها، أكد أنً تاريخ الإنشاء يعود إلى الفترة الرومانية، من خلال الآثار أو البقايا الاثرية التي تم العثور عليها، بالإضافة إلى مواد البناء المستعملة

---

[1]- مرمول كربخال، المصدر السابق،ص،359.

[2]- مارمول كربخال، المصدر نفسه، ص ،360.

** هي جريدة فرنسية أصدرت في فترة الاحتلال الفرنسي.

*** جدول يمثل وضعية المؤسسات الفرنسية بالجزائر نُفّذ من قبل السلطات الفرنسية الحربية.

في تلك الفترة، و من هؤلاء نذكر فير **C. vire** و كذا أدريان بربروجر **Berbrugger** ****، ففير **C. vire** مثلا من خلال بوقواطم أم الخير أكدت ذلك قائلة:" **إن أسوار مدينة مليانة قد بُنيت على أنقاض الأسوار الرومانية** "، و يُقصد من ذلك أن أسوار مدينة مليانة التي أُنشئت في الفترة العثمانية. نضيف الى ذلك نقيب الجيش الفرنسي قوبار **Gaubert** من خلال بوقواطم أم الخير،الذي أكد أن جزء من السور الواقع بالجبهة الشمالية للمدينة تعود للفترة الرومانية و ذلك بقوله: " **سور روماني يقدَّر سمكه إلى أربعة أمتار و موجود إلى يومنا هذا بالجبهة الشمالية للمدينة**"[1]،زد على ذلك كل من بربروجر و دوكوساد **De Caussade** في وصفهما للسور، في مقال لهما في المجلة الافريقية بعنوان" **Milianah** " بأنَّ عقود قسم من هذه الاسوار ذات سمك كبير، أين شُيِّد حمام موريسكي، ويقول في هذا المجال: "...**بائكات أو بواكي عقود قسم من هذه الأسوار شديد السماكة ، و قد بُنيت بمادة الحجارة**...."، وضعت بطريقة غير منتظمة، وشُدَّت بمادة الملاط كمادة لاحمة، أما في جهاتها العلوية فوُجد صف من الآجر موضوع بطريقة مسطحة..."[2].

يعتبر **أدريان بربروجر Adrian Berbrugger** الدكتور الطبيب **شاو توماس Thomas Shaw** ، الأول الذي كتب عن المواضيع الاثرية الافريقية، و ما

**** تشير جريدة**Le Moniteur.....** إلى أنَّ بربروجر يعتبر الأمين الخاص لكلوزيل، اذ كان يصطحبه هذا الاخير في كل جولاته العسكرية، و قد جلب من خلال رحلاته حول الجزائر ،عدد كبير من المخطوطات العربية التي تعد نواة مكتبة الجزائر . انظر Le Moniteur d'Algérie de 1841-1848……,p,p,21-22.

[1]- Boukratem Oumelkheir, Op,Cit,p,205.

[2]- M.M De Caussade et Adrian Berbrugger, « Milianah », in , Rev-Af ,N°09,Annee 1865,pp,,44--56..Voir aussi De Caussade et A . Berbrugger, « Milianah », in , Rev-Af ,N°49,

كتبه عن مدينة مليانة قليل. ليليه الطبيب لوبران اكيلاس **Lebrun Aquilas** الذي تناول اثار هذه المدينة.[1]

تناول الطبيب لوبران اكيلاس *Lebrun Aquilas في ثلاث مقالات له نُشرت بعدة مجلات و جرائد موضوع مدينة مليانة و آثارها نذكر جريدة لومونيتور الجزائري "**Le Moniteur Algérien** (السنوات 1841 و 1842 ،الأرقام 14،23 ديسمبر و 11 جانفي)، بالإضافة إلى مقالات بالمجلة الافريقية (السنوات 1864 و 1865)[2]، أكد ما قاله النقيب **Gaubert** عن رومنة السور أي إرجاع فترة بناء السور الى العهد الروماني، و ذلك سنة 1840م، و في هذا السياق يصف السور قائلا:"...**إنها(المدينة) في ارتفاع 900م ، ولها من جهتي الشمال و الشرق سور هذا السور الذي يقدر سمكه الى 2.50م ، بينما ارتفاعه يقدر 07امتار بالزاوية الشمالية الشرقية.....و بقايا أبراج مربعة ناتئة منها برجان ما زال في حالة حفظ جيدة ، أما الباقي فمبني بالحجر و الملاط، و هذا الملاط صلب جدا...**".[3]

لقد أُعيد بناء هذه الأسوار و تجديدها في فترة الاحتلال الفرنسي على أنقاض السور الاسلامي و العثماني، في سنة 1843م و كذا في 1856م[4]، بعد هدم جزء كبير منها لغرض توسيع المدينة، ثم أُجريت عليها عدة تعديلات وتجديدات بعد

---

[1]- Lebrun Aquilas, « **Miliana** », in Rev-Afr,N°81964 ,Office Public Universitaires, Alger,1985,p,421.

*هو طبيب عسكري في فلق الاحتلال الفرنسي. انظر محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص،51.

[2]- Lebrun Aquilas, Op,Cit,421.

[3]- Le Moniteur Algérien, du 23 décembre –11 Janvier 1841-1842,p,8. Voir aussi Lebrun Aquilas,Op,Cit,421.

[4]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر- تاريخ الجزائر الى يومنا هذا و جغرافيتها الطبيعية و السياسية و عناصر سكانها و مدمها و نظاماتها و قوانينها و مجالسها و حالتها الاقتصادية و السياسية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ص،240.

الاحتلال الفرنسي، حيث هدم جزء كبير من السور التركي لتوسيع المدينة، ثم بنيت أسوار حديثة تكاد تنسجم و الأسوار الأصلية خاصة في الناحية الشرقية للمدينة.[1]

كما أنً أغلب المصادر السالفة الذكر، تشير و تؤكد وجود قصبة* بمدينة مليانة يعود تاريخ الانشاء الى الفترة العثمانية[2]، و اكتفى لوبران في وصفه للقصبة قائلا: «القصبة او القلعة هي مقر محصن، تشغل القسم الأعلى للمدينة و بالتحديد الجزء الجنوبي من المدينة[3]، و القصبة على شفاف صخرة وعرة في جنوب المدينة يحيط بها[4]، و يفصلها أي القصبة عن المدينة سور يحيط بها شديد السماكة و استخدم في بنائه مادة الطوب شديد الصلابة، و يحتمل أن يعود تاريخ انشائه إلى الفترة العثمانية يصل سمكه الى حوالي 2,50م،أما ارتفاعه فيبلغ 7 امتار.**[5]

حسب تقارير الإدارة الاستعمارية بالإضافة الى مقالات نُشرت في دفتر سمي بجدول وضعية " **Tableau de la situation....** "، وكذا بجريدة **Le** «

---

[1]- عباس كبير بن يوسف،" **مليانة** ".....ص،9.

* تقع القصبة بالجهة الجنوبية الشرقية للمدينة على صخرة وعرة و محيطة بسور و خندق. و هو مكان استراتيجي اتخذه الاتراك العثمانيين كمركز محصن لحماية المدينة و مراقبة مناطق سهل الشلف، و حسب جريدة Le Moniteur Algérien، فان القصبة مكان موضعها على حافة الكهف المنحدر الذي يحد المدينة من الجنوب، تمتد على طول ثمانين مترا تقريبا وتستند على جدار سميك من الرمل والكلس (أو الطين الممزوج بالحصى)، وهو جزء من جدار السور الرئيسي، و كان للقصبة مدخل و هو الباب الوحيد الذي يطل على القسم القريب من الغرب، وتفصلها عن المدينة بقايا قديمة لجدار شبيه بسور المدينة في قسميه الشمالي والغربي. بالإضافة الى مرافق منها قاعات ذات اقواس و مسجد ذات جدران سميكة و شديدة الصلابة. انظر M.A, n° 463, 14 décembre 1841, p8 ، انظر ايضا ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي لمدينتي المدية و مليانة في العهد العثماني، ط1، مطبعة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،2009،ص،ص،177-179.

[2]- ودان بوغفالة، المرجع نفسه، ص،ص،177-179.

[3]- Lebrun Aquilas Op,Cit,p,421.

[4]- محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص،51.

[5]- Lebrun Aquilas, Op,Cit, p,421.

انظر ايضا محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص،ص،51-52.

** أحدث دخول الاستعمار الفرنسي الغاشم تغييرات كبيرة على المدينة، بل وصل به الأمر الى تهديم كل ما له علاقة بالعمارة الاسلامية، وأول ما قام به حسب الجنود الفرنسيين عباس الكبير؛ شرعوا ابتداء من سنة 1842م بإعادة تهيئة مخطط المدينة، فقاموا بتدمير القصبة و تخريب المباني و المساجد و تحويلها الى ثكنات و مخازن ، كما أحدثوا ساحتين كبيرتين و شارعين متسعين أضيفا الى الشارح الرحب الذي يحيط بالمدينة على مدار الجدار، فكان أحدهما يؤدي الى باب زكار و الآخر الى باب الشلف..... أنظر كل من عباس كبير بن يوسف،" **تاريخ التطور العمراني لمدينة مليانة** ".....ص،4. عباس كبير بن يوسف،" **مليانة** ".....ص،9. و بوغفالة ودان، المرجع السابق، ص،179. و كذا محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص،،51.

«**Moniteur...**، فان لسور مليانة مدخلين ، بينما **Lebrun** في مقالاته المنشورة بنفس الجريدة و بالمجلة الافريقية يرى وجود ثلاث مداخل، و من خلالها نلج إلى المدينة، فيشير باب أو مدخل رئيسي تقع بالوسط يصل ارتفاعها الى أربعة امتار بينما عرضه يصل الى 1,85م، و هناك أيضا بابين يقعان على جانبي السور يبلغ ارتفاعهما الى 2,70 م و عرضهما الى 2,20م[1]. والملاحظ ان المسافة بين هذه الأبواب تتراوح ما بين 2.60م الى 4.60م.[2*]

تشير المصادر القديمة الى وجود ثلاثة أبواب بالسور الدفاعي خلال الفترة الرومانية؛ فالباب الشمالي منه تتجه الى الطرق الاساسية حول المدينة نحو شرشال **Iol Cesarée** و حمام ريغة **Aguae Calidae** ، و الباب الجنوبي تتجه نحو مانليانة(خميس مليانة)،أما الباب الغربي نحو أوبيدوم نوفوم**OpdiumNovum**– – (عين الدفلة)، أما الباب الشرقي فنحو أكوي كاليداي– ***Aquae Calidea***– (حمام ريغة).[3] **(الخريطة(18)،المخطط(02)، اللوحة(21))**

كان السور مجهزا بثلاثة أبواب ، أُنشئت في فترة الحكم العثماني، لكنها اندثرت و هدمت كليا بما في ذلك القصبة، وذلك في فترة الاستعمار الفرنسي، فاستحدث المستعمر بابين ، عوضت الأبواب الثلاثة التي أقامها الاتراك العثمانيون أو أبقوا

1- Le Moniteur Algérien N°14……p,3.Voir aussi Le Brun Aquilas,Op,Cit,p,429.

2- Lebrun Aquilas, Ibid,p,p,428-429.

* للمزيد عن التغييرات التي اجراها الاستعماري الفرنسي في مدينة مليانة في العمران انظر كل من Tableau de la situation Moniteur Algerien,N°463,14Dec 1840-1849…….p,p, و 1840-1842……..p,p, . و ,ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص،ص،177-181.و ودان بوغفالة، أوقاف مليانة والمدية في العهد العثماني.، دراسة في النشاط الاقتصادي و البنية الاجتماعية و الحياة الثقافية، اطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر،2006-2007، ص،ص،137-141.

3- Boukratem Oumelkheir ,Op,Cit,p,123.

عليها و ضلت قائمة الى غاية سقوط المدينة في الجيش الفرنسي، مثل بابيْ الشرق و الغرب .[1]**(الخريطتين(18)،(19) و اللوحة(21))**

و في هذا السياق تذكر وثائق الوقف الخاصة بمدينة مليانة وجود أربعة أبواب و تسْميُها ؛ هي باب الرحبة و باب الفرج و باب رياض "المزجنين" و باب السوق، غير أنه لا يمكن القول بأن هذه الأبواب كانت تقع كلها على سور المدينة ، فربما كان بعضها مجرد أبواب داخلية.[2] *(**الخريطتين(20)،(21)و اللوحة(21)**)

أهمية بناء السور :

تبرز أهمية السور كمنشأة بنائية قوية، لحماية المدينة بما في ذلك السكان من العدو و خاصة ،عندما يقل الاستقرار في المدينة، وتسود الفوضى الناتجة عن هجمات الأعداء برا و الصراع الداخلي على الحكم ، فيكون حاميا لها من أعدائها و مساعدا لحكامها على فرص الاستقرار و الأحداث السياسية...[3]،وبالتالي ليضمن لها الحماية و الأمان، التي كان لها دورا هاما في تاريخ المدينة* في صدها

---

[1]- بوغفالة ودان، أوقاف مليانة والمدية في العهد العثماني.....ص،ص،137-141.

[2]- ودان بوغفالة، المرجع نفسه، ص،ص،137-171.

* لقد شرع الجند الفرنسي ابتداء من سنة 1842م تهيئة مخطط المدينة فقاموا بتدمير القصبة و تخريب المباني و المساجد و تحويلها الى ثكنات و مخازن، كما احدث الفرنسيون ساحتين كبيرتين و شارعين متسعين أضيفا الى الشارح الرحب الذي يحيط بالمدينة على مدار الجدار، فكان احدهما يؤدي الى باب زكار و الآخر الى باب الشلف... انظر كل عباس كبير بن يوسف،" **تاريخ التطور العمراني لمدينة مليانة** "..... ص،4. بوغفالة ودان، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي لمدينتي المدية و مليانة.....ص،179.

[3]- اسماعيل بن نعمان ،" **التحصينات الدفاعية في مدن المغرب الاوسط ،مدينة تنس انموذجا** "، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، اعمال الملتقى الدولي – النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني 27/26 نوفمبر 2014،العدد 05 ،الجزء الاول، عدد خاص ،السنة، 2014، ص،ص،441-442.

* ذكرنا أغلب المصادر التاريخية سواء كانت اجنبية او عربية تشير الى ان مدينة مليانة مدينة حصينة، بمعنى انها كانت محصنة بأسوار عالية لهدف الحماية خاصة من الخطرين الخارجي و الداخلي، و تعود فكرة تحصينها الى الرومان و كان ذلك بإنشاء حامية عسكرية ما بين 27 الى 25 ق.م ، لغرض الحماية و التحصين و خاصة لمراقبة سهل الشلف محاطة بسور تتخلله ثلاثة أبواب . ونظرا لموقعها المحصن، اضطر القائد الروماني هتيودوس في سنة 375 م احتلال مدينة زوكبار لقهر ثورة الزعيم البربري فيرموس، و هذا دليل على ان المدينة كانت محصنة قبل ذلك، و يقصد هنا التحصينين الطبيعي و الميكانيكي(المعماري).أنظر ابراهيم نغلي ، المرجع السابق، ص،ص،117-120.

لهجمات و غارات العدو الذي عجز عن اقتحامه. و هكذا لعب هذا النوع من الاستحكامات دورا هاما في تاريخ المدينة لضمان الامن و حمايتها.

أما عن السور؛ نجد أنً مارسولين **A Marcellin** يفترض أنً جزء أو قطاع من السور الذي يعود تاريخ بناؤه الى الفترة الرومانية، يوجد دائما بالجهة الجنوبية للمدينة، بل يؤكد أنً هذا الجزء من أصل روماني، وقد أُنشئت بأمر من الإمبراطور هادريان **Hadrien** قائلا:"...و ما بقي...بقايا الأسوار بجهة الجهة الجنوبية، بنيت بأمر من الامبراطور هادريان، و عليها البربر ثم الأتراك و أخيرا الفرنسيين أقاموا عليها.

: «…**Ce qui reste intangible et semble indestructible, ce sont les vestiges des remparts vers le sud, édifiés par ordre de l'Empereur Hadrien est sur lesquels les Berbères, les Français superposèrent les leurs**….. » [1]

بالتالي هذا دليل على أنً الإمبراطور الروماني هادريان هو من أمر ببناء أو بتأسيس هذه الأسوار.

فيما يخص الفترة الإسلامية للمدينة، فالشيء المؤكد منه؛ أنً هذه الأخيرة قد أعيد بناءها من قبل زيري بن بلكين بن مناد من جديد، على أنقاض المدينة القديمة الرومانية، ولم تذكر المصادر التاريخية أن هذا الأمير قام بإعادة تحصينها، بل اكتفى بالبناء وربما قد يكون السور الروماني لم يهدم بعد في تلك الفترة ، او قد يكون قد رممه بعد ترميم المدينة و اعادة بنائها.

1- Boukratem Oumelkheir ,Op,Cit,p,206.

فبناء هذه الأسوار سواء في الفترة الاسلامية أو العثمانية**، قبل إنشاء أي نوعية من المنشآت بسرعة، دليل قاطع على اهتمام حكام هذه المدينة اهتماما بالغا بسرعة إنشاء هذه الأسوار، أمثال زيري بن بلكين ليليه الحكام العثمانيين بسبب توقع أي هجوم.

أما عن منشئها فلم تشير هذه المصادر و لا المراجع إلى ذلك، بل اكتفت ببنائهم لقصبة و تحويطها بأسوار و خندق فقط **(اللوحة(22))**، و ما تبقى منها – التي تعود الى الفترة العثمانية– بعض الأقسام منها فقط اليوم، حسب المختصين في مجال علم الآثار نذكر عباس الكبير التي يعود تاريخ بنائها الى الفترة العثمانية و هي بالجهة الجنوبية و الجنوبية الشرقية للمدينة. **(الخرائط (19)،(20)،(21))**

و عن فترة الاستعمار الفرنسي؛ كل هذه المصادر الأجنبية التي ذكرناها بما في ذلك المقالات و ان كانت قليلة تؤكد هي الأخرى إعادة بناء سور مليانة من طرف الجيش الفرنسي خلال فترة الاحتلال الفرنسي، و بناء اسوار اخرى بالإضافة الى المصادر الاجنبية كجريدة **لومنيتور** و **جدول حول الوضعية** ...بالإضافة الى مقالات منشورة **بالمجلة الافريقية** لكل من بربرجير، لوبران و التي تعود الى سنة 1841–1842م، بالإضافة الى مذكرات و أطروحات تقنية * في المجال المعماري، تشير إلى إعادة بناء السور على انقاض بقايا السور الروماني، وبمواد بناء المستعملة في المباني الرومانية. فما إن وطئت أقدام المستعمر الفرنسي المدينة، حتى بدأت مظاهر التغيير و الهدم على العمران و العمارة الاسلامية خاصة ابتداء من سنة 1841م سنة، نخص بالذكر الأسوار التي تم هدمها و تدميرها مع ابقاء

** ذكرنا فيما يخص الفترة العثمانية فاغلب المصادر و المراجع العربية تذكر على سبيل المثال الجغرافي حسن الوزان الفاسي، و كذا محمد الحاج صادق، بالإضافة الى المصادر الاجنبية كجريدة لومنيتور و جدول حول الوضعية.....بالإضافة إلى مقالات منشورة بالمجلة الافريقية لكل من بربرجير، لوبران و التي تعود الى سنة 1841-1842م، بالإضافة الى مذكرات و أطاريح في المجال المعماري ، تشير إلى إعادة بناء السور على أنقاض السور الروماني، و بمواد بناء مستعملة في المباني الرومانية المجودة بالمدينة في تلك الفترة عند دخول الاتراك العثمانيين المدينة و تدعيمها بسلسلة من الأبراج.

* نقصد رسائل ماجيستير في الهندسة المعمارية

بقاء البعض من أقسامها تحت إدارة المؤسسة العسكرية الفرنسية "**Génie de militaire** ". و بالتالي فإن الأسوار التي تم بناؤها في فترة الاستعمار الفرنسي من قِبل هذه المؤسسة العسكرية بالجزائر أغلبها باقية الى يومنا هذا، و في حالة جيدة باستثناء البعض منها التي تعرضت للانهيار بسبب الظواهر الطبيعية بحكم مناخ المنطقة. **(الخريطتين(20)،(21))**

أهمية المعلم و تصنيفه :

نظرا لأهمية المعلم الثقافية و التاريخية و الأثرية، تعيَّن تصنيفه بالرغم من التغييرات التي طرأت عليه في بعض عناصره الإنشائية و المعمارية، بسبب أعمال التغيير التي طرأت عليه أثناء الاحتلال الفرنسي، ثم بعد الاستقلال من قبل السكان المحليين من جهة أخرى دون أن ننسى الظواهر الطبيعية من أمطار و ثلوج ، كل هذه العوامل تسببت في جعل المعلم في وضعية سيئة جدا سنتطرق إليها لاحقا، إلا أنَّ هذا لم يمنعه من تصنيفه وطنيا من قبل الهيات المعنية و هي وزارة الثقافة.

اقتُرح للتصنيف سنة 1995م من قبل مديرية الثقافة لمدينة مليانة،لأهميته المتمثلة في المهمة الدفاعية و حفاظه على بعض عناصره المعمارية الدفاعية، وهيكله البنائي و لكن لم يُصنف، و بمقتضى القانون رقم 04/98 المؤرخ في 20 صفر عام 1419هـ/ الموافق لـ 15 جوان 1998، و بمقتضى أيضا القرار المؤرخ في 26 ذي الحجة عام 1415هـ/07 الموافق لـ مارس 1995م، و المتضمن تكوين هيئة لتصنيف الآثار و الأماكن التاريخية، وبمقتضى القرار المؤرخ في 10 جمادى الثانية عام 1418هـ/الموافق لـ 12 اكتوبر1997م و المتضمن فتح اجراءات تصنيف الاثار و المعالم التاريخية، و بمقتضى الرأي بالموافقة الصادر عن اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية، خلال الاجتماع المنعقد في دورة طارئة بتاريخ 12

سبتمبر سنة 2006 ،و المتعلق بالتسجيل في الجرد العام للممتلكات الثقافية، التي كانت موضوع فتح دعوى تصنيف قبل صدور القانون رقم 04/98 المؤرخ في 20صفر عام 1419هـ/الموافق لـ 15 جوان 1998 و المتعلق بحماية التراث الثقافي، تقرر تسجيل تطبيقا لأحكام المادة 106 من القانون رقم 04/98، بانتظام في الجرد العام للممتلكات الثقافية العقارية، الممتلكات الثقافية التي كانت موضوع قرار فتح دعوى تصنيف و تسجيل في الجرد الاضافي، من بينها الممتلك الثقافي الواقع بمدينة مليانة والمسمى أسوار مليانة، تحت رقم 34 بتاريخ 28 جوان 1995 في 2007م.

اعتمادا على هذا القرار و المؤرخ في 29 جمادى الثانية عام 1428هـ الموافق لـ14 جوان 2007 ، تم تصنيف المعلم الأثري " أسوار مليانة " وطنيا من قبل وزارة الثقافة كمعلم أثري وفق الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 60 بتاريخ 14 رمضان 1428هـ الموافق 26 سبتمبر 2007 م.**(الجدول(01))**

الدراسة الوصفية للأسوار:

قبل الخوض في الدراسة الوصفية نشير إلى أنً مدينة مليانة محصنة بأسوار، يبلغ ارتفاعها ما بين 07 الى 08 أمتار، أما سمكها فيتراوح الى ما بين 0.60 م و 02.50م، وطولها حوالي 3 كلم، بنيت بالتراب و الكتل الحجرية الضخمة من البقايا الاثرية الرومانية، ولاجتياز الأسوار يتوجب الدخول من بابين أحدهما شرقي عرف بباب زكار و الثاني غربي عرف بباب وهران، تعويضا

للأبواب* الثلاثة التي وضعها العثمانيون، و ضلت قائمة إلى أن هُدِّمت خلال فترة الاحتلال مثل باب الشرق و باب الغرب.

في دراستنا الوصفية لسور مليانة، لم نقم بدراسة كلية لهذا المعلم الأثري بالأخص أخذ مقاساتها، لصعوبة الوصول اليها بسبب لرتفاعها ، بل تناولنا بعض الشواهد أو عينات ما زال قائمة الى يومنا هذا، و التي تعود الى الفترة العثمانية باعتبار أنَّ الأغلبية منه قد تعرضت لتغييرات كبيرة خلال الاحتلال الفرنسي و الفترة الحالية.

نريد أن نشير إلى أن هذه الأجزاء و الأقسام التي ما زال باقية إلى يومنا هذا ، تتمثل في جدران لسور من الصعب علينا تحديد مقاساتها باستثناء البعض منها لصعوبة الوصول اليها من جهة، ومن جهة أخرى انحصارها في أماكن مرتفعة.

من الملاحظ أن أغلب جدران هذه الأسوار التي أمكن الوصول اليها، قد تعرضت لعملية الترميم سنة 2012م، ومعظم ما تبقى منها يعود إلى فترة الاحتلال الفرنسي، وباتصالنا بالجهات المعنية و المختصين في مجال تحديد أصلية المعلم الاثري(الأجزاء المنتمية للفترة العثمانية) خاصة، تمكنا من معرفة الأسوار الأصلية، و من هؤلاء المختصين نذكر على سبيل المثال الاستاذ عباس محمد الكبير*، أفادنا بخصوص أماكن وجود بقايا السور العثماني، و مما يؤسف له أنَّ هذا المعلم الأثري لم يبق من أسواره التي بنيت خلال هذا العهد، غير الأقسام الكائنة بالجهات الجنوبية الشرقية للمدينة و بأجزاء متقطعة ، و أن البعض من أجزائه مازالت قائمة و متماسكة؛ و تتواجد بقاياه بالجهة الجنوبية (بجهة المستشفى) و التي تعرضت

* لم يتبقى سوى ثلاثة منها حسب المصادر الشفوية، كما ذُكرت في بعض المراجع، و لقلة المصادر او بالأحرى لانعدام المصادر و المراجع التي ذكرت عددها لم نتمكن من معرفة معلومات عنها ، حتى اننا نجهل ان كان اصل بنائها تعود الى فترة الاحتلال الفرنسي، ام انها عرفت ترميمات من قبل الفرنسيين لانعدام المصادر باستثناء بعض مخططات التي تعود الى فترة الاحتلال الفرنسي.

* المدير السابق لمتحف مليانة (دار الأمير عبد القادر) هو مختص في الآثار الإسلامية في مقابلة هاتفية التي أجريناها معه.

معظمها لعملية الترميم، و سنتناولها بالشرح لاحقا. بالفعل مع زياراتنا المتكررة للمنطقة ، لهدف تعيين نماذج من السور لدراستها، تمكنا من ملاحظة بعض أجزائه في جهات مختلفة، تتراوح ما بين الناحية الجنوبية و الناحية الشرقية، أما النواحي الأخرى فقد تعرضت إلى التلف و الانهيار و الزوال كليا ، حسب ما ورد في بعض التقارير التي تعود الى الوكالة الوطنية للأثار و بعض المختصين بسبب العوامل الطبيعية كالزلازل و الامطار و الثلوج، و كذا العوامل البشرية ، و الباقي منها عرف ترميمات و اصلاحات من قبل مكتب الدراسات سنة 2012م ، في اطار الأعمال الاستعجالية لوضعيتها الحرجة و حالة الحفظ السيئة جداً بالمناطق سنتناولها مع الشرح لاحقا ،منها التي تعود الى فترة الاحتلال الفرنسي و الباقي يعود الى العهد العثماني. و من الأجزاء أو العينات ، التي تمكننا من تحديدها من السور و التي تعود للفترة العثمانية، تتمثل في أقسام أعتمدناها كنماذج للدراسة، و تتمثل في بقايا مادية واضحة، يمكن من ملاحظتها معرفة أحد الاستحكامات أو التحصينات الدفاعية، التي كانت تساهم في تحصين المدينة و حمايتها.

الدراسة الوصفية لأقسام الجدران المدروسة:

- القسم المتبقي من السور من الجهة الشرقية :

يمثل جزء هذا الجدار أحد الشواهد الاثرية الباقية من هذا المعلم الأثري اي ما تبقى من الجزام الدفاعي العسكري الذي شيد خلال الفترة العثمانية ، على حد قول الاستاذ عباس الكبير المدير السابق لمتحف مليانة ، و هو يقع بالناحية الشرقية للمدينة.

- تاريخ التأسيس:

من المحتمل أن يكون تاريخ بناء هذا السور إلى الفترة الرومانية ، ثم جاء العثمانيون و أعادوا تحصين المدينة فقاموا بإنشائه ،وهو جزء من السور الذي بني في العهد العثماني، حسب التقارير التي تعود إلى الفترة الفرنسية و كذا بعض الدراسات و الأبحاث العلمية الجامعية، علما أن أغلبيته قد تهدّم و أعيد بناءه من جديد خلال فترة الحكم الفرنسي لسبب توسيع المدينة.

وصف الجدار :

عرفت الأجزاء المتبقية من السور ترميمات عديدة على مستوى الأجزاء الشديدة الضرر.

يضم هذا الجزء أو القسم من السور المتبقي جدارين يتصلان فيما بينهما ليشكلا شكل حرف **L**.

الجدار المقابل للمقهى؛ فمن خلال ملاحظتنا لهذا الجدار، الشيء المميز هو استخدام مواد بناء محلية كالرمل و الحصى و استخدام الحجارة الكبيرة المنحوتة التي وضعت بدون ترتيب او تمييز . و الحجارة المنحوتة هي مصدرها بالتأكيد هو البنايات الرومانية، و نلمس في طريقة بناء هذين الجدارين الشكل او الطريقة المائلة الذي استخدمها البناء المحلي خلال الفترة العثمانية من كلا الجهتين، مستخدما الحجارة المنحوتة باختلاف الحجم من المتوسطة و الصغيرة ما بين 25سم و 35سم إلى 30سم طولا، أما طريقة وضع وضعها ؛فقد وضعت بطريقة غير منتظمة، و قد لحمت فيما بينها بملاط، و تتراوح مقاسات الحجارة الى ما بين 45سم طولا ×12سم عرضا.

ينتهي الجدار بصف من الأجر الأحمر وضع بطريقة أفقية ليليه مباشرة جدار من الآجر و التراب مبلّط بطبقة من الجير الأبيض، يعود الى الفترة الحالية، هو يعود الى الفترة المعاصرة المحلية، و ينتهي هذا الأخير بصفٍ من القرميد وضع بطريقة أفقية على طول الجدار.

ان ما لاحظناه هو انعدام الفتحات ، و التي تعرف في المصطلح الأثري بالمزاغل التي لا طالما وجدناها في الأسوار الاسلامية وحتى الرومانية، وربما قد يعود ذلك إلى التغييرات التي حدثت في الفترة الفرنسية، أو أنها القسم الأعلى منه ،إلى جانب ذلك الترميمات* التي مست هذه الاقسام. في إطار الأعمال الاستعجالية من قبل مكتب الدراسات سنة 2012م تحت إمرة وزارة الثقافة و الديوان، بسبب الحالة المزرية و السيئة التي أصابها.

أما الجدار الثاني فجاء مقابلا لضريح سيدي أحمد بن يوسف من الناحية الغربية و الشمالية الغربية للسور، يحده من الجهة الشمالية اي على يمينه مدخل الضريح عبارة فتحة مستطيلة الشكل بها ادمجت بها باب من دفتين من مادة الحديد،أما من الناحية الجنوبية ما يشدنا للانتباه؛ هي الفتحة المتواجدة على يسار الجدار جاءت مستطيلة الشكل، عبارة عن فتحة ثبتت على جانبيها دعامتين مستطيلتي الشكل، صُنعت من مادة الحجر، على ارتفاع الجدار الأصلي الذي يعود الى الفترة العثمانية، من خلالها نلج الى الضريح من الباب الثاني عبر سلم تصل أدراجه الى حوالي 10درجات، هذا الأخير أو السلم هو الذي يطل عليه جدارنا الذي بصدد الدراسة، وحسب التقارير الفرنسية فإن هذه الفتحة قد تكون الباب الشرقي لمدينة مليانة.

* ذكرنا أنّ الترميمات لأسوار مليانة جاءت في إطار الأعمال الاستعجالية من قبل مكتب الدراسات سنة 2012م تحت إمرة وزارة الثقافة و الديوان، بسبب الحالة المزرية و السيئة التي أصابها.

– القسم المتبقي من السور من الجهة الجنوبية :

يضم هذا القسم جدران، والتي على شكل معين، وهي تقع بالناحية الجنوبية و الجنوبية الغربية للمنطقة.

الجدار الأول :

يقع بالجهة الجنوبية للمنطقة. و الأمر الذي لاحظناه هو الترميمات التي الحقت بالسور، و تدخل هذه الترميمات ضمن الأعمال الاستعجالية التي قام بها مكتب الدراسات، بالتنسيق مع مقاولين جزائريين تحت إمرة مدير الديون تحت رعاية وزارة الثقافة، و كان ذلك سنة 2012 بسبب حالة الحفظ السيئة جدا التي كان عليها قبل الترميم ، و التي تسببت في انهيار العديد من اجزاء هذه الاسوار خاصة الجهات الشمالية و الغربية منها، من جراء العوامل الطبيعية القاسية كالأمطار و الثلوج و الرياح القوية و هذا على حد قول مدير الديوان السيد زكار عبد الوهاب.

إذن هذه العوامل كانت السبب في إلحاق الضرر الشديد لهذا المعلم الأثري، و بالرغم من الترميمات التي الحقته، إلاً أن أقسامه الباقية و غير المرممة ما زال مهددة للانهيار ، مما يتطلب اصلاحها بطريقة استعجالية. ما يميز هذا الجدار؛ أنه قليل الارتفاع.

إن ما لاحظناه في هذا النوع من الجدران؛ المزاغل التي تميز الأسوار من جهة، ومن جهة أخرى الأبراج التي اعتدنا رؤيتها في المباني لم نلمحها باستثناء برج واحد اخذناه كعينة لنوع الابراج التي تعلو الاسوار و جاء بسيط جدا و من

الاحتمال الشديد انه قد تعرض لانهيار كل عناصره المعمارية، وما تبقى منه فقط الجدران.**(اللوحة(23))**

تشير بعض الدراسات التاريخية و التقارير الفرنسية أن أغلبية هذه الأبراج قد تهدمت كما ذكرنا سابقا بسبب الظواهر الطبيعية من جهة و العوامل البشرية من جهة أخرى.

ما لاحظناه أيضا ؛ هو تثبيت في أحد جوانب الجدار و بالتحديد على مساحته الأفقية على بعد 0.20م من الجدار انطلاقا من الجهة اليسرى، قضبان حديدية عندما يبدأ ارتفاع الجدار ينخفض ، إلى أن يصل الى حوالي 15 إلى 20 سم على أرضية الرصيف، وضعت بطريقة عمودية.

أما عن الحجارة ؛فقد شدت بمادة لاحمة من نوع الملاط حديث الصنع بعد ترميم الجدار و الذي يدخل ضمن الأعمال الاستعجالية، و لون الحجر يميل الى الاصفرار، و يُحْتمل انها جُلبت من الأحجار المستخدمة في بناء السور الروماني القديم ، كما استخدم نوع آخر من الأحجار، يشبه النوع الأول لكنه اشد صلابة.

بالنسبة للجهة التي تطل أسفل المدينة فنجد أن ارتفاع الجدار يزداد كلما ازددنا تقدما نحو الأسفل، مما صعب علينا القيام بالعمل الميداني كالرفع الاثري و قياس مواد البناء و قياس الارتفاع ودراسة مواد البناء و التقنيات المستعملة في طريقة البناء، و حتى التصوير، فأكتفينا بما هو قريب .

و ما شد انتباهنا خاصة عند محاولتنا لوصف الواجهة، هو ملاحظتنا لوجود نباتات بأنواعها الفطرية و الحشائش على مساحة الواجهة في بعض المناطق منها ، بالتحديد في الجهة العلوية، هذا النوع من النباتات من أسباب تلف العناصر المعمارية لهذا المعلم الأثري فتسببت في إصابة مواد بناء هذه الأسوار، بالأخص

هذه الواجهة التي بصدد الدراسة بالتلف الشديد ، مما أفقدها بعض خواصها الكيميائية و الفزيائية منها،مما تسببت في تلف الجدار و ضرره. ومن جهة أخرى انتشار القاذورات و النفايات بسبب عمل الإنسان ، على مستوى أرضية الواجهة ، مماً أدى الى ارتفاع طبقة الردم المكونة من التراب و الصخور و القاذورات بصفة كبيرة، بدأت تتكدس مع الوقت ،لتصبح أرضية مرتفعة حتى بدت لنا كأنها هضبة جبلية نلمس فيها طابع الانحدار، و بسبب الأمطار و الثلوج المتهاطلة نمت الحشائش و النباتات و كذا أغصان الأشجار على مستوى الردم بدءا من المستوى الأعلى إلى الأسفل ، و نمو بعض الفطريات على الجدار كما ذكرنا في الاول.

بالرغم من الصعوبات تمكن من ملاحظة طريقة بناء الجدار، و الذي بُني بالحجارة المصقولة ذات الحجم الكبير ، وضعت بطريقة منتظمة شدت بملاط ذو اللون الأحمر المائل للاصفرار.

أما الجزء الأعلى من الجدار، فقد لاحضنا او استخدم فيه بعض الحصى و الحجر الكلسي، شدت بمواد لاحمة و هو الملاط ، يشبه في لونه الاسمنت فقد يكون الملاط ذو اللون الأصفر المائل للأبيض.

و ما شدً انتباهنا هو انعدام الفتحات كالمزاغل مثلا ، في الجدار السابق و قد يعود هذ السبب كما ذكرنا سابقا الى اندثار القسم العلوي من السور الذي نلمس فيه هذا النوع من الفتحات، من جهة ، ومن جهة أخرى انهيار الأواج التي تسببت في إزالتها.

يجب أن نشير الى أن الأواج التي لا تزال باقية، و الأواج المتوزعة على الاسوار، لم نعثر عليها بتاتا، باستثناء الأواج التي أشرنا إليها في هذه الدراسة. **(اللوحة(24))**

أما المزاغل فقد التقطنا لها صورا من داخل المدينة، إلاً أنه من خلال عثورنا على بعض الصور القديمة التي التقطت في السنوات 2004-2005م، حيث وجود الفتحات و المتمثلة في المزاغل و جاءت مستطيلة الشكل عددها 07 مزاغل، هذه الصور تمثل هذا الجدار قبل أن تردم بالردم على شكل هضبة. **(اللوحة(23))**

الجدار الثاني:

إن الجدار الثاني ملاصقا للجدار الأول، إذ يصل انحداره الى أقصى الجهة الغربية بدءا بهذا الأخير و الذي اتخذ الشكل الطولي على طول الطريق، ليبدأ بالانحراف، ثم يبدأ الجدار الثاني. و هو مقابل للمستشفى.

يقع بالجهة الجنوبية الغربية للمنطقة ، و لسوء الحظ لم نتمكن من القيام بالرفع الأثري لصعوبة العمل فيه في كلا الواجهتين، بني بالحجارة الكبيرة مستطيلة الشكل و قد تم الربط بيها بمادة لاحمة و هو الملاط تعطي البناء صلابة ، متانة و انسجام، و اعلى الجدار لاحضنا استخدام حجارة الدبش الكبيرة و الصغيرة و قد نمت على مساحتها نباتات.

- الجدار الثالث :

يعد أخر النماذج المدروسة في جدران هذه الأسوار، يقع هذا الجدار بالجهة الجنوبية يقابل ساحة وجدت للاستراحة و كانت تسمى سابقا باسم **la pointe des Blagueurs** في العهد الفرنسي.

توجد فتحات مستطيلة الشكل تتمثل في مزاغل ، و قد وزعت على مساحة هذا الجدار بعدد يتراوح ما بين 06 الى 10مزاغل. و معزيارتنا للمدينة حاولنا ملاحظة السور بالرغم من المسافة البعيدة لرؤية فتحات السور و تحديد اماكنها ، و تمكنا من ملاحظة هذه المزاغل.

لقد استخدمت هذه الساحة المعمدة كمكان للتنزه و الاستراحة، توزعت على جهاته صف من الأعمدة يتراوح عددها إلى ما بين 08 إلى 10 أعمدة محلية الصنع و حديثة جدا وضعت لتزيين الساحة.

بالنسبة لفتحات السور؛ تمكنا من ملاحظة طريقة توزيع المزاغل، من خلال زياراتنا الميدانية المتكررة على واجهات جدران السور، بنوعيها الطولية و المربعة تتسع من الداخل و تضيق كلما اتجهت نحو الخارج حيث تظهر على هيئة شق طولي، و لم نتمكن من عدها. **(اللوحة(23)، الخريطة (16))**

ثانيا: برج الأنابود بشرشال

يعد برج الأنابود أو البرج الأندلسي كما يسمونه السكان الاصليون لمدينة شرشال نموذجا للعمارة العسكرية وأحد المعالم الاثرية التي تعود الى الفترة العثمانية التي تزخر بها مدينة شرشال، ويعتبر من الاستحكامات الدفاعية التي ما زال قائمة الى يومنا هذا بالرغم من حالته السيئة من جهة،و فقدانه لبعض عناصره المعمارية من جهة اخرى خاصة غياب التسقيف، و ذلك بسبب الإهمال الكبير من قبل

الهيئات المعنية من جهة، و الظروف الطبيعية و التخريب البشري من جهة اخرى. حاليا هو في حالة حفظ سيئة جدا.**(اللوحة(25))**

يجول حول طوابق المبنى غموض و شكوك من حيث أصليته في البناء بالرغم من اقامته على مخطط او موضع أصلي إذ هناك من يعتقد انه يعود الى الفترة العثمانية و هناك من يرجعه الى الأندلسيين و هناك من يرى ان تاريخه يعود الى فترة الاحتلال الفرنسي.*

الموقع و تاريخ التأسيس :

يعد برج الأنابود من المعالم الأثرية أو بالأحرى من الاستحكامات الدفاعية التي كانت تميز النظام الدفاعي لمدينة شرشال، و يعود تاريخ إنشائه إلى الفترة العثمانية حسب البروفيسور كمال شناوي.*

يقع برج الأنابود في الجهة الجنوبية الغربية لمدينة شرشال، و بالضبط في الجنوب الغربي لحي عين القصيبة في حي سيدي يحي ، بموضع مرتفع عن المدينة او على ربوة تكثر فيها الحشائش، بعيدة عن ضوضاء المدينة، من خلالها يمكننا الاطلاع على البحر لمراقبته و مراقبة المدينة، و قد سمح موقعه المرتفع عن سطح البحر الى مراقبة المدينة و كذا السواحل البحرية الواسعة، من منطقة شنوة شرقا الى مدينة تنس غربا[1]، عمل على تأمينها و تحصينها جنوبيا.

*حسب ما تلقيناه من خلال إطارات المتحفين القديم و الجديد لشرشال ، بالإضافة الى اعتمادنا على مقابلة مع البروفيسور كمال شناوي . اكد فيها ان البرج يعود تاريخ بنائه الى الفترة العثمانية وذلك اعتمادا على مجموعة من خرائط المسح التي تعود الى بداية الفترة الاستعمارية حيث يتمركز فيها البرج عند الطرف الشمالي الغربي للمدينة.

* خلال الايام الدراسية التي اقيمت بالمتحف الجديد بشرشال و التي نظمن من طرف جمعية حماية تراث مدينة شرشال، و فيها ألقى البروفيسور كمال شناوي محاضرة بعنوان" " بمناسبة شهر التراث اليوم الدراسي الذي انعقد ايام 21-24 جويلية سنة 2018م ، أكّد فيها عن تاريخ البرج الذي يعود الى الفترة العثمانية و ان الأندلسيون هم من قاموا بإنشائه التي القاها.

[1]- أرشيف حصن 23، علبة رقم 02 الخاصة بالمعالم الأثرية (ملف برج الأنابود).

يحد الدرج من الجهة الشمالية الشرقية الأكاديمية العسكرية (مدرسة المشاة)، و من الجهة الشمالية الغربية المقرة الحديثة، أما من الجهة الغربية للمعلم، يحده حي المهام، و في الأخير و من الناحية الجنوبية يحده غابة سيدي يحيا.

أمًا فيما يخص تاريخ بناء الدرج، فيتخلّله الكثير من الغموض و الشكوك، لانعدام المصادر و المراجع لقلّة اهتمام الباحثين بدراسته، و لم يلق اهتمام من قبل وزارة الثقافة ولا مديريات الثقافة، و لا حتى أصحاب مكاتب الدراسات التقنية لترميمه، باستثناء بعض الدراسات التي أُقيمت في السبعينات ،عثرنا عليها بأرشيف حصن 23 الكائن بحي ساحة الشهداء بالجزائر العاصمة التابع لديوان تسيير الممتلكات الثقافية، تتمثل في بعض الملخصات لتاريخ الدرج باختصار مع تدعيمه ببعض المقاطع و المخططات للدرج، ترجح أنً الدرج يعود تاريخ بنائه الى الفترة العثمانية و الاسبانية[1]، فقط نشير إلى أنً هناك من ينسبه إلى الإسبان الذين احتلوا المدينة في سنة 1511م، وهي فكرة وليدة الاستعمار الفرنسي*، وهذا من خلال مخطط للمدينة نفذ من قبل العسكرية **GENIE MILITAIRE** ، يبين موقع المبنى و يحمل اسم درج اسباني[2]، و هناك من أرجعه الى العثمانيين، الأمر المؤكد منه أنًه قد استغل في فترة الاحتلال الفرنسي، من خلال الصورة التي رسمها الفنان " أ جوني ".[3]

عند غياب الأدلة التاريخية (مصادر و مراجع) المتعلقة بتاريخ المبنى، بالرغم من الحفريات و الأبحاث العلمية و الأثرية و التاريخية، التي أُجريت بمدينة شرشال

---

[1]- ارشيف حصن 23، شرشال العلبة 01+ 02 الخاصة بالمعالم و المواقع، العلبة 1، 2، ملف برج الانابود.

* من قبل السكان المحليين للمدينة وهذا ما استنتجناه من خلال مخطط المدينة الذي

[2]- ارشيف حصن 23، شرشال العلبة – المعالم+ المواقع، العلبة 1، 2، ملف برج الأنابود.

[3]- محفوظ بوطبة ، دراسة اثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الآثار الإسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2007-2008، ص،134.

سواء متعلقة بالفترة القديمة أمثال لوفو **Leauvau** لابورت، **Laporte** أو الفترة الإسلامية والعثمانية من قبل بربروجير و في هذه الحالة ، لا يسعنا إلاً أن نعتمد على الدراسات السابقة رغم أنًها شحيحة جدا، من حيث المعلومات، تدعيمها بالدراسات الميدانية.

أهمية الموضع و تصنيف المعلم:

نستطيع أن نصف الموقع الطبيعي الذي يقع عليه البرج ، فهذا التل تظهر روعته عن بعد، فهو على شكل ربوة أو هضبة ذات قمة مسطحة ترتفع عن المدينة و تغمرها حشائش خضراء.و الملاحظ أنً موضع هذا البرج المرتفع ساعد في تأمين و تحصين المدينة و سواحلها .

لذلك لم يكن عبثاولا تلقائيا فكرة بناء البرج في هذا المكان بالضبط، بل خطط لذلك مع مراعاة حدة الارتفاع و العلو في أعلى هضبة او تلة ،و من ثم يمكننا الجزم انه بني لهدف المراقبة.

نشير إلى أن هذا النوع من العمائر الدفاعية، التي يدخل ضمن الممتلكات الثقافية المادية غير المنقولة، التي تزخر بها مدينة شرشال، و التابعة لشرطة السواحل البحرية لمحافظة مدينة شرشال، باعتبار أنً هذا المعلم الأثري يتربع في الحيز(المحيط)، إلاً أنًه و لسوء الحظ لم يصنًف، و لم يوضع في قائمة التصنيف و لا في قائمة الجرد الاضافي من قبل الجهات المعنية، كوزارة الثقافة و مديرية الثقافة، لذلك أًهمل من قبل السلطات المعنية فلا ترميم،ولا إعادة الاعتبار بالرًغم من أهميته التاريخية و الثقافية، إلاً أنًه مؤخرًا أُدرج أو أُدخل في قائمة تصنيف الممتلكات الثقافية غير المنقولة.

وضعية البرج:

إنً وضعية البرج اليوم في حالة مزرية جدا، و تزداد سوءا يوما بعد يوم، و مازالت هذه الحالة الحرجة تزداد أكثر.

من خلال اطلاعنا على بعض الصور، بالإضافة الى بعض المخططات و المقاطع التي تعود الى نفس الفترة، عثرنا عليها بمصلحة الأرشيف بحصن23 و بعد المقارنة بين الوضعيتين القديمة و الحديثة، اتضح أنً أجزاء كبيرة منه انهارت و يعود ذلك الى العوامل الطبيعية كزلزال 05 أكتوبر 1980، إضافة إلى العوامل البشرية خاصة و أنً البرج يقع في منطقة معزولة عن كل عوامل الحماية. و من أهم الأضرار التي لحقت بالبرج و ملحقاته ، و هي وحدها تعكس الوضعية الحقيقية له، نستهلها بالجدران المحيطة بالفناء، التي انهارت منها أجزاء كبيرة منها، كما انهار سقف الطابق الأرضي،و لم يبق منه إلاً العوارض الحديدية المتصلة بالجدران، إضافة الى الركن الجنوبي الغربي من الطابق العلوي و جزء من سقفه. لنشير في الأخير إلى أنً الجدران المحيطة بالسطح قد لحقت بها أضرار كبيرة.**(اللوحة(25)**

الدراسة الوصفية للبرج:

لا زال البرج بمدينة شرشال قائما الى يومنا هذا ، بالرغم من الحالة المزرية و السيئة التي آل اليها المعلم، من جراء الخراب الذي تعرض إليه بسبب العوامل البشرية و العوامل الطبيعية، و بالرغم من فقدانه لبعض العناصر المعمارية، إلاً أنً بقاء البعض منها يؤكد انه عمارة عسكرية.

الوصف الخارجي:

يتميز برج الأنابود بتخطيطه شبه المربع، يحتوي على أربع واجهات بالرغم من انهيار قسم من جزئه العلوي، يتقدّمه في ركنه الشمالي الغربي بقايا جدار يعتبر جزء من تصميمه العام ، و كما اسلفنا سابقا يتكون من أربع واجهات و هي **الواجهة الشمالية** وهي الرئيسة، **الواجهة الشرقية**، **الواجهة الجنوبية** و **الواجهة الغربية** ، صممت بطريقة متماثلة تتخللها فتحات.**(اللوحة(25)، الشكلين (02)،(03))** أما عرض البرج فيصل الى طول ضلع البرج 07.22م من جهة الواجهة الجنوبية، و 07.28 من الواجهة الشمالية، اما من من الواجهة الشرقية فيبلغ 6.28م، بينما من الواجهة الغربية، فيصل إلى 6.25م، يتعدى ارتفاعه إلى حوالي 11 متر، اذ يتراوح الى ما بين 8.50 الى 9 امتار، أما سمك جداره من الخارج فيتراوح ما بين 0.20 م الى 0.50م، فتحت على واجهاته الأربع، فتحات مختلفة الاشكال و الاحجام، موزعة بانتظام على شكل صفوف متوازية و متقابلة من كل الواجهات، وهذا ما يسمح بمعرفة أقسام البرج.**(المخطط(04) ،الشكلين (02)،(03))**

نشير إلى أنّه بسبب تهدّم بعض العناصر المعمارية التي تميز الواجهات، بالأخص الواجهة الشمالية بشكل كبير، لم نستطيع التعرف على مداخل البرج بواجهات المبنى المؤدية الى البرج باستثناء الواجهة الشمالية ، و التي ما زال تحتفظ ببقايا فتحة مدخل يعلوها عقد هي مصمتة حاليا و قد يعود غلقها إلى فترة الاحتلال الفرنسي، و هذا ما دفعنا أن نرجّح إلى أنّها قد تكون الواجهة الرئيسية و الفتحة هي المدخل الرئيسي للبرج. **(اللوحة(26))**

إنً ما يميز هذه الواجهات؛ التماثل و التشابه في طريقة تصميمها، و طريقة توزيع العناصر المعمارية التي يطغى عليها الاسلوب التناظري و السيميتري، من نوافذ و مزاغل باختلاف الاشكال و الاحجام على مستوى كل الواجهات باستثناء الواجهة الشمالية، نظيف الى جانب ذلك عدم استخدام الفتحات الكبيرة الحجم بكثرة، كما أنً أغلب الفتحات عبارة عن مزاغل أهم ما يميزها؛ التناسب الدقيق في طريقة التوزيع، إذ نفذت بطريقة افقية على كل مستوى بمعدل 05 مزاغل و 4 فتحات في كل واجهة المبنى بالتحديد في الطابق الأول أو المستوى الثاني، باستثناء الواجهة الشمالية و هي الرئيسية نتطرق اليها عند وصف الواجهات على حدى. **(اللوحة(26))**

– الواجهة الشمالية:

قد تكون الواجهة الشمالية هي الواجهة الرئيسية، لوجود آثار المدخل الرئيسي، يقع وسط جدار هذه الواجهة. على ارتفاع 2.22م عن الأرضية الخارجية، يصل طول الواجهة إلى حوالي 7.50م، تتوزع على مساحته الجدارية مجموعة مزاغل و فتحات بمعدل مزغلين في كل جانب منه ،نفذت بطريقة طولية و ضيقة.

توجد بالزاوية اليمنى للواجهة، وبالتحديد في الزاوية الشمالية الغربية للوج فتحة مستطيلة الشكل،يصل طولها الى حوالي 1.83م ، أما عرضها فيقدر حوالي 0.80م، ترتفع حوالي 1.20م عن الأرضية الخارجية، من خلالها يمكننا الولوج داخل المبنى، وهذه الفتحة تدخل في إعمال النهب و التخريب و التلف البشري الذي سببه سكان المنطقة، للتمكن من الدخول اليه و السمر فيه.**(اللوحات (26)،(27)،(28))**

كما نلاحظ طريقة توزيع فتحات الجدار في الجهة السفلية للمبنى، وهذه الظاهرة على مستوى مساحة كل جدران الواجهات الأربع، قد شُكِّلت بطريقة يسمح بدخول الهواء و لا يسمح للرؤية، وذلك بمعدل اربع فتحات في الواجهة ،طولها لا يتعدى 0.20م، و ترتفع عن الارضية بـ1.30م، نلمح في طريقة توزيعها أسلوب التناظر و السميترية ، طبِّقت في كل الواجهات الأربع. قد يرجح ان هذا الطابق بمثابة المستوى تحت الأرضي صمم لتخزين الامتعة. **(اللوحتين(26)،(27))**

في نفس الواجهة، نلمح بروز عبارة عن كتلة بنائية يتمثل في جدار يبرز عن مساحة الواجهة بمعنى سمكه، يتراوح ما بين 0.40 الى 0.50م على بعد 4.75م من فتحة المدخل من جهتها اليسرى.

ما لفت الانتباه هو تصميم فتحة اسفل الجدار و بالضبط اسفل المدخل الرئيسي يتخللها انبوبي معدني حديث البناء ربما تكمن اهميته في صرف المياه من داخل المبنى الى الخارج نتوسع فيه لاحقا. **(اللوحتين(26)،(27)،(28)، الصورة (05))**

الواجهة الجنوبية:

تقع بالجهة الجنوبية للمبنى، يبلغ طول حوالي 7.22م، و أول ما لامحناه في هذه الواجهة عند زيارتنا الميدانية، هي وضوح المستويات عكس الواجهة السابقة، وملاحظة كيفية توزيع الفتحات و النوافذ على مستوى الواجهة، اذ نلاحظ وجود فتحات، وزعت بمعدل أربعة في الطابق الأرض أو المستوى الأول، بالإضافة الى خمسة نوافذ في المستوى الثاني أو الطابق الأول، أما في الجهة العليا من الواجهة و قد يكون المستوى الثالث أو الطابق الثاني، نلاحظ وجود نوافذين وزعتا بمعدل نوافذين في كل واجهة، و في هذه الواجهة نلمح الحالة السيئة التي آل إليها المعلم..**(اللوحتين(26)،(29))**

– الواجهة الشرقية:

تقع بالجهة الشرقية للمبنى، يصل طولها الى حوالي 6.25م ، وهي صورة مطبقة لكل واجهات المبنى باستثناء الواجهة الرئيسية، من حيث عدد المزاغل و الفتحات وطريقة توزيعها. .**(اللوحتين(26)،(30))**

– الواجهة الغربية:

تقع بالجهة الغربية للمبنى، يقدر طولها إلى حوالي 6.28م كباقي واجهات المبنى باستثناء الواجهة الرئيسية، من حيث طريقة توزيع الفتحات و المزاغل و كيفية تصميمها.

أثناء معاينتنا الميدانية بالموقع، لاحظنا كلا الواجهتين الشرقية و الغربية تتخذان نفس تصميم الواجهة الجنوبية، يبقى اختلاف بسيط في وضعية أحد المزاغل، إذ أنً هذا الأخير نلمحه في مستوى أعلى بالواجهة الجنوبية، مقارنة بوضعيته بالواجهتين المتطرفتين الغربية و الشرقية.**(اللوحة(26)،(31))**

اما الطابق العلوي و هو السطح؛ لم نلمح الضرر الذي الحق بالمبنى الذي تسبب في انهياره كليا، حتى أننا لم نعثر على عناصر المعمارية التي تشير إلى وجوده بما في ذلك سقف المبنى النهائي، مما يستدعي أعمال ترميم لحفظ و صيانة ما تبقى من أجزائه السليمة.

– الوصف الداخلي للبرج:

من خلال مشاهدتنا للواجهات، تمكنا من تحديد مستويات الدرج بالتقريب قبل الدخول إليه، ذلك من خلال التقنية التي استخدمها المعمار في توزيع الفتحات بطريقة منتظمة،و التي جاءت على شكل صفوف متوازية. فهذه الوضعية أفادتنا في تحديد طوابق المبنى المتمثلة في الطابق الأرضي و الطابق الأول و الطابق الثاني. **(اللوحة(26))**

أما الطوابق غير المندثرة فهي السطح، و الطابق السفلي (أو التحت أرضي) من خلال الفتحات بالواجهة الشمالية، تعرضنا إليها في الوصف الخارجي للمبنى، و قد تكون فرضية إلى حين القيام بحفريات مدعمة بدراسات معمقة لتوضيح إثبات ذلك.

انطلاقا من الفتحة التي وجدت بالركن الأيمن للواجهة الرئيسية،أمكننا تحديد سمك الجدار الذي يبلغ حوالي 0.60م، ترتفع عن الأرضية الخارجية بحوالي 1.20م، وتتحدد مقاستها ما بين 1.83 طولا و0.80 عرضا.**(اللوحتين (27)،(28))**

عند دخولنا الدرج ما لاحظناها ؛ التقسيم الداخلي للمبنى و احتواء هذا الاخير على ثلاث مستويات، المستوى الأول هو الطابق الارضي، المستوى الثاني وهو الطابق الأول، أما المستوى الثالث هو الطابق الثاني، لينتهي الدرج بسطح ، لم نعثر حتى على بعض عناصره المعمارية، التي تشير إليه أو تميزه عن باقي المستويات.**(المخططات (04)،(05)،(06)،(07))**

– الطابق الأرضي :

نلج من الفتحة مباشرة الى الطابق الأرضي ذو التخطيط الشبه المربع، تقدر طول ضلعه 5.09 م من الواجهة الشرقية، و 5.86م من الواجهة الغربية عرضا، بينما يصل الى 6.05 م في الواجهة الشمالية، و 6.06 في الواجهة الجنوبية من المبنى. **المخطط (05)**

نشير كما ذكرنا سابقا ، تقسيم المستوى الأول أو الطابق الأرضي إلى قسمين متماثلين يفصلهما كتلة بنائية، بالتحديد أسفل المدخل الرئيسي على بعد 0.86م من فتحة الدخول إلى المبنى ، يقابله جدار بينهما مدخل.

تبرز هذه الكتلة عن الجدار بالجهة الشمالية بحوالي 2.10م، و جاءت شبه مربعة ما بين 2.10 الى 2.20م، وما بين 2.83م و 1.84م، و يظهر بروز آخر يبرز من جدار الواجهة الجنوبية، بحوالي 1.55م، قد يكون هذا التقسيم عبارة عن غرفتين أو ثلاث كانت قبل التشويه الذي أُحدث في الرج.

بالتالي قد يكون هذا الرج في الطابق الأرضي، يحوي على ثلاث وحدات تفصلها جدران، لم يتبقى منها سوى هذه النتوءات. **(اللوحة(32))**

نلاحظ عند نهاية الطابق الأرضي، من الجهة العلوية و بداية الطابق الأول وجود مستوى فاصل اثاره واضحة الى يومنا تتمثل في صف من قطع الآجر صممت بطريقة أفقية و هي في مستوى عتبة المدخل و على ارتفاع 1.80م.

ما لا حضناه بخصوص شكل الفتحات من الداخل، فقد نفذت بطريقة مخالفة لخارجه، فهي على شكل منكسر، وقد قد يعود ذلك الى الضرورة الأمنية لقربها من الأرض، حيث تحجب على الذي بالخارج رؤية ما بداخل المبنى بالإضافة إلى منع دخول الطلقات النارية،يجعلها تصطدم بالانكسار الموجود في الفتحة، هذا من جهة، أو قد يكون لضرورة غير أمنية بل لضرورة صحية اذ تساهم في تهوية و تلطيف

المكان.**(اللوحة(33))** أما التسقيف؛ فقد انهار كلية و لم يتبقى منه سوى بعض العوارض الحديدية المثبتة بالجدران الخارجية، برزت من جدار الواجهة الشرقية للمبنى.**(اللوحة(34))**، و الملاحظ أنً السقف بُني بمادة الآجر المشوي، و قد ثُبِّت بعوارض حديدية- **IPN**- حاملة للأقبية نصف برميلية، تتخللها طبقة من الإسمنت يعود الى فترة الاحتلال الفرنسي و يسمى بالتسقيف القبوي **Plancher en Voutain**، ومن المرجح أنه قد أُعيد بالتالي من الصعب معرفة الطريقة الأصلية.

من خلال طريقة تثبيته؛ فقد يكون من نوع التسقيف ذات الاقبية النصف برميلية من الحديد وهذا النوع من التسقيف يعود الى الفترة الفرنسية و بالتالي فقد يكون قد أُعيد بناؤه في الفترة الفرنسية.

- الطابق الأول:

أُقيم مباشرة فوق الطابق الارضي و جاء مماثلا له من حيث المقاسات. **(المخطط(06))**

بخصوص شكل الفتحات او المزاغل، فقد صممت بطريقة مختلفة من الناحية الخارجية، إذ جاءت واسعة من الداخل و ضيقة من الخارج، بالإضافة إلى توحيد في الشكل و التوزيع تم ذكرها في الوصف الخارجي، و لنا وصف لهذا العنصر لاحقا. أما عن الأرضية؛ فإنها ترتفع عن أرضية الطابق حوالي 1.50م و تبعد الواحدة عن الأخرى حوالي 0.60م.

ما لفت انتباهنا؛ حلقات اسطوانية الشكل حديدية المادة ، وُجدت بواجهات المبنى داخل المبنى، بالتحديد بين المزاغل و الفتحات بين كل مزغلين في كلا الطابقين الأول و الثاني، وُضعت بطريقة عمودية طولية على طول الركن، تبعد الحلقة الواحدة عن الأخرى بحوالي 0.60م ، نجهل وضيفتها .**(اللوحة(35))**

و الجدير بالملاحظة أنً التسقيف في الطابق الأرضي، لم يبق من آثاره سوى عارضة حديدية و اثار لثقب عديدة في نفس مستوى العارضة، يرجًح أن تكون أماكن تموضع العوارض الحديدية.**(الصورة(06))**

أما بالواجهة الشمالية و بالتحديد بين مزغلين، يبعدان عنها حوالي 0.20م، فتحة يفترض أن تكون المدخل الرئيسي، تطرقنا إليه في وصف الواجهات من الناحية الخارجية، وهي عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل مؤطرة ، يبلغ عرضها حوالي 1.45م، و طولها حوالي 2.10م، ترتفع عن الأرضية الخارجية بحوالي 2.55م. **(اللوحات(26)،(28)،(29))**

يعلو الفتحة عقد مونتور، أما اسفلها فقد لاحظنا فيها عتبة من حجر مستطيلة الشكل، يصل طولها الى حوالي 1.40م. **(اللوحات(26)،(27)،(28))**

يطل المدخل من الداخل على حوض مائي، مبلط ببلاطات من الرخام الأبيض مثمن الشكل، يبرر قناة صرف المياه و كذا الأنبوب الحديدي على الواجهة ربما أُنشئ لترويد المبنى بالمياه الصالحة للشرب، أما فترة بنائه فنجهل ذلك.

نشير إلى أنً البرج قد سقف بأقبية نصف برميلية، يفصل بينها عوارض حديدية و هذا النوع من التسقيف (**Plancher a Voutain**) يعود إلى الفترة الفرنسية، و نجهل إن عوًض التسقيف الأصلي للمبنى أم قد أُعيد بناءه، أو أنه يدخل في عملية تدعيم و ترميم المبنى. **(اللوحتين(43)،(35))**

أما السلم الذي من خلاله نصل الى الطوابق الأخرى، فلم يعد له أثر و بالتالي يجهل موضعه بالتدقيق، و لكن يفترض أنًه كان في الموضع أسفل الفتحات في سقفي الطابقين الأول و الثاني.

الطابق الثاني :

أمام الغياب الكلي لجزء كبير من سقف البرج الخارجي و سطحه، وما تبقى سوى بعض الجدران و التي يتراوح ارتفاعها ما بين 2 الى 3 امتار، توزعت على مساحتها مزاغل مماثلة كالتي؛ بالطابق الأول ثلاثة منها في الجدار الغربي وقد ورد هذا الوصف في وصف الواجهات، و لم يبق من هذه المزاغل سوى مزغلين حيث انهاز المزغل الثالث مع انهيار الجزء الجنوبي للجدار الغربي، أما الجدار الجنوبي لم يبق منها إلا مزغل واحد ،أما الجدار الجنوبي فلم يبق منه إلا المزغلين الأوسطان. **(المخطط (07))**

نشير إلى وجود خزان مائي بالطابق العلوي مبلط ببلاطات بيضاء، و من المحتمل أن يعود بناؤه الى فترة الاحتلال الفرنسي. واللافت للانتباه أنً الجزء العلوي من المبنى ،عرف تساقط بعض أجزائه الخارجية بما في ذلك عناصره المعمارية.

ثالثا: برج القليعة بمدينة القليعة

يعد برج القليعة أحد المعالم الأثرية المادية الثابتة، التي تنتمي إلى التراث الثقافي الدفاعي، و التي تزخر به الجزائر عامة ومدينة القليعة خاصة، و يُصنَّف ضمن أبراج من نوع البلوكوس **Blockhaus** أو البلوخوس و يسمى أيضا البلوكوس تومبوروف **Tombourouf**.**(اللوحة(36))**

الموقع و تاريخ التأسيس :

يقع برج تومبوروف أو برج القليعة شرق مدينة القليعة الحالية، على ارضية مستوية مسطحة، بموضع مرتفع قليلا عن المدينة، و يوجد البرج حاليا في أحياء

سكنية بالشارع المسمى" الاخوة عليان" " **تومبوروف**" سابقا، داخل مجمع احد هذه الاحياء و بالتحديد بساحة مقر مسرح المدينة **(الخريطة(23)، اللوحة(36))**.

نشير إلى أن موقع الرج الحالي داخل ساحة المقر الإداري للمسرح، و إحاطته بباقي المباني السكنية، خلق نوعا من الانغلاق عن المحيط العمراني للمدينة، مما جعله منزولا عن أنظار العامة و الخاصة، فغدى مهملا و منسيا، إلى أن صنِّف و أُعيد ترميمه من قبل الجهات المعنية.

و الجدير بالذكر انه يستحيل تحديد رؤيته من بعيد بسبب انزواله من جهة و كثافة المباني المحيطة به من جهة اخرى، لكن يمكننا تحديد رؤية هذا المعلم الاثري بصفة جزئية فقط من خلال الطريق المؤدي الى الجزائر العاصمة **(طريق دواودة – الجزائر)**،اذ يمكن ملاحظة جزء فقط من الشرفات للمستوى الأخير(الأعلى).**(الخريطة(23))**

فيما يخص تاريخ بناء الرج؛ فقد اختلف فيه، فهناك من يرجحه إلى فترة الاحتلال الفرنسي و ذلك اعتمادا على بعض الخرائط و الصور التي تعود الى نفس الفترة سنة 1842م، وهناك من يرى أنً تاريخ إنشائه يرجع الى الفترة العثمانية، فالأمر المؤكًد أنً موضع الرج يعود للفترة العثمانية، يبقى البناء بمعنى هيكل البناء قد يعود الى فترة الاحتلال الفرنسي. و السؤال بقي يتمحور في محاولة تأكيد أو نفي انتمائه للفترة العثمانية.

نشير في هذا السياق إلى أنً أغلب الدًراسات التي تطرقت لرج القليعة، هي عبارة عن أبحاث جامعية غير دقيقة و شحيحة جدا بل و غير معمقة، سواء كان من قبل الأثريين، أو المؤرخين و حتى المهندسين المعماريين باستثناء دراستين*، و تعد

* نشير إلى أن الدراسة الأولى تتمثل في مذكرة الماجيستير في بعنوان" **système constructif du Blockhaus de Kolea...** " من طرف الأستاذ كوري ياسين و أطروحة الدكتوراه للدكتورة بن شامة سعاد بعنوان" المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري في العهد العثماني.....".

المداخلة التي ألقاها البروفيسور و المهندس المعماري يوسف شنوي بمتحف شرشال الجديد في إطار إحياء شهر التراث، من خلالها تناول عدة معالم من بينها برج القليعة و أكّد أنّ تاريخ بنائه يعود إلى الفترة العثمانية، و من المحتمل أن يكون الأندلسيون الوافدون الى مدينة القليعة هم من انشؤوه من خلال تسميته بالبرج الأندلسي.

أهمية بناء البرج:

عند إنشاء مدينة القليعة*** لهدف ايواء المهاجرين الاندلسيين و بعد تعمير المنطقة و استقبال الحامية العثمانية ، كان لا بد من تحصين المنطقة و حماية سكانها من تحرش القبائل البربرية المجاورة لها خاصة ، ويدخل ذلك في مخطط استراتيجية الداي حسن باشا حسب مرمول كاربخال، و ذلك لمواجهة القبائل البربرية بجبال شنوة، التي كانت تتحرش دوما بالأندلسيين منذ وصولهم الى المنطقة من جهة ، و تمديد نفوذه نحو المدن الجديدة الأخرى مثل شرشال و تنس ، و ركزة لسلطانه في المنطقة من جهة اخرى[1]، فجاءت فكرة تحصين مدن دار السلطان مع التركيز على الجهة الغربية، و عن تحصين المدينة ؛ فقد اشار **REUSS , L, M** في كتابه "**A Travers l'Algérie**" مدينة القليعة كانت محاطة بسور لتحصينها من الخطر الخارجي، إلا أنّ هذا الأخير تعرض للاندثار و للزوال بصفة كلية و قد بني من مادة الصلصال و الحجر.[2]

*** عن تاريخ انشاء مدينة القليعة انظر مصطفى بن حموش، المدينة و السلطة.....ص،ص،250-251 .

[1]- مصطفى بن حموش، المدينة في الاسلام، الجزائر في العهد العثماني، الطبعة الا ولى، دار البشائر، دمشق،1999،ص، 251.

[2]- Dr Reuss Louis- Jean- Max, A Travers L'Algérie , Librairie Générale de Vulgarisation ,Paris, 1884 ,p,142.

كما أنً تحصين مدينة القليعة كانت نتيجة الاضطرابات و النزاعات الداخلية، بين السكان و ما حولها ، من قبائل الأرياف التي كانت تجاورها، وهذا ما اتًفق عليه غالبية المهتمين بتاريخ المنطقة.[1]

بالتالي فلحماية المدينة من الاضطرابات الداخلية، التي كانت تتعرض إليها السلطة ولإخماد هذه الثورات الداخلية المحلية، ربما جاءت فكرة إنشاء هذا البرج، بحكم موقعه الذي جاء داخليا أي داخل المدينة و ليس خارجا عنها، بحكم موضعه و ارتفاعه الذي لا يتعدى 10 أمتار من جهة اخرى، ربما بني لتصدي هجومات القبائل البربرية.

يعتبر كلاماجيرو من خلال بن شامة سعاد من المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ مدينة القليعة، هذا الأخير الذي قام بدراسة المدينة في كل نواحيها الجغرافية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية، ضف إلى ذلك الجوانب العمرانية و المعمارية، يذكر أنً هذه المدينة تتكامل عناصرها البنائية المتنوعة فيها بوجود أبراج ،وهذا تأكيد على وجود تحصين المدينة.[2]

إلاً أنه لم يبق من آثار خزام التحصين أو الخزام الدفاعي، سوى برج عسكري واحد قائم في الناحية الشرقية من المدينة و هو بصدد الدراسة، والذي تم انشاؤه ما بين سنتي 1571م-1573م، و تشير بعض المراجع إلى أنًه كان هناك برج ثان يقابله في الناحية الشمالية ، وكان يربط بينهما نفقا بطول 800م[3]، و هناك بعض المصادر الأجنبية التي تشير الى صحة هذه المعلومة بنفس الموضع، و المصادر تقول أنه تم بناء برجين دفاعيين تحت إمرة قائد الإدارة العسكرية لامورسييه

---

[1]- سعاد بن شامة، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري.....ص،174.

[2]- سعاد بن شامة، نفسه، ص،175.

[3]- سعاد بن شامة، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري.....ص،175..

Lamoricière سنة 1840م[1]،وقد سمي البرجين الواقعين على هضبة تطل على المدينة ببلوكوس ، الأول في الجهة الشمالية للمدينة وسمي بالبرج الشمالي بمكان يدعى شارع بن عزوز، لذلك سمي برج بن عزوز و الثاني بشرق المدينة، و سمي بالبرج الشرقي بمكان يدعى تومبوروف، لذلك سمي برج تامبوروف، إضافة الى هذه المعالم هناك برجين اخريين أُنشئ حسب المصادر الاجنبية قريبة من المدينة أحدهما يقع بمكان يدعى مقطع خيرة و الثاني بموضع فوكا الحالية.[2]

اعتمادا على مخطط **Guyot** الذي يعود إلى سنة 1842م، بالإضافة إلى السور الذي كان يحيط بالمدينة، الذي تم بناؤه من قبل الإدارة الفرنسية ؛ فإنً كل من برج بن عزوز و برج تومبوروف يُدعّمان السور الفرنسي ويلعبان دور أبراج المراقبة أحدهما الجهة الشرقية و الثاني الجهة الشمالية.[3] **(المخطط(08))**

بالنسبة لبلوكوس فوكة، فقد تهدم حسب هذه المصادر سنة 1959م، اما بن عزوز فقد تم تهديمه في سنة 1947م و ذلك لهدف انشاء خزان مائي لكن هذا المشروع لسوء الحظ لم يُنفَذ[4] ، بالإضافة الى برج الموجود بمقطع خيرة ، و لم يبقى سوى برج تومبوروف و هو محل دراستنا. وبقي مدة طويلة لإيواء عمال السكك الحديدية. [5]

1- Ministère de la guerre, Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie en 1840,p,54.

2- Piesse Louis. Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, p,34.

3- Kouri Yasine, Les Caractéristiques Architecturales et le Système constructif du Blockhaus de Koléa Mémoire De Magister en Patrimoine Architecturale et Urbain, Ecole Polytechnique d'Architecture et d'Urbanisme, Alger, 2014,p,118.

4- Porcel (A), Il était une fois Koléa.

5- Porcel (A), Op,Cit.

انطلاقا من هذه المعطيات التاريخية، فإنً الوج يعود تاريخ بناؤه إلى فترة الاحتلال الفرنسي ، إلاً أنً دراسات علمية حديثة* تنفي ذلك، و تؤكد أنً تاريخ الإنشاء لا تعود الى فترة الاحتلال وانما يعود الى الفترة العثمانية و قد يكون الأندلسيون هم من قاموا ببنائه.

من جهة أخرى إذا كان روس في كتابه " الجزائر" يذكر أنً سور المدينة قد اندثر كليا ، و أنً الفرنسيين قد أنشؤوا سورا في 1840م، معنى ذلك أنً الفرنسيين قد بنوا السور على أنقاض السور القديم ، كما حدث لسور مليانة العثماني من جهة ،ومن جهة أخرى فإنً الأبراج التي أشار إليها لامورسييه بما في ذلك برج تومبوروف ، كلها أُنشئت في فترة الاحتلال الفرنسي، و بالتالي أن يكون برج تومبوروف قد بُني على موضع الوج القديم، و الذي يكون قد يعود الى الفترة العثمانية.

من جهة اخرى؛ فاذا قمنا بمقارنة سنة دخول قوات الاحتلال الفرنسي إلى المدينة، التي تعود الى ما بين سنة 1838-1839م، مع سنة البناء التي تعود إلى 1840م،فاذا دققنا جيدا للاحظنا أنً المدة غير كافية لإنشاء هذه النظام الدفاعي، بما في ذلك الوج خلال سنة فقط دون اختيار الموضع، لذلك قد يكون موضع الوج و أُؤكد على برج تومبوروف؛ كان قائما قبل دخول الفرنسيين إلى المدينة من جهة، وحسب طريقة التخطيط الانشائي فإننا وجدنا هذا النوع في العمائر الإسبانية بإسبانيا، من حيث طريقة الانشاء نتطرق اليها لاحقا في الدراسة التحليلية.

لذلك من المرجًح أن يعود تاريخ بناء الوج إلى الفترة العثمانية،و قد يكون الأندلسيين هم من قاموا ببنائه من خلال بعض تقنيات البناء، و بعض العناصر

* دراسات للبروفيسور و المهندس المعماري كمال شناوي بمدرسة متعددة التقنيات للهندسة المعمارية و العمران بالجزائر متخصص في العمارة الاندلسية بشرشال و القليعة و البليدة.....

المعمارية التي تميز بها الأندلسيين، إلاّ أنّه عرف تغيرات وتعديلات جذرية كبيرة في الفترة الفرنسية.

تسمية برج القليعة:

لقد تعددت التسميات حول برج القليعة، ما بين اسم برج القليعة واسم البلوكوس أو البلوخوس أو تامبوروف او حتى البرج الأندلسي عند بعض العامة من أهل المدينة، قائلين أنّ الأندلسيين الوافدين الى مدينة القليعة هم من قاموا ببنائه.

أهمية المعلم و تصنيفه :

يعد برج القليعة أحد المعالم الأثرية الذي تنتمي إلى التراث المعماري الدفاعي، التي تزخر به الجزائر عامة ومدينة القليعة خاصة، و نظرا لأهميته الثقافية و التاريخية و الأثرية، فبالرغم من التغييرات التي طرأت عليه في بعض عناصره الإنشائية و المعمارية كالتسقيف و بعض الفتحات، إلاّ أنّه اقتُرح للتصنيف من قبل مديرية الثقافة لتيبازة، لأهميته المتمثلة في المهمة الدفاعية، و حفاظه على بعض عناصره المعمارية و هيكله البنائي، و لكن لم يُصنف.

بمقتضى القانون رقم 04/98، المؤرخ في 20صفر عام 1419هـ /الموافق لـ 15 جوان 1998، والمتعلق بحماية التراث الثقافي لا سيما المادة 18، و بعد الاطّلاع على رأي اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية، في اجتماعها المنعقد بتاريخ 16 جويلية سنة 2013م، تقرّر تفتّح دعوى لتصنيف الممتلك الثقافي المسمى " حصن القليعة"، فظلّ مقترحا إلى غاية صدور قرار التصنيف بمقتضى القانون رقم 04/98 المؤرخ في 20صفر عام 1419هـ / الموافق لـ 15 جوان 1998، و المتعلق بحماية التراث الثقافي لا سيما المادة 19، و بمقتضى القرار المؤرخ في 27 ذي

القعدة عام 1434هـ الموافق لـ 03 أكتوبر سنة 2013م و المتضمن فتح دعوى تصنيف "حصن القليعة"، و بعد الإطّلاع على رأي اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية في اجتماعها المنعقد بتاريخ 15 سبتمبر 2015م، تقرر تصنيف المعلم التاريخي وطنيا المسمى بـ " حصن القليعة " الواقع ببلدية القليعة ضمن قائمة الممتلكات الثقافية، تطبيقا لأحكام المادة 19 من القانون 04/98 بصدور قرار التصنيف من وزارة الثقافة،و المؤرخ في 20رجب عام 1437هـ الموافق لـ28 أفريل سنة 2016. **(الجدول(02)**.

الدراسة الوصفية للبرج:

لا زال البرج بمدينة القليعة قائما الى يومنا هذا و هو يتميز بارتفاعه الذي يصل الى حوالي التسعة امتار (09م). بالرغم من هذا الارتفاع إلا أنه مقارنة بالأبراج و القلاع الأخرى، نأخذ على سبيل المثال برج الانابود، فارتفاعه غير شاهق. **(اللوحة(36)،الشكل(07)**

- الوصف الخارجي:

نفتقر الى النموذج الأصلي لانعدام الأبحاث الأكاديمية الوثائق، المراجع، المصادر، المخططات، الصور الفوتوغرافية و الكروكي، معنى ذلك أنً هذا المعلم لم يدرس باستثناء بعض الدراسات التي ذكرناها سابقا.

من الوهلة الأولى أول شيء ما يلاحظ على البرج؛ هو احتواءه على أربع واجهات وهي **الواجهة الشمالية**، **الواجهة الشرقية**، **الواجهة الجنوبية** و الواجهة الغربية و هي الواجهة الرئيسية، و قد صممت بطريقة متماثلة تتوجها مجموعة من شرافات تتخللها فتحات، و تبدأ الجدران السفلية لكل واجهات المعلم بانحناءات و ميول

كثيف، أو على هيئة شطف املس تنعدم فيها الزاوية القائمة. فتحت بهذه الاخيرة مزاغل بمعدل مزغل في كل ركن البرج صغيرة الحجم، و قليلة العمق، مقارنة بفتحات المستوى الأول و الثاني، وهذا الانحاء جعل البناية تتسع متخذة شكل الانحراف في أركان البرج، والجدير بالذكر أنً هذا النوع من الاتساع يوجد في الجهة الخارجية للمبنى و لم نلاحظه داخل المبنى.**(اللوحتين(37)، (38))**

إنً ما يميز هذه الواجهات هي التماثل و التشابه في طريقة تصميمها، و كذا طريقة توزيع العناصر المعمارية التي يطغى عليها الاسلوب التناظري و السيميتري، من نوافذ و مزاغل باختلاف الاشكال و الاحجام على مستوى كل الواجهات باستثناء الواجهة الغربية، نظيف الى جانب ذلك هو عدم استخدام الفتحات الكبيرة الحجم بكثرة، كما أنً أغلب الفتحات عبارة عن مزاغل، أهم ما يميزها؛ التناسب الدقيق في طريقة التوزيع،إذ نفذت بطريقة أفقية على كل مستوى بمعدل 05 مزاغل في كل واجهة بالطابق الأرضي او المستوى الاول، باستثناء الواجهة الغربية و هي الرئيسية تتوزع فيها 04 مزاغل، وذلك بسبب وجود باب المدخل، بينما المستوى الثاني أو الطابق الأول، فنلاحظ معدل توزيع المزاغل بـ 04 مزاغل. **(اللوحات(37)،(38)،(39)،(40)،(41)،(42))**

في كل واجهة تتخللها فتحات، فتحتين في كل واجهة،عددها يصل الى 12 فتحة مستطيلة الشكل ستة منها كبيرة الحجم، و ستة أخرى متوسطة الحجم، تعلو الفتحات عقود موتورة، و قد وزعت على الواجهات الأربعة بمعدل نافذة كبيرة و صغيرة الحجم بالواجهة الوحدة،وضعت ما بين مزغلين و مزغلين.**(اللوحات (37)،(38)،(39)،(40)،(41)،(42))**

يُتوِّج سطح البرج في الأعلى سلسلة من شرافات تحيطه كليا، بالإضافة إلى فتحات يمكن من خلالها مراقبة و ملاحظة أسفل البرج، وقد اصطُلح تسميتها بالسقاطات و هي مستطيلة الشكل.**(اللوحة(43))**

يتراوح عمق الشرافات ما بين 0.30م و 0.35 م عمقا، ترتفع عن أرضية المبنى بحوالي 10.84م، أما عددها فيصل إلى أربع في كل واجهة، باستثناء الواجهة الشرقية التي يبلغ عددها ثلاث، و ذلك راجع لتعرضها للهدم، و تم ترميم هذه الشرفات بمادة الإسمنت.**(اللوحة(42))**

ما شد انتباهنا؛ وجود نافذة متوسطة الحجم أسفل مزاغل المستوى الأول و المستوى الثاني، معقودة بعقد موتور، تتكرر عند كل واجهة.**(اللوحات(37)، (38)،(39)،(40)،(41)،(42))**

1- الوصف الداخلي:

قبل البدء في وصف المبنى ، يجب الإشارة إلى أنَّ هذا الأخير بالرغم من الإهمال الذي أصاب البرج من قبل السلطات المعنية، إلاَّ أنَّ عناصره المعمارية ما زال قائمة و في حالة حفظ متوسطة ، يمكننا من خلالها التعرف على ملامح العمارة العسكرية التي تميز البرج.

إنَّ برج القليعة يتربع على مساحة تقريبية تقدر بحوالي 51.55م²، طول ضلعه 07.20م، ويحتوي على ثلاث مستويات؛ المستوى الأول أو الطابق الأرضي **(المخطط(09))**، المستوي الثاني أو الطابق الأول**(المخطط(10))**، وينتهي في

الأخير بالمستوي الثالث أو الطابق الثاني(**المخطط(11)**) وهو السطح، وهناك من أشار إلى وجود مستوى آخر و هو الطابق تحت أرضي.*

من خلال زياراتنا الميدانية المتكررة للمعلم، لاحظنا فتحة باب(**Trappe**) في أرضية المستوى الأول أو الطابق الأرضي للبرج، على الجهة اليمنى للمدخل مما يؤكد وجود هذا الطابق، و هذه الفتحة لا تؤدي إلى مخرج، و لسوء الحظ لا يمكننا حاليا الولوج إليه، و يعتقد أنها كانت تصل بممر بالبرج الثاني، لذلك استحالت دراسته و وصفه. (**الصورة(07)**)

يفصل بين هذه الطوابق سقوف من نوع –**plancher a voûtain**- و يعود إلى الفترة الاستعمارية (**اللوحة(44)**)وهو في حالة تدهور.

ندخل إلى المبنى من المدخل الرئيسي، هذا الاخير يعلوه ساكف خشبي مركب من قطعتين خشبيتين مستطيلتي الشكل، و يقدر سمكه حوالي عشرة سنتيمترات(10سم).(**الصورة (08)**)

تقدر مقاسات هذا المدخل الى 1.90م طولا X 1.05م عرضا، أما السمك فيصل إلى 0.60م، و يتكون من دفة واحدة من الخشب، و حاليا قد غطي من الجهتين بصفيحة معدنية ملونة باللون الاخضر (زخرفة الأبواب).(**اللوحة(45)**)

من هذه الفتحة و عبر درج حجري، يحتوي على 07 درجات من مادة الآجر و الحجر مستطيلة الشكل، تتراوح مقاسات كل درجة ما بين (1.30م طولاX 0.35م)، بالنسبة للدرجة الأخيرة على مستوى أرضية خارج المبنى، بينما الباقي

* حسب سكان الحي الاصليين الذين سكنوا في المدينة مدة طويلة ،فان البرج يضم مستوى آخر و هو الطابق تحت الأرضي، و بالتالي فان البرج يضم اربعة طوابق بدلا من اربعة وتبقى فرضية الى حين القيام بحفريات تؤكد ذلك. انظر Kouri Yasine, Op, Cit,p,134

تتراوح ما بين 0.90م X 0.38م، ترتفع أرضية الطابق الأرضي عن أرضية الخارج بـ1.31م.**(الصورة(09))**

و الملاحظ جدار المدخل الرئيسي حُمل (ساند) على ساكف مركب من قطعتين تختلفان في مادة تركيبهما، شكلت لنا ساكفا مظهره من الناحية الخارجية، مشكل من كتلة حجرية متراصة يقدر طولها حوالي 1.30م، أما عرضها فيصل إلى حوالي 20سم و سمكها أيضا حوالي 20سم،أما من الناحية الداخلية فقد شكل من مادة الخشب متخذا الشكل المستطيل يصل سمكه الى 0.75م. **(اللوحة(46))**

ينفتح المدخل على غرفة مستطيلة الشكل، يصل طولها إلى ستة أمتار(06 م)، أما عرضها فيصل الى 2.70م، و بعد معاينة حدود الغرفة ، اكتشفنا آثار موضع السلم و الذي تهدم بشكل كلي،إلا الدرجات وسلم الادراج،(**structure**) وهو ما يؤكد بنائه و صناعته من مادة الخشب،وقد عثرنا عليه كما أسلفنا سابقا بالضبط في الركن الجنوب الغربي للغرف.**(المخطط (09) و الصورة(10))**. و ما يدل عليه هو الفتحة التي وجدت بالسقف التي تؤدي إلى الطابق الأعلى، ومنه إلى الشرفة بفتحة سماوية، وهذا يعني أنً هذا السلم كان يؤدي الى الطابقين.**(الصورة(09))**

مع دقة الملاحظات اكتشفنا وجود في أحد أركان الطابق الأرضي، وبالتحديد في الزاوية الشمالية الغربية للغرفة، هيكل بنائي من الحجارة و الآجر، يعلوها هيكل خشبي أو بنية خشبية على شكل مصطبة(**hôte**)، تتصل بالمدخنة ،و هي بذلك تمثل المطبخ لوجود المدخنة، وبالتالي قد يكون هذا الحيز قد استغل كموضع للمطبخ خلال فترة الاستعمار الفرنسي. و تطل هذه الغرفة على غرفة أخرى ذات

الشكل المستطيل طولها يصل الى 06 امتار، أما عرضها فيقدر حوالي 2.79 م. **المخطط(09)).**

بالزاوية الجنوبية الغربية للغرفة، نلاحظ وجود مدخنة يُحتمل أنها جهزت لتدفئة الغرفة، ولكن نجهل إن كانت أصلية أم لا ، و هذا نظرا للتغييرات و الترميمات التي أُجريت على الدرج في فترة الاحتلال الفرنسي.

إنً الطابق الأرضي يظم غرفتين يفصلها جدار حامل، فتحت في وسط هذا الأخير فتحة مستطيلة الشكل مقاساتها كما يلي؛ 1.90م طولا x0.98م عرضا، وهي بمثابة مدخل الغرفة مركبة (من دفة واحدة)،يصل سمكها الى 0.70م، و قد غطيت من الجهتين بصفيحة معدنية ملونة باللون الاخضر(زخرفة الابواب)،ويعلو المدخل ساكف خشبي مركب من قطعتين خشبيتين مستطيلتي الشكل، يقدر سمكه حولي 10سم.(**اللوحتين (45)،(47)) (المخطط(07))**

أما الطابق الأول فندخل إليه عبر سلم خشبي، أول ما نلاحظه هو عدم تقسيم الطابق الأول إلى قسمين مثلما وجدناه بالطابق الأول هذا من جهة، ووجودنا لمدخنة بالركن الجنوبي الشرقي للقاعة، يحتمل أنها جهزت لتدفئة المكان، ومدفئة أخرى بالزاوية الشمالية الغربية للغرفة، جهزت كقنوات لجلب وصرف الدخان. و الأمر الذي لفت الانتباه؛ هو وجود السلم الذي يؤدي إلى الطابق الأخير أو السطح في مكان يفصله عن الطابق جدار مبني بمادة الأجر المشوي، فتحت وسطه فتحة يصل عرضها الى حوالي 0.80م، من خلالها يمكنا الدخول الى الطابق الاعلى. **(المخطط (10)،(اللوحة(48))**

أما الطابق الثاني و هو الطابق الاخير للدرج و هو السطح، مكشوف يدور حوله سور من جهاته الأربع، يتمثل في مساحة شبه مربعة حيث يصل طول ضلعه إلى

حوالي 07.40م،تحيطه سلسلة من الشرفات على جهاته الأربع، تتخللها فتحات عبارة عن مزاغل على أركان البرج، بمعدل ثلاث 03 مزاغل في كل ركن.**(المخطط(09))**

أثناء وصفنا للمعلم مع التركيز على مقاسات المبنى، لاحظنا عدم الاختلاف في الارتفاع بين المستويات باستثناء السطح، إذ يصل الارتفاع الى حوالي 03.50م بين الأرضي و الطابق الأول، بينما يصل ارتفاع السطح إلى حوالي 02.19 م وذلك ابتداء من أرضية السطح الى أعلى الشرفات.**(الشكلين(06)،(06-أ)،اللوحة (47)**

أما فيما يخص الجانب الزخرفي الفني، فإنً مثل هذه العمائر تنعدم فيها المظاهر الزخرفية، بحيث صمم البرج من غير أن يحمل صور النقش أو التبليط أو الرسم أو ما شابه ذلك، ممازاده لمسة من الشعور بالمتانة والقوة.

الشيء الذي لاحظناه في هذا النوع من الاستحكامات العسكرية، جعله يتميز عن باقي التحصينات الدفاعية التي قمنا بدراستها، و هي انفراده أي هذا البرج عن باقي الاستحكامات المدروسة، بوجود عنصر السقاطة في أعلى طابقها في أضلاع بدن البرج، إذ يصل ارتفاع السقاطة عن مستوى الأرض وتبرز عن مستوى بدن البرج،و تعلو السقاطة قطعة من الحجر،وضعت على هيئة منحدرة الى الخارج .

يصل عدد السقاطات إلى اثنا عشر (12) سقاطة، وزعت بطريقة سيمترية بمعدل ثلاث(03) سقاطات في كل واجهة، و ترتفع عن الأرضية بحوالي ثمانية أمتار و بالتحديد 08.50 م ارتفاعا.**(المخطط(11) الشكل(07)،اللوحة(43)**

نلمس في طريقة بناء الجدران تقنية المايل الذي استخدمها البناء المحلي في كل واجهات المبنى، مستخدما الحجارة المنحوتة باختلاف الحجم من كبيرة و متوسطة

ما بين 25سم و 35سم الى 30سم طولا، أما طريقة وضعها ؛فقد وضعت بطريقة غير منتظمة،وقد لُحمت فيما بينها بمادة الملاط الممزوج،تتراوح مقاسات الحجارة إلى ما بين 45سم طولا ×12سم عرضا.**(اللوحة(49))**

بالنسبة لفتحات هذا البرج؛ نجدها تتوزع على واجهات المبنى الأربعة مجموعة منها، ومن المؤكد ان تكون فتحات للرمي، اصطلح تسميتها بالمزاغل ، و هذا من خلال طريقة بنائها، و الشيء الملاحظ أنً شكل هذه الأخيرة جاء شاقوليا طوليا، و قد أُنجزت بواسطة صفائح من الحجر. **اللوحة(50)**

ينتهي الجدار بصف من الآجر الأحمر وضع بطريقة افقية، ليليه مباشرة جدار من الآجر و التراب مبلط بطبقة من الجير الأبيض، يعود الى الفترة المحلية، ينتهي هذا الاخير بصف من القرميد وضع بطريقة افقية على طول الجدار.

رابعا: برج المصلى بالمدية:

يعد برج المصلى نموذج من العمارة العسكرية التي تميز النظام الدفاعي لمدينة المدية عاصمة التيطري في الفترة العثمانية و القائمة الى يومنا هذا، و تعد من الممتلكات الثقافية المادية غير المنقولة، وقد حظيت بالاهتمام من قبل السلطات المعنية، من خلال عمليات الترميم التي أجريت عليه من قبل مكتب الدراسات التقنية، بالتنسيق مع مديرية الثقافة للمدية و وزارة الثقافة سنة 2005م، مما جعله في حالة جيدة من الحفظ .**(اللوحة(51))**

الموقع و التأسيس :

يقع برج المراقبة أو برج المصلى كما ورد تسميته في بعض المراجع، في مدينة المدية في أعلى نقطة ممكنة في المدينة القديمة، و يمكن منه مراقبة المدينة و ضواحيها، و يقع بالتحديد بوسط حي سكني ولاية المدية(بلدية المدية–دائرة المدية)، يحده من الجهة الشمالية ممر تحاذيه عمارات سكنية و محلات تجارية للمنطقة، ومن الجهة الجنوبية طريق عمومي،أما من الناحية الشرقية فتحده حظيرة السيارات و من الجهة الغربية ممر و عمارات سكنية.**(الخريطة(24)+ اللوحة(51))**

يقع البرج على أرضية في منحدر، تنمو فيه نباتات برية(غطاء نباتي بري)، وقد حددت هذه الأرضية بجدران صغيرة الارتفاع، مبنية بمادة الحجارة، لإعادة الاعتبار لهذا المعلم التاريخي و الأثري و المحافظة، وقد نُفِّذ من قبل مكتب الدراسات، وهذا السياج الحديدي صُمِّم لحماية هذا الاخير من الخراب و التدهور الذي يجره العامل البشري و الحيواني. **اللوحة(52))**

يعود تاريخ البرج أو الطاحونة كما جاءت في بعض المراجع، حسب محمود ابن مصطفى الفخار الى الفترة العثمانية[1]، و الملاحظ أنَّ هذا النوع من المنشآت أو الاستحكامات العسكرية، نجده خارج أسوار المدينة، و يشير المؤلف إلى أنَّ هذا المعلم التاريخي، قد استغل من قبل آخر بايات التيطري ألا وهو الباي مصطفى بومزراق كبرج للمراقبة، من أجل حراسة الموقع المتمثل في أحد فحوص مدينة المدية آنذاك، و ذلك أثناء تنقلاته بين مقر إقامته الشتوية المعروفة بدار الأمير عبد القادر، و مقر إقامته الصيفية الواقعة بحي المصلى.

[1]- ورشة الأبعاد الثلاثة ورشة الهندسة المعمارية و التراث، دراسة حفظ و تهيئة المعلم التاريخي لبرج المراقبة بالمصلى،2005 ، ص،9.

يضيف محمود ابن مصطفى الفخار من خلال مكتب الدراسات، أنً هناك من المصادر التاريخية التي تشير إلى أنً هذا الدرج كان عبارة عن طاحونة للرًحى أو طحن القمح و الشعير، تجرش الدغل و كانت تدور بواسطة الرًياح، قبل أنً يستغل كدرج للمراقبة.[1]

في نفس السياق يذكر المهندس المعماري أحمد مربوش، أنً موقع درج المراقبة أو المصلى كما جاء في بعض المراجع، كان يقع في ضاحية خارج سور المدينة، و قد بُني في الفترة العثمانية، و يعتقد أنًه بُني في الأصل لغرض آخر تغيرت معه وظيفته، في إشارة إلى أنه كان " طاحونة هوائية استعملت فيما بعد كدرج للمراقبة". و ما يرجحه أحمد مربوش أن هذا الدرج " كان بناؤه لغرض حراسة المسار الرابط بين مسكني آخر بايات التيطري...،أحدهما بالمدينة العتيقة،و الآخر بحي المصلى الذي لم يكن آنذاك سوى ضاحية خارج أسوار المدينة. و أمام التوسع العمراني الذي عرفته المدينة خارج سورها، وبعد الفترة العثمانية أصبح هذا الدرج داخل الحيز الجغرافي للمدينة في أعالي حي المصلى.[2]

تسمية برج المدية:

تعددت التسميات حول هذا الدرج ، ما بين برج المصلى عند الناس، نسبة إلى المنطقة أو الحي السكني المسمى" المصلى"، و الواقع داخله وهو الاسم السابق للموضع ومنه أخذ المعلم اسمه، بالإضافة الى مسجد الحي فأصبح يسمى بمسجد المصلى، كما يسمى أيضا بالدرج الأحمر، و يطلق أيضا على هذا المعلم في

[1]- ورشة الأبعاد الثلاثة، نفسه،ص،ص،9-10.

[2]- أحمد مربوش،" **جولة معمارية عبر تاريخ مدينة المدية** "مجلة فصلية تعنى بالعمارة الإسلامية، عدد خاص بالمدية، جانفي 2017،ص،48.

الوسط الشعبي للمدية بالمقصلة، لأنه استغل كمكان لتنفيذ أحكام الإعدام في حق الشعب الجزائري، من قبل الفرنسيين خلال فترة الاحتلال الفرنسي[1].

سبب بناء البرج:

بحكم موضعه الذي شُيِّد داخل المدينة من جهة، في أعلى هضبة بالجهة الشرقية للمدينة القديمة، وباعتبار أنَّ هذه المنطقة فحص من فحوص مدينة المدية، و موقعها يسمح بمراقبة المدينة و ضواحيها من بعيد، مع العلم أنَّ هذه المنطقة تحيطها أراضي زراعية، مما جعلها تتعرض لخطر القبائل، أو السكان المحليين. لذلك ربما جاء هذا البرج لمراقبة هجومات هؤلاء و التصدي لها خارج الأسوار من جهة أخرى.

أهمية الموضع و تصنيف المعلم :

يحضى الموقع الذي بني عليه البرج بأهمية كبيرة جغرافيا، فطبوغرافية المنطقة ساعدت على انشاء هذا النوع من المنشآت الحربية، فاختيار هذا الموضع في هذا المكان بالدرجة الاولى، ثم اختياره من حيث الارتفاع و العلو في أعلى هضبة أو تلة على سفح منحدر، أهلا البرج ليقوم بهذا الدور الذي على أساسه، بني و هو مراقبة كل الجهات و يعد سبب من أسباب بنائه.

مما تجدر به الإشارة؛ ان هذا النوع من الأبراج تميزت به المدن الأندلسية، من خلال بالينسيو *، و لذلك يرجح أنه من تصميم الأندلسيين الذين تخلوا عن مدنهم و اختاروا مدينة المدية مكانا لهم، و لنا حديث في هذا المجال لاحقا.

---

[1]- المدية، كنوز و رموز، مدن و ثقافة ، بمناسبة تظاهرة الجزائر "عاصمة الثقافة العربية،2007، ص، 17. أنظر أيضا ورشة الأبعاد الثلاثة، المرجع السابق،ص،ص،10-11.

* باسيليو بانون مالدونادو، العمارة في الأندلس-عمارة المدن و الحصون-المجلد الأول.....ص،490.

أما بخصوص طبيعته القانونية، فهو ملك للدولة(مديرية الثقافة لولاية المدية تنازل 1966م)وهو مقترح من طرف مديرية السياحة و الصناعة التقليدية لولاية المدية كمعلم سياحي، في حين مديرية الثقافة تعتبره معلم مهم، لأهميته الأثرية و التاريخية باعتباره من الممتلكات الثقافية المادية الثابتة بمدينة المدية، بالرغم من التغييرات التي طرأت عليه في بعض عناصره الإنشائية و المعمارية، بسبب عملية الترميم التي أُجريت عليه سنة 2005م، كالتسقيف و بعض الفتحات وباقتراح من المديرية تم تسجيله في الجرد العام الاضافي ضمن الممتلكات الثقافية العقارية لولاية المدية، بمقتضى القانون رقم 04/98 المؤرخ في 20صفر عام1419هـ /الموافق لـ 15 جوان 1998، وفق قرار غير منشور في الجريدة الرسمية، تحت رقم 1579،و تم إمضاءه من طرف والي مدينة المدية بتاريخ 05 ديسمبر2013م، و اقتُرح للتصنيف ليدخل في قائمة تصنيف الممتلكات الثقافية المادية الغير المنقولة " **Instance de Classement** "من قبل مديرية الثقافة لمدينة المدية،لأهميته التاريخية، و لحفاظه على بعض عناصره المعمارية و هيكله البنائي.**(الجدول(03))**

الدراسة الوصفية للبرج:

لا يزال برج المصلى بمدينة المدية قائما الى يومنا هذا، و هو حاليا في حالة جيدة من الحفظ. يتميز بتخطيطه الاسطواني، يصل ارتفاعه إلى 06 أمتار*، أما عرضه فيبلغ 04 أمتار. **(المخطط(12) و اللوحة(51))**

نشير إلى أنً مساحة البرج تقدر بـ 29.59م²، بينما المساحة الإجمالية التي بني عليها البرج فتبلغ 573.74م²،و الملاحظ أنً واجهاته تتوزع عليها فتحات مختلفة

* قدر الارتفاع البرج ب 6 امتار بعد التهيئة (الترميم سنة 2005)، و قبل ذلك كان يقدر حسب مكتب الدراسات بـ 03.20م .

الحجم و الشكل.**(المخططين (12)،(13)،الشكل(08) و(اللوحات(52)،(53)، (54)،(55)،(56)،(57)،(58))**

من خلال مكتب الدراسات " ورشة الابعاد الثلاثة "، فإنً الأرضية التي صممت عليها المبنى جاءت منحدرة، ثم أُعيد صيانتها بمادة الإسمنت و استخدام مادة الإسمنت، لمعالجة بعض الفواصل و استخدام أيضا مادة البلربان، لتغطية الفتحات و هي ملاحظات أقرها مكتب الدراسات قبل بداية عملية الترميم أي حالة الدرج قبل 2005م. **(المخطط(14))**

الوصف الخارجي:

يختلف تخطيط و مسقط الدرج، عن الأدراج التي درسناها سابقا من حيث الشكل. اذ يتميز هذا المعلم بشكله الاسطواني، جرت عليه ترميمات. و ما لاحظناه هو استخدام الآجر و الحجارة متعددة الأحجام، واستخدم الطين كمادة لاحمة للربط بينها.**(المخططين(12)،(13) و اللوحة(51))**

نشير الى وجود مدخلين مزًا واجهات المبنى، فالأول بالواجهة الجنوبية أما المدخل الثاني فيقابله بالواجهة الشمالية، كلاهما رصفتا أو وضعت الحجارة بطريقة منتظمة لامحنا بوضوح انطلاقة العقد. **اللوحتين(51) ،(52)** ، أما باقي الواجهات فلا نلاحظ شيئا يميزها، كما يعلو كلاهما عقد نصف دائري.**(المخطط (13) واللوحات (53)،(55)،(56)،(57)**

يعلو المدخلين فتحتين مع مستوى العقد مستطيلة الشكل مرتفعة عن أرضية المبنى.**(اللوحة(58)**،وما شد انتباهنا نوع التغطية على الدرج من الناحية الخارجية

و المتمثلة في سلسلة من القواميد وضعت بطريقة مائلة، و هذا النوع لم نلاحظه في الأبراج التي درسناها سابقا. **(اللوحة(59))**

تدخل هذه التغطية حسب مكتب الدراسات، في عملية صيانة المبنى و حفضه من مياه الرطوبة الآتية من مياه الأمطار و الثلوج، بحكم مناخ المنطقة المعروف بكثرة سقوط الامطار و الثلوج، و التي تتسبب في تلف المباني الاثرية القديمة، لذلك ربما جاء طريقة التسقيف مائلة جمالونية لتفادي تحجر المياه في السطح. **(اللوحة(59)**.

الوصف الداخلي:

يتربع البرج على مساحة قدرها **29.59** م²*، نلج إليه عبر مدخلين قد ذكرناهما في الوصف الخارجي، فالأول و الواقع بالواجهة الجنوبية للمبنى، و الثاني يقابله بالواجهة الشمالية ، و الملاحظ ان الاول يرجح أن يكون هو المدخل الرئيسي، و هو عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل تقدر مقاساتها بـ 1.80طولا x 02م عرضا، معقودة بعقد نصف دائري، يرتفع عن أرضية المبنى بحوالي02م. **(المخططات(12)،(13)،(14)اللوحتين(55)،(56))**

نشاهد على الواجهتين الخارجيتين آثار العقد من خلال تقنية بنائها على جدارها المصقول، مع طريقة ترصيف الحجارة بطريقة منتظمة من جهة، ثم ملء فتحة المدخل في الجهة العلوية (أسفل العقد بالحجارة و الآجر). **(المخططين (12)، (13)اللوحات(53)،(54)،(55)،(56)،(57)،(58))**

يرتفع المبنى عن الأرضية الخارجية حوالي 0.24م،و من المدخل تمكنا من قياس سمك الجدار الذي بلغ حوالي 0.49م.

* تمثل مساحة البرج ، بينما المساحة الاجمالية بما في ذلك موضع البرج و ما يحيط به الى حدود السياج فتقدر بـ 573.74 م²

يتقدّم المدخل درجتين مستطيلتي الشكل، و ترتفع عن الأرضية الخارجية بحوالي 0.15 م لنلج إلى مدخل المبنى. **اللوحة (54)**

يعلو المدخل ساكف خشبي، مركب من عوارض خشبية أسطوانية الشكل، وضعت بطريقة عرضية عددها 11 عارضة، يصل طولها الى 1.63م تقريبا، و من المدخل الجنوبي إلى داخل المبنى(**اللوحة(60)**)،و على مستوى أرضيته على مسافة 1.40م، نصل الى حفرة عميقة عمقها حوالي 1.32م، أما قطرها فيتراوح ما بين 3.08 م من الجهة الشمالية و 03 م من الجهة الجنوبية، وجدت بداخلها و بالتحديد في وسطها على بعد 1م من كل الجهات الأربع كتلة حجرية.(**اللوحة (61)+الشكل(08)**

تفتح على جدار المدخل الثاني الواقع بالجهة الشمالية للمبنى، فتحة مستطيلة الشكل عبارة عن مدخل ثاني للروج، يقابل المدخل الرئيسي و يشبهه من حيث وضع العوارض الخشبية و نفس مقاساتها من حيث الطول و السمك، بينما تختلف من حيث العرض اذ يصل الى 1.65م. (**اللوحات(53)،(54)،(56)**.

إنّ المدخل؛ فحسب مكتب الدراسات عرف إضافات عديدة من بينها ظاهرة الغلق التي تعددت عدة مرات في عدة مراحل من خلال الآثار التي عثر عليها قبل البدء في عملية الترميم.

أثناء وصفنا لجدران المبنى، لاحظنا أعلى المدخلين عقد من نوع النصف الدائري، مملوء بمواد البناء من الحجر و الآجر المشوي، متراصة أُفقيا شدت بمادة لاحمة و هي الملاط، نجهل فترة صناعته هل تعود لفترة الاستعمار الفرنسي أو الفترة الحالية، ومن المرجح أنها قد تم غلقها في فترة الاحتلال. (**اللوحة(58)**)

كما ذكرنا للمبنى فتحتين تمثل مدخلي المبنى ، وقد صممت بطريقة يغلب عليها أسلوب التناظر و السميترية، وفتحتين أُخرتين هما نافذتين و يرجح أن تكون عبارة عن كوتين أو حنيتين مجوفتين كانتا مسدودتين، ربما قد فُتحتا في فترة الاستعمار الفرنسي، او في فترة الاستقلال و آثارهما واضحة على الجدران، و هما تعلوان مدخلي البرج فوق العقد، تتميز كلاهما باستطالة الشكل، يبلغ سمكهما حوالي 0.46 م كسمك جدار المدخل.**(اللوحات(54)،(55)،(56)، (57)،(58))**

تنتهي كلا الفتحتين في الأعلى بساكف مدعم بـ11 عارضة خشبية، وضعت بطريقة عرضية بنفس عرض النافذة.**(اللوحتين (56)،(60))**

حسب مكتب الدراسات؛ فان الفتحتين قد وُجدتا قبل بدء أعمال الترميم مغلقة، و قد يعود ذلك الى فترة الاحتلال الفرنسي. و حسبه أيضا؛ فإنه عثر بمستوى سطح المبنى بالجهة الشرقية للمبنى، فتحتين بحجم صغير.

وصف جدران المبنى :

إنً ما يميز جدران البرج ؛ التماثل و التشابه في طريقة تصميم و توزيع العناصر المعمارية التي يطغى عليها الأسلوب التناظري و السيميتري ، من فتحات ذات الشكل المستطيل الكبير الحجم من أبواب المداخل، وفتحات متوسطة الحجم من نوافذ، بالإضافة الى فتحات صغيرة الحجم مملوءة بالحجارة و الدبش، يتراوح معدل قياسها ما بين 0.20م الى 0.30م طولا و ما بين 0.10م إلى 0.20م عرضا من مزاغل ربما للرؤية و التهوية.**(اللوحتين(58)،(61))**

ما يميزها أيضا؛ التناسب الدقيق في طريقة التوزيع، إذ نُفِّذت بطريقة أفقية على كل مستوى، بمعدل 05 مزاغل في كل واجهة بالطابق الأرضي أو المستوى الأول. و في هذا السياق يشير المكتب التقني إلى وجود بناية في القسم الأعلى من مدخل

المبنى قبل البدء في معالجة المبنى و ترميمه، ورجحها المكتب الى مواقع للمدافع أو يمكننا تسميتها بالمدفعيات، لذلك قد تكون هذه الفتحات مزاغل لإطلاق النار أو القذائف.

بالنسبة لتسقيف الوج؛ فقد ثبت على هيكل خشبي، ربما قد يعود ذلك إلى الترميم كما نلاحظ عارضتين مستطيلة الشكل، قد وضعت اسفل النافذتين على بعد 20 الى 30 سم منها، و الملاحظ أنً وجودهما هذا ربما لتدعيم جدران المبنى، وقد يكون ضمن اعمال الترميم.**(اللوحة(63))**

الأمر الذي لفت انتباهنا هو وجود اللون الأسود، على مساحة جدران الوج و هي آثار لدخان النار، وهذه الأخيرة تعود إلى استخدام النار، إلا أننا نجهل فترة استخدامه أتعود للفترة الحالية ونقول لسبب حرق الفضلات و الأوساخ، أو قد تكون للفترة العثمانية، وذلك ربما راجع إلى البارود الذي كان يستعمل في تلك الفترة. معنى هذا قد يكون قد استعمل لرمي القذائف أو لصناعة البارود، و الجدير بالذكر حسب مكتب الدراسات المشرف على ترميم المعلم الأثري روشة الأبعاد الثلاثة في 2005 م، و قبل ترميمهم للمبنى أول ما قاموا به، هو تنظيف الأرضية ثم القيام ببعض الأسبار لهدف الوصول إلى الأرضية الأصلية للمبنى، لكن تبين من خلالهم انه من المستحيل تحديد وظيفة المبنى، ذلك لاكتساء المكان بكمية هائلة من الفضلات و النفايات و البقايا، والتي غطت كل المساحة مما رجح أن يكون هذا المبنى قد استعمل في فترة معينة كمخزن.[1]

و مع محاولينا دراسة مستويات الجدران، علًنا نصل إلى تحديد المستوى الأصلي لأرضية المبنى الاصلي، لسوء الحظ لم نتمكن من ذلك، حيث يتطلب القيام

[1]- ورشة الأبعاد الثلاثة، المرجع السابق، ص،10.

بأسبار و حفريات الى الاسفل، ربما قد نتوصل من خلالها إلى تحديد مستوى الأرضية، وبالتالي تبين نوعية المعلم أو وضيفته بالتحديد.

الفصل السادس

الدراسة التحليلية

أولا: الاستحكامات العسكرية

- المخططات المعمارية (المساقط الارضية)
  - العناصر المعمارية الدفاعية

ثانيا: مواد و تقنيات البناء

- مواد البناء
- تقنيات البناء

ثالثا : التأثير العثماني و المساهمة الأندلسية على العمائر العسكرية في الجزائر (من خلال النماذج المدروسة)

الدراسة التحليلية:

تُعد الدراسة التحليلية من الدراسات المهمة في الميدان الأثري التقني، فهي الوسيلة العلمية للوصول لمعرفة التركيبات المعمارية و الهياكل البنائية و كذا العناصر المعمارية للمعلم.وسنركز على الجوانب المادية الملموسة للعمارة الدفاعية العسكرية.

يمكن أن تقدم لنا معلومات عن الأحوال السياسية،العسكرية والاقتصادية بالإضافة إلي المعلومات الجغرافية عن المنطقة، باعتبار ان هذه التحصينات قد شُيِّدت ، لحماية السلطة السياسية والدينية أو لحماية مواقع الاستيطان أو للتجارة[1]، و بالتالي تخضع النماذج المدوسة لنفس الغرض من تشييدها .

و عليه؛ فإنَّ التراث الدفاعي الذي تضمنه الجزائر عموما، يرتبط تطوره ارتباطا وثيقا بالهندسة المعمارية الدفاعية، وبالمساهمة المتتالية لمختلف الحضارات، بدأت من الفينيقيين الى الرومان، إلى مرحلة الفترة العثمانية،إلاَّ أنَّه لم يحظى بعناية كبيرة وهذا ما رأيناه في المعالم الأثرية القائمة كبرج الأنابود بشرشال و البرج بالقليعة.

إنَّ فكرة تحصين المدن، كما جاء في المصادر و المراجع، ماهي إلاَّ استراتيجية اهتدى إليها المعماري المسلم عموما، والعثماني خصوصا لتقوية و تمتين القوى السياسية ثم تجسيدها على أرض الواقع و ذلك انطلاقا من طريقة البناء و التشييد. وهكذا ظهرت فكرة إنشاء الاستحكامات الحربية لتدعيم النظام الدفاعي للمدينة عامة و مدن الجزائر خاصة.

[1]- محمد التوم محمد فضل المولى، المرجع السابق، ص،5.

لقد تعرضنا في الفصول الأولى إلى وضعية المناطق الساحلية أو الساحل المتوسطي ككل، التي شكلّت الهاجس و الدافع الأساسي، لتحصين المدن المحاذية للساحل، و دعت الحاجة الى ضرورة الإعداد العسكري، للتصدي و الدفاع و ذلك باتخاذ مواقع عسكرية، وفق صيغ معمارية تتواكب و إمكانيات تلك الفترة في اطار معماري و وظيفي ، و بذلك تدخلت العمارة الحربية بشكل كبير في صياغة النسيج العمراني لهذه المدن.[1]

أولا: الاستحكامات العسكرية:

سنتطرق إلى تحليل عينات متمثلة من جملة من الاستحكامات الحربية التي تميز بها النظام و الحزام الدفاعي للجزائر خلال العهد العثماني، و مدى أهميتها في المكان الذي شيدت فيه، و ذلك لهدف رسم صورة صادقة لنموذج من العمارة الإسلامية الدفاعية في محيط زماني و مكاني محدد، دراسة تحليلية مع التركيز على أسس و تصاميم عمارة هذه النماذج، بالإضافة إلى أهم عناصرها الدفاعية و خصائصها العسكرية من مزاغل و سقاطات و كذا شرافات باعتبارها؛ ساهمت مساهمة كبيرة في التحصين و الدفاع عن المناطق التي تواجدت بها، شيدها المعماريون لوظائفها الدفاعية المتعددة المتمثلة في حماية المدينة من جهة، و حماية الجند من ناحية اخرى.

لدينا نوعين من الاستحكامات العسكرية؛الأبراج والأسوار موجودة بالمدن الجزائرية التالية شرشال،المدية، لبقليعة و مليانة، فالنوع الأول؛ الأبراج و عددها ثلاثة؛ الواحد يخص مدينة شرشال، الثاني في مدينة القليعة و أما الثالث فيخص

[1]- بن شامة سعاد، المعالم الأثرية في مدن الوسط الجزائري.....ص،229.

مدينة المدية، والنوع الثاني من الاستحكامات يتمثل في الأسوار و يخص سور أو أسوار مدينة مليانة.

الملاحظ أنَّ دراستنا هذه تقوم حسب المعطيات التي بحوزتنا، نظرا لقلة أو انعدام المادة التاريخية لبعض هذه العينات، باستثناء بعض المخططات و الخرائط التي تعود الى فترة الاحتلال الفرنسي، على مستوى مديريات الثقافة و أرشيف ومكتبة حصن 23.

بذلك فإنَّ دراستنا التحليلية لهذه اللمعالم العسكرية تعتمد أساسا، على الدراسة الميدانية التقنية و المعمارية، من خلالها نستشف أساليب الحرب مع تطور السلاح الذي يقابله تطور في المنشآت العسكرية، بمختلف أنواعها من حيث تخطيطها المعماري وعناصرها ومواد البناء المستعملة فيها.

سيتضمن التحليل ثلاث عناصر أساسية وهي كالتالي: العنصر الأول و يتمثل العمائر العسكرية (النموذجية) من خلال مخططاتها المعمارية (المساقط الارضية و المقاطع الطولية)، ودراسة عناصرها المعمارية الدفاعية، ثم وسائل التغطية أو التسقيف .

أما العنصر الثاني؛ يتمثل في مواد البنائية المستخدمة في هذه التجهيزات، ثم لتيها تقنيات البناء و الانشاء، بينما العنصر الثالث فهو يخصَّ التأثيرات و المتمثلة التأثير المعماري العثماني على العمائر العسكرية المحلية بالجزائر، ثم التأثير الأندلسي أو المساهمة الأندلسية فيها.

أ- الأسوار :

يذكر الباحث الجزائري رشيد بورويبة أن الأسوار، من الوسائل الدفاعية التي غلبت على العمران، حيث كان اتخاذ السور حول المدينة أمرا هاما ، فهو يعني أمن و أمان السكان داخلها و تأمينها[1]، هي كذلك و عبر عدة مراحل بني السور أوّلا باللبن أو الطين ، ثم بني بالحجر رغبة في زيادة صلابته لمقاومة ضربات العدو[2]، و من الحجر حسب الدكتور عبد العزيز سالم نذكر الطابية في بناء أسوار بعض المدن في عهد المرابطين و الموحدين باعتبارها أقوى من اللبن، و عُدَّ ذلك من تطوير استخدامات مواد الانشاء بهدف تقوية و متانة الاسوار[3]، و في الغالب كان يصمم أعلاه على شكل ممر أو رصيف، حتى يسهل على الحراس و الجند المشي فيه بسهولة، و التحرك فيه بحرية أثناء القيام بعملية الحراسة و المراقبة، و تكون الملاحظة و المراقبة أوضح و على مساحة أكبر و أوسع و توضع فيه أبراج و نقاط للمراقبة، على مسافات مختلفة متفاوتة تسمح بسهولة الاتصال بين الحراس و الجند في وقت قصير، محدد لتنظيم العمل فيما بينهم[4]، و منها ما كان يأخذ شكلا مزدوجا اي على شكل سورين متوازيين للزيادة في الاحتياط او كضرورة فرضتها المناطق المنبسطة للوقوف في وجه الغارات المحتملة [5]، و كانت الأسوار عالية يحتاج اجتيازها الى سلالم طوال و الحراسة

---

[1]- رشيد بورويبة، مدن مندثرة، تاهرت، سدراتة، اشير، و قلعة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص، 77. أنظر أيضا شريف عبد القادر،" **التحصينات العسكرية في المغرب الاسلامي: الاسوار انموذجا**"، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات و الأبحاث في التاريخ و الآثار و الفنون، أعمال الملتقى الدولي– النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني 27/26 نوفمبر 2014،العدد 05 ،الجزء الثاني، عدد خاص ،السنة، 2014، ص،265.

[2]- رشيد بورويبة، مدن مندثرة..... ص،77. أنظر أيضا شريف عبد القادر، المرجع السابق،ص،256.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006، ص،774.

[4]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع الاسلامي، ص، 124.

[5]- رشيد بورويبة، مدن مندثرة..... ص، 77.

في الأبراج دائمة ليلا و نهارا شتاء و صيفا، وكان للحراس كلمة سر بينهم و بين السكان، استخدم السور للتحكم بعملية الدخول إلى الموقع، أو المدينة أو القلعة أو الدولة و الخروج منها.[1]

ما يميز السور عموما هي الضخامة من حيث السمك، الذي يتجاوز في بعض الأحيان حوالي المترين، و قد وصل في جهاته الأخرى الثلاثة أمتار، أما الارتفاع فيتراوح ما بين 06 الى 10 أمتار[2]،وهذا راجع لأهميتها الحربية التي يتمتع بها هذا النوع من الاستحكامات، إذ أنً المهندسون و البناؤون قاموا بتطويرها و زيادة ارتفاعها و سماكتها، و تحسين أشكال فتحات الرماية.[3]

هكذا؛ يتبن أن السور من المنشآت المعمارية، تؤدي وضيفتين متداخلتين تتمثل في الحماية و الأمن الخارجي، إلى جانب دور تحديد المساحة المشغولة و الخطط، و هو نوع من التحصينات الدافعة،التي يأخذ شكل حاجز ترابي أو خشبي أو حجري جاء في كتاب" **معجم المصطلحات.....**" لعاصم محمد رزق، يحيط بالمدينة أو الحصن و قد استخدم السور للتحكم في عملية الدخول إلى الموقع.[4]

إنً هذا النوع من المباني أو السور، من التدابير الاحترازية المهمة التي استخدمتها المدن في العصور القديمة و الإسلامية، ويعد عنصرا دفاعيا مميزا من حيث التصميم والبناء،لمايؤمنه من الحماية للمدينة أمام الغارات الخارجية المعادية

---

[1]- رشيد بورويبة، مدن مندثرة.....ص،58.

[2]- Ricard pierre,Op,Cit,p,p,221,221.

[3]- سالم السيد عبد العزيز ، بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار،ج2،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،،1979،ص،22.

[4]- الأيوبي مقدم هيثم ،" **الأسوار** "، الموسوعة ، ج2 ، ط2، بيروت، دار الفارس لنشر و التوزيع ، المؤسسة العربية،1900، ص،ص،458-459.

والاضطرابات السياسية التي تتعرض لها من فترة لأخرى،لا سيما المدن التي تتمتع بأهمية مركزية مرموقة.[1]

تختلف أسوار المدن باختلاف المواقع والتخطيط ومواد البناء،اذ تعتبر الإطار الذي يحدد شكل المدينة الاستداري أو البيضوي، كما هي الدعامة الأساسية في حماية المدينة.[2]

وُجد هذا النوع من التحصينات منذ القدم في الفترات القديمة، والأمثلة عديدة تمس الحضارات القديمة كالحضارة المصرية، العراقية، اليمنية و اليونانية و غيرها، ليليها الفترة الاسلامية. فكما هو معروف أنَّ الحاجة إلى تحصين المدن ظهرت منذ عهود قديمة، عندما نشأت المدن و ازداد عمرانها و ثراءها، مما أدَّى إلى بناء الأسوار حول المدن و اتخاذ الجند و القادة الذين يتولون الدفاع، و من هنا كان اتخاذ السور حول المدينة، أمرا هاما و ضروريا.[3]

من الملاحظ أن مكانة و أهمية هذا النوع من النظام الدفاعي، ازدادت بقوة و بكثرة مع مرور الوقت، زد على ذلك الاضطرابات الداخلية التي ظهرت نتيجة الصراع على السلطة بين الأسر الحاكمة ، فأول اهتمام يوليه الحاكم بعد وصوله للسلطة، هو بناء السور إن لم يكن موجودا وترميمه وصيانته إن كان موجودا[4]، حتى أصبح السور يحيط بالمدينة مهما كان حجمها[5]، كما هو الحال بالنسبة

---

[1]- فيان موفق رشيد محمد النعيمي، معالجة المشكلات البيئية لعمائر الموصل خلال العصور الاسلامية، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الاولى، 2015،ص،35 .

[2]- فيان موفق رشيد محمد النعيمي، نفسه.

[3]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص،96.

[4]- اسماعيل بن نعمان ،" **التحصينات الدفاعية في مدن المغرب الاوسط ،مدينة تنس انموذجا** ".....ص،424.

[5]- هنري تيراس،**" الحصن"** ترجمة، شكري حسن، دائرة المعرفة الإسلامية، ج،13، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986، ص،2987.

لسورنا ، فبالرغم من أن مشروع إنجاز السور عموما يتطلب عملا شاقا وطويلا ومكلفا، وهو ما يفسر دوامه معتمدا على الاصلاحات الدائمة له[1]، إلا أنَّ هذا الأخير أي السور كان السمة البارزة لمدن الشمال الإفريقي[2]، ومدن الأندلس اذ يشير توريس بالباسليوبولدو إلى أنَّ معظم المدن الاسبانية، مزودة بحائط أو سور ترتفع فوقه بعض الابراج، وكانت مبنية من الطوب(اللبن)أومن الإحراج المنحوتة، و كان السور يحمي المدينة و سكانها و المقيمين في المناطق المجاورة لها، و الجدير بالذكر أنه يندر وجود مدينة إسلامية في الأندلس دون سور يحميها الا مدينة واحدة وهي مدينة شلطيش " **SALTES** " بالقرب من ولبة "**HUELVA**، و يرجع هذا إلى أنها مقامة على إحدى الجزر.[3]

حسب العديد من المصادر و المراجع، وكذا الدراسات و الأبحاث الاثرية لهذا النوع من التحصينات، في أغلب مدن البياليك على سبيل المثال مدينة قسنطينة عاصمة بيلك الشرق،المدية عاصمة بايلك التيطري و سورها،بالإضافة إلى أسوار مدن دار السلطان كشرشال و مدينة الجزائر، هذه الاخيرة التي حصنت على شاكلة كل المدن الساحلية منذ نشأتها،و لكنها لم تعرف استحكامات عسكرية بالقوة التي شاهدتها المدينة في الفترة العثمانية، نظرا لقوة الاستحكامات العسكرية و قوة الجيش الجزائري البحري في الفترة العثمانية، وتزعمه الجهاد في أعالي البحار[4]*، بالإضافة الى مدينة مليانة المشهورة بأسوارها و الباقية الى يومنا و هي موضوع دراستنا.

---

[1]- ليوبولدو توريس بالباس، المدن الإسبانية الإسلامية.....ص،ص،146-194.

[2]- Roger Le Tourneau,Op,Cit,p,13.

[3]- ليوبولدو توريس بالباس، المدن الإسبانية الاسلامية..... ص.191.

[4]- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق،ص،32.

الجانب التاريخي لسور مليانة :

تعد أسوار مليانة الأثرية من أهم الاستحكامات العسكرية التي تميز هذه المدينة عن باقي المدن الجزائرية الاخرى **(الخريطتين(17)،(18)**، و قد مر بأدوار معمارية متعددة خلال العصور التاريخية منذ الفترة القديمة الرومانية الى الفترة الاسلامية بدءا بالفترة الزيرية الى الفترة العثمانية ثم فترة الاحتلال الفرنسي،**(الخرائط(17)،(18)،(19)،(20) المخططين (02)،(03))**، و الجدير بالذكر أنَّ هذه الأسوار، قد لعبت دورا كبيرا في تاريخ المدينة في سبيل ضمان الأمن و حمايتها ، اذ كانت الحاجز لصد هجومات و غارات العدو الذي عجز عن اقتحامه[1]، باعتبار أنَّ الهدف من التأسيس بالدرجة الأولى في كل المراحل سواء في الفترة القديمة او الفترة الاسلامية او العثمانية هو حماية أمن المدينة و اثبات وجودها، و هذا ما جعل عبد الستار عثمان يصنف او يعتبر هذا النوع من الاستحكامات عموما من المعايير الحضارية التي تميز المدن.[2]

بالرغم من الموقع الطبيعي المحصن لمدينة مليانة الموجود فوق هضبة عالية بين جبال زكار، و إشرافها على وادي في غاية العمق، فان ذلك لم يمنع من بناء اسوار عالية أحاطت كل المدينة بعلى كل جوانبها، اذ تشكل اسوار مدينة مليانة زيادة عن قيمتها التاريخية منظرا طبيعيا خلابا فهي بمثابة شرفة تطل على كل المناطق المتواجدة بسهل التلة. فهي تطل من جهة على واد ومن جهة اخرى على

---

*ذكرنا في الفصول السابقة أن سور مدينة الجزائر عرف مراحل تاريخية في بنائه حسب المراحل التاريخية التي مرت بها المدينة ابتداء من السور الفينيقي و الروماني إلى غاية السور الزيري ثم العثماني، و هذا الأخير أي الأسوار التركية التي شُيِّدت خلال الفترة العثمانية من طرف "حسن باشا" سنة (947هـ/1540م)، كانت تحيط بالمدينة. انظر .Boutin Vincent – Yves –, Op,Cit,26

[1]- عباس كبير بن يوسف، **" مليانة"**.....ص،9.

[2]- محمد عبد الستار عثمان ، المرجع السابق،ص،125.

منحدر ينطلق من الهضبة الى مجرى الشلف (وادي الشلف)[1]،الموقع يُذكّرنا حسب الرحالة و الجغرافي حسن الوزان بموقع مدينة نارني الايطالية.[2] **(الخريطة (15)).**

يحتمل أنّ تاريخ بناء هذه الأسوار يعود الى عهد الرومان* باعتبار أنّ المدينة قد تأسست في الفترة الرومانية على حد قول بعض المؤرخين امثال البكري في قوله"....**مدينة مليانة و هي مدينة رومية ....جددها زيري بن مناد.....**"[3]، و الجغرافيين أمثال الوزان تحت اسم **زيكوبار** على حد قول البعض: " **مدينة كبيرة جدا و قديمة ، بناها رومان و اطلقوا عليمها اسم ماكنانة ، لكن العرب حرفوا هذا الاسم....**".[4]

عندما جاء الأتراك العثمانيون، فأعادوا بناءها على أنقاض السور القديم لتحصين القصبة و المدينة عند استقراراهم بها مستعملين في ذلك مواد البناء المستعملة او بالأحرى التي جُلبت من بعض البقايا الأثرية التي كانت توجد بضواحي المدينة، نذكر على سبيل المثال الحجارة المصقولة و هي من المواد الاكثر استعمالا.[5]

---

[1]- عباس كبير بن يوسف، " مليانة".....ص،4.

[2]- الوزان حسن بن محمد الفاسي ، المصدر السابق، ص، 35.

* أشرنا في الدراس ة الوصفية الى تاريخ سور مليانة و ذكرنا الباحثين الاجانب الذين رجّحوا تاريخ الإنشاء الى الفترة الرومانية، و من هؤلاء فيرC. vire و كذا بربروجر Berbrugger ، بالإضافة الى نقيب الجيش الفرنسي قوبارGaubert و كذا رو دوكوساد De Caussade. انظر Boukratem Oumelkheir, Op,Cit,p,205.

[3]- ابي عبيد البكري، المصدر السابق،ص، 61.

[4]- الوزان حسن بن محمد الفاسي ، المصدر السابق، ص، ص، 35-36.

[5]- Boukratem OumelkheirOp,Cit,124.

مراحل بناء سور مليانة :

مر سور مليانة بعدة مراحل و أدوار معمارية متعددة من البناء و التجديد خلال العصور او بالأحرى الفترات التاريخية التي مرت بها مدينة مليانة من الفترة القديمة و نخص بالذكر الفترة الرومانية باعتبار ان الرومان هم من قاموا بتأسيسها و تسميتها بزيكوبار الرومانية الى الفترة الاسلامية بدءا بالفترة الزيرية الى الفترة العثمانية ثم فترة الاحتلال الفرنسي.**(الخرائط(15)، (17)،(18)،(19)،(20))**

خلال هذه الفترات التاريخية أُحدثت عدة تعديلات و تغييرات مهمة في تصميم و مواد البناء لهذا النوع من التحصينات، من الفترة العثمانية ثم فترة الاحتلال الفرنسي في السنوات التالية ، و يبدو أن سبب أي فكرة تجديد السور بمعنى اعادة بنائه من جديد تعود الى تهديم السور أو أجزاء منه لغرض التعمير و التوسيع العمراني لمدينة مليانة، وقد استمرت عمارة السور حتى بعد الاحتلال الفرنسي. فبعد تأسيس المدينة الاسلامية مليانة* على انقاض المدينة القديمة زوقابار من قبل بلكين بن زيري واول ما قام به هو اعادة تحصين المدينة بتأسيس السور من جديد على أنقاض السور الروماني مستخدمين مواد البناء المستعلة في المعالم الاثرية الرومانية الموجودة آنذاك بالمنطقة، و في هذا السياق يقول ابن محشرة في موضع من الاستبصار حوالي 587 هـ/1191م، من خلال محمد حاج صادق : " **مليانة رومية عظيمة قديمة رومانية جددها زيري بن مناد و بها اثار**

* عن تاريخ مليانة في الفترة الاسلامية انظر للتطلع اكثر عن تاريخ مدينة مليانة في الفترة الاسلامية انظر كل من عبد الرحمن ابن خلدون،العبر، ج6.....ص،ص،171-450، و مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم ،ج2.....ص،ص،181-182..و عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1،ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384هـ/1965م ،ص،405،.و محمد الحاج صادق، المرجع السابق، ص، ص، 28-29.

....حصينة في سفح الجبل يسمى زكار...."[1]، و هذا تأكيدا على تجديد السور بعد بناء المدينة . لكن لسوء الحظ تكاد تنعدم المعطيات التاريخية و الاثرية عن المدينة و نسيجها العمراني بما في ذلك استحكاماتها الدفاعية (الاسوار) و قليل من المؤرخون و الجغرافيون من اعطوا وصفا امثال البكري و الادريسي لكن باختصار شديد جدا.

و أثناء مرور الجغرافي الحسن الوزان بمدينة مليانة في النصف الثاني من القرن الهجري/ الموافق للقرن السادس عشر الميلادي و بالتحديد سنة 1515م، لاحظ المدينة مسورة بأسوار عالية و قال في شأنها:".....و تحيط بالمدينة أسوار عتيقة....."[2]، هذا دليل قاطع على أنً مدينة مليانة مدينة كانت موجودة قبل مجيء العثمانيين من جهة، و أنً الأسوار كانت موجودة قبل دخول العثمانيين المدينة.

نظيف إلى ذلك؛ كاربخال الذي ذكر أسوار مليانة في وصفها قائلا: " **تحيط بالمدينة أسوار قديمة عالية حصينة جيدة البناء، تجاورها من إحدى الجهات صخرة عالية شديدة الانحدار يوجد في أسفلها واد عميق .وفي الجهة المقابلة تمتد المدينة على الجبل، وبها قلعة كبيرة تشرف عليها.....**"[3]

مع دخول الأتراك العثمانيين بمجيئ الاخوة عروج و خير الدين المدينة، أدرك هؤلاء أهميتها الاستراتيجية[**] فأعادوا بناء الأسوار من جديد على أنقاض

---

[1]- محمد حاج صادق، المرجع السابق،ص،23.

[2]- الوزان حسن بن محمد الفاسي ، المصدر السابق،ص،37.

[3]- مارمول كربخال، افريقيا،ج2.....ص،360.

[**]عن الاتراك العثمانيين في مدينة مليانة انظر كل من مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم ،ج2.....ص،ص،181-182..و عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1،ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384هـ/1965م ،ص،405،.و محمد الحاج صادق، المرجع السابق،ص،ص،31-50. و كذا عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن .....ص،ص،306-307. وعبد القادر نور الدين، المرجع السابق،ص،71. و عباس كبير بن يوسف،" **تاريخ التطور العمراني لمدينة مليانة** ".....ص،4.

السور الروماني، مستخدمين مواد البناء التي تعود الى العهد الروماني، التي جلبوها من بعض البقايا بالمواقع الأثرية التي كانت موجودة بضواحي المدينة. و تعد من أولى الاعمال المهمة التي قاموا بها لتحصين المنطقة، كما قاموا بإنشاء سورين، فالأول منه أحاط القصبة التي كانت تحتل الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة، أما السور الثاني فسوّر المدينة العثمانية في الجهة الشرقية و الشمالية[1]. و نشير إلى أنّ أكثر مواد البناء استعمالا في تلك الفترات، هي الحجارة لتوفرها بكثرة بالمرتفعات التي تحيط بالمدينة.[2]

حسب بعض المصادر والمراجع التاريخية، فإنّ هذه الأسوار كانت تتخللها مجموعة من الأبراج عددها يصل الى 17 برج، وما زالت آثار البعض منها باقية الى بومنا هذا ،زد على ذلك مجموعة من الفتحات تتمثل في المزاغل و اثارها باقية الى يومنا هذا نتوسع فيها لاحقا.**(الخريطتين(20)،(21))**

تشير كل من شابي شمروك نعيمة و منور وسيلة الى إبقاء سور المدينة، عشية احتلال المستعمر الفرنسي لمدينة مليانة قائلتا:" **في عشية الاحتلال الفرنسي، كانت مليانة يحيط بها سور، يحدها من الناحية الغربية وادي البطحاء.....**".[3]

عندما دخل الفرنسيين مدينة مليانة ما لاحظوه؛ حسب النقيب **Gaubert** كباقي المدن العربية الاسلامية، وجود أسوار محصنة غير كاملة و في حالة سيئة جدا تعود الى الفترة العثمانية[4]، و نركز على هذا النوع من المباني فقط لأنه موضوع البحث، و لكن انعدام المصادر و المراجع حول هذا النوع من الاستحكامات

---

[1]- بن يوسف، عباس كبير ،المرجع الساق،4.

[2]- Boukratem Oumelkheir , Op,Cit,p,124.

[3]- Chabbi Chemrouk Menaouer Ouassila,« **Réhabilitation de l'Architecture Mineure a Miliana** » ,in revue Villes en parallèles, N°36-37,2003,p,212.

[4]- Chabbi Chemrouk Menaouer Ouassila, Ibid, p,102.

صعب علينا دراستها . و ما يمكن قوله أنَّ التغييرات و التجديدات هذه جاءت بسبب التوسيع العمراني لمدينة مليانة و تخطيط المدينة الحديثة، حيث هُدِّم جزء كبير من السور التركي لتوسيع المدينة، ما بين 1843م الى 1856م ، ثم بُنيت أسوار حديثة على أنقاض السور القديم الروماني و العربي و التركي[1]، تكاد تنسجم و الأسوار الأصلية خاصة في الناحية الشرقية للمدينة[2]، و استمرت بناء عمارة السور حتى بعد الاحتلال الفرنسي.**(الخريطتين(20)،(21)) المخططين ((03)،(02))**

نشير إلى أنَّ الملازم القديس أرنود Lieutenant – Colonel Saint Arnaud ،هو من قام بإنشاء السور الجديد على أنقاض السور العثماني، و أضاف أسوار أخرى لتحصين المدينة من جديد، بعد أن أعاد بناء مدينة مليانة بعد استدعائه إليها شهر جوان 1842م، بعد استدعائه من القيادة العسكرية العليا لمدينة مليانة (**Commandement supérieur de Miliana**)، لتحقيق منجزاته بالمدينة لفترة ما بين 1844م– 1867م، هذا الأخير هو من قام بتحويل منارة مسجد البطحاء ،المسرح ، السور ، بالإضافة إلى إعادة بناء النسيج العمراني بعد تحطيم و هدم ما يقارب الثلاثة ارباع منه[3]. فابتداء من سنة 1842م ، شرع الجيش الفرنسي بإعادة التهيئة العمرانية لمدينة مليانة و توسيعها[*] ، بعد إزالة و تهديم كل ما له

---

[1]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر- تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا و جرافتيها الطبيعية و السياسية و عناصر سكانها و مدمها و نظاماتها و قوانينها و مجالسها و حالتها الاقتصادية و السياسية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ص،240.

[2]- عباس كبير بن يوسف، " **تاريخ التطور العمراني لمدينة مليانة** "..... ص، 4.

[3]- Boukratem Oumelkheir ,Op,Cit,p,57.

[*] أعاد بناء مدينة مليانة المقدم او الملازم القديس ارنود Lieutenant – Colonel Saint Arnaud ،(استدعي الى المدينة في جوان 1842م من طرف القيادة العليا لمدينة مليانة(Commandement supérieur de Miliana) لتحقيق منجزات بالمدينة لفترة ما بين 1844م- 1867م. هذا الاخير هو من قام بتحويل منارة مسجد البطحاء ،المسرح ، السور بالإضافة الى اعادة بناء النسيج العمراني بعد تحطيم و هدم ما يقارب الثلاثة أرباع منه.

علاقة بالمدينة الإسلامية القديمة كالعمائر الاسلامية مثلا*، مُطبقا بذلك سياسة التخطيط العمراني الحديث، الذي سنَه المهندس هوسمان التي تدعو الى تدمير كل المنشآت الاسلامية من مساجد و دور و استغلالها في حياتهم الخاصة، بما في ذلك الأسوار التي بناها الاتراك العثمانيين و التي تعد الدعامة الأساسية للأمن و تحصين المدينة، و كان ذلك لغرض توسيعها.[1]

هكذا تم بناء و تطوير المدينة الحديثة، على حساب نسيجها العمراني القديم، مما أدّى اختفاء المظاهر المعمارية لمدينة مليانة الإسلامية ، ولم يتبقى إلاّ بعض أجزاء من الأسوار، و بعض النماذج لمساكن ذات الطابع التقليدي. و الملاحظ أنّ عملية إنشاء المدينة الحديثة هذه سنة 1849م ، تسببت في كشف عدد كبير من النقيشات. وأُعيد إنجاز و بناء الأسوار و التي كانت تتخللها مجموعة من الأبراج، التي يصل عددها الى حوالي 17 برج على أنقاض الاسوار القديمة ، و على امتداد 3 كيلومترات و بالتحديد سنة 1844م ، كما أُعيد بناء الأبراج أيضا انطلاقا من الأبراج التالية:1-2،2-3،3-4، لتنتهي الأعمال في سنة 1856م ببرج رقم 17. زد على ذلك إنشاء الأبواب الثلاثة الرئيسية باب زكار سنة 1854م – 1954م، باب البطحاء 1853م- 1847 و باب الشلف 1857م-1974م.والجديربالذكر أنّ انهاء هذه الأعمال جاءت بمناسبة الزيارة الشرفية التي قام بها الامبراطور الفرنسي نابوليون الثالث يوم 07 ماي 1865م.[2]**(الخرطتين (19)،(20)، المخططين(02)،(03))**

* من المباني التي هدمها المستعمر الفرنسي عند دخوله مدينة مليانة مسجد البطحاء. للمزيد انظر Chabbi Chemrouk Menaouer , Ouassila, Op,Cit,p,p, 102-212.

[1]- عباس كبير بن يوسف، " **تاريخ التطور العمراني لمدينة مليانة**"..... ص،9.

[2]- Tableau de la situation ,T 1840…… p,p,19-22 .

في 1859م و أثناء تخطيط المدينة الحديثة، من قبل الهندسة العسكرية الفرنسية -Génie Militaire- ، تم تغيير موضع الأسوار نحو الجهة الغربية لأجل بناء و توسيع المدينة الحديثة في 1859م.

أمّا في سنة 1935م، فقد تم هدم القسم الشمالي، الذي يمتد إلى غاية شارع الجمهورية، لتوسيع النسيج العمراني للمدينة، نحو الجهة الشمالية للمدينة، و من خلال هذه العملية التوسعية ، اتضح أنّ جزء من هذا القسم؛ يحتوي على جدار يصل ارتفاعه الى حوالي1م، هذا الأخير هو الذي بقي واضحا ليومنا هذا ، يقابل شارع المسمى"الحي الشمالي".

و في 1975م، فقد هُدِّم القسم الشمالي الممتد الى الشارع الحالي بن تيفور، تهدم لهدف إنشاء عيادة متعدد الخدمات، دار الشباب، أكاديمية بالإضافة إلى مجموعة بنائية حديثة ذات وضيفة سكنية. و بعد سنة أي في عام 1976م ، أعيد بناء بعض الأسوار خاصة المتدهورة التي تعرضت للإنهيار، و كانت في حالة سيئة جدا من الحفظ.

ما يميز أيضا وجود جزء من قسم هذا السور قائما إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى البرج رقم 09 ويتمثل حاليا في جزء من بناية حديثة. أما جزء من قسم السور المتواجد ما بين البرج رقم 5 ب و البرج رقم 5 ، فقد تعرض إلى الهدم لغرض إنشاء مدرسة و مساكن.

في سنة 1988م، تم هدم جزء من لقسم السور المتواجد ما بين البرج رقم 5 ب و البرج رقم 5، لتمديد طريق بن تيفور نحو الغرب باتجاه ضيعة بن علال.

يشير مكتب الدراسات، عند بداية أشغال الترميم بمدينة مليانة، فإنً حوالي 20٪ من الأسوار قد اندثرت بسبب الانهيارات المتتالية التي تعرضت إليها، وما تبقًى اليوم من هذه الأسوار غير الأجزاء الجنوبية و الجنوبية الغربية و الشرقية، وحسب جدول وضعية...أبراج عديدة غرب المدينة تعرضت للهدم، بالإضافة إلى جزء معتبر من السور، الذي بناه العثمانيون خارج دائرة السور الجديد الذي بناه الفرنسيون.[1]

بالنسبة للسور؛ كان مُحصنًا في بعض أجزائه بثلاثة حصون أساسية على الأقل و يُقصد بالحصون هنا الأبراج، و قد بنيت على دورين أو برجين أضاف إليهما الجيش الفرنسي دورين آخرين فيما بعد، لتشديد الحراسة على المدينة[2]، و لقد كان جدار السور الرئيسي محاطا بأبراج كثيرة تفصل بينها مسافات، فالجهة الغربية منه كانت بها أبراج مربعة الشكل ومرتفعة، وضعت كحواف بارزة يتمكن من يقف بها لصد عدوه، وكان يضمها جدار آخر حديث البناء[3].

من الملاحظ ان معظم أجزائه اتخذت كجدران لبيوت السكان،أما الأجزاء الأخرى منه فبنيت بالحجارة العادية، وعدد كبير من القطع الحجرية المنحوتة التي وضعت بدون ترتيب أو تمييز، وهذه الحجارة المنحوتة التي مصدرها بالتأكيد هومن البنايات الرومانية القديمة، كانت موجودة حسب شهادات الفرنسيين في الزاوية الشمالية الشرقية وفي عدة نقاط على محيط الجدار.[4]

1- Tableau de la situation T. 1840…… p,p, 19. 22 .

2- Ibid, p, 19.

3- Moniteur Algérien, n° 463, 14 décembre ,1841, p8 .

4- Tableau de la situation, T. 1840…….. p,p,19-22.

لم يكن بناء الجدار متجانسا في مجموعه، فالقسم الشمالي كله وأجزاء من القسم الشرقي بنيت بالحصى وخليط صلب من الرمل والكلس، بسمك مترين وخمسين سنتيمترعلى ارتفاع سبعة أمتار تقريبا.أما الباقي من جدار السور فهو من التراب بسمك ستين سنتيمتر وعلى علو غير مرتفع كثيرا، قد لا يقوى حتى على مقاومة الطوارئ الطبيعية،وكانت المدينة محمية في الجنوب بصخرة منحدرة عموديا انحدارا شديدا، يتلوها حوض عميق يمتد من الشرق إلى الغرب.[1]

نجد في مقالات في كل من جريدة لومونيتور...**Le Moniteur** و كذا جدول وضعية...**Tableau de la situation**، وصف لهذه الأسوار من حيث الجوانب المعمارية و الإنشائية ، في تلك المرحلة خاصة ما بين 1844م إلى غاية 1849 حسب أعداد المقالات في كلا المصدرين. لكن حاليا تشهد بعض أقسام هذه الأسوار بعض أعمال التخريب وإنشاء بعض البناءات الفوضوية بجانبها،الأمر الذي أدى الى تشويه جزء كبير منها رغم التدخلات من طرف الهيئات المعنية.

هكذا ظل هذا السور قائماً الى يومنا هذا ، بالرغم من تعرضه للانهيار و التلف لبعض اقسامه و قطاعاته، و ذلك بسبب التغييرات الجذرية لأغلب أقسامه التي تعرض إليها و اعادة بنائها من جديد، كما اسلفنا سابقا خلال فترة الاحتلال الفرنسي، إلى جانب الصيانة و الترميم التي تعرضت إليها في الفترة الحالية. وما يهمنا في الموضوع وضعية هذا المعلم الاثري من تركيباته الانشائية و مدى صلابته خاصة الاقسام التي تعود تاريخ انشائها الى الفترة العثمانية التي سنتطرق اليها في الدراسة التخطيطية و البنائية.(**الخريطتين(19،(20))**

[1]- Tableau de la situation ……. T. 1840, pp. 19-22 .

الأبراج:

يُعد البرج أحد العناصر الدفاعية الحربية الأساسية الهامة في العمارة الحربية، و في مجال الاستحكامات العسكرية[1]، و يُعد أحد مكوّنات العمارة الحربية، و المدعّمة في العمائر العسكرية بصفة خاصة عبر الأزمنة التاريخية[2]، و هو الجزء القوي من التحصينات المعد ة للدفاع و لتنفيذ الرمايات، و لقد وجدت الأبراج على مقدمة من مجنبات التحصينات والأسوار منذ العصور القديمة، و هي تعد من الأبنية الدفاعية المعمارية و التدعيمية، التي استخدمها المعماري المسلم للدفاع عن مدنه و حصونه[3] ، أقامها المسلمون منذ العصور الأولى التي تلت الفتح حرصا منهم على أمنهم[4]، إذ استخدمها الفنان المعماري المسلم للدفاع و قد شُيدت بطريقة مستقلة كخطوط امامية للمراقبة و إرسال الإشارات[5]، على المداخل و الأسوار التي تحيط بالمدن و القلاع و الحصون[6]. و يتكون البرج أساسا من عناصر بسيطة، فأحيانا تكون ذات بدن ممتلئ يعلوها سطح به ذروة مزودة بفتحات الرمي، وأحيانا غرفة داخلية في مستوى طريق المشاق، يعلوها سطح يصعد إليه عبر سلم.[7]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب،ج1.....ص،ص،359-360.

[2]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص،34.

[3]- محمود رمضان عبد العزيز خضراوي ، المرجع السابق، ص، 110

[4]- حسين أحمد الخرخوري، الأبراج تراث وتاريخ، مطبعة النخيل، الإمارات العربية المتحدة، 1998، ص،12.

[5]- عبد الله كامل موسى عبده، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا .....ص،121.

[6]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص،34.

[7]- Henri Terrasse, art, Hisn, Encyclopédie de l'islam, Tom III , Nouvelle edition,Brill,Paris,1971,p,517.

و البرج يعتبر المُكوِّن أو بالأحرى الخط الدفاع بالنسبة للمدن ، يأتي في الدرجة الثانية بعد السور بل و القلاع و الحصون من حيث التحصين و القوة [1]، فهو بمثابة تقوية أو دعامات للأسوار التي تتسم بمحدودية الرؤية الخارجية[2]. و الملاحظ أنَّ النوع من الاستحكامات أخذ مساقط متعددة منها ماهو دائري مستدير أو اسطواني أو مربع أو مستطيل أو مضلع الشكل، هذا البناء الدفاعي الذي يبرز عن سمت جدران لبناء الحربي، وعادة ما تتم عملية بنائها في شكل منشآت عسكرية،توضع على أطراف الأسوار أو بداخلها،و تكون غالبا على المناطق المرتفعة.[3]

يحتوي البرج على سقاطات و مراقب و مزاغل لرمي السهام، وتنتشر بأسوار المدن الحصون و القلاع، و لذلك فانه يتحتم أن تُزوَّد أسوار القلاع و الحصون بعدد مناسب من الأبراج، و من ثم حجمها يكون عادة صغيرا لتعددها[4]، فقد كانت الأبراج تقوم بدور رئيسي في الدفاع، فهي من العناصر المعمارية المهمة و التي تكون خارجة عن الأسوار الملتصقة بها و بارزة عنها، و متباعدة بعضها عن بعض،بمسافات مقدرة بالنسبة إلى مرامي الأسلحة التي كانت تستعمل في ذلك الوقت[5]. و البرج من العناصر المعمارية الدفاعية الهامة التي استخدمها المعماري

---

[1]- علي محمد راشد، الحصون و القلاع في دولة الامارات المتحدة العربية، وزارة الاعلام و الثقافة ، ط1،الدوحة، 1992،ص،16.

[2]- Henri Terrasse art, « **Hisn »**……p,p,290-291.

[3]- محمودي ذهبية،" **الابراج العسكرية لمنطقة البويرة- الجزائر**"، مجلة عصور ، مجلة فيصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي- مصادر و تراجم- جامعة وهران1- الجزائر-العدد 22-23، جولية- ديسمبر 2014،ص،ص،128-129.

[4]- مرفت عثمان حسن علي، التحصينات الحربية و ادوات القتال في العصر الأيوبي بمصر و الشام زمن الحروب الصليبية، ط1،دار العالم العربي، 2010،ص،91.

[5]- مرفت عثمان حسن علي، المرجع نفسه،ص،92.

المسلم للدفاع عن مدنه و حصونه، فهو جزء متميز قوي التحصينات ، مسلح بقوة، و معد للدفاع و تنفيذ الرمايات(الجبهة الجانبية و الشاقولية).[1]

بناء الأبراج ليس من ابتكار المعمار المسلم، بل تعود أصول بنائه إلى العصور القديمة ، حيث استعملت كوسائل إعلام و مراقبة، إلى جانب وضيفتها العسكرية و الأمنية، و لذلك اهتمت الأمم و الشعوب بإقامتها عند مداخل القصور و الحصون و القلاع و غيرها من المباني، لحمياتها من أي هجوم محتمل او مباغت،وكما هو معروف أنَّ الأبراج المنفردة، كانت تتركز على اطراف الميادين و كذلك كمراقبة المداخل و حماية النقاط الاستراتيجية و لمراقبة الاعلام، و الأمثلة على ذلك ظهرت في اسبانيا و في سردينيا و في افريقيا، حيث كانت توجد هذه الأبراج بكثرة على ساحل البحر و على حدود الصحراء.[2]

عرفت مدن الجزائر عموما انتشار لبناء الأبراج، وعلى نطاق واسع بل وُزِّعت في أماكن مختلفة من الأسوار للزيادة من فعاليتها،و الملاحظ أنَّ إقامة الأبراج بهذا البلد، قد جاءت على نوعين ، منها المتصلة، أي تكون ملتصقة بعمائر حربية كالقلاع و الحصون و أسوار المدن ، تحيط بالمدينة أو القصبة حيث تتوزع عبر الجدار على مسافات معينة كما هو الحال بالنسبة لبروج أسوار المدن الجزائرية كمدينة تلمسان و مدينة معسكر و مدينة مليانة...ولنا حديث عن أسوارهذه المدينة لاحقا، ومنها المنفصلة أي منفردة*[3]، وعادة ما نجد هذا النوع من الأبراج في السواحل عند رؤوس الخلجان، ومنها التي بُنيت في المناطق الداخلية، وهذا النوع

---

[1]- جورج بيرتون بيج، المرجع السابق،ص،15.

[2]- مها محمد السيد، المرجع السابق، ص404.

* نجح المعمار المسلم نجاحا باهرا في إنشاء الأبراج المنفصلة عن الأسوار المختلفة ، و من الامثلة برج السباع في طرابلس يحتله بمفرده جزءا خاصا في دائرة المعارف الاسلامية لما تميز به من تنظيم عملي و توازن معماري و ثراء زخرفي تناغمت فيه كل هذه الخصائص مع وقار البرج- كعمارة حربية- بغير اسراف او تغيير. أنظر عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص،35.

الأخير غالبا ما يحتوي على المرافق الضرورية لمعيشة الجنود المعتصمين هناك كغرف النوم، مصلى، إسطبلات، مخازن لحفظ المئونة ، البارود و بئر أو خزان للمياه[1]،والجدير بالذكر أن هذا النوع من التحصينات العسكرية قد أُنشئت على طول السواحل الشرقية، الغربية، الجنوبية و الشمالية لمدينة الجزائر منها برج تامنتفوست، برج وادي الحميس، برج الكيفان وبرج الحراش أو برج القنطرة ثم برج واد الكنيس **بالجهة الشرقية**، وعلى مسافات بين البرج و الآخر، كانت متاريس تساند و تضاعف من قوة البروج أو الابراج، **أما الجهة الغربية** فقد حظيت هي الأخرى بنفس العناية فأُنشئت عليها عدة أبراج أهمها البرج الجديد، برج الواد، برج مرسى الذبان، برج قامة الفول و برج سيدي فرج، و بينها عدة متاريس هامة ذات أشكال هندسية مختلفة. أما **من الناحية الجنوبية** فلا نجد إلا برج مولاي الحسن وأطلال برج النجمة[2]. والملاحظ أنَّ هذا النوع من الاستحكامات العسكرية، أخذ أشكالا و مخططات و تصاميم هندسية متعددة، منها التي أقيمت على شكل مثمن كبرج تامنفوست منها النجمية كبرج النجمة بالجزائر العاصمة والمستطيلة كبرج مولاي حسن والمربعة كبرج الحراش، الى آخر ذلك من الأمثلة الدالة على استخدامها خلال الفترة العثمانية.[3]

هكذا فإنَّ هذا النوع من المباني العسكرية أو التحصينات، كما جاء في بعض المراجع يستكمل النظام الدفاعي للمدن الجزائرية عموما، وهذا دليل قاطع على اهتمام حكام المدن الجزائرية، بناء العديد منها فمدينة الجزائر على حد قول الدكتورة ميسوم في كتابها بعنوان " **Alger à L'époque ottomane.....** " التي

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية .....ص،297

[2]- علي خلاصي، العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر.....ص، 105.

[3]- محمودي ذهبية ، **" الابراج العسكرية"**.....ص،ص،128-129.

أشارت إلى إنشاء العديد منها ، أصبحت تشكل أهم عناصر شبكة الدفاع عن المدينة، و قد اختيرت لها اماكن مرتفعة تتوفر على عامل المناعة و سهولة المرابطة، و جعل بجانبها نقاط الماء الصالحة للشرب[1]، وهذه المميزات قد لامحنا البعض منها بجانب نماذجنا المدروسة نأخذ على سبيل المثال الارتفاع.

لاحظنا انتشار هذا النوع الدفاعي في مدن دار السلطان لازالت قائمة شاهدة على نجاعة النظام الدفاعي ، نذكر على سبيل المثال؛ شرشال و القليعة مثلا ، و كذا بايلك التيطري، بالإضافة إلى مدن الشرق أو كما يسمى ببيلك الشرق.

و البرج لعب دور فعال في تحصين و حماية و صد هجمات العدو في الجزائر العثمانية عامة و كل من شرشال، القليعة، المدية خاصة، و اعتُبر أيضا كعنصر مُهما في تدعيم سور المدينة كما هو الحال بالنسبة لأبراج سور مليانة، و لم يتبق منها سوى برجين او ثلاث(**الخريطتين(19)،(20)**)، ضف الى ذلك عملية التقوية و التدعيم التي يؤديها أبراج السور، ومن هنا يمكننا القول أنً هذا النوع من التحصينات يتمتع بوظيفتين رئيسيتين؛ فالأولى تتمثل في الوظيفة الدفاعية لصد الهجوم، أما الثانية فتقوم بالمراقبة و الاشعار. فكما نجده أو بالأحرى نجد البرج ملتصقا بجدران السور، فإننا نجده ايضا منعزلا و منفردا في اماكن معينة،على قمم المرتفعات أو التلال أو حتى الهضبات، أو المناطق الساحلية على السواحل لحمايتها، كما هو الحال بالنسبة لبرج الأنابود بمدينة شرشال، كما نجده ايضا في المناطق الداخلية كما هو الحال بالنسبة لبرج القليعة بمدينة القليعة، و برج المصلى بمدينة المدية،و يمكن ادراج هذه الأبراج أو انتماء هذا النوع من الأبراج

---

[1]- Missoum Sakina, Alger à l'époque ottomane, la médina et la maison traditionnelle , Alger, INAS , 2003,p,34.

إلى نوع أبراج المراقبة أو نمط أبراج المراقبة من خلال موضعها و كذا وضيفتها التي أُنشئت لأجلها.

1- دراسة المخططات المعمارية:

نعني بدراسة المخططات المعمارية؛ دراسة **التصاميم و المخططات المعمارية** و المساقط الإنشائية الأفقية دراسة تحليلية، والملاحظ أنَّ العمارة الاسلامية،قد عرفت تطورا ملحوظا من حيث التخطيط المعماري للعمائر المختلفة دينية أم مدنية ام حربية،أو من حيث مفردات هذا التخطيط المتعددة فضلا عن العناصر المعمارية[1]، وهذا لا يعني أنَّ ظاهرة التخطيط بأنواعها من ابتكار المسلمين بل هي وليدة الحضارات السابقة.[2]

و التصميم تعني العمل المبتكر الذي يحقق غرضه، والمخطط أو التصميم و المقاطع حسب الدكتور عبد الجواد من العناصر التكوينية للمباني عموما من مباني عسكرية، مدنية و دينية، و تتمثل في المساقط الأفقية و الحوائط الخارجية، المداخل و الفتحات[3]، و في هذا السياق يشير الدكتور علي ماهر متولي أحمد أنَّ التصميم من أهم الموضوعات التي تواجه الفكر الأثري المعماري[4]، و يرتكز التصميم على أساسات من العلاقات بين الوحدات المعيشية ذات الوظائف المختلفة، والتخطيط و التصميم مرتبطان لبعضهما البعض لاعتبار أنَّ التخطيط

---

[1]- محمد حمزة اسماعيل الحداد، بحوث و دراسات في العمارة الإسلامية..... ص،167.

[2]- فيتروفيوس ماركوس ، الكتب العشرة في العمارة، من إعداد يسار عابدين وآخرون، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، دمشق، سوريا، د.س، ص.....ص،7.

[3]- توفيق عبد الجواد ، تاريخ العمارة و الفنون في العصور المتوسطية و الاوروبية و الاسلامية،ج2، ترتيب و تنسيق، صباح السيد سليمان، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2009،ص، ص، 202.

[4]- علي ماهر متولي أحمد، اسس تصميم العمائر السكنية في القاهرة في العصرين المملوكي و العثماني – دراسة أثرية معمارية- ، مج1،رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، قسم الأثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية،1426هـ/2006،ص،35.

علم يهتم بالتصميم الهندسي و فن تشكيل الأبنية و المنشآت[1]،والمخطط هو الشكل المحقق في المسقط الأرضي للبناء.[2]

يعد التصميم أو التخطيط من أهم المواضيع التي تواجه الفكر الأثري المعماري، و كلمة التصميم المعماري قديما كانت تدل على الاسم فقط، حيث كان الاهتمام مقصورا فقط على الناحية الشكلية،وكان أغلب الكُتَّاب يقصدون بكلمة التصميم"التشكيل ذو البعدين". أما حديثا فأنها تدل على الفعل، حيث يضم التصميم كل أوجه النشاط و يشمل مختلف العناصر المتصلة به اتصالا وثيقا و جميع نواحي الحياة، مما يدرك معه مدى اهمية التصميم، ذلك التحول في مفهوم كلمة التصميم من الاسم الى الفعل،هو تركيز الانتباه إلى الفاعلية في التصميم ذاته، و يعتبر التصميم بالنسبة لماهيته من أنَّه نظام إنساني أساسي، هو أحد الأسس الفنية للحضارة، والفكرة ليست للتركيز على الشكَل من أجل الشكل ذاته، بل تركيز الانتباه الى الفاعلية في التصميم.[3]

ظهرت التصاميم المعمارية الأولى مستوحاة من التصاميم التي كانت سائدة في أرض الاسلام،استمرت معلما مهما يستوحي منه الفنان في العصر الاسلامي، هذا الفنان الذي أسلم أو أبقى على دينه، قد نقل تقاليد فن العمارة السائدة قبل الإسلام إلى العمارة الاسلامية، وكان هو نفسه قد قام قبل و بعد الاسلام بدور المعمار و المنشئ، أو هو الوارث المباشر لتقاليد العمارة، إذ لم يكن العرب المسلمون الفاتحون قد حملوا معهم اسسا لعمارة اسلامية ، بل هو الفكر الاسلامي الذي نما

[1]- سعاد بن شامة، المنشآت المعمارية الاثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني.....ص،174.

[2]- سعاد بن شامة، المرجع نفسه.

[3]- علي ماهر متولي أحمد، المرجع السابق، ص،35.

و انتشر بين الناس بعد قرن من الزمن، فكان اساسا لمفهوم معماري جديد، سار حثيثا في مضمار الابداع و التنوع.[1]

و دراسة و تحليل التصميم المعماري أو التخطيط ، هي الوسيلة الوحيدة لإدراك العوامل التي بنت عليها الأحكام الصحيحة في التصميم، عن طريق فهم أفضل لإنشاءاته ومعيار كامل لجميع محتوياته و عناصره الاساسية، من مجسمات و مسطحات و خطوط، و ذلك من دراسة أسس التصميم من خلال الوصف الوظيفي له و تحليل و مقارنة أسس التصميم لكل مجموعة وظيفة معمارية، و دراسة أسس التصميم و تنظيم التصميم، يعطي الوقت التقريبي لإنجاز و الوصول الى كل نشاط و معرفة الوقت اللازم، لإنجاز التصميم و تجميع الاوقات الزمنية لتكامل التصميم.[2]

عرفت العمارة الإسلامية تطورا من حيث التخطيط المعماري، للعمائر المختلفة دينية أم مدنية أم حربية أو من حيث مفردات هذا التخطيط المتعددة فضلا عن العناصر المعمارية[3]. ومن الملاحظ أنَّ التصاميم المعمارية للمباني تتأثر بتضاريس الموقع، و خاصة من ناحية الارتفاع و الانخفاض في مستوى الأرض، فإمَّا أن يأخذ المبنى شكل التضاريس التي انشئ عليها،و إمَّا أن يلجا المهندس إلى الحيل الهندسية، للتغلب على تعدد مستويات الارتفاع في الموقع، بهدف الحصول على مستوى أفقي سليم للنهايات العليا للمبنى.[4]

---

[1]- عفيف بهنسي، فنون العمارة الاسلامية و خصائصها في مناهج التدريس، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، اسيسكو، حي الرياض،- الرباط، المملكة المغربية،1424هـ/2003م،ص،35.

[2]- علي ماهر متولي احمد، المرجع السابق، ص، 40.

[3]- محمد حمزة اسماعيل الحداد، بحوث و دراسات في العمارة الاسلامية.....ص، 167.

[4]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع السابق،.ص،58.

الملاحظ أنَّ عامل الموقع* من العوامل الطبيعية التي تؤثِّر على سياسة التخطيط عامة و مخططات العمائر أو المباني خصوصا،ونلمح أثر تأثير الموقع** الواضح على مخططات نماذجنا المدروسة و الذي نتطرق لاحقا.[1]

لذلك فإنَّ تطوَّر طريقة تخطيط أو تصميم الأسوار و القلاع و الحصون و الأبراج من فترة إلى أخرى، كان مرتبط بتطوير وسائل الدفاع و الهجوم و أساليبها، و طغيان هذه العمارة الدفاعية في المدينة، دفع البعض إلى نعتها بأنَّها في حالة دائمة من المواجهة، وهي مستعدة على الدوام للدفاع،ولا شك أنَّ الوظيفة الدفاعية من أهم الوظائف و هي وضيفة مشتركة بين استحكامات العالم الاسلامي الحربية عامة، لذا اتسمت اجزاؤها بالمتانة و الضخامة الدفاعية من حيث الأسوار و الأبراج، مع تزويد هذه الأخيرة أي الاستحكامات الدفاعية بمداخل أو فتحات طولية ضيقة للرمي بالسهام، و بعضها مزود أيضا بسقاطات لإلقاء المواد السائلة و الحارقة على كل من يحاول اقتحامها أو الاقتراب،و من الأمثلة أسوار و أبواب مدينة القاهرة الفاطمية[2].ولا نستغرب في استخدام تدابير معمارية سابقة في تخطيط هذه الاستحكامات نظرا لأهمية وضيفتها الدفاعية. وما ذاك إلا امتداد

* لما كان تحصين المدن يبدأ باختيار الموقع الذي اشترط المفكرون المسلمون فيه أن يكون حصينا بطبيعته، كان يكون على هضبة متوعرة من الجبل او باستدارة بحرا أو نهرا فقد راع المعمار العثماني هذه المواصفات في اختيار مواقع الاستحكامات في مراقبة السواحل من الجهات التي يهاجم منها الأعداء.

** يفرق جغرافيو المدن حسب مصطفى عباس الموسوي بين مصطلحين هما الموضع و الموقع، فيعني المصطلح الاول الصفات الطبيعية للمكان التي تمثله المدينة من حدودها، و بمعنى اخر انه يمثل العنصر الطبيعي الذي تحدده البقعة التي نهضت فوقها المدينة، و هي التي تكون عونا لها ، لكي تبقى على الدهر نامية مزدهرة ، و ذلك اذا ما حالف التوفيق اختيارها لما تمتاز من مزايا محلية و اقليمية ، و يعني الثاني أي الموضع؛ جميع الارتباطات الاقتصادية و الاجتماعية و الحضرية بين المدينة و المناطق المحيطة بها أو اقليمها. مصطفى عباس الموستري ، المرجع السابق،ص،ص،236-237، اما الموضع فهي فكرة موضعية بحتة تمثل الأماكن التي تقام عليها الكتلة العمرانية للمدينة داخل اطار الموقع فهو بذلك جزء محدد من الموقع و نقطة به لا منطقة فيه. أنظر فيان موفق رشيد النعيمي، المرجع السابق، ص،17.

[1]- أحمد عبد القوي محمد، العمارة الاسلامية و القبطية ببني سويف في العصر الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،2016،ص ، 232.

[2]- احمد عبد الرزاق أحمد، العمارة الاسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي(21-923هـ/641-1517م)،ط1، دار الفكر العربي، القاهرة،2009،ص،139.

للتحصينات التي يحرص حكام المسلمين عامة، والعثمانيين في الجزائر خلال الفترة العثمانية خاصة على بنائها لحماية بلادهم.[1]

لقد تعددت المخططات و التصاميم المعمارية التي تمس العمارة العسكرية في الجزائر و تنوعت بتنوع وظائفها من أبراج و حصون و قلاع و أسوار، و ما يهمنا في ضل دراستنا النموذجية نوعين من الاستحكامات و هما الأسوار و الأبراج بالمدن التالية شرشال ، القليعة ، المدية و مليانة، بدءا بالأسوار ليليها الابراج.[2]

أ- مخطط سور مليانة:

بناءا على ما ذُكر في الفصول السابقة و اعتمادا على المصادر و المراجع التاريخية و الاثرية المُعتمَدة في معالجة هذا الموضوع، و اعتمادا على دارستنا الميدانية التي قمنا بها في الموقع ، فان مدينة مليانة بالتأكيد اعتُمد في تحصينها على التحصينات الطبيعية من جهة، إذ تعد الحصانة الطبيعية أهم العوامل التي رُوعيت في اختيار الموقع، و من جهة أخرى نظيف التحصينات المعمارية الميكانيكية ، فغدت منطقة محصنة تحصينا دفاعيا طبيعيا و ميكانيكيا. يتمثل النوع الأول في التحصينات الطبيعية التضاريسية،اذ تجسدت هذه المدينة بحسن اختيار الموقع البعيد عن ساحل البحر لحمايتها من هجمات العدو المفاجئة و السريعة، والمحمي بعناصر تضاريسية طبيعية تدعمها ثلاثة عناصر أساسية؛ تمثلت من جهة الجبال أو مرتفعات زكار الشامخة، في مرتفعات عالية*كسلسلة أو

---

[1]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع السابق،ص،68.

[2]- احمد عبد القوي محمد، المرجع السابق، ص،227.

* يمتد السطح الملياني في جزء من المنحدر الجنوبي لكتلة الأطلس الساحلي الجبلية المسماة بكتلة مليانة، وهي تضم سلسلة زكار و ظهير بني مناصر والمنحدر الشرقي لجبل دوي في الغرب، ومعظم سهول شلف في حوض الخميس(Affreville) والحدود الجنوبية

جبال زكار* بقسميها الغربي و الشرقي الذي يزيد ارتفاعها عن 07 امتار إلى 08 امتار[1]،ومن جهة اخرى منحدر ينطلق من الهضبة(جاءت متدرجة الارتفاع) الى وادي الشلف تتوزع عليه السهول كسهول شلف، و كذا سهول أخرى جاءت باتجاه الجنوب وهي عبارة تلال منحدرة ومن أهمها سهل العناصر، سهل البرقوق، سهل الفج، سهل زقالة[2]، بالإضافة إلى نهر أو وادي الشلف الذي أحاط بها من جهاتها الشرقية و الغربية، وهو حسب صاحب كتاب الاستبصار نهر كبير مشهور[3]، وقد أشار إلى هذا النوع من التحصينات العديد من المؤرخين أمثال الادريسي و ابن الحوقل و كذا .

أما النوع الثاني يمثل التحصينات أو الحصانة الميكانيكية، و نوع الاستحكامات المعمارية التي تم تشييدها من قبل الانسان،والمتمثّل في الأسوار،لحماية المنطقة.**(الخرائط(17)،(18)،(20)،(21))**

نشير الى ان تحصين المدينة كان؛ بإحاطتها بسور، و يعتبر هذا النوع من المباني الدفاعية استكمالا للتحصين الطبيعي، إذ يلجا مؤسسو المدن إلى تدعيم التحصينات الطبيعية بمباني عسكرية، تتمثل في سور تفتح فيه أبواب و توزع على طوله أبراج، لتسهيل المراقبة و الحماية اذا جاءها العدو، وقلعة تحمي الحاكم و تعطل السيطرة على المدينة، لما تتميز به من نظام دفاعي إضافي .

التي تشغل والحدود الجنوبية التي تشغل المنحدرات الأولى لظهير كتلة الونشريس (Ouarsenis).أنظر بوغفالة ودان، أوقاف المدية و مليانة في العهد العثماني.....ص،71.

* تمثل جبال زكار قطب المنطقة الجبلية و ذروتها، وهي تتألف من قسمين غير متساويين يوجد أحدهما في الشرق والآخر في الغرب. و يرتفع القسم الغربي "زكار الغربي" بقمة تبلغ 1579مترا وغير بعيد عنه يمتد القسم الشرقي " زكار الشرقي" في مقاطع متفرقة يبلغ علو أدناها 1576مترا، انظر بوغفالة ودان، المرجع نفسه، ص،ص،70-71.

[1]- بوغفالة ودان، نفسه،71.

[2]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، دار البصائر، الجزائر، 2009

[3]- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، المرجع السابق، ص، 58.

توارثت الحضارات طرق و تقنيات بناء هذا كل واحدة تخضعها للتطوير ، حتى تتلاءم مع تطورات وسائل الحروب، و كان للحضارة الاسلامية نصيب من هذا الإرث الذي ورثته عن الحضارات السابقة لها، و جسدته في قالب يتلاءم مع اهداف الدولة الاسلامية.[1]

سور مدينة مليانة يُطوِّق الجهة الجنوبية للمدينة، ويعطي رؤية بانورامية لمدينة "الخميس" الواقعة على بعد 7 كيلومترات أسفلها، ومن الاحتمال الشديد أنَّ الأندلسيون لهم يد في إعادة بنائه،على أنقاض بقايا السور الروماني، بالإضافة الى القصبة خاصة وأنَّ الأندلسيون كانوا مولعون ببناء هذا النوع من الاستحكامات.

و السور عموما كما اشار اليه محمد عبد الستار عثمان، يحيط بالمدينة كليا في المدن التي تبنى في السهول و الوديان، أو يحيط بها جزئيا كما هو الحال بالنسبة للمدن التي تبنى في المناطق الجبلية، وغالبا ما تستند على جبل عال أو تل مرتفع يحميها من أحد جوانبها[2]، كما هو الحال بالنسبة لأسوار مدينة مليانة، اذ جاءت تطوِّق القصبة،على شكل حاجز ترابي و حجري يحيط بها . و قد تهدم قطاع كبير من السور العثماني. وما تبقى منه بقايا يدعم الجهة الجنوبية و الجنوبية الشرقية للمدينة.أما باقي الأسوار الفرنسية فقد تهدَّم بعض أجزائها.**(الخريطتين (20)،(21)المخططتين(02)،(03)،اللوحة(64))**

[1]- اسماعيل بن نعمان ،" **التحصينات الدفاعية في مدن المغرب الاوسط ،مدينة تنس** .....ص،424.

[2]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص،124.

الجدير بالذكر أنَّ السور عموما قد عُرف منذ القدم بشكله الميداني والثابت أو الدائم[1]،مثلما جاء سور مليانة النموذجي، لذلك اهتم المسلمون بإحاطة مدنهم بالأسوار المنيعة لتكون درعا واقيا لهذه المدن.

يعتبر المهندس المعماري فيتروفيوس **Vitruve** من خلال باسيليو السور من اكبر التحصينات الدفاعية القديمة، أما فيما يخص موضوع الشكل أو التصميم؛ فلقد أخذ هذا النوع من التحصينات أوالاستحكامات كما جاءت في بعض المراجع و المصادر عبر التاريخ، أشكالا عديدة و مختلفة فمنها المستطيلة و منها البيضاوية، وفي هذا الصدد نشير إلى أنَّ فيتروفيوس يفضل الأسوار المستديرة للمدن على الأسوار المستطيلة أو متعددة الاضلاع خاصة، ذلك أنَّ الأولى تجعل من السهل مراقبة العدو من أكثر من مكان[2]. خاصة و أنه من الطبيعي أنَّ الشكل الدائري أو الاستداري للمدن و الحصون يصبح أكثر فائدة و أعم نفعا من تلك التي تبنى على شكل مربع أو مستطيل المدينة مسورة.

لما كانت الأسوار حسب باليسيو تتسم بالتعقيد الانشائي من المنظور الداخلي و من المنظور الخارجي بالوظيفة الأساسية لها- دفاعية و هجومية في آن واحد- فإنها قد وصلتنا في أغلب الحالات – بعد المرور العديد من القرون – كوحدات مستقلة عن السور. و هذا ما سنراه لاحقا في دراستنا للنماذج الباقية.[3]

و قبل بدء الحديث عن أثر تخطيط مدينة مليانة عن السور، ينبغي و لو باختصار شديد معرفة تخطيط المدينة نفسه، إلاَّ أنَّه و لسوء الحظ لم نعثر على مصادر و لا مراجع تشير إلى تخطيط المدينة خاصة في الفترة العثمانية، باستثناء بوغفالة

---

[1]- يحي وزيري، العمارة الإسلامية الحربية.....ص،17.

[2]-باسيليو بابون ماندونادو، العمارة في الاندلس – عمارة المدن و الحصون، ج1.....ص،462.

[3]- باسيليو بابون ماندونادو، المرجع نفسه، ص،463.

ودان؛أشار أنً مدينة مليانة في أواخر العهد العثماني كانت ممتدة في شكل بيضوي، و على مساحة قدرها حوالي ثمانية عشر هكتارا[1]، و منه فإن تخطيط مدينة مليانة في العهد العثماني كان بيضوي.[2]**اللوحة(21) المخططين(02)(03))**

إلاً أنً الدراسة الأثرية لسور المدينة،بيًنت أنً تخطيط المدينة لم يكن بيضويا كليا، بل يقترب من الشكل البيضوي اعتمادا على بعض مخططات، على مستوى مديرية الثقافة و المتحف في بعض الأجزاء، مع وجود استقامة أو تقعر أو انحناء في أجزاء أخرى كما في الأجزاء المتصلة بأبواب المدينة، وكذلك في الأجزاء التي تتوزع فيها الأبراج بالإضافة الى أجزاء من السور ذات انكسارات وزوايا. **الخرائط(17)،(18)،(19)،(20)،اللوحة(21)،المخططين(02)،(03)**

أما عن تأثير السور على المدينة؛ فإنه يبدأ بعد بنائها مباشرة ، حيث أصبح حدا فاصلا و دافعا للسكان على البقاء بداخله و الاحتماء به من الأخطار،و ما نلاحظه من خلال زياراتنا الميدانية،هو أنً العديد من المنشآت التي تعود إلى الفترة الحالية، ابتداء من فترة الاستقلال إلى يومنا هذا، فقد بُنيت على موقع السور نفسه ثم الاستفادة من مواد بنائه في بناء المنازل و كذا في مرافق الدولة، و الأمثلة عديدة في هذا المجال منها حيث لاحضنا جزء من جدار السور داخل هذه المؤسسة. كما لاحضنا وجود منشآت تحاذي الأسوار أو خارجها لضيق المنطقة، و قد تكون قد أُنشئت بعد الاستقلال، و هذا ما ادى الى اتساع المدينة.

نلاحظ ظاهرة الانعراج أو التعرج و الانثناء في مدن المغرب والأندلس[1]، وهذا التعرج من شأنه أن يزيد من مناعة المدينة ذلك نجد أنهم عمدوا إلى الإكثار من

---

[1]- بوغفالة ودان، أوقاف المدية و مليانة في العهد العثماني.....ص،71.

[2]- بوغفالة ودان، المرجع نفسه.

الزوايا الداخلية والخارجية بالسور بحيث يتخذ شكل خطوط متعرجة منكسرة[2]، مثلما هو الحال بالنسبة لشكل المدينة. **اللوحة(21) المخططين(02)(03))**؛هذا الأخير الذي لامحنا فيه ظاهرة الانعراج و ذلك بسبب تضاريس الأرض، فأما علوها فيتعدى السبعة امتار، وسمكها يتراوح ما بين 2.00 الى 2.50 م الى 3.00 امتار.

إنّ ميزة هذا النظام حسب عبد العزيز سالم؛أن يترك الجند أعدائهم يتقدمون داخل إحدى الزوايا ،ثم يندفعون عليهم من أعلى الأسوار على الدروب فيفتكون بهم فتكا ذريعا وقد كان هذا الابتكار في عهد المرابطين[3]. وبهذه المواصفات أصبح السور خطا دفاعيا متكاملا، وحتى يستطيع هذا الخط الدفاعي أن يحقق مهمته بكفاءة كان لا بد من سهولة تزويده بما يحتاج إليه من العتاد،وتقوية بعض نقاطه على مساحات مختلفة بأبراج وكان لابد من سهولة الاتصال بين الجند المدافعين عنه وتنظيم العمل بينهم بالصورة المطلوبة وهو أمر استدعى أن يخطط السور بمواصفات وقياسات دقيقة تفي بهذه المتطلبات، وقد انعكست هذه الأمور على العمارة وطريقة إنشاء الأسوار بما اشتملت عليه من عناصر معمارية مختلفة[4]، مثلما هو الحال بالنسبة لسور مليانة.

أول ما يلاحظ بالنسبة للتخطيط أو التصميم لهذا النوع من الاستحكامات العسكرية؛هو اتخاذه بصفة عامة شكلا غير منتظم و هو ناجم عن موقع المدينة

---

[1]- يحي وزيري، العمارة الإسلامية الحربية .....ص،17، ص19 .

[2]- عبد العزيز السيد سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، القسم الثاني، ص، 599.

[3]- عبد العزيز السيد سالم ، المرجع نفسه.

[4]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص،124.

بالنسبة للنهر، إضافة إلى تضاريس المدينة التي تتميز بالانحدار، وهو شكل أملته الطبيعة الطبوغرافية للموقع.**(الخريطة(15)اللوحتين(21)،(64) المخططين(02)،(03))**

أما عن الشكل إن كان يغلب عليه الاستدارة او البيضوية و كذا الاستطالة، فنجد في هذا السياق أنَّ بوغفالة يذكر أنَّ مدينة مليانة في أواخر العهد العثماني كانت ممتدة في شكل بيضوي، و على مساحة قدرها حوالي ثمانية عشر هكتارا[1]، و منه فإنَّ تخطيط مدينة مليانة العثمانية كان قبل دخول الفرنسيين إليها يتميز بالشكل البيضوي، و في هذا السياق يقول بوغفالة:"...**إنَّ مدينة مليانة في أواخر العهد العثماني كانت ممتدة في شكل بيضوي...**"[2]، وهذا ما جعل شكل أسوارها يميل إلى الاستدارة و شبه بيضي، أو بيضوي مع بعض الانكسارات و التعرجات التي تُشاهَد ببعض المواضع.

يصل عدد أبراج المراقبة إلى17 برج حسب بعض المراجع، نذكر محمد الصادق صاحب كتاب " مليانة" ، بالإضافة إلى بعض الخرائط بمديرية الثقافية لمدينة عين الدفلة ، و تشير هذه الأخيرة الى وجود 17 برج يدعم السور.**(الخرائط(19)،(20)،(21)، اللوحة(21)،المخططين(02)،(03))**،وما تبقى؛ ثلاثة أبراج حسب المصادر الشفوية، و لكن ما لاحظنا سوى برجين فقط ، متشابهة في الهندسة المعمارية بالإضافة إلى مواد البناء (الطين،الاخشاب..)،و الملاحظ أنَّ هذه الأبراج جاءت متباعدة و مجوَّفة، لكن الغريب في الأمر غياب الشرفات التي تعلو الأسوار عادة ،مثلما هو الحال بالنسبة لأسوار تلمسان مثلا، بالإضافة إلى ممشى السور أو الممر الجداري و المخصص لتحرك جنود

[1]- بوغفالة ودان، أوقاف المدية و مليانة في العهد العثماني.....ص،71.

[2]- بوغفالة ودان، المرجع نفسه.

الحراسة أثناء عملية الدفاع و الرمي بالبارود،بينما دور الشرفات و الثقوب مخصص للوقاية.[1]

ما يميز مخطط سور مدينة مليانة؛ خطوط منكسرة و مستقيمة و حيانا أخرى منحنية، و هذا ما جعل الشكل غير منتظم و شبه بيضوي، لشدة انحنائه في بعض المواضع و هذا من خلال بعض المخططات على مستوى مديرية الثقافة. **(الخريطتين(20)،(21)، اللوحة(21)، المخططين (02)،(03))**

إنّ استخدام هذا النوع من التخطيط في العمارة الاسلامية، يفيد في المعالجة البيئية و المتمثلة في تصدية لعناصر المناخ الرئيسية كالحرارة و الرياح و الاعاصير القوية الهبوب ، فإذا كانت الرياح المنخفضة الحرارة شتاء أو الحارة صيفا يجعلها مهما اختلفت اتجاهاتها غير متعامدة على السور،وإنّما تتغير اتجاهاتها و تتشتت، فيقل تأثيرها الفاعل في مركز المدينة[2]، كما هو الحال بالنسبة لسور مليانة . و يذكر عبد الله عبد السلام صالح الحداد في نفس السياق أي إيجابية التخطيط الدائري قائلا؛أنّ التخطيط الدائري ذو حصانة دفاعية أكثر مقارنة بالتخطيطات الأخرى الدفاعية تكون أكثر[3]، وهذا ما لاحضناه في سور مليانة.

يبلغ طول أو بالأحرى يمتد جدار هذه الأسوار من مسافة ثلاث كيلومترات و بالتحديد 2.920 م، حسب الباحث و محافظ التراث الثقافي بمتحف الأمير عبد القادر بمليانة السيد حمير بومدين، وارتفاعها عموما يتراوح ما بين 7 الى 8 أمتار، و في هذا الجانب نريد أن نُشير إلى أنّ ارتفاع السور من الواجهة المطلة

---

[1]- محمد حافظ الزراقي،" **نظريات حول عملية الترميم و المحافظة على المعالم التاريخية – أسوار مدينتي تطوان و شفشاون نموذجا -** "، الندوة الوطنية حول اسوار المدن العتيقة ببنزرت ، مديرية التراث الثقافي، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية،10 يونيو1989،ص،208.

[2]- فيان موفق رشيد محمد النعيمي، المرجع السابق،ص،39.

[3]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد.....ص،10.

على المدينة، يختلف من موضع لآخر من خلال قياسنا لبعض أجزاء السور التي تمكنا من دراستها أثناء انجازنا للعمل الميداني، وهذا الاختلاف قد يعود إلى التغيير الذي أجراه قوات الاحتلال الفرنسي، بعد اعادة بناء المدينة من جهة، و التغييرات و كذا التعديلات التي أحدثتها السلطات المحلية على المدينة بعد الاستقلال إلى يومنا هذا، ما جعل المقاسات تختلف.**(الخريطتين(20)،(21)، اللوحة(21) المخططين(02)،(03) اللوحة(64))**

عن سمك جدار السور يرى فيتروفيوس*؛ أن يكون عرض السور كبير و كافيا لمرور مسلّحين إثنين عليه دون اعاقة[1]، و بالنسبة لسور مليانة؛ فنجده يختلف من ضلع لأخر، اذ يتراوح ما بين 0.60 م الى 2.50م،وهذا من خلال بعض المصادر و المراجع التي اكدت ذلك، وما لاحضناه من خلال الدراسة الميدانية أنّ السمك يكاد يكون موحدا من خلال الاجزاء التي قمنا. أما محيط السور لسوء الحظ لم نعثر على معطيات أو معلومات تخصه.

من خلال المخططات و الخرائط التي نفذتها السلطات الفرنسية بالإضافة الى المخططات على مستوى مديرية الثقافة و كذا المتحف بمدينة مليانة المنفذة من قبل مكتب الدراسات يبرز بوضوح اتجاه السور و موضعه.**(الخرائط (19)،(20)،(21)،المخططين (02)،(03))**

الملاحظ أنّه لم نعثر على دراسات تبين مسار السور مقارنة بأسوار مدن جزائرية أخرى.

* ماركوس فتتروفيوس باليو Marcus Vitrivius Pallio ، مهندس معماري روماني ، عاش في القرن الاول قبل الميلاد ، ولد ما بين 80 و 70 ق.م و توفي بعد العام 15 ق.م، عمل مهندسا حربيا تحت إمرة القيصر في افريقية، و شارك في فتح إسبانيا و بريطانيا، و كان مهندسا معماريا في عهد "اوغسطس"، و اعتزل العمل الرسمي في شيخوخته ليضع أصول أعظم الفنون الرومانية بكتابه المسمى " الكتب العشرة في العمارة " Les dix livres d'Architecture ". أنظر فيتروفيوس،الكتب العشرة في العمارة، من إعداد يسار عابدين وآخرون، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، دمشق، سوريا، د.س، ص،12.

[1]- فيتروفيوس، الكتب العشرة في العمارة، المرجع نفسه،ص، ص،38 ، أنظر أيضا Vitruve ,Les dix livres d'Architecture avec les notes de Perrault ,Nouvelle Edition, Paris,1837p,25.

من الصعب الجزم حاليا بالمسار الحقيقي لهذه الأسوار الممزوجة، بين الفرنسية العهد وقد أخذت حصة الاسد،و العثمانية سوى بعض أقسام أو قطاعات أو أجزاء متفرقة من السور في الجهة الجنوبية، بما في ذلك الجنوبية الشرقية للمنطقة.أما بالنسبة للجهة الجنوبية الغربية للسور، فلقد تعرض كلاهما للهدم خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

إنّ عدم تمكننا من تتبع مسار السور، يرجع لأسباب و عوامل التخريب الطبيعية و البشرية (الزلازل و الامطار و الثلوج...)على مر السنين من فترة الاحتلال ابتداء من سنة 1843م، والذي قام بهدمها كليا و اعادة بنائها من جديد بما يناسب التهيئة الجديدة للمدينة تاركا الجهة الجنوبية فقط، ثم الإهمال الكلي من قبل سكان المنطقة و السلطات المعنية تسبب في الانكسارات و التشققات، وأحيانا إلى هدم البعض من اقسامها و تلفها، مما تطلّب التعجيل في عملية الترميم و كان ذلك سنة 2012م.

نشير إلى أنّ اختلاف سور مليانة عن باقي أسوار المدن الجزائرية خصوصا، ربما ناجم عن التغييرات التي أُجريت خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث أنّ المدينة و نسيجها العمراني الإسلامي قد تم تغييرها نهائيا بما في ذلك عناصرها المعمارية الاسلامية، فتسببت هذه" العملية الجراحية " كما سماها المؤرخ صادق في غياب بعض العناصر المعمارية القائمة، أو التي تدعم السور نأخذ على سبيل المثال ممشى السور و كذا الشرفات مثلا هذا الأخير الذي لم نلاحظه.

إنّ المتفحص للسور الحالي يجعلنا نشاهد بوضوح أنّ تخطيطه غير منتظم، جاء على شكل المدينة البيضوي، و اعتمادا على بعض مخططات السور منها الموجودة على مستوى مديرية الثقافة المنفذة من قبل مكتب الدراسات،

بالإضافة الى مخططات تابعة لمصلحة الديوان نلاحظ اختلاف مقاسات جدران السور ، و هذا الاختلاف يساعد على حمايته، حيث يمكن لأي مدافع على السور أن يكشف من يلتصق به من أي نقطة، و هو أمر لا يتمكن منه المدافعون في حالة ما اذا كانت الأسوار المحيطة بالمدينة في هيئة مستطيل أو مربع.[1]

و الملاحظ ان مقدار سمك السور الذي يتعدى المترين، قد أعطاه قوة إنشائية عالية ، حتى أنه أصبح من المعتذر على الأعداء اختراقه فيما اذا ما نجحوا في الوصول اليه و أحداث بعض الثغرات فيه ، لأنَّ عملية حفر الأسوار السميكة أثناء المعارك تحتاج الى وقت و مجهود و خسارة بشرية كبيرة[2]. و نظيف إلى جانب ذلك؛ ارتفاعه الذي يتعدى السبعة أمتار و طوله الذي يصل الى ثلاث كيلومترات، فكل هذه الصفات أهَلت بأن يكون هذا النوع من الاستحكامات من أهم العمائر العسكرية التي كان لها دور كبير في حماية مدينة مليانة.

فتدعيما لهذا النوع من الاستحكامات للدفاع، قد تُوِّج او بالأحرى دُعِّم هذا الأخير بعدد من الأبراج مرتفعة عن مستوى الارض، مع ملاحظة التباعد النسبي بين الابراج، و ظاهرة تدعيم المباني هذه بالأبراج استخدمت بكثرة في العمارة الإسلامية، و من الأمثلة استخدام الأبراج في تدعيم القصور الاموية كقصر الحير الشرقي و قصر المشتى و قصر الطوبة، وفي العصر العباسي استخدمت الأبراج في تدعيم أسوار قصر الاخيضر،و كذلك أسوار أو جدران المسجد الكبير في سامراء.[3]

---

[1]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد .....ص، ص، 10-11.

[2]- احمد قاسم الجمعة، " **الاستعدادات العسكرية و الاستحكامات الدفاعية و اثرها في افشال حملة نادرشاه على الموصل 1156هـ - 1743م**"،دراسات في التاريخ و الآثار، مجلة فصلية تصدرها جمعية المؤرخين و الآثاريين في العراق، بغداد، ص.ب(89-27)، العدد04، مطبعة العمال المركزية، بغداد،1988، ص،83.

[3]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع السابق،ص،84.

عن المسافة الواقعة بين أبراج الاسوار؛ يرى فيتروفيوس أن لا تزيد المسافات بين الأبراج عن بعضها أكثر من مسافة رمية سهم، لأنه في حال حصول هجوم على اي منها، يمكن صد العدو بقاذفات السهام،وببقية الوسائل التي ترمي القذائف من الأبراج المجاورة باتجاه اليمين و اليسار.[1]

بالرغم من أنً فيتروفيوس كان ينصح حسب **باسيليو بانون ماندونادو** أنً الفصل بين الأبراج يجب أن يكون في حدود مسافة 20مترا أي ليس أكثر من مدى قذيفة القوس،وفي الفترة الاسلامية نجد أنً المسافات الفاصلة بين الأبراج في الحصون و المدن، اتسمت بالتنوع الشديد أو ارتبطت بالتغيرات التي أخذت تطرأ على فنون الدفاعات.[2]

في صدد المسافات الفاصلة بين الابراج، يضيف الأستاذ شريف عبد القادرأنً المساحة المحددة تتراوح ما بين 15 الى 40 م بين الأبراج، وقد تنوعت هذه الأخيرة ما بين المربع و المستطيل و نصف الدائرة و ثلاثة أرباع الدائرة، كما إنً هذه الأبراج تتميز بارتفاعها عن مستوى ارتفاع السور، و كذلك و باحتوائها على عدد من العناصر الدفاعية، كالمزاغل بأنواعها و السقاطات و الممشى بجدرانه الساترة و غيرها من العناصر الدفاعية التي يتم الدفاع عن المدينة.[3]

من هنا و في موضوع خطة تنفيذ السور، يرى محمد عبد الستار عثمان أنً بناء الأسوار من الاستحكامات المهمة في تحصين المدينة، ويعد العنصر الأول و الأساسي للسور من حيث الأهمية الدفاعية هو الجدار، يليه البرج الذي يعد العنصر الثاني في خطة بناء السور، بالإضافة الى الباب، وباعتبار هذه الأخيرة

---

[1]- فيتروفيوس، الكتب العشرة في العمارة..... ص،ص،38- 39. أنظر ايضا.Vitruve, les dix livres……..p, 27

[2]- باسيليو بانون ماندونادو،عمارة المدن و الحصون،ج1.....ص،490.

[3]- شريف عبد القادر، المرجع السابق، ص،265.

نقطة ضعف السور، ونظرا لكونها تشكل الحلقة التي تربط المدينة بالعالم الخارجي، فقد كانت دائما محل عناية خاصة، بنيت بمواد شديدة الصلابة والمقاومة للعوامل الخارجية.[1]

عن حالة السور و بالضبط عن حالة حفظ السور و أبراجه عند دخول الفرنسيين مدينة مليانة يذكر بيليسيي أوجان **Eugène Pellissier** قائلا: "**يوم احتل الفرنسيون المدينة كانت أسوارها في وضعية سيئة جدا، بها ثلاثة أبواب ، وتدافع بثلاثة أبراج مسلحة ببعض المدفعيات**"[2]،وهذا يعني من خلال مشاهدة و مقولة بيليسيي أنَّ وجان، تأكيد على بناء هذه الأبراج لتدعيم السور في الفترة العثمانية. و من جهة أخرى يشير بوغفالة في نفس السياق بأنَّ:" جدار هذا السور كان محصنا في بعض أجزائه بثلاثة حصون أساسية على الأقل ، بنيت على دورين أو برجين أضاف إليهما الجيش الفرنسي دورين أخرين فيما بعد لتشديد الحراسة على المدينة، و يضيف أن جدار السور الرئيسي كان محاطا بأبراج كثيرة تفصل بينها مسافات، فالجهة الغربية منه كانت بها أربعة أبراج مربعة الشكل ومرتفعة، وُضعت كحواف بارزة تُمكِّن من يقف بها على صد عدوه و كان يضمها جدار آخر حديث البناء"[3].و فعلا فان سور مليانة مدعم بأبراج.**(الخريطتين(20)،(21) المخططين (02)،(03)) اللوحة(21))**

اعتمادا على بعض المعطيات التاريخية، و على حد قول الأستاذ الباحث عباس كبير بن يوسف،وزعت على طول السور بصفة متباعدة بين البرج والآخر،

---

[1]- محمد عياش، المرجع السابق، ص،63.

[2]- Péllissier, Eugene, Op,Cit,p,p,236.

[3]- بوغفالة ودان، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي.....ص،ص،177-178.

بالإضافة الى عناصر معمارية دفاعية أساسية باقية تتمثل في فتحات المزاغل بأنواعها،و لنا حديث عن هذه العناصر لاحقا. **اللوحتين (23)،(24))**

نجهل اذا كان الأتراك العثمانيين قد أنشؤوا هذه الأبراج، ليأتي الفرنسيون بعد احتلالهم للمدينة ليعيدوا بناءها،من خلال مخططات المسَاحية(**Plans cadastrale**) التي تعود الى سنة 1843م، ولم يتبقى حاليا سوى ثلاثة أبراج ذات المساقط المضلعة الشكل، و حسب بوغفالة فإنَ أبراج هذا السور قد أُنشئت على دورين، أو برجين أضاف إليهما الجيش الفرنسي برجين آخرين فيما بعد لتشديد الحراسة على المدينة.[1]

أغلب الأبراج قد تعرضت للهدم و الانهيار، بسبب الظواهر الطبيعية و البشرية[2]، و تمكنا من خلال دراستنا الميدانية من ملاحظة برجين فقط ، و تمكنا من دراسة برج واحد فقط **اللوحة (24))**، بينما الآخر منه يصعب دراسته لسبب وهو وقوع جزء السور الذي يضم هذا البرج، داخل مدرسة عسكرية و هي مدرسة ضباط الصف للدرك الوطني" مدرسة الاشارة للجيش الوطني سابقا"، وما ميز هذه الأخيرة أي البرجين؛ تصميمهما السداسي الشكل. **اللوحة(24))**

و اللافت للانتباه؛ تزويد الأجزاء العليا من السور، بفتحات عديدة تتمثل في فتحات الرمي بأنواعها أو ما اصطلح عليه في العمارة العسكرية بالمزاغل، إذ نجدها قد تخلَلت جدار هذا السور من مسافة الى اخرى.**(اللوحتين(23) ،(24))**

اذا تتبعنا مسار هذه الأسوار، لوجدنا واجهاتها قد وُزِّعت عليها فتحات الرمي بأحجام مختلفة، وتعد هذه ظاهرة أو ميزة ميزت العمارة العسكرية الدفاعية في العصر الحديث[3].والملاحظ أنَ هذا التمايز حسب خلاصي جاء بسبب

---

[1]- بوغفالة ودان، المرجع نفسه.

[2]- بوغفالة ودان، نفسه.

[3]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،254.

الاختلاف في الأسلحة الدفاعية و الهجومية[1]، كما أنَّ هذا النوع من الفتحات تُمكِّن المدافعون من ضرب عدوهم من مستويات وفي اتجاهات مختلفة، وحاليا لم يبق من هذه الأسوار غير الأقسام الجنوبية و الشرقية بأجزاء متقطعة.[2]**(اللوحة(23))**

نجد أن بعض المخططات الاصلية لسور مليانة، تشير إلى وجود فتحات أبواب تتخلل السور، يُبين تزويد هذا المبنى ببابين في الفترة العثمانية و بثلاثة أبواب، ثم اندثرت وعوضت بأبواب أخرى خلال الفترة العثمانية، ثم دمرت و هدمت من طرف المستعمر الفرنسي و عوضت بأبواب عددها ثلاثة، الباب الغربي و هو حاليا مهدم كليا* والباب الشرقي** بالإضافة إلى الباب الشمالي.***(**الخرائط(19)،(20)،(21)المخططين(02)،(03)**)

و قبل أن نعرض الملامح المعمارية أو العناصر الدفاعية التي تجسد التخطيط الحربي الذي يمثله التخطيط الاصلي لسور مليانة، يجدربنا التعرف أو معرفة أهم الوحدات أو العناصر الأساسية التي يشتمل عليها السور عموما، فالمعروف أنَّ أُولى الوحدات المهمة في النظام الدفاعي للسور هي الأبواب، ليليها الأبراج التي تعد العنصر الثاني في خطة بناء السور حسب محمد عبد الستار[3]، ثم الخندق و الذي يعد إحدى الدعامات الأساسية للسور و نتوسع فيها لاحقا.

---

[1]- خلاصي علي، المرجع نفسه.

[2]- عباس كبير بن يوسف، المرجع السابق، ص،9

* يقع في نهاية حدود المدينة من الناحية الغربية و حاليا يقع في مستوى درج مكان زاوية سيدي احمد بن يوسف ، من شارع الاخوة اولاد دران ، و قد بنيت السلطات الفرنسية بابا اخر في الجهة الغربية عند توسيع المدينة اطلق عليه اسم باب الشلف. انظر عبد القادر قرامان، المرجع السابق،ص،63.

** تسمى باب الجزائر، تقع بالمدخل الشرقي للمدينة هو الاخر تعرض الهدم كليا ، و كان يقع في مستوى الدرج المتواجد في شارع القاهرة بداية من نهج بلعباس محمد. عبد القادر قرامان، المرجع نفسه،ص،64.

*** تسمى باب زكار، وتقع في الجهة الشمالية ، و كان يحتوي على ثلاثة أقواس نصف دائرية و هو يفصل المينة عن الريف. عباس كبير بن يوسف، " **تاريخ التطور العمراني لمدينة مليانة**"..... ص،9.

[3]- محمد عبد الستار، العمارة الفاطمية – الحربية، المدنية، الحربية-موسوعة العمارة الفاطمية، الجزء الاول، الطبعة الاولى، دار القاهرة، مصر،2006،ص،90.

كما هو معروف منذ القديم ان السور في تركيباته المعمارية البنائية؛ يتشكل أعلاه على هيئة ممر أو درب أو ممشى يسير عليه المحاربون و الجنود المدافعين، و يمكّن هؤلاء من تأدية عملهم على مستوى عال، و يحقق للجند المشاة أو الركبان رؤية أفضل أو مرمى أبعد و أوسع[1]، و قد اصطلح عليه تسميته بمصطلح ممشى السور، أو ممشى الحراسة كما جاء في بعض المراجع[2]، فحتى يحقق السور الدفاع الايجابي، صمم أعلاه على هيئة ممر أو ممشى يمكن الجند المدافعين من تأدية عملهم بمستوى عال، ويحقق لهم في ذات الوقت رؤية أفضل ومرمى أبعد وأوسع.

يذكر عبد الستار عثمان في هذا السياق قائلا:"**.....في الغالب؛كان يصمم أعلاه على شكل ممر أو رصيف ،حتى يسهل على الحراس و الجند المشي فيه بسهولة و التحرك فيه بحرية ،أثناء القيام بعملية الحراسة و المراقبة، و تكون الملاحظة و المراقبة أوضح و على مساحة أكبر و أوسع، و توضع فيه أبراج و نقاط للمراقبة على مسافات مختلفة متفاوتة تسمح بسهولة الاتصال بين الحراس و الجند في وقت قصير، محدد لتنظيم العمل فيما بينهم**"[3]،و منها ما كان يأخذ شكلا مزدوجا أي على شكل سورين متوازيين، للزيادة في الاحتياط أو كضرورة فرضتها المناطق المنبسطة للوقوف في وجه الغارات المحتملة[4]، و كانت الأسوار عالية يحتاج اجتيازها إلى سلالم طوال و الحراسة في الأبراج دائمة ليلا و نهارا شتاءا و صيفا، استخدمت للتحكم بعملية

---

[1]- عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية..... ص،125.

[2]- سليم دريسي، المرجع السابق، ص، 247.

[3]- محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الإسلامية.....ص، 124.

[4]- رشيد بورويبة، مدن مندثرة.....ص، 77.

الدخول إلى الموقع أو المدينة أو القلعة أو الدولة و الخروج منها، وكان للحراس كلمة سر بينهم و بين السكان.[1]

زد على ذلك عناصر أخرى نذكر على سبيل المثال الشرفات و فتحات يقذفون منها سهامهم و ذروات يحتمون خلفها، و الذروات هي كتل قائمة تنتهي بشكل مخروطي، ويتخلل جسم الذروة فتحات، تساعد المحارب أو المحارب إلى النظر على الأسفل دون أن تصيبه أسهم الأعداء[2]، ويمكن إدراجها ضمن العناصر المعمارية للعمارة الدفاعية، كما تُدعَّمُ هذا السور أبراج مختلفة الاشكال.[3]

حسب المهندسين المعمارين المختصين في أصول العمارة و بالأخص العمارة الحربية القديمة نذكر؛أوغست شوازي **August Choisy** في كُتبه " **Histoire de l'Architecture** " و "**Vitruve – Annalyse ....**" و " **L'Art de bâtir**" و كذا جان بيار أدم **Jean Pierre Adam** في كتابه"**L'Architecture Militaire Grecque** "، فإنَّ السور الروماني كان يتكون من عناصر دفاعية أساسية و وحدات أساسية، تعد من الركائز و الدَّعائم الأساسية في عمارة السور نذكر؛ ممشى السور أو ممشى الحراسة أو الممشى بجدرانه الساترة أو ممرات السور، و عن أهمية هذا العنصر المعماري الدفاعي و تحقيق للسور الدفاع الإيجابي، يشير المهندس المعماري فيتروفيوس قائلا:"**.....صمم أعلاه أي أعلى السور ، على هيئة ممر أو ممشى يمكن الجند المدافعين من تأدية عملهم بمستوى عال، ويحقق لهم في ذات الوقت رؤية أفضل ومرمى أبعد وأوسع...** "[4]. نضيف إلى جانب ذلك الأبراج، الأبواب ، فتحات لرمي

---

[1]- رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص، 58.

[2]- جمال حمدان، المرجع السابق،ص،ص،24-26.

[3]- محمد عياش، المرجع السابق، ص، 29.

[4]- Vitruve, les dix livres…….p, 27

السهام بأنواعها كالشرفات و المزاغل و السقاطات و غيرها التي تدخل ضمن العناصر التي يتم الدفاع بواسطتها عن المدينة، و لنا حديث عن هذه العناصر لاحقا.

من هنا و اعتمادا على ما سبق، يمكننا تحديد العناصر أو الوحدات الأساسية في خطة بناء السور أو كما اصطلح تسميتها في الهندسة المعمارية العسكرية بمصطلح عمارة السور[1]،وقبل عرض الملامح المعمارية التي تُجسِّد التخطيط الحربي الذي تمثله عمارة هذا السور او سور مليانة حاليا، وجب علينا تقديم وصفا و تحليلا باختصار للوحدات الأساسية التي يضمها السور و هي:

الأبواب:

تعد من الوحدات الأساسية في خطة بناء الأسوار عموما، كما تعتبر من أهم العناصر الدفاعية في العمارة العسكرية، والملاحظ أنَّ الباب أو المدخل قد لعب دور كبير في حماية و تحصين المدن منذ أقدم الحضارات.

بيَّنت بعض **المخططات الأصلية** التي وُجدت على مستوى مديرية الثقافة لعين الدفلة، تزويد هذا السور بأبواب، اندثرت ثم هُدِّمت من طرف المستعمر الفرنسي أنشا أبواب أخرى تمثلت في؛ الباب الغربي و هو حاليا مهدم كليا و يسمى باب الشلف 1857م-1974م*، والباب الشرقي المسمى بباب باب البطحاء أو باب بوتان 1853م- 1847 **، بالإضافة إلى الباب الشمالي المسمى بباب زكار سنة

[1]- محمد عبد الستار، العمارة الفاطمية،ج1.....ص،90.

* يقع في نهاية حدود المدينة من الناحية الغربية و حاليا يقع في مستوى درج مكان زاوية سيدي أحمد بن يوسف، من شارع الأخوة أولاد دران، و قد بنيت السلطات الفرنسية بابا اخر في الجهة الغربية عند توسيع المدينة اطلق عليه اسم باب الشلف. أنظر عبد القادر قرامان، المرجع السابق، ص،63.

** تسمى باب الجزائر، تقع بالمدخل الشرقي للمدينة هو الآخر تعرض الهدم كليا، و كان يقع في مستوى الدرج المتواجد في شارع القاهرة بداية من نهج بلعباس محمد. عبد القادر قرامان ، المرجع نفسه،ص،64.

1854م – 1954م***. و الجدير بالذكر أنً إنهاء بناء هذه الأبواب بما في ذلك كل أعمال التهيئة العمرانية، جاءت بمناسبة الزيارة التي قام بها الإمبراطور الفرنسي نابوليون الثالث يوم 07 ماي1865م.**(الخرائط(17)،(18)،(19)، (20) +اللوحة(21)**

– الأبراج:

يعتبر البرج ****العنصر الثاني في خطة بناء السور من حيث الأهمية الدفاعية و التحصينية، و من المرجح ان تكون قد أُنشئت كمراكز للمراقبة، يصل عدد ابراج المراقبة الى 17 برج، وُزعت في أماكن مختلفة من السور، على بعد كل 40م للزيادة من فعاليته و صعب تحديد عددها لعدم إشارة المصادر التي تحدثت عن المدينة لها و اندثار معظمها، و قد جاءت كنتوءات بارزة أي بالأحرى بنايات خارجية عن مستوى السور.

ذكرنا في الدراسات السابقة أنً عدد الأبراج المتبقية سوى ثلاثة أبراج، حسب المصادر الشفوية، لكن ما لاحضناه خلال الزيارات الميدانية سوى برجين فقط و الملاحظ أنً هذه الأبراج جاءت متباعدة يفصلها عن بعضها البعض حوالي م، و مجوَفة.**(الخرائط(20)،(21)،الشكل(02)،اللوحة(21)**

*** تسمى باب زكار ، وتقع في الجهة الشمالية ، و كان يحتوي على ثلاثة اقواس نصف دائرية و هو يفصل المدينة عن الريف . عباس الكبير بن يوسف، "**مليانة**"..... ص، 9.

**** للمزيد و للإطلاع عن الأبراج أنظر الفصلين الرابع و الخامس من الأطروحة.

الممشى:

من الوحدات المعمارية الأساسية بعمارة السور نذكر ممشى السور*لأهميته الدفاعية، لكن لسوء الحظ لم نصادف هذا النوع من الوحدات المعمارية في سور مليانة، و اللافت للانتباه أكثر غياب أجزاء السور الممتدة بين الأبراج، وزد على ذلك اندثار أغلب الأبراج و لم يتبقى سوى برجين او ثلاث. و هذا ما صعَّب علينا بل استحال علينا و لم نتمكن من إثبات أو تأكيد على أنَّ سور مليانة ضمن النماذج المدروسة، كان يحتوي على ممرات تربط بين الأبراج، و إن كان أمر غير مستبعد لسبب فقط أنَّ هذا أي نظام وجود الممرات أي ممشى السور، متَّبع في معظم أسوار المدن سواء في العالم القديم كبلاد الرافدين ثم الاغريق و الرومان و البيزنطيين، أو في العالم الإسلامي سواء في المشرق أو المغرب و الغرب الإسلامي حسب عمائر أسوارهم، فلا يكاد يخلو سور من هذا النوع من الوحدات المعمارية الحربية ، فبالتالي بات من الضروري إدراج أو بالأحرى وجود ممرات ، تربط بين الأبراج و بعضها أو بين الثكنات و الأبراج سواء في أسوار المدن القديمة أو في أسوار المدن الإسلامية في المشرق و المغرب الإسلامي و الأندلس.

لنعود الى موضوع سورنا؛ ونؤكد انعدام عنصر الممشى اعتمادا على ما وُجد في الموقع، لكن نجهل إن كان فعلا و تهدم مع تهدَّم السور، ثم إعادة بنائه من قبل الفرنسيين المحتلين هذا ، مع عدم إضافة الوحدات المعمارية عند بنائه من جديد ، نذكر على سبيل المثال ممشى السور مثلا.

* للاطلاع عن هذا العنصر الدفاعي أنظر الفصل الرابع من الأطروحة.

- جدار السور:

إنً جدار السور هو عبارة عن حائط يعلو الواجهات الخارجية و الجانبية أمام الممشى، الذي يعلو الابراج أو الثكنات أو الأبواب أو بدن السور فيما بين الأبراج، مبني بالآجر بارتفاع ما بين 120 الى 160 سم، و يشغل الجدار الساتر صف أو اكثر من المزاغل المربعة و المستطيلة مزدوجة أو مفردة ، و عدد من السقاطات البارزة و المغيبة و المائلة.و يًعرف الجدار في العمارة اليمنية قبل الاسلام باسم " معذار" و يعني جزءا من جدار مبني بالحجارة، و جمعها معاذير و يقصد بها الستور بلغة اليمن، و هي الحواجز التي تعلو الاسوار، و المعذار في اللهجة المحلية حاليا في كثير من المناطق الجنوبية و الغربية من اليمن، و يقصد يها الشرفة البارزة عن الجدار او الظلة التي يستظل تحتها من حر الشمس ، و لذلك يطلق على ظل الشرفة أو الجدار أو الشجرة "عذر" و منه اسم المكان" معذر"، لذلك يرجح أنً مصطلح معذار في اللغة اليمنية القديمة به الشرفة البارزة من مستوى الجدار، و التي تستر بظلها الناس من حر الشمس ، فهي ستورة، و منها اشتق لفظ الجدار الساتر الذي يعلو الأسوار لأنه يستر الجند المارين في الممشى أثناء الحراسة و الدفاع عن أعين العدو و يقيهم هجماتهم.

انعدام أو غياب بعض العناصر الأساسية و الوحدات المعمارية الحربية للسور، او التي تدعم سور مليانة، مقارنة ذلك بأسوار المدن التي انشئت خلال الفترة القديمة أو الإسلامية عموما و المدن الجزائرية خصوصا من خلال دراستنا لها ومنه نذكر على سبيل المثال الممرات الداخلية التي تربط الأبراج عن بعضها البعض. ونجهل إن وجدت هذه الممرات قبل دخول الفرنسيين المدينة أي في الفترة العثمانية أو لم تكن إطلاقا.

الأمر المؤكد؛ أنَّ هذا النوع من الاستحكامات – السور– قد أُنشئ في البداية من قبل الرومان، ثم أُعيد بناءه خلال الفترة الاسلامية من طرف الزيريين بعد تأسيس المدينة من قبل بن بلكين بن زيري بن مناد*، ليعيد عملية البناء عند دخول العثمانيين والأندلسيين.

عند نزول الجيش الفرنسي و دخوله المدينة، قام بهدم هذه الأسوار ولم يتبقَّى منها سوى بعض أجزائها، وقد أشرنا الى ذلك و بدون ممرات و لا حتى آثار هذه الأخيرة، وأُعيد بناء الأسوار من غير ممرات أيضا و لا حتى آثارها ايضا، و منه لا يمكننا الجزم بوجود هذه ممرات في السور العثماني بدون أدلة مادية.

يلي النوع الثاني من العناصر المعمارية الحربية التي لم نلمحها بجدران الأسوار؛ الشرفات و نجهل غيابها، فغياب الشرفات التي تعلو الأسوار عادة،مثلما هو الحال بالنسبة لأسوار تلمسان مثلا، بالإضافة إلى بعض العناصر الدفاعية التي ذكرناها سابقا، على سبيل المثال؛ ممشى السور أو الممر الجداري و المخصص لتحرك جنود الحراسة، أثناء عملية الدفاع و الرمي بالبارود، بينما دور الشرفات و الثقوب مخصص للوقاية[1]، قد يعود الى هدم السور و إعادة بنائه من قبل المستعمر، و فيما يخص الأجزاء الجنوبية و الجنوبية الشرقية التي تعود الى الفترة العثمانية فسبب غياب هذا النوع من العناصر المعمارية عليه قد يعود الى هدم القسم العلوي منه.

*من أشهر امراء صنهاجة في خدمة الفاطميين، قضى حياته كلها في محاربة زناتة بالمغرب الاوسط حتى اقصاهم عن البلاد و استولى على المسيلة و الزاب ، كما استولى على فاس و سجلماسة. أنظر عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ المدن الثلاث.....ص،291.

[1]- محمد حافظ الزراقي، المرجع السابق، ص،208.

ب- مخططات الأبراج المدروسة :

اذا كان وظيفة الأسوار و الأبراج كما هو معروف هو تحصين المدن لتفادي هجومات الأعداء،فإن تحصينات كل من مليانة، القليعة، شرشال و مدينة المدية خصوصا، ضد غارات العدو الذي كان يهدف إلى الاستيلاء على المدن الساحلية والاستراتيجية بصفة عامة؛ ثم إيقاف الهجومات الإسبانية خاصة من جهة أخرى . كما تميز هذا النوع من الأبراج أو الأبراج المسورة بالقوة و المتانة، سواء كان نمط تخطيطها مستطيل أو أسطواني أو شبه أسطواني،أو حتى المضلعة.

تناولت هذه الدراسة دراسة مخططات، و لقد تعددت التصميمات الافقية المدروسة هذه و تنوعت ما بين المربَع، كما هو الحال بالنسبة لبرج القلعة(برج تومبروخ) **(المخططات(08)،(09)،(9-أ)(10)،(11) اللوحة(36)** و برج الانابود بمدينة شرشال (المخططات**(04)،(05)،(06)،(07)اللوحة(26))**،وما بين الاسطواني كبرج المصلى المدية **(المخططات(12)،(13)،(14) اللوحة(51))**، بالإضافة إلى نصف المضلعة،وغالبا ما نجد هذا النوع مدمج مع الأسوار مثلما وجدناه بأسوار مدينة مليانة.**(الخريطتين(20)(21)،الشكلين(02)،(03))اللوحتين(21)،(64))**

نشير إلى وجود نوعين أو نمطين من الأبراج؛فالنوع الأول أو النمط الأول يتمثل في **الأبراج التي تتخلل سور مدينة مليانة**، ويطلق على هذا النوع من الأبراج أو ما اصطلح تسميتها **بالأبراج المتصلة** لموضع بنائها الذي يجعل مكانها يتخلل السور أو الأسوار و تتصل به،ومن أهميتها الوظيفية نذكر الزيادة في تدعيم و توطيد الأسوار بالإضافة إلى متانتها.**(المخططين(02،(03) اللوحتين(21)،64))**.

أما النوع الثاني أو النمط الثاني من الأبراج؛**هي منفصلة أو مستقلة** عن السور و تتمثل في ثلاثة أبراج وهي كل من برج الانابود بمدينة شرشال(المخططات **(04)،(05)،(06)،(07) اللوحتين(26)،(27))**، برج تومبروخ بمدينة القليعة **(المخططات (08)،(09)،(10)،(11)اللوحتين(36)،(37))**،وبرج المصلى بمدينة المدية(**المخططات(12)،(13)،(14)اللوحتين(51)،(52))**،وهذا النوع من الأبراج منفصلة عن الاسوار،وقد أصطلح تسميتها بهذا الاسم لموضع بنائها الذي يجعل مكانها منفصلا كليا عن جدران الأسوار.

تخطيط الأبراج المتصلة:

تنتمي تصاميم أبراج سور مدينة مليانة إلى نمط الأبراج المتصلة بجدران الأسوار، وقبل الحديث عن مخططات و تصاميم أبراج نماذجنا المدروسة ينبغي و لو باختصار ذكر دور هذا النوع من الاستحكامات العسكرية. فكما هو معروف أنَّ هذا النوع من الأبراج حسب بهاء موسى حبيب هو أحد العناصر المعمارية الدفاعية المهمة، كما يمثل العنصر الثاني في خطة بناء السور من حيث الأهمية الدفاعية، يُلحق أو يُدمج بالبناء فيعمل دعامة ساندة لجدرانه الخارجية.[1]

فعادة ما تبنى في شكل بنايات عسكرية تُنشأ على أطراف الأسوار أو بداخلها، و تكون غالبا في المناطق المرتفعة، متَّخذة اشكالا هندسية من مثمن، المستدير، المربع والمستطيل، وهذا النوع من الأبراج أو البرج هو كتلة بنائية مرتفعة[2]،حتى أنَّ العنصر يتكرر عليها،أو يحتل أركانها أو جانبي البوابات أو يعلو المداخل ويبرز عادة عن سَمت البناء.[3]

---

[1]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق،ص،292.

[2]- بهاء موسى حبيب، نفسه.

[3]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق،ص،292.

عن موضوع أبراج السور يذكر فيتروفيوس في كتابه" **الكتب العشرة للهندسة...**" أنَّ هذا النوع من الأبراج يجب أن تكون بارزة فوق أحد الأسوار، بحيث لو حاول عدو الاقتراب من السور بقصد اجتياحه الى الهجوم،فإنَّه سيعرض إلى نار القذائف على جانبه المكشوف من الأبراج الواقعة على اليمين واليسار.[1]

يشير فيتروفيوس إلى أهمية الأبراج المضلعة أو الثمانية الشكل في قوله قائلا:" **يجب أن يكون مخطط الأبراج مضلعة الشكل، لأنَّ الأبراج المربعة سرعان ما تنهار بفعل الآلات الحربية، وضربات هذه الآلات تحطم بسهولة زوايا البرج**"[2].وهنا نرى أهمية أبراج ذات التخطيط المضلع المراقبة.

تتميز الأبراج بارتفاعها عن مستوى ارتفاع السور[3]، و قد يصل هذا الارتفاع إلى حوالي 50 قدما، وتعمل به مرام لكي تنفذ منها أسلحة المدافعين[4]، وتتباين ارتفاعها حسب كمال عناني اسماعيل بسبب انحدار الأراضي الصخرية التي تقوم عليها، حيث يتراوح ارتفاعها ما بين 10.82 م إلى 12.45م،و يتراوح عرض كل برج ما بين 5.30 م إلى 5.50 م، كما هو الحال بالنسبة لأبراج المغرب الإسلامي المتبقية التي تدعم السور الممتد بجذاء المحيط الأطلسي، التي تعود إلى فترة الموحدين، كما يذكر مصطفى سالم أنَّ ارتفاع الأبراج عموما تتراوح ما بين 02 م الى 30 م، ومن الأمثلة أبراج السور المجاور لباب الرواح

---

[1]- فيتروفيوس، الكتب العشرة للعمارة.....ص،39. أنظر أيضا E.Tardieu et A.Coussin Fils , les dix livres de l'Architecture de Vitruve, avec les notes de Perrault…….p,27. انظر ايضا A.De Rochas كل من D'Alglun, Principes De la Fortification Antique- Précis des connaissances Techniques nécessaires aux Archéologues pour explorer les ruines des anciennes Forteresses, Librairie de L'Architecture et des ars industriels, Eugene Bigot,Paris,1881 ,p August Choisy ,Vitruve ,Tom 2,Textes et traditions, Livres I- VI ,Paris, Imprimerie Lahure, MDCCCCIX ,p,p,40-50.

[2]- Tardieu et A.Coussin Fils ,les dix livres de l'Architecture …. p,p,97 98.

[3]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق،ص،292.

[4]- علي محمد راشد، الحصون و القلاع في دولة الامارات العربية المتحدة، ط1،وزارة الثقافة - الادارة الثقافية ،مطابع البيان التجارية، دبي،1992،ص،15.

برباط الفتح الذي يصل ارتفاعه الى 12.64م،وأبراج قصبة الواديا إلى 13.37م، ومنه فإنَ الارتفاعات الكبيرة حسب مصطفى سالم قد بدأت مع الموحدين.[1]

حسب عناني اسماعيل فإنَ نظام بناء الأبراج في المغرب الإسلامي، يتفق مع نظم الأبراج الأندلسية المغربية، فنجد أنَ برج الأبيض (الفضة) مثلا، يصل إلى 14.45م ارتفاعا، و اللافت للانتباه أنَ هذه الأبراج مبنية بقطع منتظمة من الدبش و مكسوة بطبقة سميكة من الملاط.[2]

بالغ المعمار في زيادة أعداد تلك الأبراج، فبلغت في رباط الفتح إلى 74 برج و تبقى منها 65 برج، ووصلت إلى حوالي 203 برج في أسوار مدينة تارودانت في عصر الاشراف السعديين في القرن 10هـ/16م*، وتبرز الأبراج في معظم الأحوال عن سمت السور الذي تدعمه، و يلاحظ في الأبراج التي تكتنف الأبواب أنَها تحصر فيما بينها ممر مكشوف، يسير على استقامة واحدة حتى نهايته عند فتحه للباب، ويتم الوصول إلى سطح الأبراج والممشى الذي يعلو الباب أو السور، من خلال سلالم صاعدة تساعد على تزويد المدافعين بما يحتاجونه[3]. ومع دخول الأسلحة النارية إلى المغرب،ولد نوع جديد من التحصينات العسكرية و التي ميزت القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.**

---

[1]- مصطفى سالم، المرجع السابق،ص،343.

[2]- كمال عناني اسماعيل، الآثار الإسلامية في المغرب.....ص،66.

*تتميز أبراج مدينة تارودانت أنها تتوزع على قطاعات الاسوار بصورة غير منتظمة ، فلا يوجد بينها فواصل متساوية كما ان بعضها مصمت ، بحيث لا يوجد بداخلها ممرات او غرف للرمي، كما ان بعضها مفرغ ، يشتمل على غرف مسقوفة للرمي، كما يلاحظ انها تزيد في ارتفاعها عن ارتفاع السور الذي تدعمه لتقوم بدور مراقبة الأراضي الواقعة خارج النطاق المسور. أنظر كمال عناني اسماعيل، الآثار الإسلامية في المغرب.....ص،ص،362- 363.

[3]- كمال عناني اسماعيل، المرجع نفسه.

** في عهد المنصور (984هـ/1582م) بنيت سلسلة من الأبراج الحربية او كما تسميها المصادر بالمعاقل مؤهلة من خلال تخطيطها لاستعمال هذا النوع من الاسلحة. و يمكن تقسيمها إلى أبراج ملاصقة للأسوار كأبراج فاس الجديد و برج تازة؛ وهي أبراج تخرج عن السور و تأخذ شكلا مربعا و تعلوها شرفات من حجم كبير تطلق من بينها الطلقات النارية و أبراج منعزلة على مشارف المدن

استخدم في مدن الجزائر خلال العهد العثماني عدد كبير من الأبراج لتدعيم الأسوار، وزعت بفعالية في عدد كبير من المناطق المختلفة منها المتفاوتة المسافات بينها ومن المدن مليانة. و ما ميز أسوار هذه المدينة؛ تحصينها بأبراج وصل عددها حسب بعض المصادر والمراجع إلى 17 برج، من خلال الدراسات التي أُقيمت بالمنطقة، بالإضافة الى الخرائط و المخططات التي نُفِّذت من طرف إدارة الاحتلال الفرنسي سنة 1844م،ومن هذه المصادر تم التعرف على الأبراج التي أُعيد بناءها كلية وهي (1-2،2-3،3-)،أُنجزت كلها في فترة الاحتلال الفرنسي، على انقاض الأبراج العثمانية، لتنتهي الاعمال سنة 1856م، والملاحظ أنَّ هذه الأبراج جاءت متباعدة يفصلها عن بعضها البعض، مجوَّفة و غير مسقوفة. **(الخرائط(15)،(20)،(21)اللوحتين(21)،(64))**

من خلال دراستنا لهذا النوع من الأبراج، اتضح أنَّه ينتمي الى نمط الأبراج الحائطية من خلال وضعيتها الحالية، والملاحظ ان هذا النوع حسب عاصم محمد رزق هو عبارة عن بناء حربي متصل على هيئة برج في سور مدينة أو قلعة أوخان و نحو ذلك، وكان يشرف في هذه الحالة على البوابات و أركان السور و اجزاء متفرقة منه، والملاحظ أنَّه يأخذ شكل مربع أو مستدير، يبرز عن السور المتصل به، سواء كان لحصن او قلعة، و تتوزع عليه مراقب و مزاغل لرمي السهام، ومن الضروري أن تُزوَّد أسوار الحصون والقلاع بعدد مناسب منها،حتى تكون عملية الدفاع عنها سهلة و فعالة.[1]

كالبرجين الشمالي و الجنوبي لفاس أو برج الفتح بمدينة العرائش. أنظر منير اقصبي، العمارة العسكرية بفاس.....ص، ص، 26-27.

[1]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق ،ص،ص،81-82.

يشير جمعة قاجة إلى أنً هذا النوع من الأبراج،عرف تطورا في المجال المعماري ، ولقد كان لهذا الأخير أثر كبير في العمارة القديمة لجعله يتكون من عدة طوابق لرفع قدرة استيعابه، و بالتالي توفير حماية أكثر، ولكن تعدًد الطوابق يجعل الجدران مفرغة ضعيفة المقاومة، مما دفع المسلمين يجعلون من هيكله كتلة واحدة متماسكة غير مفرغة، يستحيل نقرها و تقام نقاط الدفاع أعلاه.[1]

لأهمية هذا النمط في المجال الدفاعي، حرص المسلمون على جعل محيط الأبراج الحائطية المدمجة في أسوار المباني الدفاعية، من الأسفل أكبر من محيطها من الأعلى، تتناقص مساحة البرج كلما اتجهنا إلى الأعلى زيادة في تدعيمها.[2]
لقد اعتمد المسلمون على الأبراج الحائطية في التدعيم المعماري للمباني الحربية، و ذلك بجعلها في أركان البناء و توزيعها على امتداد الأسوار على مسافات متساوية، وتكون في أغلب الأحيان بمقدار رمية سهم أي ما يعادل 25م أو ما يقارب ذلك، و قد جاء ذلك مطابقا لأبراج أسوار معسكر و المنصورة بتلمسان و بالعاصمة الحمادية الناصرية ببجاية. **(اللوحتين(11)،(12))**

نشير حسب رشيد بورويبة أن المسلمون قد اتخذوا أشكالا مختلفة لأبراجهم كان أولها الشكل المربع و المستطيل اللًذان ورثاه عن الرومان ثم البيزنطيين، و الأمثلة عن الأبراج الرومانية و البيزنطية عديدة نذكر؛ أبراج مدينة تبسة و ميلة و سطيف.[3] **(اللوحتين(06)،(07))**

---

[1]- جمعة احمد قاجة ، موسوعة فن العمارة الاسلامية ،ط1،مطابع السفير التجارية، لبنان،2000، ص، ص،224-226.

[2]- أحمد رجب محمد، قلاع و حصون و أسوار و بوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند،ط1،الدار المصرية اللبنانية ،بيروت، 2009، ص،22.

[3]- Rachid Bourouiba, L'Architecture militaire…….p,39 .

حسب بوطبة فإنّ هذا النوع من العناصر الدفاعية الحربية انتشر استخدامه بكثرة في أسوار المدن الإسلامية المغربية، والنماذج الباقية بأسوار المدن التالية إلى يومنا هذا مثال حي على ذلك مثلها الموجودة بأسوار مدينة بجاية، مدينة هنين الزيانية و مدينة المنصورة المرينية.[1] **(اللوحتين(11)،(12))**

نظرا لما لهذا العنصر المعماري من عيوب ،عمل المسلمون على ابتكار أنماط جديدة من الابراج من حركة المدافعين،و تساعد على تغطية الزوايا المنفرجة عند أسفل الأسوار،حيث اعتمدوا في ذلك على الأبراج المضلعة و الأبراج الأسطوانية الشكل، هذه الأخيرة التي ظهرت بالعمارة الاسلامية منذ عهد الدولة الأموية و العباسية، ولدينا أمثلة لها في قصر المشتى و قصر الطوبة ببادية الشام و بقصر الأخيضر ببادية العراق في الجنوب الشرقي من مدينة الكوفة.[2]

تواصل استعمالها من طرف المسلمين كعنصر معماري، ملحق بأسوار المدن أو المنشآت العسكرية الأخرى، ففي بلاد المغرب الأوسط ما تزال بعض المعالم الأثرية تحتفظ ببعض استحكاماتها الدفاعية كالأبراج مثلا،ومن بقاياها نذكر الأبراج الأسطوانية البدن الواقعة بباب القرمدين، بالسور الشمالية لقلعة المشور بتلمسان و كذا بأسوار مدينة باغاية بالأوراس.[3] **(اللوحتين(11)،(12))**

أما في حالة وجود نظام دفاعي طبيعي إضافي للمباني العسكرية، مثل المنحدرات و الأنهار، فهذا يؤثر على التركيبة المعمارية للمبنى،وذلك بالاستغناء على بعض العناصر الحربية، ومن ضمنها الأبراج مثل السور الشرقية لقلعة شاهى طغلق

---

[1]- بوطبة محفوظ ،"**العناصر المعمارية الدفاعية بالعمارة العسكرية** "،مجلة الدراسات الاثرية، مجلد16،العدد 01، 2018، الجزائر،ص،192.

[2]- فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الاسلامية.....ص،ص،253-257.

[3]- Rachid Bourouiba, L'Architecture militaire…….p,12.

بالهند، ولكون هذه الواجهة تطل على فرع" نهر جامونا " ، جعل مشيدها يستغنون عن الأبراج باستثناء أبراج الأركان.ولهذا مزايا اقتصادية كالتقليل من تكاليف البناء.[1]

إنَّ دور الأبراج لا يتوقف على دورها الوظيفي الدفاعي أو المعماري فقط، بل تعدى ذلك لتحقيق غاية جمالية، تتمثل في إزالة رتابة اتساع السطوح، و ساهمت في توازن الإيقاع المعماري على واجهات الابنية[2]، ومن الأمثلة الدَّالة على ذلك؛ ما وُجد في أسوار القاهرة الفاطمية(480-485هـ/1076- 1092م) و سور صلاح الدين الذي أحاط بعواصم مصر الاسلامية و غيرها.[3]

تنتمي أبراج سور مليانة إلى الأبراج ذات المخططات المضلعة الشكل ثمانية الأضلاع،من خلال ملاحظاتنا للأبراج المتبقة حاليا بالسور، والشيء المُلفت للانتباه؛ هو أنَّ هذه الأبراج المتبقية ذات شكل مضلع، و غير مسقَّفة.**(المخططين (2)،(3)،اللوحتين(23)،(24))**

في هذا السياق يرى المستشرق الاسباني ليوبولدوتوريس بالباس،أنَّ الأبراج المضلعة الشكل هي مجدية أكثر الدفاع من المربعة و المستطيلة[4]، و يشاطره في الأمر محمد حمزة اسماعيل الحداد، والذي يرى أنَّ هذا النوع هو أفضل كثيرا من الأبراج ذات الشكل المربع من وجهة النظر الدفاعية، إذ أنَّها بكثرة أضلاعها

---

[1]- أحمد رجب محمد علي، المرجع السابق، ص،59.

[2]- غازي رجب محمد ، العمارة العربية في العصور الاسلامية في العراق ، جامعة بغداد، 133،1989.

[3]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق ،ص، 81.

[4]- ليوبولدوتوريس بالباس ، الفن المرابطي و الموحدي ، ترجمة؛ سيد غازي، توزيع، دار المعارف ، مصر،39،1971.

تمكن من التحرك في جميع الجهات و الزوايا[1]،و الجدير بالذكر أنً هذا النوع من الأبراج أي الابراج المضلعة الشكل غير جديدة على المعمار الحربي في القرن 6هـ/12م،وكل ما في الأمر انها انتشرت بالأندلس في عهد الموحدين انتشارا كبيرا، بينما استعمالها بالمغرب كان قليلا و محدودا.[2]

عن أصل البرج ذو المسقط المضلع؛ يرى جورج مارسي ان فكرة بناء الابراج المضلعة سواء المثمن او السداسي او المتعدد الاضلاع، ليست من ابتكار الفنان المعماري المسلم، اذ يعود اصول بنائه الى تقاليد فنية قديمة[3]، اذ تعود في اصلها الى المعمار الحربي الروماني ثم البيزنطي[4]،ليتأثر المرابطون و الموحدون بهذه العمائر و بصفة خاصة العمارة البيزنطية، فالمرابطون مثلا شيدوا أبراجا مسدسة الشكل، كالبرج المسدس المنعزل في حصن العقاب(لاس نافا سدي تولوسا) بالقرب من جيان، و البرج المطل على قنطرة القاضي في غرناطة.أما الموحدون؛ فقد بنوا الأبراج متعددة الأضلاع، حيث استعملوا الأبراج ذات خمسة أضلاع و التي تم تشييدها في المغرب الإسلامي، بالتحديد في مدينة الرباط الفتح، بالإضافة إلى أبراج أخرى في بوابة الرباط- باب الاحد[5]، كما استعمل أيضا البرج المثمن على نحو منتظم في بناء أبراجهم البرانية، و هو تعبير أندلسي عن الأبراج الخارجة عن نطاق السور، و ما لبث أن شاع هذا النوع من الأبراج في

---

[1]- محمد حمزة اسماعيل الحداد، العمارة الاسلامية في أوروبا العثمانية، مج 1،الطبعة الاولى، لجنة التأليف و التعريب و النشر- الشويخ- جامعة الكويت-، الكويت، 2002،ص،289. انظر ايضا محمد حمزة اسماعيل الحداد، العمارة و الفنون في الحضارة الاسلامية، مج2، ط1، دار المقتبس، بيروت ، لبنان،2014،ص، 283.

[2]- ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي و الموحدي.....ص، 39.

[3]- George Marcais, L'Architecture musulmane d' Occident……p,158.
أنظر أيضا مانويل مونيرو جوميث، المرجع السابق،ص،21. و يوسف عيد، موسوعة الحضارة العربية ، العمارة العربية ،ج،09،دار كلمات للنشر، د.م ، 1989،ص، 320.

[4]- ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي و الموحدي.....ص،38.

[5]- مصطفى سالم، المرجع السابق،ص،342.

المدن التي تقع على الحدود بين إسبانيا و إسبانيا المسيحية، مثل مدينة القصور و بطليوس، كما استخدموا أبراجا برانية *متعدد الأضلاع تتألف من إثنتي عشر ضلعا مثل برج اسبانتا بروس ببطليوس،و برج الذهب باشبيلية، والملاحظ أنَّ كثرة الضلوع حسب السيد عبد العزيز سالم كانت تتيح الفرصة للمدافعين بحرية التحرك إلى كافة الزوايا.[1]* **(اللوحة(11))**

أبراج سور مليانة ؛ جاءت نصف مثمنة الشكل، شُيِّدت في فترة الاستعمار الفرنسي الفرنسي.* **(المخططين(2)،(3)، اللوحة(24))**

تخطيط الأبراج المنفصلة (المنفردة):

ينتمي النوع الثاني من الأبراج إلى نمط الأبراج أو البرج المستقل الذي لا يتصل بغيره من الأبنية، يكون مُشيَّدا مُنفردا لأغراض المراقبة و الدفاع و على الطرق التجارية[2]. وهو المبنى العالي كما وصفه مانويل مونيرو جوميث قائلا: **"وهو المبنى العالي يُرى من بعد ويُشرف على أكبر مساحة ممكنة لاستطلاع العدو وإرسال الإشارات الضوئية، ويُستخدم للدفاع أيضا".**[3]

كما هو معروف أنَّ البرج في المدن التي ذكرناها اعتُبر كعنصر مُهمًا اذ يعمل في تدعيم سور المدينة كما هو الحال بالنسبة لأبراج سور مليانة، ضف الى

---

* يرى عبد العزيز سالم أنَّ الأبراج البرانية من ابتكار الموحدين قصد تدعيم الستارة أو السور.

[1]- مانويل مونيرو جوميث، المرجع السابق، ص،210.

* للمزيد عن الأبراج المضلعة الشكل في الاندلس انظر باسيليو بانون ماندونادو، العمارة في الاندلس-عمارة المدن و الحصون-المجلد الثاني، ترجمة، علي ابراهيم منوفي، مراجعة و تقديم، محمد حمزة الحداد، الطبعة الاولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2005 ،ص، ص،474-475.

* عن أبراج سور مليانة انظر الفصلين الرابع و الخامس من الأطروحة.

[2]- محمد محمود الجهيني، العمارة الحربية في العصر العثماني،ط،1،الاكادمية للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر 2008،ص،73

[3]- بهاء موسى حبيب، المرجع السابق،ص،293.

ذلك عملية التقوية و التدعيم التي تؤديها أبراج السور، و من هنا يمكننا القول أنَّ هذا النوع من التحصينات يتمتع بوظيفتين رئيسيتين؛ **فالأولى** تتمثل في الوظيفة الدفاعية لصد الهجوم أما **الثانية** فتقوم بالمراقبة و الإشعار. فكما البرج ملتصقا بجدران السور ، فإننا نجده أيضا منعزلا و منفردا في أماكن معينة ، على قمم المرتفعات أو التلال أو حتى الهضبات أو على السواحل لحمايتها، كما هو الحال بالنسبة لبرج الأنابود بمدينة شرشال، كما نجده أيضا في المناطق الداخلية كما هو الحال بالنسبة لبرج القليعة بمدينة و برج المصلى بمدينة المدية، و يمكن إدراج هذه الأبراج إلى نوع أبراج المراقبة من خلال موضعها و كذا وظيفتها التي أُنشئت لأجلها.

من خلال زيارتنا الميدانية و اعتمادا على التصاميم الأُفقية للنماذج المدروسة، فإن هذه الأبراج يمكن إدراجها ضمن أبراج المراقبة.

يذكر المهندس المعماري دو روشاس دالجلون* **A. De Rochas D'Alglun** ، أنَّ القدماء قاموا بإنشاء أبراج منفصلة في أماكن معينة، سواء في مواضع مرتفعة لمراقبة العدو و إرسال إشارات، أو على حوافي أو جوانب أماكن لشغل بعض المراكز،لاتخاذها أماكن لمنع دخول المهاجمين، وأخيرا داخل أماكن أين المعسكر الدائم لاستخدامه كآخر ملجأ أو مخيم للاعتزال داخل الحامية..".[1]**

إنَّ أبراج المراقبة هذه من أصغر المنشآت الدفاعية حجما، و تتمحور وضيفتها و أهميتها في المراقبة[2]، و نجدها على طول أسوار الحصون و المدن، كما نجدها

---

* رئيس كتيبة الهندسة.

[1]- A. De Rochas D'Alglun ,Op , Cit,p, 29.

** للمزيد عن الأبراج أنظر A. De Rochas D'Alglun, Op ,Cit,p,p,29-30.

[2]- محمد معلم فوزي، الخريطة الأثرية لبلديتي عين العربي و عين مخلوف جنوب قالمة، رسالة ماجيستر في الاثار القديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2007-2008،ص، 70.

منفردة على طول الطرق الاستراتيجية و التجارية، وذلك للأغراض الحربية للتحذير من اقتراب العدو، أو لتأمين الطرق إلى جانب إرشاد السابلة.*[1]

يرى المهندس المعماري دو روشاس دالجلون أنَّ أبراج المراقبة عموما قد خصصت أوّلا لكشف العدو، و ثانيا يستخدم ملجا للجنود الفارين، و ثالثا لحماية الجنود المحاربون و هم متقاعدين[2]**،و أكّد ديهيل*** ، أنَّ خريطة إفريقيا البيزنطية المليئة بالأبراج و الحصون المتواجدة بالقرب من المدن، أو حتى بداخلها كان لغرض توفير الملاجئ للسكان في حال وقوع الخطر المفاجئ.[3]

نشير حسب كريزويل إلى أنَّ الأبراج ذات المساقط المربعة ، المستطيلة و حتى الاسطوانية الشكل كانت معروفة لعدة آلاف السنين ، و الجدير بالذكر أنَّ الأبراج المربعة كانت تمثل المرحلة السابقة على الابراج المتعددة الاضلاع و النصف الدائرية، و هو ما يمثل تقدما من وجهة النظر الاستراتيجية، وأعمال التنقيب كشفت عن وجود أبراج، تعود الى الفترات القديمة[4] ، ليعرف التاريخ الإسلامي

* يذكر سعد زغلول انه قد وُجدت أبراج و منارات مربعة تعود الى الفترة الرومانية أهمها منارة الإسكندرية القديمة و اذا كانت الكنائس و الاديرة المسيحية قد استعارت تلك الابراج من أجل رفع الناقوس أو لاستخدامها كخلوة للعباد من الرهبان. سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة و الفنون في دولة الاسلام، منشاة المعارف ، الاسكندرية ، مصر،2004،ص،ص،219-220.

[1]- سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع نفسه، ص،ص،219-220.

[2]- A. De Rochas D'Alglun ,Op , Cit,p, 52.

** للمزيد عن أبراج المراقبة في الفترة القديمة أنظر . A. De Rochas D'Alglun , Op , Cit,p,p,50-52

*** يعد من أقدم أعضاء المدارس الفرنسية بروما و أثينا.

[3]- Charles Diehl, L'Afrique Byzantine –Histoire de la domination Byzantine en Afrique (533-709),Paris, Ernest Leroux ,Editeur,1896,p211.

[4]- ك.أ.س. كريزويل، العمارة الاسلامية في مصر، المجلد الاول- الإخشيديون و الفاطميون(939-1171م)، تر: د. عبد الوهاب علوب، راجعه و استخرج نصوصه و قدم له و علق عليه، أ.د. محمد حمزة الحداد، ط1،مكتبة زهراء الشرق، دار القاهرة، القاهرة، 2004،ص،216.

عبر مراحله التاريخية آخرها الفترة العثمانية استخدامه بكثرة سواء في المشرق او في المغرب و الغرب الاسلامي و الاثار الباقية دليل على ذلك*.

فاذا ألقينا نظرة على نماذجنا المدروسة لوجدنا أنً تصاميمها تختلف ما بين المربع كما هو الحال بالنسبة لبرج الأنابود بمدينة شرشال؛(المخططات**(04)**، **(05)**،**(06)**،**(07)** **اللوحات**،**(29)**،**(30)**،**(31)**)،وبرج القلعة أو برج تومبروخ المتواجد بمدينة القليعة (**المخططات(08)**، **(09)**،**(10)**،**(11)** **اللوحات (36)** ، **(49**،**(50**،**(51))**،والمستدير أو الاسطواني، كما هو الحال بالنسبة لبرج المصلى لمدينة المدية (**المخططات (12)**،**(13)**،**(14)اللوحتين(51)**،**(52))**، بالإضافة إلى النصف المضلعة و غالبا ما نجد هذا النوع مدمج مع الأسوار، مثلما وجدناه بأسوار مدينة مليانة.(**اللوحتين(24)**،**(64))**

– مخطط برج الأنابود :

يتخذ برج الأنابود في مسقطه الأفقي شكلا مربعا.(المخططات**(04)**،**(05)**، **(06)**،**(07)اللوحات(41)**،**(42)**،**(43))**

ما يميز البرج؛ التقابل في الطابق الأسفل وكذا طريقة توزيع المزاغل*على مستوى الجدران الأربعة، وهي متشابهة من حيث الشكل،ولقد تم تصميم هذه الفتحات بطريقة تناظرية لا يسمح من خلالها الرؤية، مما يؤكد أنً تصميمها اُنجز لتهوية الطابق لا غير.(**اللوحتين(39)**،**(40)**

* للاطلاع عن الأبراج خلال الفترة الاسلامية و العثمانية الفصلين الرابع و السادس من الأطروحة. أنظر أيضا كل من عبد الله عبد السلام صالح الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد .....ص،ص،338-340. فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية....ص،ص،518-519. جورج بيرتون بيج، المرجع السابق،ص،ص،15-40. محمد بن حمو،"**التحصينات العسكرية لمدينة هنين".....**.....ص،ص،261-262. علي خلاصي، العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر..... ص،ص،105-106. و محمودي ذهبية ، **" الابراج العسكرية"**.....ص،ص،128-129

* عن موضوع المزاغل أنظر الفصل الرابع من الأطروحة.

نشير من خلال زياراتنا الميدانية المتعددة للمعلم، وجود مزاغل بجدران الطابق الاول، وضعت بطريقة متناظرة ومتقابلة،وهذه الظاهرة لامحناها بكل الطوابق. **(اللوحتين(39)،(40))**

- تخطيط برج القليعة:

يتميز تخطيط برج القليعة بشكله المربع **(المخططات(08)،(09)،(10) (11) الاشكال (07)،(08)،(09)،(10)اللوحات(46)،(47)،(49) ،(50)،(51)، (52))**،والميزة التي يتفرد بها برج القليعة عن باقي الاستحكامات المدروسة؛ وجود عنصر السقاطة في أعلى طابقها في أضلاع بدن البرج.**(الاشكال(07) ،(08)،(09)،(10)اللوحات(47)،(49)،(50)،(51)،(52) ،(53))**

و البرج المربع يطلق عليه اسم المربعة،وعادة ما تقام الابراج المربعة حسب الدكتور علي محمد راشد عند حوافي المدينة بشكل متفرق،و الهدف الرئيسي منها رصد العدو و مشاغلته[1]، كما هو الحال بالنسبة لبرجنا.

و ظاهرة المساقط الأفقية ذات التخطيط المربع ليست وليدة الفن الاسلامي و لا من بابتكار الفنان المعماري المسلم، بل يعود تاريخ جذوره الى العصور القديمة. و حسب جان بيارأدم، فان الابراج ذات التخطيط المربع، تعتبر الأفضل من الأبراج الأسطوانية أو المخروطية الشكل.[2]

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم،" **العمارة الاسلامية في الاندلس و تطورها**"، مجلة دورية -عالم الفكر - " دراسات في تراث" المجلد الثامن، العدد الاول –ابريل،مايو، يونيو، وزارة الاعلام، الكويت،1977، ص،128. أنظر ايضا علي محمد راشد، المرجع السابق، ص،16.

[2]- Jean- pierre Adam, L'Architecture Militaire Grecque ,Publié avec le Concours du C.N.R.S, Picard, Paris ,1982,p,p46-47

ترى الباحثة التونسية هاجر كريمي في مقال لها بعنوان" **L'Architecture Militaire Romaine Dans Le Système Défensif Du Limes Tripolitanus Occidental(Sud De La Tunisie** "، أن الابراج العسكرية منذ العهد القديم كانت تستخدم بكثرة، كما انها بمثابة آلات لرمي السهام أو الحجر، و بالتالي فإنً هذه الوضعية يدفعها في غالب الأحيان، إلى اتخاذ هذا الشكل التربيعي القائم على الزوايا الاربعة.[1]

اللافت للانتباه هو وجود الأبراج المربعة الشكل في التحصينات الإغريقية، و انتشارها بكثرة في العديد من المدن اليونانية حسب جان بيار ادم، و يعود ذلك الى سهولة البناء بالحجارة و مستخدمين بذلك تقنية النظام الكبير(**construction en pierre de grand appareil**)[2]،نذكر من المدن اليونانية على سبيل المثال مدينة ميسان **Messène** المعروفة بمعالمها التحصينية وأبراجها المربعة، ومدينة **Aegosthénes** العريقة باستحكاماتها و أبراجها المربعة خاصة، و كذا مدينة اثينا **بتحصيناتها و أبراجها.**[*3] **(اللوحة(01))**

بالنسبة للرومان؛ نلاحظ اهتمام هؤلاء بهذا النوع من المنشآت العسكرية، بل أكثر من ذلك اذ اعتبروها أي الأبراج من أهم التحصينات الدفاعية التي قاموا بإنشائها خاصة في بلاد المغرب القديم، وهذا الانتشار والاهتمام الكبير من قِبلهم لهذا

1- Hager Krimi, « **L'Architecture Militaire Romaine Dans Le Système Défensif Du Limes Tripolitanus Occidental (Sud De La Tunisie)** » ,In Revue de études militaires anciennes ,N°4,2007, p,140.

2- Jean- pierre Adam, L'Architecture Militaire Grecque ……p,47.

أنظر أيضا August Choisy, Histoire de l'Architecture ,Tom 1,Gauthier –Villars, Imprimeur – Libraire, Paris,1899,p, 501.

* للمزيد اكثر انظر كل عن هذا النوع من الابراج في الفترة القديمة انظر كل من August Choisy, Histoire de l'Architecture ,Tom 1…p,p,499-503. و Jean- pierre Adam, L'Architecture Militaire Grecque…p,p,46-76.

3- August Choisy, Histoire de l'Architecture ,Tom 1……p, 501.

النوع من الاستحكامات راجع الى الاستراتيجية الحربية،بحكم الحروب و الحماية كما كان الحال بالنسبة للشمال الافريقي أو افريقيا الشمالية أو المغرب القديم، و الذي كان تطلب انشاء العديد من الاستحكامات العسكرية، سواء في الفترة الامبراطورية العليا أو الإمبراطورية السفلى مقارنة بالعالم الغربي.[1]

نشير من جهة أن الابراج من هذا النوع وُضعت في نقاط ضعيفة من المبنى بين الأبواب و الأجزاء البارزة ، ثم بعد ذلك على طول السور[2]، لتدعيم اجهزة الدفاع و ما يهمنا؛ ذات التخطيط المربع، و قد غلب هذا النوع من الاشكال بمقاطعتي نوميديا و موريطانيا القيصرية، وقد جاءت على طول الليمس النوميدي و الموريطاني تشكل مراكز حراسة و مراقبة، ومن الامثلة برج سيدي خريس قرب عين البيضاء و برج واد القنطرة و برج ازفون.[3*]

ذكر ديهيل من خلال الدكتور دريسي أنً الأبراج كانت خلال القرن السادس بارزة و كان يغلب عليها التخطيط المربع الشكل،و يتقلص سمك جدرانها مقارنة بسمك الاسوار المحيطة بالقلعة[4]، وهي عادة ذات طابقين طابق أرضي ينفتح على الساحة و الطابق الأول الذي يطل على ممشى الحراسة، و هناك ابراج ذات ثلاث طوابق، وهذه المعالم نجدها منتشرة بشمال افريقيا نذكر على سبيل المثال، تبسة و مداورش[5]. والجدير بالملاحظة أنً هذا النوع من الأشكال ذات التخطيط المربع

1- Hager Krimi,Op,Cit,p,p,25-30..

2- مها محمد السيد، المرجع السابق، ص،403.

3- عبدالقادر صحراوي، المرجع السابق،ص،ص،126-149.

* للتوسع و المزيد عن الأبراج النوميدية و الموريطانية خلال فترة الاحتلال الروماني، أنظر عبدالقادر صحراوي، المرجع السابق، ص، ص، 125-152.

4- سليم دريسي ، المرجع السابق،ص،311.

5- سليم دريسي، المرجع نفسه،ص،311.

نجدها في معظم المخططات للعمارة الدفاعية البيزنطية بالمغرب القديم،نذكر برج هلال و قالمة و زيامة و ميلة و سطيف و تبسة و تهودة و تيمقاد و هنشير... **اللوحة(06))**

بالنسبة للعرب؛ فلقد عُرف عندهم هذا النوع من التخطيط في بلدانهم قبل ظهور الاسلام، وفي هذا السياق يذكر الدكتور عبد الله عبد السلام الحداد عن أهمية هذه النوعية من اشكال الابراج و المتمثلة خاصة في الجانب الوظيفي منها، و انتشارها في البلدان العربية خاصة في المدن اليمنية قبل الاسلام، و قد تعدى عددها الى العشرة مدن منها على سبيل المثال لا الحصر ابراج مدن حنو الزرير ، مآرب السبئية وقرناو(معين)، وعادة ما يتكون البرج المربع الشكل من مساحة مربعة تضم من الداخل عدة طوابق، و هذا النوع من الابراج وُجد في عشرات المدن اليمنية قبل الاسلام. [1]

انتقل هذا التخطيط التربيعي إلى العالم الإسلامي سواء مشرقه أو مغربه، و يتضح ذلك من خلال معالمهم الباقية. وفي هذا السياق يشير عبد العزيز سالم إلى أنَّ هذا النوع من التصميم البنائي قد ساد استخدامه، أ و بالأحرى سيطر على التحصينات المعمارية بالمدن الاندلسية مثل قرطبة، اشبيلية، قلعة جابر، مالقة و المرية و غرناطة و غيرها[2].**(اللوحة(11))** و عادة ما يتألف البرج من نصفين، نصف سفلي و نصف علوي تشغله غرفة و تعلو جدرانه العليا شرفات، و تشغل بعض الابراج في القسم العلوي غرفتان الواحدة فوق الاخرى تخصص عادة

[1]- عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الآثار الإسلامية..... ص،144.

[2]- السيد عبد العزيز سالم،" العمارة الاسلامية في الاندلس و تطورها.....ص،128.

للحامية، و تُزوَّد جدران البرج عادة بمنافذ للسهام تنفتح فيه. كما يغطي الغرفة في معظم الأحيان قبوات نصف كروية.[1]

بالنسبة لبرجنا؛ يتميز بظاهرة التماثل و التشابه في طريقة تصميم واجهاته، و كذا طريقة توزيع عناصره المعمارية التي طغى عليها الأسلوب التناظري و السيميتري، من نوافذ و مزاغل وسقاطات باختلاف الاشكال والاحجام على مستوى كل الواجهات باستثناء الواجهة الغربية، على مستوى طوابق المبنى*.**(اللوحات (37)،(39)،(40)،(41)،(42))**

نلمس في طريقة بناء الجدران الطريقة المائلة الذي استخدمها البناء المحلي في كل واجهات المبنى، مستخدما الحجارة المنحوتة باختلاف الحجم من كبيرة و متوسطة ما بين 25سم و 35سم الى 30سم طولا،أما طريقة وضعها؛فقد وضعت بطريقة غير منتظمة، وقد لحمت فيما بينها بمادة الملاط، تتراوح مقاسات الحجارة إلى ما بين 45سم طولا ×12سم عرضا.**(اللوحات(40)،(41)،(45)،(49))**

ينتهي الجدار بصف من الآجر الأحمر وضع بطريقة افقية، ليليه مباشرة جدار من الآجر و التراب مبلط بطبقة من الجير الابيض، يعود الى الفترة المحلية، وهو يعود الى الفترة المعاصرة المحلية، ينتهي هذا الأخير بصف من القرميد وضع بطريقة افقية على طول الجدار.**(اللوحات(43)،(49)،(50))**

[1]- يوسف عيد، المرجع السابق، ص،384. أنظر أيضا السيد عبد العزيز سالم،" **العمارة الاسلامية في الاندلس و تطورها** ".....ص،128.

* للمزيد أكثر أنظر الفصل الخامس من الأطروحة.

نشير إلى أنً مستوى الجدران السفلية لكل واجهات المعلم، تنتهي بانحناءات و ميول كثيف، أو على هيئة شطف أملس تنعدم فيها الزاوية القائمة.**(اللوحتين (49)،(50))**

تخطيط برج المصلى :

ينتمي مخطط برج المصلى إلى نمط الأبراج ذات المساقط الأفقية المستديرة و الاسطوانية الشكل. والأبراج المستديرة الشكل تعد أفضل الأبراج لاستدارتها و سهولة الانتقال في اجزائها المختلفة. و عن الأبراج الدائرية كما هو الحال بالنسبة لبرجنا فمن مميزاتها؛ أنها تسهل على الحارس أو الرامي الهدف لسهولة الدوران.**(المخططات(12)،(13)،(14) اللوحة(51))**

بالنسبة لخاصية الأبراج الدائرية فان لها أهمية تعبوية كبيرة،لأنها تترك منطقة دفاعية مميتة قليلة جدا،فتكون فرص المهاجرين في الاحتماء من أسلحة المدافعين قليلة.[1]

يقول فيتروفيوس عن الأبراج المستديرة " الابراج نفسها يجب ان تكون إما مستديرة او متعددة الاضلاع، أما الابراج المربعة فسرعان ما تدمرها الآلات الحربية، فالمجانيق تدمر زواياها تدميرا، والأبراج المستديرة لا تضيرها مثل هذه الضربات لأنها مدمجة.[2]

---

[1]- احمد قاسم الجمعة، المرجع السابق،ص،83.

[2]- ك.أ.س. كريزويل، العمارة الاسلامية في مصر، المجلد الاول- الإخشيديون.....ص،217.

إنّ نظام بناء الأبراج المستديرة من الأساليب التي نفذت قبل الإسلام، في أبراج العمائر الحربية و قد استخدمت بكثرة شرق بلاد فارس.[1]

لقد كان لهذا النوع من الاستحكامات الدفاعية ظهور قوي في العمارة الاسلامية، خاصة خلال الفترة الاموية، وخير الامثلة ؛ فترة حكم الملك الأموي هشام بن معاوية سنة 110هـ /729م[2]،والمعروف أنّ الأبراج الأسطوانية الشكل تعد الأفضل مقارنة بالأبراج الاخرى كالمضلعة و المربعة الشكل، لاستدارتها و سهولة الانتقال في أجزائها المختلفة.[3]

و الموحدون هم أيضا من استخدموا هذا النوع من الأبراج، لكن بصفة قليلة جدا مقارنة بالأبراج الأخرى كالمربعة والمضلعة، رغم ما له من فعالية في المراقبة وسهولة التنقل فيه، و قد عرفت الأندلس هذا النظام في البناء الحربي قبل دخول الموحدين الأندلس في العهد الأموي.[4]

رغم القول مرارا و تكرارا بان العمارة الاسلامية حسب باسيليو بانون ماندونادو لم تكد تعرف البرج ذات التخطيط شبه الاسطواني، خاصة وأنّ هذا النوع من المخططات كان يفضلها كثيرا الرومان. إلا أنّ الواقع ينفي ذلك و النماذج المتبقية دليل على ذلك في العديد من مناطق المغرب و الغرب الاسلامي، ففي الأندلس خاصة في الآونة الاخيرة، إذ تمّ رصد عدّة نماذج منها نذكر على سبيل المثال سور أوجوه و سرقسطة و قرطاجنة، أما في المغرب فان حصن تمودا الذي يعود

---

[1]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع السابق، ص،86.

[2]- باسيليو بانون ماندونادو، العمارة في الاندلس-عمارة المدن و الحصون،مج1.....ص،476.

[3]- محمد حمزة اسماعيل الحداد، العمارة و الفنون في الحضارة الاسلامية، مج2، ط1، دار المقتبس، بيروت ، لبنان،2014،ص، 283.

[4]- مانويل مونيرو جوميث، المرجع السابق، ص،21.

إلى الفترة الرومانية المتأخرة، وقد أُجريت حفريات في مدينة ريكوبوليس القوطية و عثر على مبنى حربي الشكل طولها 3 م x 1.92م عرضا، و من جهة أخرى هناك حصون و قصور أموية و عباسية في الشرق الاوسط، وكذلك أربطة تونسية في كل من سوسة و المونيستير، حيث يوجد برج في إحدى زوايا سوسة و كذلك برج آخر في القصر الاسلامي، رقادة و كذلك في بعض قطاعات سور صيفاقس– و هذه الأخيرة تتًسم بصغرها و بأنها ذات منحدر واضح، حيث نجد أنًها جميعا بها ابراج شبه أسطوانية وغاية في هذا الاتًجاه.[1]

يرى هنري تيراس من خلال باسيليو أبراجا أسطوانية في مقر مدينة بصرة بالمغرب التي زالت من الوجود، ولا زلنا نرى حتى اليوم أبراجا أسطوانية في شمال افريقيا ترجع الى العصر المرابطي و الموحدي[2*].

نشير إلى أنً ظهور هذا النوع من الأبراج في النصف الاول من القرن 05هـ/للقرن 11م، يبدو حسب جوميث مورنيو كما لو كان ابتكارا، لبعده الشديد عن النظام الروماني الذي بقي في أسوار بعض المدن نذكر مدينة لُك **Lugo**، و الملاحظ أنً هذا النوع من الأبراج لم يلق نجاحا في اسبانيا الاسلامية إلا بعد مضى قرون، حيث عزز المسلمون الاستحكامات الدفاعية لمملكة غرناطة على اثر فتوحات سان فرناندو.[3]

---

[1]- باسيليو بانون ماندونادو، العمارة في الاندلس-عمارة المدن و الحصون،مج1.....ص،476.

[2]- باسيليو بانون ماندونادو، المرجع نفسه.

* للمزيد عن الأبراج الأسطوانية أنظر باسيليو بانون ماندونادو، المرجع نفسه، ص، ص،476 - 478.

[3]- مانويل مونيرو جوميث، المرجع السابق، ص،304.

انتشر هذا النوع من الأبراج عند السلاجقة، ثم انتقل إلى العثمانيين بالأناضول كما يظهر ذلك في العديد من الابراج كأبراج قلعة روملي حصار(856هـ-1452م)،ويدى قلعة(893هـ-1458م) وتشنك قلعة(978 هـ -1570م).

بالنسبة لبرجنا؛ يتميز من الناحية التصميمية بارتفاعه الذي يتعدى الخمسة امتار، و يتناقص قطره نحو ارتفاع المبنى.**(المخططات(12)،(13)،(14))**

تتمتع واجهاته بحلية معمارية من الحجر تطغى عليه مادة الدبش كمادة اساسية في بنائه، والجدير بالملاحظة بروز مستويين من خلال مخططات بنائية،أُنجزت من قبل مهندسي مكتب الدراسات التقنية "**ورشة ثلاثي الأبعاد**".**(المخططات(13)،(14))**

تتوزع على واجهات المبنى سلسلة من الفتحات مختلفة الاشكال، بين الكبيرة المتوسطة و الصغيرة الحجم، وقد تكون هذه الأخيرة قد استخدمت للرؤية و التهوية، تعلو الفتحات الكبيرة الحجم بالإضافة إلى المداخل بعقود نصف دائرية الشكل.**(اللوحات(54)،(55)،(56)،(57)،(58))**

من الملاحظة الميدانية و مع إلقائنا نظرة على مخططات النماذج المدروسة، بدْءا ببرج الانابود ليليه برج القليعة ثم المصلى، نلاحظ أنَ تصميمه يقسم المبنى إلى ثلاث طوابق داخليا، بينما من الخارج نلاحظ أنَ المبنى عبارة عن كتلة واحدة،إذ تظهر من الخارج كطابق واحد، وهذه الظاهرة كميزة تتميز بها العمائر الإسلامية عموما و الدفاعية بالأخص التي تعود الى الفترة العثمانية.**(اللوحة(51)**

بالنسبة للموضع؛ نجد أنَ الأبراج المدروسة يختلف موضعها، ما بين المرتفعة و المنخفضة(السطح)،فمن الأبراج التي بُنيت على هضبة مرتفعة، وهذا هو الأصل

لأن وضيفتها هي مراقبة المنطقة مثل برج الانابود بشرشال**(اللوحتين(26)، (27)**،وهناك التي بنيت على أرضية مسطحة كبرج القليعة، الذي وجد بمنطقة داخلية أي داخل المدينة،ومن المرجح أن يكون هدفه هو مراقبة الحركات الداخلية (الثورات الداخلية)،زد على ذلك برج المصلى التي جاءت أرضيته مرتفعة قليلا مقارنة ببرج الانابود. فكل هذه الأبراج من خلال هذه الملاحظة قد تكون سبب تشييدها هي المراقبة و الحراسة،وبالتالي فهي قد تكون في حد ذاتها أبراج مراكز أو أبراج للحراسة و المراقبة.

أما عن تخطيط الأبراج فما لاحظناه؛ ظاهرة تعدد الطوابق،فقد بلغت الطوابق إلى أربع مستويات لكل من برج القليعة؛**(المخططات(08)،(09)،(9-أ)، (10)، (11) الشكل (07))** و برج الانابود ؛**(المخططات(04)،(05)،(06)،(07) الشكلين (02)،(03))**،أما بالنسبة لبرج المصلى فلم نتمكن من تحديد طوابقه ميدانيا، بل لوحظت كما اشرنا الى ذلك سابقا من خلال المخططات المنجزة من قبل مكتب الدراسات؛**(المخططات(12)،(13)،(14)**،فالطوابق الأولى بمثابة الطابق الأرضي كما هي معروفة تستغل كمأوى للحراس و مكانة راحة لهم، والأول فهو مخصص للحراسة من خلال فتحات المزاغل للمراقبة و الحراسة، ليتتوج الأعلى بفتحات عبارة عن سقاطات و شرفات للحراسة و الحماية.[1]

فيما يخص أبراج الأسوار؛ فلم يتبقى منها سوى الجدران و هي في الأصل يعود تاريخ البناء الى فترة الاحتلال الفرنسي،و قد اشرنا الى ذلك تكرارا و مرارا.

أما عن الواجهات؛ فقد تنوعت واجهات المباني المدروسة سواء من حيث التشكيل المعماري أو ما تضمنه المنشأة الواحدة من عدد من الواجهات، وقد حافظت

[1]- بيدي محمد، المرجع السابق، 160.

الواجهات على الطراز المعماري السائد في فترة انشائها، فهناك من المعالم من حافظت على واجهاتها و لو نسبيا كما هو الحال بالنسبة لبرج القليعة.**(اللوحات (37)،(39)،(40)،(41))** والمصلى**(اللوحات(53)،(54)،(55)،(56)،(57))**، بالإضافة إلى أسوار مليانة **(اللوحتين(24)،(64))**

من جهة نلاحظ من الواجهات من أبقت على عناصرها المعمارية بالرغم من التعديلات و الإصلاحات التي أجريت عليها في اطار الاشغال الاستعجالية و مشاريع الترميم مثلما هو الحال بالنسبة لبرجي القليعة **(اللوحات (36)،(37)، (39)،(40)** والمصلى **(اللوحات(53)،(54)** ،**(55)،(56)،(57)،(58))**بالإضافة بعض أقسام سور مليانة.**(اللوحتين((23)،(24)،(64))**

من الملاحظ؛ وجود واجهات ثانوية و رئيسية تميز المباني المدروسة، وتعد الواجهة الرئيسية من اهم الواجهات في المبنى،وتشمل على المدخل الرئيسي، كما رأيناها في كل من برج القليعة.**(اللوحات(37)،(39)،(40)،(41)،(42))** و المصلى**(اللوحات(53)،(54)،(55)،(56)،(57)** وحتى برج الأنابود بالرغم من فقدانه لأهم عناصره المعمارية.**(اللوحتين(26)،(27)،(28))**

نشير إلى ميزة البساطة و خلو واجهات نماذجنا المدروسة من العناصر الزخرفية، بالإضافة الى عملية توزيع مجموعة عناصر معمارية، على مستوى كل واجهات المباني منها المزاغل، لتشكل في الأخير نمطا يميز نماذجنا عن باقي العمائر العثمانية الاخرى،كما هو الحال بالنسبة لبرج القليعة، والمصلى وكذا الانابود.**(اللوحات(27)،(37)،(53))**

فيما يخص الوحدات المعمارية التي وجدت بنماذجنا نذكر؛ **الغرف** فقط، بينما العناصر الأخرى فلم نعثر على بقاياها، نجهل إن كانت موجودة و تعرضت للهدم، ام لم تكن في الأصل بتاتا.

بالنسبة للغرف؛ تخص فقط البرجين الأنابود و برج القليعة، و الملاحظ انه من الصعب تحديد الغرف و مساحاتها التي تشغلها بالتقريب مع مقاساتها، وكذا المخططات لعدم عثورنا على شواهد مادية تشير إلى ذلك، لكن أثناء الدراسة الميدانية بالمعالم الاثرية المدروسة،عثرنا على بعض الآثار من خلالها تمكنا من تحديد بالتقريب كل من غرف برج القليعة و برج الانابود، لأنهما قائمان وما يزالان يحافظان على عناصرها المعمارية، والأمر الذي ساعد في ذلك الترميمات التي أجريت على برج القليعة التي أهلته بأن يكون في حالة حفظ حسنة، مقارنة ببرج الانابود الذي تعرّض لانهيار أحد اقسامه و بعض عناصره المعمارية، مما جعلته يكون في حالة حفظ سيئة جدا، ما صعّب علينا تحديد غرفه.أما معدل الغرف، فيتراوح في كلا البرجين إلى ما بين 3 الى 4 غرف مختلفة الأحجام.

أما طريقة توزيع الحجرات فبالرغم من عدم بيانها ميدانيا، لانعدام عناصرها المعمارية، إلا أنّ التصميم المعماري لكلا البرجين يؤكد وجودها، فاذا أخذنا برج الانابود، نجد ان تخطيط المعماري يوضح اشتمال البرج على 03 حجرات مختلفة المساحات في كل طابق، أما بالنسبة للتخطيط المعماري لبرج القليعة فقد يشتمل على 03 حجرات مختلفة المساحة في كل طابق ايضا.

بعض الحجرات في الطابق الأرضي، ربما كانت تستعمل كمخازن لإيداع و تخزين المؤونة من مواد غذائية، و دليل ذلك ربما يعود لوجودها في الطوابق الارضية و السفلية من جهة، وارتفاع النوافذ عن مستوى أرضية المبني لأن كل

طابق من الطوابق الأرضية للأبراج المدروسة يحتوي على فتحة للتهوية فقط، و مدخل الطابق الارضي يتسع بمقدار1م،نفس الشيء الذي لامحناه في بعض الاستحكامات العسكرية. و من هنا نلاحظ أنً الطوابق الأرضية و السفلية وضيفتها حفظ المؤونة.

بالنسبة لسمك جدران الابراج؛ عموما فان سمك الابراج حسب باسيليو ،عادة ما نجده أقل من سمك الاسوار[1]، و هذا ما لمحناه في أبراجنا المنفردة كبرج الأنابود الذي يتراوح سمك جدرانه إلى ما بين 0.20 إلى 0.30م، برج القليعة الذي يصل الى 0.60 م. بينما برج المصلى فيتراوح ما بين 1.00 الى 1.10م.

الأمر الذي لفت انتباهنا هي ظاهرة الميل الى الداخل،والتي تبدا من الأسفل نحو الأعلى، فنجد في أحد الابراج وهو برج الأنابود هذه التقنية، و قد يعود السبب في ذلك ربما إلى شدة انخفاض مستوى التلة عند هذا البرج.

– دراسة العناصر المعمارية الدفاعية:

تشمل هذه الدراسة العناصر المعمارية الدفاعية و العناصر المعمارية التي تتواجد بمعالمنا المدروسة، فالأولى و المتمثلة في العناصر الدفاعية،عبارة عن فتحات ضرورية تميز عمائرها عن باقي الأبنية الاخرى و قد استغلت عموما في الدفاع و الحماية من العدو وهي عديدة، لكن ما يهمنا الموجودة بمعالمنا و المتمثلة في المزاغل و السقاطات و كذا الشرافات و لنا حديث عن ذلك لاحقا،أما الثانية فتتمثل في عناصر معمارية مهمة وأساسية في العمارة عموما و العمارةالعسكرية خصوصا و تتمثل في عناصر الدعم، عناصر التهوية..

[1]- باسيليو بانون ماندونادو، عمارة المدن و الحصون،ج2.....ص،473.

1- العناصر المعمارية الدفاعية:

تًنجز العناصر الدفاعية انشائيا و معماريا في شكل أو علي هيئة فتحات متعددة الأشكال كما أسلفنا سابقا، وللفتحة جمع فتحات أهمية كبرى في التأثير على خواص التشكيل البصري للواجهات، و قد اختلف التعبير عنها باختلاف نوعية المباني دينية كانت أم مدنية او عسكرية، ولما كانت عمائرنا تنتمي إلى نمط العمارة العسكرية، فان عمائرنا النموذجية تعطي الفتحات احساسا دفاعيا.[1]

من خلال زياراتنا الميدانية لاحضنا تنوع عنصر الفتحات في نماذجنا المدروسة، ما بين فتحات استغلت للرمي و القذف و أخرى كبيرة نسبيا، بالإضافة الى فتحات صغيرة للتهوية و الانارة ، تواجدت بنسبة قليلة وجدناها بجدران الغرف الداخلية و الخارجية في الطابقين الاول و الثاني.

من المعروف أنً ظاهرة تعدًد الفتحات وتنوًعها، كانت منتشرة بكثرة في العمائر الإسلامية عموما و عمائر الجزائر في العهد العثماني بالأخص العسكرية منها خصوصا، وهذا التعدًد و التنوًع في الفتحات راجع لوظائفها المتعددة، ومن الفتحات التي خصت بها العمارة الدفاعية في الجزائر خلال الفترة العثمانية هي فتحات الرمي، هذه الأخيرة جعلتها تتميًز عن باقي العمائر، و قد جاء هذا التمايز بسبب الاختلاف في الاسلحة الدفاعية و الهجومية، نذكر نوعين وهي فتحات البنادق أو المقذوفات[2]،وقد اصطلح تسميتها في كل المراجع والمصادر بالمزاغل، ضيقة و طولية تواجدت بكثرة في جدران المعالم المدروسة الخارجية، من غرف الطوابق الأولى والثانية و حتى الاولى، بالإضافة الى السور، و قد استغلت للرمي

[1]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع السابق،ص،119.

[2]- علي خلاصي، القلاع و الحصون في الجزائر.....ص،254.

و القذف، بالإضافة إلى فتحات المدافع او المدفعيات حيث تختلف اشكالها بسبب الاختلاف في الاسلحة الدفاعية و الهجومية[1]،و لكن من الفتحات التي لمحناها في معالمنا المدروسة ثلاث انواع فقط، والتي تعد من اهم العناصر المعمارية الدفاعية التي كان لها دور فعال في المراقبة و الحماية، و هي **المزاغل** و **الشرافات و كذا السقاطات** الوحيدة الباقية في نماذجنا المدروسة التي عثرنا عليها.**(اللوحتين(23)،(43))**

– السقاطات:

يعتبر عنصر السقاطة من العناصر الدفاعية الاساسية في العمارة الحربية، و قد كان يستفاد منها في رمي المقذوفات بأنواعها على المهاجمين، أو ممن يعمد منهم الى نقب الجدران[2]. و لقد اشار فريد الشافعي* الى انتشار هذا النوع من العناصر في العمائر الاسلامية العسكرية بكثرة،.[3]

و المعروف ان بناء السقاطة** من العناصر المعمارية الدفاعية يعود الى العصر المبكر، وهذا دليل قاطع على انه ليس من ابتكار الفنان المسلم، بل أصوله الأولى تعود الى ما قبل الاسلام، ويعتبره كريزويل عنصرا عربيا من صنع العرب لانتشار هذا النوع في أقدم العمائر القديمة بشمال بلاد النهرين و في سوريا، و

---

[1]- علي خلاصي، المرجع نفسه.

[2]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع السابق، ص،93.

* يذكر الشافعي في كتابه - العمارة الاسلامية في مصر - وجود فرق بين السقاطات التي تنشا على ابواب الحصون و القلاع للدفاع عنها، و بين التي تنشا في اماكن ليس فيها ابواب تدافع عنها، فيكون غرض الاولى دفاعيا، اما الثانية فتستخدم مراحيض للمبنى فيكون غرضها انشائي

[3]- فريد الشافعي، العمارة الاسلامية في مصر الاسلامية،مج1،- عصر الولاة..... ص،ص،195-416.

** للاطلاع أكثر عن السقاطات أنظر الفصل الرابع من الأطروحة.

أنه لم يكن يعرف في أوروبا حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي[1]، وهذا يناقض راي بريجز الذي يعتبره عنصر اقتبسه العرب من العمارة المسيحية.[2]

انطلاقا من هذا يمكن تحديد وضائف هذا النوع من العناصر الدفاعية؛ للدفاع و الحماية، فأما الدفاع من خلال وجودها على المداخل يتم إسقاط المواد الحارقة و الزيوت على كل من يحاول اجتياز المدخل (مدخل القلعة اوالحصن) من الأعداء عن طريق الفتحات الأفقية الموجودة في بنائها.

بالنسبة لنماذجنا النموذجية، فان عنصر السقاطات هذا، قد لامحناه في نموذج واحد فقط وهو برج القليعة ميَّزه عن باقي التحصينات الدفاعية التي قمنا بدراستها، ومن خلال طريقة بنائها ومكانها العالي، فانه من المحتمل الشديد ان تكون قد أدت وضيفة دفاعية خاصة، وقد وجد جنبا إلى جنب مع فتحة المزاغل في الطابق الأعلى.**(اللوحة(43))**

- المزاغل:

تعد المزاغل أحد العناصر المعمارية الدفاعية، التي اتسمت بها العمارة الاسلامية عن باقي العمائر السابقة لها[3]،وانتشر استخدامها على نطاق واسع على واجهات المباني العسكرية.

يعود تاريخ استخدام المزاغل الى العهد القديم، والملاحظ أنَّ فكرة انشاء المزاغل الساسانية تأثرت بها كلا العمارتين الرومانية و البيزنطية انتقلت اليهما، لتتأثر بها

---

[1]- كيبل ارشيبلد تشارلس كرزيزويل، الأثار الإسلامية الأولى.....ص،169.

[2]- بريجز مارتن، فن العمارة – تراث الاسلام، ج2،إشراف السر توماس أرنولد، تعريب و تعليق ،جرجيس فتح الله، المطبعة العصرية، الموصل ،1954، ص،ص،500-501

[3]- فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر.....ص،197.

العمارة الاسلامية[1]، وهذا يؤكد على أنً هذا العنصر المعماري الدفاعي لم يكون وليد الفنان المعماري المسلم، وفي هذا السياق يذكر عبد الله عبد السلام صالح الحداد قائلا:" **إنً هذا العنصر المعماري الدفاعي قد استخدم منذ الفترة المبكرة من العصر الاسلامي**"[2]، بل قبل ظهور الاسلام، وأقدم نماذجها قد وجدت في كل من سوريا و العراق وايران[3]، ثم انتقلت إلى العمارة الإسلامية واستخدمت في القصور الاموية في بلاد الشام* ثم ظهرت في بعض المآذن العراقية التي ترجع الى القرن 6هـ/12م مثل مئذنة أبي هريرة و المسجد الجامع، وانتهى من ذلك إلى أنً المزغل أو شق السهام- سماه هو عنصر غربي إسلامي مبكر مبتكر توارى فترة من الزمن لما عاد الى الظهور بعد اربعة قرون من الزمان تقريبا، وبذلك يمكن القول أنً المزاغل** كانت قد عملت في العمارة الاسلامية أصلا، لتمكن حراس الأبنية العسكرية من الدفاع عنها.

استخدمت المزاغل في عمارة الحصون و القلاع والأسوار، حيث تميزت بالضيق من الأمام و بالاتساع من الخلف(الداخل)،لتعطي للمدافعين حرية حركة الدفاع

---

[1]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص،278.

[2]- عبد الله عبد السلام صالح الحداد ،الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها.....ص،357. أنظر ايضا ، القلاع و الحصون، ص،114. انظر ايضا فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر.....ص،197.

[3]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص،278.

* من القصور نذكر قصر الحرانة (الوليد بن عبد الملك 86 - 96 هـ/ 706- 714م) في سنة 92هـ/ 711م . بالإضافة الى قصر الحير الغربي 110هـ/ 728م، و قصر الحير الشرقي الكبير و الصغير الذي يعود تاريخ بناؤه الى (110هـ/ 728م) من بناء هشام بن عبد الملك (105- 125هـ/723- 743م)، و كذا في اسوار قصر الاخيضر العباسي 161هـ/777م- 778م. انظر كل من القلاع و الحصون،ص،114 و محمد الجهيني، اطلالة على العمارة الحربية في شرق العالم الاسلامي عبر العصور.....ص،35. للاطلاع انظر كل من فريد الشافعي، العمارة العربية ..... ص، 197. و عبد الله عبد السلام صالح الحداد ،الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها.....ص،357.عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص،278.

** استعملت مزاغل اخرى وهي حجرية اقدم نماذجها حسب كريزويل تعود الى سنة 492 ق.م في برج سوري قديم عثر على التاريخ المشار اليه منقوشا على العتب الذي يعلو مدخله ، و قد استخدمت في غرب العالم الاسلامي في الطوابق العلوية بأبراج سور مدينة سوسة 254هـ/829م، كما تواجدت هذه النوعية من المزاغل أيضا في اسوار القاهرة الفاطمية سنة 480 هـ- 485هـ / 1087- 1092 م. و احتفظت حاليا العمارة الدفاعية الاسلامية في شبه جزيرة قطر بالمزاغل الحجرية المستطيلة بالقلاع الباقية في شبه جزيرة قطر نذكر قلعة اركيات (1214هـ/1799م)، قلعة الثغب(1231هـ/1815م). انظر كل من عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص،278. و عبد الله عبد السلام صالح الحداد ،الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها.....ص،357.

دون أن تعطي الفرصة للمهاجمين يصوبوا أسلحتهم الى المدافعين من خلفها[1]، ومن أمثلتها نذكر المزاغل التي وُجدت أسوار مدينة القاهرة و بواباتها مثل باب النصر و بوابتي الفتوح و الزويلة[2]، كما استعملت أيضا في قلاع الشام و في أسوار مدينة القدس حيث نجدها في ابراج قلعة دمشق، و في قلعة حصن الأكراد، وكذلك ظهرت المزاغل في قلاع العصر المملوكي، كما في قلعة قايتباى بالإسكندرية.[3]

بالنسبة لنماذجنا المدروسة، فان هذا النوع من العناصر المعمارية قد استخدمت كعناصر دفاعية، جاءت كتجويف متعددة الاشكال تتراوح ما بين المستطيلة كما هو الحال بالنسبة لمزاغل البرج الانابود **(اللوحة(33))** وبرج القليعة **(اللوحة (50))** و كذا سور مليانة**(اللوحة(23))**، بالإضافة إلى المربعة كما هو الحال بالنسبة لمزاغل اسوار مليانة **(اللوحة(23))**،والملاحظ أنً كل هذه المزاغل جاءت ضيقة من الخارج وواسعة من الداخل، لتسهيل عملية التصويب و المراقبة اذ تعطي حرية أكبر للمدافع اكبر، ولم يكن ذلك محض الصدفة أو العفوية، بل هو شيء مدروس ركز عليه البنًاء الجزائري، بحيث تؤدي هذه الفتحات دورا وظيفيا، فطريقة الضيق و الاتساع هذه ماهي إلا أسلوب معماري دفاعي، اهتدى اليه الفنان المعماري عموما و العثماني خصوصا ليوفًر للمدافع مجالا اكبر لتحريك سلاحه، ويكشف له في الوقت نفسه مساحة اكبر،فجاءت موجًهة و مائلة نحو الاسفل، لتهدد كل من يحاول الاقتراب إلى المكان أو اقتحامه، دون ان يراه

[1]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص ،278.

[2]- محمد الجهيني، إطلالة على العمارة الحربية.....ص،35. للاطلاع أنظر أحمد فكري، المرجع السابق، ص،ص،21-28.

[3]- محمد الجهيني، اطلالة على العمارة الحربية.....ص،35-36.

العدو، فجاءت هذه الفتحات موزّعة على واجهات الأبراج الأربع، وكذا على طول جدران الأسوار و قد بُنيت جميعها بمادة الآجر.

نشير إلى أنّ البعض من هذه الفتحات تُوّجت من الداخل بعقود موتورة، و هذا ما رأيناه بمزاغل برج الانابود**(اللوحة(33)**،وبأعتاب حجرية مستقيمة الشكل من كتلة واحدة و هذا صدفناه في كل مزاغل برج القليعة وسور مليانة.**(اللوحة(23)، (اللوحة(50)**،و تتدرج الفتحة الى الخارج بشكل حتى تظهر من الخارج على هيئة شق طولي.والجدير بالذكر أنّ هذا النوع من فتحات تتيح للمدافعين توجيه بنادقهم الى خارج البرج بكل سهولة وهم متخفين خلف الجدار الساتر.

من خلال دراستنا الميدانية و التحليلية وأثناء تفحصنا للمباني، وجدنا أنّ عدد المزاغل في برج القليعة يتعدى الخمسة مزغل، أما في برج الانابود فيبلغ حوالي 20مزغل أو أكثر،أما في برج المصلى فعددها يصل الى ستة مزاغل،و بالنسبة لسور مليانة فلم نتمكن من عد الكل، بل اقتصرنا على بعض الواجهات المتبقية و الظاهرة التي يمكن ملاحظتها و عدّها.

2- العناصر المعمارية :

تشمل العناصر المعمارية كل من عناصر الدعم، فتحات التهوية التي وجدت بنماذجنا و من هذه العناصر نذكر

أ- عناصر الدعم:

شكلت وسائل الدعم الجانب الاهم في عملية إنشائية، فالبرغم من كونها مركز ارتكاز ثقل البناء الذي يعلوها ليكوّن نقاط القوة أو الضعف في كل انشاء

معماري فقد وظفه المهندس المعماري كجزء اساسي في الجوانب الإنشائية و الجمالية على حد السواء. و لم يقتصر استخدام هذه الوسائل حسب خلاصي على المنشآت العسكرية المعدة للسكن أو الملحقات ذات الخدمات المشتركة و مقرات الإدارات العمومية، بل تعداها الى الاستحكامات مثل القلاع و الحصون و البروج.[1]

تتمثل وسائل الدعم في الاعمدة و الدعامات، التيجان و العقود، و من عناصر الدعم التي وجدت بالمباني المدروسة عنصر **العقود** فقط ، حيث احتوت نماذجنا المدروسة على البعض منها، واستخدام هذه الانواع من العقود الذي تعتبر عناصر انشائية و جمالية ،لدليل على اهتمام الفنان المسلم في تلك الفترة بالنواحي الجمالية وذلك ربما لقطع الملل و خشونة المبنى الحربي سواء من الخارج او من الداخل و من العقود التي وجدت بالمعالم نذكر:

- **العقد الموتور:**

يعود جذور استخدامه الى فترة ما قبل الاسلام ، فقد توج باب اورفا بقلعة ديار بكر (549م)، واستخدم بكثرة في مصر في العمائر الفاطمية و الأيوبية و المملوكية، واستخدم ايضا في الحجاز كما يظهر في قلعة أجياد.[2]

يتوج هذا النوع من العقود فتحات و مزاغل برج الانابود **(اللوحة(65))**، بالإضافة إلى نوافذ برج القليعة **(اللوحة(66))**

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،253.

[2]- هشام محمد علي حسن عجيمي، المرجع السابق،ص،118.

- عقد النصف الدائري :

هو العقد الذي كان يرسم قوسه على هيئة نصف دائرة بغير تدبيب في قمته أو تطويل في أرجله أو أطرافه، و قد عرفته العمائر السابقة على الإسلام[1]. و حسب عقاب فليس هناك اتفاق بين الدارسين عن أول من استعمله في العلم، ولا عن بداية ظهوره، إلا أنَّ استعماله استمر لفترات طويلة سواء في التاريخ الاسلامي[2]. وقد استخدم في العمائر الرومانية و البيزنطية بشكل ملحوظ من دون زيادة او نقصان لم يتجاوزوها و لم يشرعوها.[3]

لقد استخدم هذا النوع من العقود في العمارة الأرمينية،لا سيما في أبنية الحصون، وزاد استعمالا عند الاغريق و الرومان، لينتقل إلى العمارة الاسلامية خاصة منذ القرنين1-2هـ/7-8م،ثم لينتشر في العمارة العربية الاسلامية في جميع العصور و الأقطار، كما عرف توسّعا في جميع الطرز المعمارية في العالم القديم و الوسيط و الحديث و في الشرق و الغرب[4]، و ليس من السهل على حد قول فريد الشافعي الوصول إلى مبتكره.[5]

عن أقدم مثل للعقد النصف الدائري في أقدم أثر عربي قائم، فيوجد في قبة الصخرة ثم تتابع استخدامه بغير انقطاع بعد ذلك، و إن قل بعد ذلك بسبب ازدياد الإقبال على أنواع أخرى من العقود انتشرت في العمارة الاسلامية في الشرق و الغرب، خاصة في الشام و المغرب و الاندلس، وأقدم مثال لهذا العنصر في

---

[1]- محمد رزق عاصم، المرجع السابق، 195.

[2]- عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة،الجزائر،2000، ص، 176.

[3]- عقاب محمد الطيب، المرجع نفسه، ص، 176.

[4]- محمد رزق عاصم، المرجع السابق، 195.

[5]- فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر.....ص،202.

العمارة العربية الاسلامية وُجد؛ في قبة الصخرة(72هـ/691م)، وكذا قصر الحير الشرقي 110هـ/728م، وفي قصر الأخيضر ببادية العراق الذي بناه عيسى بن موسى العباسي سنة 161هـ/777م،وفي الجوسق الخاقاني في سامراء في عهد المعتصم (221هـ835م،)[1].إلا أنً رشيد بورويبة يرى أنً هذا النوع من العقود ظهر لأول مرة في الجامع الاموي بدمشق، وذلك لاعتباره أنً عقود قبة الصخرة طفيفة الانكسار.[2]

أما استخدامه في العمائر الحربية، فيلاحظ استخدامه في تتويج الفتحات العليا من بوابة الفتوح (488-485هـ)في سور القاهرة الفاطمي، كما يتوج بعض الفتحات العليا من واجهة قلعة حلب (605هـ).[3]

بالنسبة لهذا النوع من العقود، فجاء يعلو مداخل وفتحات برج المصلى.(**اللوحات(55)،(58)،(65)).**

ب- الفتحات:

تعد من العناصر الانشائية الضرورية في المباني عموما ، لأهميتها الوظيفية كالتي تساعد على مرور التيار الهوائي داخل المبنى، بالإضافة إلى أنها تسمح بدخول الضوء[4]، وهي فراغات تُخصَص في الجدران لاستقبال النوافذ و الأبواب عادة، وتترك حرة،كما يمكن ان تتواجد في السقوف للتهوية[5]. وقد شاع استخدامها

---

[1]- محمد رزق عاصم، المرجع السابق،ص،195.

[2]- Rachid Bourouiba, Apport de l'Algérie a l'Architecture Religieuse Arabo- Islamique, S.N.E.D, et O.P.U.A, Alger, 1986, p,126

[3]- احمد فايز الحمصي، روائع من العمارة الاسلامية في سوريا، المحقق: د محمد محمد الخطيب، منشورات وزارة الاوقاف – سوريا ،1982،ص، 138.

[4]- يحي وزيري، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية، مكتبة مدبولي،ج3، القاهرة، 1999، ص،65.

[5]- قبابلة مبارك، تطور مواد و أساليب البناء في العمارة الصحراوية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستير في علم الاثار- تخصص اثار صحراوية، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة ، 2009-2010، ص،122.

في بلدان العالم الاسلامي*غربه و شرقه،في منشآتهم المعمارية سواء على واجهاتهم الخارجية او الداخلية،و الجدير بالملاحظة ان مباني الفترة العثمانية تكاد لا تستغني من هذا العنصر المعماري، و بالأخص العمائر الدفاعية باعتبار ان هذا الاخير موضوع البحث، سواء كانت نوافذ بحجمها الكبير، المتوسط ، او صغيرة الحجم تشبه الشمسيات كما جاءت في نماذجنا، وكذا الأبواب، لكن بالنسبة لهذا الاخير يكاد ينعدم في معالمنا باستثناء برج القليعة للحالة المزرية التي آلت اليها هذه المباني و قد تطرقنا الى هذا الموضوع في الفصول السابقة.

عن أهمية هذا العنصر المعماري و نقصد النوافذ، يرى يحي ويزي ان هذا الاخير من العناصر المعمارية التي لا يمكن الاستغناء عنها باعتبارها مصدر للتهوية و الاضاءة[1]، و الملاحظ ان مصطلح لفظ النافذة* في المصطلح الاثري المعماري للدلالة على الطاقة التي تخترق الحائط من جانب الى اخر بغرض التهوية و الانارة أيا ما كان شكلها**، و قد عرفت العمارة الاسلامية أنواعا مختلفة من النوافذ ، كان منها المستطيل و المربع و الدائري، و هذا الاختلاف من حيث الأشكال و الأحجام حسب طبيعة و نوع المبنى.[2]***

* من المعروف أنَّ النوافذ قد بدأت في العمارة الإسلامية في مصر بسيطة متواضعة عملت المطلاَّت منها على صحون الأبنية الداخلية كبيرة وواسعة لتزويد هذه الابنية بالإضاءة و التهوية اللازمة لها، بينما عملت المظلات منها على الشوارع و الطرقات ضيقة عالية حتى لا تكون سببا في جرح حرمة من بالداخل . محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص، 214.

[1]- يحي وزيري، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية، مكتبة مدبولي،ج3، القاهرة، 1999، ص،65.

* من المعروف ان النوافذ قد بدأت في العمارة الاسلامية في مصر بسيطة متواضعة عملت المطلاَّت منها على صحون الابنية الداخلية كبيرة وواسعة لتزويد هذه الابنية بالإضاءة و التهوية اللازمة لها، بينما عملت المظلات منها على الشوارع و الطرقات ضيقة عالية حتى لا تكون سببا في جرح حرمة من بالداخل . محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص، 214.

** يشير محمد رزق عاصم إلى أنَّ النوافذ كانت تخضع لعدة اعتبارات فيروى – فيما سبقت الاشارة اليه في الدور و المنازل ان – **خارجة بن حذافة كان قد ابتنى غرفة في الفسطاط.....فأرسل عمرو بن العاص بذلك الى الخليفة عمر ابن الخطاب فامر بقوله:" أدخل هذه الغرفة خارجة و انصب فيها سريرا (اي مقعدا) و أقم عليه رجلا متوسط الطول ، فان أطل من هذه الكوى(النوافذ) فاهدمها"**، ففعل ذلك عمرو بن العاص وجدها غير مجروحة من الطريق او جارحة له فأقرها، فسن بذلك المسلمون اول الشروط الشرعية و الاجتماعية الواجبة في فتح النوافذ. محمد رزق عاصم، المرجع نفسه، ص، 314.

[2]- محمد رزق عاصم، نفسه، ص، ص، 314-315. أنظر أيضا عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص، 429.

بالنسبة لنماذجنا ؛ فلقد شغلت النوافذ واجهات كل الابراج المدروسة بطوابقها، عددها 12 نافذة موزعة على واجهات برج القليعة الاربعة بمعدل فتحتين في كل واجهة أي نافذة كبيرة و صغيرة الحجم بالواجهة الواحدة، فجاءت مستطيلة الشكل ستة منها كبيرة الحجم،وستة اخرى متوسطة الحجم،**(اللوحات(37)،(38)، (42))**،نافذتين مستطيلتي الشكل على جدران برج المصلى بمعدل نافذة واحدة تعلو مدخلي البرج **(اللوحات(57)،(58)،(65)،(66)،(38)،(30)،(31))** و أربعة عشر فتحة على جدران برج الانابود، بمعدل اربع فتحات في كل واجهة من واجهات المعلم، صغيرة الحجم مستطيلة الشكل تبعد عن بعضها البعض بمسافات متساوية،جاءت متماثلة و موزعة بانتظام و بطريقة سيميترية على جميع واجهات المبنى **(اللوحات(27)،(28)،(29)،(30)،(31))**، تتسع من الداخل، و تضيق كلما اتجهت نحو الخارج ، مع ميل الى الاعلى في الطابق الاول او المستوى الثاني للبرج*.وظاهرة الانكسار من داخل الفتحة التي تميزت بها هذه الفتحات، قد يعود ذلك لضرورة أمنية، وذلك لقربها من الأرض، حيث تحجب على الذي بالخارج رؤية ما بداخل الطابق، إضافة إلى منع دخول الطلقات النارية، وذلك بجعلها تصطدم بالانكسار الموجود في الفتحة. ويمكن ان يتصل تصميمها بهذا الشكل بوظيفة الطابق في حفظ الذخيرة والبارود وذلك تجنبا لتعرضها المباشر لأشعة الشمس.**(اللوحتين(33)،(66))**

*** لقد كان للإسلام و للظروف المناخية الدور الكبير في توجيه و تحديد اشكال و اماكن النوافذ، فالإسلام كان حريصا على أن تحفظ كرامة و حرمة البيت، و لم يسمح للفضوليين الاطلاع عليه بسهولة، حيث فتحت الجدران حتى لا يبلغها الرائي، لعلوها و في نفس الوقت تؤدي الوظيفة المنوطة من إنارة و ترطيب الجو الداخلي للمبنى.

* تطرقنا الى هذا النوع من الفتحات (المزاغل) في عنصر المزاغل لذلك لم نذكر المزاغل بأسوار ملیانة.

3-وسائل التغطية :

تتنوع وسائل التغطية في نماذجنا المدروسة بين التسقيف القبوي- **les planchers à voûtains** و التسقيف المائل – الجمالوني- ، فالتسقيف القبوي*؛ استعمل في تغطية طوابق برج القليعة (الاول و الثاني) و هي في حالة سيئة، أما الحوامل الحديدية فقد تعرضت للتآكل **(اللوحة (44))**، وجدناه ايضا يغطي طوابق برج الأنابود (الأول و الثاني) و هي ايضا في حالة مزرية، أما الحوامل الحديدية فقد تعرضت للتآكل للظروف الطبيعية خاصة الأمطار و الثلوج.**(اللوحة(34))**

نشير إلى أنً طريقة بناء هذا النوع من السقوف تعود إلى فترة الاحتلال الفرنسي، لذلك قد تكون سقوف مبانينا قد تعرضت الى التغييرات،مما يجعلنا نجهل التسقيف الأصلي.

أما التسقيف الثاني وهو المائل؛ استغل في تغطية برج المصلى، ويستخدم فيه القرميد كمادة للتغطية الخارجية، نصف دائري أحمر اللون متداخل و متماسك مع بعضه البعض، في جهتين متساويتين*، ليمنع تسرب ماء المطر الى داخل المبنى، وقد وضع القرميد على هيكل خشبي سميك و قوي،وقد لمحنا هذا الهيكل داخل برج المصلى، وحسب مكتب الدراسات فان هذا النوع من التسقيف حديث يدخل في اطار تهيئة و ترميم برج المصلى سنة 2005م.

* التسقيف القبوي **les planchers à voûtains** هو تسقيف قائم على عوارض حديدة حاملة لأقبية نصف برميلية ، و هذه الأخيرة تبنى بالآجر المشوي و المملوء و تثبت داخل الجدران .

* تتميز طريقة التسقيف بالقرميد بشكلين؛ إما الانحدار الى جهة واحدة، أو جهتين متساويتين مختلفتين في الاتجاه تلتقيان في نهايتهما العلوية على مسنم او هرمي. محفوظ بوطبة، دراسة اثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الآثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2007-2008،ص،100

من خلال بعض الصور الفتوغرافية التي التقطها اعضاء المكتب، فان نوع التسقيف المستخدم قبل عملية الترميم ، كان من الاجر مثبت بعوارض حديدية من نوع –**IPN**-يعود الى فترة الاحتلال الفرنسي،وبالتالي نجهل سقف هذا البرج خلال الفترة العثمانية.**(اللوحتين(59)،(63))**

ثانيا: مواد و تقنيات البناء:

تهتم هذه الدراسة بمعرفة مواد البناء المستخدمة ،تقنيات البناء و كذا الادوات المستعملة في تشييد البنايات او المنشآت البنائية ، و هذا المستوى المعرفي في هذا المجال يفيدنا في كشف و معرفة فن البناء للمدينة.[1]

أخذت العمارة الإسلامية في استخدام الرصيد الحضاري للبلاد، التي فتحها المسلمون حتى بدأت مفاهيمها تتبلور و تنضج و تتكامل شخصيتها ، ويتفق هذا المفهوم مع الناحية الانشائية من حيث الاستفادة بطرق و أساليب الإنشاء و مواد البناء المستخدمة و تجارب الامم السابقة، ولكنهم طوروا هذه العناصر بحيث تذاكرت ذكراها عنها في العمارة الاسلامية.[2]

تعددت التعاريف والمفاهيم حول مصطلح البناء و الانشاء، والتشييد، فالإنشاء هو الوجود المادي للمبنى، ولا يتحقق إلا به و هو الذي يستوفي شروط المتانة و الثبات "**Durabilité** "،أحد الشروط الأساسية الواجب توافرها في المنشأ. وحسب المهندس المعماري حازم محمد نور عفيفي، فان مفهوم الناحية الانشائية تنقسم

[1]- خالد محمد مصطفى عزب، " تخطيط و عمارة المدن الاسلامية"، من كتاب الامة ، ط1، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، مركز البحوث و الدراسات، السنة السابعة عشرة، العدد 58،الدوحة، قطر، ربيع الاول 1418هـ - 1997، ص، ص،112- 113

[2]- انظر حازم محمد نور عفيفي، الانشاء و التعبير المعماري في العمارة الاسلامية،- دراسة تحليلية لنماذج في العصر العثماني بمصر- رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجيستير في العمارة، قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، القاهرة، جمهورية مصر العربية ،اكتوبر ، 1990، ص ،56.

الى شقين فالأول؛ **تماسك انشائي:** وهوعبارة عن عمليات حسابية و هيكل انشائي سليم يتواجد كحقيقة تعتمد عليه سلامة المنشأ. أما بالنسبة للقسم الثاني؛ **حيوية إنشائية:** تتواجد كمظهر و أساسها البهجة الناتجة عن تأثير الشكل الانشائي*[1].و من معاني الإنشاء معرفة المعماري خواص كل مادة من مواد البناء و صفاتها المختلفة و طريقة تشكيلها كذلك معرفة طرق الانشاء و التنفيذ. فالإنشاء أساس البساطة، لان البساطة مسالة تنظيم و ترابط و نظام تكويني ووحدته، فيكون الانشاء هو النظام التأسيسي او التكويني.و ينقسم الانشاء الى مواد البناء و طرق الانشاء.[2]

و التشييد المراد به تطويل البناء و ارتفاعه و رفعه فوق الحاجة، قال أبو عبيدة: يقال" اشدتُ البناء فهو مشاد او شيدته فهو مشيد اذا رفعته و أطلعته.[3]

إنَّ البناء لغة؛ هو وضع الشيء على شيء على صفة يُراد بها الثبات كبناء الحائط، ومنه سُمي كل مرتفع ثابت بناء، ويطلق على الشيء المبني، و كذلك على عملية البناء أو الإنشاء، بحيث يمثل البناء الجانب المادي في العمارة التي ينقل الفكر المعماري الى حالة التحقيق، ويتكون البناء من مواد بناء وطريقة انشاء ، حيث يكونان معا وحدة واحدة.[4]

*الأشكال تنبع أصلا حسب حازم محمد نور عفيفي من الانشاء، إلا أنها تفرض تأثيرها الجمالي على إحساساتنا. أنظر حازم محمد نور عفيفي، المرجع نفسه، ص ،48.

[1]- حازم محمد نور عفيفي، المرجع نفسه، ص، 50.

[2]- حازم محمد نور عفيفي، نفسه،ص،40.

[3]- خالد عزب، فقه العمران.....ص،170.

[4]- قبابلة مبارك، المرجع السابق، ص، 14.

أما المواد فهي جمع مفردة مادة، وهي كل جسم ذي امتداد ووزن، و يشغل حيزا من الفراغ ، و يُقال مادة الشيء أي اصوله و عناصره التي منها لتكوّن[1]، و مادة البناء هي أي مادة كانت سائلا أم صلبا طبيعيا أم اصطناعية[2]، تدخل في تكوين البناء و إنشاء العمائر، بحيث تعتبر وحدة من وحدات الإنشاء البنائي وتستخدم وحداتها في صناعة مختلف المنتجات المعمارية مثل أبنية المساكن و البيوت و دور العبادة وقنوات المياه و الجسور والطرق و تتنوع هذه المواد بتنوع البيئة الطبيعية و المناطق التي يستخرج منها كالمرتفعات الجبلية و الأراضي الطينية و الأراضي الرملية أو الصحاري. وتفطن الإنسان عبر العصور لغنى الوسط الطبيعي بالمواد الطبيعية مما جعله يعمل من أجل وضعها تحت تصرّف مخيلته و إبداعه و تعرف تدريجيا إلى أنواعها و مميزاتها و الخصائص التي تخضع لها فأكتسب بذلك الحرفة و الخبرة للقيام بتحويلها وتصنيفها و من ثم استغلال هذه المواد في صناعة ما يحتاجه من أدوات منزلية و أسلحة وبناء البيوت.[3]

لذلك فان مواد البناء تشمل كل ما استخدمه الانسان في اقامة المباني المتنوعة، و تشمل مواد طبيعية كالحجر والتراب و الخشب و مواد محولة أو صناعية كالإسمنت و الزجاج[4]، فتتباين في استعمالها حسب درجة توفرها،و سهولة تحضيرها و الحاجة اليها دون غيره، و يتحكم في تنوعها أربعة عوامل رئيسية هي :" **أن تكون متينة بحيث تتحمل، دون أن تتحطم أو أن تتلوى كل ما يتعرض له البناء من ثقل و ضغط، إلا تحول صلابتها دون إمكانية تكييفها بالشكل المطلوب و بثمن**

---

[1]- قبابلة مبارك، المرجع نفسه.

[2]- Caratini R ,Techniques de Construction et Métiers , in encyclopédie , Bordas , 23 Volumes ,Paris, Bruxelles Montreal,1975,p,182

[3]- لعزازي عتيق رفيقة، مواد و تقنيات البناء خلال العهد العثماني بالجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الآثار- تخصص اثار عثمانية- معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2009-2010، ص، 14.

[4]- قبابلة مبارك، المرجع السابق، ص، 14.

مقبول و دون عناء كبير ، إلا تتأثر بالعوامل الجوية التي تفكك الكثير من الأجسام المعرضة لها، إلا تكون نادرة الوجود، أو صعبة الاستعمال، و بالتالي كثرة التكلفة"[1].و حسن اختيارها حسب بن نعمان اسماعيل يمثل العامل الأساسي في بقائها أطول مدة زمنية ممكنة، فالكل منها عمر محدد مرتبط اساسا بتأثير الظروف الطبيعية المحيطة بها كالرطوبة و الحرارة و الرياح، كما يمكن إدراج عنصر مهم يساهم بدرجات متفاوتة في تنوعها،هو التقاليد الموروثة في البناء و التأثيرات القادمة مع المستوطنين الجدد او البنائين القادمين من مناطق أخرى.[2]

يُعرِّف ابن خلدون مهنة البناء فيقول أمًا عن البناء فيقول:" هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري و أقدمها ، و هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت و المنازل للكنّ*،و المأوى للأبدان في المدن ،و ذلك ان الانسان لما جُبل عليه من الفكر من عواقب أحواله ، لا بد أن يُفكِّر فيما يدفع عنه الأذى من الحر و البرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف و الحيطان من سائر جهاتها...، و قد يحتاجون الى الانتصاف و يتخذون المعاقل و الحصون لهم، و لمن تحت أيديهم...،ثم يختلف احوال البناء في المدن ،كل مدينة على ما يتعارفون و يصطلحون عليه، و يناسب مزاج أهوائهم و اختلاف أحوالهم في الغنى و الفقر...وقد يُحتاج لهذه الصِّناعة أيضا عند تأسيس الملوك و أهل المدن العظيمة...،ثم هي تتنوع أنواعا كثيرة ؛ فمنها البناء بالحجارة المنجَّدة أو بالآجر يقام بها الجدران ملصقا بعضها إلى بعض بالطين و الكلس الذي يعُقد معها فيلتحم كأنها جسم واحد، ومنها البناء بالتراب...،و يختلف الصنَّاع في جميع ذلك باختلاف الحِذق و البصر ، و يعظُم عمران المدينة و يتسع

[1]- نقاش نيكولا،" آجر" في دائرة المعارف ، قاموس عام لكل فن و مطلب،مج1، بيروت،ص،85.

[2]- اسماعيل بن نعمان، مدينة تنس- دراسة تاريخية و أثرية و عمرانية- 3- 13هـ/ 9- 19 م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، الجزائر،2006- 2015، ص،42.

* في نسخة أخرى : الموضوع و في النسخة الباريسية : للسكن.

فيكثرون .وربما يرجع الحكام الى نظر هؤلاء فيما هم أبصرُ به من احوال البناء. فلهم بهذا كله البصر و الخبرة التي ليست لغيرهم. و هم مع ذلك يختلفون بالجودة و القصور في الأجيال باعتبار الدول و قوتها. فإنما قدرنا أنَّ الصنائع وكمالها إنما هو بكمال الحضارة، وكثرتها بكثرة الطلب...". [1]

أما اسلوب البناء فهو الطريقة أو الكيفية المتبعة، والمتعارف عليها منذ القدم في منطقة معينة، أو عند فئة معينة أو شعب معين، والتي اكتسبت خصائص و مميزات معينة و تتعرض للتحسين و التطور.[2]

نشير إلى أنَّ أساليب البناء بمفهومه العام، يشمل كل ما يتعلق بالبناء بداية من التخطيط و اختيار مواد البناء الى مختلف التقنيات و الكيفيات المتبعة في الانشاء، و تتجلى من خلال خصائص المنجَز و صفاته من خلال كيفيات الانجاز. و مع ذلك حسب قبابلة مبارك فإن استعماله أحيانا يقتصر على ناحية واحدة، من هذه النواحي كاستعماله بمعنى طرق الانشاء العامة أو انواع البناء، أو التقنيات المتبعة في تشييد أنماط العناصر المعمارية كالجدران مثلا.[3]

ذكر ابن خلدون في كتابه المقدمة " **باب صناعة البنَّاء**" عن البنَّاء قائلا:" **قد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياءَ من الهندسة ، مثل تسوية الحيطان بالوزن و إجراء المياه بأخذ الارتفاع ، و أمثال ذلك فيحتاج الى البصر بشيء من مسائله. و كذلك في جر الاثقال بالهندام ، فإن الاجرام العظيمة اذا شيدت الحجارة الكبيرة تَعجِزُ قُدَرُ الفَعَلَةِ عن رفعِها الى مكانها من الحائط ، فيتحيَّل لذلك بمضاعفة قوة الحبل، بإدخاله في المعالق من**

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ط1، طبعة جديدة منقحة و مصححة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان،2006،ص،ص،413-414.

[2]- قبابلة مبارك، المرجع السابق،ص،14.

[3]- قبيلية مبارك، المرجع السابق، ص،17.

أثقاب مقدَّرةٍ على نسب هندسية ، تُصيِّر الثقيل عند معاناة الرَّفْع خفيفا (وتسمى آلة لذلك بالمخال)؛ فيتم المراد من ذلك بغير كلفة . وهذا انما يتمٌ بأصول هندسية معروفة متداولة بين البشر. و بمثلها كان بناء الهياكل الماثلة لهذا العهد، التي يحسب الناس أنها من بناء الجاهلية..."[1].وهذا دليل على مدى إلهام المعماري المسلم بقوانين القوى و العمليات الهندسية والآلات مثل المكحلة و الاوناش، واستخداماتها في المباني. و قد ذكر كل من فيتروفيوس و ارشميدس ألات البناء، ووصف أنواع عديدة من الروافع و الأوناش و الطرق المستخدمة في البناء.[2] **الشكل(09))**

لأهمية هذا المجال منذ القدم،و لدرجة أهميته عند المسلمين، فقد اهتم الفقهاء بهذا المجال من واضعي كتب الحسبة من الفقهاء، وشددوا على أهمية قيام المحتسب بمراعاة جودة مواد البناء و متابعته لصناعتها،وهو أمر يمس جوهر البنيان، ويساعد على مدى ما وصلت اليه الحضارة الإسلامية،من رقي في مجال المتابعة لكل ما يتعلق بشؤون المسلمين. وتعتبر صناعة البناء من فروض الكفاية...متى ما لم يقم بها من يحسنها صارت فرض عين، و لهذا يلزم الأمة توفير من يكفي للقيام بها، و لهذا قال غير واحد من الفقهاء، كأبي حامد الغزالي وأبي فرج ابن الجوزي و غيرهما، أنً هذه الصناعات فرض على الكفاية، فانه لا تتم مصلحة الناس إلا بها. ولعل هذا ما دفع ابن عبدون و غيره من واضعي كتب الحسبة إلى التشديد في شروط مواد البناء، وفي هذا السياق يقول ابن عبدون من خلال خالد محمد مصطفى عزب:" **أما البنيان فهي الأكنان، لمأوى الانفس و المهج و الأبدان، فيجب تحصينها و حفضها، لأنها مواضع حفظ الأموال و المهج...، فمن الواجب أن ينظر – يقصد المحتسب – في كل ما يحتاج إليه من العدد، و من ذلك أن**

[1]- عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون.....ص،414.

[2]- حازم محمد نور عفيفي، المرجع السابق، ص، 55.

ينظر أولا في الحيطان ، و تقريب الخشب الوافر الغليظ القوي للبنية، و هي التي تحمل الأثقال، و تمسك البنيان...يجب ان تكون جهة ألواح البنيان في عرضها شبرين و نصف لا أقل من ظلك، و يحدد ذلك القاضي و المحتسب للصناع و البنائين، و لا يصنع حائط يحمل ثقلا اقل من ذلك...".[1] الشكل(10))

تتعدد مواد البناء و الزخرفة و تتباين في استعمالها، حسب درجة توفرها و سهولة تحضيرها و الحاجة اليها دون غيره،ويتحكم في تنوعها أربعة عوامل رئيسية هي:" **أن تكون متينة بحيث تتحمل، دون ان تتحطم أو ان تتلوى كل ما يتعرض له البناء من ثقل و ضغط، الا تحول صلابتها دون امكانية تكييفها بالشكل المطلوب و بثمن مقبول و دون عناء كبير ، الا تتأثر بالعوامل الجوية التي تفكك الكثير من الاجسام المعرضة لها، الا تكون نادرة الوجود، او صعبة الاستعمال، و بالتالي كثرة التكلفة"**[2]. و حسن اختيارها حسب الدكتور بن نعمان اسماعيل يمثل العامل الأساسي في بقائها أطول مدة زمنية ممكنة، فالكل منها عمر محدد مرتبط اساسا بتأثير الظروف الطبيعية المحيطة بها كالرطوبة و الحرارة و الرياح، كما يمكن أدراج عنصر مهم يساهم بدرجات متفاوتة في تنوعها هو التقاليد الموروثة في البناء و التأثيرات القادمة مع المستوطنين الجدد أو البنائين القادمين من مناطق أخرى.[3]

لقد استطاع الفنان المعماري أن يوظف كل طاقاته من أجل سد العيوب آخذا بعين الاعتبار العوامل المؤثرة في المباني كالزلزال و المناخ و غيرها، وذلك باستخدام عناصر معمارية تتناسب ونوعية المبنى ووظيفته، بالإضافة إلى استعمال مواد محلية مقاومة لمختلف العوامل الطبيعية و بتقنيات متطورة، ولعل بقاء هذه

---

[1]- خالد محمد مصطفى عزب،" تخطيط و عمارة المدن الاسلامية".....ص،ص،112- 113 .

[2]- نقاش نيكولا، المرجع السابق،ص،85.

[3]- اسماعيل بن نعمان، مدينة تنس- دراسة تاريخية .....ص،ص،230-231.

المنشآت الى غاية الفكرة الحالية لخير دليل على مدى تطور الهندسة المعمارية خلال الفترة العثمانية.[1]

أ- مواد البناء:

تنوعت مواد البناء واختلف استعمالاتها في نماذجنا المدروسة من مادة إلى أخرى، و ذلك حسب طبيعتها ووظيفتها ، فمنها المواد الصلبة و المواد المركبة و المواد المعدنية و الخشبية و قد تم تحديدها في مبانينا بالإضافة إلى طرق الانشاء اعتمادا على الأجزاء المكشوفة من الجدران وهي عينات حية، فمن المواد الصلبة نذكر؛الحجارة، الملاط و الطابية، أما من المواد المركبة نذكر الاجر،ومن المواد المعدنية والخشبية الحديد، الخشب. و الملاحظ أنً هذه المواد قد استخدمت حسب خصائصها و تمت الاستفادة منها و توظيفها في البناء وفق ما يتطلّبه الموضع من المبنى، بحيث تتلاءم فيها المادة مع العنصر المعماري،وبالتالي يتم تحقيق الاستفادة منها أطول عمر ممكن للبناء، كما استخدم في بعض المباني بقايا مواد المباني القديمة تعود للفترة العثمانية، وهذا ما لمحناه في اسوار مدينة مليانة .

منه فان استخدام هذه المواد في مبانينا حسب الأهمية بدءا بمادة الحجر بدرجة رئيسية، لتليها مادة الاجر بأنواعها و الطابية و التراب، ثم استعمال الملاط كمادة لاحمة لاصقة تربط بين مداميك البناء. ومن مواد البناء المستعملة في نماذجنا الحجر، الاجر ، القرميد، الملاط و الحديد و يمكن تقسيمها إلى: مواد مواد طبيعية خام و ومواد طبيعة مصنعة

[1]- عبد القادر قرمان، عمارة و عمران مدينة معسكر في العهد العثماني- دراسة اثرية عمرانية عمرانية و عمرامية، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه – علوم - في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2(ابو القاسم سعد الله ، الجزائر،2015، ص،316.

1- **مواد البناء الطبيعية:** هي المواد الطبيعية الخام التي تستخرج من سطح الأرض أو باطنها، بدون أن تجرى عليها تغييرات أو إضافات لغرض البناء و هي:

الحجر:

يعتبر الحجر من المواد الاكثر استعمالا من المواد الاولى و القديمة التي استعملها الانسان في عملية الانشاء لتعدد وظائفها، كما تعد الاولى و القديمة التي استعملها الانسان في عملية البناء منذ القدم، خلال عصور ما قبل التاريخ ، فكانت المادة الأساسية لصنع الأدوات الحجرية و أثناء العصر النيوليتي، استعملت في البناء و عرف استعمال الحجارة منذ هذا الوقت مجالا كبيرا [1]، كما استخدمت بكثرة في عمائر الحضارات القديمة كالحضارة الفرعونية و الرومانية و البيزنطية. و الملاحظ ان هذا النوع من المواد البناء قد عرف عدة اشكال ، و تطور بمرور الزمن و تعاقب الحضارات، فقد اعطيت اهتماما كبيرا من طرف الرومان و في هذه الفترة انتشر استخدام هذا النوع من المواد البنائية،و هذه الفترة القديمة قدمت لنا عددا كبيرا من المعالم الضخمة، مبنية بتقنيات ماهرة و ومواد متنوعة، فاستخراج الحجارة و نحتها برع فيه الرومان[2*] **(الشكلين(10)،(11))** ،ولعل المعالم الأثرية الباقية برهانا على ذلك. ليليهم البيزنطيين الذين قاموا بتجسيمها على عدة أشكال وأنواع، و استعملت في تشكيل عدة عناصر معمارية

---

[1]- Jean- Pierre Adam, La Construction Romaine -matériaux et techniques-, 3ème édit, Grand manuel Piccard France ,1995,p,180.142 انظر ايضا عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص،

[2*] حسب أدم فان استغلال الحجارة كمادة بناء، يبدأ أولا في جمع على سطع الأرض القطع المعدنية المنفصلة عن الكتلة الصخرية و هذا نتيجة لتقلبات الطقس أو النبات أو نتيجة تصدع .Jean- Pierre Adam, La Construction…… p,180

منها العقود و التيجان و الاعمدة التي تفننوا في صناعتها ، كما عبدت بها الطرق و المنشآت العمومية.[1]

يشير جون بيار أدم في كتابه" **La Construction Romaine** "،أن هذه القطع الحجرية لها أبعاد مختلفة، تسمح ببناء أسوار من الحجارة بدون استعمال ملاط أو مادة لاحمة، وغالبا ما تكون مثبتة بكتل صخرية أكثر ضخامة و تسوية، وتُبنى بانتظام وقد تشكل الواجهة التي تمسك بالردم.[2]وعملية استخراج الحجارة ثم نحتها حسب الحاجة تتطابق مع تطلّبات الذوق السائد، و هذا ما أدى إلى اختيار محكم سواء إن كان ميدان الاستخراج محلي أو خارجي.[3*]

يرجع استخدام الحجارة المشذبة الى الساسانيين في بلاد م بين النهرين ، لينتشر استعمالها عند الرومان و البيزنطيين في الشام[4]، و قد سار المسلمون على نهج من سبقوهم في الحضارات القديمة من حيث استعمال هذه المادة الى جانب الحجارة غير المشذبة وذلك في بناء الجدران ، حيث تيسر لهم، و اقاموا به الأسوار والدعائم على اختلاف أنواعها، كما استعمل لتبليط الأرض و رفع العقود و القباب،و مدّ مجاري المياه الداخلية و السواقي، و تعمير قواعد الجدران الترابية و تثبيت اصول الدعائم الخشبية، وقد جعُل دبشا مع الطين في أساسات الأسوار.

---

[1]- عبد القادر قرمان، المنشآت المدنية في مدينة مليانة.....ص،166. انظر ايضا Jean Pierre Adam, la construction Romaine……p,140.

[2]-

[3]- Jean Pierre Adam, Ibid.

* للمزيد اكثر عن هذه المادة في الفترة و مجالات استعمالها و طرق استعمالها انظر كل.Jean pierre Adam, Ibid,p,p,25-65

[4]- عبد القادر دحدوح، عمران قسنطينة.....ص،651.

و لعل أهل الشام كانوا من أبرع وأتقن التعامل مع هذه المادة المعمارية المهمة.[1]** **الشكل(11))**

يرى هنري تيراس أن بلاد المغرب الإسلامي عرف استخدام الحجارة المنحوتة في العمارة العسكرية، في الفترة الأغلبية ،حيث استخدمت في بناء الأسوار و الأبراج و المداخل[2]، إلا أن البناء بهذا النوع من الحجارة و تقطيعه، لم يدم مدة طويلة ، حيث نجد ان الفاطميون و الصنهاجيون قد استخدموا الحجارة المهذبة أو المهذبة برفق في عمائرهم الحربية، كما هو الحال في مدينة المهدية و في أشير و في قلعة بني حماد.[3]

مع ظهور المرابطين برزت مادة بنائية إلى جانب الدبش*، فبُنيت الأسس بالحجر ثم يزاد بناء الأقسام العلوية بالطابية أو الترب المدكوك. وفي نهاية القرن 6هـ/ 12م أصبحت المنشآت الدفاعية تقام كلية بمادة الطابية، و يقتصر في الفتحات و

---

[1]- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق،ص،126. عبد القادر دحدوح، استحكامات الامير عبد القادر العسكرية (1252-1258هـ /1836-1842م)- دراسة تاريخية اثرية تحليلية- الجزائر ،2008، ص ،183.

** و قد شاع استخدامها منذ عصر الامويين (41- 132هـ -/661- 750م) الذين بنوا بها قصورهم في بادية الشام، كما استخدمها العباسيون (132- 656 هـ/750-1258م) في قصر الاخيضر، و استعملها الفاطميون (358-567 هـ/969-1171م) في مصر. على غرار المشرق الاسلامي، اما في بلاد المغرب الاسلامي سادت ثقافة البناء بالحجر الدبش Moellon في بأكمله ما بين القرن الثاني و الخامس الهجري/الثامن و الحادي عشر الميلادي، اذ شاع استخدام هذا النوع من الحجارة في العمائر الدينية و المدنية و كذا العسكرية ، و تشهد عدة اسوار و قلاع ما زالت قائمة لحد الآن كحجر النسر الادريستين او قلعة امركو و قصبة النصراني المرابطتين بالمغرب، بالإضافة الى اسوار عدة مدن بالأندلس كفاسكوس و نبيلة و ميريدة و طليطلة .....الخ. و قد استعملت هذه المادة في بناء جسم الاسوار و في اساساته ، كما استخدم بكثرة في بناء العمائر الدينية و المدنية .و في الاندلس استعملها الامويين في بناء اسس منشاتهم، كما استعملها الموحدون في تزيين الواجهات خاصة في اطر المداخل و الابواب. انظر كل من عبد القادر دحدوح، عمران قسنطينة.....ص،651. محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص، 74. انظر ايضا عبد الرحيم غالب، المرجع السابق،ص،126. منير اقصبي، العمارة العسكرية بفاس .....ص،202.

[2]- Henri Terrasse, « **Hisn**» Encyclopédie de l'Islam , Tom III, p,517.

[3]- George Marcais , l'Architecture Musulmane d'Occident ……..p,219.

* سادت ثقافة البناء بالحجر الدبش Moellon في الغرب الاسلامي بأكمله ما بين القرن الثاني و الخامس الهجري/الثامن و الحادي عشر الميلادي، و تشهد عدة اسوار و قلاع ما زالت قائمة لحد الآن كمدينة البصرة و حجر النسر الادريستين او قلعة امركو و قصبة النصراني المرابطتين بالمغرب، بالإضافة الى اسوار عدة مدن بالأندلس كفاسكوس و نبيلة و ميريدة و طليطلة...الخ. و قد استعملت هذه المادة في بناء جسم الاسوار و في اساساته. انظر منير اقصبي، العمارة العسكرية بفاس .....ص،202.

العناصر المعمارية الصغيرة بمادة الحجر المنحوت، وظلت الطريقة متبعة في عمائر الدول التي اقتسمت حكم الدولة الموحدية.[1]

إنّ وفرة المحاجر بالجزائر أدت الى استعمال الحجارة* بقوة، في مباني الجزائر عموما والمباني العسكرية خصوصا خلال فترة الحكم العثماني،وقد شاع استعمالها بشكل واسع باعتبارها من المواد الاساسية في عملية البناء**، ومن الملاحظ أنّ اسم الحجر المستخدم في البناء، يختلف باختلاف مادته مثل الكلسي البازلتي،اذ ان طريقة قطعه تعطيه مسميات أخرى منها الغشيم وتعني الدبش[2]***.

انتشر استخدام هذا النوع من المواد البنائية بكثرة في نماذجنا المدروسة سواء في الابراج كبرج المصلى، برج الانابود و برج القليعة أو في الأسوار كسور مليانة، و تنوع ما بين بين الحجارة الكبيرة الحجم و المتوسطة و الصغيرة الحجم، واللافت للانتباه أنّ معظم الحجارة**المستعملة هي الحجارة الكلسية أو التوف، لونها يميل إلى الاصفرار أحيانا و إلى الرمادي أحيانا أخرى.

---

[1]- Henri Basset et Henri Terrasse, Sanctuaire et forteresse Almohades ,Collection Hesperis, 1932, p,p, 38- 39.

* الحجارة عبارة عن كتل صخرية نارية ناتجة عن البراكين و رسوبية ناتجة عن ترسبات احجار مواد كالأحجار الكلسية و الرملية، لذلك تنوعت من حجر صلصالي سهل النحت ذو صلابة كبير ة و الحجر الكلسي او التوف ، و كانت تقطع تلك الكتل الى قطع صغيرة مناسبة بمقاسات مختلفة تشذب احيانا بالات خاصة ، و تستعمل احيانا على صورنها الطبيعة و قد تطرا عليها بعض التغيرات الطفيفة حتى تلائم عملية البناء

** كانت تستخرج من المحاجر بصورة مبدئية غير مصقولة و كانت المقالع محلية، و للاستفادة منها و توظيفها تهذب جوانبها لغرض الحصول على الاشكال و الاحجام المطلوبة و تعرف للحجر خصائص منها الصلابة و المقاومة و الوصل الجيد للحرارة و كذا عزل الرطوبة. انظر كل من بن شامة سعاد، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري.....ص،250.

*** كلمة دبش كلمة عامية تعني الحجر الغشيم لم ينهدم ، لم ينحت او يشذب، و كان يستعمل عادة في اسس المباني.، و الدبش عبارة عن حجارة ذات تركيب كلسي بلونين مختلفين، الاصفر و الرمادي، و قد اشتهرت العمارة الرومانية باستعمال الدبش ، وقد اطلق فيتروفيوس على هذين النوعين تسميتين؛(Quadrati Lapides) للحجارة المنتظمة و اسم (Caementa) للدبش . أنظر محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص، 74. أنظر أيضا عبد الرحيم غالب، المرجع السابق،ص،126.

[2]- محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص، 74. أنظر أيضا عبد الرحيم غالب، المرجع السابق،ص،126.

** تعددت انواع الحجارة من حيث المادة، فقد اخذت كذلك طرق قطعها عدة تسميات منها الغشيم و النحيت و المنضد و المقصب و غيرها مما استخدمه المسلمون مصمتا في بناء الجدران و الأسوار و الدعائم.....انظر كل من محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص، 74. و عبد الرحيم غالب، المرجع السابق،ص،126.

نظيف إلى جانب ذلك حجر الدبش بنوعيه الصلب الاكثر حجما، وقد استعمل في الاساسات، أما الاقل حجما- الدبش اللين- في بناء الجدران و الأرضيات خاصة بينما القطع الصغيرة، فقد استعملت لملء الفراغات و الفجوات، كما استخدمت الحجارة المنحوتة أو المصقولة الكبيرة الحجم.

من نماذجنا نذكر؛ **برج الأنابود** حيث نجد ان الفنان المعماري استعمل الحجر الكلسي في بناء البرج عموما ، كما استغل هذه المادة خاصة في بناء الجدران الخارجية و الفاصلة للبرج، و هي مختلفة منها المشطوفة.

تتضح في الطابق الارضي مادة البناء بالدبش، وهو من غير المونة خلاف القسمين العلويين، فالجدار مكسو بطبقة كثيفة نسبيا من المونة كما اعتمد في بناء البرج على مادتين أساسيتين هم الحجارة و الآجر إضافة للملاط، كما أنَّ الجدار الخارجي للبرج من غير المونة فلم نعثر على أي موضع منه بكسوة خارجية.

بالنسبة **لبرج القليعة؛** نلاحظ ان مادة الحجارة هي الأكثر استعمالا في بناء البرج، فاذا اخذنا الحجارة لوجدناها قد اخذت حصة الأسد،اذ استخدمت بكثرة مقارنة بالمواد الاخرى كالنحاس والاجر مثلا،واستخدم الحجر المهذب الصلب و المصقول أي المنحوت بطريقة جيدة في بناء كل جدران المبنى،سواء كانت جدران خارجية أو داخلية و استخدامها واضحا في بناء زوايا البرج الأربعة بطريقة مائلة، و قد قدر ارتفاع الحجر عموما في كل المبنى ما بين 0.20 م و 0.42م ارتفاعا.

حددت مجالات استعمالها أيضا في بناء أُطر جزئية للفتحات، ونخص بالذكر الفتحات الجانبية و الفتحات الواقعة اسفل النوافذ الصغيرة، بالإضافة إلى الإطار

الخارجي لمدخل البرج و كذا حامل الساكف ايضا من الحجارة المنحوتة الذي يبلغ مقاساته إلى 1.30 م طولا X 0.25م عرضا و 0.36 م ارتفاعا .

من جهة اخرى، نشير استخدام الحجارة في بناء الحوامل أو شبه كوابل لشد و توطيد السقاطات، بالإضافة إلى وجود شريط أو طنف، بأعلى واجهات البرج على مستوى الكوابل و نخص بالذكر الواقعة بالأماكن الجانبية(زوايا البرج)، و يرجح أنً وضيفة هذا الطنف هو توطيد و شد السقاطات.

يلي هذه النماذج **برج المصلى**، و فيه استعملت الحجارة بكثرة في بناء هذا المعلم بأنواعها الكبيرة، المتوسطة و كذا الصغيرة الحجم، يميل لونها الى الاصفرار، الاحمرار و كذا الرمادي وهذا ما لمحناه على مستوى واجهات المبنى العلوية و السفلية ، الداخلية و الخارجية.

استعملت القطع الحجرية الكبيرة الصلبة بالأخص حجر الدبش الصلب، في بناء الاساسات، اما المتوسطة الحجم فلقد لمسناها في بناء الجدران، بينما الصغيرة فقد استخدمت في ملء الفراغات و الفجوات،و الملاحظ وجود حجر متوسط الحجم و منحوت استغل في بناء إطاري و عقدي مدخلي البرج.

نضيف الى هذه المجالات؛ القطعة الحجرية التي عثرنا عليها داخل البرج و بالتحديد داخل الحوض المستدير الشكل، يتوسط المبنى و قد اشرنا اليها سابقا صنعت من الحجر و قد تطرقنا الى ذلك في الدراسة الوصفية و الدراسة التخطيطية.

عن **سور مليانة** النموذج الاخير من معالمنا المدروسة، هو الاخر استخدمت في بنائه وعلى نطاق واسع مادة الحجارة، ويعد حجر التوف*أو الحجر الكلسي* كما اصطلح تسميته في بعض المراجع**،المادة الاساسية لبناء هذا النوع من التحصينات الدفاعية لوجوده بكثرة بالمنطقة، والملاحظ حسب ريني ليسبيس **René Lespes** أنً هذا النوع من الصخور ينتشر في العديد من المدن الجزائرية، نذكر على سبيل المثال مدينة الجزائر بالقبة و الأبيار[1]، بالإضافة إلى كل من محاجر زموري بولاية بومرداس شرق الجزائر العاصمة، و في زقالة بمليانة بولاية عين الدفلة و هي محاجر للتوًف الرسوبي.

تذكر صحيفة لومونيتور أنً أسوار مليانة قد شُيِّدت بالحجارة العادية و عدد كبير من القطع الحجرية المنحوتة التي وضعت بدون ترتيب او تمييز، و الجدير بالذكر أنً هذه الحجارة جُلبت من بقايا المدينة الرومانية و السور الروماني في المنطقة في بناء السور العثماني، حسب الشهادات الفرنسية في الزاوية الشمالية الشرقية و في عدد نقاط من محيط الجدار.[2]

لقد استعملت الحجارة الكبيرة الحجم ذات أشكال مختلفة،منها المربعة و المستطيلة الشكل حسب موقع استعماله من السور.

كما تعددت أشكال الحجارة المصقولة المجلوبة من بقايا المدينة الرومانية و السور الروماني في بناء السور العثماني كما ذكرنا سابقا، واستعملت في بناء السور إلى

---

*و التوف حسب أبو غانم عبد الله أحمد من الصخور الشديدة المسامية ذات منشأ مختلف منها ما هو بركاني ، و منها ما هو رسوبي ، كما تختلف هذه الصخور من منطقة إلى أخرى ومن و من انواعها؛ التوف البركاني، أبو غانم عبد الله أحمد ، الجيولوجيا العامة الجزء النظري ، الطبعة الأولى ، دار دجلة المعز للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2007 ، ص، 18.

* سمي بهذه التسمية لكثرة مادة الكلس الملتحم و هو نوع كثيف و صلب في نفس الوقت .

** للمزيد و للاطلاع عن هذا النوع من الصخور انظر أبو غانم عبد الله أحمد ،المرجع نفسه ،ص،ص،18- 115.

[1]- René Lespes, Op,Cit, p,p, 18-55

[2]- بوغفالة ودان، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي.....ص،178.

المربعة و المستطيلة حسب موقع استعماله من السور، وتتراوح مقاساتها تتراوح إلى ما بين 0.90 م و 1.00م طولا x 0.50 و 0.60 سمكا. و الملاحظ حسب المهندس المعماري فروادوفو **Froidevaux Y-M** أنً هذا النوع من الحجارة تتميز بمقاومتها القوية للضغط،اذا كانت القوة الواقعة عليه بطريقة عمودية، فقال في هذا الصدد:" **من مميزات هذه الحجارة؛ صقلها حسب درجة الحاجة اليها وأماكن استعمالها كالزوايا مثلا...**".[1]

تعددت مجالات استخدام الحجارة المصقولة، حيث استغلت في بناء الاساسات و الجدران في الاقسام العلوية للسور و كذا في زواياه، بالإضافة الى بعض العناصر المعمارية الدفاعية كالمزاغل مثلا.

نضيف الى جانب الحجر الكلسي، الحجر الصلب الذي استخدمه الجيش الفرنسي عند اعادة بناء السور، زد على ذلك الحجارة الجيرية الذي استعمل في بناء الجدار السور العثماني، و يظهر ذلك جليا في الجدار الجنوبي الشرقي.

نشير إلى أنً لون الاحجار التي استخدمت في عملية بناء السور، يميل إلى الاصفرار و الاحمرار و كذا الرمادي. و من جهة أخرى نجد اختلاف أشكال الحجارة ما بين المربع، المستطيل و المكعب، أما فيما يخص المقاسات فقد بلغت حوالي 1 م طولا X 0.60 م سمكا. **(اللوحة67))**

1- Froidevaux Yves- Marie, Techniques de L'Architecture Ancienne- Construction et Restauration, Quatrième Edition,MARDAGA,Paris,1986,p,10.

الخشب:

الخشب مادة عضوية ذات اصل نباتي تتكون من خلايا[1]، ويعد من المواد الأولية للبناء الأكثر استخداما وانتشارا في التاريخ البشرية إلى غاية وقتنا الحالي[2]،ومصدره الغابات، والملاحظ ان الاخشاب سهلة العثور عليها،وله ميزات جمعت في كونه مقاوم و صلب وقوي بالنسبة لوزنه و خفيف بالنسبة الى حجمه، إلا أنه من أكثر المواد تأثرا بالرطوبة مما يعرضه للتلف، ينقسم تكوينه الى الأخشاب الصلبة مثل الزان، السرو، القرو، التك، الماهونجي.....، و الاخشاب اللينة مثل الصنوبر،العزيزي الارز*، بالإضافة الى شجر السرو، العرعار، الطقسوس.[3]

يعد من اقدم المواد المستخدمة في صناعة البناء و ذات اهمية كبيرة[4] ، فهي مادة اساسية من حيث انها متعددة الاستعمالات و قد تطور استخدام الخشب في العصور القديمة بصورة كثيفة واسعة، ليستمر استعماله في العالم الاسلامي بمشارقه و مغاربه، و انتشر بعد ذلك بكثرة في العهد العثماني بالأخص في الجزائر، كون هذه المادة البنائية الهامة سهلة الاستعمال والنقل بالإضافة الى ان لديها قابلية كبيرة لتغيير شكلها[5] *، و متوفرة في العديد من المدن الجزائرية ،

---

[1]- حازم محمد نور عفيفي، الانشاء و التعبير المعماري في العمارة الاسلامية.....ص،63.

[2]- إبراهيم عميري، مواد و تقنيات العمارة القديمة، منشورات المديرية العامة للآثار و المتاحف، سوريا، 2010،ص،17.

* للمزيد عن هذا انظر حازم محمد نور عفيفي، المرجع السابق، ص،63.

[3]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،ص،329- 330

[4]- حازم محمد نور عفيفي، المرجع السابق، ص،63.

[5]- إبراهيم عميري، المرجع السابق،ص،17.

* حسب بركات محمد علي من خلال دحدوح عبد القادر ، يتم تحضير الخشب بانتقاء الاشجار ثم قطعها و ازالة الفروع المنبثقة عنها ثم قطعها الى قطع ذات اطوال تتناسب مع الغرض من استخدامها، لتتراوح ما بين 4 الى 12م ، و بعدها تنقل الى ورش النجارة فتزال عنها طبقة القشرة ، ثم تخضع لعملية التجفيف و ذلك بوضعها في مكان ضليل بحيث لا تتعرض للشمس ا و للمطر مباشرة، و يتم رصها بشكل مائل ليسهل خروج الماء منها مع ترك فواصل بينها لتسمح بمرور الهواء ، و تبقى على هذه الحالة لمدة تتراوح ما بين 40 الى 90 يوما. و ينقسم تكوينه الى الاخشاب الصلبة مثل الزان، السرو، القرو، التك، الماهونجي، و من الاخشاب اللينة مثل

إذ تزخر هذه الأخيرة بغابات كثيفة وغنية بالأشجار كأشجار البلوط و العرعار و الصبار و غيره.

يتم الالتجاء إلى الخشب أثناء بناء الأسوار كمادة مساعدة، تصنع من خلالها القوالب الخاصة لتثبيت الطابية،كما يصنع منها ايضا بعض القطع التي توضع في الثقب المفتوحة في الأسوار. وعندما تقف هذه الاخيرة مستوية، وقد أصبحت صلبة وقد اصبحت صلبة وثابتة تنزع منها هذه الألواح و القطع الخشبية، لتستعمل من جديد في بناء اجزاء اخرى.[1]

لقد نجح المعماري والصانع المسلم من استخدام و توظيف هذه الانواع،كلاً حسب طبيعته حتى أصبحت مادة الخشب،من أهم المواد المستخدمة في العمارة الاسلامية[2]، إمًا في الهيكل الإنشائي أو الفتحات او الأبواب كما جاء في نماذجنا، فمن جهة البناء نجدها مادة تستعمل في عدة عناصر في معظم المكونات المعمارية، لاسيما أن أهمية هذه المادة كعنصر من العناصر الإنشائية، تكمن في خاصية تحمل الثقل و الضغط والتمدد و الاهتزازات و بذلك أدرج خلال عملية البناء في مواضع خاصة لتقوية حوائط المباني و تكوين أرضية وحداتها، كأن تكون عنصرا حاملا ، فهي تمثل الهيكل الرئيسي الذي ترتكز عليه التغطية، سواء في حالة وجود القرميد او في حالة بناء سطح فوق المبنى، أو نجدها في صناعة عدة أدوات تستعمل في البناء من جهة أخرى، فبهذه المادة يتم تشكيل القوالب أو الصقالة و غيرها من الأدوات، كأساسات الجدران و مداميكها فمنها كانت دعائم

الصنوبر، العزيزي الأرز. أنظر كل من دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة.....ص،666. و منير اقصبي، العمارة العسكرية بفاس .....ص،206.

[1]- منير أقصبي، المرجع نفسه،ص،206.

[2]- حازم محمد نور عفيفي، المرجع نفسه، ص،63.

و دهاليز المناجم و السدود و آلات المعاصر و معدات الحصار، وأعمدة السقوف و التسقيف،اذ يمثل الهيكل الرئيسي الذي ترتكز عليه التغطية، سواء في حالة وجود القرميد أو في حالة بناء سطح فوق المبنى[1]، فهو عازل جيد للحرارة، ويستعمل احيانا اخرى لتدعيم المبنى، بان تغرس داخل الجدران قطع خشبية لتقويتها، اضافة الى صناعة النوافذ و الأبواب[2]. كما نجدها استخدمت أيضا أثناء بناء الاسوار كمادة مساعدة،تصنع من خلالها القوالب الخاصة لتثبيت الطابية، كما يصنع منها ايضا بعض القطع التي توضع في الثقب المفتوحة في الأسوار. و عندما تقف هذه الاخيرة مستوية و قد اصبحت صلبة و ثابتة، تنزع منها هذه الألواح و القطع الخشبية لتستعمل من جديد في بناء اجزاء اخرى[3].و الملاحظ أنً استخدام العرب للخشب في أجزاء البناء الأساسية،من الطرق*التي ما زالت مستخدمة إلى يومنا هذا عند الأتراك.

نظرا لأهمية هذه المادة في البناء كمادة أولية، و كوسيلة لصناعة العتاد المستعمل في البناء كان بائعو الخشب في العصور الاسلامية، يبيعونه بالقطعة حسب الاحتياج ، أو بالجملة و بالشكل المطلوب فتكون جيدة النحت، و بأطوال مختلفة كما كانت هناك امكانية شراء شجرة كاملة أو أكثر.[4]

لنعود إلى نماذجنا، فما لاحضناه حول مجال استخدام هذه المادة؛ هو انتشار بشكل واسع في عملية البناء و الإنشاء، في التسقيف و التدعيم ، في الأبواب و النوافذ.

---

[1]- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص،120. أنظر ايضا كل من Jean Pierre Adam, La Construction Romaine, p,p,91-93. و الأمين عمر، تقنيات و مواد البناء، دراسة تحليلية و تطبيقية على مدن آشير و بجاية ، رسالة الماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2000-2001، ص،ص،128-133.

[2]- الأمين عمر، المرجع نفسه، ص،133.

[3]- منير اقصبي، العمارة العسكرية بفاس .....ص،206.

* يستخدمون ألواحا كاملة من خشب النتوب ، توضع أفقيا في جدرانهم للاتزان و توزيع الأحمال.

[4]- الأمين عمر، المرجع السابق، ص، 128.

ففي برج الانابود مثلا ، ما لامحناه؛ عدم وجود اثر هذه المادة ، و يرجَح هذا الغياب إلى التدهور الذي وصل إليه المبنى بفعل العوامل الطبيعية و البشرية، مما تسبب في اندثارها.

أما فيما يخص برج القليعة؛ فنجد أنً هذه المادة قد استغلت بكثرة كمادة بنائية، اذ لامحناها كأساكيف تعلو المدخل الرئيسي للمعلم **(اللوحتين(40)(44)**،وباب الغرفة الثانية بالطابق الارضي**(اللوحة(43))**، بالإضافة إلى النوافذ الصغيرة الحجم.**(اللوحة(42))**

نشير إلى استخدام الخشب ايضا كأطر للنوافذ و بعض المزاغل من الداخل، و كعناصر للدعم كما هو الحال بالنسبة لمصطبة بالركن الشمالي الغربي للطابق الارضي و قد تكون مدخنة، و يجهل إن كانت أصلية أم لا، زد على ذلك السلم الذي تم بناءه بهذه المادة، و لكن لا يوجد حاليا، باستثناء بعض عناصره المتبقية (هيكل السلم).

بالنسبة لبرج المصلى؛ما لمحناه؛ استعماله في تسقيف المبنى من الداخل مع تثبيت قطع خشبية طولية لهدف تدعيمه**(اللوحتين(58)(63))**

من جهة اخرى لاحظنا استخدام الخشب أيضا كعواض خشبية لتدعيم المبنى من الداخل،و عددها عارضتين مستطيلتي الشكل قد وُضعتا في القسم العلوي للمبني، ما بين النافذتين والمدخلين**(اللوحات(54)،(55)،(56)،(57)، بالإضافة استعماله** كساكف يعلو كل من مدخلي المبنى و كذا النافذتين، حيث ركبًا من عوارض خشبية مستديرة الشكل.

التراب:

يعتبر التراب مادة أساسية و الأكثر توفرا و استعمالا منذ العصور الأولى، وقد اكتسب مكانته كمادة أساسية في البناء عبر العصور لسهولة الوصول اليه و الحصول عليه باعتبار يشكل 84 % من القشرة الأرضية، اذ يتوفر في أقرب موقع من البناء، فنادرا ما تكون الحاجة لشرائه أولا و جلبه من مناطق بعيدة[1] وقد شاع استخدام الطين مادة للبناء ،بحيث يستخرج عادة من قرب مكان البناء أو يجلب أحيانا من أماكن، التي تقع بالقرب من بطون الأودية ومجاري الأنهار وفي سفوح الجبال ووسط الواحات، وغيرها من المناطق التي تعرف بجودة تربتها أو جمال لونها، ويستخرج هذا التراب بعد إزالة الطبقة السطحية الغنية بالمواد العضوية و النباتات التي تؤدي في حالة وجودها إلى تطور التسوس بالجدران، كما يشترط أن يحتوي على نسبة مهمة من الطين.[2]

و التراب في كثير من الاحيان لا يُستعمل وحده بل تُضاف اليه مواد اخرى اما نباتية كتبن او عشب مجفف ورقيق و هذا لصنع اللبن، و إمَّا تُضاف اليه مواد معدنية كرمل، طين، جير و حصى.[3]

يستعمل التراب في مجالات عدة كصناعة الفخار و الخزف و الآجر، وحسب الدكتور بن نعمان اسماعيل، فإنَّ هذا النوع من المواد لاستخدامه في حالته الطبيعية، يتطلب خلطه، مع مواد اخرى كثيرة اهمها الماء فتنتج انواع مختلفة من الملاط للربط بين مواد البناء و تكسيتها، و له طريقتان في البناء تتمثل الاولى في

---

[1]- اسماعيل بن نعمان، مدينة تنس.....ص،ص،232.

[2]- لعزازي عتيق رفيقة، المرجع السابق،ص،54.

[3]- العربي الرباطي" **تقنيات بناء الاسوار المغربية من خلال النصوص العربية و الاوروبية و الأبحاث الاثرية** "، الندوة الوطنية حول اسوار المدن العتيقة ببنزرت، مديرية التراث الثقافي، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية،10 يونيو1989،ص،120.

طريقة الطوب أو اللبن و الثانية هي تقنية الطابية[1]*، وتعد التقنية الثانية هي المستخدمة في بعض نماذجنا المدروسة بالأخص في سور مليانة. ولنا حديثا عنها لاحقا.

2- مواد البناء المصنعة:

هي مواد تتألف في الأساس من مواد طبيعية،مستخرجة من سطح الأرض أو من باطنها بحيث مرت هذه المواد بمراحل و أطوار، لكي تصبح صالحة للاستعمال حيث تدخل ضمن مكونات المباني و الصروح، و من المواد المصنعة نذكر :

الآجر:

الاجر* بضم الجيم و تشديد الراء ، لفظ فارسي معرب معناه اللبن اذا طبخ[2]*، و الاجر* من اهم المواد المستعملة في بناء العمائر المختلفة ، لا سيما في البلاد التي يندر فيها الحجر، كما ان استخدام هذا النوع من مواد البناء لم

---

[1]- اسماعيل بن نعمان، مدينة تنس.....ص،ص،232.

* استخدم الطين في بناء الجدران ذات ارتفاعات منخفضة لأن التربة التي تحتوي على نسبة من الطين الذي يعمل على تماسك الجدران إنما يعوض في بعض الأحيان استعمال مادة الجير، كما تلعب نسبة الطين دورا هاما في جودة الطابية، و كانت لدى المعماريين و عمال البناء طريقة لتفريق بين التراب الذي يحتوي على نسبة عالية من الطين و كذلك إذا كانت منخفضة كثيرا و كلا هذه الخاصيتين تتسبب في ظهور شقوق في الجدران و تفتتها. انظر لعزازي عتيق رفيقة، المرجع السابق، ص، 54.

*أصول كلمة الآجر على الأرجح انها الى اللغة الأكدية، و قد وردت في النصوص المسمارية بصيغة آجر(م)Agurru (m) و يقابلها في اللغة السومرية(SIG.AL.UR.RA). تعود بدايات استخدام قطع الاجر الى عصر الوركاء من الاسرة الخامسة، و اصبح المادة الرئيسية في تشييد المباني كالقصور و المعابد و لا سيما في العصر الاكدي، و اتسع استخدامه فشمل نطاقا كبيرا في نواحي البناء كافة و لاسيما المناطق الاكثر عرضة للمياه كالمجاري المائية و الابار الى تعبيد الأرضيات، و من ثم فانه استخدم في بناء الجدران. انظر أحمد قاسم الجمعة، المرجع السابق، ص، ص، 210-211.

[2]- محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص،11.

* و هو مكون من طينة تدخل في تركيبها مجموعة من الأكاسيد كالكالسيوم و المنغنيزيوم اضافة الى الرمل الذي يكسب الاجر الصلابة و المقاومة و اللمعان ، و يتم تشكيله بإضافة الماء للطينة و مزجها معا بالأرجل، و بعد ان تصير الطينة جاهزة توضع في قوالب خشبية مفرغة تختلف مقاساتها و اشكالها من منطقة إلى أخرى.

*نشير حسب الدكتور غالب عبد الرحيم ان الاجر من اهم المواد التي استخدمت في بناء العمائر المختلفة ، لا سيما في البلاد التي يندر فيها الحجر. كما ان استخدام هذا النوع من مواد البناء لم ينحصر في جزء معين من البناء دون الاخر، كما لم يتميز دون عهد ، و ظهرت قوالبه بمقاسات مختلفة كانت ذات زوايا احيانا و مكررة جزئيا.

ينحصر في جزء معين من البناء دون الاخر، كما لم يتميز دون عهد، وظهرت قوالبه بمقاسات مختلفة كانت ذات زوايا أحيانا ومكررة جزئيا[1]،والجدير بالملاحظة أنً هذه المادة البنائية تعتبر من المواد الأولى التي استعملها المسلمون في ابنيتهم، وما زالت في كل البلاد الاسلامية خاصة في الأماكن التي يعزً فيها الحجر كإيران، والابنية المشيدة به قليلة المقاومة إذا ما قيست بتلك التي تعمر كالحجارة.[2]

يعتبر الاجر* من اقدم مواد البناء الاصطناعية التي صنعها الانسان عبر العصور و ذلك لسهولة استعماله و استخراجه السهل من المنبع، و قد استُخدم على نطاق واسع في عملية البناء، فهو عبارة عن مادة طينية معالجة يحكم عجنها و تجفيفها، ثم تعرض الطين للحرق في الافران حتى تتصلب، و يصبح آجر أحمر، وكلما زادت فترة تعرض الطين للنار زادت صلابته، و بذلك تصبح مهيًأة للاستعمال.[3]*

أول ظهور للآجر أو بالأحرى استخدامه كمادة للبناء كان في بلاد ما بين النهرين في حوالي 3555 سنة ق.م، و انتشر في بلاد فارس و الاغريق ثم الرومان

---

[1]- عبد الرحيم غالب، المرجع السابق،ص،28.

[2]- قرمان عبد القادر، عمران و عمارة مدينة معسكر.....ص،302.

*يتطلب صناعة الاجر طينة ذات صفاء لكي تُسهًل عملية القولبة التي تتم بواسطة قالب خشبي بدون قاع و تكون مقاساته مختلفة ، و لكنه يخضع لقاعدة عامة بحيث يكون طول الاجر يساوي ضعف عرضه، و عرضه يساوي ضعف سمكه، و بعدها يُجفًف و يدخل الى الفرن مع قطع اخرى من الزليج و القرميد في غرفة الحرق تحت درجة حرارة تتراوح ما بين 800 و 1200، و هي حرارة كافية لتحليل مركباتها الكيميائية و تلاحمها حيث تتحول الى قطع صلبة و متماسكة الاجزاء، و من مميزاتها انه خفيفة الوزن بسيطة الشكل، و لكنها من المواد المفضلة للبناء و خاصة في بناء العقود و الحنايا و الدعامات ، و ذلك لأنها خفيفة الوزن ، و ذلك لأنها خفيفة الوزن في حالة استعمالها كعنصر محمول، و صلبة في حالة ما اذا ادت دور العنصر الحامل. انظر قرمان عبد القادر، عمران و عمارة مدينة معسكر.....ص،302.انظر ايضا اسماعيل بن نعمان،" **الصناعة التقليدية للآجر و القرميد المقعر في بلاد المغرب الإسلامي**" مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب ، العدد 14 ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية، ص،ص،38- 39،2013.

[3]- August Choisy, Vitruve ,Tome I, Analyse, Paris, Imprimerie –Librairie LAHURE,MDCCCIX ,p,p,7-8.

أنظر ايضا نقاش نيقولا، المرجع السابق، ص،ص،78-80.

* للمزيد أكثر عن صناعة الآجر أنظر Jean Pierre Adam, Construction……..p,62.

الذي ظهر في مبانيهم بشكل واسع ليليهم البيزنطيين و غيرهم[1]، باعتباره مادة سهلة للتحضير* وتتصف بالصلابة و التماسك، نلاحظ استعمالها بكثرة في بناء العناصر المعمارية المعقدة، مثل العقود و القباب و الاقبية، والحنايا الركنية لكونها خفيفة الوزن و سهلة الاستعمال، بالإضافة الى كونها كذلك تعتبر العازل جيد للحرارة والرطوبة و حتى الصوت، كما هي مادة اقتصادية الكلفة إضافة إلى كونها جميلة شكلا ولونا.[2]**

بدأ استعمال الاجر في الحضارة الإسلامية في أوائل القرن الهجري، ثم انتشر في كل أرجاء العالم الاسلامي*مشرقه و مغربه، وزاد استخدامه بكثرة في بلاد الاندلس، كما استعمل بكثرة في بلاد الأندلس لتمتع هذه المادة البنائية بمواصفات إنشائية جيدة.[3]

---

[1]- لعزازي عتيق رفيقة، المرجع السابق،ص،61.

* يتم تحضير الآجر وفقا لخطوات متتالية تبدأ منذ جلب مادته الأولية من المقالع الى غاية خروجه من الفرن جاهزا للاستعمال في البناء. انظر اسماعيل بن نعمان، مدينة تنس.....ص، ص،233- 237.

[2] -Jean Pierre Adam, La Construction Romaine…….p,65.

أنظر أيضا .August Choisy, Vitruve ,Tome I, Analyse ……p,p,7-9

** للآجر عند البناء ؛ القابلية و الحد من تأثير الاملاح و الرطوبة و تحمل الثقل و الضغط العالي الناتج عند البناء مقارنة باللبن و المرونة في تشكيل العناصر المعمارية اذ تمتاز قطع الاجر بانتظامها المتساوي الابعاد نتيجة لحرقها. انظر اسماعيل بن نعمان، " **الصناعة التقليدية للآجر** .....ص،38.

* و يعد ذلك في تاريخ العمارة الاسلامية تطورا مهما، اذ عرفنا ان المسجد النبوي كانت مواده من اللَّبن و جذوع النخل، فمعه ظهرت مواد معمارية اخرى في كل اجزاء البناء و كل انواعه و في كل العصور الاسلامية و حتى كل البلاد ، مع فارق القلة و الكثرة اللذين تفرضهما طبيعة البلد الجيولوجية ، فاستعمل الاجر في الجدران في الجدران الاموية، و منه بنيت قبل ذلك جدران جامع عمرو بن العاص في الفسطاط و جدران مسجد الكوفة و بعد ذلك في قصر المشتى و قصر الطوبة في بادية الاردن، و القباب في العصرين الفاطمي و الايوبي و اول العصر المملوكي، و الأعمدة كالتي في مسجد ابن طولون في مصر، و القصور العباسية كالجوسق الخاقاني الذي بناه المعتصم، و الاضرحة كمدفن اسماعيل بن الساماني في بخارى ، و الدعائم في جامع الحاكم بالقاهرة(380هـ/990م) ، كما استعمل في مختلف منشآت بلاد المغرب و الاندلس منها المرابطية كجامع ندرومة ، و الجامع الكبير بتلمسان و الجزائر العاصمة و كذلك مئذنة الجيرلدا بالأندلس. أنظر كل من فيسة محمد رابح، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر2، 2004- 2005، ص،62. و عبد الرحيم غالب، المرجع السابق،ص،28.

[3]- لعزازي عتيق رفيقة، المرجع السابق،ص،62.

يأخذ الآجر* الشكل المستطيل غير مخرم، مقاساته مختلفة من منطقة لأخرى، و يستخدم في بناء مختلف المباني، خاصة منها العناصر المعمارية المعقدة مثل القباب و الاقواس و العقود المتقاطعة الاضلاع و أطر الفتحات و ذلك حرصا على استقامتها لأنها بمثابة الرابط القوي للمبنى، فضلا عن الحصول على الدقة و الاتزان معا، كما يستخدم كعنصر ثانوي في بناء الاسوار حيث تتناوب صفوفه مع صفوف الحجارة أو تتداخل معها[1]، و تستعمل لوحدها أو يضاف إليها مواد أخري كحجارة الدبش أو الطابية[2]،ونظرا لصغر حجمه كان يستخدم لحماية السطوح الخارجية للأسوار المنجزة بتقنية الطابية، وتملا به الفراغات التي تتشكل بعد تآكل أسوار تقنية الطابية.[3]

كانت تتم صناعة الاجر في الجزائر في ورشات على الهواء الطلق وعلى مقربة من الأفران(للحرق)،وقد صُنع الآجر على أنواع في العهد العثماني**[4]،و الملاحظ أنً الآجر يتطلب طينة أقل صفاء من طينة الفخار، و بالتالي يوضع فيها كمية من الرمل و بعض البقايا من الفخار المدقق و كذلك بعض الأعشاب كالقش و يرش الخليط بالماء، و يخلط بالأرجل، وعمال من القبائل هم من كانوا يقومون برفسه بالأرجل حتى يصبح مادة متماسكة، وكانوا يحملونها بواسطة مجرفة من

---

* تحضير هذه المادة حسب الدكتور بن نعمان وفق خطوات متتالية تبدأ منذ جلب مادته الاولية من المقالع الى غاية خروجه من الفرن جاهزا للاستعمال في البناء ، بدءا باختيار المادة الاولية ، ثم تليها تحضير المادة الاولية ، لتشكيل العجينة ، التجفيف ، ثم الحرق. انظر اسماعيل بن نعمان، " **الصناعة التقليدية للآجر**.....ص،ص، 39 – 46.

[1]- اسماعيل بن نعمان، المرجع نفسه، ص، 39 .

[2]- Chargui Samia, Les Mosquées d'Alger ,Construire, gérer et conserver,(XVI-XIX)PUPS,Paris,2011,p,225.

[3]- اسماعيل بن نعمان، **" الصناعة التقليدية للآجر**.....ص، 39.

** منها الآجر التكعيبي ، المثمن و المربع الشكل. انظر Chargui Samia, Op,Cit,p,232.

[4]- Chargui Samia, Ibid ,p,225.

الحديد أو من الخشب ،ويعجن هذا الأخير باليد قبل أن يوضع في قالب*، و يترك ليجف في أكواخ من الخشب ذات سقف من أوراق الشجر، حتى لا تقوم أشعة الشمس بتشقيقها، ثم بعد ذلك ينزع عنها الإطار، وبعد مدة من عملية التجفيف توضع مباشرة في الأفران كبيرة للجير، وكان يصنع الآجر بكميات كبيرة و يخزن عند الانتهاء من الشي في مخازن كانت تابعة للبيلك أو للكراء.[1]

أما عن مجال استخدامه في نماذجنا؛ نجده موجودا و بشكل واسع في كل من برج الانابود و برج القليعة و كذا برج المصلى و سور مليانة كمادة اساسية للبناء بما في ذلك العناصر المعمارية الى جانب الحجارة، لخصائصه باعتباره مُقاوِم في البناء رغم خفة وزنه ، كما أنَّ مساميه تسهل التصاق القطع الحجرية بالملاط. **ففي برج الانابود** نلمحه في بناء كل الجدران، في تشكيل السقف و ذلك لخفة وزنه، في بناء المزاغل و أطرها، و في النافذة الكبيرة الحجم مع العقد الذي يعلوها، بالإضافة الى غرفة الحراسة. **اللوحات(26)،(28)، (32)،(33)،(34))**

بالنسبة لبرج القليعة ؛ نجد استعمال الاجر في بعض جدران المبنى، في التسقيف **(plancher en voutain)**،حيث قدرت مقاساتها بـــ 24 سم طولا x 12 سم عرضا و 4.50سم سمكا، بالإضافة الى استعماليها كتبليط للأرضية بالطابق الارضي، بلغت مقاساتها بـــ23 سم طولا 11.50x عرضا. و نلاحظ استعمال الآجر أيضا في بناء بعض العناصر المعمارية كأطر النوافذ الكبيرة الحجم، العقود كالعقود الموتورة الشكل التي تعلو الفتحات الصغيرة الحجم ، زد على ذلك الزوايا الجانبية بالقرب من السقاطات.**(اللوحات،(47)،(48)،(50)،(65)).**

* هو عبارة عن إطارين من الألواح ملتصقين ليس لهما قاع . أنظر .Chargui Samia, Ibidem,p,225

[1]- Chargui Samia,Ibidem.

اما فيما يخص **برج المصلى**، نجد استغلال هذا النوع من المواد كمادة انشائية ثانوية في بناء الجدران و بعض العناصر المعمارية كالفتحات الصغيرة الحجم، و كذا الكبيرة و المتوسطة الحجم، الى جانب الحجارة ، بالإضافة الى استخدامها كمادة مضافة لمواد اخرى للحشو و ملء الفجوات و الحنيات. زد على ذلك صناعة العقود التي تعلو مداخل المبنى.**(اللوحات،(65)،(66)،(68))**

عن **أسوار ملیانة** و هو آخر نماذجنا؛ نجد الآجر محصور في بناء جدران و أساسات السور.**(اللوحات،(23)،(24)،(64)**

الطابية:

يُعد الطين من المواد الاكثر استعمالا،اُظهر مُنذ القدم في بلاد حوض البحر المتوسط على اشكالا مختلفة، فهناك الطوب المجفف، الأجور ثم ما أصبح يعرف بالطابية وهو التراب المدكوك بين لوحين من الخشب.[1]

و الطابية **Pisé** هو الخليط من التراب " الطين" و الحصى الصغير تُضاف اليهما كمية من الجير بنسب متفاوتة حسب اهمية السور(بالإضافة الى الماء بالطبع)،والطابية تستعمل في الأمازيغية كما تستعمل في العربية بنفس المفهوم و يظهر ان اصل الكلمة عربي جاء فعل طوب.[2]

[1]- العربي الرباطي، المرجع السابق،ص،115.

[2]- العربي الرباطي ، نفسه، ص، 117.

و الطابية عبارة عن مادة طبيعية أو كلسية،يضاف اليها قطع من الحصى او الفخار أو بقايا الأواني الفخارية، زد على ذلك مادة جيرية و ذلك لغرض تثبيتها و إعطائها قوة التصلب.[1]

بالرغم من انتشار هذا النوع من المواد، على نطاق واسع،في عمائر العالم عموما و العالم الاسلامي خصوصا، إلا أنها لا تعدً من ابتكار الفنان أو البناء المسلم ، بل جذورها تعود الى الحضارات القديمة، خاصة و أنً هذا النوع من التراب عرف استعماله قديما، اذ انتشر بالشرق الاوسط و الشرق الادنى القديم بآلاف السينين قبل الميلاد في بلاد الرافدين[2]،و كذا الفينيقيين* و القرطاجيون، و الرومان بحوْض البحر الأبيض المتوسط[3]. و المعروف أنً القرطاجيون قد استعملوها على السواحل التونسية و الجزائرية و في ضفاف جنوب اسبانيا، و تم توسع انتشارها في المغرب الاسلامي في مناطقه و في صحرائه[4].و في هذا السياق يذكر الدكتور محمد الحناوي قائلا:" **إن مادة الطابية أو تقنية الطابية لم تكن من ابتكار الفنان المسلم، بل ساد استعمال هذه المادة في التحصين، و العمارة عبر شبه جزيرة إيبيريا منذ العصر الروماني ذاته، و إن تغيرت أحجام المواد المستعملة**".[5]

---

[1]- العربي الرباطي ،المرجع السابق، ص،115.

[2]- العربي الرباطي، نفسه.

* كان الفينيقيون يبنون الاساسات بالحجارة ، ثم يشرعون في مواصلة البناء بالطابية. سعيد مهيبل، مواد و تقنيات البناء في قصر الداي بقلعة الجزائر في العهد العثماني، دراسة معمارية و اثرية، مذكرة لنيل الماجيستير في الاثار الإسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر ،2008-2009،ص،54.

[3]- العربي الرباطي ،المرجع السابق، ص،115. أنظر أيضا محمد حناوي، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة و الطوائف،ط1، دار ابي رقراق للطباعة و النشر، الرباط ،المملكة المغربية، 2003،ص،242.

[4]- العربي لقريز،" **البناء بمادة الطين في العمارة التقليدية بمنطقة بوسعادة- الخصائص و التقنيات** -"، مجلة الحقوق و العلوم الانسانية ، مجلة دولية تصدرها جامعة زيان عاشور بالجلفة، العدد السابع عشر، الجزائر، 2014، 20، ص،413.

[5]- محمد حناوي، المرجع السابق، ص،242.

لقد جاءت الطابية لتعوض الحجر،بالنسبة للتحصينات العسكرية في المغرب الاسلامي و الاندلس، و زاد انتشارها بكثرة في كلا العدوتين ابتداء من عصر الموحدين، اذ استعملت في بناء الاسوار نخص بالذكر اسوار طريفة **Tarifa** و إشبيلية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[1]،كما استخدمت بشكل فعال جدا في الأسوار الموحدية، التي ما زالت توجد أجزاء منها ماثلة بفاس البالي، فأثبتت فعاليتها و جودتها منذئذ و أصبحت تنتشر اكثر فأكثر في كل مدن الغرب الاسلامي[2]،تستعمل الى يومنا هذا في اسوار القصبات و القصور الأطلسية و جنوب الاطلس الكبير.[3]

أما في الجزائر فيعود استعمال الطابية[**]حسب المهندس المعماري يوسف شناوي إلى فترات قديمة جدا، حيث ساهمت في تشييد المباني العسكرية و الدينية و المباني العامة، بالإضافة الى العمارة العسكرية[4]، و الطابية هي عبارة عن خليط من التراب و الحصى و الجير و الماء، يحضر بنسب متفاوتة على حسب درجة صلابة البناء المنشودة، فكلما كانت نسبة الجير أكبر كلما كان البناء صلبا، و لكن في الوقت نفسه يجب مراعاة نسب المواد الأخرى حتى لا تقع شقوق فيه فيما

[1]- العربي الرباطي ،المرجع السابق، ص، 117.

[2]- منير اقصبي، العمارة العسكرية بفاس عبر التاريخ.....ص،203

[3]- العربي الرباطي ، المرجع السابق، ص، 117.

[**] حسب شناوي يوسف تسمى ايضا باللبن المدكوك. انظر يوسف شناوي،" **اللبن المدكوك في شرشال : التاريخ و المكونات و طرق الانجاز.**" ندوة حول العمارة الطينية ببلاد المغرب بالمركز الثقافي، برنامج البحث الأثري بلامبيز- تازولت، وزارة الثقافة، المركز الوطني للبحث الوطني، الجزائر،2-3-4- جوان ،2015، ،ص،ص،33-34.

[4]- شناوي يوسف، المرجع نفسه، ص،33.

بعد. ويقدم في هذا الصدد ابن خلدون وصفا مهما لهذه المادة، و مكوناتها و تقنية انجازها المعروفة باللوح و التابوت.[1]

بالنسبة لأماكن استخراج مواد البناء و نخص بالذكر الطابية؛ فيبدو هذه الأخيرة حسب محمد حناوي انها تقنية هامة وسريعة رخيصة، كما أنَّ البعض قد اعتبرها حسب بازانة **BAZANA** في كتابه بعنوان" **Eléments d'Archéologie Musulmane** " من خلال الدكتور محمد حناوي رخيصة و شعبية لكنها، مع ذلك تحتاج الى لوازم محددة في نجاح العمل بها في ذلك مثلا أنها تحتاج الى مياه متوفرة و قريبة و سهلة الاستعمال[2]، مما دفع بأحدهم الى القول بأنَّ صُنعها يكون عادة في أماكن غير مرتفعة كثيرا عن الاوية، ناهيك عن أنَّ تجفيفها يحتاج الى وقت طويل نسبيا مما يسبب عادة في بطء استعمالها ، عكس ما يتبادر الى الذهن أحيانا أكثر من ذلك تعتبر الطابية تقنية او مادة غير صلبة اذا ما قورنت بالحجر، و لذلك تخضع باستمرار الى عملية الترميم[3]، و قد قدَّم لنا ابن خلدون وصفا دقيقا عن نوعية و كيفية استعمال هذه المادة (التراب المدكوك)،واصطُلِح تسميتها بالطابية او تقنية الطابية في مجال البناء او صناعة البناء كما ورد ذلك في " المقدمة ". و من هنا يمكن تصنيف الطابية بالمفهوم الخلدوني الى ثلاثة منها؛ الطابية بالطين و التراب بدون اضافة اية مواد اخرى، ثم الطابية الخليط و هي تتركب من التراب و الرمل و الجير تُضاف إليها الحصى الصغير و الآجر

[1]- منير اقصبي، العمارة العسكرية بفاس عبر التاريخ..... .....ص،203. أنظر أيضا Chennaoui Youcef , « **Le Matériau Pisé a Cherchell (Algérie),Un autre Type d'Architecture en terre, Nature et Filiation**, » Medeterra, Thème 4,2009,p,p,1-13.

[2]- محمد حناوي، المرجع السابق، ص،245.

[3]- محمد حناوي، نفسه،ص،ص،245- 246.

المكسّر حتى تتماسك اكثر، و هذا النوع هو الاكثر شيوعا في بناء الاسوار. اما الطابية بالحجارة و التراب فهذه قليلة.[1]

أما مجالات استعمالها في نماذجنا المدروسة ؛ نجدها استخدمت في بعض اقسام سور مليانة، و من المرجح استخدامها في برج الانابود باعتبار أنّ أغلب جدران مباني مدينة شرشال في العهد الاسلامي و العثماني عموما سواء دينية، مدنية خاصة العسكرية منها حسب شناوي في مقال له المعنون" **La Construction Ancienne de Cherchell**"، قد شيدت بمادة الطابية حسب كمال شناوي[2]، لكن هدم المبنى و اعادة بنائه من جديد بالمواد البنائية التي كانت موجودة في تلك الفترة من قبل السلطات الفرنسية تسببت في تغييره جذريا، و ذلك من خلال مواد البناء المستخدمة،على سبيل المثال مادة الاسمنت كمادة لاحمة، بالإضافة إلى التسقيف القبوي بالعوارض الحديدية.

القرميد:

يعتبر من المواد المصنعة كليا ، و كذا الاكثر استعمالا في البناء، استخدم في النواحي الجمالية و الزخرفية كمواد تشطيب و تغطية، كما استعمل في الأرضيات وبالأخص في الأسقف المائلة، كما تعد من الصناعات الفخارية القديمة، ظهرت بنفس الفترة التي ظهر فيها الطوب و الآجر.[3]

---

[1]- العربي الرباطي ، المرجع السابق، ص، 119.

[2]- Youcef Channaoui, « La Construction Ancienne de Cherchell »,in Rev- vie des villes ,E.P.A.U, N°06, Décembre,2006,p,p,62-65.

[3]- احمد السعداوي،"**القرمود مادة بناء مميزة للتقاليد المعمارية الاندلسية بتونس**" ،اعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات الموريسكية الاندلسية حول مهن الموريسكيين الأندلسيين و حياتهم الدينية، جمع و تقديم، د. عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق و المعلومات ، زغوان، تونس،1990، ص،32. أنظر أيضا مهيبل سعيد، المرجع السابق،ص،ص،60-61.و حازم محمد نور عفيفي، المرجع السابق، ص،66.

يرى اندري باكار أنً مادة القرميد هو آجر مشوي أو محروق تصنع من طينة متجانسة، ذات جزيئات دقيقة ، تطلى بالطلاء حتى لا تكون مسامية، و خالية من الشوائب التي تعرض الطينة من الانشقاق بعد الصنع، و بعد ان تكتمل الصنع تطلى ثلثي القطعة بدهن اخضر براق يجعلها، غير قابلة لامتصاص الماء الناتج عن الامطار.[1]

انتشر القرمود كمادة تغطية انتشارا واسعا منذ اقدم الحضارات بالأخص حضارات الشرق الادنى القديم ، حيث استخدم في العديد من الحضارات قبل الاسلام اخرها الحضارة الساسانية، كما استعمل في الفترة الاغريقية[2]، في تغطية المباني لينتقل استخدامه الى العديد من الحضارات منها الحضارة الرومانية و البيزنطية،و شاع استعماله عند المسلمين فيما بعد في الشام و المغرب و الاندلس، و في مختلف الفترات لما له من خصائص و مميزات، فهو يحقق الحماية اللازمة من الامطار و يخفف من شدة حرارة الشمس[3]. و اللافت للانتباه ان هذه القراميد* تشد على الملاط دون وسيلة ربط خاصة، و هي تكون من حيث نوعيتها ووسيلة ربط خاصة و هي تكون من حيث نوعيتها ووسيلة شدها، نظام تسقيف ذات انحدار خفيف لا يتجاوز الثلاثين درجة، يجعل السقف نوعا من الميزاب تسيل عنه مياه الامطار دون إضرار بالحائط الذي يحمل السقف.[4]

---

[1]- باكار أدريه، المغرب و الحرف التقليدية الاسلامية في العمارة، تر: سامي جرجس ، المجلد 1، نشر اتولية ،ايطاليا ، 1974،ص، 501 . انظر ايضا .Chergui Samia, Op-cit, P 233

[2]- غالب عبد الرحيم ، المرجع السابق،ص،66.

[3]- رزق عاصم محمد، المرجع السابق،12.

* غالبا ما يكون على نصف اسطواني او مخروطي الشكل، يوضع عند البناء بالتناوب العكسي أي مقعر، ثم محدب، و يكون محيطه السفلي اكبر من نصف محيطه العلوي حتى يمكن تركيبه بطريقة منتظمة و ثابتة، و يتم تثبيته بواسطة الملاط. ابن منظور، لسان العرب، مج4.....ص،24. أنظر أيضا عبد الرحيم غالب، المرجع السابق،ص،28. و رزق عاصم محمد، المرجع السابق،12.

[4]- احمد السعداوي، " **القرمود مادة بناء** ".....ص،ص،32-33.

يُحضَّر القرميد بنفس الاسلوب، التي تُحضَّر به عجينة الفخاريات و الاجر على الخصوص ، ثم يقوم الصانع بعملية قولبة القرميد و تشكيله*[1] ، كما يتم صهره بكميات كبيرة في قرمدات تبنى عادة خارج المدينة او القرية ، و تنتج هذه المعامل نوعا واحدا من القرمود خاليا من اي وسيلة للتعليق او للشبك ، و لكن قياساتها يمكن ان تختلف من مدينة الى اخرى و من فرن الى اخر و ربما من عهد الى عهد اخر، كما هو الحال بالنسبة للطوب و الاجر،.[2]

أما في العهد العثماني؛ نأخذ على سبيل المثال مدينة الجزائر، نجد ان هذه المادة المصنعة حسب المهندسة المعمارية سامية شرقي، كانت تصنع في ورشات خارج المدينة مع الطوب و الآجر و غيرها من المواد ، و من منتجاتها " القرميد الأخضر" و ما يُدعى في ذلك الوقت " قرمود أخضر" كما وجد بهذه الصيغة أيضا " القرميد السلطاني".[3]

اما من حيث استعماله فهو يوضع على شكل كورنيشات في حواف السقوف و كذلك للسقوف المائلة التي تكون بنسبة متوسطة و ذلك لتفادي انزلاقها، و نجدها في غالب الاحيان ملونة بالأخضر او الاحمر. و قد شاع استخدامه في بلاد الشام و المغرب و الاندلس، و لا سيما في قصر الحير الغربي وقصر الحمراء بغرناطة.[4]

---

* تعتمد صناعة القرميد على طريقتين، فالطريقة الأولى؛ تتم بالدولاب ، حيث تخرط الطينة الاسطوانية المنتفخة، ثم تقطع الى نصفين طوليا بعد أن تجف، ثم توضع في الفرن لتحرق. أما الطريقة الثانية؛ تتم بواسطة قالب خشبي و ذلك بتشكيل الطينة على شكل معين منحرف ، ثم توضع فوق القالب الذي يكون شبه مخروطي، وبعد هذه العملية تجف القراميد ثم تحرق في الفرن. و في الطريقتين ينتج لنا قرميد ذو شكل مستطيل نصف مستطيل مقعر و محدب ، احد نهايته اكبر من الاخرى ، تُطلى الجهة الخارجية بطلاء أخضر، و قد تترك من دون طلاء .انظر كل من باكار أدريه، المرجع السابق، ص ،ص،67-69.

[1]- باكار أدريه، المرجع نفسه، ص،ص،502-507.

[2]- احمد السعداوي، " **القرمود مادة بناء مميزة".....**ص،ص،32-33.

[3]- Chergui Samia, Op-cit, P 233.

[4]- ابن منظور، مج4،ص،24.، انظر كل من عبد الرحيم غالب، المرجع السابق،ص،28.و رزق عاصم محمد، المرجع السابق،12.

اما عن مجالات انتشار هذه المادة على نماذجنا المدروسة؛ فنجدها ببرج المصلى قد استعملت للتغطية.**(اللوحتين(51)،(59))**

المواد اللاحمة:

تنتج هاتين المادتين من معالجة الاحجار الرسوبية (الحجر الجيري) و تعتبر عملية احراق الجير و الجبس مهنة مستقلة ، و يباع الجير الى البنائين بعد هذه العملية، اما الجبس فيتم حرقه اولا ، و تتفق مجالات استخدامهم في البياض، المونة، اللحامات.[1]

استعمل القدماء الجير و الاجر المسحوق بنسب مختلفة، و تشكل ما يعرف بمكونات الملاط و مواده **(Agrégats)**[2].

يرى المهندس المعماري مونيي **Meunier** من خلال الأمين عمر، ان المواد اللاحمة هي المواد التي تساعد على تماسك مكونات الملاط، و تضمن الترابط الصلب بين جزئياته ، و تتمثل هذه المواد في الجير، اضافة الى الجص، ولو ان هذا الاخير عادة ما يستعمل لوحده، و بإضافة كمية من الماء يعطي عجينة لينة، تتصلب بعد مدة من الزمن. و قد استعملت هذه المواد منذ القديم فقد بينت الحفريات المقامة بمصر، ان الفراعنة استعملوها منذ اكثر من ستة الاف سنة.[3]*

1-

2- Jean- Pierre Adam, La Construction Romaine,…….. p,78 .

3- محمد الأمين، المرجع السابق، ص،109.

*يتم الحصول على هذه المواد من المحاجر، و تعتبر هذه المواد اصطناعية ، كالجير الذي يكون على شكل طباشير طري، بما انه لا يستعمل على حالته الطبيعية ، فانه يستخرج من محاجر خاصة به، على شكل حجارة يتم تفتيتها ، وذلك باستعمال المعاول ، و بعد عملية الحرق في الافران، تسحق لتعطي مساحيق تتصلب عند ملامستها للماء، كحجر الجبس الذي يعطي بعد عملية حرقه و سحقه مادة الجص. محمد الأمين، المرجع نفسه، ص،109

تختلف اماكن استعمال هذه المواد باختلاف خصوصيتها ، حيث نجدها تارة في تشكيل ملاط الاسس او الجدران او السقوف ، و تارة اخرى نجدها في الزخرفة الخارجية للمبنى، كشد الفسيفساء الخزفية ، او تشكيل الزخارف الجصية. من المواد اللاحمة **الجير**** و **الجص***** و الملاط.

فالجص لفظ اعجمي معرب للفظة " **كج** "، و قد جاء في كتاب " **القاموس المحيط** " لفيروز ابادي الفاظ عدة تخص لكلمة جص فمنها القص و منها الجبس ، و اصله فارسي معرب عن كلمة كجً[1]و الذي تعني الشيء الجامد، و في نفس السياق نجد ان الرازي يعرف الجص قائلا": الجص بكسر الجيم و فتحها ما يبنى به و هو معرب، وهو الجير[2].

حسب جمال عبد الرحيم ابراهيم في اطروحته المعنونة بعنوان " **الزخارف الجصية في عمائر القاهرة الدينية....)** يتكون الجص من كبريتات الكالسيوم و كبريتات الجير محتوية على الماء و متحدة به اتحادا تاما[3] ، يطحن و يسخن الى درجة

**تجلب هذه المادة من محاجر خاصة، تستخرج منها هذه المادة على شكل حجارة كلسية تختلف نقاوتها من منطقة لأخرى. و بعد تفتيتها الى حجارة صغيرة نسبيا، يسمح ذلك بانتزاع كل الشوائب الزائدة ، كالحصى الصغيرة و الطينة، و هذه العملية تسهل عملية حرقها ، و استخراج المادة الاصلية منها، و بحرقها تفقد هذه الحجارة الكلسية كمية غاز الكربون، لتشكل الجير الحي، و يحتوي الجير على 10-16 % من المواد الطينية. و هي مواد كلسية صافية من الشوائب، و هو الشائع استعماله في صناعة الملاط. و تحت تأثير الماء او الرطوبة الزائدة تتحول هذه الحجارة الى مسحوق يسمى بالجير المطفأ. و على العكس الجص تستعمل هذه المادة مع خليط اخر يتمثل عموما في الرمل او الطينة، لتكون الملاط. و قد كان هذا الخليط معروفا منذ الفترة البونية، و استعمل بمدينة كراكوان بتونس، لشد الحجارة المصقولة الكبيرة و اسطوانات الأعمدة. الامين عمر، المرجع السابق، ص،109

*** حسب دفاتر اشير محمد الامين، تقنيات البناء، يعتبر الجص اقدم المواد المصنعة للبناء، بحيث عرف منذ الالفية السادسة قبل الميلاد، و عن هذه المادة يذكر رشيد بورويبة في كتابه "..... **Les Hammadites** " قائلا ان الجص يتمثل في حجر رسوبي يوجد في محاجر خاصة على شكل ترسبات"، و عن كيفية الجلب يضيف الى " ان الجير يجلب على شكل حجارة كبيرة، تُفتَّت لتحضير عملية الحرق. و من اهم محاجر الجص في المغرب الاسلامي و التي عرفت في الفترة الحمادية محجرة "متوسطة" بالقرب من بجاية و يتم الحصول على الجص بحرق حجر الجبس ، في درجة حرارة 250 م°، و تحت تأثير هذه الحرارة ، يفقد كل رطوبته، و يصبح صالحا للاستعمال ، ثم يسحق بواسطة مهراس او طاحونة مخصصة لذلك، يتم بعد ذلك غربلته، بحيث اذا اضيف اليه الماء يتصلب بعد مدة مشكلا مادة صلبة نسبيا. انظر كل من Rachid Bourouiba, Les Hammadies, Entreprise Nationale du Livre,Alger,1984,p, 117 . و محمد الامين، تقنيات البناء،ص،ص، 114-116.

[1]- الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مادة الجص، ص،552.

[2]- الرازي، مختار الصحاح،، مادة الجص،ص،104

[3]- جمال عبد الرحيم ابراهيم، الزخارف الجصية في عمائر القاهرة الدينية الباقية في العصر المملوكي البحري،(648-584هـ/1250-1382م) ، رسالة ماجيستير (غير منشورة ، كلية القاهرة، جامعة القاهرة،1986،ص،8.

حرارة مختلفة من 150° الى 170° درجة مئوية[1]، ، تجعل بعضه عاديا صالحا للبناء[2]، اذ يستعمل في تكسية الجدران لكونه عازل للحرارة والصوت[3]، و البعض الآخر أرقى سريع التصلب يستخدم في الزخرفة القالبية[4]*، و في هذا الصدد يقول ابن خلدون:"**و من صناعة البناء ما يرجع الى التنميق و التزيين،كما يصنع من فوق الحيطان الاشكال المجسمة من الجص يخمر بالماء، ثم يرجع جسدا و فيه يقيه البلل، فيشكل على التناسب تخريما بمثاقب الحديد الى ان يبقى له رونق وراء**" .[5]

أما الجبس (بكسر الجيم و سكون الباء) – جمع أجباس– الجامد من كل شيء*، و من مكوناته الصمغ و الكلس و مساحيق الرخام و قشر البيض، ويصب لزجا في قوالب، و تغطى به الجدران و الأسقف بعد اكتمال جفافه[6].

بالنسبة للجير المائي (**La Chaux Hydraulique**)؛ فقد تم الحصول على هذه الاخيرة بعد حرق الحجارة الكلسية المتكونة من كربونات الكالسيوم في افران بدرجة حرارة تصل الى 1000° .[7]*

---

[1]- محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص،64.

[2]- عبد العزيز لعرج ،المباني المرينية.،ج2.....ص،641.

[3]- ابو صالح الالفي، الفن الاسلامي ، أصوله- مدارسه، دار المعارف،ط3،القاهرة،1998 ، ص،270.

[4]- عبد العزيز لعرج ،المباني المرينية.،ج2.....ص،641.

*يتطلب الجص كمية كبيرة من الماء و درجة عالية للحرق، و ذلك ليكون اكثر صلابة كما انه لا تنجز به الاعمال المعرضة للرطوبة، لانه لا يتحمل التأثيرات المناخية، و هو يعتبر من احسن المواد، عازلا للحرارة و الصوت، لذا استخدم في تكسية الجدران و التسقيف و التنميق و التزيين الزخرفي سواء كانت مقولبة او مخرمة داخل المباني

[5]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر.....ص،200.

*و الجص الذي نلاط به البيوت ، و هو خام من كبريتات الكالسيوم المهدرنة اي (المائية)، و ضرب من الحجارة ، تطحن و تحرق لتستخدم في البناء، و منه الجبس العادي و هو نوع خشن غير نقي من المصيص المطحون المحروق الذ تلاط به الجدران من الداخل و الخارج ،و منه قولهم جصص الحائط اي طلاه بالجص. و الجصاصة او الجبارة او الساسة هي الموضع الذي يعمل فيه الجص، بواسطة الحرق في الماء. و الجصاص او الجباس او الجيار هو صانعه. انظر محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص،ص،63-64.

[6]- محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص،ص،63-64.

[7]- Jean Pierre Adam, La Construction Romaine,…….. p,69 .

خلال عدة قرون تطورت طرق استخدامهم حيث امكن خلط الجبس مع الجير لإنتاج بياض من مميزاته المتانة و قوة التحمل،وقد ذكر ابن خلدون عن استخدام الجير قائلا:"...**ومن صنائع البناء ان تُجلَّل الحيطان بالكلس(الجير)، بعد أن يُحلَّ بالماء و يُخمَّر اسبوعا أو أسبوعين، على قدر ما يعتدل مزاجُه عن إفراطِ النارية المفسدة للإلحام، فاذا تمَّ له ما يرضاه من ذلك علاه من فوق الحائط، و ذلك إلى أن يلتحم**"[1].و هكذا يتم استخدم الجص في تكسية الجدران.

عرفت هذه المادة استخداما واسعا منذ الفترات القديمة، اذ استعمل منذ عصر الفراعنة المصريين، و انتشر بكثرة في بلاد الرافدين و في بلاد فارس عند الساسانيين ثم الاغريق و الرومان و غيرها[2]،ومنهم انتقل الى المسلمين، اذ عرفت العمارة الإسلامية استخدام هذه المادة في البناء و الزخرفة بكثرة.[3] **

وعن **الملاط**؛ يلعب دورا مهما في الربط بين مواد البناء الاخرى، و الملاط في لسان العرب تؤدي المعنى بحيث يقول:" الملاط: الذي يملط بالطين، يقال: ملطت

---

* للمزيد اكثر عن هذه المادة انظر . Jean- Pierre Adam, La Construction Romaine,…….. p,69 و محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص،ص،63-64.

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ.....ص،412.

[2]- عبد القادر دحدوح، استحكامات الامير عبد القادر العسكرية.....ص،189.

[3]- محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص،ص،63-64.

** يذكر عبد الرحيم غالب ان الجص استعمله الامويون في قصر الحير الغربي 109هـ- 727م كمادة للبناء و للزخرفة او لتكسية حجارة الجدران او آجرها، جميعها او في بعض اقسامها ، مصقولة او مقولبة او مخرَّمة ، بالإضافة الى العباسيون في القرن 3هـ/9م وظهر في الجامع الكبير بسامراء و جامع ابي دلف ، و في مختلف ابنيتهم و قصورهم بسامراء ، و استعمله الطولونيون و الفاطميون في جامع الازهر، و اتبع الايوبيون و المماليك في مصر و الشام نفس الاساليب الفاطمية في استعمال الجص ما بين القرنين 6-9هـ/12-15م كما هو الحال في مسجد الظاهر بيبرس و في الاضرحة و المدارس ، و بالموازاة مع المشرق غرف المغرب الاسلامي و الاندلس الجص و استعملوه في مختلف ابنيتهم و برعوا فيه حتى بلغ عندهم ارقى درجات الابداع، و بانتقال صناعة الجص الى المغرب و الاندلس، بلغ ارقى درجات الابداع و الفن. ، و الامثلة عديدة نذكر على سبيل المثال جامع القرويين في فاس بالمغرب خلال القرن 6هـ/12م ، اما في الاندلس، فبلغ فيها شأوا بعيدا من الدقة و الكمال في واجهات قصر الحمراء بغرناطة خلال القرن 7هـ/13م،و غير هذا و ذاك كثير في العمارة الاسلامية مما نجد فيه نماذج رائعة من الزخارف الجصية سواء كانت كتابات كوفية او عناصر نباتية او هندسية. و من الامثلة ؛ النماذج التي عثر عليها في حفائر العباسية الاغلبية و صبرة الفاطمية و القلعة الحمادية ، اذ استعمله الموحدون في تلبيس الجدران داخل المباني وواجهات الصحون و الافنية، و استعمله العثمانيون بمدينة الجزائر في تكسية أعالي الجدران و الافاريز و القباب، ومن نماذجه البديعة تلك التي كانت تزين بركة قصر الزهراء بقرطبة 3هـ/9م.أنظر كل من عبد الرحيم غالب، المرجع السابق،ص،ص،120-140، و محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص،ص،63-64. و كذا George Marcais, L'Architecture musulmane d'occident……p,40.

ملطا، وملط الحائط و ملّطه : طلاه ؛ و الملاط: الطين الذي يجعل بين سافي البناء)[1].....فهو بمثابة الرابط و الماسك بين كل المواد المستعملة وتكمن اهميتها في انها غير منفذة للماء ، لكنها تسرب الهواء لداخل البنايات مما يعطيها قدرة على التنفس و التكيف مع احوال الطقس. و هي عبارة عن خليط يتكون بنسبة الثلثين من الرمل و بنسبة الثلث من الجير. فجودة مواده و طريقة صنعه تساهم بالإضافة الى المواد الاخرى في اعطاء صلابة اكثر للبناء[2]. و الملاط *من المواد اللاحمة الاساسية في البناء، فهو الذي يربط بين الحجارة و الأخرى و به تقام الجدران و الأسوار، فهو عبارة عن خليط متصلب متكون من مواد صخرية سهلة التفتت، يضاف إليه ماء ، والتصلب يأتي نتيجة التفاعل.

يتمثل دور الملاط أساسا في ربط و تماسك مواد البناء فيما بينها، غالبا ما يكون سمكه منتظما،[3]** و الخاصية الأكثر أهمية في الملاط هي مقاومته الميكانيكية ، و التي تحميه من عدم التفتت تحت تأثير الضغط الناتج عن ثقل المبنى، إضافة إلى

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج4،ص،24.

[2]- منير أقصبي، العمارة العسكرية بفاس .....ص،205.

* الملاط هو مزيج من جير و رمل، و بصيغة اخرى هو الطين الذي يجعل بين سافتي البناء و يملط به الحائط، كما يستعمل لتطيين الحجارة او طلي الجدران، و قد ينقش فيه و يعالج كالجص. و هذه الطينة تستخرج من تحت الارض ، و تطوع في الماء ، و يتكون عموما من مواد طبيعية تتمثل في حبيبات الرمل و الطين و الماء و التي تعد طرق مختلفة، و يخلط الكل بنسب متفاوتة بإضافة الجير كمادة لاحمة. و بعد خلطة نحصل على المونة التي توضع بين المداميك لتماسكها، و لاستخدامها في رفع الجدران المبنية من الدبش ، و هو ايضا ما يطلى به الحائط بعد اتمام بنائه، و يوضع لتقوية الحائط و حمايته من الامطار ، و تهيئته للزينة و الزخرفة. انظر كل من ابن منظور، لسان العرب، مج .9،ص،681. و عبدالعزيز لعرج، المباني المرينية،ج2،.....ص،657. و نوار سامي، الكامل في مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، 2002،ص،176.

[3]- Dictionnaire – Le Petit Larousse,603.

** حسب جون لويز همبير Jean-Louis Humbaire،ان الملاط يمثل نقاط الضعف الاكثر تعرضا في اي مبنى، لمختلف القوى المؤثرة عليه، و المتمثلة في ثقل المواد بعضها فوق ال من جهة، و من جهة اخرى يعتبر مكان التقاء مادتين مختلفتين، و هي الملاط من جهة و مادة البناء من جهة اخرى، لذلك تجتمع الآراء على قاعدة عامة و قديمة ، و هي ان يستعمل البنّاء مباشرة قبل البناء مواد مبللة قدر الامكان مشدودة بملاط نوعا ما جاف، حتى يتم الالتحام الجيد. الأمين عمر، المرجع السابق،ص،105.

قدرته على مقاومة العوامل الطبيعية، لذلك يكون هدف البنّاء في هذا المجال هو الحصول على مقاومة ميكانيكية تقارب الى حد ما مقاومة المواد نفسها.[1]

يستعمل هذا الخليط أي بالأحرى الملاط في الربط بين الاجزاء الثلاثة للأسوار اثناء بنائها: الأساس و الجسم و الشرفات. كما يوضع على شكل طبقات رقيقة بشكل تناوبي مع طبقات الآجر فيما يخص بناء الأسوار الداخلية والغرف و السلاليم و القباب الموجودة في الأبراج و القصبات و الأبواب.[2]

يعرف الملاط حسب الدكتور الأمين عمر في رسالته بعنوان " **مواد و تقنيات البناء.....**"على أنه الخليط الذي يشكل لاحقا مادة صلبة، تربط بين مختلف حسب جون لويز همبير Jean- Louis Humbaire،أنّ الملاط يمثل نقاط الضعف الأكثر تعرضا في أي مبنى، لمختلف القوى المؤثرة عليه، والمتمثلة في ثقل المواد بعضها فوق من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر مكان التقاء مادتين مختلفتين، وهي الملاط من جهة و مادة البناء من جهة أخرى، لذلك تجتمع الآراء على قاعدة عامة و قديمة، وهي أن يستعمل البنّاء مباشرة قبل البناء مواد مبللة قدر الإمكان مشدودة بملاط نوعا ما جاف، حتى يتم الالتحام الجيد.[3]

إنّ أجزاء عناصر البناء و الملاط المستعمل عموما يتكون من تصلب خليط مكون من مادة لاحمة من حبيبات الرمل الدقيق أو الطين إضافة الماء[4]، و يذكر ابن خلدون في مقدمته عن الملاط قائلا:" **فمنها البناء بالحجارة المنجّدة أو بالآجر يقام بها**

---

[1]- الامين عمر، المرجع السابق، ص،105.

[2]- منير اقصبي، العمارة العسكرية بفاس .....ص،205.

[3]- الامين عمر، المرجع السابق، ص،105.

[4]- الامين عمر، نفسه، ص،104.

الجدران ملصقا بعضها إلى بعض بالطين و الكلس الذي يعُقد معها فيلتحم كأنها جسم واحد...[1]*

حسب وظيفة الملاط تتحدد مكوناته و الصفات التي يجب أن تتوفر فيه، كان يستعمل لكساء الجدران أو البناء عامة، وقد تكون هذه المادة في بعض الاحيان اوراق من الرصاص بين اجزاء العمود الواحد كما هو مستعمل في الفترة الرومانية*،و قد استعملت هذه التقنية ايضا في الفترات الاسلامية.[2]

يعد الملاط **من المواد اللاحمة الأساسية في البناء، فهو الذي يربط بين الحجارة و الأخرى و به تقام الجدران و الأسوار، فهو عبارة عن خليط متصلب متكون من مواد صخرية سهلة التفتت، يضاف إليه ماء،والتصلب يأتي نتيجة التفاعل.

فالملاط عبارة عن خليط يشكل مادة صلبة تربط بين مختلف اجزاء عناصر البناء، و عادة ما يكون ذلك الخليط مكون من الرمل و الطين مع اضافة الماء، و

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب.....ص،412.

* و من خلال مقولة ابن خلدون ، يتبن ان للملاط دور كبير في ربط و تماسك مواد البناء فيما بينها، كما يمثل هذا الاخير المادة الاكثر ضعفا في البناء ،اذ يجب أن يكون مكدسا و كثيفا وذا سمك منتظم حتى يكون الثقل موزعا بين اجزائه بالتساوي، كما يجب بشكل متداخل منتظم لتفادي تشققها و فقدان تماسكها ، و تكمن أهميته فيما :التحامه الجيد مع مواد البناء و سرعته في التصلب وكذا مقاومته للضغط الناتج عن الثقل، و كذلك للتأثيرات المناخية. زد على ذلك تسوية المساحات غير المنتظمة اثناء البناء، ثم حماية البناء من الرطوبة لنه غير مسامي. انظر عبد القادر قرمان، عمارة و عمران مدينة معسكر.....ص،307.

* يرى شوازي أن الملاط الروماني من أجود و أهم الأنواع ، لما يتميز به من صلابة و مقاومة شديدة للتأثيرات المناخية و قد كان محل اعجاب لما يتميز به من سرية في تحضيره و خاصة الملاط المائي Choisy August ,L'Art de bâtir chez les Romains ,chapitre - Béton Hydraulique- , Paris, Librairie Générale de l'Architecture et des Travaux Publiques, Ducher et CIE Editeur ,MDCCCLXXIII,p,14

[2]- الأمين عمر، المرجع السابق، ص،104.

** الملاط هو مزيج من جير و رمل، و بصيغة اخرى هو الطين الذي يجعل بين سافتي البناء و يملط به الحائط، كما يستعمل لتطيين الحجارة او طلي الجدران، و قد ينقش فيه و يعالج كالجص. و هذه الطينة تستخرج من تحت الارض ، و تطوع في الماء ، و يتكون عموما من مواد طبيعية تتمثل في حبيبات الرمل و الطين و الماء و التي تعد طرق مختلفة، و يخلط الكل بنسب متفاوتة بإضافة الجير كمادة لاحمة. و بعد خلطة نحصل على المونة التي توضع بين المداميك لتماسكها، و لاستخدامها في رفع الجدران المبنية من الدبش ، و هو ايضا ما يطلى به الحائط بعد اتمام بنائه، و يوضع لتقوية الحائط و حمايته من الامطار ، و تهيئته للزينة و الزخرفة. انظر كل من ابن منظور، لسان العرب، مج .9،ص،681. و عبدالعزيز لعرج، المباني المرينية،ج2،.....ص،657. و نوار سامي، الكامل في مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، 2002،ص،176.

أحيانا يكون من مادتي الجبس و الجير،وهما مادتان يستخرجان الانسان من باطن الارض على شكل كتل حجرية يقوم بحرقها ثم يفتتها أو يطحنها بطاحونات خاصة، وأحيانا يستعمل الخشب كمادة لاحمة إضافة إلى الرمل البحري أو النهري.[1]

يرى المهندس المعماري جاك ريفولت **Jaque Revault** أنً الرمل من المكونات الأساسية التي تزيد الملاط مقاومة ميكانيكية،و فيهذا الصدد يذكر في كتابه بعنوان " **L'Habitation Tunisoise** "أنً مادة الرمل تزيد من حجم الملاط و هذا ما يزيد من تكلفته، أما عن اماكن جلبه فيضيف؛ من الأودية أو المحاجر الخاصة به.[2]*

إضافة الى كل هذا يدخل في تركيبة الملاط رماد الخشب، و يرجع بعض الباحثين استعمال الرماد في تركيبة الملاط إلى أنً الخشب يحتوي على كمية قليلة من الجير، يساعد في التماسك الجيد لمكونات الملاط، و أنًه يزيده صلابة و يصبح غير مساميا.[3]**

لقد أثبتت التجربة حسب المهندس المعماري فروادفو **Froidevaux Y-M** أنً الملاط في المباني القديمة حساس جدا للرطوبة، وخاصة مياه الامطار، خصوصا اذا

---

[1]- عبد القادر دحدوح، استحكامات الامير عبد القادر.....،ص،187.

[2]- Revault Jaques, L'Habitation Tunisoise, Pierre ,Marbre, et Fer dans la construction et le décor , Edition du Centre Nationale de la Recherche Scientifique ,paris,1978,p,27.

* يذكر الأمين عمران مادة الملاط يضاف اليها في بعض الاحيان مسحوق من القرميد و الآجر، و هي طريقة او تقنية مستعملة منذ القديم، اذ عثر عليها في مكونات ملاط المباني التي تعود إلى الفترة الرومانية و البيزنطية. و لقد تأثر المسلمون بهذه التقنية فاستخدموها في عمائرهم و مبانيهم. أنظر الأمين عمر، المرجع السابق، ص، 105.

[3]- الأمين عمر، المرجع نفسه، ص،106.

** الدور الذي يلعبه الملاط في التحام مختلف وحدات البناء يتمثل في السماح من جهة اخرى بتوزيع متساو لقوى الضغط عند نقاط تماس المواد فيما بينها ، بشرط ان يكون ان يكون ذو سمك منتظم، و هذا ما يسمح بتوزع الثقل بطريقة متساوية، كما يلعب دورا هاما في اعادة تسوية السافات غير المنتظمة في البناء، اضافة الى الحجارة المسطحة، و من جهة اخرى فانه يتحمل قوة ضغط كبيرة نتيجة لقوة الثقل، لذلك نجد انه كلما كانت التقنية و المواد غير منتظمة ، كلما زادت كمية الملاط المستعملة، و ذلك لسد الفراغات الناتجة عن عدم الانتظام. أنظر الأمين عمر، المرجع نفسه، ص،107.

كانت الجدران مكشوفة من جانبها العلوي، بحيث يتآكل تدريجيا ليترك مكانة شاغرا[1]*، كما هو ملاحظ في جدران نماذجنا المدروسة.

جاء ذكر المواد اللاحمة الأخرى في العهد العثماني بالجزائر، للرحالة الانجليزي "شاو" حيث يصف طريقة صناعة الملاط قائلا:"... **يأخذون كيل من رماد الخشب و كيلان من الجير و كيل واحد من الرمل الدقيق، بعد أن قاموا بتمريره في غربال ، ثم يخلطون كل تلك المواد مع بعضها و يقومون بدقها بواسطة مطارق ذات رؤوس كبيرة لمدة ثلاثة أيام متوالية، مع إضافة من حين لآخر الزيت و الماء و هذا حتى تكتسب عجينة الملاط المتانة و القوة المطلوبة وهو غير نافذ للماء..**".[2]*

يشير روزي **Rozet** في كتابه بعنوان " **voyage dans la régence d'Alger** " إلى أنَّ الملاط الجزائري يتكون من الجير و الطين الأحمر المشبع بالأمطار، و الجدير بالملاحظة هو وجود أو بالأحرى انتشار نوعان من الملاط في المباني الجزائرية بما في ذلك العمائر العسكرية خلال العهد العثماني، **فالأول** يتميز بلونه الوردي المائل إلى الاحمرار، و هو مصنوع من الرمال الحمراء، أما **الثاني** فيتميز بلونه

---

[1]- . انظر ايضا الامين عمر، المرجع السابق، ص،128. Froidevaux Yves- Marie, Op, Cit, p,p ,9-10.

* للمزيد عن الملاط ، خصائصه ، وظائفه ..... انظر كل من الامين عمر، المرجع السابق،ص،ص،105-108. و Jaques Revault, Op,Cit,p, 27-28. و Choisy August L'Art de bâtir chez les Romains ….p,p, 12-25. و Choisy August , Vitruve Tome II, 1er Partie, Analyse, Paris, F . De Noele, 1971, p,p,12-14.

[2]- Dr Shaw, Voyage dans la régence d'Alger……p,104

* حسب بعض الوثائق؛ فإن الملاط يصنع بنسبة من الجير الطافئ أو الجير الدرَّاس، كما يستعملها " العْجاجنْ " و هو اسم المختص في تلك الفترة في صناعة مادة الملاط اللاصق، و غالبا ما تكون من النوع الرفيع بحيث يُضاف للجير الطافئ كمية من الرمل و كمية من بقايا الفخار المد قَّق أو أحجار صغيرة، و يسمى هذا الخليط في ذلك الوقت بـ " البغلي "و عندما يكون في حالة استعمال فيسمى بـ" الخمرة". ويدخل هذا الخليط في تثبيت و إلصاق وحدات الآجر و الأحجار و يعمل على تراصي هذه الوحدات، و بهذا يصبح الملاط ذات استخدام أساسي و ضروري في تشييد جميع أنواع البناءات و تقويتها و حفظها من الانهيار، بحيث يدخل في تركيبة الجدران و الأقبية ، كما يستعمل في الإنشاءات الكبيرة. انظر .Chergui Samia,Op,Cit,p,242

الأبيض و تتخلله بقع رمادية اللون، مكون أساسا من الرمل و من حجارة صغيرة.[1]*

نعود الى نماذجنا ؛ فنجد استعمال هذه المواد اللاحمة سواء الجبس، الجص و الملاط في عملية البناء، في التكسية و الربط، فاذا اخذنا الملاط مثلا ، فنجده في عدة الوان منها اللون **الوردي المائل للاحمرار** و **البني الفاتح المائل للاصفرار**، بالإضافة الى **البني القاتم** و بشكل واسع في عملية البناء في الابراج و الأسوار المدروسة سواء في الربط بين المواد البنائية بالمعالم المدروسة، بالإضافة إلى تكسية الجدران حفاظا من العوامل الخارجية (امطار،رياح...)، حيث انه يمنع من تسرب المياه داخل الجدران،كما استخدم في تغطية الأرضيات و طبقات التسقيف، **ففي برج الأنابود** مثلا نجد انحصاره في البناء بالأخص في بناء الأساسات، الربط بين الآجر و الحجارة، لكن ما لامحناه؛ استخدام الإسمنت كمادة لاحمة عوض الملاط وهذا دليل على إعادة بنائه خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

أما الجبس و الجص فيكاد ينعدم لانهيار بعض اقسام هذا المبنى من جهة، و عملية الصقل التي تعرضت اليها جدران البرج. **(اللوحة(69))**

بالنسبة **لبرج القليعة**؛ نلاحظ استعمال الملاط في بناء المبنى ، سواء في مجال الربط و الماسك بين الحجر و الآجر كرابط ، أو كمونة عبارة عن ملاط شديد المقاومة من الجير،و الجدير بالملاحظة أنً الملاط المطلي على جدران هذا المبنى، في حالة جيدة و هذا ما يؤكد تعرضه لعملية الترميم سواء من داخل أو من خارج المبنى، و يصل سمك المونة بالنسبة لجدران المبنى من الناحية الداخلية

* بالنسبة للنسب التي تدخل في مكونات الملاط المستخدم بأنواعه سواء كان لتلبيس أو ملاط لرص الوحدات البنائية أو ملئ الحشوات و الفارغات فهي نسبة واحدة من الجير تقابلها نسبتان أو ثلاثة نسب من الرمل. لعزازي عتيق رفيقة، المرجع السابق،ص،66.

1- Rozet M, voyage dans la régence d'Alger, TIII, éd Arthur Bertrand, Paris, 1833, P 94.

حسب المهندس المعماري كوري ياسين الى حوالي 1.50سم،كما لا حضنا وجود ملاط يربط القطع الأجرية فيما بينها وهو الملاط الهجين – **Mortier Bâtart** - على مستوى الجدار الحامل طابق الطابق الارضي.

فيما يخص **برج المصلى** ؛ نلاحظ استعمال الملاط في بناء المعلم بالأخص في الربط بين المواد البنائية نذكر بين الحجر و الحجر، و كذا بين الحجر و الاجر و بين الآجر و الآجر. **(اللوحة(69))**

أما فيما يخص **أسوار مليانة**؛ نلاحظ استخدام هذه المادة اللاحمة بكثرة، اذ وجدت كمادة بناء في تشييد اساسات السور و كمادة لاحمة للربط و التماسك بين مواد البناء، ففي اجزاء الاثر نجده بين الحجر، وفي مواضع أخرى بين الحجر و الآجر، ولنا حديث عن ذلك في تقنيات البناء.**(اللوحة(69))**

المعادن:

تعد المعادن من بين المواد التي استخدمت في العمائر الجزائرية خلال فترة الحكم العثماني، ونماذجنا المدروسة مثال على ذلك، إلا أنً مجالات استخدمها لم تكن بالشكل الواسع، ومن بين المعادن الموجودة في معالمنا نذكر الحديد، التي استخدمت في نماذجنا نذكر الحديد فقط .

يعتبر الحديد من أقدم المعادن التي عرفها الانسان، حيث يستخرج من المناجم ، و يعتبر كمادة اساسية في العمارة، و هي من مواد البناء التي يستخدمها البناء في تثبيت المبنى و تماسكه[1]، وكانت تصنع منه معظم حلقات المدفعية التي كانت تثبت في الجدران، كما استعملت في اقفال الأبواب(المزاليج)، يستعمل في صنع

[1]- علي خلاصي، القلاع و الحصون.....ص،129.

شبابيك النوافذ و تدعيم الأبواب و ربط المصراعين إلى الإطار الخشبي و في صنع حلقات الابواب.[1]

بالنسبة لنماذجنا؛ فإنّ هذه المادة لم تحظ باستعمال وافر في نماذجنا،مقارنة بالمواد الاخرى كالحجارة و الاجر، بل استعمالها كان في نطاق ضيق، ففي **برج الأنابود مثلا**؛استغلت في عملية تسقيف وحدات المبنى كعوارض حاملة للأقبية النصف برميلية المبنية بمادة الآجر،وهو في حالة سيئة جدا.**(اللوحات(27)،(34) ،(35)و الصورتين(05)،(06))**

لامحنا وجودها أيضا بالمظهر الخارجي للواجهة الرئيسية للبرج كقنوات صرف المياه، كما لاحضناها على طول أركان البرج و قد جُسِّدت كحلقات دائرية تعرضنا إليها في الدراسة الوصفية. **(اللوحين(28)،(35)(الصورة(06))**

أما فيما يخص برج القليعة؛ فنجد أنّ هذه المادة قد وضِّفت في تسقيف البرج كعوراض حديدية حاملة للأقبية مبنية بمادة الآجر،كما أنها استخدمت في تغطية بابي الطابق الارضي، أحدهما باب المدخل الرئيسي**(اللوحة(44)** والثاني باب داخلي لأحدى غرف الطابق الأرضي،**(اللوحة(47)** بالإضافة الى سلالم البرج بنفس الطابق**(اللوحة(48))**، وكذا شبابيك للنوافذ الصغيرة، بعض المزاغل، ثم مسامير و مصراعين لتزيين باب المدخل الرئيسي. **(اللوحة(46)**

بالنسبة **لسور مليانة**؛ لم يلاحظ اثر هذه المادة .

[1]- علي خلاصي، المباني العسكرية العثمانية بمدينة الجزائر، دراسة لنيل شهادة الدراسات المعمقة ، معهد العلوم الاجتماعية ، فرع التاريخ، جامعة الجزائر،1979،ص،304.

تقنيات البناء:

لقد اختلفت أساليب البناء في العمارة خلال الفترة العثمانية و تنوعت حسب الحاجة و المكان، وتنوع البناء و تقنياته بالجزائر من عمليات تنفيذ بسيطة إلى البناء بطريقة معقدة و من الأعمال السهلة و الخفيفة إلى التشييد لمنشآت ضخمة سواء أكانت عمارة دينية أو مدنية أو عسكرية.

تعد تقنيات البناء الخطوة الاولى في تشييد أي مبنى كان، وهي الوسيلة التي تظم سلامة المبنى واستقراره لمدة معينة حسب الدراسات،والملاحظ أنً البناء الجزائي قد اعتمد في بنائه على عدة طرق للبناء، وبفضل خبرته تمكن من تطويرها و استخدام أنسب تقنيات البناء خاصة عندما يتعلق الأمر بالمباني العسكرية تقنيات بناء العمائر عموما و نماذجنا المدروسة خصوصا، متنوعة من بسيطة الى معقدة، مع تنوع مواد البناء فيها من آجر و حجارة و تراب، بالإضافة إلى مواد لاحمة في مختلف هياكلها و عناصرها المعمارية.

نشير إلى الأساس أي بناء الاساسات هو ثاني خطوة بعد التخطيط، و اسمه يدل عليه، و نقول اساس الشيء أي ركيزته و الذي لا تتم البناء الا به، وأس البناء هو أصل البناء أي اساسة تجمع أسس و أساس، وهي القواعد التي في باطن الأرض لحمل البناء* و أساس المبنى الركيزة الهامة التي يقوم عليها، و الضمان الاول لبقائه مدة طويلة دون تصدع أو انهيار، بحيث تتوقف عليه متانة المبنى و

* يشترط بناء الأساس ان يكون عموديا على الضغط المؤثر عليها، و ان يكون مناسبا لحمل الثقل الناتج عن البناء، وأن يكون مصنوعا من مادة عديمة التأثر بالتغيرات الجوية من الحرارة و الرطوبة او تفتتها تحت تأثير الأحمال لأن وضيفة الأساس هي ثقل البناء الى تربة الأرض المقام عليها الاساس. سعيد مهيبل، المرجع السابق، ص، 71.

صلابته،و تأتي هذه المرحلة بعد اختيار الاتجاه الملائم و تحديد المقاسات، و كذا الفتحات الواجب تركها كالأبواب.[1]

أول شيء يقوم به البناء هو حفر اخدود، يتراوح عمقه ما بين 0.50م و 1.00م و عرضه يكون بمقاس سمك الجدار و أحيانا يكون ضعفه، ثم يضع حجارة كبيرة و متوسطة الحجم غير مصقولة، والتي توضع في صفوف متوازية في وسط ذلك الأخدود، و بعدها يتم رفع الجدار مباشرة على تلك الارضية الصلبة، وكان الهدف من وضع أسس الجدران هو الحصول على قاعدة متينة للبناء، والجدير بالملاحظة أنَّ أغلب المباني التي شيدت في مختلف البلدان، تبنى على أنقاض الحضارات السابقة لها، حيث تستعمل حجارتها كأساسات في البناء.[2] **الشكل ((12))**

بالنسبة لنماذجنا بدءا بسور مليانة، فإن تقنيات البناء هذا النوع من الاستحكامات الدفاعية تعود إلى فترة الاحتلال الفرنسي، باعتبار أنَّ هذا المعلم قد تعرض لتهديم كلي سنة 1843 حسب المصادر الفرنسية، وأُعيد بناءه من جديد بنفس مواد الأصلية و المتمثلة في الحجارة الرومانية باستثناء بعض المناطق من السور، التي أشير إليها على أنها فترة عثمانية لكنها تعرضت للترميم.

نشير إلى أنَّ كل أساسات الأسوار بنيت بحجارة التوف و الآجر المملوء، ومن تمعننا في السور يمكننا تمييز نوعية التقنية التي شُيد بها السور، اذ نلمح فيها نوع من التنظيم بمعنى تقنية منتظمة، فقد تكون إحدى التقنيات المستخدمة هي تقنية

---

[1] - اسماعيل بن نعمان، " **المسكن التقليدي بمدينة دلس و ضواحيها مواد البناء و مراحل الانجاز** "،مجلة اثار، معهد الاثار، العدد 9،2011، ص، 146.

[2] - Architecture Traditionnelle Méditerranéen, Mur de Terre Cuite, Espace Méditerranéen ,Projet Financé par le programme MEDA ,de l'Union Européenne,p,2.

منتظمة وهي متداولة عند العثمانيين، وقد لاحضناها في جدران قلعة الداي بالقصبة العليا.

الميزة التي تتميز بها الاسوار؛ بناؤها بالحجارة الخام و عدد كبير من الحجارة المنحوتة التي وُضعت بدون ترتيب أو تمييز، جُلبت من بقايا المباني الرومانية في المنطقة و بالتحديد حسب الشهادات الفرنسية في الزاوية الشمالية الشرقية للمنطقة.[1]

من الملاحظ ان مادة الحجارة استخدمت بأشكال مختلفة، مربعة ، مستطيلة، مكعبة مقاساتها حوالي 1م طولا و 0.60م سمكا، يتميز الحجر بمقاومته الكبيرة للضغط و تكتمل صلابته إذا كانت القوة الواقعة بطريقة عمودية عليه[2]، كما استعمل في أحد الواجهات الحصى الممزوج بالإسمنت و في الجزء الأخر الآجر المملوء، سمكه 0.50م و طوله 0.42م، وعرضه 0.28م.

نشير إلى وجود خلط في طريقة بناء جدران الاسوار غير متجانسة، نجد بناء جدران الأسوار لم يكن بناء الجدران متجانسا في مجموعه، فالقسم الشمالي كله و أجزاء من القسم الشرقي بني بالحصى و خليط صلب من الرمل و الكلس بسمك مترين و خمسين سم،على ارتفاع سبعة أمتار تقريبا. أما الباقي من جدار السور فهو من التراب بسمك ستين و على علو غير مرتفع كثيرا.

فيما يخص نماذجنا؛ فنجد تنوع في تقنيات البناء بدء بأسوار مليانة، اذ تراوحت تقنيات البناء بين التقنية المنتظمة و الغير المنتظمة في بناء الأسوار، بالإضافة

---

[1]- بوغفالة ودان، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي.....ص،ص ، 178.

[2]- Froidevaux Yves- Marie,Op,Cit,p,9.

إلى تقنية بناء الزوايا من الحجارة و كذا التقنية المركبة، فكل هذه التقنيات استخدمت في بناء السور و تتطلب او يشترط صقل المواد المستخدمة،و لما كانت المادة البنائية الحجارة بالتالي يتطلب ان تكون الحجارة مصقولة و توضع الواحدة فوق الاخرى بطريقة افقية مترابطة،حيث تملء الفواصل الافقية و العمودية بطبقة من الملاط، لتسوية مساحة وضع الحجارة و الربط بينها.**(اللوحة(70))**

اما تقنية بناء الزوايا من الحجارة: فيقصد بها توظيف الحجر في عملية البناء كعنصر له وظيفة إنشائية تنقل أحمال المبنى، ورغم أن استخدام الحجر بهذا الأسلوب هدفه الأساسي هو تحقيق عنصر الأمان، اعتمادا على السلوك الإنشائي للمادة (المرتبط بالخواص الميكانيكية للأحجار وقدرتها على التحمل)؛وما نلاحظه في زوايا السور؛ أنَّ كلها كانت بالحجارة من اجل حمل الثقل، وتوزيع الضغط لضمان صلابة المبنى و قد بنيت بتقنية الحجارة المنتظمة حيث كان الجدار بضمادة كاملة من الحجارة التي تغطي الفراغ المملوء بالحجارة الصغيرة و التراب .

أما فيما يخص التقنية غير منتظمة؛ فتستخدم الحجارة على حالتها الطبيعية على أن يكون مقاسها معقولا و مناسبا للبناء من حيث السمك و الارتفاع، واستخدامه دون أي معالجة تنظم مظهره، يعطي إحساسا بالخشونة الطبيعية للمادة.

يتم تشييد البناء بالحجر الخام حيث يكون الحجم و الشكل عديمي الانتظام، يتم ربط بينها عن طريق ملاط، و تسمى بالتقنية غير منتظمة، فبعد اختيار الحجارة المناسبة للبناء يتم تحضير مادة الربط المكونة اساسا من الجير و الرمل و الماء. توضع الحجارة الكبيرة اولا في الاسفل مع الملاط ، و يتم تشييد الجدار و كلما اتجهنا نحو الأعلى كلما تم التقبيض من حجم الحجارة .**(اللوحة(71))**

يلي هذه التقنيات تقنية البناء بصفوف من الاجر، و تتم بوضع الاجر بشكل منتظم و متسلسل تتماسك فيما بينها بواسطة ملاط الربط أو اللاحمة. **(اللوحة72))**

اخيرا التقنية المركبة و نلاحظ استخدام تقنيتين في الكتلة الواحدة او الجدار و هذا ما يعرف بالطريقة المركبة، وهي عبارة عن صف أو صفوف من الآجر، تليها صفوف من الحجارة توضع بالتناوب، ويتم الربط بينها بالملاط مشكلا بذلك طبقات كثيفة تعطي البناء صلابة و تماسك و انسجام و في جدار السور نلاحظ استعمال الآجر المملوء، مع حجارة الدبش الضخمة والصغيرة مع قطع من الآجر. فهناك جدار مبني من الحجارة الكبيرة موضوعة على قاعدة أجورية ، و النوع الثاني جدار مبني من الحجارة الصغيرة جدا، موضوعة على قاعدة أجورية و الثالث جدار مبني من الحجارة الصغيرة، ممزوجة بقطع من الأجر موضوعة على قاعدة أجورية و اخيرا جدار مبني بالأجر الموضوع بالطريقة السنبلة. **(اللوحة(73))**

بالنسبة للأبراج؛ التقنيات المستخدمة لحضناها من خلال بعض المواضع، تقنية البناء بالحجارة الكبيرة المنتظمة ببرج القليعة.

استخدمت هذه التقنية التي تستلزم وضع الآجر مع الدبش المهذب في البناء، و يملس بملاط بحيث يستعمل نوعان من الأحجار هما الحجر الكلسي و حجر التافزة، و يواجه أحجامها مقاسات الآجر المستعملة وهي تقنية يستعملها البناء المسلم لتقوية البناء، فقد توضع الحجارة الكبيرة و ذات النوعية الجيدة و الصلبة عند بداية بناء الجدار، و نظرا لثقلها و صعوبة حملها الى علو كبير، وكأسس حاملة للجدران و ذلك برد فعل الأثقال عليه، أما الحجارة المتوسطة الحجم غير مصقولة و الدبش فتتواجد في وسط و أعلى الجدران، و هذه التقنية لاحضناها في برج المصلى و في برج الانابود. **(اللوحة(74))**

ثالثا: التأثير العثماني و المساهمة الاندلسية (لنماذج المدروسة):

لقد كان لسقوط الاندلس أثر كبير على عمران المدن الجزائرية بالأخص مدينة الجزائر و ضواحيها، فقد نزح الكثير من الاندلسيين من مدنهم الاصلية مثل شاطبة و بلنسية و دانية و طرطوشة و بعدها اشبيلية و غرناطة و قرطبة الى السواحل افريقيا الشمالية، و معهم بناؤون، مهندسون عباقرة في البناء و التشييد في كل مجالات البناء فكل هذا التنوع الهائل إن صح التعبير مدرسة متخصصة الميادين حلت إلى الشمال الإفريقي عموما و المدن الجزائرية خصوصا و هي فارة من الخطر المسيحي و من قوانين محاكم التفتيش القاتلة، فسكنت مدنا قائمة مثل الجزائر ووهران، أو مندثرة مثل شرشال أو جديدة مثل البليدة و القليعة ، و رب ضارة نافعة، حيث نشطت حركة العمران في منطقة المغرب الأوسط نتيجة هذا النزوح الديموغرافي المكثف،وقد اظهرت لنا تجربة العثمانيين في ايواء النازحين براعة واضحة في إدماج المهاجرين الاندلسيين سواء في الديار العثمانية بالأناضول او في الاقاليم العربية عن طريق انشاء مدن جديدة و اقطاعات واسعة للنازحين.[1]

لقد ساهم تواجد كل من العثمانيين و الاندلسيين في أرض المغرب الاوسط الى دفع الفن المعماري الى حالة من الابداع نتيجة تمازج الطرز المعمارية المتنوعة، فقد جاؤوا الاندلسيون بفنيات معمارية كما ذكرنا سابقا ، تواكبت مع استلام العثمانيين الحكم و مباشرتهم تنفيذ مشاريع كبرى وفق الطراز المشرقي ، مما

[1]- مصطفى بن حموش، " **التشريع العمراني و المعماري في العهد العثماني**".....ص،55.

أدى بالإضافة الى الطراز الافريقي المحلي الى بروز ما يشبه مدرسة معمارية تجمع بين قباب إسطنبول و أنواع القرميد التي اشتهرت به مدن الاندلس.[1]

اذا كانت التأثيرات المحلية و الأندلسية قد انصبت على الهيكل العام و التخطيط الاساسي للمبنى ، فان التأثيرات العثمانية جاءت مع الزخارف و ما يرتبط بالمواد الانشائية كالبلاطات الخزفية و زخرفة السقوف و في التيجان ، و معظمها جاء على هيئة محورة ، لكنها امتداد في مجملها لزخرفة العصر الوسيط. أما من الناحية الاستراتيجية العسكرية، فان المهمة الدفاعية للاستحكامات الدفاعية جاءت استجابة لمتطلبات العصر الحديث، من حيث اساليب الدفاع و الهجوم ومن حيث نوعية السلاح و مداه و قوته التدميرية، و هي أسلحة لم تكن منتشرة في العصر الوسيط، فجاءت المنشآت المعمارية بذلك استجابة لهذه الاسلحة و خاصة المدفعية منها التي جاءت قوتها من تطور قوة دفع القذائف المعدنية التي تتميز بقدوة كبيرة على الهدم للمنشآت، و ما يتصل بها من مرافق، وبدقة التسديد للأماكن الهامة و المؤثرة في مرفقية البناء أو في الاستراتيجية العسكرية.[2]

من هنا جاءت فكرة التخلي عن العلو و الزيادة في السمك بالمدن لتزداد هذه التحصينات متانة و مقاومة للنيران من جهة ، و لتقدم احتياطات للمدافعين تتمثل في حرية اكبر للحركة و القدرة على المناورة ، لكنها في المقابل فقدت من مدى رؤية فدعمت بخاصرات وابراج للمراقبة و خنادق مما سمح بتوفير حماية مسبقة من جهة، و بتوسيع مدى الرؤية لمحيط الاسوار[3]. و للمزيد من حماية الاسوار من امكانية التسلق من مفعول الالغام، أُضيف في انحنائها نحو الخارج، فأصبحت

---

[1]- مصطفى بن حموش، " **التشريع العمراني و المعماري في العهد العثماني**".....ص،55.

[2]- خلاصي علي ، القلاع و حصون.....ص،243.

[3]- خلاصي علي ، نفس المرجع.

مساحة القاعدة في معظم الأبراج تزيد من مساحة السطح بحوالي 30% ، حتى يكون المتسللون و المقتربون من الأسوار تحت رحمة نيران القناصة و رجال الحامية و الحرس.[1]

تعد الاثار المعمارية التي خلفها الاتراك العثمانيون في الجزائر خلاصة للتأثيرات العثمانية و الاندلسية ، فقد تزامن دخولهم مع الهجرات الاندلسية الى الجزائر هربا من البطش الاسباني و محاكم التفتيش التي طالت خاصة بعد سقوط الاندلس، و سكنوا مدنا قائمة مثل الجزائر ووهران او زائلة مثل شرشال ، و بنوا اخرى جديدة مثل البليدة و القليعة ، و قد ساهم ذلك في دفع الفن المعماري الى التطوير و الابداع. و عن البناء و العمران يقول المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي(و في مجال الانشاء و التعمير، ما نشاهد بعضه اليوم منبتا في مختلف مدن الجزائر ، فمؤرخو الافرنج انفسهم يشهدون بأنهم وجدوا بالعاصمة يوم حلولهم بها، ما يزيد على خمس عشر ألف و ثمانية الف حديقة محيطة بالمدينة، و ستا و ستين و مائة مؤسسة دينية و كذلك كل العواصم الجزائرية الكبرى كقسنطينة و تلمسان ووهرن، فكانت كلها مكتظة بالدور و القصور و القلاع و المساجد و الاسواق).[2] الخ...

من المعروف ان الاتراك العثمانيين لم يكن لهم طرازا معماريا و فن خاص بهم، إلا انهم نجحوا بتفوق بما انتجوه من عمائر و تحف فنية، يعود الفضل في ذلك في تفوقهم هذا الى تمسك الفنان و المعماري العثماني بالتقاليد المتوارثة عن اجدادهم، والمحافظة عليها، اذ استخدم الطراز الذي كان سائدا في

---

[1]- خلاصي علي ، القلاع و حصون.....ص،243.

[2]- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، مج3،ديوان المطبوعات الجزائرية ، الجزائر- ص، 523.

موطنه ، في انشاء معظم المباني بصورة عامة و القلاع و الحصون و القصور بشكل خاص. و نظيف الى هذا التأثر بالطرز المعمارية و الفنية التي كانت سائدة في الاقاليم العربية، نتيجة للفتوحات الاسلامية التي قامت بها الامبراطورية العثمانية لبلاد الشتم و مصر و العراق، و كذا المغرب العربي بالأخص تونس و الجزائر ، حيث كانت العمارة و الفنون في تلك الاقطار قد وصلت الى ذروتها و رقتها. و ادى تأثير المعمار العثماني بالطرز الفنية و المعمارية البيزنطية، بعد فتح القسطنطينية سنة 857هـ/1453م،الى ظهور طراز عثماني جديد يمكن ملاحظته في المباني التي اقامها العثمانيون.[1]

يذكر عبد العزيز لعرج في محاضراته أنَّ الفنان المغربي و الجزائري في فترة قبل دخول الاتراك العثمانيين الجزائر استمر لمدة طويلة، وحتى اوائل الفترة العثمانية ينتج فنا يستجيب لتقنيات و مواضع و اشكال التي كان عليها خلال الفترة الزيانية، و بعد دخول الجزائر المنظومة العثمانية بقي الفن كما كان ، بينما الاسلوب عرف تغييرا، و ظل الأسلوب المحلي جنبا إلى جنب مع الأسلوب النافذ (الاتراك العثمانيين)، وأحيانا مزج الأسلوب المحلي مع النافذ فينتج مواضيع فنية معمارية يصعب الفرق و الفصل بينهما، لكن في مواضع أخرى نستطيع التمييز بين المواضيع النافذة و المحلية.[2]

لقد شاءت المنظومة السياسية للجزائر في العهد العثماني التعبير عن ولائها و تواصلها مع الباب العالي بواسطتها،مثلها مثل البعثات الدبلوماسية و المراسلات و تبادل الهدايا و الهبات و ما الى ذلك و هو ما نلاحظه في تخطيط المنشآت

---

[1]- زكي محمد حسن، فنون الاسلام، القاهرة،1948،ص، 136.

[2]- لعرج عبد العزيز محمود ، محاضرات لمقياس عمارة و عمران للسنة الأولى ماجيستير في الاثار العثمانية للسنة الجامعية 2007م-2008م، ص، 1.

الرسمية (الدينية)، كما انه هو ايضا ما نجده في المنظومة الفنية و عناصرها المعمارية الفنية،و اذا كان النظام العمراني و المعماري في الجزائر في العهد الحديث قد عبر عن هذه الاوضاع جميعا، فإنّ هذا النظام كان يخضع للمستوى الاقتصادي و المالي التي تتمتع به البلاد، و يحتكم عليه الحكام و تلك المؤسسات، و ذلك بما يستخدم في هذه المنشآت من مواد ثمينة و ما يلبسها من فن و زينة و زخرفة، وهو أيضا ما نعثر عليه في هذا النوع من المنشآت.[1]

فضلا عما قام به الحكام من بايات و دايات في تشييدهم لهذه المنشآت الجديدة، التي تعد إضافة جديدة و تنفيذ المشاريع الجديدة أيضا، إضافة إلى ذلك قاموا بأعمال إصلاحية و ترميمية للعديد من المنشآت العمرانية و المعمارية داخل المدن، و من خلال تنفيذهم لهذه المشاريع الفنية المعمارية و العمرانية، يُدخلون المظاهر و الأساليب الفنية و العناصر المعمارية بالجزائر.[2]

نشير إلى أن عملية تنفيذ هذه المشاريع ماهي إلا تعبير عن روح الولاء و التواصل على الدولة العثمانية، لنيل رضاها و قبولها بهم كحكام يخضعون لهم، و هذه المظاهر و الأساليب و العناصر تحمل أيضا دلالات سياسية تاريخية و اجتماعية، نخص بالذكر الجانب الدفاعي العسكري، فالجزائر باعتبارها حامية الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط من الهجمات الاوروبية المسيحية و مرتزقتها و قراصنتها، ونظرا لما كانت تتعرض له من هجمات بحرية كثيرة دائمة و مستمرة، و ما كانت تقوم به اساطلها من قنبلة المدينة ، أو انزال الجيوش بها ، نظرا لذلك فإنّ الجزائر أنشأت عددا ضخما من الاستحكامات الدفاعية على

---

[1]- لعرج عبد العزيز محمود ، محاضرات لمقياس عمارة و عمران.....ص،2.

[2]- لعرج عبد العزيز محمود ، المرجع نفسه.

شكل قلاع و أبراج و حصون و طبانات في الأماكن الحيوية للمدينة و البلاد ككل، وكانت هذه المنشآت في مواد بنائها و كتلتها و سمكها و نظامها التخطيطي و تركيبها تخضع لأنواع الاسلحة الهجومية و لأساليب عسكرية مستخدمة في تلك الهجومات، بالتالي تحاول العمارة العسكرية ان تتكيف مع هذه الأسلحة و هذا المنظور نجده في طريقة بناء الاستحكامات العسكرية في سمك الجدران و مواد البناء بطريقة تقلل هذه الوظيف.[1]

لذلك نجد أنً هذه العمارة تخضع لأساليب انشائية، تتوافق مع قدرة قنابل و ما يمكن أن تحدثه في المنشآت، بحيث تنظم المواد مع اختيار نوعيتها الملائمة تنظيما، تجعل القنبلة غير مؤثرة على المنشآت بسبب ميزة الانحدار أو الاعوجاج الموجود بزوايا الاسوار و الحصون و الابراج، وكلها حيل و تقنيات هندسية انشائية، وهذه الخصائص نجدها مشترطة في معظم المنشآت الجزائرية في العصر الحديث، و هي من خصائص العمارة الجزائرية في العهد العثماني.[2]

و حقيقة ان المدن الجزائرية التي كانت معرضة للهجومات العسكرية خاصة الساحلية دون سابق انذار ، و الغزوة تحدث بين فترة و اخرى خاصة في فصل الشتاء، جعل الحكام في تلك الفترة يتأهبون لذلك بإنشاء حصون و ابراج للمراقبة كحصن تامنتفوست ، حصن سطاولي، بالإضافة الى قلاع و حصون تمتد على السواحل الجزائرية،و استخدام المعمار العثماني مواد شديدة القوة و المتانة و الصلابة بأنواعها المختلفة و مواد لاحمة تتسم أيضا بالقوة و سمك معين يتكيف

[1]- لعرج عبد العزيز محمود ، محاضرات لمقياس عمارة و عمران.....ص،3.

[2]- لعرج عبد العزيز محمود ، المرجع نفسه.

مع قوة القذائف و الضربات المتوقعة عليها. هي كلها مؤثرات عثمانية على العمارة المحلية الجزائرية جعلتها مميزة عن باقي الدول المجاورة آنذاك.[1]

كما هو معلوم أنَّ الأتراك لم يأتوا بتخطيط هندسي متميز، عند قدومهم إلى الجزائر في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي، بل أبقوا على الصورة الهندسية لمدينة جزائر بني مزغنى، و كل ما أضافوه أنهم وسعوا عمران المدينة غربا و جنوبا و نشروا طرازهم المعماري الزخرفي على المباني التي شيدوها، أو أعادوا تشييدها أو التي رمموها، و يمكن تطبيقه على كل المدن التي دخلها الأتراك بالأخص المدن التي تحوي نماذجنا المدروسة وهي القليعة، مليانة، شرشال و المدية.[2]

لكن المؤكد حسب بعض المصادر، أنَّ الأتراك قد أدخلوا على الجزائر و تونس طرازا عصريا من التحصين، مستلهما في قليل أو كثير من النماذج الاوروبية، و قريب الصلة قربا لابأس به من الأعمال التي أنشئت هنا وهناك على ساحل المغرب الأقصى[3]، و من بين الاستحكامات الجديدة الطبانات•، فقد كانت تتخلل الحصون المتناثرة على ساحل مدينة الجزائر عدد هائل من الطبانات، بنيت على الرمال و عند الشاطئ البحري، حيث كانت تساهم في حماية خليج المدينة، كما

---

[1]- لعرج عبد العزيز محمود ، محاضرات لمقياس عمارة و عمران.....ص،4.

[2]- بلبوات بن عتو، المدينة والريف، ج2 .....ص،ص،112-115.

[3]- بيرتون بيج، المرجع السابق، ص، 52.

• تعريف لكلمة تركية الأصل Tabbana ، بمعنى ل Topkhané ، وتعني بطارية المدافع، وهي الوحدة التقنية والمكان الذي توضع وتهيأ به المدافع و هي كلمة مركبة من كلمتين طوب وتعني المدفع وخانه وتعني البيت أو المكان الذي يضم هذه المدافع. و يطلق علميا في بعض لنصوص التاريخية القديمة منها و الحديثة تسمية البطارية Batterie ، و هي ترجمة من اللغة الفرنسية و يقصد بها كذلك الطبانة. مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر.....ص،ص،30-31. للمزيد اكثر انظر فصل المصطلحات.

كانت تقوم بحماية الحصون المجاورة لها،و كان يتبع كل قنبلة ضد المدينة زيادة بناء طبانات جديدة و ترميم المصابة منه. [1]

أول ما قام به العثمانيون حي وصولهم مدينة الجزائر بقيادة عروج؛انشاء مجموعة من التحصينات على راسها المتاريس التي تعتبر تمهيدا لبناء الطبانات، كما نصب مدفعيته في أماكن متفرقة إزاء حصن البينيون.[2]

فمثلما خلف العثمانيون ثروة أرشيفية هامة، تدل على ما اتسمت به الإدارة العثمانية من عقلانية في التسيير، فإنهم تركوا ثروة مادية لا تقل قيمة عما تزخر به الارشيفات العثمانية من وثائق متنوعة، و تعد شاهدا ناطقا على مدى التطور العمراني الذي حققوه بمختلف إمبراطوراتهم والذي ترجم عن مدى عمق تأثيراتهم الفنية في عديد مجالاتهم.[3]

إنّ دراسة العمارة الدفاعية للجزائر في العهد العثماني، ماهي إلا حوصلة لكل تحصينات المدن الجزائرية في مختلف العهود، فالفترة العثمانية تعتبر حد فاصل بين الخطط العسكرية و التقنيات المعتمدة في هذا الميدان المتوخاة في الفترات القديمة و الوسيطة و التاريخ المعاصر. وقد عرفت مدن الجزائر إضافات و تعديلات في المجال الدفاعي و التحصيني، لتمتين دفاعاتها نتيجة التغيرات التاريخية و التطور الصناعي منذ العصر الحديث، و أمام تطور العتاد الحربي فقدت التحصينات الدفاعية قدرتها امام تطور الاسلحة، مما جعل التقنيات الحربية

---

[1]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر.....ص،ص،30-31

[2]- مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر.....ص،ص،30-31.

[3]- عبد الجليل التميمي،" مستقبل البحوث الاثرية حول المونة العثمانية " السلسلة الثانية : مدونة الاثار العثمانية رقم 8، في اطار اعمال الملتقى العالمي الخامس لمدونة الاثار العثمانية المنعقد فيما بين 21-23 سبتمبر 2001 حول القلاع و التحصينات العسكرية و التأثيرات الفنية العثمانية تحت اشراف و تقديم أ. د عبد الجليل التميمي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، الطبعة الاولى، فيفري 2003، ص، 5.

او كما تسمى بالتكتيك الحربي يعتمد أساسا على تنظيم الجيوش و تسليحها أكثر الأسلحة تطورا.[1]

من هنا يتضح أن الأتراك ساهموا في دعم النظام الدفاعي للولايات أي الإيالات التابعة لهم في شمال افريقيا عموما و الجزائر خصوصا، لأن الهجمات المتكررة للقوى الأوروبية الصليبية الاسبانية و البرتغالية على السواحل، دفعتهم الى تعزيز التحصينات، فبنوا الأسوار حول المدن و هيئوا الموانئ، و شيدوا الحصون و الأبراج، كما أنً تطور المدفعية و الأسلحة النارية الخفيفة دفعهم إلى استنباط تقنيات بناء تتلاءم و هذه الأنواع الجديدة من الأسلحة. من ذلك تعويض الاسوار الحجرية العالية بالحصون القصية ذات الجدران العريضة المبنية بالطابية، و تهيئة فتحات للمدفعية فوق المماشي التي تعلو السور و الحصون.[2]

إنً الجدير بالملاحظة أنً العثمانيين في الجزائر قد أخضعوا كل الساحل و المدن المطلة عليه، اذ كان لها دور فعال في عملية الجهاد البحري و السيطرة على البحر المتوسط، ومن المدن التي حظيت بالحماية العثمانية مدينة الجزائر[3]، بالإضافة إلى مدينة شرشال التي قام عروج بتحصينها فور قدومه اليها و تحويلها إلى قلعة، و من جهة ثانية مصنعا للعتاد البحري و معملا لصناعة الخشب.[4]

من الجوانب التي لمست التأثيرات العثمانية ايضا نذكر؛جانب الزخرفة الفنية فمعروف أن المباني العسكرية التي شُيدت في الجزائر في العهد العثماني معظمها

---

[1]- عبد المنعم برهومي، تحصينات مدينة تونس في العهد العثماني، رسالة ماجيستير في تاريخ العالم المتوسطي ، حضارات تراث و علوم متحفية ، كلية الآداب و الانسانيات ، جامعة منوبة، تونس، 2012، ص،6.،

[2]- نيقولاي ايفانوف، المرجع السابق، ص،200.

[3]- نيقولاي ايفانوف، المرجع نفسه.

[4]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر.....ص،218.

كانت لأهداف حربية دفاعية، و لهذا لم يهتم الأتراك العثمانيون بزخرفتها كما هو الحال بالنسبة لنماذجنا المدروسة، لكن هذا لا يعني أنهم أهملوا هذا الجانب و لم يتركوا لنا نماذج من فنهم، بل بالعكس نجد أنً المهندس المعماري حاول أن يجمع في هذه المنشآت العسكرية بين العمارة المدنية مثل ما نجده في الثكنات و السجون و بعض أقسام القلاع و القصبات، كما جمع بينها و بين المرافق ذات الخدمات المشتركة كالمطابخ و النوادي التي تجمع بين المقهى و الدكاكين المعدة للأعمال الادارية.[1]

ما يلاحظ على المباني العسكرية في مدينة الجزائر عموما في العهد العثماني؛ أنها بنيت على القانون أو الطريقة المحلية في معظمها، لكن ما يميزها عن مباني الفترات السابقة لها الزخارف المستعملة، اذ نجد خليطا من التأثيرات الفارسية و المحلية و العثمانية، و زخارف عصر النهضة أو ما بعدها، وأهم الزخارف على الإطلاق الزخارف الرمزية التي هي في الغالب الهلال، النجمة، و شجرة السرو، و زهرة النرجس و البنفسج و الياسمين، ثم الأسود و الأسماك و الطيور و تاج الملك، بعض هذه الزخارف بسيط، و بعضها في غاية من الأهمية، والكل لا يتعدى ما أباحه الشرع الاسلامي. وقد وجدت على معظم المباني العسكرية نأخذ على سبيل المثال الثكنات كثكنة الخضاريين و ثكنة باب عزون، و كذا الأبراج برج السردين، برج راس المول، برج ما بين فندق امير البحر[2]، ونظيف إلى احتواء هذه المباني العسكرية على مواد استعملت للزخرفة لتزيينها، جعلت هذه الأخيرة كالثكنات و الأبراج و الفنادق العسكرية مثال حي للأبداع الفني، بالرغم من بساطتها من الناحية الزخرفية، و من المواد نذكر الرخام ، الحجر ، الخشب،

[1]- خلاصي علي، القلاع و الحصون.....ص،259.

[2]- خلاصي علي، العمارة العسكرية العثمانية.....ص،133.

القرميد و الآجر، استعملت في الجانب الفني الزخرفي بالإضافة إلى الجانب الانشائي و البنائي.[1]

ما ميز الفن العثماني بالجزائر ايضا؛ استعمال الخزف الملون أو البلاطات الخزفية الذي يعرف بالزليج[2]، و تعد من المواد و الأساليب المعمارية و الزخرفية التي شاع استخدامها بكثرة في الجزائر خلال الفترة العثمانية (920-1245هـ /1514-1830م) مقارنة بالفترات السابقة، فصارت تزين كل العمائر الدينية المدنية و كذا العسكرية[3]،زخرفت بها جدران المباني العسكرية بالأخص في الثكنات كثكنة الخضارين وفي الفنادق التابعة للإدارة العسكرية كفندق أمير البحر.[4]

لنعود الى موضوع الأندلسيين و مساهمتهم الفعالة في المجال المعماري الدفاعي، بالنسبة للحكام الاتراك؛ فمعروف أنَّ الأندلسيون كانوا عونا لهم، بل الذين استفادوا من خبراتهم و استعانوا بهم كحاميات اندلسية خاصة في المدن التي أخضعوها لأول مرة، بحيث أوكلت لها الحراسة في أغلب المدن مثل المدية(فرسان أندلسيين مع بعض المشاة من الاتراك). و في هذا السياق يذكر سعيدوني أنَّ الاندلسيون أنشؤوا أغلب حصون و قلاع و أبراج المدن التي استقروا بها[5]. و كما أشارت بن شامة في قولها إلى أهمية هذا العنصر البشري قائلة: "لا نكاد

---

[1]- خلاصي علي، العمارة العسكرية العثمانية.....ص،133.

[2]- خلاصي علي، المرجع نفسه.

[3]- عبد القادر دحدوح،" **التأثيرات المعمارية و الفنية العثمانية بمدينة قسنطينة** "، اعمال المؤتمر العاشر لمدونة الاثار العثمانية و الذي عقد بتاريخ 03-04 ديسمبر 2010 حول – { - المعمار و تهيئة المدن - الفنون و التقاليد عبر الحياة اليومية - }، اشراف و تقديم: د. عبد الجليل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ، تونس، ديسمبر،2011،ص،ص،145-146.

[4]- خلاصي علي، العمارة العسكرية العثمانية.....ص،133.

[5]- سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية.....ص،139.

نتفحص مرجعا يخص التواجد العثماني في الجزائر، إلا رافقته إشارة تشير إلى انتشار الاندلسيين"، وهذا دليل على اهمية هذا العنصر، وارتباطه بتاريخ الجزائر، و بأمور عدة من التحضر من جهة أخرى ، فلم يثروا المدن الواقعة على الشريط الساحلي بنشاطاتهم المختلفة فحسب[1]، فمنهم من قدموا خدمات جليلة للعثمانيين ساعدت على تثبيت حكمهم بالجزائر، كما ساعدتهم في التصدي للاعتداءات الاسبانية، كما تقلد الاندلسيون مناصب عدة في الإدارة و الجيش، لمعرفتهم استعمال السلاح الناري، وكان يترك حامية أندلسية في المدن التي شارك في تأسيسها الاندلسيون مهمتها حراسة تلك المدن،وبالتالي استفادت من الدعم البشري و العسكري.[2]

حول مساهمتهم البنائية في الجانب الدفاعي؛نلاحظ مشاركة الأندلسيين بعد استقرارهم في مدن الجزائر في الدفاع عن الجزائر و تحصينها،اذ كان لهم الفضل في بناء مدينة البليدة، مدينة القليعة وأنشئوا أبراجا في تيزي وزو و مدينة الجزائر، ولكن مساهمتهم الكبيرة كانت في مدينة الجزائر كونها العاصمة التي استقطبت عدد كبير و هائل من المهاجرين الأندلسيين خلال الفترة العثماني، و قد تلقوا دعما كبيرا من قبل الحكام العثمانيين في الجزائر.وباعتبارها المدينة المهددة دائما بالخطر الأوروبي وخاصة الهجومات الإسبانية، إذ أحيطت بأسوار تتخللها أبواب كبيرة الحجم، نفذت بطريقة انشائية محكمة بين النظام أو الحزام الدفاعي لهذه المدينة و عددها خمسة و هي باب الوادي، باب عزون، باب الجديد، باب البحر و باب الجزيرة.[3] **(اللوحة(15))**

---

[1]- بن شامة سعاد، المعالم.....ص،44.

[2]- سعيدوني ناصر الدين، دراسات اندلسية.....ص،22.

[3]- J M H B, Itinéraire de royaume d'Alger , L .Laurent, Lib, éditeur sur le port, Toulon , 1830,p,p,38-39.

من انجازات الأندلسيين الدفاعية في مدينة الجزائر، نذكر البرج الذي يقع على الجزر المقابلة لمدينة الجزائر، وقد بُني على صخرة ضخمة في أواخر القرن 9هـ/15م،و قد استخدم هذا البرج كمنارة لإرشاد السفن للمراقبة والاستكشاف[1]*. لقد اشار اليه شوفاليه في قوله :"**لا يوجد على هذه الجزيرة التي تقع على بعد 300م من مدينة الجزائر سوى برج صغير بناه الاندلسيون القادمون من اسبانيا في نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، حيث كان يستعمل كمنارة أو برج للمراقبة**". بالإضافة برج المنار الذي بناه أعراب أحمد سنة 980هـ/1572م على أنقاض برج البنيون الذي حطمه الاخوين عروج و خير الدين سنة 932هـ/1525م، و قد عُرف عند السكان ببرج الفنار، أما عند الأوروبيين فيعرف باسم الحصن المستدير أو حصن المنارة.[2]

من المساهمة الاندلسية أيضا؛ إنشائهم للبطاريات تخللت أسوار مدينة الجزائر و قد لعب هذا النوع من الاستحكامات الدفاعية،دور فعال في تحصين مدينة الجزائر في العهد العثماني، و ينسب إلى الأندلسيين تشييد إحدى هذه البطاريات و سميت بهذا الاسم نسبة إلى العمال و البنائين الاندلسيين، الذي ساهموا في بنائها بأعلى باب الجزيرة **(الصورة(11))**، كما سميت ايضا بطبانة الجمرك نسبة الى المكان الذي كان يدفع فيه التجار الضرائب على سلعهم عند دخولهم المدينة ، و يستبعد

---

[1]- Lespès René ,Op ,Cit ,p. 110.

*اهدّم الإسبان هذا المعلم وأقام القائد الإسباني بيدرو نافاور مكانه حصن البنيون سنة 619 هـ/1510م . واستُغلّ في تفتيش الصادرات والواردات وفُرض على الجزائريين ضرائب وغنائم على مكاسبهم البحرية، ولمّا ضاق بالجزائريين ذرعا من تصرفات الإسبان استنجدوا بالأخوين خير الدين وعروج اللّذين عمِلا على تحطيم هذا الحصن سنة 932هـ/1525م. انظر عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر،ج،3.....ص، 50.

[2] - علي خلاصي، العمارة العسكرية.....ص،55.

انشاء هذه الطبانة* الى الأسطى الشهير المعلم موسى[1]،خاصة وأنه من المهندسين المهرين في الأعمال العمومية بالأخص العمارة الدفاعية.

من أهم المهندسين الاندلسيون الذين كان لهم دور في بناء المنشآت العسكرية نذكر المعلم أو الأسطى موسى**[2] و أبناءه، و كان له الفضل في انشاء العديد من المباني العسكرية،و نذكر من المباني التي أنشأها الأسطى موسى و أبناءه ؛ الثكنة القديمة سنة 1047هـ/1637م، وبرج السردين الذي بناء ابنه ابراهيم بن موسى سنة 1077هـ/1666م في عهد أحمد باشا أطلق عليه "برج السردين"[3]، بالإضافة إلى **باب الجزيرة، حيث** تذكر الكتابة الثالثة أنّ المعلّم موسى ساهم في بناء الأبواب، فبعد سنتين من بناء الثكنة شرع في بناء أهمّ أبواب مدينة الجزائر وهو باب الجزيرة أو باب الجهاد، كما سمي بباب الدزيرة وهي تصغير لباب الجزيرة.

يقع هذا الباب على الواجهة البحرية على نقطة الاتصال بالميناء،ويوجد على مدخل هذا الباب لوح من الرخام ذُكر فيها اسم المعلم موسى، موجودة كما اسلفنا سابقا بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة.[4]

---

* تتميز بضخامتها المعمارية يصل طولها 30 قدما وعرضها 40 قدما، جهّزت بثلاثة وعشرين مدفعا وفتحت على أسوارها سبع عشر فتحة منها تسعُ فتحات في اتّجاه الميناء واثنان تقابلان الناحية الجنوبية وأربع فتحات تشرف على مدخل الميناء واثنتان تتحكّمان في مدخل المدينة المعروف بباب الجزيرة، وكانت تطلق من هذه البطارية طلقات المدافع بعد شروق الشمس وفي يومي عيد الفطر والأضحى. وهدمت من قبل المستعمر الفرنسي لأجل بناء الواجهة الحالية لمدينة الجزائر مهدم. بن مصباح مليكة، المرجع السابق،ص،ص،202.

[1]- بن مصباح مليكة، المرجع السابق،ص،ص،201-202.

** يعتبر المعلّم موسى من أشهر البنّائين الأندلسيين في مجال العمارة العسكرية، فقد كان معلما كبيرا ومشهورا في المباني العسكرية وإنشاء القنوات المائية. عاش المعلّم موسى في الجزائر في القرن 11 هـ/17م، وهو أندلسي الأصل لا نعرف بالضبط إن كان قد ولد في الجزائر أو كان من الأندلسيين المهاجرين، ولكن يُرجح أنّه هاجر إلى الجزائر مثله مثل الآلاف من الأندلسيين الّذين طردوا من إسبانيا إثر قرار الطرد النهائي الّذي كان عام 1018هـ/1609م. انظر حورية شريد، " **الأسطة موسى الأندلسي** ".....ص، 26.

[3]- بن مصباح مليكة، المرجع السابق،ص،202.

[4]- بن مصباح مليكة، المرجع نفسه،ص،ص،208-209.

حسب الباحثة حورية شريد فإنه يوجد كتابات تأسيسية تخلد اسم المعلم أسطى موسى في مجال العمارة الدفاعية نذكر؛ برج تيزي وزو و يعتبر أول أثر يخلد اسم المعلم موسى، حيث عثر حسب الباحثة في كوة قرب مسجد قديم بالمدينة على قطعة حجرية من الشيست الأردوازي، تُلف منها ثلث الكتابة. وللأسف يجهل مكان هذه القطعة، غير أنَّ السيد Leclerc نشر نصها في مقال بالمجلة الإفريقية، يوضح أنَّ البرج يعود الى سنة1025هـ/1619م، بعد اضافة عشرون سنة للتاريخ المكتوب لان الكتابة لم تكن واضحة، و حسب التعليق الذي ورد على هامش المقال فقد أُضيفت عشرين سنة للتاريخ المذكور و يصبح بتاريخ أواخر رمضان سنة خمسة و عشرين و ألف من الهجرة النبوية أي 1025هـ/1619م. و هذا التاريخ يوافق السنة التي كان فيها المعلم موسى يشيد المباني بمدينة الجزائر، حيث كان يعد من أفراد ثكنة باب الجزيرة، و هي الثكنة التي أخذت اسمه فيما بعد و أصبحت تسمى بثكنة موسى.[1]

لكن الباحثة شريد ترى أنَّ إضافة عشرين سنة للتاريخ المكتوب، يوافق السنوات التي قضاها المعلم موسى في بناء القنوات المائية بمدينة الجزائر، فلغاية سنة 1033هـ/1622م كان يلقب بمعلم العيون، ولم يهتم بتشييد المباني العسكرية إلا في ثلاثينات القرن 10هـ/16م كما تخلده الكتابات. و لهذا يجب إضافة ثلاثين سنة للكتابة و يصبح بذلك التاريخ 1035هـ/1625م و هي السنة المناسبة لإنشاء البرج.[2]

---

[1]- حورية شريد، المرجع السابق، ص،28.

[2]- حورية شريد، المرجع نفسه.

نضيف إلى جانب هذه المباني العسكرية؛ الثكنات التي أولى الأندلسيون اهتماما بليغا في إنشائها لأهميتها الوظيفية، فهذه الثكنة المسماة بالثكنة الجديدة و التي تعد من انجازات المعلم موسى الأندلسي بعد عودته إلى الجزائر العاصمة ، فحسب الباحثة شريد فإنّ الأسطى موسى عاد الى الجزائر العاصمة و شرع في بناء الثكنات و الأبواب و إصلاحها، و يُحتفظ حاليا بثلاثة كتابات تذكارية فواحدة لا تزال في مكانها قرب المسرح الوطني للجزائر العاصمة أو مكان يسمى بالدائرة العسكرية، و تحتوي على نص يخلد المعلم موسى ببنائه ثكنة للعساكر سنة 1037هـ/1627م[1]، في عهد السلطان مراد الرابع*، و في زمن حسين باشا[2]** وتقع بنهج ميدي سابقا، أما حاليا نهج محمد علام.[3]

اتّخذت هذه الثكنة عدّة تسميات منها " ثكنة الخضارين" ،لأنها كانت بالقرب من سوق الخضر وسمّيت كذلك " بالثكنة التحتانية أو السفلى" لموقعها، كما سميت " بالثكنة الجديدة" ،لأنّه بنيت من قبل ثكنة أخرى تقع فوقها تسمى "بالثكنة القديمة العليا". أما الكتابتين فمحفوظتين بالمتحف الوطني للأثار القديمة.[4]

نشير من جهة إلى أنّ الأندلسيون شيدوا أغلب حصون و قلاع المدن التي استقروا فيها كقلعة شرشال و بعض حصون مدينة الجزائر.

---

[1]- حورية شريد، المرجع السابق،ص،29.

* السلطان مراد الرابع حكم من 1033هـ/ 1623م الى 1050هـ/1640م.

** حسين باشا احد البشاوات الذين حكموا مدينة الجزائر في العهد العثماني ، تقلد الحكم مرتين المرة الاولى (1036 – 1043هـ/ 1626- 1633م) و المرة الثانية (1047- 1049هـ/1337- 1639م)

[2]- بن مصباح مليكة، المرجع السابق ص، 205.

[3]- بن مصباح مليكة، المرجع نفسه.

[4]- بن مصباح مليكة، المرجع نفسه،205

الخـــــــاتـــــــمة

الخاتمة:

تمثل دراسة التحصينات العسكرية في الجزائر أهمية خاصة في تاريخ العمارة الدفاعية في العهد العثماني،على اعتبار أنها من المصادر المادية الموثوقة على التراث الوطني، مستمدا الحديث عنها، وقد شملت مجموعة معتبرة من الاستحكامات الدفاعية في الجزائر في العهد العثماني متمثلة في أبراج لثلاث مدن و هي الأنابود بمدينة شرشال، برج القليعة بالقليعة و برج المصلى بالمدية بالإضافة إلى أسوار مليانة، بالتركيز على خصائص و مميزات العمارة العثمانية و مدى تأثيرها على العمارة المحلية، وإبراز الدور الذي لعبه الاندلسيون من خلال المساهمة الكبيرة في تشييد العديد من المباني الدفاعية، وذلك مقارنتها بالأحداث التاريخية التي جرت في الفترة المعاصرة لها، لعدم تمكننا من إدراج التأثيرات الاندلسية، بالرجوع إلى أمهات الكتب من المصادر و المراجع. وفيما يلي بيان مفصل للنتائج التي توصلنا اليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

- انطلاقا من دراستنا تمكنا من استخلاص بعض مميزات العمارة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني نذكر تعدد المزاغل على الواجهات الأربع بالنسبة للأبراج ذات الشكل المربع و المستطيل.
- إنّ المعالم المدروسة كلها تعرضت للتغييرات و الإضافات من قبل الاستعمار الفرنسي، وكذا الإهمال الشديد من قبل السكان ما جعل المعلم في حالة مزرية يصعب دراسته لانعدام المعطيات الاثرية،على سبيل المثال برج الأنابود الذي فقد أغلب عناصره المعمارية كالمدخل الرئيسي و الطوابق و كذا سقوفه، مما صعب علينا استخراج خصائص و مميزات البرج،وكذا التأثيرات العثمانية و الأندلسية سواء من حيث التخطيط المعماري، الوحدات المعمارية، العناصر المعمارية بالنسبة للأبراج التي تكاد تنعدم فيها وحداتها المعمارية من غرف

بالنسبة لكل الابراج، باستثناء المزاغل التي أُدخلت عليها مواد حديثة في اصلاحها كمادة الاسمنت، وسور مليانة المجرد من وحداته المعمارية باستثناء المزاغل لنفس السبب.

- إنّ ظاهرة الاعوجاج التي لحضناها في أسوار مدينة مليانة، من مميزات العمارة العثمانية في الجزائر، وهذه التقنية تعد من الحيل الهندسية و الانشائية تدخل ضمن خصائص العمارة الجزائرية في العصر الحديث، قائمة في معظم المنشآت الجزائرية الحربية في العهد العثماني.
- بالنسبة للمساهمة الاندلسية؛ طبانة الأندلس و كذا باب البحرية و الثكنة الجديدة التي أنشاها المعلم موسى الأندلسي بالإضافة إلى الأبراج، هذا المهندس الذي غير مهنته من قائد العيون الى جندي في الجيش الانكشاري.
- بالرغم من عدم تمكننا من استخراج جانب التأثيرات العثمانية من النماذج، يبقى أن العثمانيون كان لهم اثر على العمارة و الفن عموما و العمائر الدفاعية خصوصا في الجزائر، فمع استقرار العثمانيين في الجزائر،ولضمان و سلامة المدن و المواقع الاستراتيجية على السواحل من الغزو الخارجي، و كذا تأمين خطوط المواصلات و الطرق التجارية من اللصوص و قطاع الطرق، حصّن حكام الجزائر المواقع الاستراتيجية بتحصينات واستحكامات بعضها كانت كنقاط للمراقبة كبرج الأنابود و الأخرى كأبراج، لحماية حدود قبائل المخزن كبرج بوغني وسيباو، بينما بنيت بعض الاستحكامات لاستراحة المحلات التي تتجه للمقاطعات وأراضي البيلك لجمع الامن و الحماية، تطلّب عليهم تحصين البلاد بإنشاء استحكامات عديدة، ويدخل في إطار الإجراءات العسكرية الدفاعية التي اعتمدت عليها الادارة العثمانية بالأرياف، في فرض سيطرتها و إخضاع السكان و ربطهم بالحكم المركزي بالجزائر، بإقامة نظام دفاعي يستند على نظام الحاميات العسكرية(النوبات)، لذلك طوقت بسلسلة من الأبراج

العسكرية: برج منايل، برج سيباو، برج تيزيوزو برج بوغني، برج حمزة و برج سور الغزلان. فكانت للدولة العثمانية عدة حاميات عسكرية، و هذا دلالة غلى الوجود العسكري العثماني، و كانت هذه الحاميات و ما يتبعها من عسكر الدرك تشكل حماية للوالي العثماني و للموظفين الاداريين التابعين للدولة، وكانت الدولة تدعم هذه الحاميات بقوات عسكرية نظامية و غير نظامية، يكون افرادها من أهالي التابعة لها، أو من بين افراد القبائل المؤيدة لها.

- يعتمد النظام الدفاعي للجزائر في العهد العثماني كذلك على اجراءات عسكرية عاجلة نذكر :

1- تجريد الحملات الفصلية(المحلات)

2- شن الهجمات الانتقامية المفاجئة (الغارات) من طرف فرسان المخزن و فرق اليولداش(الجند الانكشاري)،التي كثيرا ما كانت تباغت قبائل الممتنعة عن دفع الضرائب أو التي جاهرت بعصيانها و أعلنت عدائها للبيالك.

3- إنَّ التحصينات العسكرية الداخلية لم تكن منفردة قائمة وحدها دائما، بل كانت تشكل سلسلة من الحصون و القلاع و الأبراج المترابطة فيما بينها،وقد انشئت على الطرق الرئيسية و المضايق الجبلية، فرضت المواقع الطبوغرافية الطبيعية موقع كل برج و حصن، و كان الحكام يزيدون في قوة التحصينات بزيادة عدد فتحات المدافع.

4-أمَّا فيما يخص الأبراج فإنها كانت وقت السلم بمثابة عنوان ولاء للسلطة المركزية، كما كانت تقوم بحماية وحراسة الطرق الداخلية و خاصة الطريق السلطانية الممتدة من عنابة الى تلمسان، وكانت الحراسة تتم من طرف المواطنين، اذ توضع قوائم تحدد رجال المداومة.

5-إنَّ الطريقة المتبعة منذ القدم تهدف الى تسلق الأسوار و اقتحام التحصينات، لكن بتطور الاسلحة الهجومية، عمد القادة إلى تقوية الأسوار و توسيع الخنادق

و تشييد المراقب، و كوّنوا انحناءات نحو الخارج لتفادي الألغام وحماية أسس المبنى.

- بالنسبة للأندلسيين؛ فقد كانوا بنائين مهندسين عباقرة في البناء و التشييد في كل مجالات البناء، فكل هذا التنوع الهائل إن صحّ التعبير مدرسة معمارية حلّت إلى الشمال الافريقي عموما و الجزائر خصوصا، بالنسبة للعمارة الدفاعية فقد كانت مساهمتهم كبيرة في هذا المجال، بحيث شيّدوا الأبراج وهي عبارة عن تحصينات مربّعة الشكل مثل برج الامبراطور، و برج شرشال و لما لا برج الانابود و كذا القلاع الّتي تشرف على حماية الأماكن الاستراتيجية للدولة و كذا الثكنات المخصصة لإقامة الجند والأبواب، كما أعادوا بناء قلعة شرشال ودورها، وكان لهم الفضل في بناء مدينة البليدة، وأنشئوا أبراجا في تيزي وزو ومدينة الجزائر، لكن اكبر مساهمة كانت في مدينة الجزائر كونها عاصمة الدولة خلال الحكم العثماني وضمت أكبر عدد من المهاجرين الأندلسيين.
- ذُكر في بعض وثائق سجيلات البيلك، اكتساب الجالية الاندلسية شركات متعددة للخدمات خاصة بالأشغال العمومية و البناء باسم " شركة الاندلس" و التي تعني الشراكة، وهي تخص جماعة من الأندلسيين المهتمين بالإنشاء الهندسي كبناء المنازل و الحمامات و قنوات المياه و كذا التحصينات خاصة، كما تقوم هذه الجماعة بترميم المباني الهشة.
- عمل الأندلسيون على تحصين مدينة الجزائر بإنشاء تحصينات و استحكامات نذكر كأسوار و ابواب مدينة الجزائر(باب الوادي وباب عزون وباب الجديد وباب البحر وباب الجزيرة)، وكذا الأبراج .
- من أهم المهندسين الأندلسيين الذين كان لهم الأثر في بناء المنشآت نذكر أبناء الأسطى أو المعلم موسى، وكان لهم الفضل في إنشاء العديد من المباني

العسكرية نذكر من المباني التي أنشأها الأسطى موسى وأبناءه ؛ الثكنة القديمة (سنة 1047هـ /1637م)،و برج السردين الذي بناء ابنه ابراهيم بن موسى سنة(1077هـ/ 1666م) في عهد احمد باشا أطلق عليه " برج السردين".

في الأخير يمكننا القول أنً تواجد كل من العثمانيين و الأندلسيين في الجزائر قد ساهم الى دفع الفن المعماري عموما و العمارة الدفاعية خصوصا إلى حالة من الإبداع نتيجة تمازج الطرز المعمارية المتنوعة، فقد جاؤوا الأندلسيون بفنيات، تواكبت مع استلام العثمانيين الحكم ، بهذه الطريقة تمكن الأندلسيين من إبراز قدراتهم الفنية في مجال البناء الدفاعي، و بالتالي إضافة إلى الطراز المحلي طراز أندلسي مغربي بلمسات محسوسة تلائم الذوق التركي أي ذوق الآمر بإنشائها عثمانية تركية. و عدم بروز التأثيرات الأندلسية على العمارة المحلية في الجزائر، قد يعود إمًا إلى الضرورة التي حتمها العثمانيون على الفنان الأندلسي، باستخدام الأنماط و الطرز العثمانية، أونتيجة التغييرات والإضافات التي طرأت على المعالم المدروسة خلال فترة الاحتلال الفرنسي من جهة، وعملية الترميم التي غيرت شكل المبنى فطمست كل الخصائص.

نظرا للحالة المزرية التي آل إليها معظم المعالم المدروسة، من خلال المعاينة الميدانية التي قمنا بها تكرارا يوما بعد يوم، دون تدخل السلطات المعنية و أخص بالذكر برج الانابود و أسوار مليانة، نطلب من السلطات المعينة الأخذ بعين الاعتبار هذه المعالم و التعجيل في ترميمها،صيانتها وتعزيزها في أقرب الآجال فهي تعد موروثا حضاريا للأجيال القادمة .

في الاخير هذه خلاصة النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي للمساهمة الاندلسية و التأثيرات العثمانية على العمارة الجزائرية فأرجو أن أكون قد وفقت في المنهج الذي سرت عليه في معالجة هذا الموضوع، و إن ساهمت و لو بالقدر القليل في إعطائه حقه من الدراسة.

الملاحق

ملحق

المخطوطات

الوثيقة (01): رسالة من مسلمي غرناطة إلى سليمان القانوني سنة 948هـ/1541م

عن عبد الجليل التميمي بتصرف

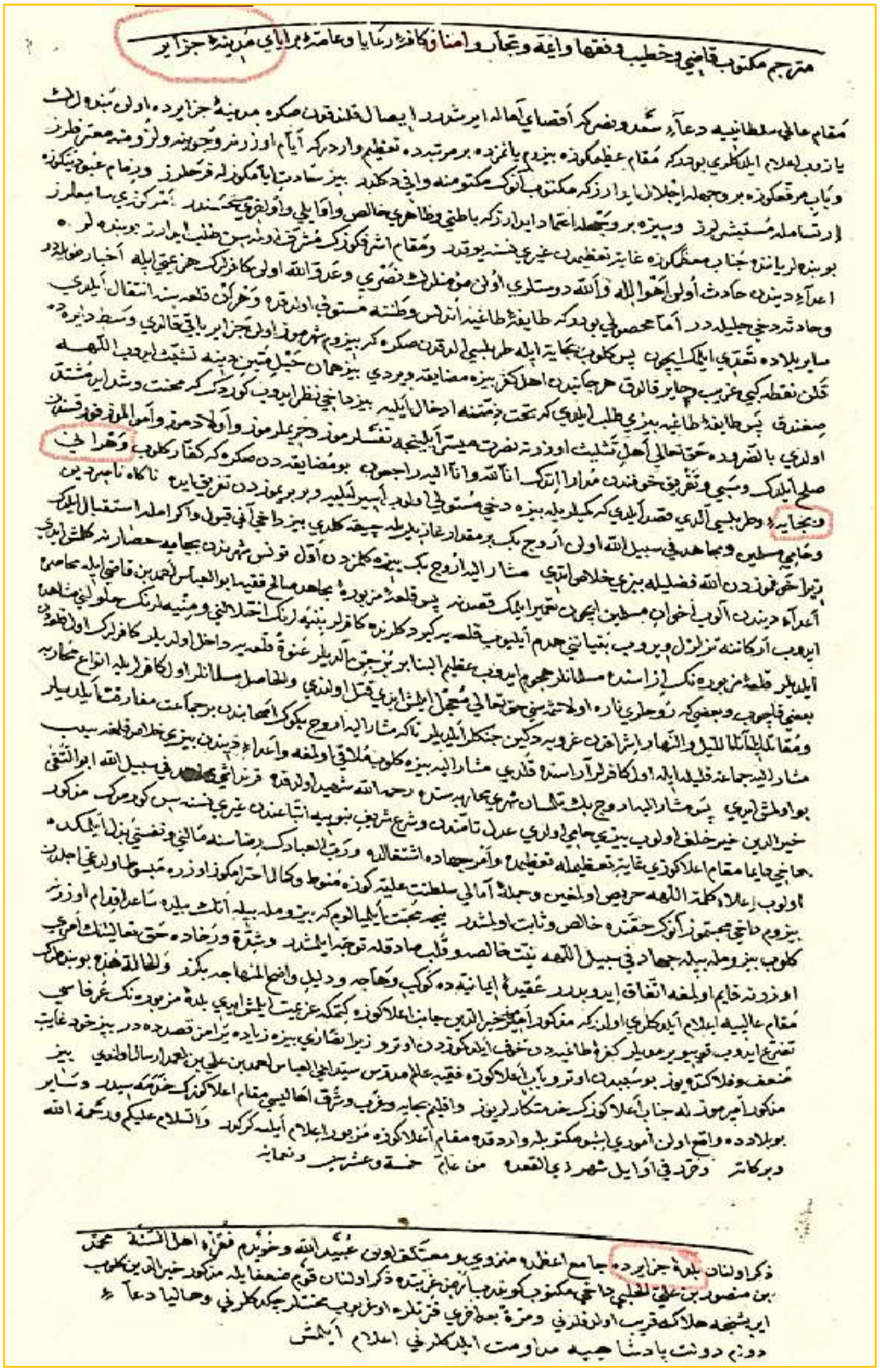

المخطوط **(02)**: وثيقة لرسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول عن عبد الجليل التميمي.

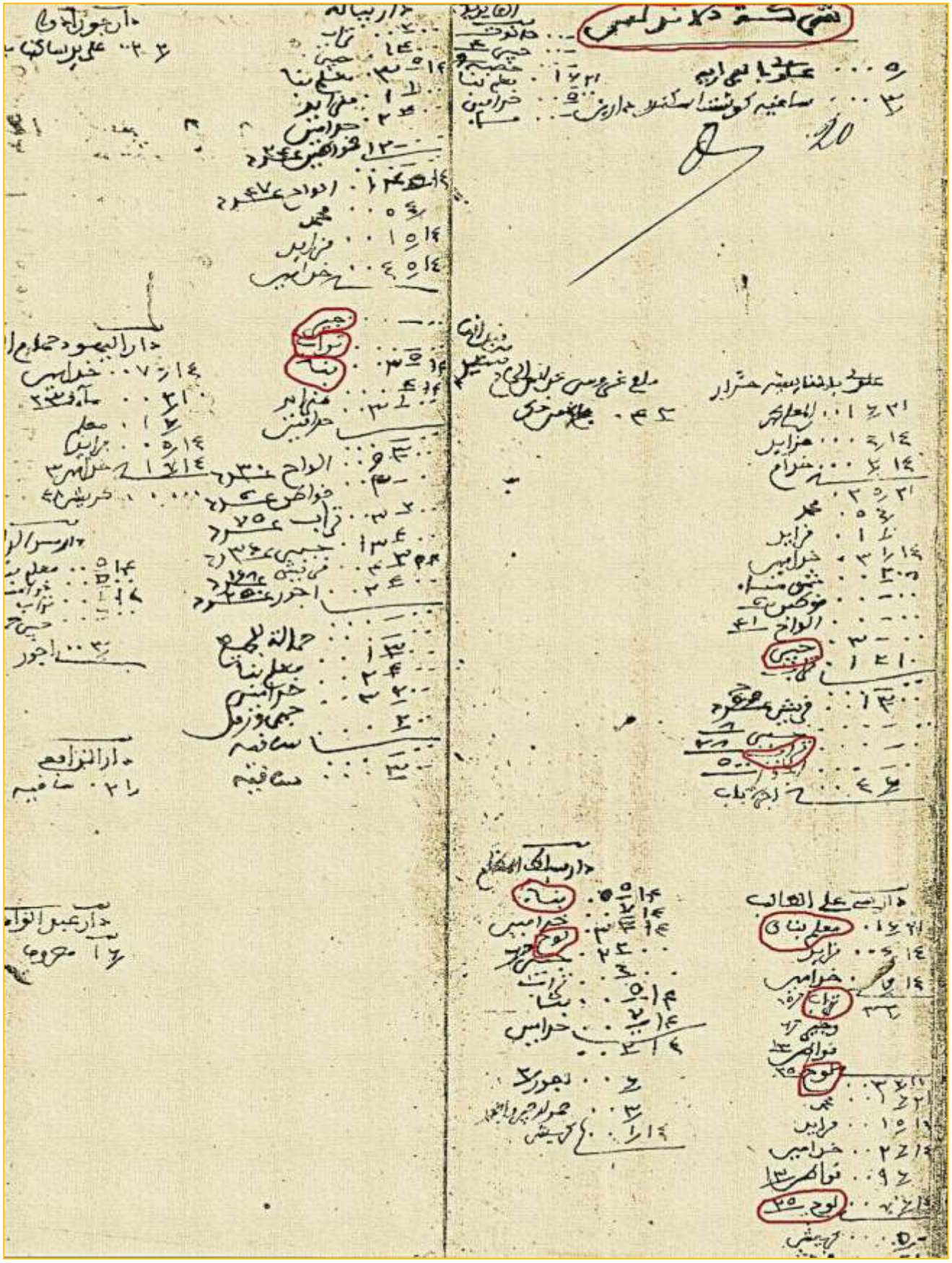

الوثيقة (03): شركة الأندلس ، سلسلة بيت البايلك دفتر رقم 262

عن ميسوم سكينة (بتصرف)

المخطوط (04): بيان ماء حاما

عن دفتر التشريفات بتصرف

ملـــحق

الـــخـــرائط

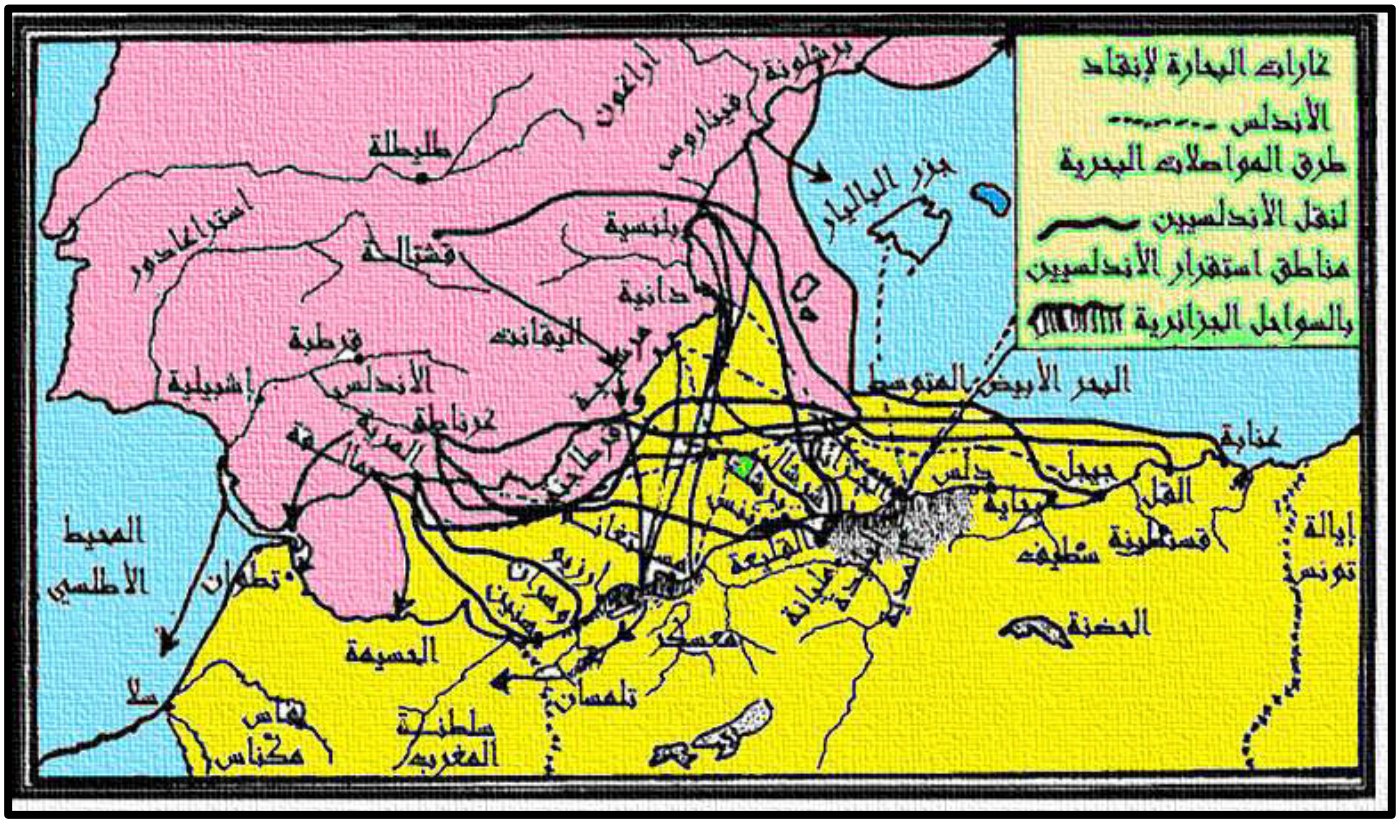

الخريطة(01): الهجرة الأندلسية إلى الجزائر عن ناصر الدين سعيدونى بتصرف

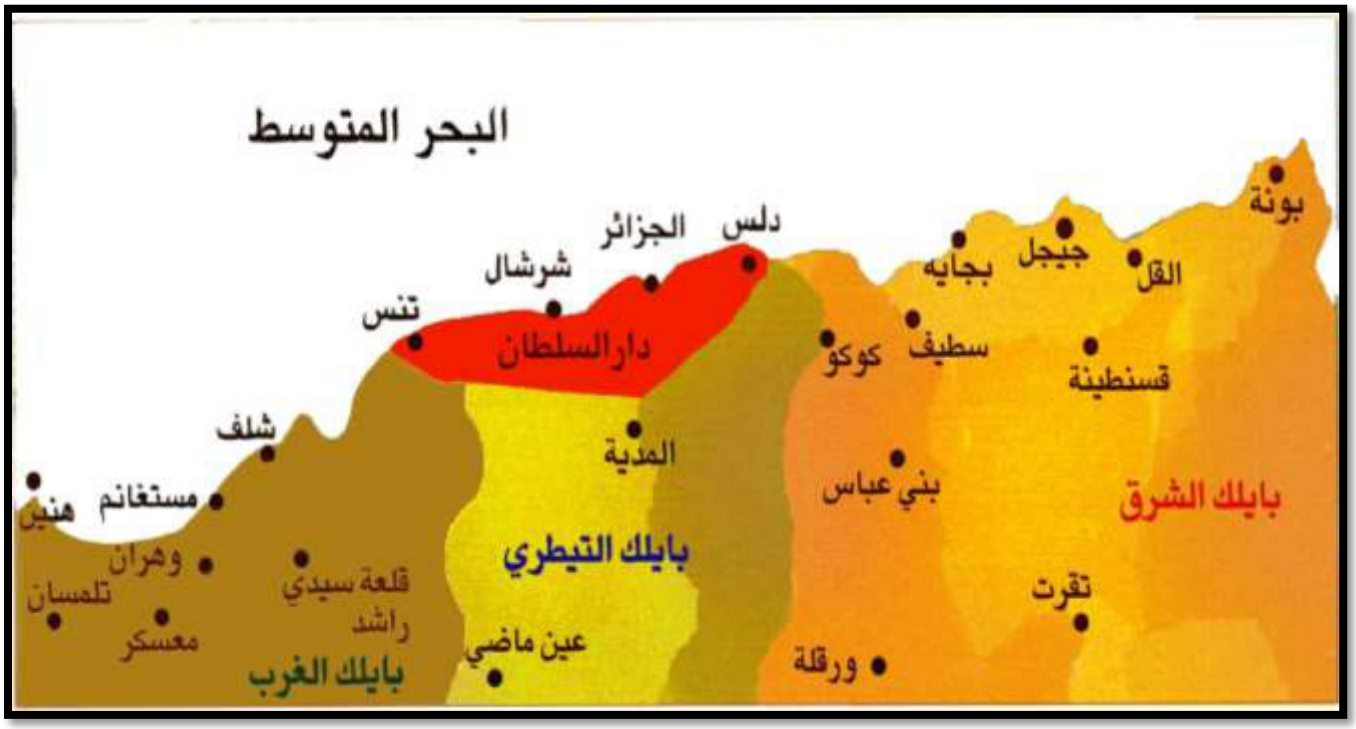

الخريطة(02): التقسيم الإداري للجزائر في العهد العثماني

عبد الرحمان الجيلالي – بتصرف

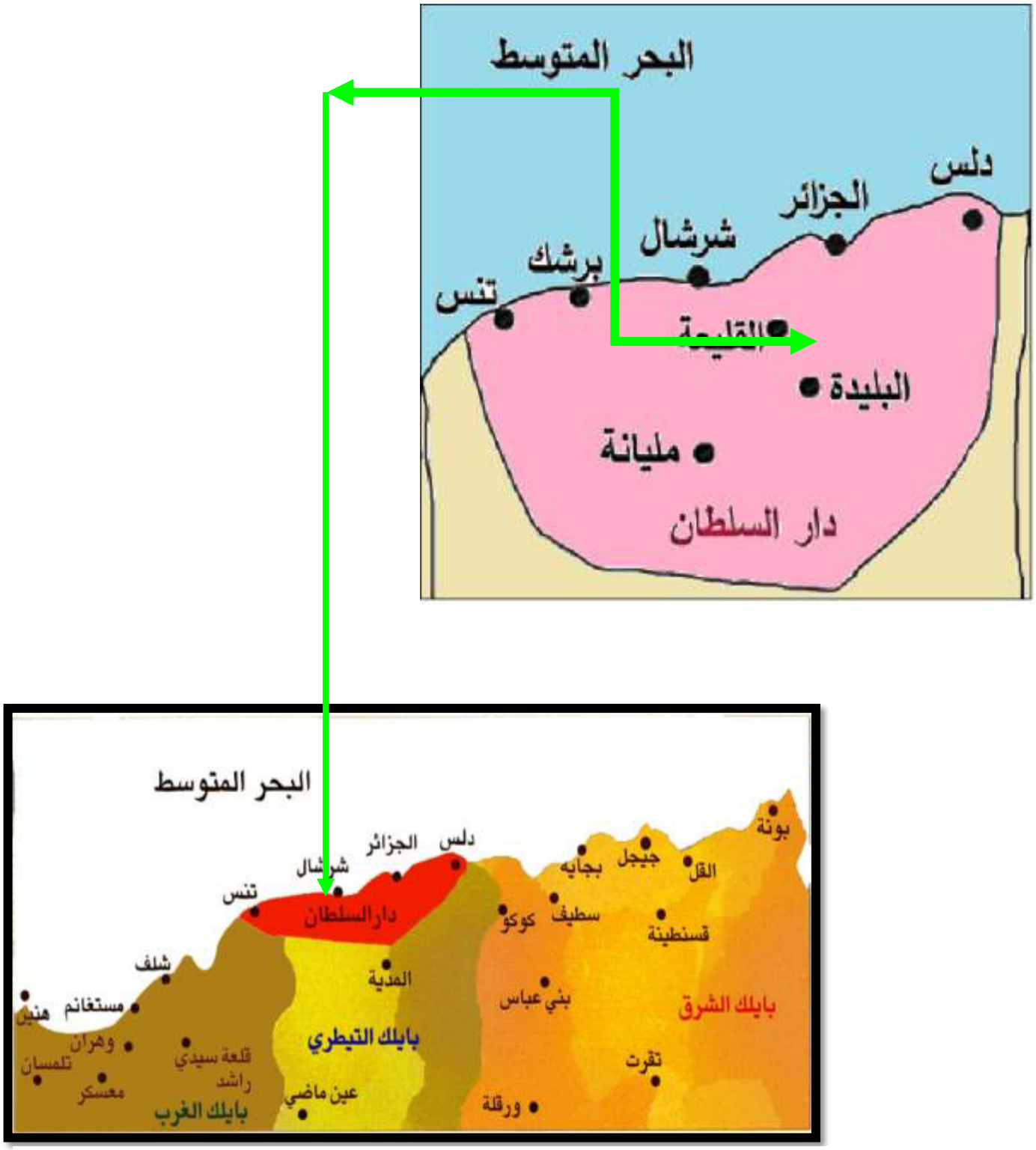

الخريطة(03): دار السلطان

عن عبد الرحمان الجيلالي (بتصرف)

الخريطة (04): بايلك التيطري

عن عبد الرحمان الجيلالي (بتصرف)

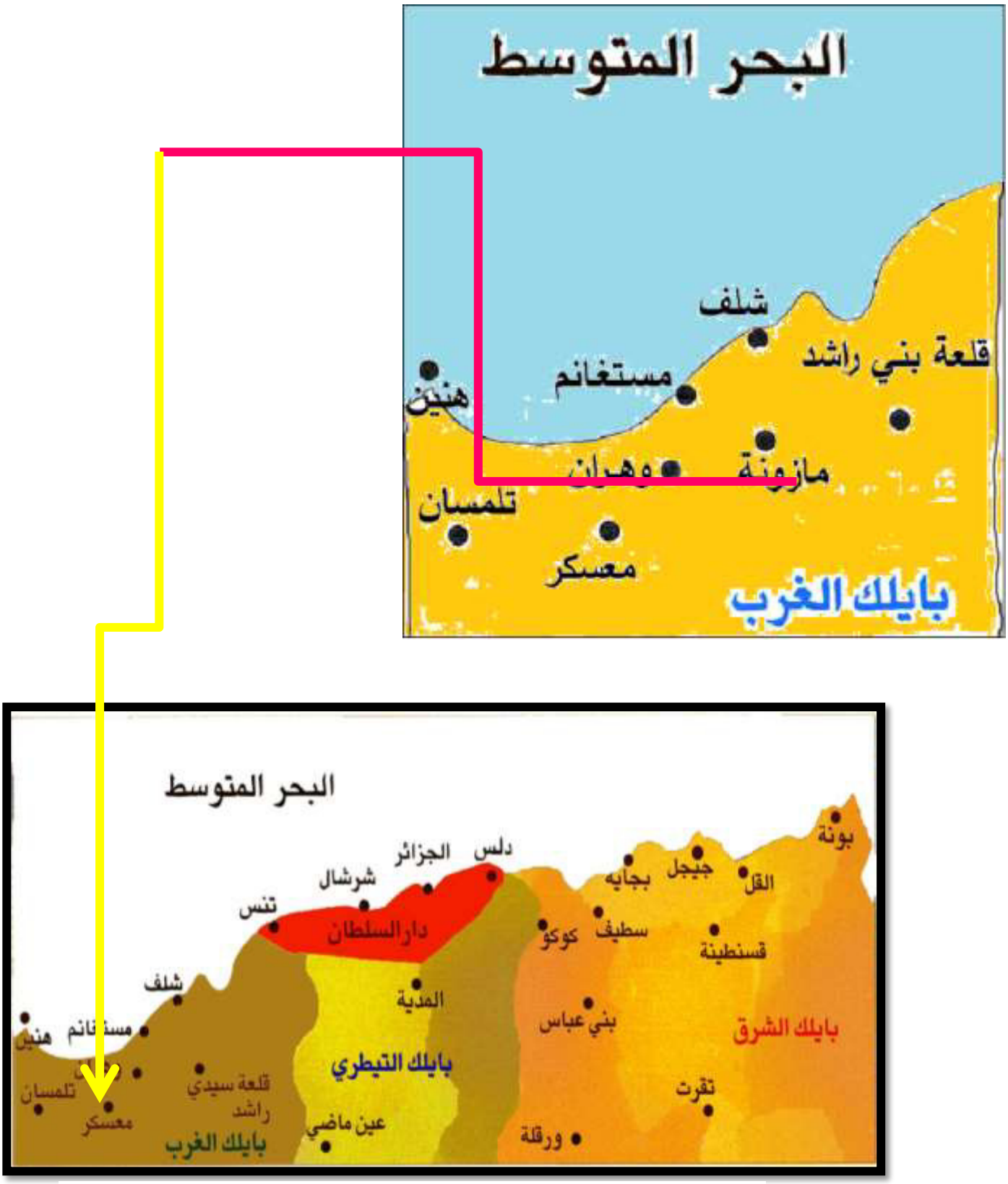

الخريطة(05) : بايلك الغرب

عن: عبد الرحمان الجيلالي (بتصرف)

الخريطة(06): بايلك الشرق

عن عبد الرحمان الجيلالي (بتصرف)

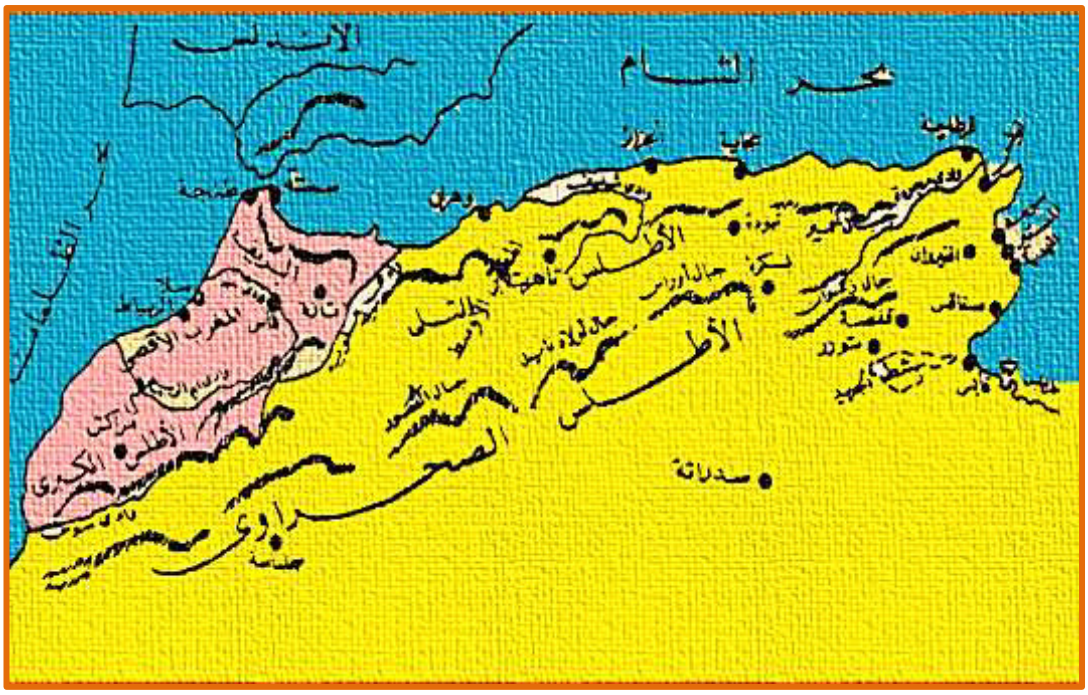

الخريطة (07): بلاد المغرب عن معالم تاريخ المغرب و الاندلس عن محسين مؤنس (بتصرف)

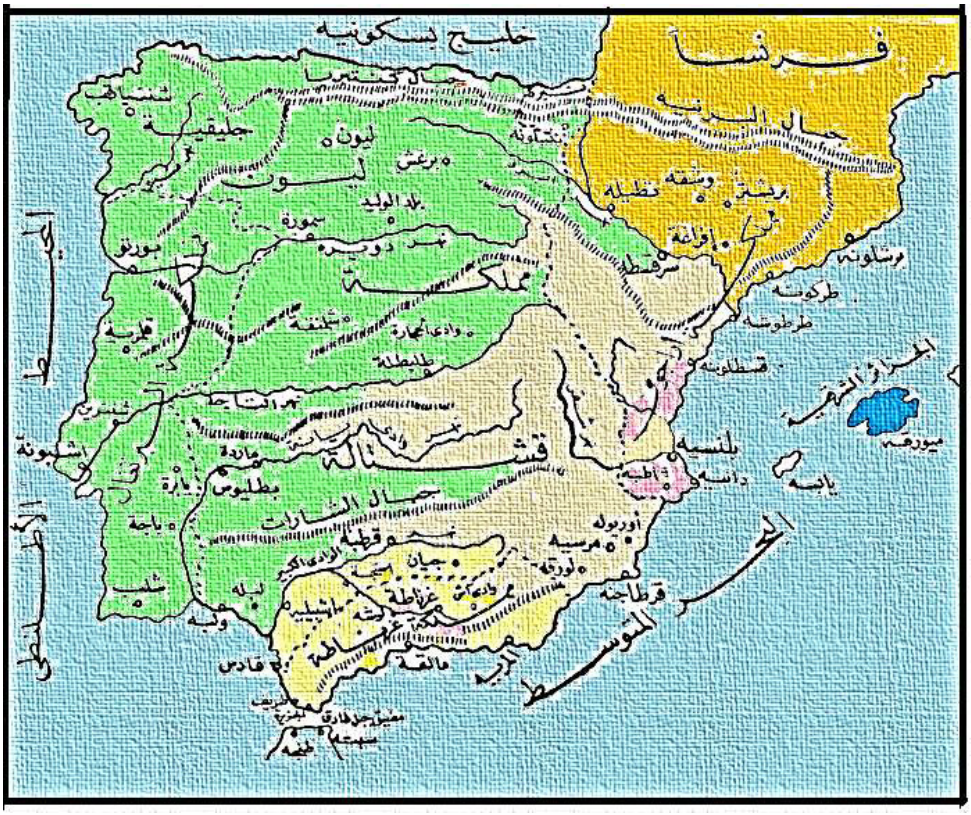

الخريطة (08): الأندلس والممالك النصرانية الإسبانية في القرن 8هـــ/13م

عن محمد عبد الله عنان بتصرف

الخريطة (09): مواطن الهجرات الاندلسية

الخريطة **(10)** : أماكن استقرار الأندلسيين في تونس عن بن مصباح بتصرف

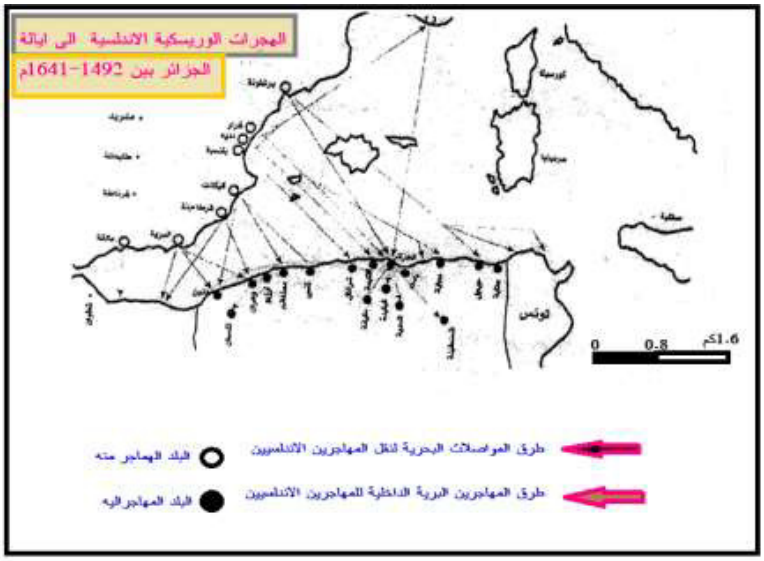

الخريطة (11) : طرق المواصلات في الهجرات الأندلسية

عن هيلايلي بتصرف

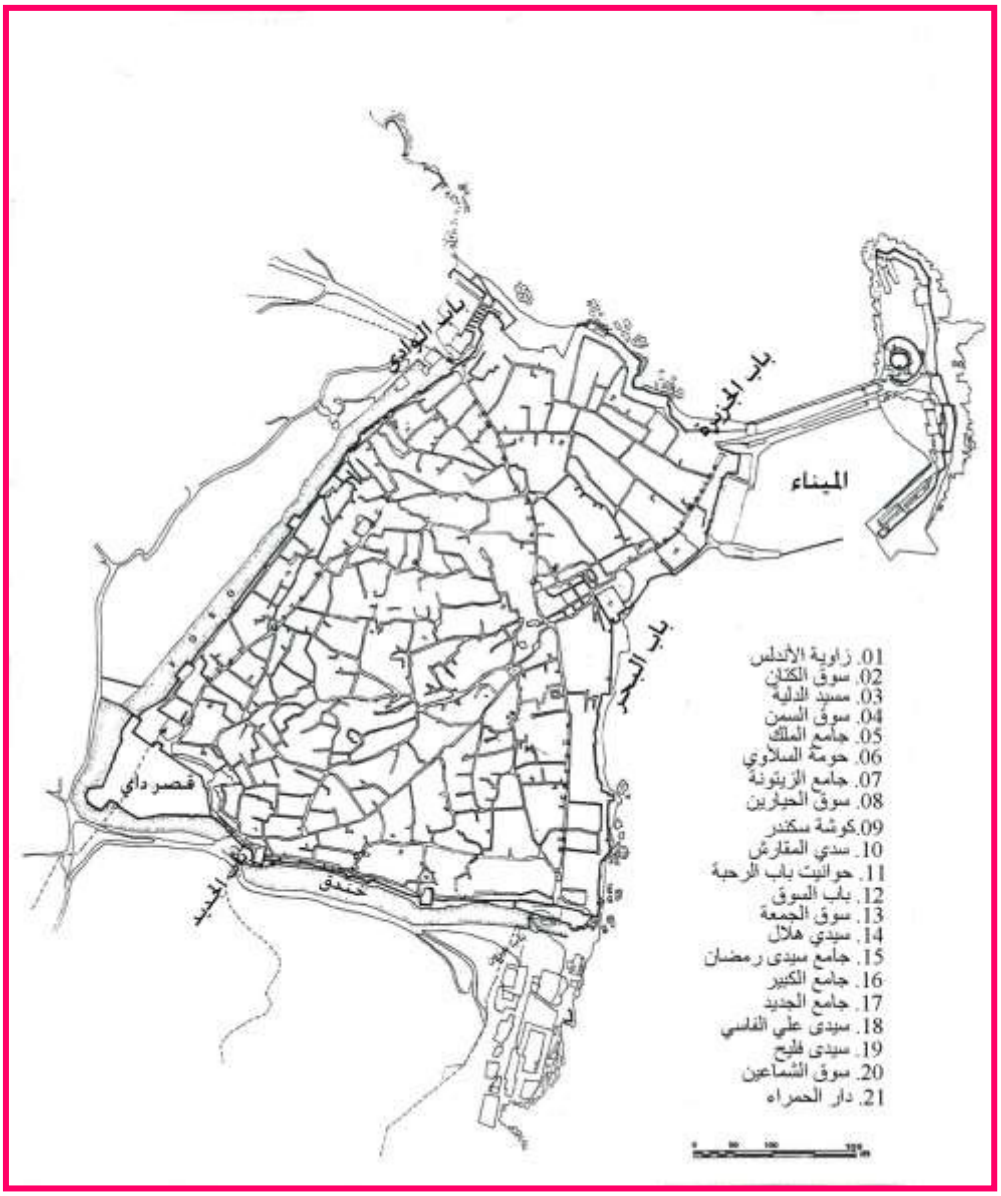

الخريطة(12): اماكن تمركز الأندلسيين في مدينة الجزائر

عن: ميسوم سكيننة (بتصرف)

الخريطة (13) تلمسان في العهد الزياني

عن جورج مارسي (بتصرف)

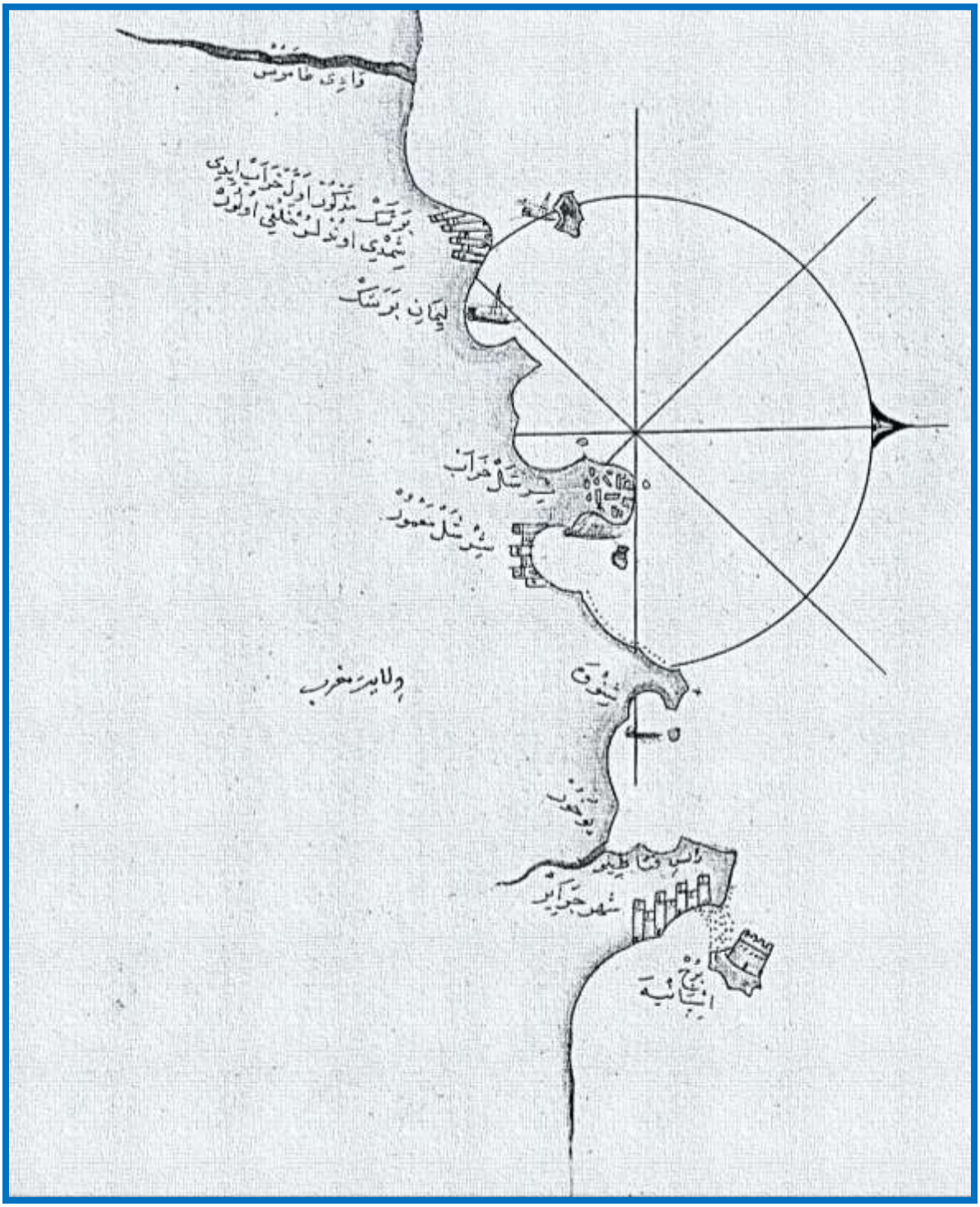

الخريطة(14): موقع مدينتي شرشال وبرشك

عن بن مصباح(بالتصريف)

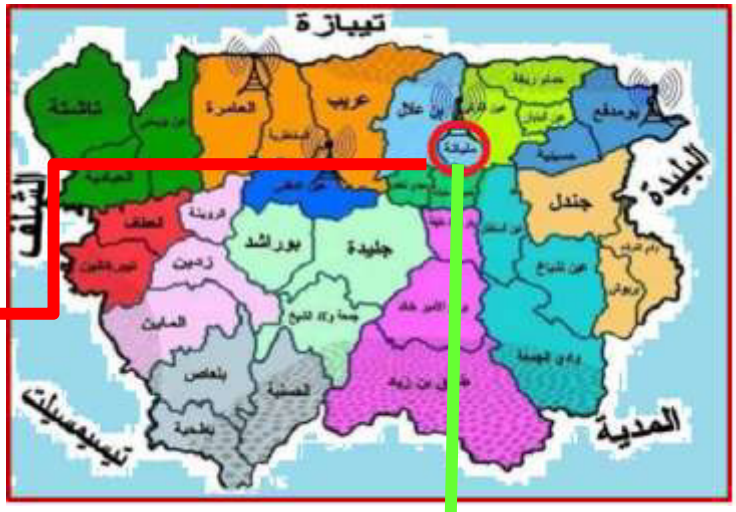

الخريطة أ: موقع مليانة على المستوى الاداري عن مديرية الثقافة لعين الدفلة

الخريطة ب : الموقع الجغرافي لمدينة مليانة 1/50000 عن المتحف البلدي لمدينة مليانة

الخريطة ج: موقع مليانة على المستوى الاداري عن مديرية الثقافة لعين الدفلة

الخريطة د: خريط جوية لمدين مليانة عن Google Earth بتصرف

الخريطة (15): موقع مدينة مليانة

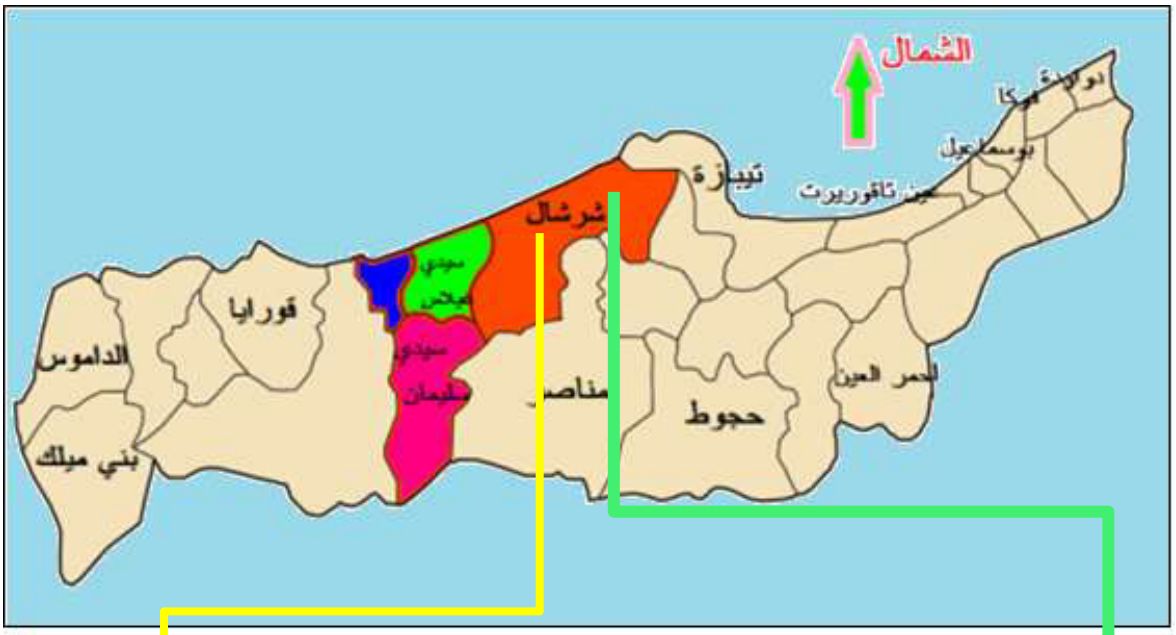

الخريطة(أ): الخريطة الادارية لمدينة شرشال

عن المصالح التقنية لبلدية شرشال بتصرف

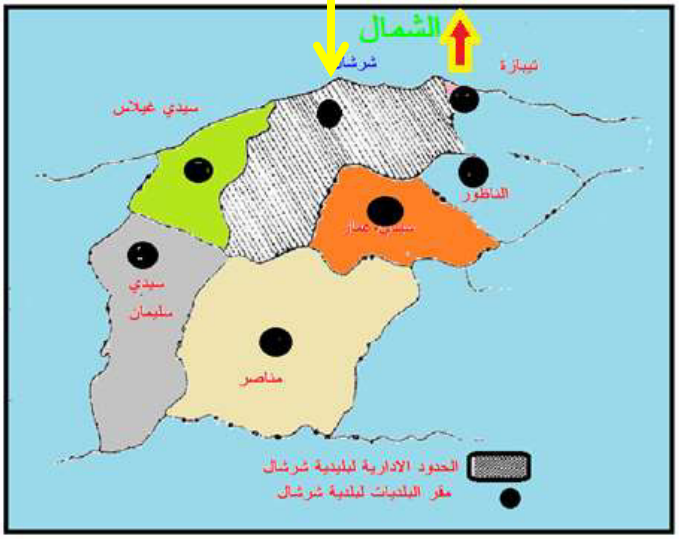

الخريطة(16): موقع مدينة شرشال

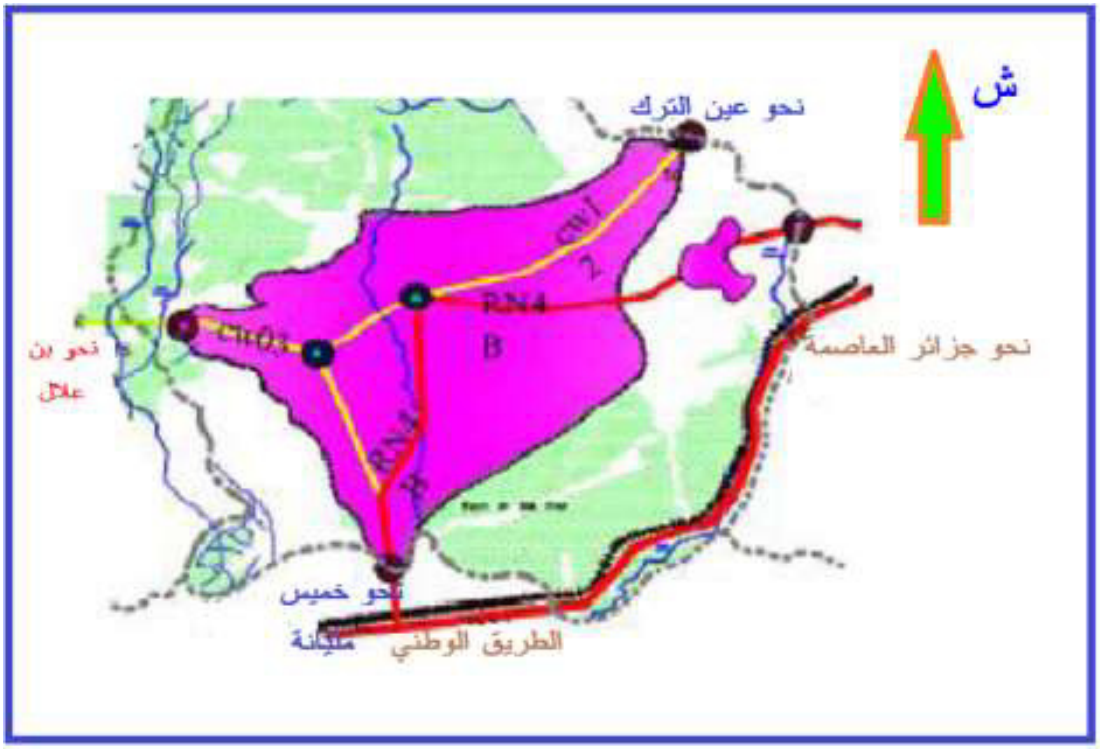

الخريطة(17): الاتجاهات المؤدية الى مدينة مليانة عن كوري يحيا اسامة بتصرف

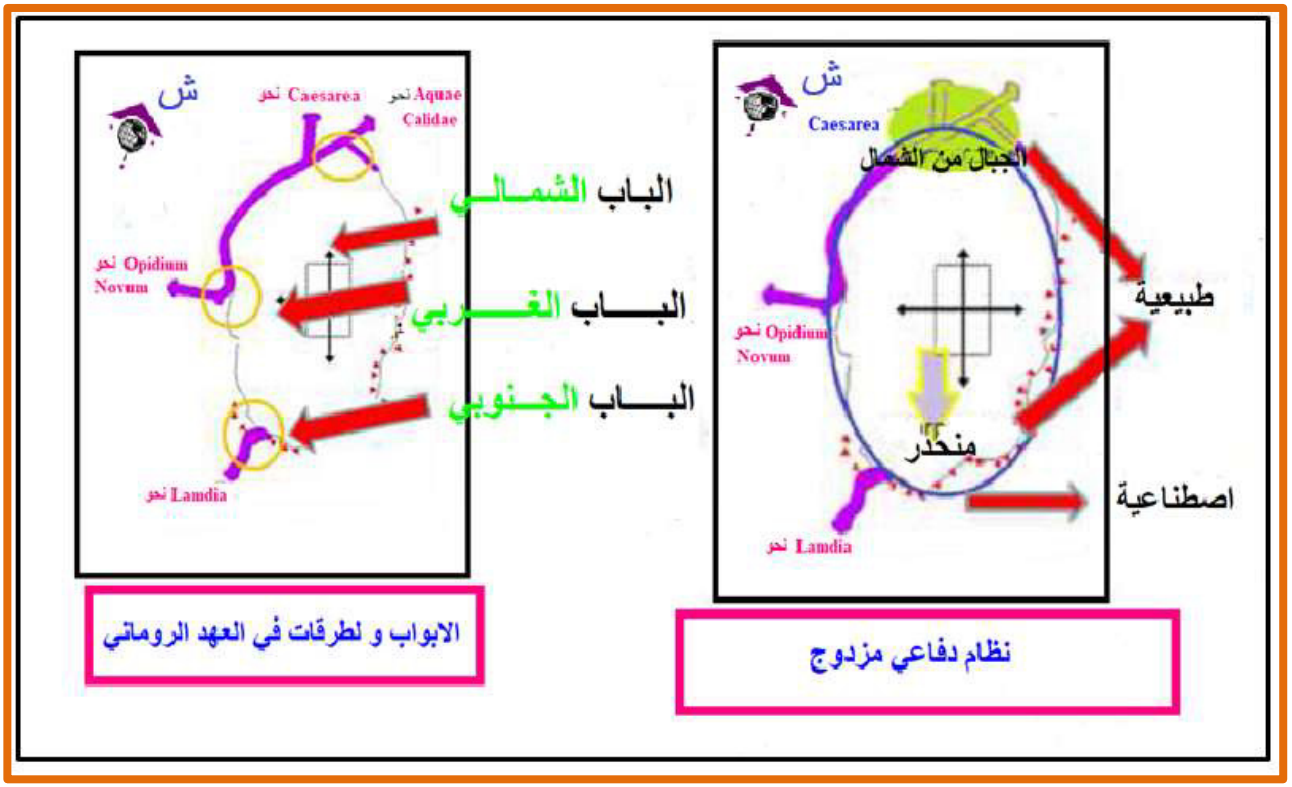

الخريطة(18): ابواب و مداخل مليانة في العهد الروماني عن كوري يحيا اسامة بتصرف

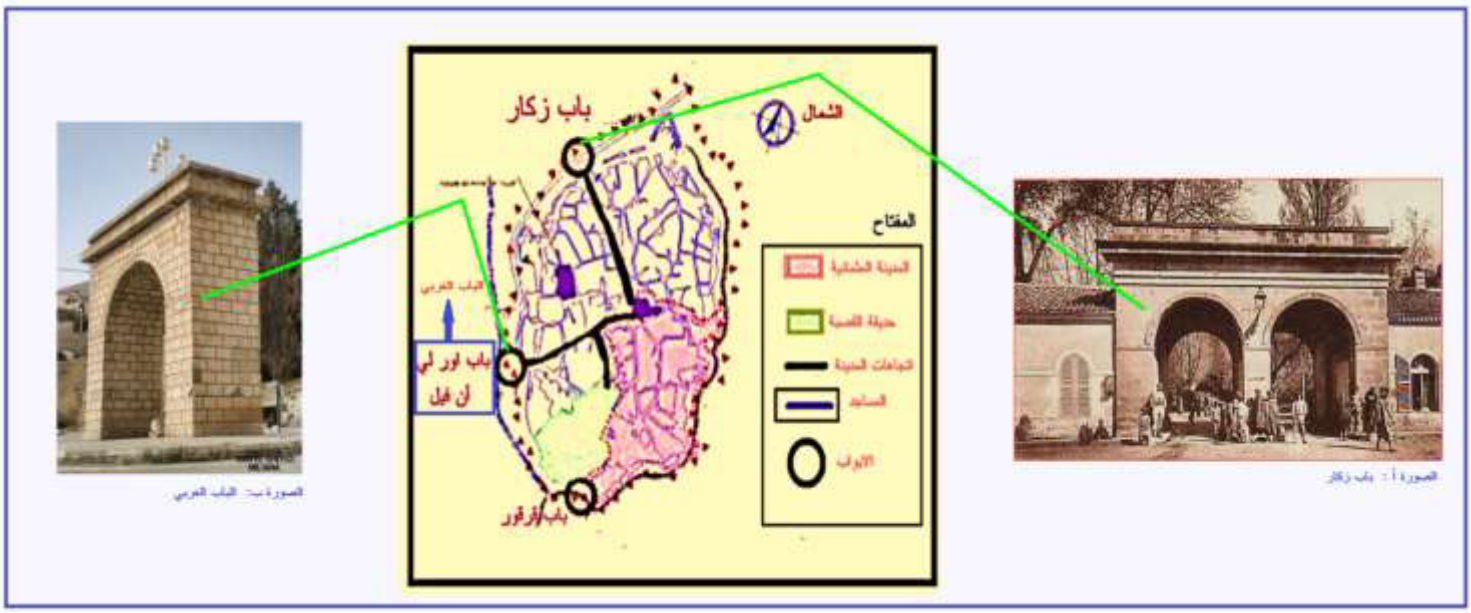

الخريطة(19):مداخل و ابواب مدينة مليانة في العهد العثماني عن كوري يحيا اسامة بتصرف

الخريطة أ : حدود اسوار مليانة في العهد العثماني و الفرنسي

عن محافظ التراث بمتحف دار الامير عبد القادر حيمر

الصورة أ: باب بوتان في فترة الاحتلال الفرنسي عن

الصورة ب: احد اقسام السور العثمانية البناء

الخريطة (20): أسوار مليانة في العهد العثماني و الفرنسي

عن محافظ التراث بمتحف دار الامير عبد القادر حيمر

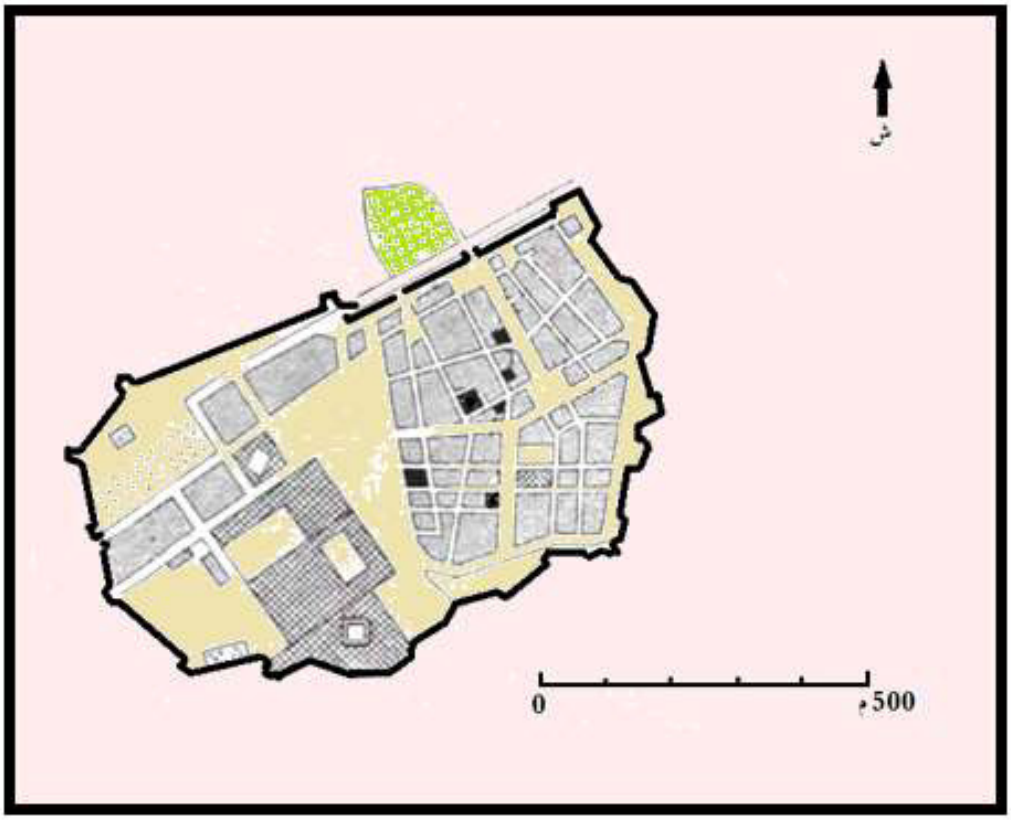

الخريطة أ: اسوار مليانة الحالية عن عباس كبير بتصرف

الصورة: أ

الصورة: ب

الصورتين أ– ب: نماذج من اسوار مليانة في العهد العثماني و الفرنسي

الخريطة (21) : أسوار مليانة و أبراجها المتبقية حاليا

الخريطة أ : التقسيم الاداري لمدينة تيبازة عن **google image** بتصرف

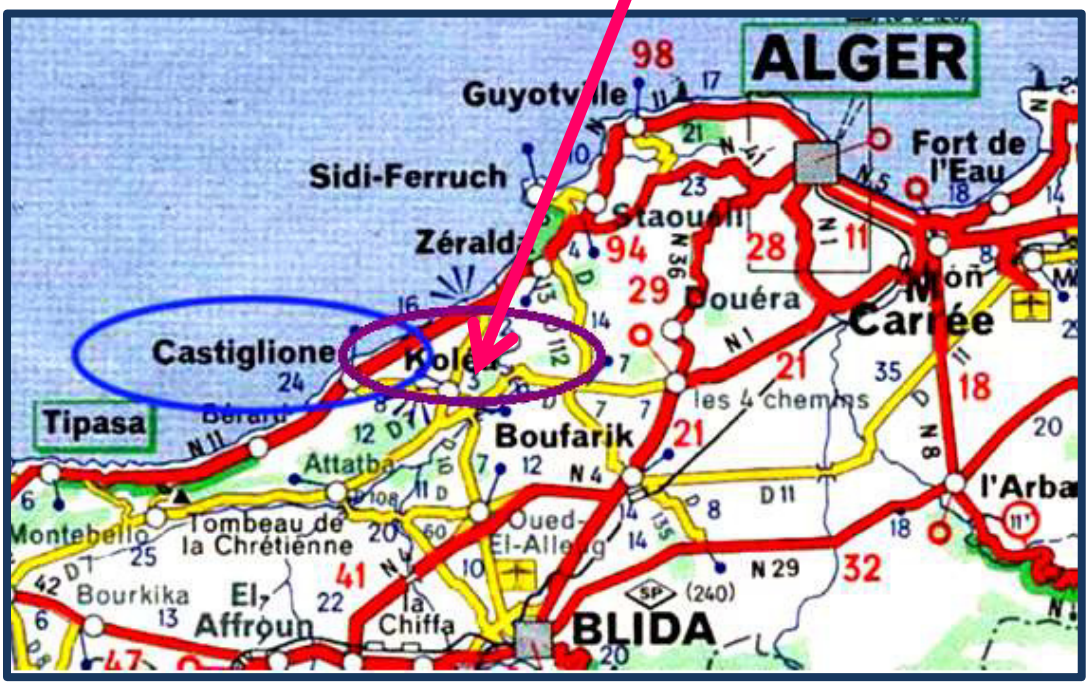

الخريطة ب : الموقع الجغرافي لمدينة القليعة عن **google image** بتصرف

الخريطة(22): موقع مدينة القليعة

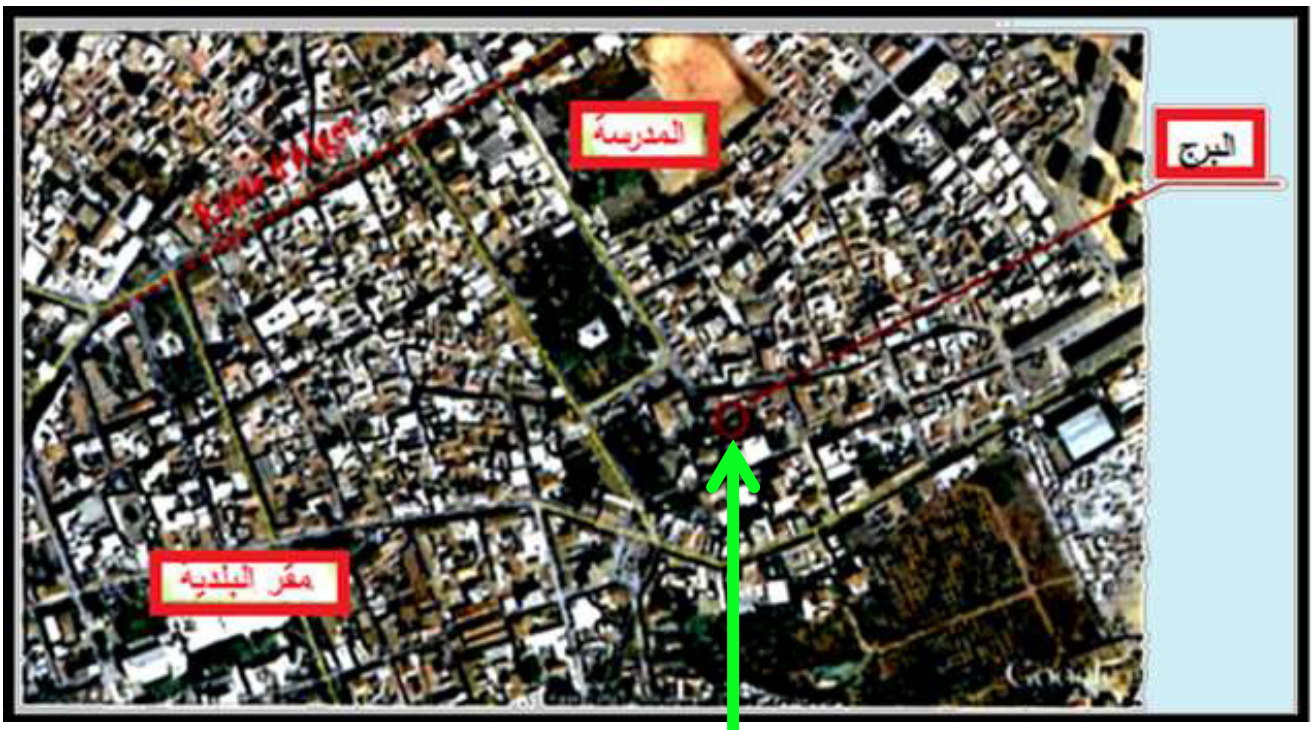

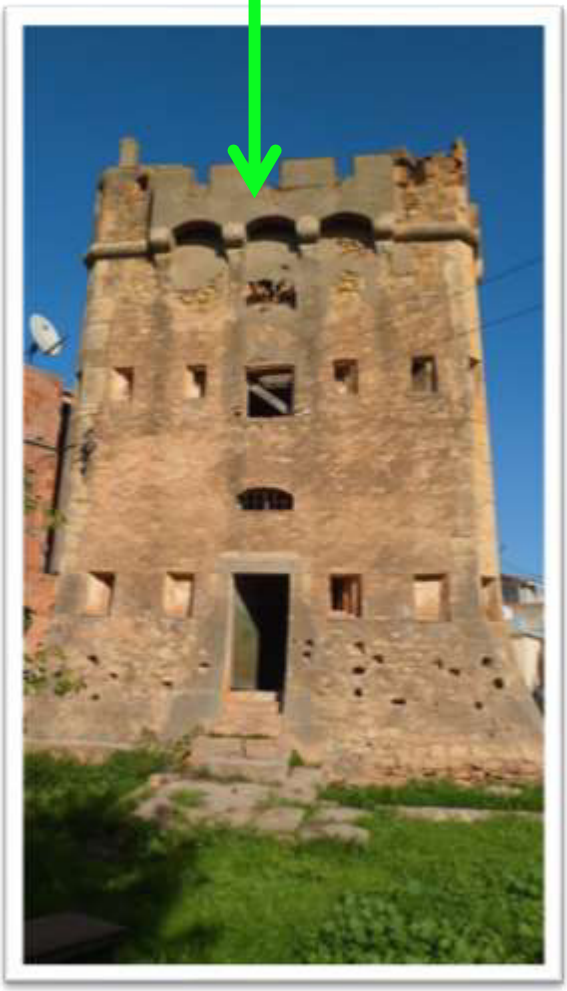

الصورة – أ– برج القليعة

/ رصيد شخصي

خريطة (23): موقع البرج في مدينة القليعة

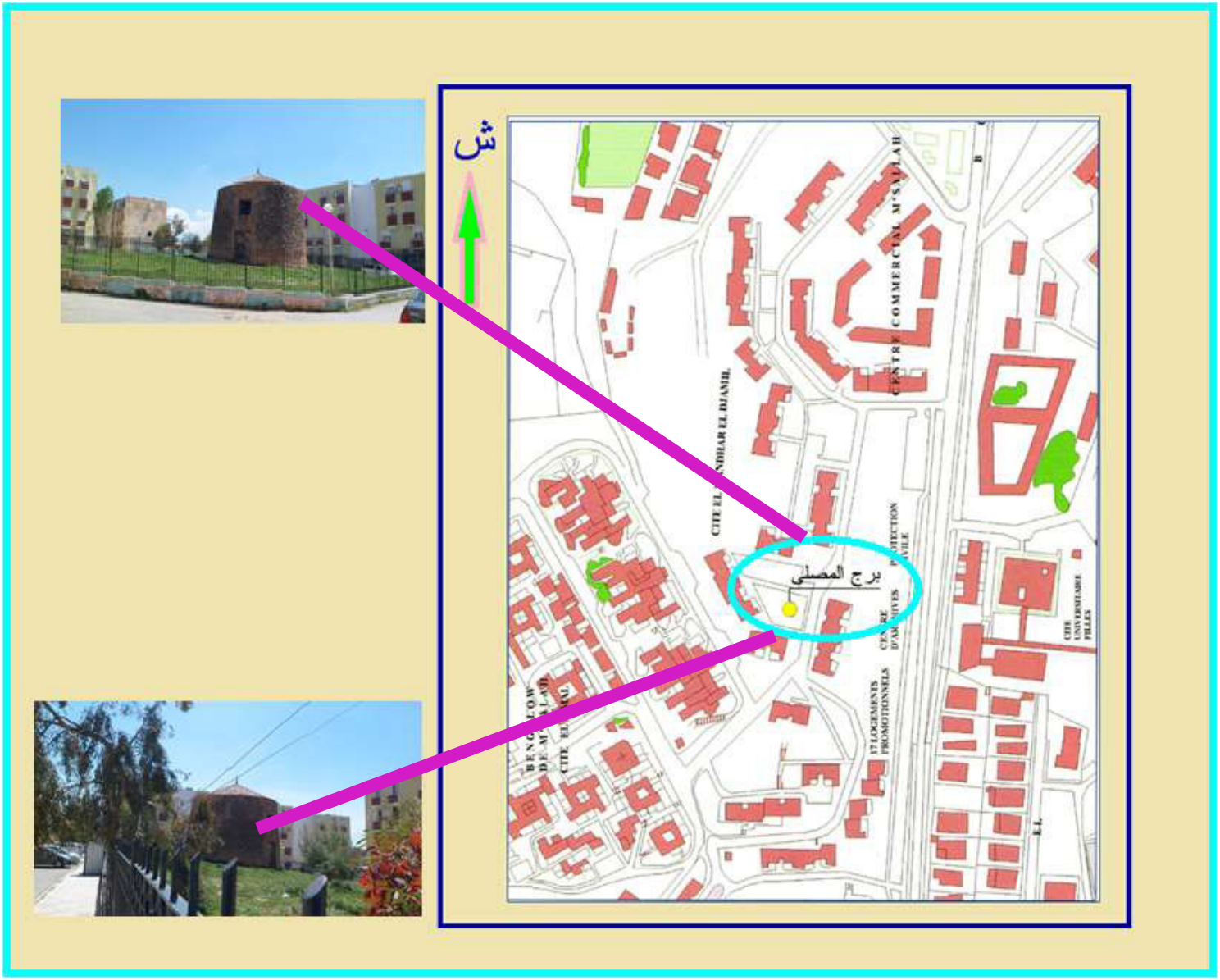

الخريطة (24): موقع برج المصلى

عن مكتب الدراسات – ورشة الابعاد الثلاثة– (بتصرف)

ملـــحق

المـــخـــطـــطـــات

الشكل أ: اقسام القصبة العليا لمدينة الجزائر

الصورة أ : مجسم لقصبة الجزائر العليا

المخطط (1): رسم تخطيطي لبعض الاستحكامات الدفاعية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر

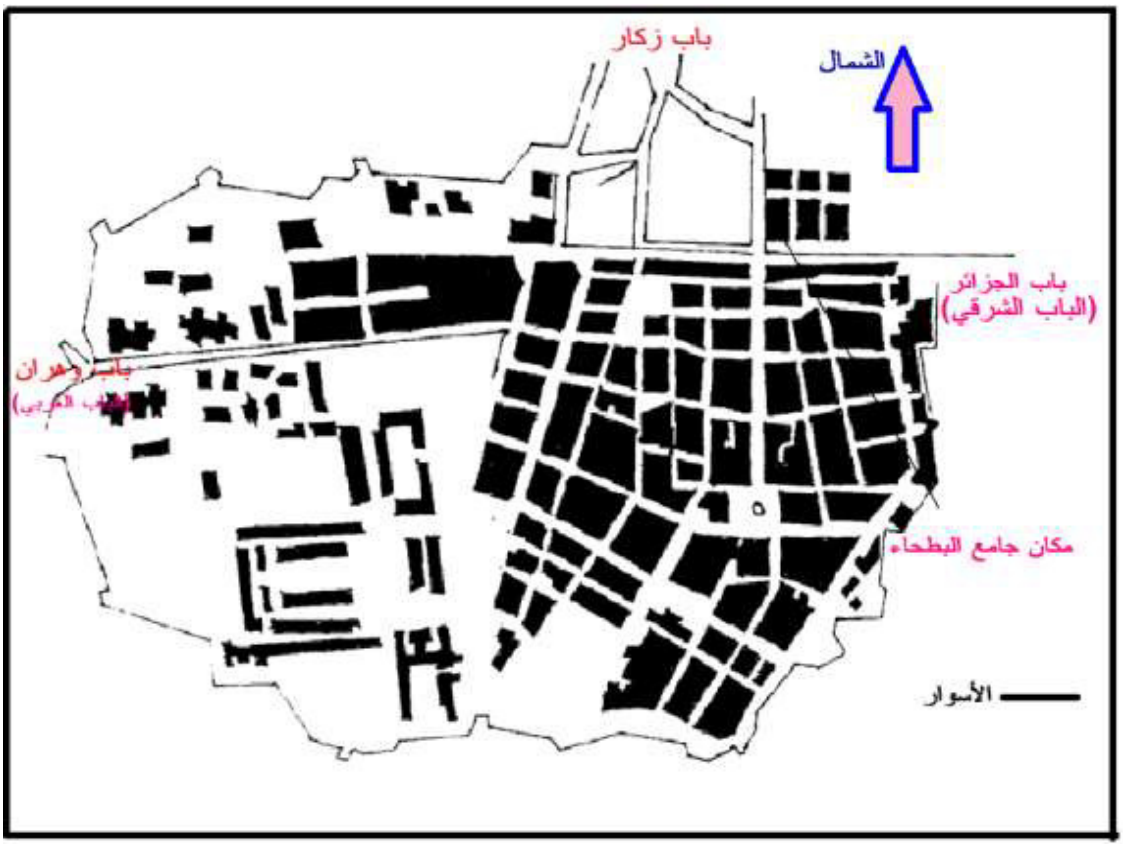

المخطط (02): أسوار و أبواب مدينة مليانة (عن عباس كبير بن يوسف بتصرف)

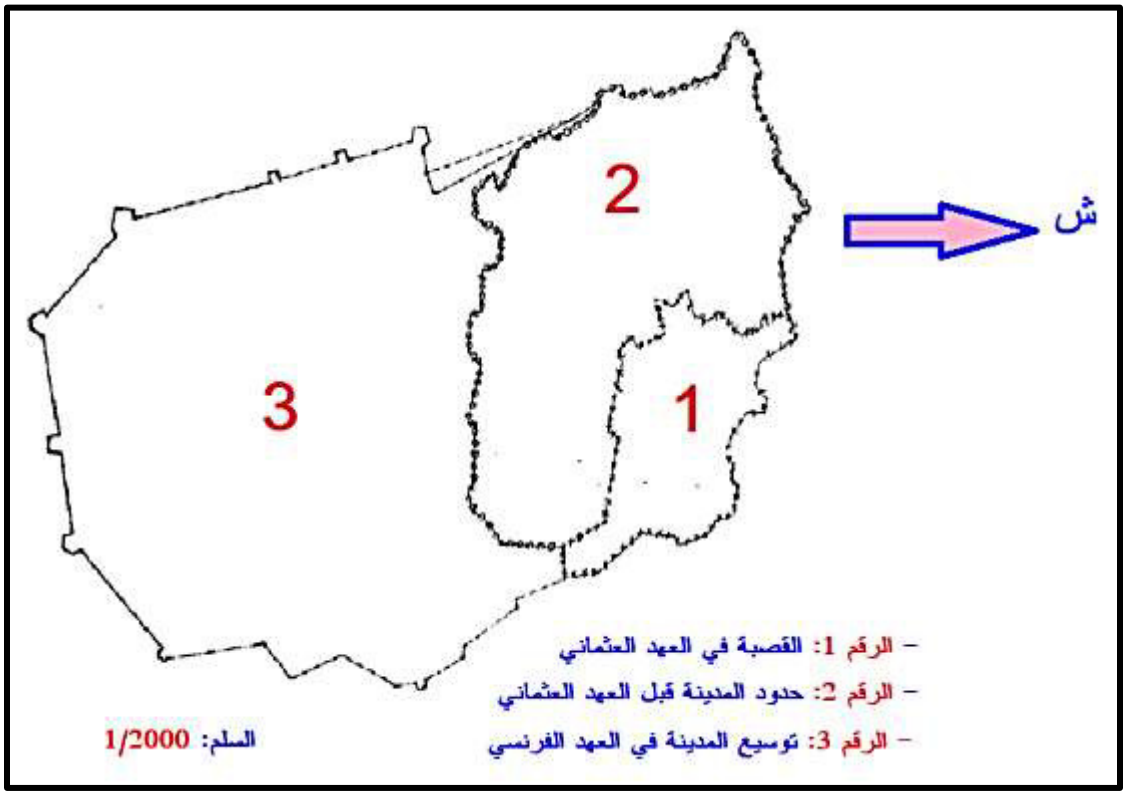

المخطط (03): رسم تخطيطي لتطور مدينة مليانة من بداية الفترة العثمانية الى الاحتلال الفرنسي (عن متحف الامير عبد القادر بتصرف)

الصورة أ: برج الانابود

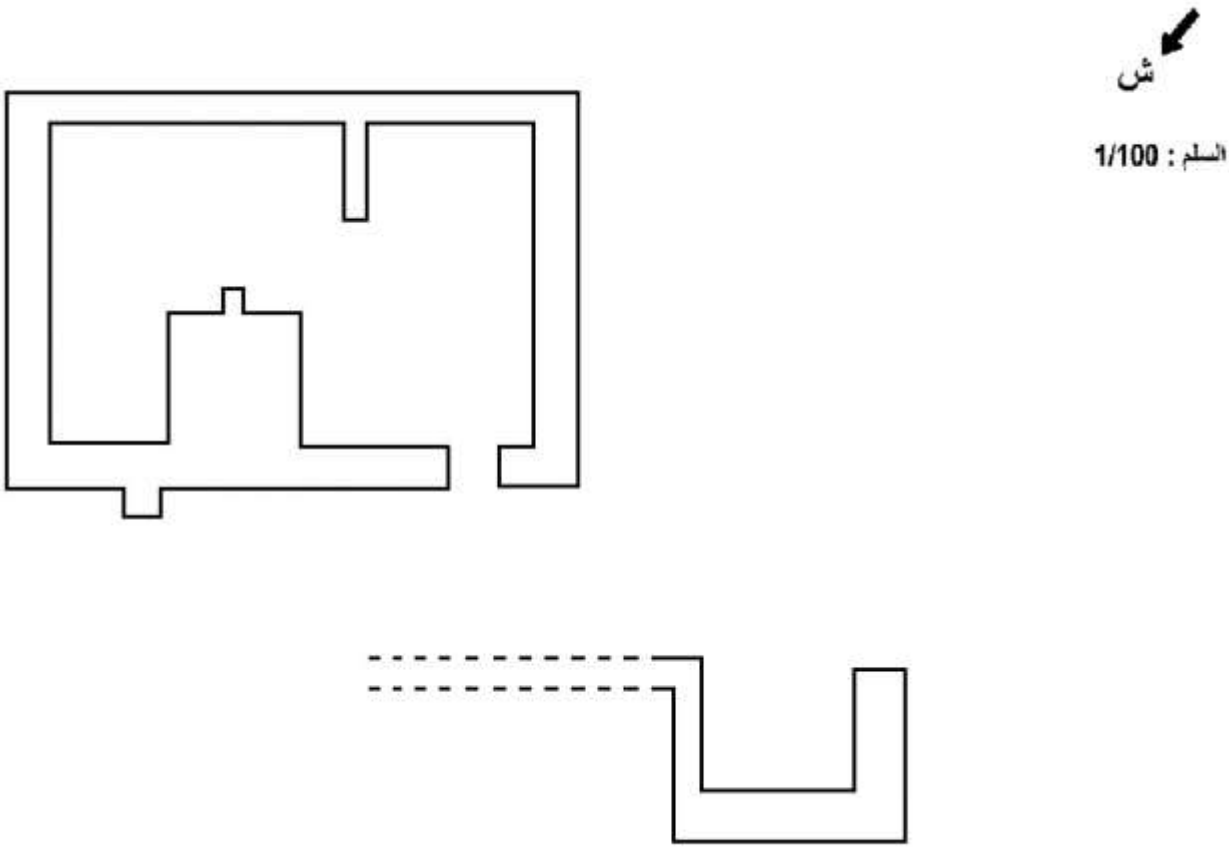

المخطط (04): رسم تخطيطي لبرج الانابود بشرشال من عمل الطالبة

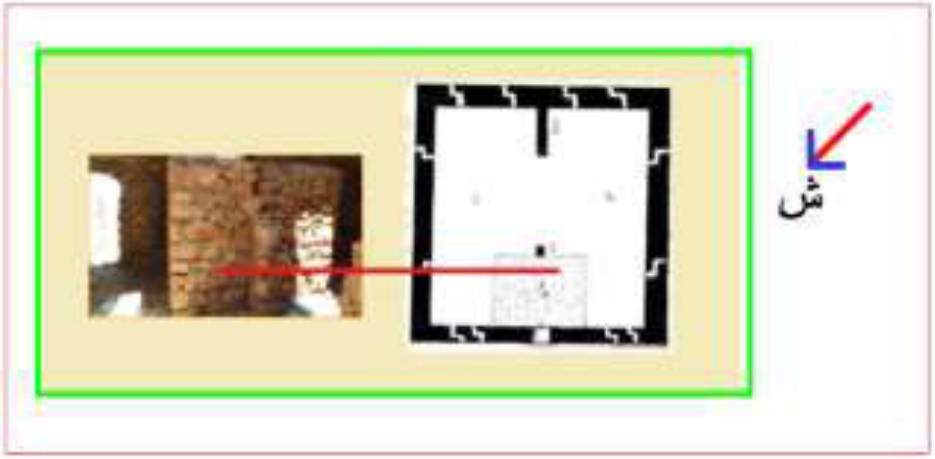

المخطط (05): مخطط الطابق الارضي لبرج الأنابود بشرشال عن بن شامة سعاد بتصرف

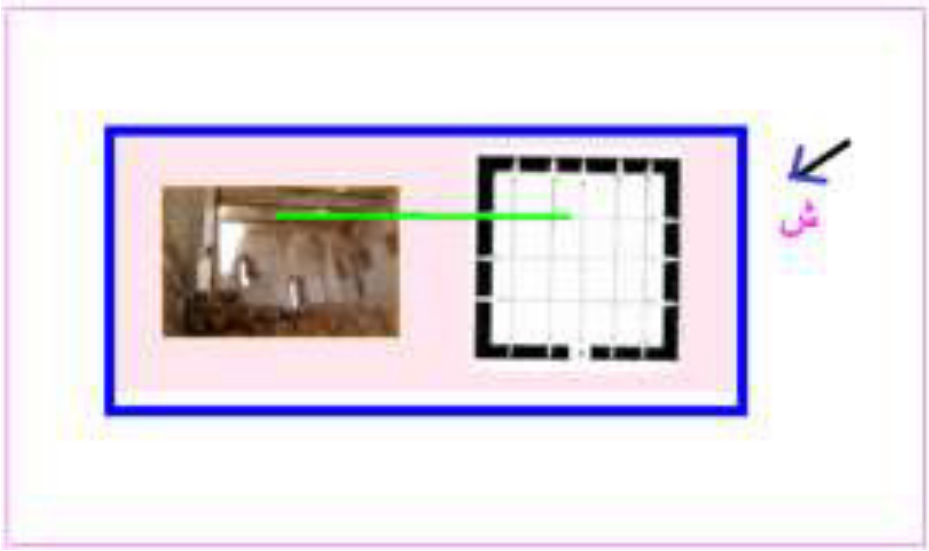

المخطط (06): مخطط الطابق الاول لبرج الأنابود بشرشال عن بن شامة سعاد بتصرف

المخطط (07): مخطط الطابق الثاني لبرج الأنابود بشرشال عن بن شامة سعاد بتصرف

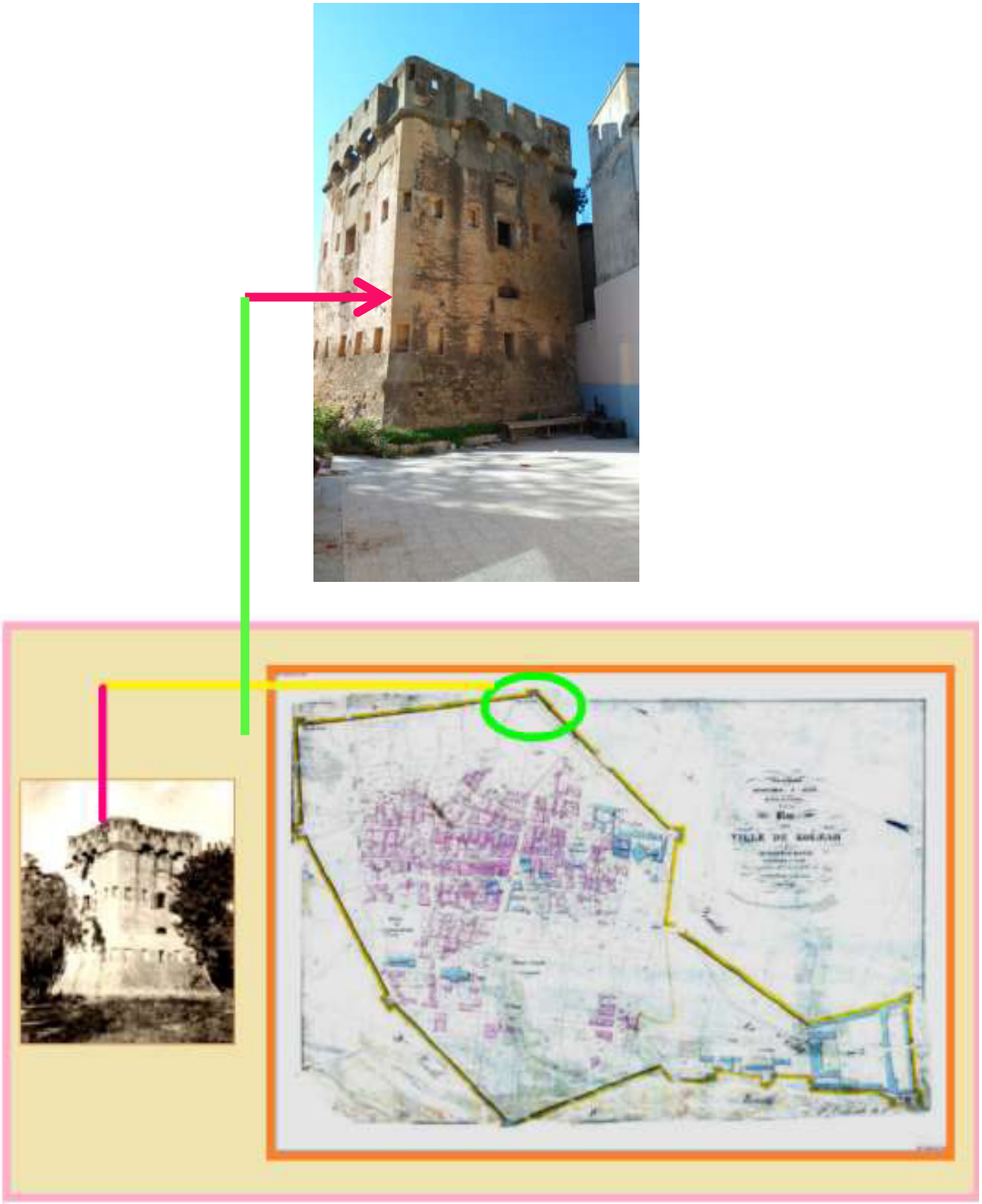

المخطط(08): مخطط مساحي لمدينة القليعة سنة 1870 عن كوري ياسين بتصرف

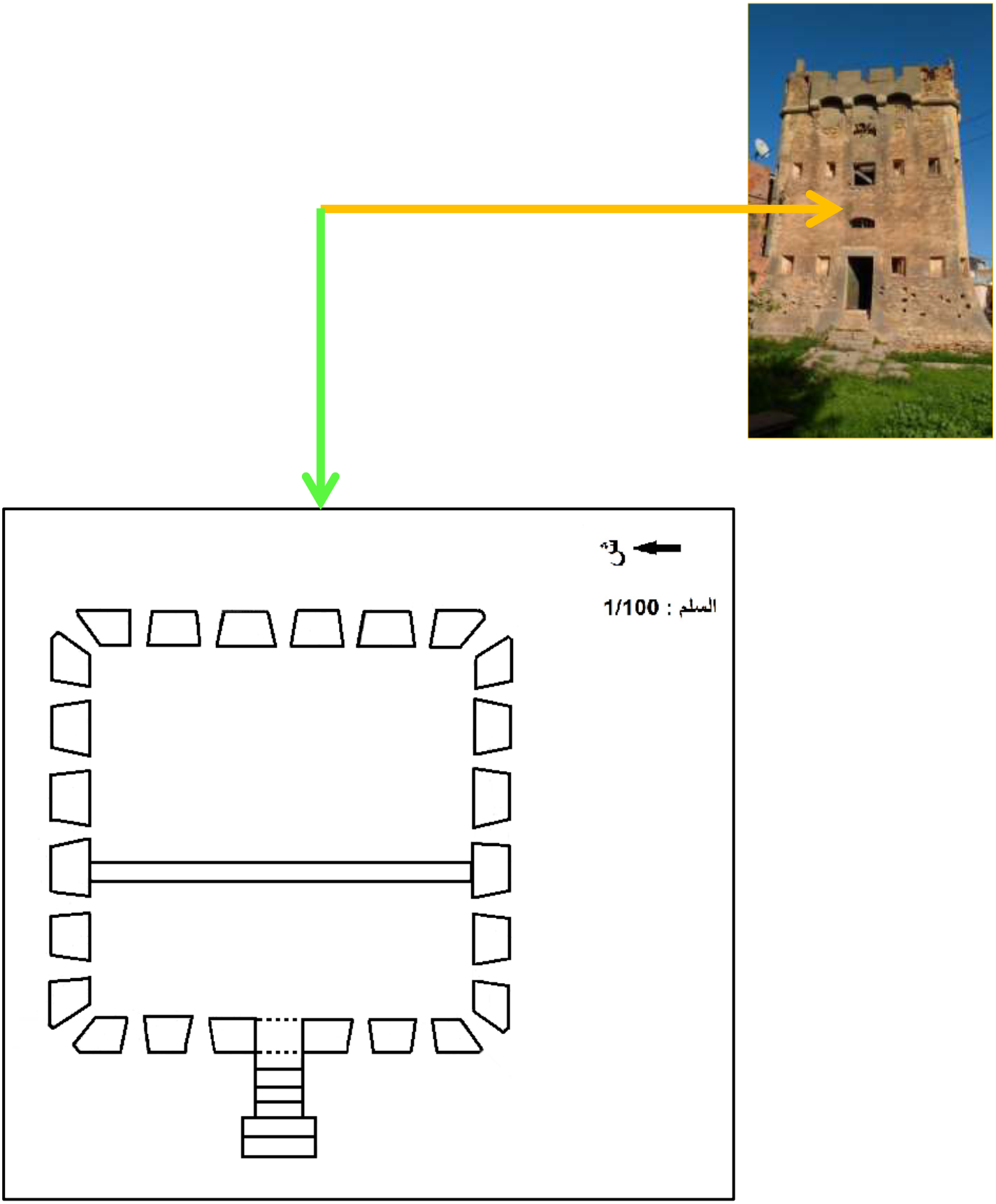

المخطط(09 – أ–): رسم تخطيطي لبرج القليعة من عمل الطالبة

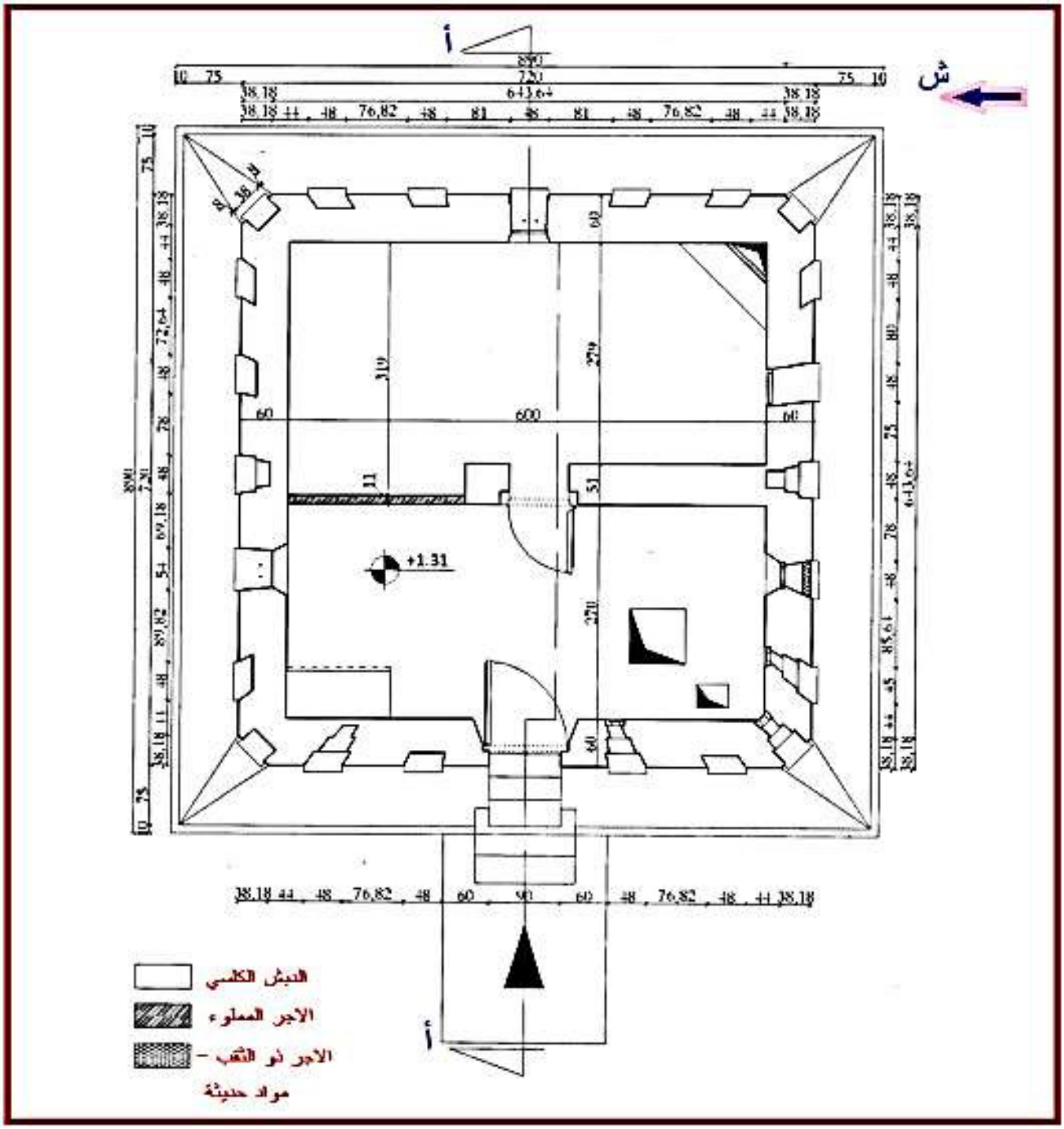

المخطط(09): مخطط الطابق الارضي لبرج القليعة السلم 1/50 عن كوري ياسين بتصرف

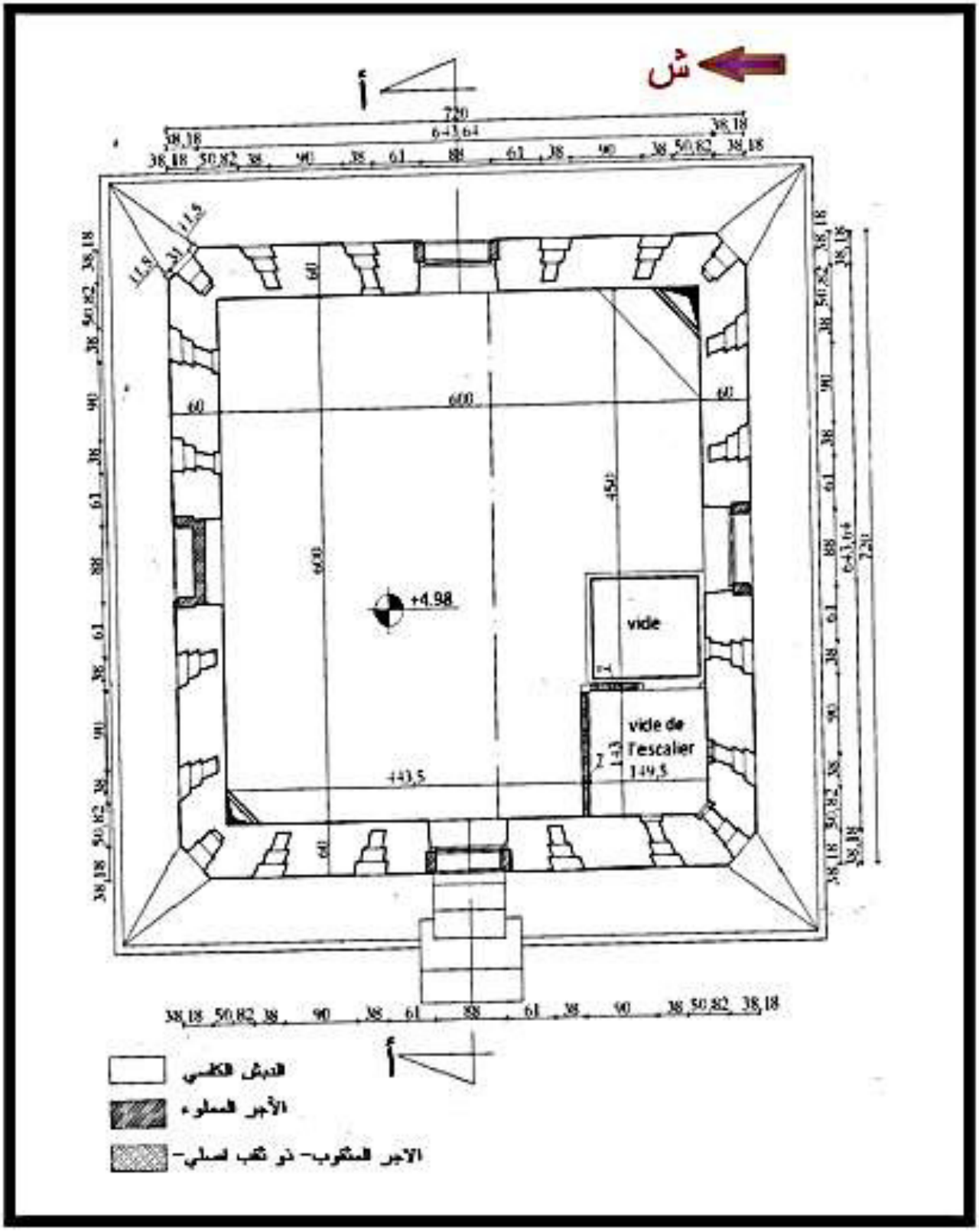

المخطط(10): مخطط الطابق الأول لبرج القليعة السلم 1/50 عن كوري ياسين بتصرف

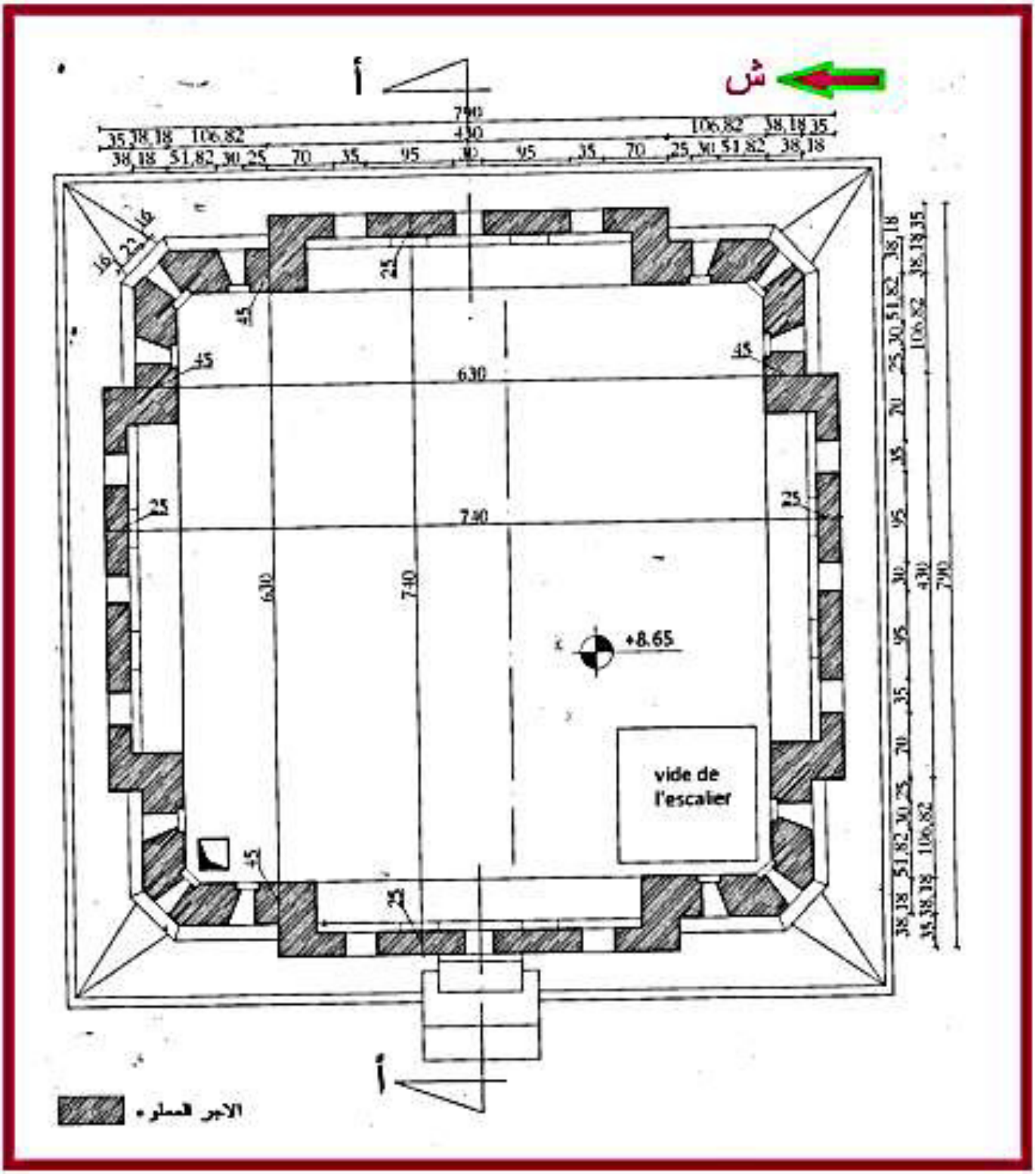

المخطط(11): مخطط الطابق الثاني لبرج القليعة السلم 1/50 عن كوري ياسين بتصرف

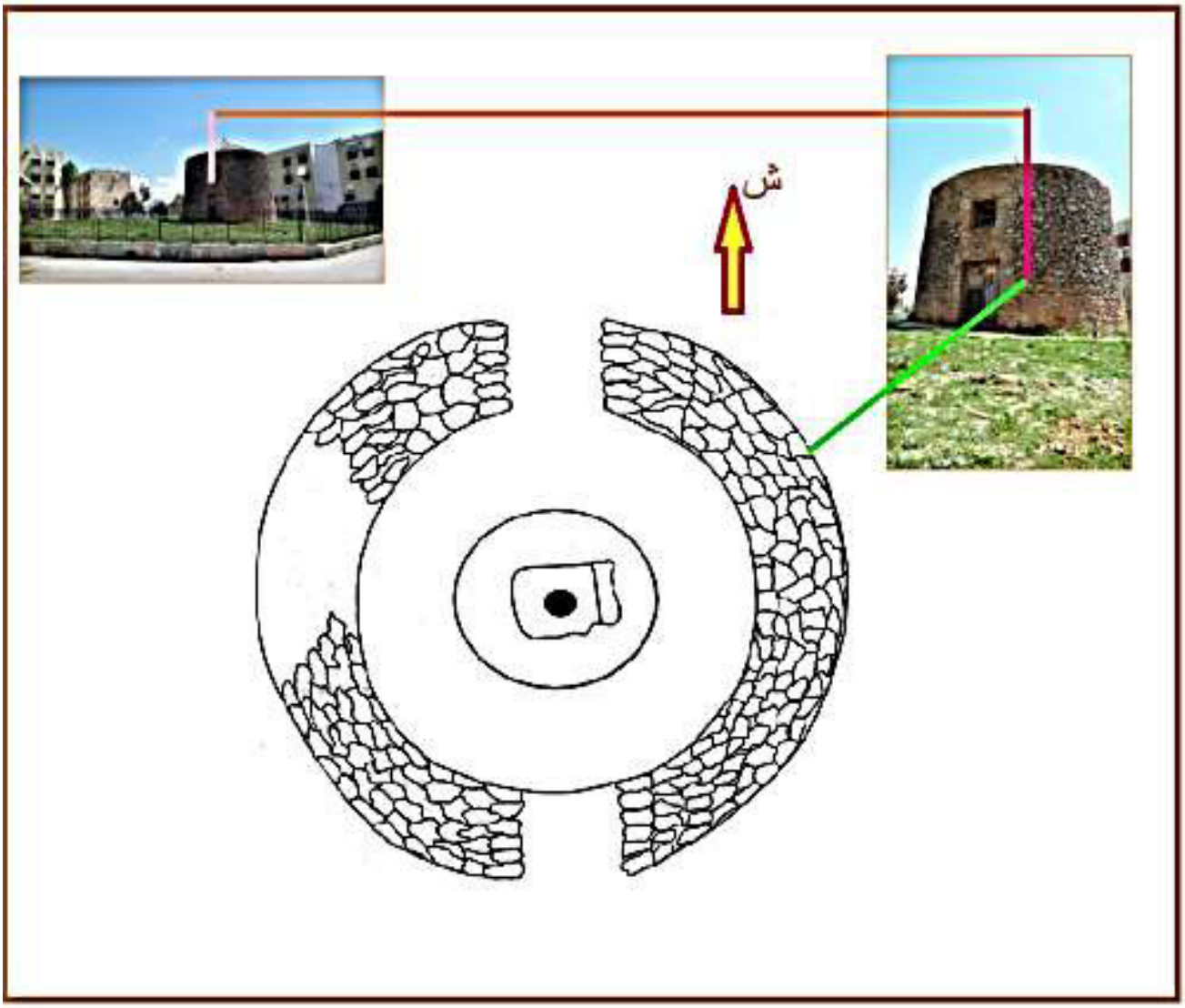

المخطط (12): رسم تخطيطي لبرج المصلى بالمدية السلم 1/100 من عمل الطالبة

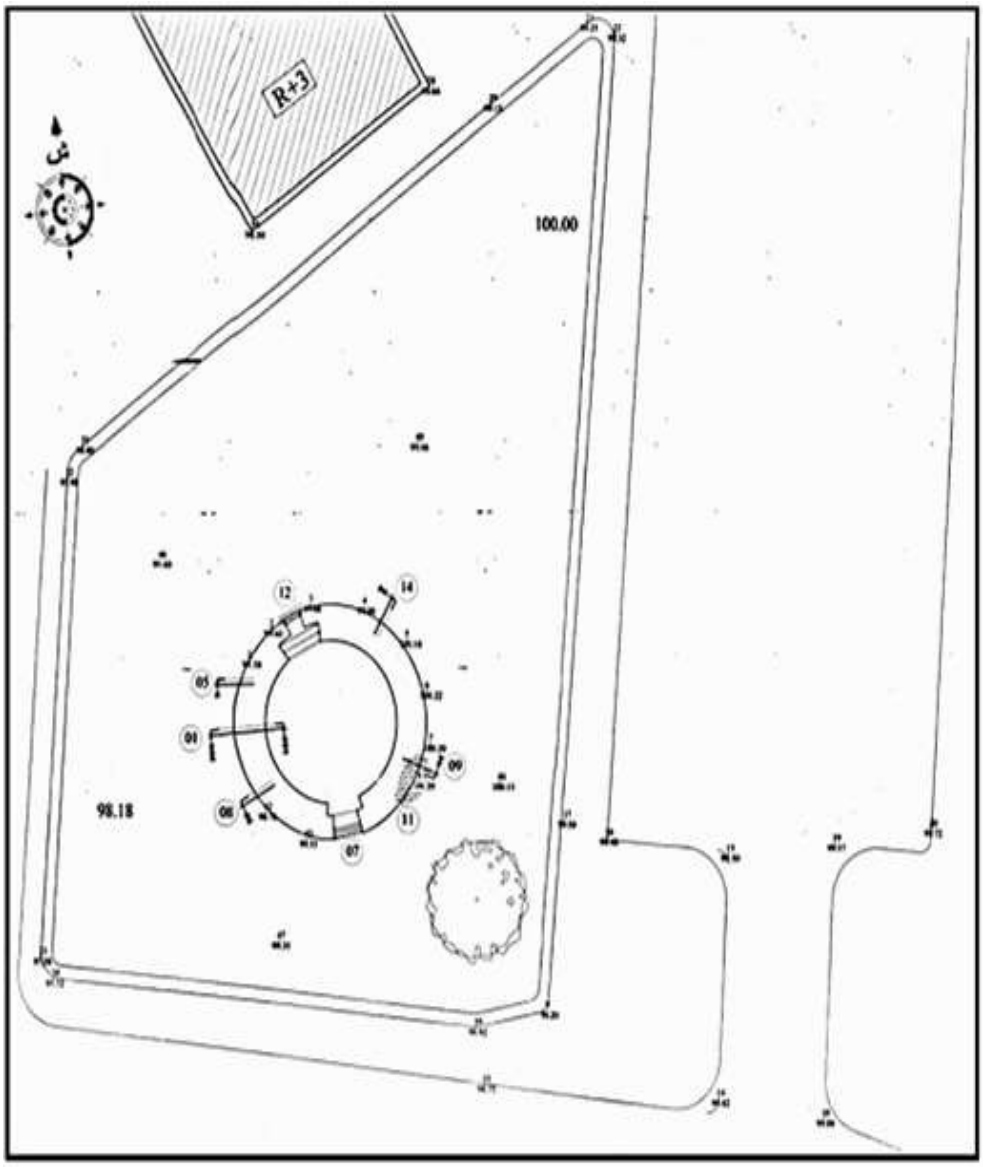

المخطط (13): الطابق الارضي لبرج المصلى E002 السلم 1/150 عن مكتب الدراسات بتصرف

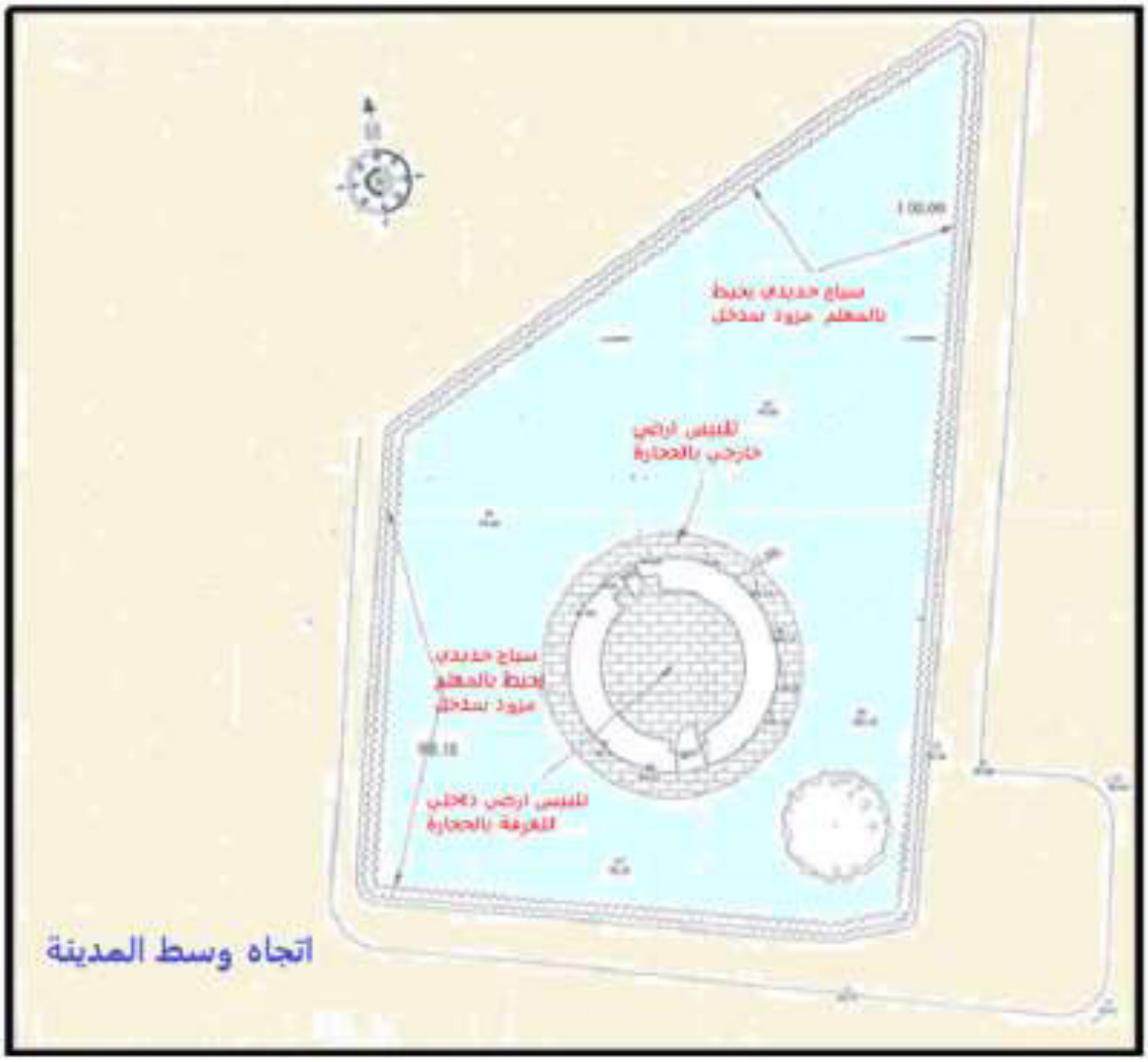

المخطط (14): مظهر برج المصلى الخارجي و ما يحيط به بعد الترميم السلم 1/100 عن مكتب الدراسات بتصرف

مـــلحـــق الاشكال

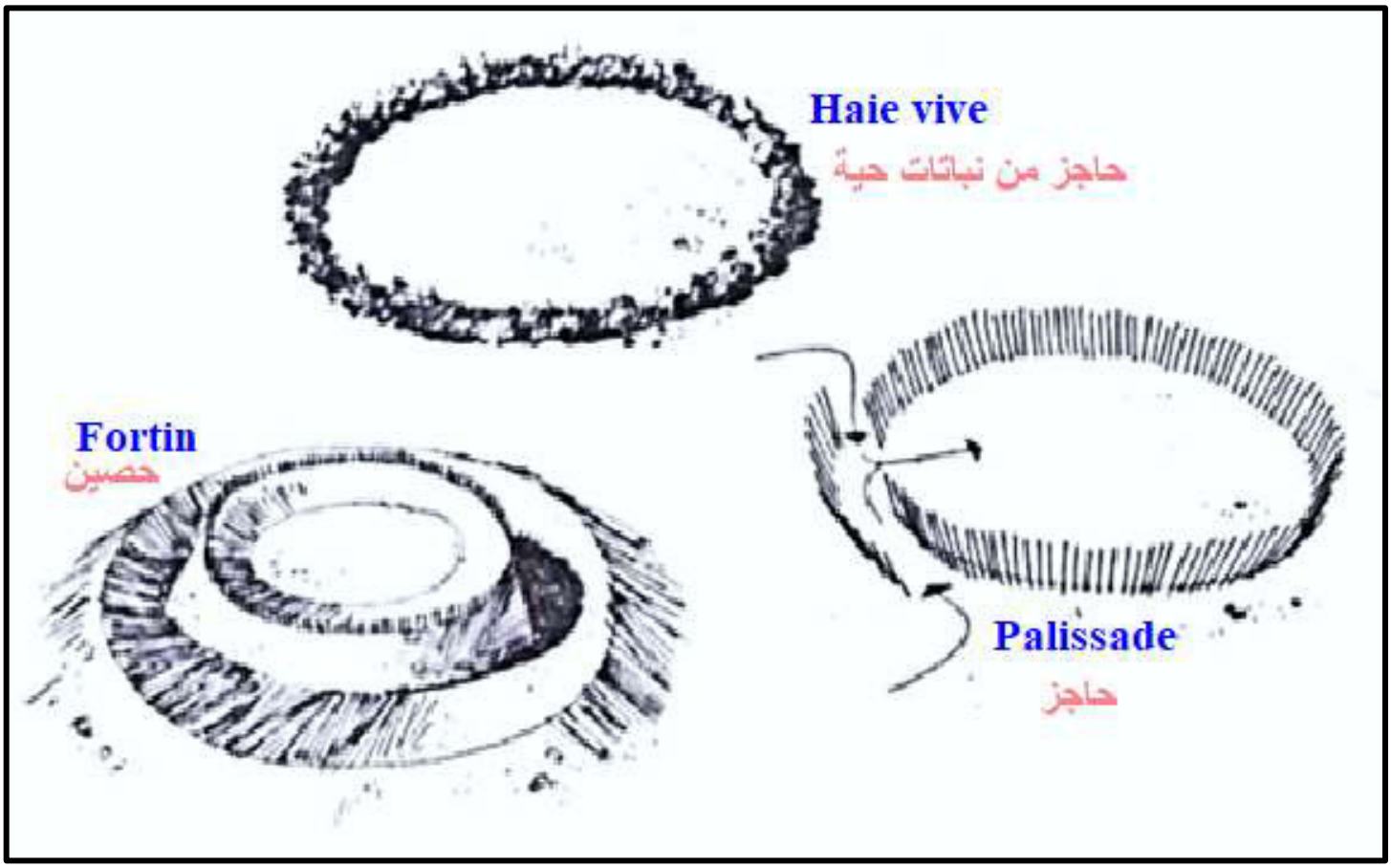

الشكل(1): أنماط مختلفة لخطوط دفاعية في المجتمعات البدائية

عن قريشي أمينة بتصرف

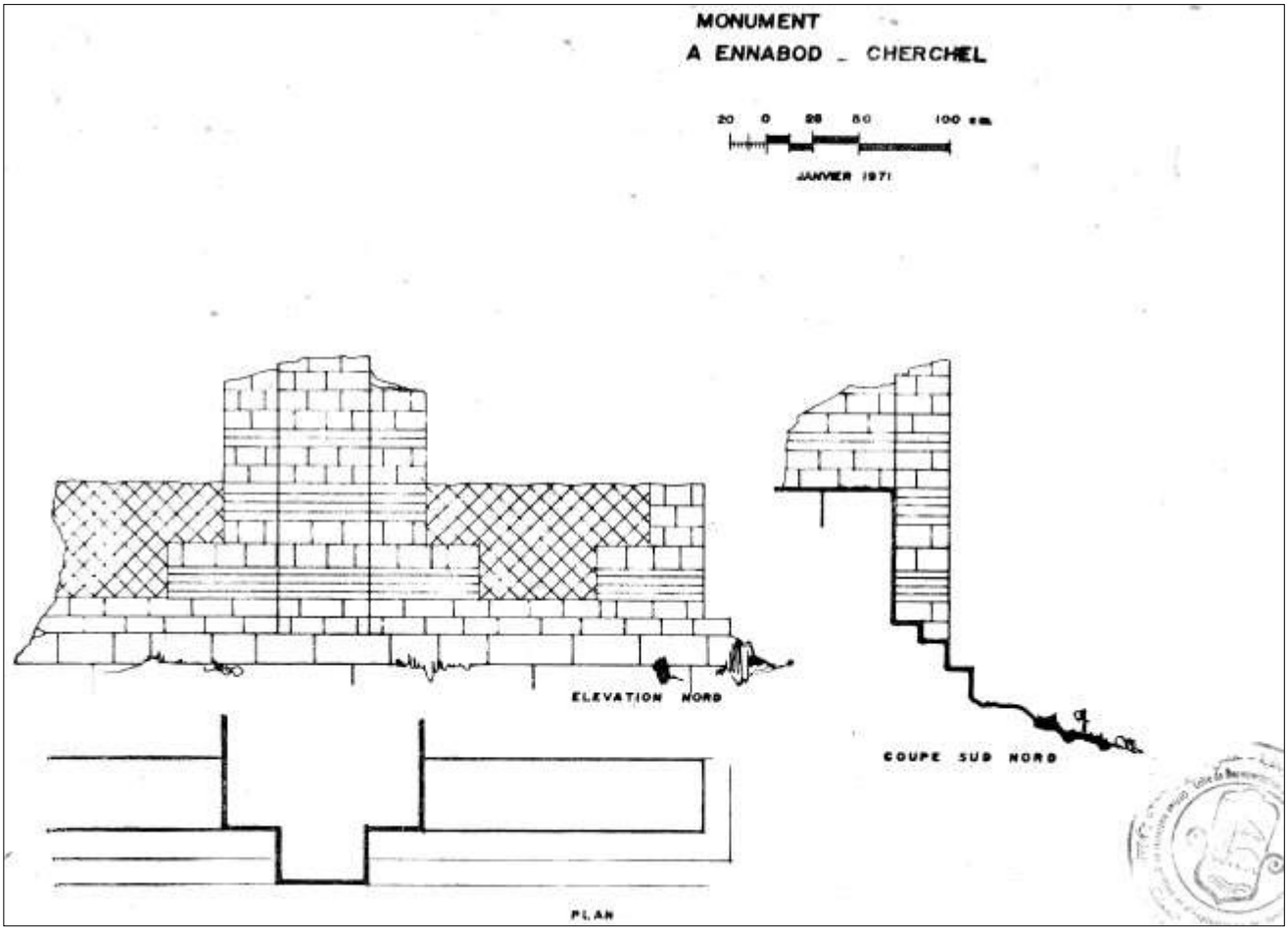

الشكل (02): مقطع شمال جنوب لبرج الانابود (شرشال) بتصرف

عن أرشيف حصن 23

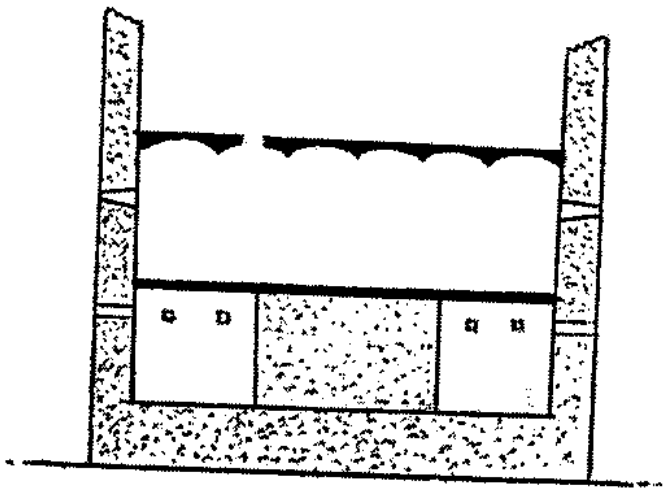

الشكل (03): مقطع طولي لبرج الانابود عن بن شامة سعاد

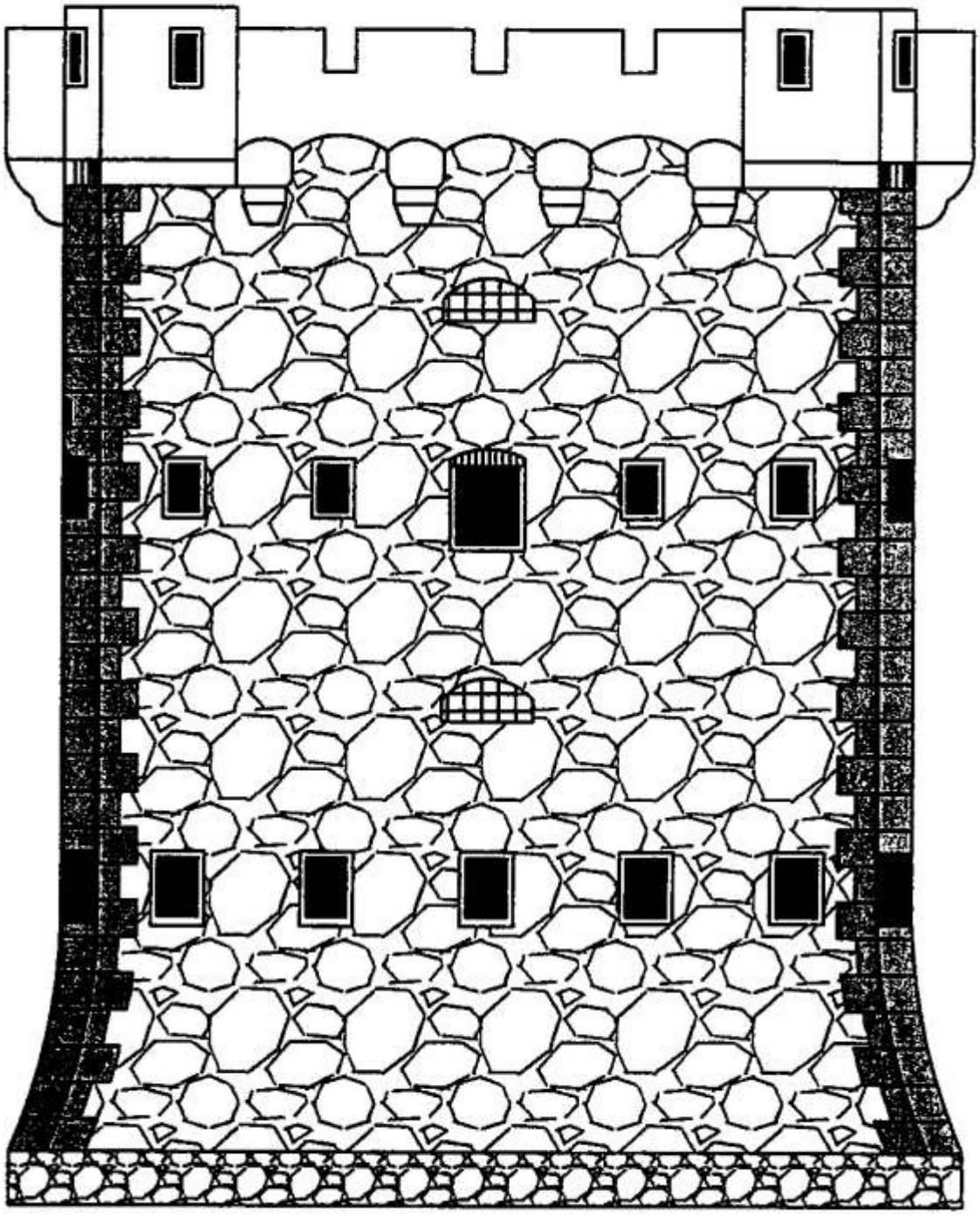

الشكل (04): مقطع للواجهة الشرقية لبرج القليعة السلم 1/100 عن مكتب الدراسات – **Architecture Urbanisme**– بتصرف

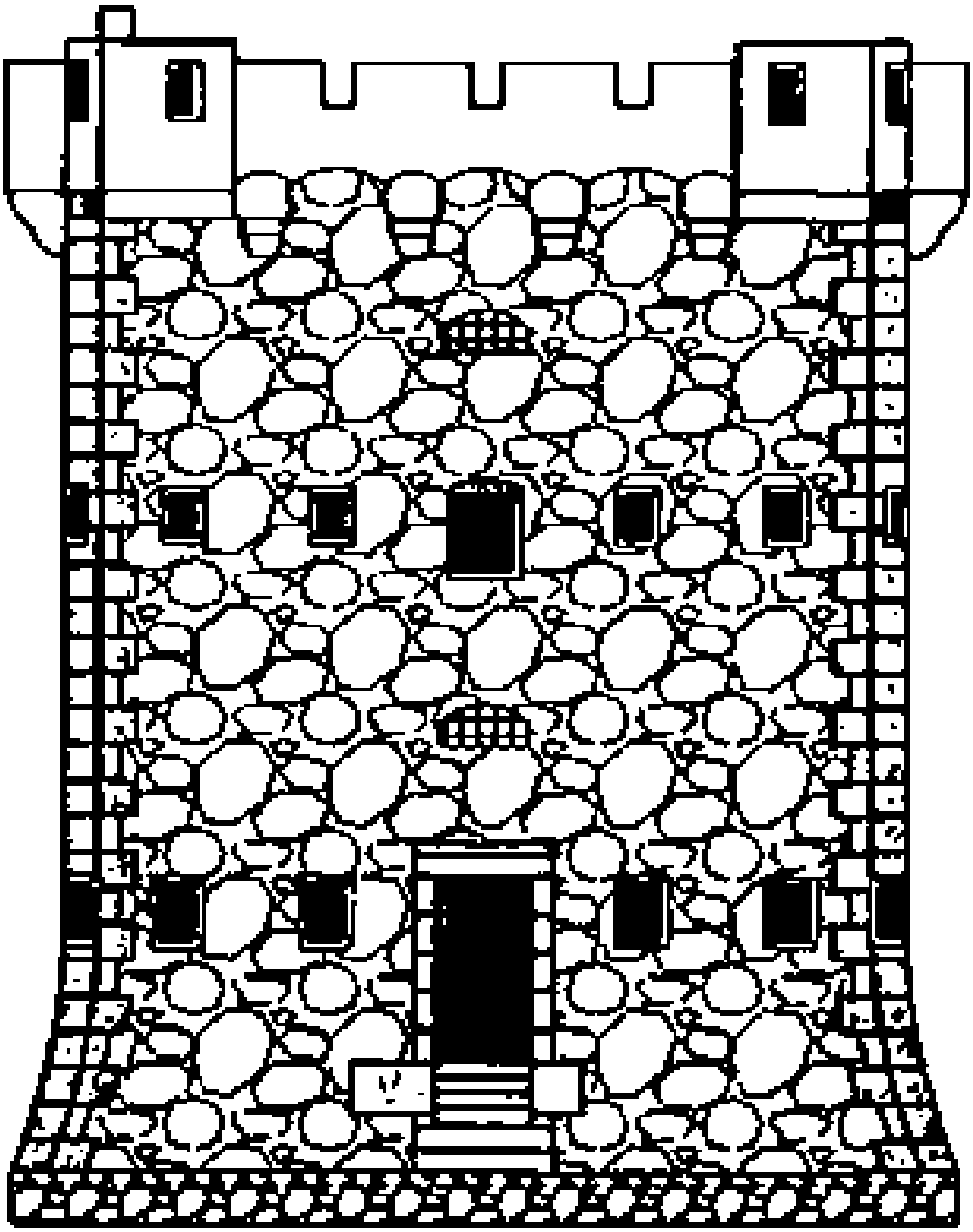

الشكل (05): مقطع للواجهة الغربية لبرج القليعة السلم 1/100 عن مكتب الدراسات – **Architecture Urbanisme**– بتصرف

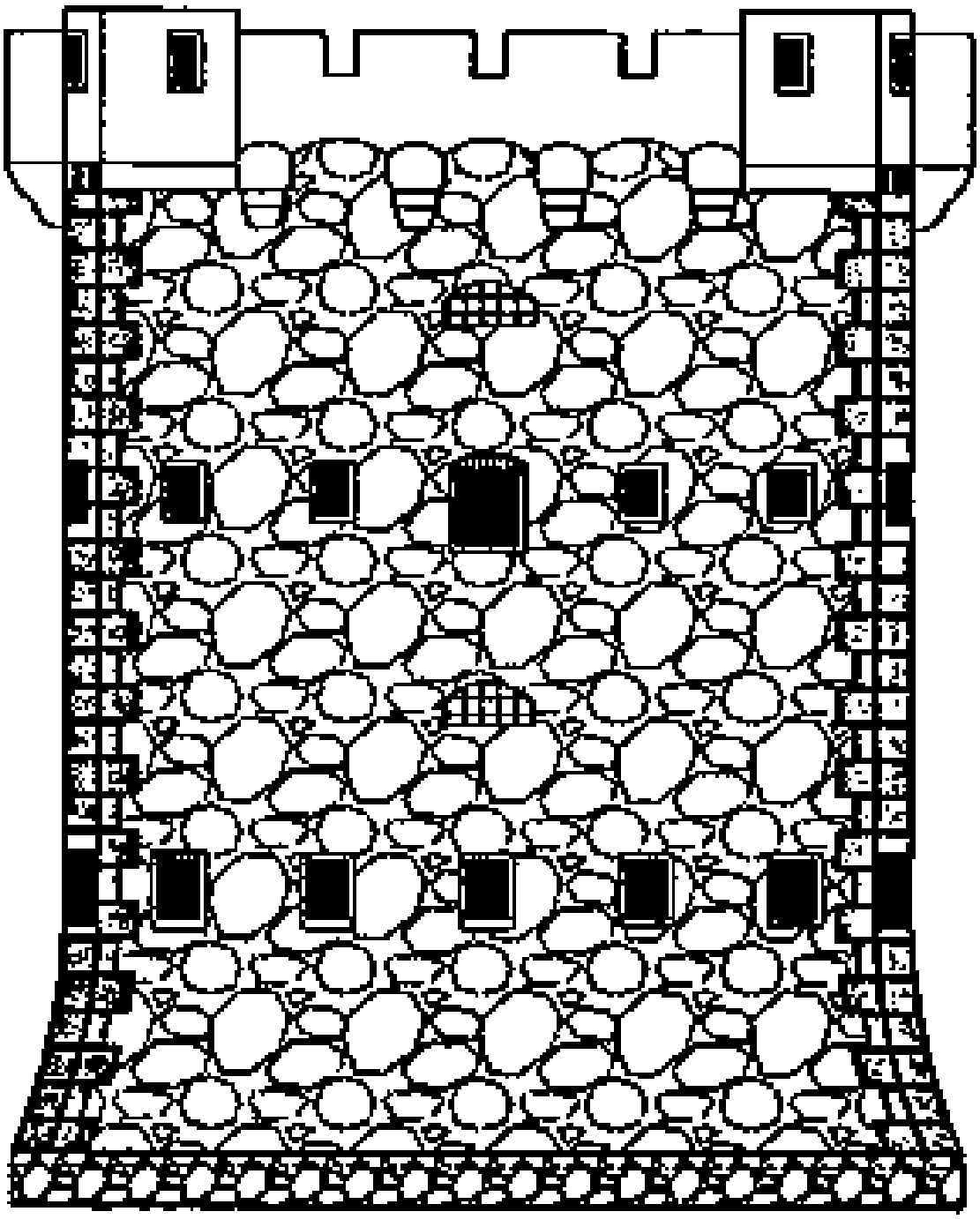

الشكل (06): مقطع للواجهة الجنوبية لبرج القليعة السلم 1/100 عن مكتب الدراسات – **Architecture Urbanisme**– بتصرف

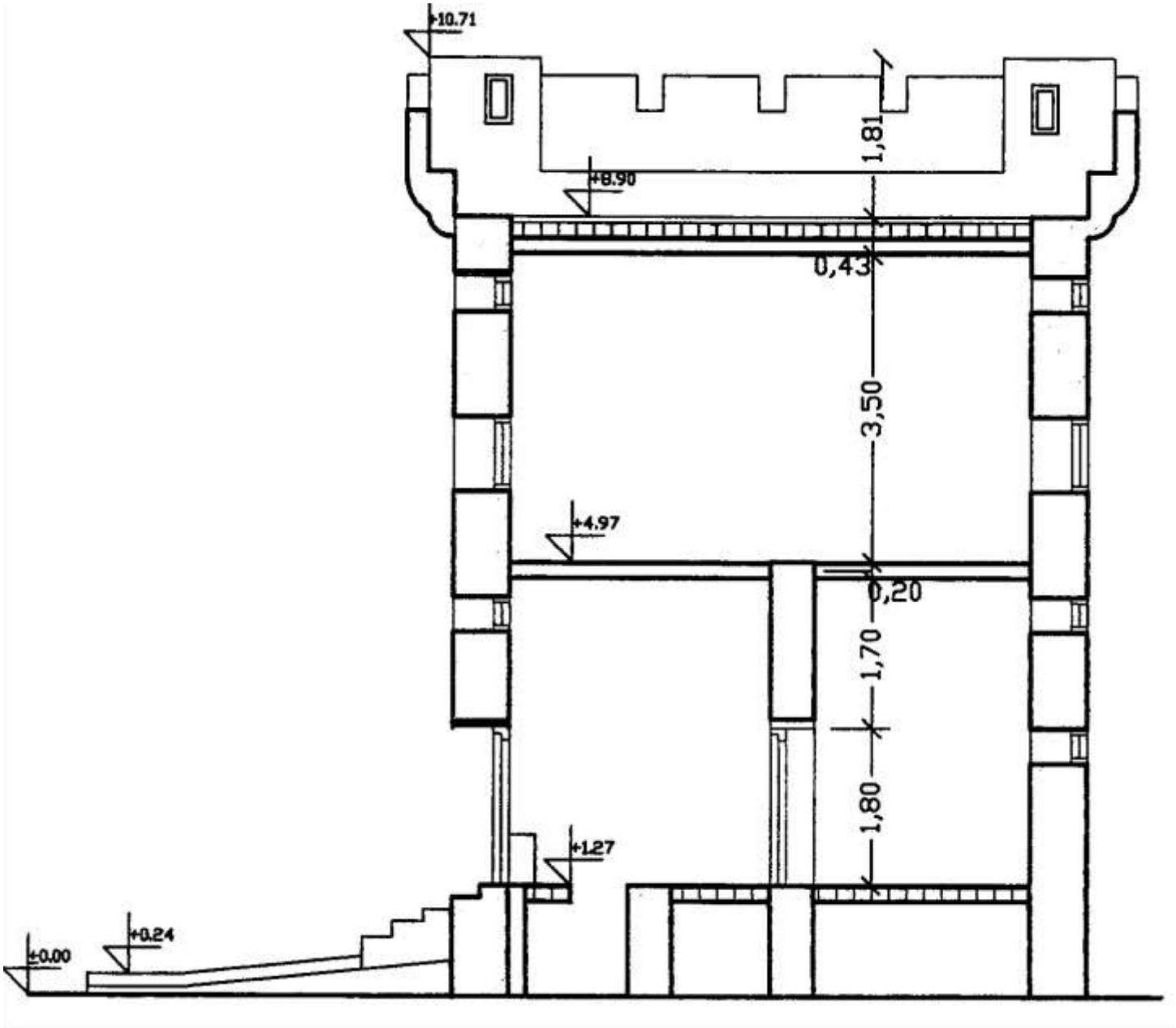

الشكل (06–أ): المقطع أ – أ لبرج القليعة السلم 1/100 عن مكتب الدراسات – **Architecture Urbanisme**– بتصرف

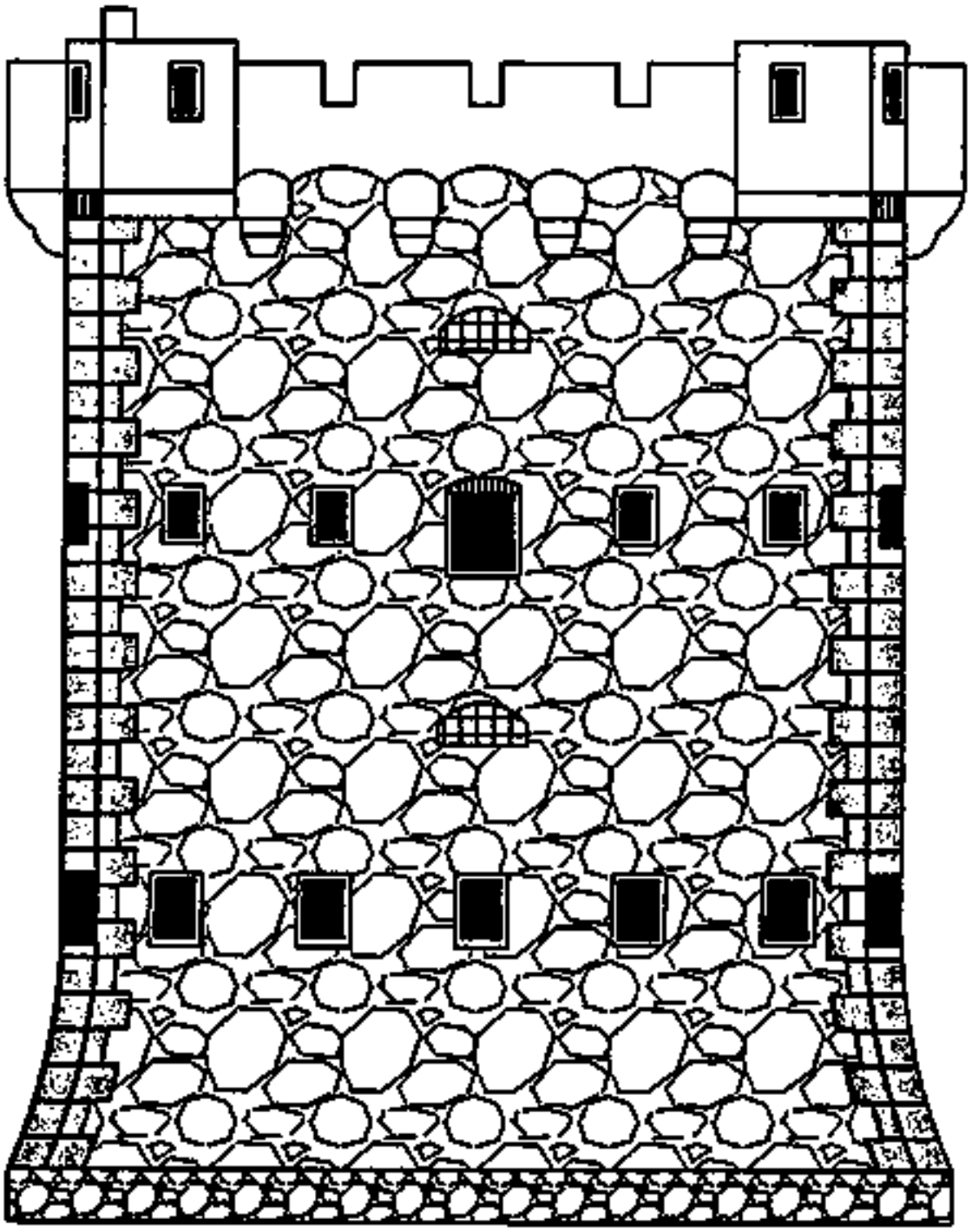

الشكل (07): رسم تخطيطي للواجهة الشمالية لبرج القليعة السلم 1/100 عن مكتب الدراسات – **Architecture Urbanisme**–

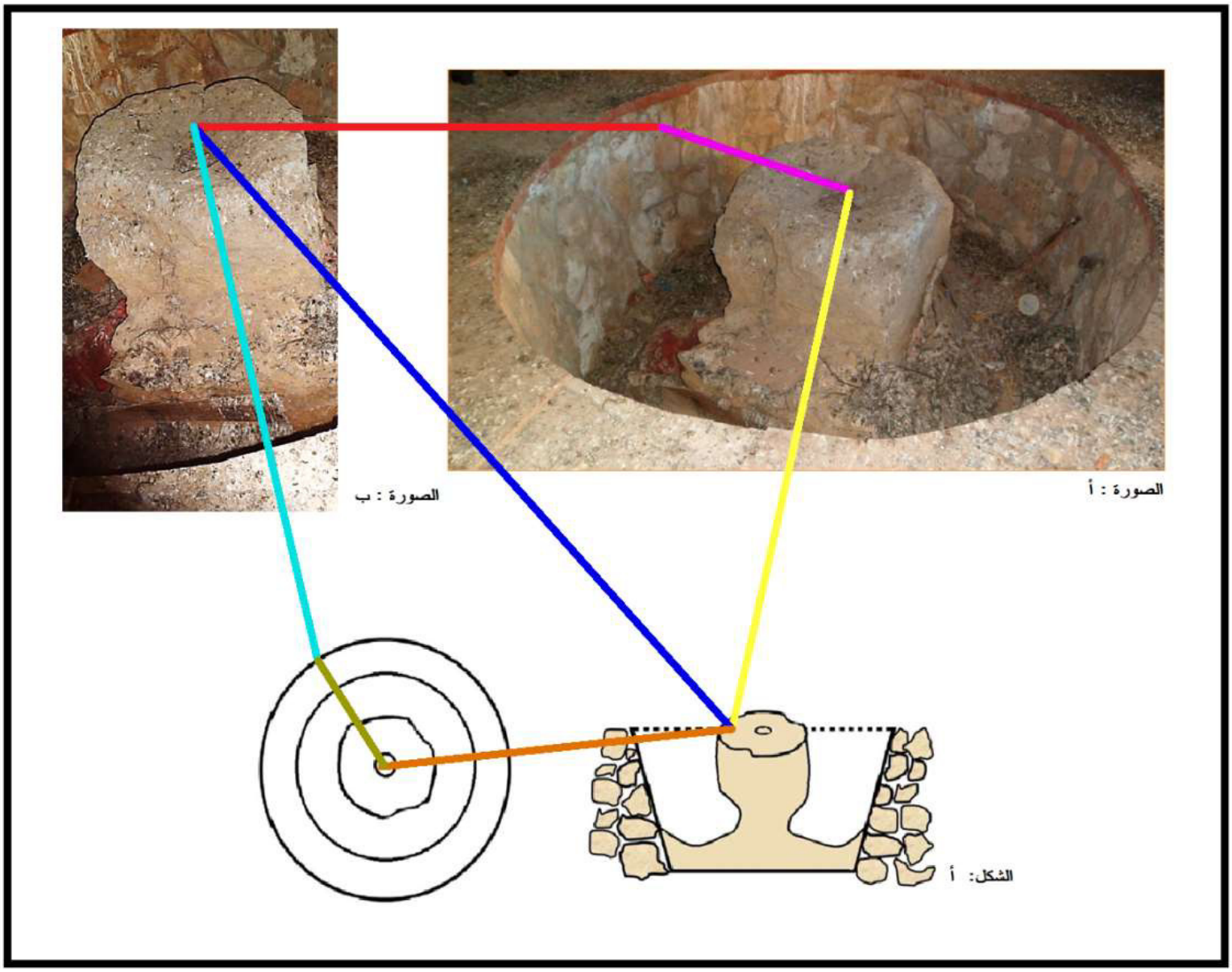

الشكل (08): كتلة حجرية تتوسط برج المصلى من عمل الطالبة

شكل أ : ادوات نحت الحجارة عن أدم بتصرف

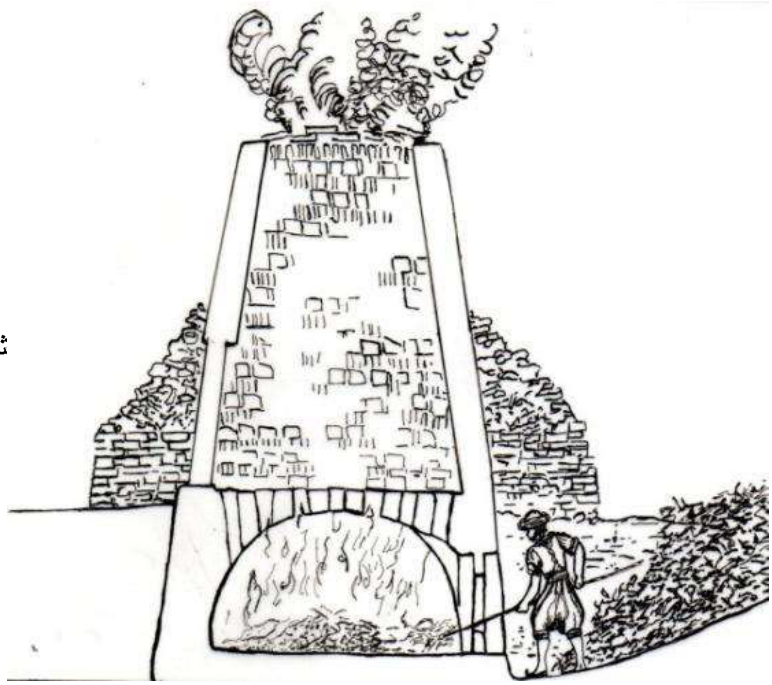

عامل في فرن الآجر أو الجير

الشكل ب : معمل الجير عن أدم بتصرف

الشكل (09) : ادوات البناء عن جون بيار أدم بتصرف

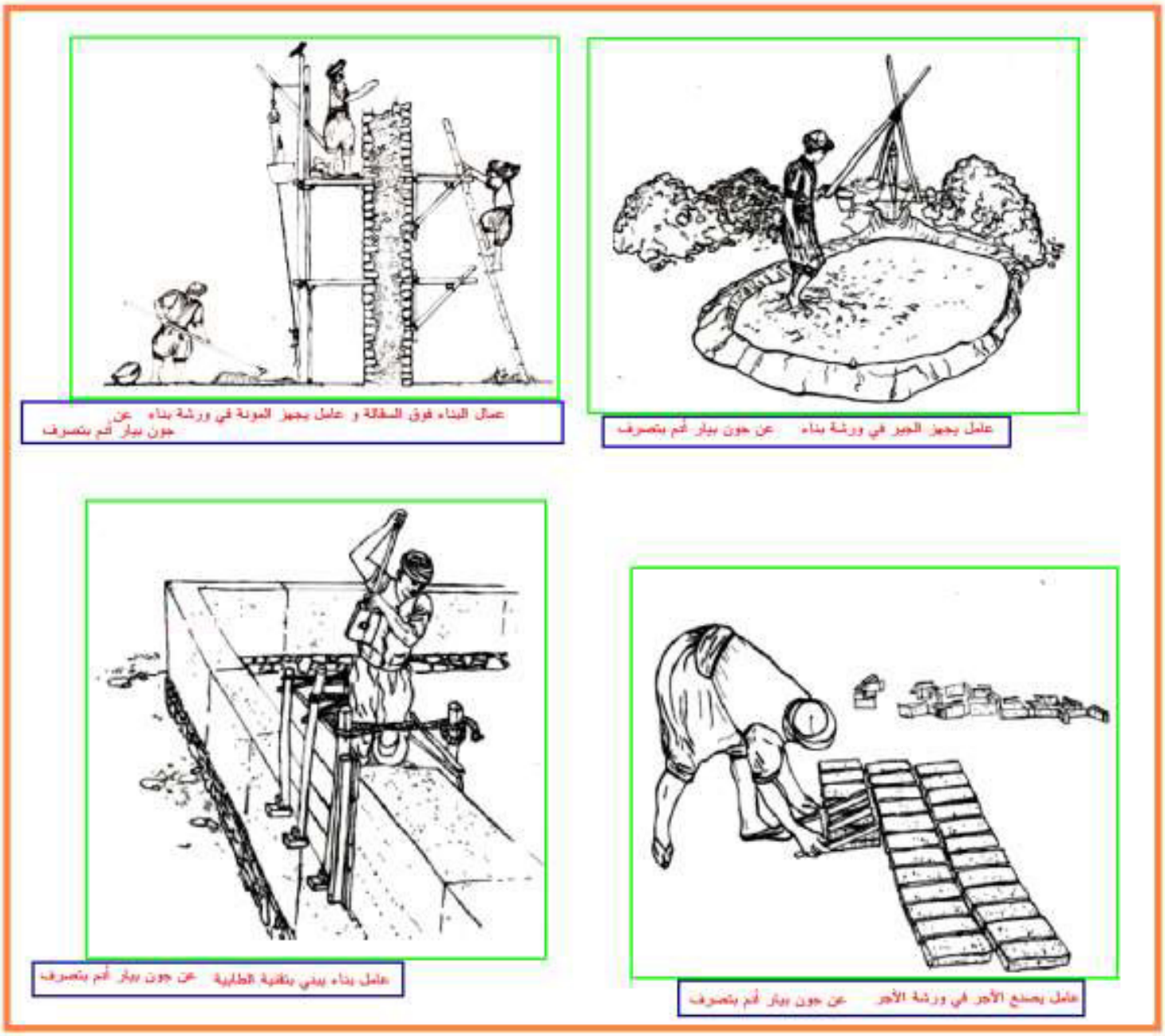

الشكل (10): ورشات عمل عن جون بيار أدم

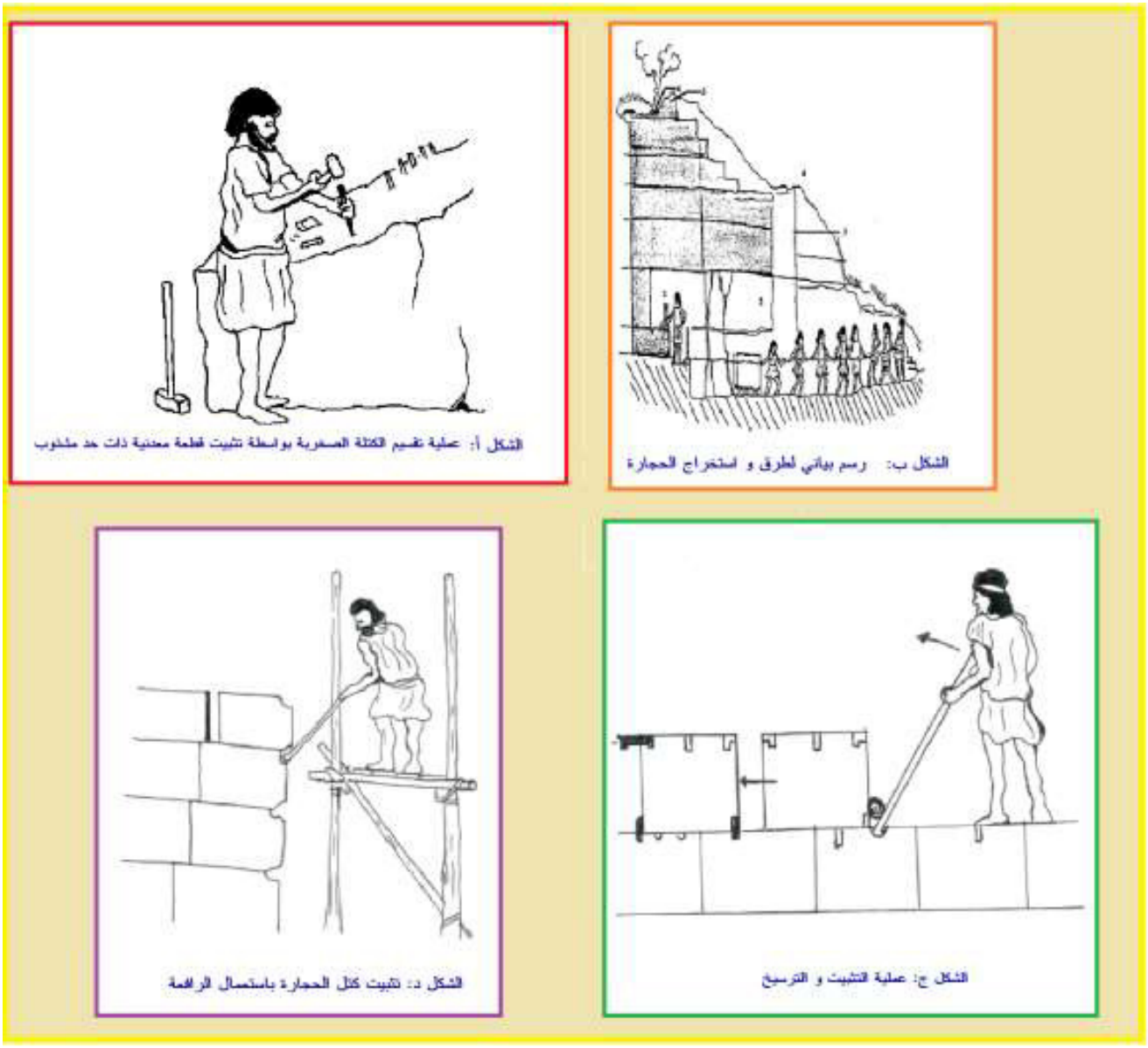

الشكل (11): مراحل استخدام الحجارة في البناء عن جون بيار أدم

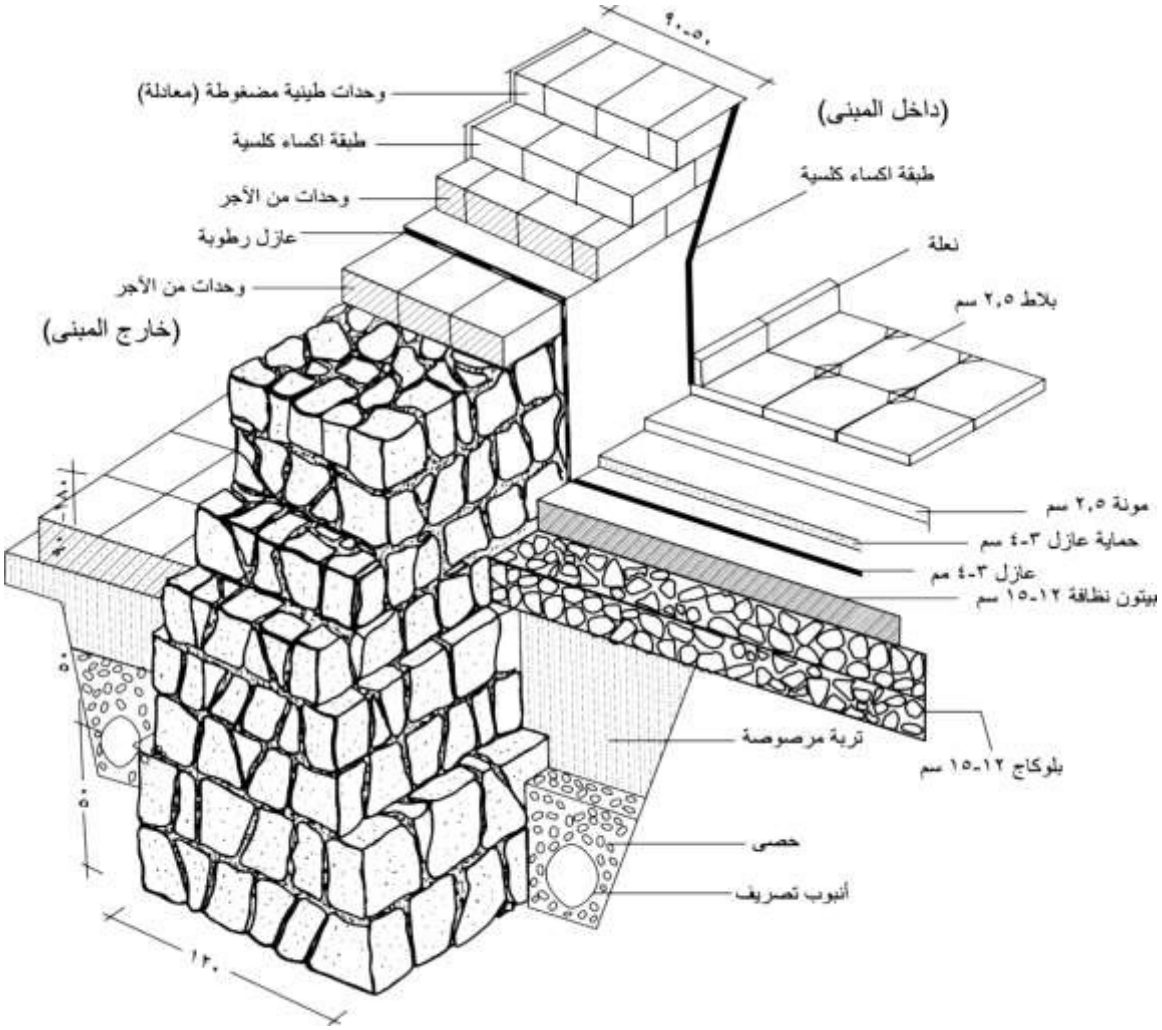

الشكل (12): نموذج من سور حجري عن حمير بومدين بتصرف

ملـــحـــق الجـــداول

WILAYA D'AIN DEFLA (44)

Biens culturels immobiliers classés						
N°	Identification du bien	Datation du bien	Commune	Mesures et dates de protection	Publication au journal officiel	Statut juridique
44/03/03	Remparts de Miliana	Période stratifiée - Période antique (Romaine) - Période moderne (Ottomane)	Miliana	Inscrit sur l'inventaire supplémentaire Arrêté signé par le wali N° n° 34 du 28.06.95	N° n° 34 du 28.06.95	Bien communal
				Arrêté du 29 Joumada Ethania 1428 correspondant au 14 juillet 2007 portant inscription sur l'inventaire général des biens culturels immobiliers.	N° 60 du 26/09/2007	Bien communal

الجدول(01) : تصنيف اسوار مليانة عن وزارة الثقافة بتصرف

WILAYA DE TIPASA (44)

Biens culturels immobiliers classés						
N°	Identification du bien	Datation du bien	Commune	Mesures et dates de protection	Publication au journal officiel	Statut juridique
42/33/33	Fort de Koléa	Période moderne moderne (Ottomane)	Koléa	Arrêté du du 20 Rajab 1437 correspondant 28 avril 2016 portant classement du « Fort de Koléa »	N° n° 34 du 28.06.95	Bien communal

الجدول(02) : تصنيف برج القليعة عن وزارة الثقافة بتصرف

26 Wilaya de MEDEA

N°	Identification du bien	Datation	Commune	Mesures et date de protection	Date de publication au Journal Officiel
Classés					
Inscription sur l'inventaire supplémentaire					
01	Fort de Surveillance	Moderne	Médéa	Inscrit sur l'inventaire supplémentaire Arrêté signé par le wali N° 1579 du 05/12/2013	Arrêté non pub au Journal officiel
02	Houche El Bey	Moderne	Médéa	Inscrit sur l'inventaire supplémentaire Arrêté signé par le wali N° 1578 du 05/12/2013	Arrêté non pub au Journal officiel
03	Mausolée Sidi Sahraoui	Moderne	Médéa	Inscrit sur l'inventaire supplémentaire Arrêté signé par le wali N° 1580 du 05/12/2013	Arrêté non pub au Journal officiel
04	Minaret de l'ancienne mosquée	Moderne	Médéa	Inscrit sur l'inventaire supplémentaire Arrêté signé par le wali N° 1577 du 05/12/2013	Arrêté non pub au Journal officiel
05	Minaret de la Mosquée Rouge	Moderne	Médéa	Inscrit sur l'inventaire supplémentaire Arrêté signé par le wali N° 1576 du 05/12/2013	Arrêté non pub au Journal officiel

الجدول (03): تصنيف برج المصلى(برج المراقبة)المسجل في الجرد الإضافي

ملحق

الصور

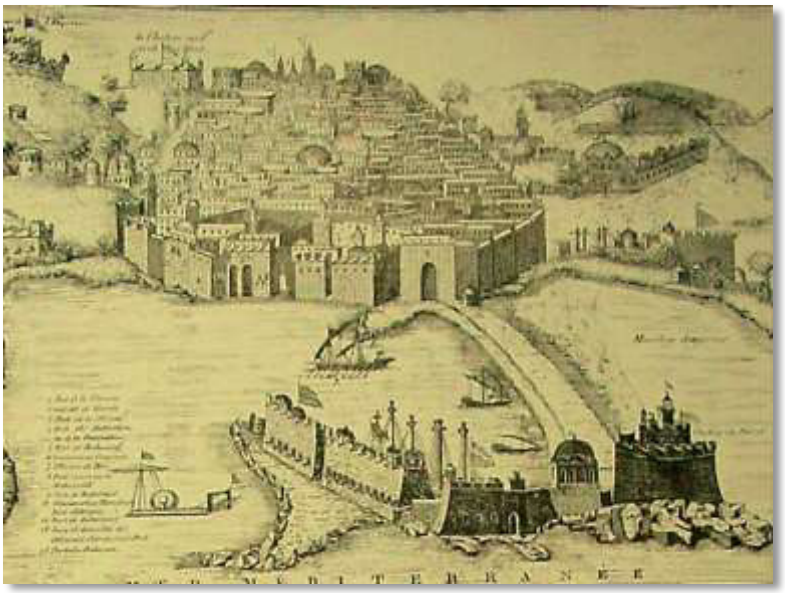

الصورة (01): إعادة تصوير لصورة قديمة تمثل مدينة الجزائر في القرن 16م عن قيوشان بتصرف

الصورة (02): بقايا سور المدينة بالجية الغربية من الداخل عن مفتاح عثمان

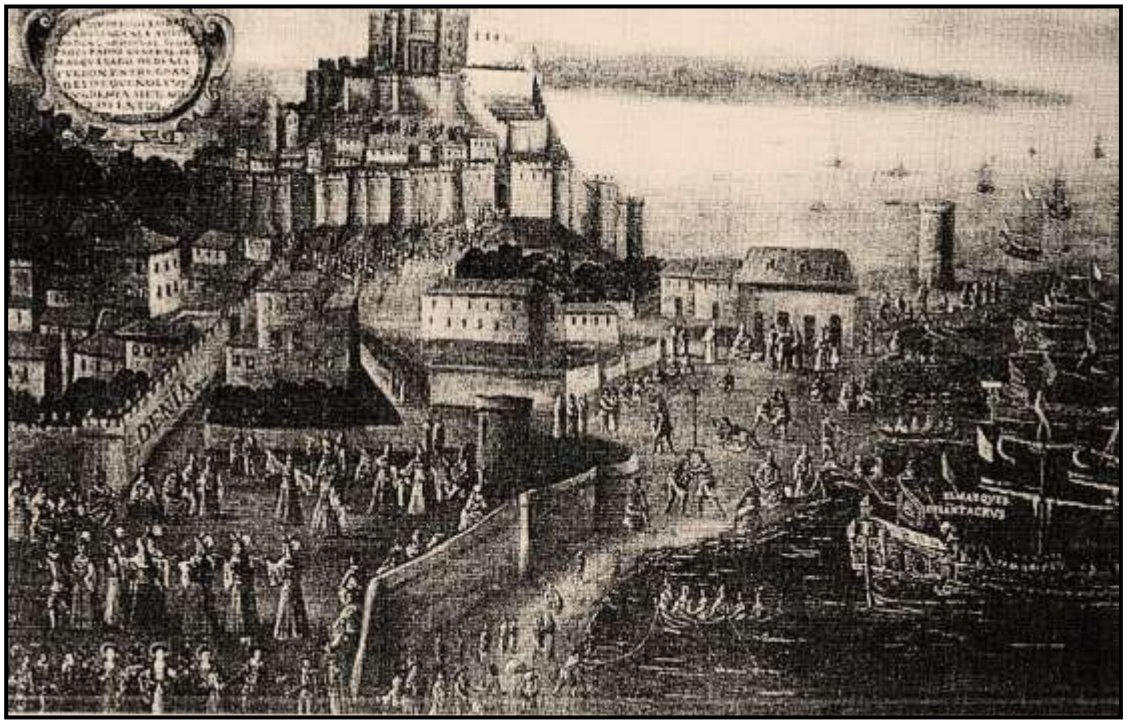

الصورة (03): تهجير الأندلسيين من ميناء دانية /// عن ناصر الدين سعيدوني

الصورة **(04)** : ناعورة بالحامة

عن روزي **1843**

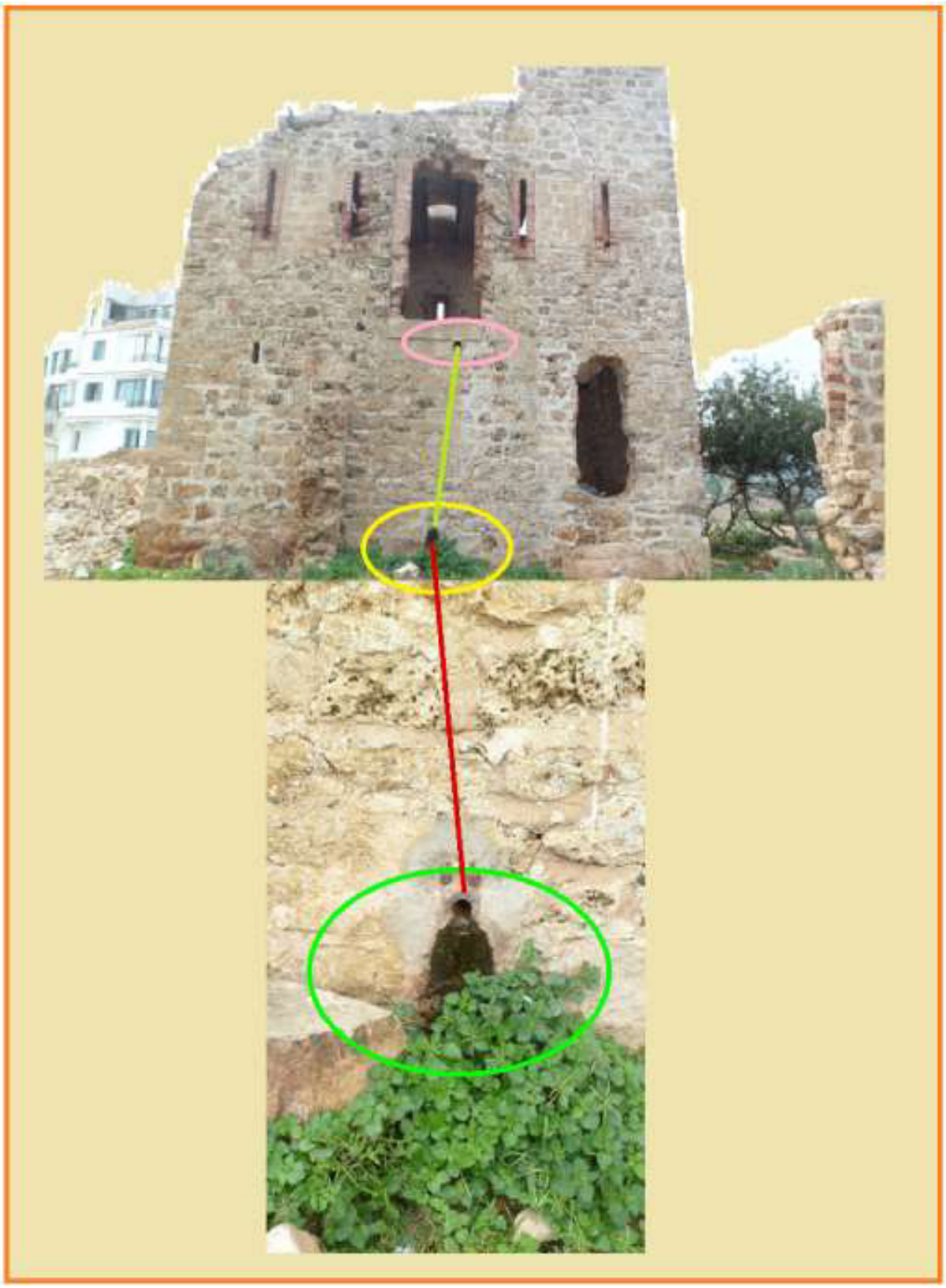

الصورة (05): قناة صرف المياه من عمل الطالبة

الصورة (06): بقايا عوارض حديدية لسقف برج الانابود العلوي من عمل الطالبة

الصورة (07): فتحة تطل على الطابق التحت ارضي

الصورة (08): ساكف يعلو مدخل برج القليعة

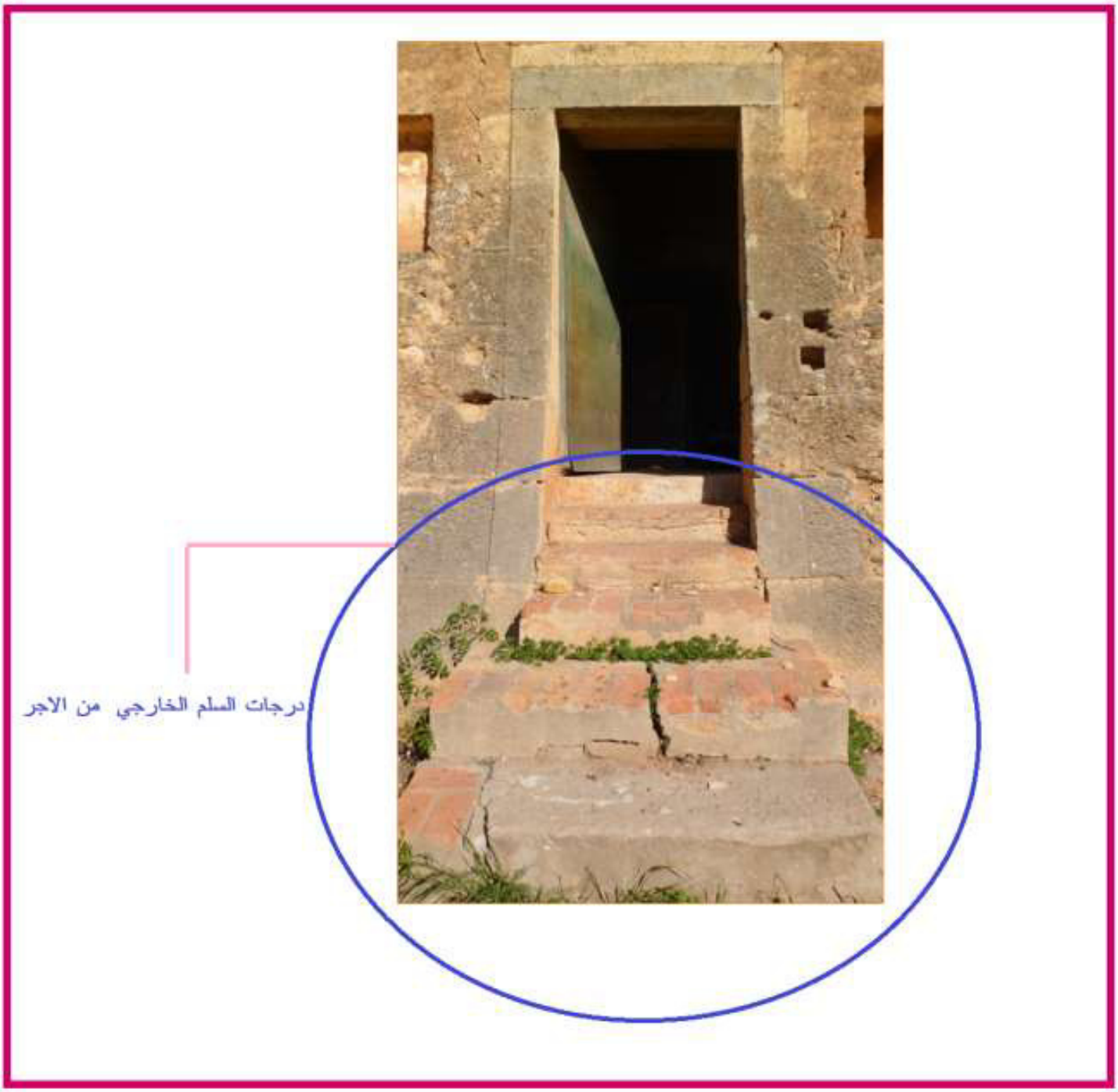

الصورة (09): سلم برج القليعة الخارجي

الصورة (10): اثار لسلم المؤدي الى الطابق العلوي لبرج القليعة رصيد شخصي

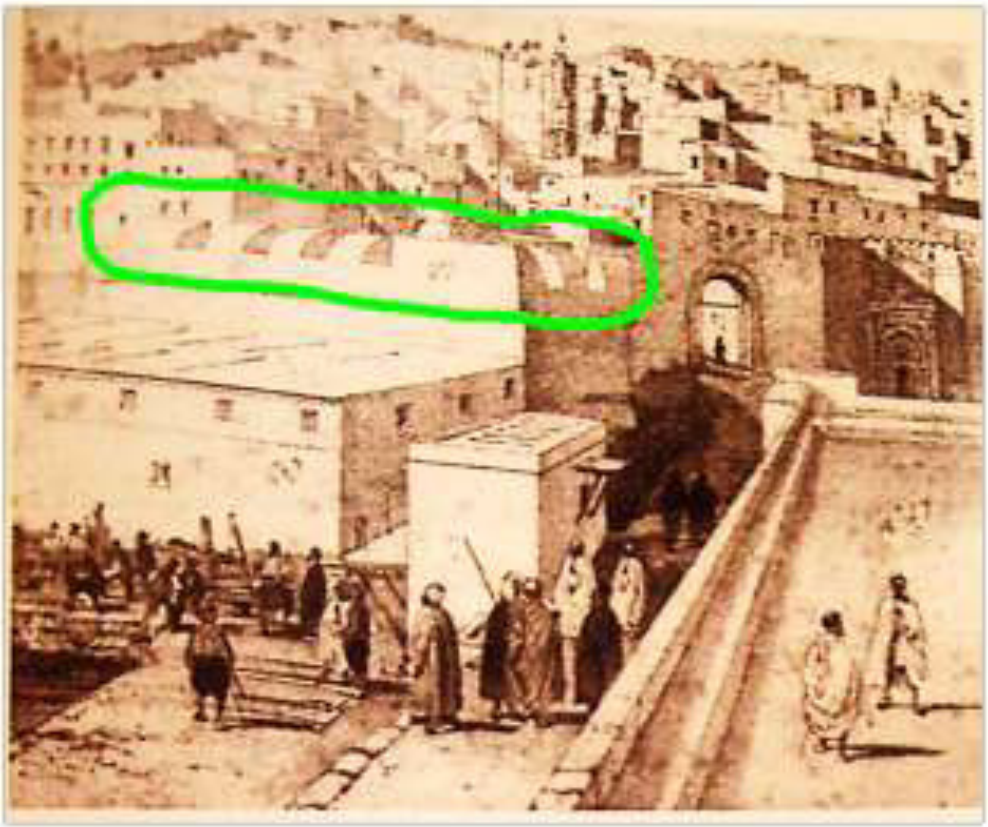

الصورة **(11)** : بطارية الأندلسيين

عن: دوفولكس بتصرف

مـــلحـــق اللوحات

الصورة أ: بقايا سور مدينة ميسان عن ويكيبيديا

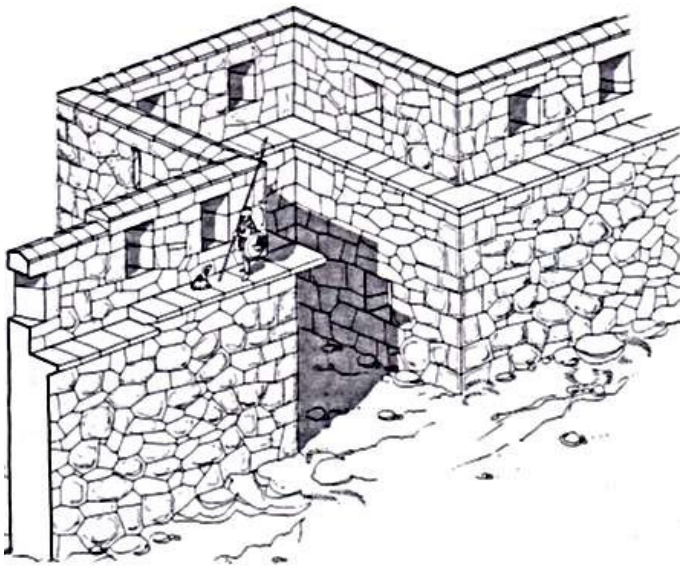

الشكل أ : اعادة ترميم سور مدينة كيدنة الاغريقية عن جان بيار آدم

الصورة ب: اعادة تصور مدينة ميسان و تحصيناتها عن **google image** بتصرف

اللوحة (1): التحصينات الإغريقية

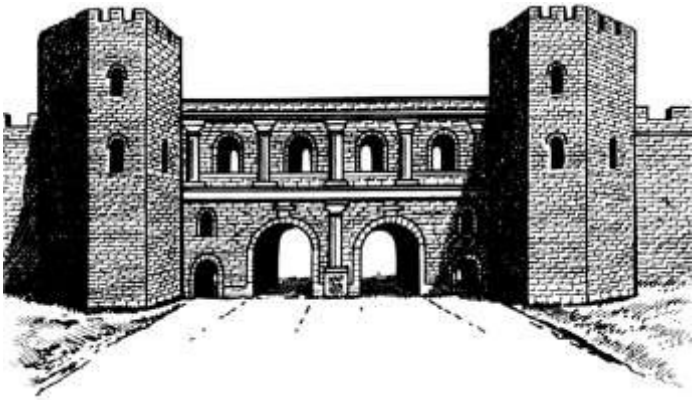

الشكل ب: باب روماني عن جون دنيس Jean- Denis و و ج.ج. لوباج G.G. Lepage

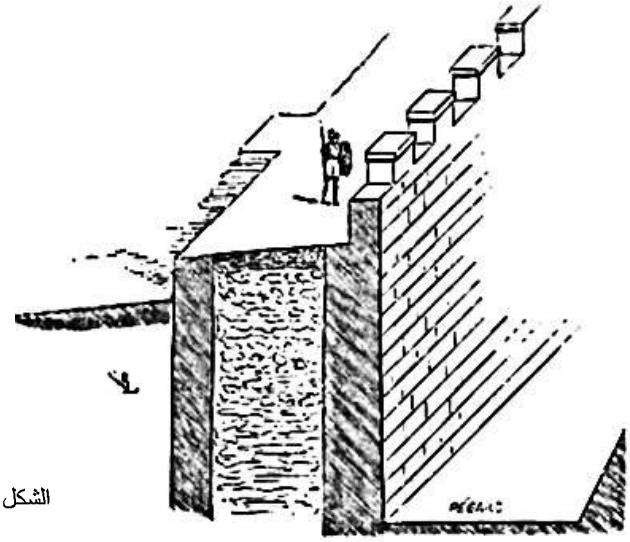

الشكل أ : سور روماني عن فيولي لودوك Violet le Duc – بتصرف

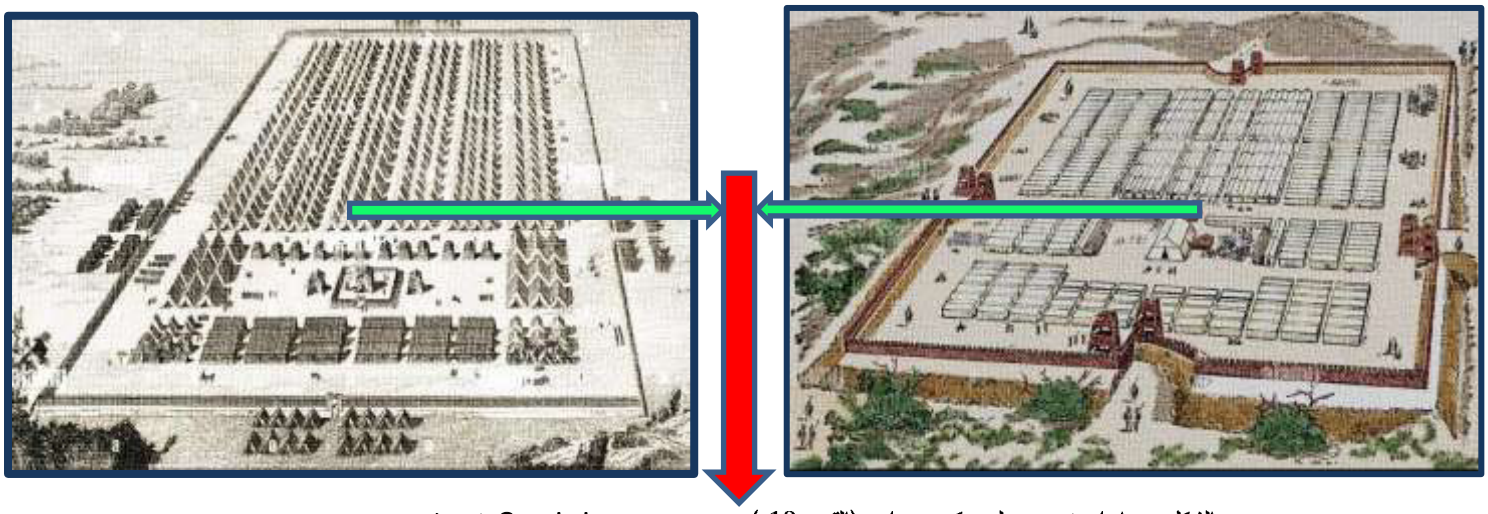

الشكل ج: اعادة تصور لمعسكر روماني (القرن 19م) عن Google image بتصرف

الصورة أ: بقايا لمعسكر روماني بالأردن عن Google image بتصرف

اللوحة (02): التحصينات الرومانية

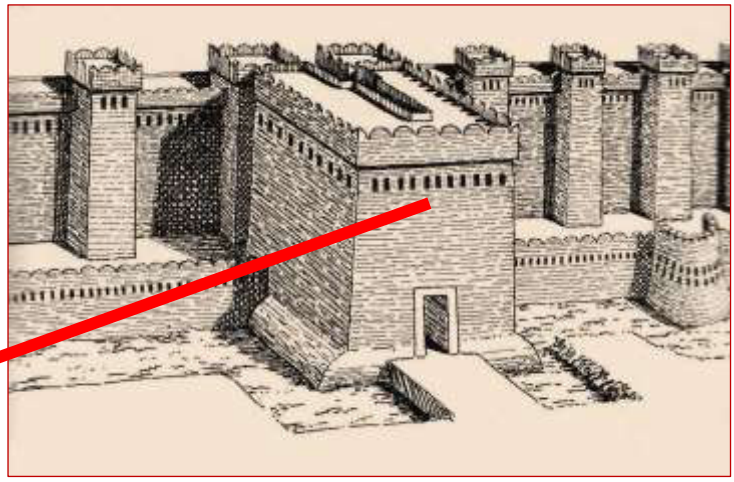

الشكل أ :الواجهة الرئيسة لقلعة مير جيسا – مصر القديمة

الصورة أ : المظهر الخارجي لقلعة ميرجيسا

عن ويكيبيديا بتصرف

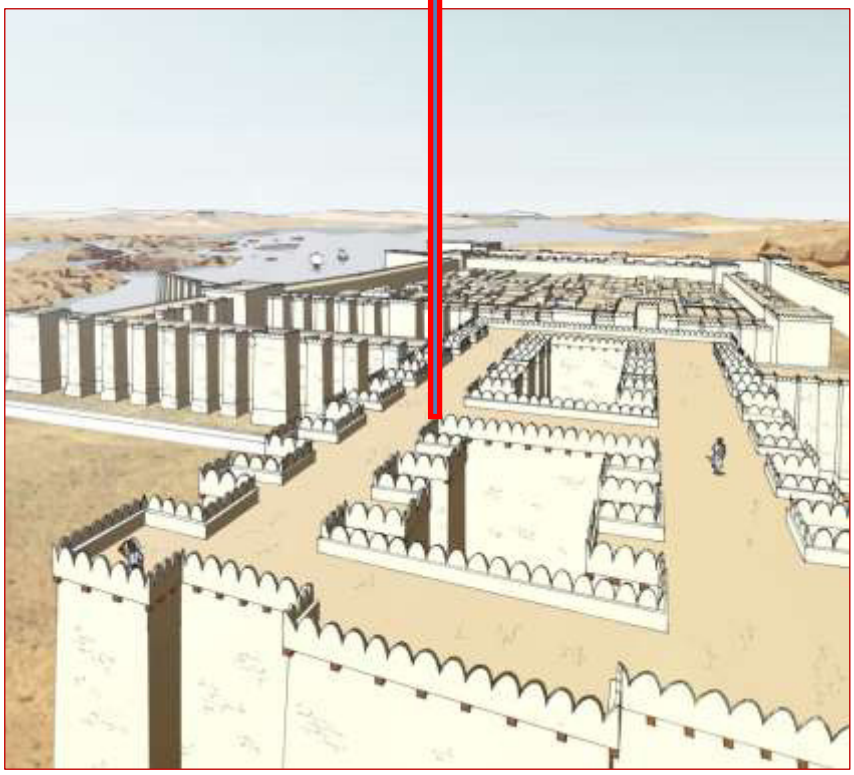

الشكل ج : اعادة تصور قلعة مير جيسا – مصر القديمة –

اللوحة(03): التحصينات العسكرية لمصر القديمة

عن ويكيبيديا بتصرف

الشكل أ: قلعة خورسباد – نموذج لسور سومري عن ليوناردو بينيفيلو – **Léonardo Benevolo** - بتصرف

الشكل ب: رسم تخطيطي لاسوار مدينة بابل عن **google image** بتصرف

الصورة أ: اعادة تصور لمدينة بابل عن **google image** بتصرف

اللوحة (4): التحصينات الدفاعية لبلاد الرافدين

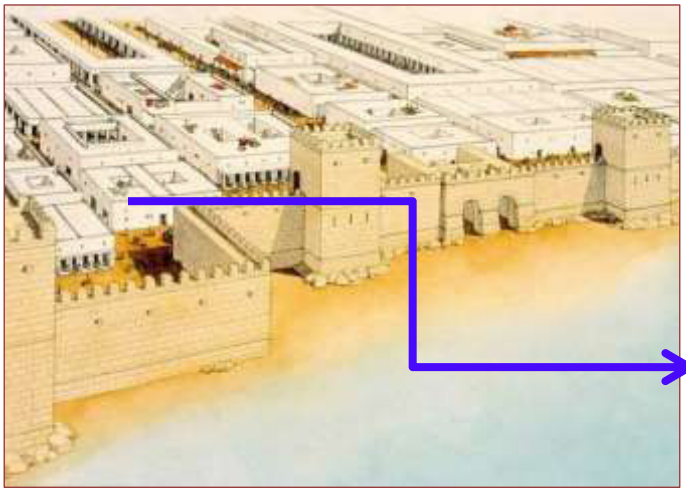

الشكل ب : اعادة تصور مدينة قرطاج الفينيقية و تحصيناتها

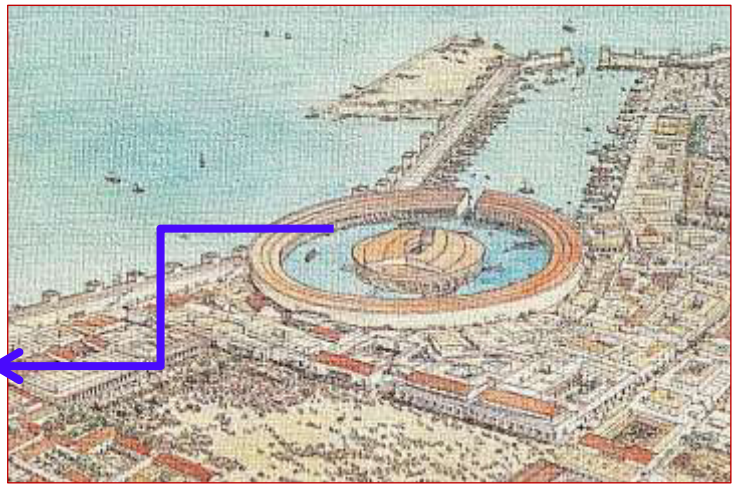

الشكل أ: اعادة تصور مدينة قرطاج الفينيقية و مينائها

عن google image بتصرف

الصورة ب: بقايا المسرح القرطاجي

الصورة أ : آثار مدينة قرطاج

اللوحة(05): قرطاج

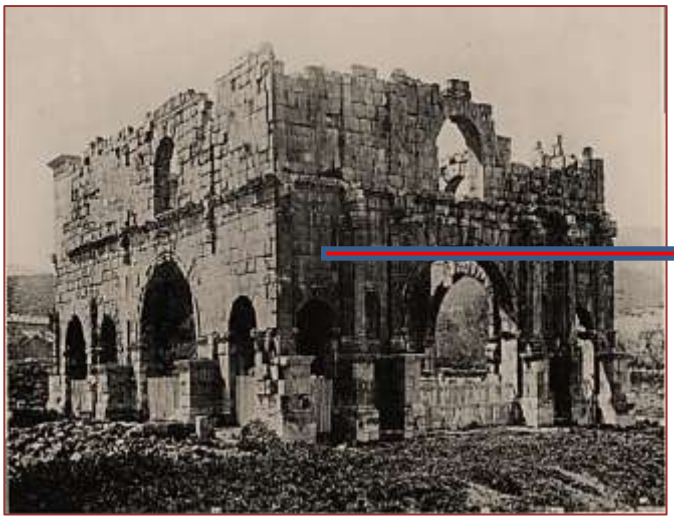

الصورة أ : البناية المركزية بمعسكر لمبيز

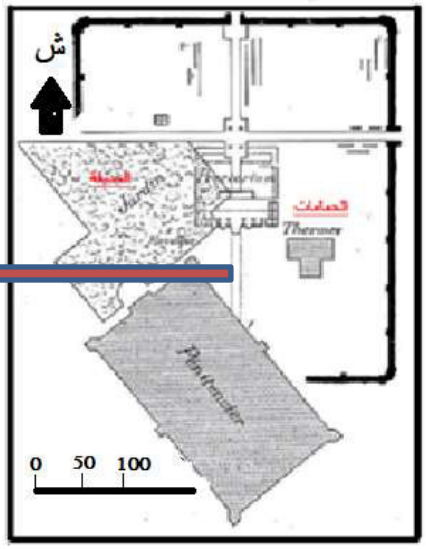

الشكل أ : معسكر لمبيز

عن ستيفان قزال بتصرف

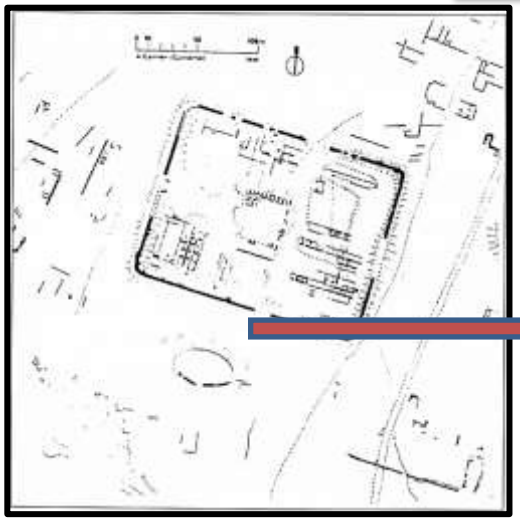

الشكل ب : معسكر القصبات(Gemellae)

الصورة ب : بقايا اسوار معسكر القصبات (Gemellae)

عن google image بتصرف

الصورة ج : بقايا اسوار مدينة سور جواب عن ستيفان قزال

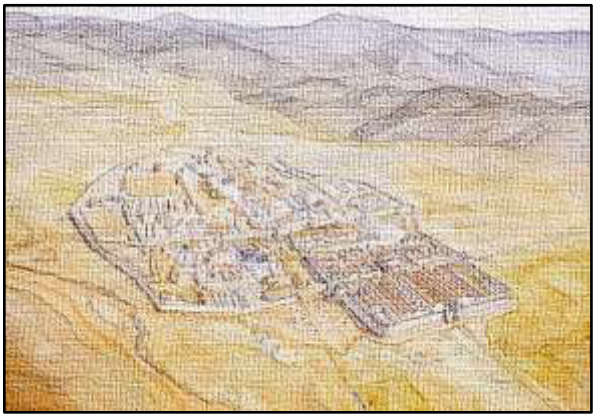

الشكل ج : اعادة تصور مخطط ر مدينة سور جواب عن google image بتصرف

اللوحة(06): نماذج من المدن الجزائرية في العهد الروماني

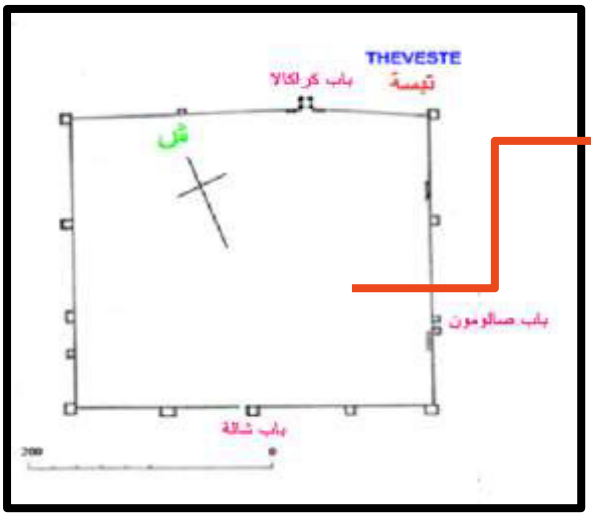

الشكل أ: الاسوار الدفاعية لمدينة تبسة

الصورة أ: باب صالومون بمدينة تبسة

عن ستيفان قزال بتصرف

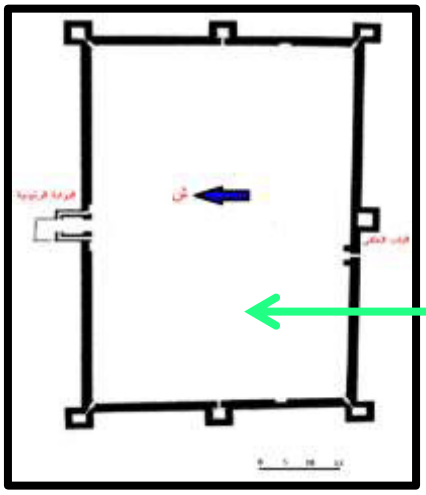

الشكل ب: مخطط لقلعة تيمقاد البيزنطية

الصورة ب: القلعة البيزنطية تيمقاد

الشكل ج: القلعة البيزنطية بسوق هراس(بمداورش)

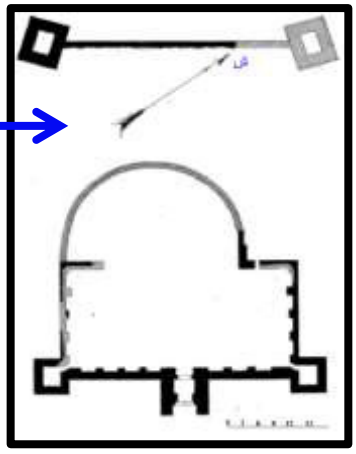

الصورة ج: القلعة البيزنطية بسوق هراس(بمداورش)

اللوحة(07): التحصينات الدفاعية بالمدن الجزائرية في الفترة البيزنطية

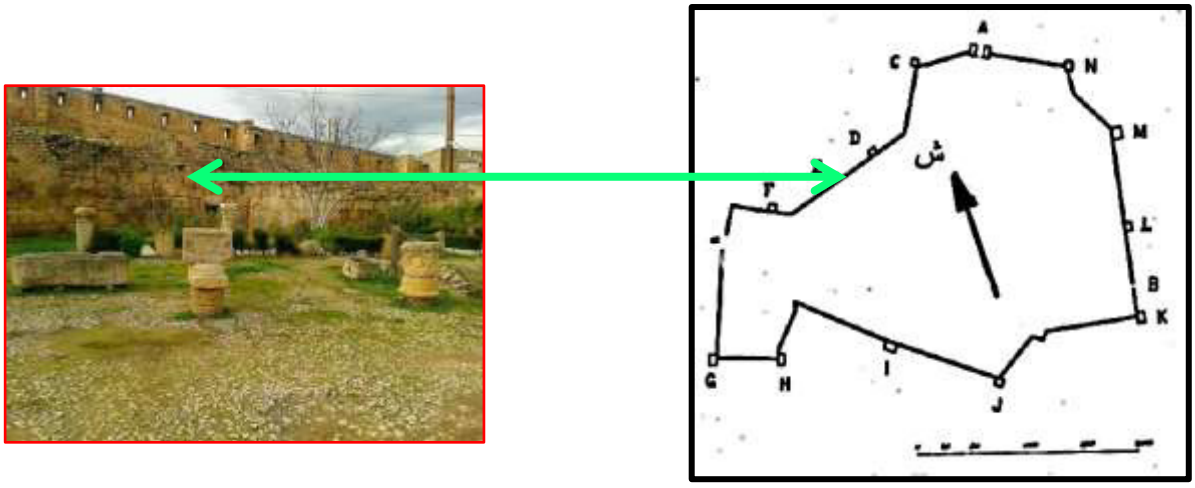

الشكل أ: ميلة (Milev)–نموذج من المدن المحصنة– عن قزال بتصرف

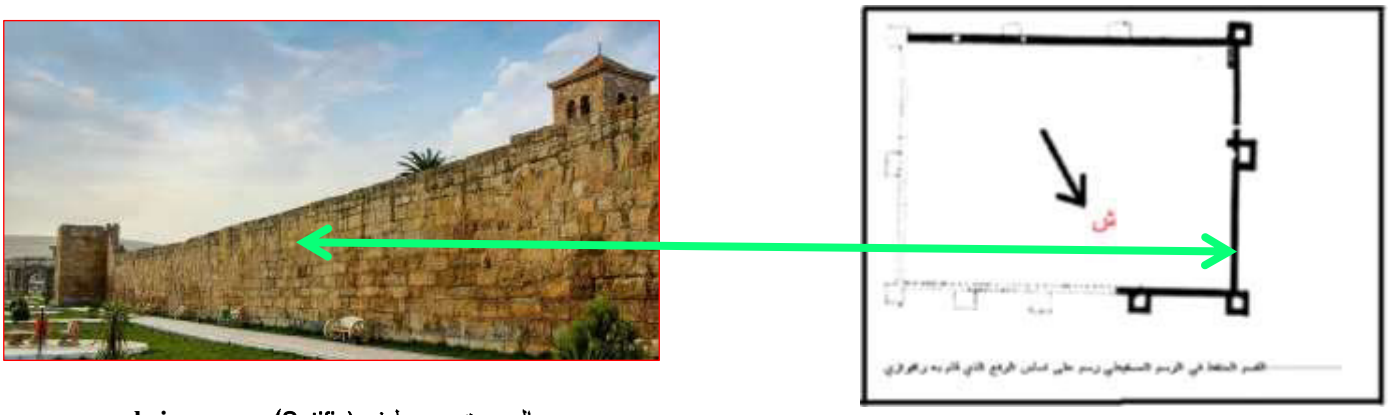

الشكل ب: سطيف (Setifis) نموذج من المراكز العسكرية عن شنيتي بتصرف

الصورة ب: سطيف (Setifis) عن google image

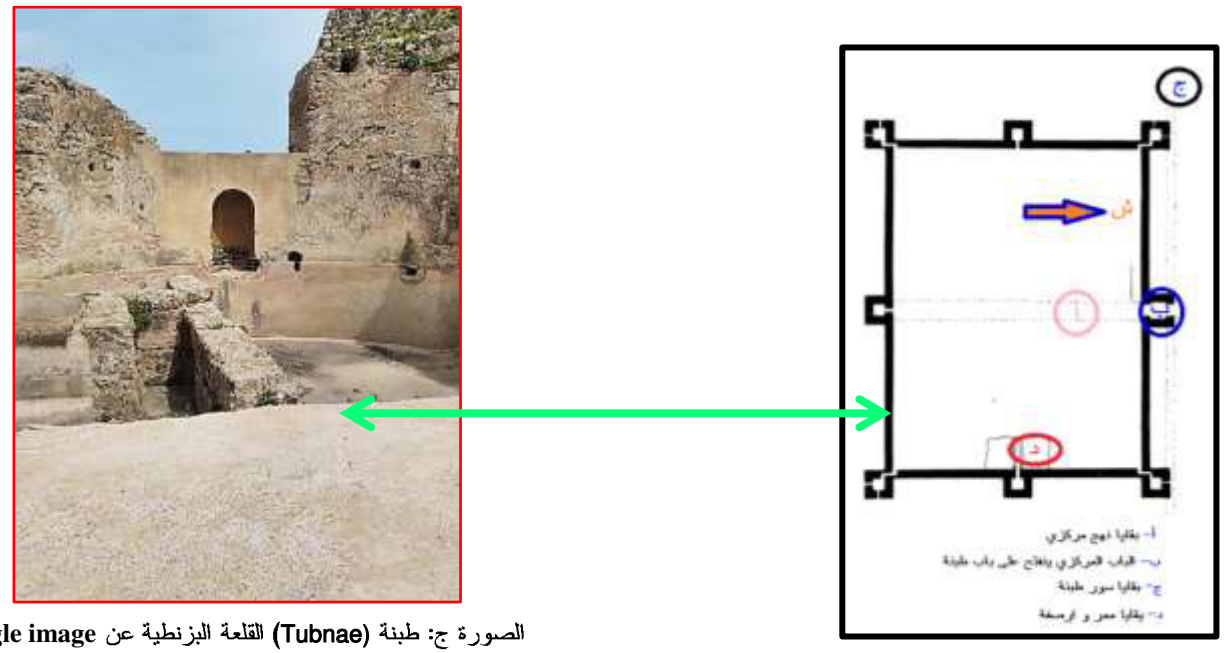

الشكل ج : طبنة (Tubnae) نموذج من القلاع عن شنيتي بتصرف

الصورة ج: طبنة (Tubnae) القلعة البزنطية عن google image

اللوحة(08): نماذج أنماط العمارة الدفاعية البيزنطية بشمال افريقيا

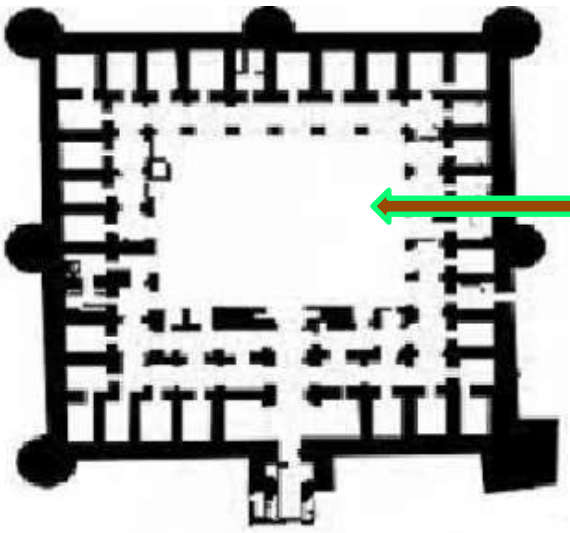

الشكل أ: مخطط رباط سوسة

الصورة أ: رباط سوسة بتونس

عن **google image** بتصرف

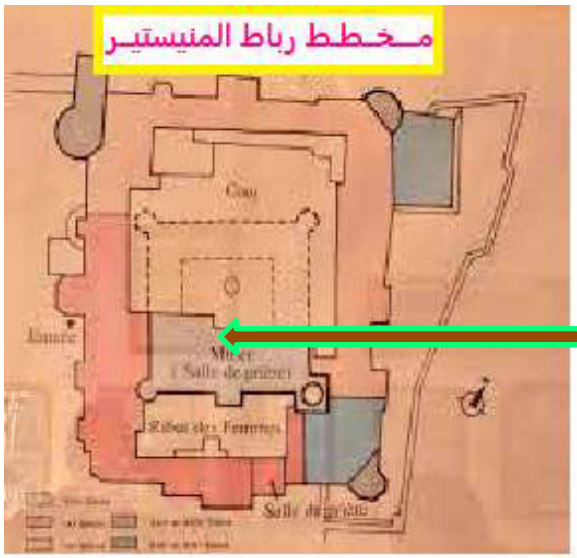

الشكل ب: مخطط رباط المنيستير بتونس

الصورة ب: رباط المنيستير بتونس

اللوحة(09): نماذج من الرباطات الاسلامية

عن google image بتصرف

الصورة أ: برج لأقدم سور لبغداد

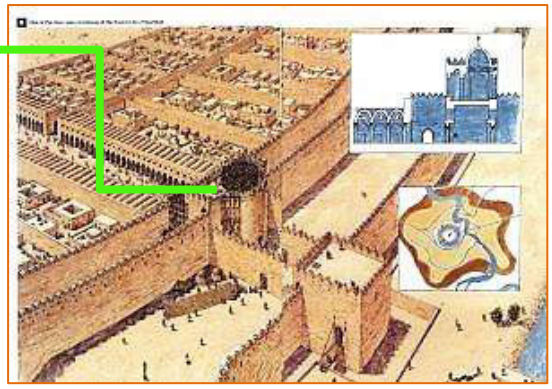

الشكل أ: تحصينات مدينة بغداد

الصورة ب: بقايا اثار قلعة دمشق

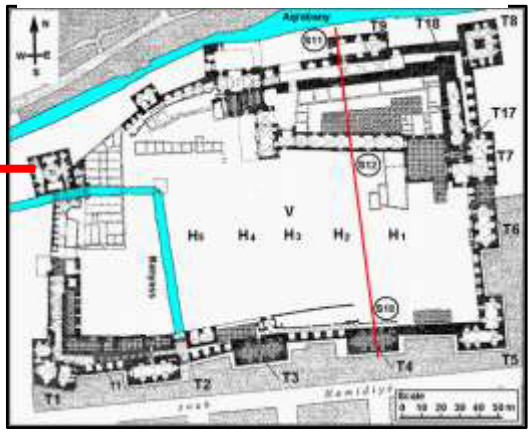

الشكل ب: مخطط لقلعة دمشق و ما تشتمل عليه من ابراج دفاعية

الشكل ج : مخطط قلعة القاهرة

الصورة ج : قلعة القاهرة

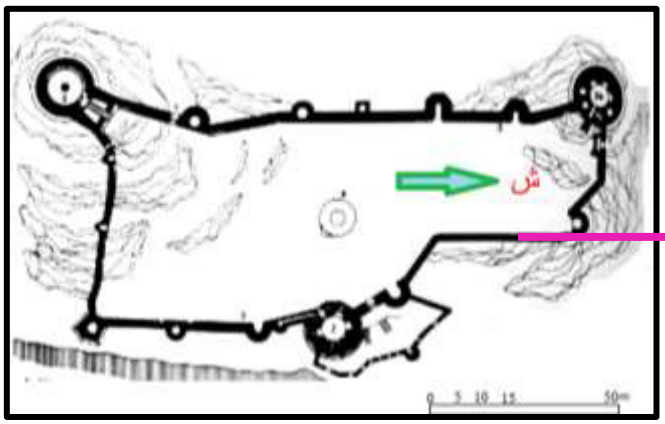

الشكل د : مخطط لقلعة رميلي حصار – العثمانية

الصورة د : قلعة رميلي حصار – العثمانية

اللوحة(10): نماذج من التحصينات الدفاعية بالمشرق العربي(الشام و مصر)

الصورة ب : باب الرباط بمراكش

عن google image
بتصرف

الصورة أ: باب المنيستير

الصورة د: بقايا اسوار قلعة بني حماد بالمسلية الرباط

الصورة ج : اسوار مدينة حنين بتلمسان

الصورة ي : قصبة مالقة الأندلسية

الصورة هـ : اسوار مدينة اشبيلية الأندلسية

اللوحة(11): نماذج من التحصينات الدفاعية بالمغرب الاسلامي و الاندلس

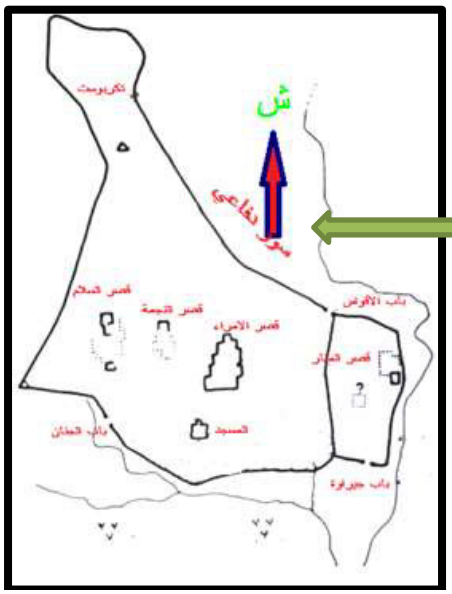

الشكل أ: مخطط لقلعة بني حماد

الصورة أ: بقايا اسوار حمادية

عن google image بتصرف

الصورة د : باب القرمدين المرابطي بتلمسان

الصورة ج: بقايا اسوار مدينة اشير الزيرية

عن عن لارقاش عبد الكريم بتصرف

الصورة هـ : سور مدينة مراكش الموحدي

عن google image بتصرف

اللوحة(12): نماذج من التحصينات الدفاعية المرابطية – الموحدية –الزيرية– حمادية بالمدن الإسلامية

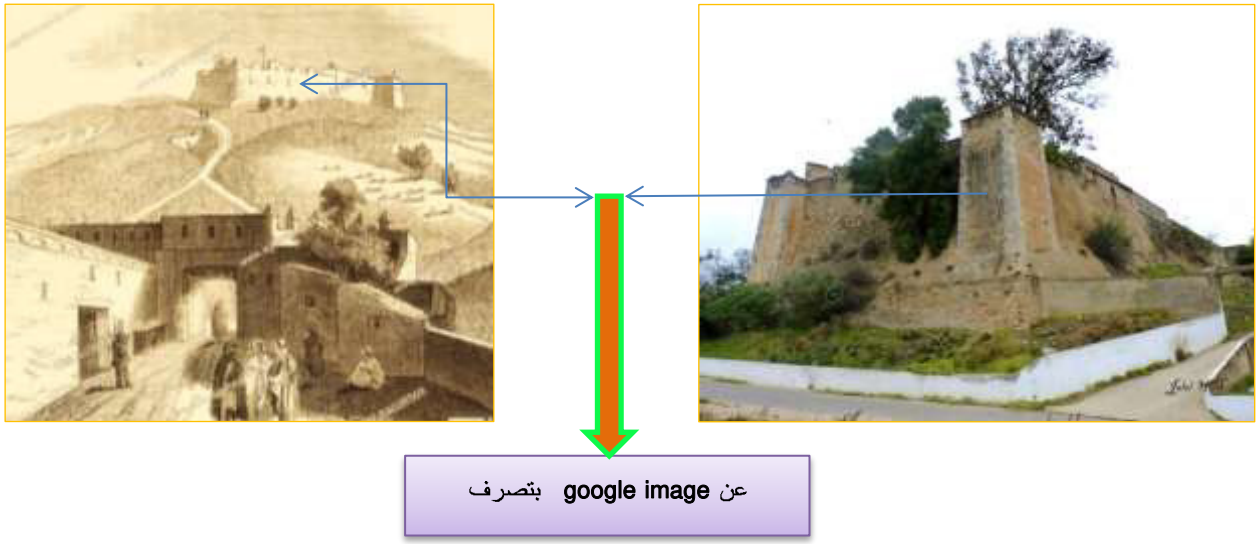

الصورتين أ– ب: قصبة عنابة الحفصية

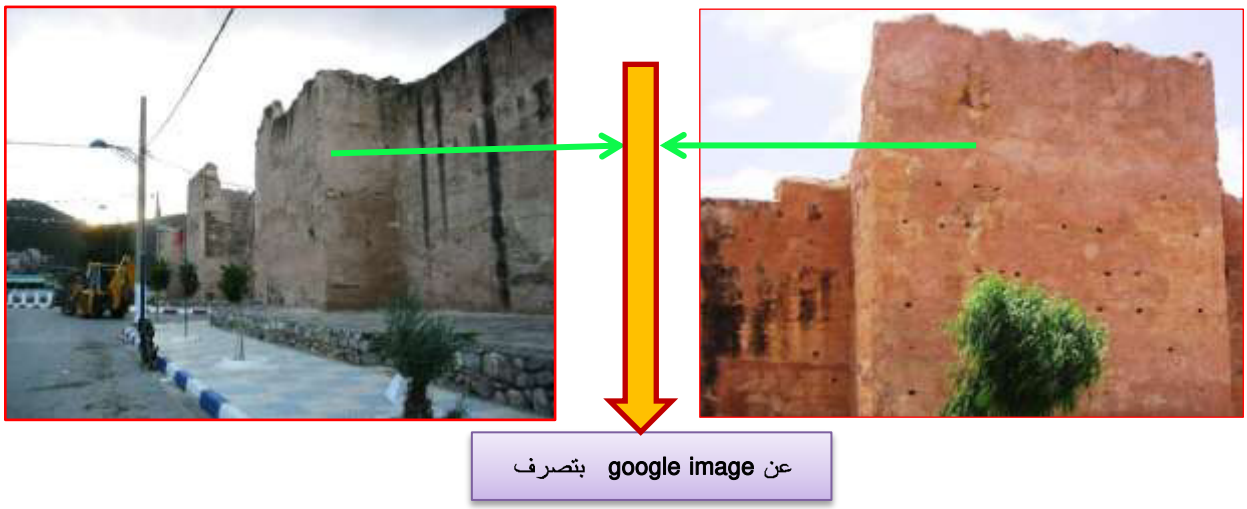

الصورتين ج – د : اسوار مدينة هنين الزيانية

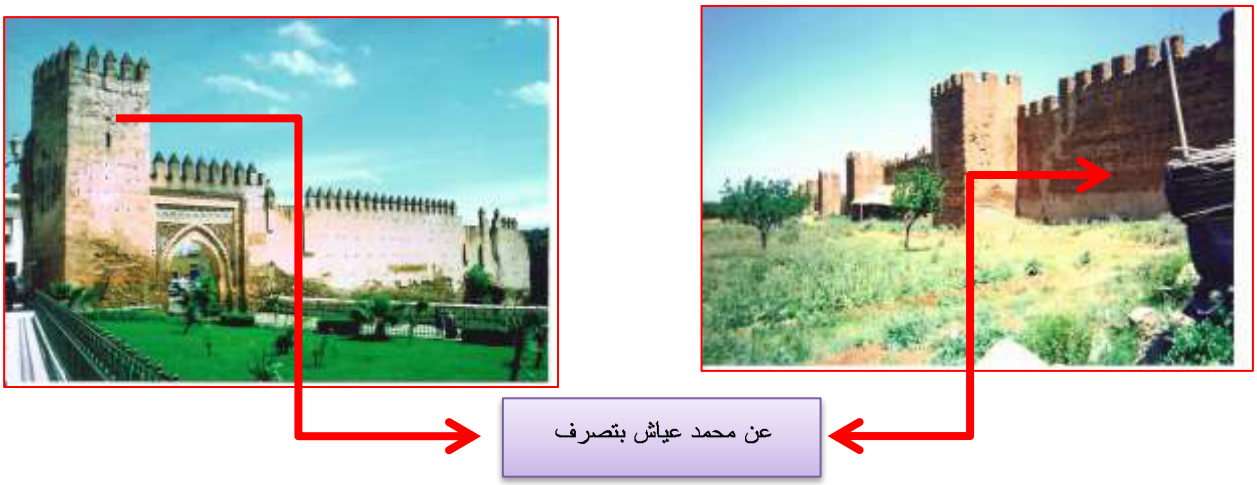

الصورة و: باب فاس الجديدة (منظر خارجي لباب الامر)

اللوحة(13): نماذج من التحصينات الدفاعية المرينية– الحفصية – الزيانية

الصورة أ: تحصينات الجهة الشرقية لمدينة الجزائر(سور الجهة الشرقية) عن Anonyme ,Daguérrio type 1845

الخريطة أ: خريطة جوية لحدود أسوار مدينة الجزائر عن مفتاح عثمان

الصورة ب : تحصينات الجهة الغربية لمدينة الجزائر(سور الجهة الغربية) عن مفتاح عثمان

الصورة ج : بقايا لسور من الجهة الغربية لمدينة الجزائر عن مفتاح عثمان

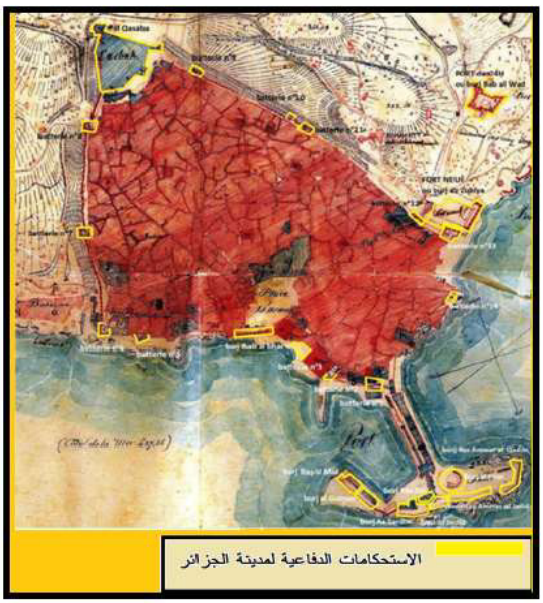

الشكل أ : تحصينات مدينة الجزائر في العهد العثماني عن بن سلاتة مسيخ بتصرف

الصورة د : بقايا لسور الجهة الشرقية عن مفتاح عثمان

الصورة هـــ: خندق مدينة الجزائر عن مفتاح عثمان

اللوحة (14): تحصينات مدينة الجزائر في العهد العثماني

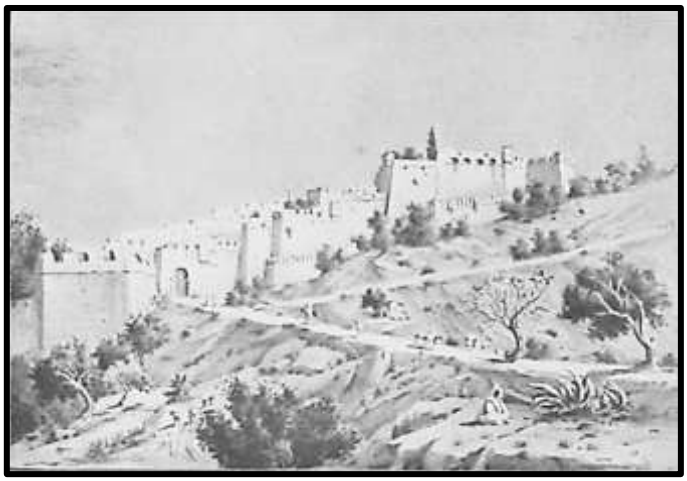

الصورة أ: باب الجديد عن قيوشان

الصورة ب: باب البحرية عن الفونس دافان **1860**

الصورة ج : باب عزون

عن كلوسول

عن كلوسول

الصورة د: باب الوادي

عن دوفولكس

اللوحة (15): ابواب مدينة الجزائر في العهد العثماني

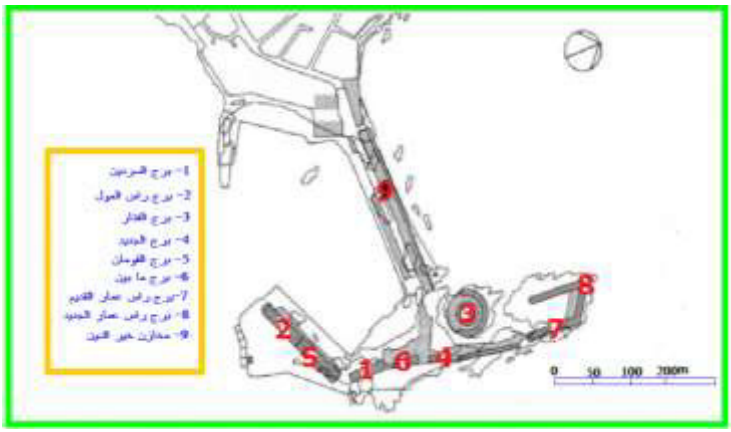

الشكل أ : أبراج ميناء مدينة الجزائر عن ميسوم سكينة بتصرف

الصورة أ: صورة جوية لمقر الأميرالية لمدينة الجزائر في العهد العثماني
عن لاي Laye

الصورتين ب ج : برج الفنار بميناء

عن مفتاح عثمان

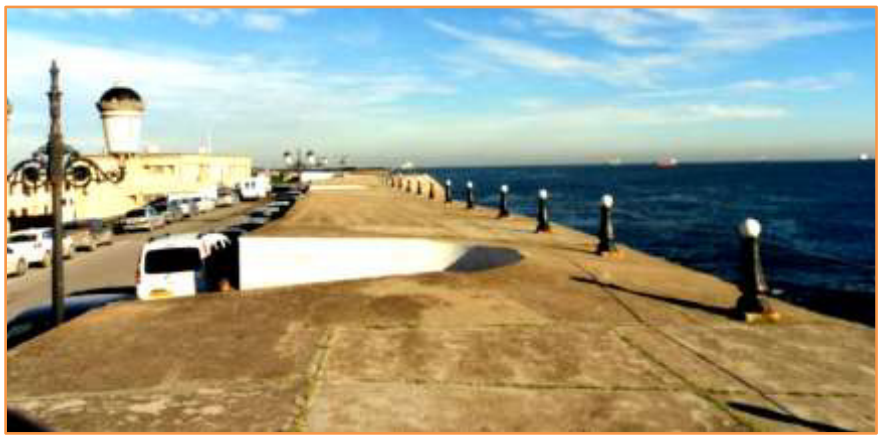

الصورة د: موقع برج راس عمار الجديد
عن مفتاح

اللوحة (16): تحصينات ميناء الجزائر

الصورة أ: قلعة الجزائر – القصبة - عن google image بتصرف

الصورة ب: برج بوغني عن google image

الصورة ج : برج سيباو عن بوطبة

اللوحة(17) : نماذج من التحصينات الدفاعية لدار السلطان

الصورة د : اسوار دلس عن google image

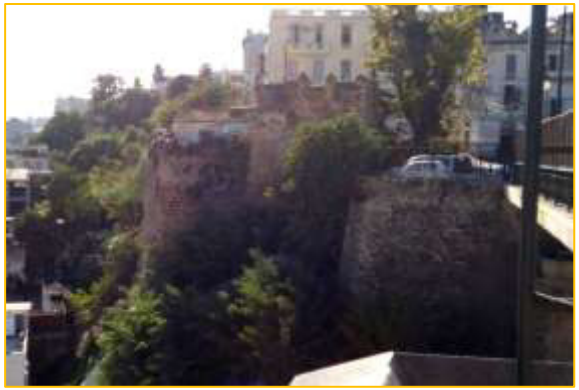

الصورة أ : برج المعدومين عنابة

الصورة ب : برج موسى بجاية

اللوحة (18): نماذج من تحصينات بيلك الشرق

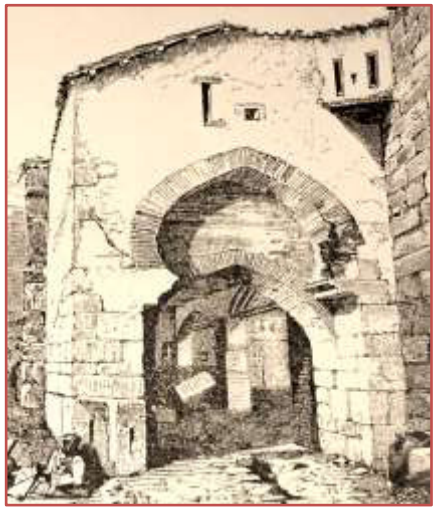

الصورة ج : باب الجابية بمدينة قسنطينة

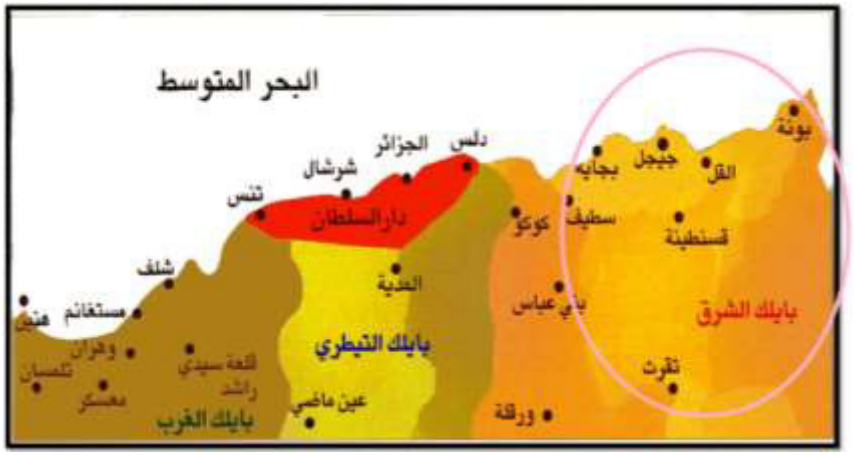

الصورة ح : بعض اسوار مدينة ميلة

الصورة أ : البرج التركي مستغانم

الصورة ب : برج مرسى الكبير وهران

الصورة ج : برج التوتية بالمشور – تلمسان

اللوحة (19): نماذج من تحصينات بيلك الغرب

الصورة أ سبيل بقلعة الجزائر – القصبة العليا

سبيل (عين) البحرية عن قيوشان

اللوحة(20) : نماذج من التجهيزات المائية لمدينة الجزائر في العهد العثماني

الصورة ب : قناة بئرطرارية عن أوتو

الصورة د : قناة الحراش عن أوتو

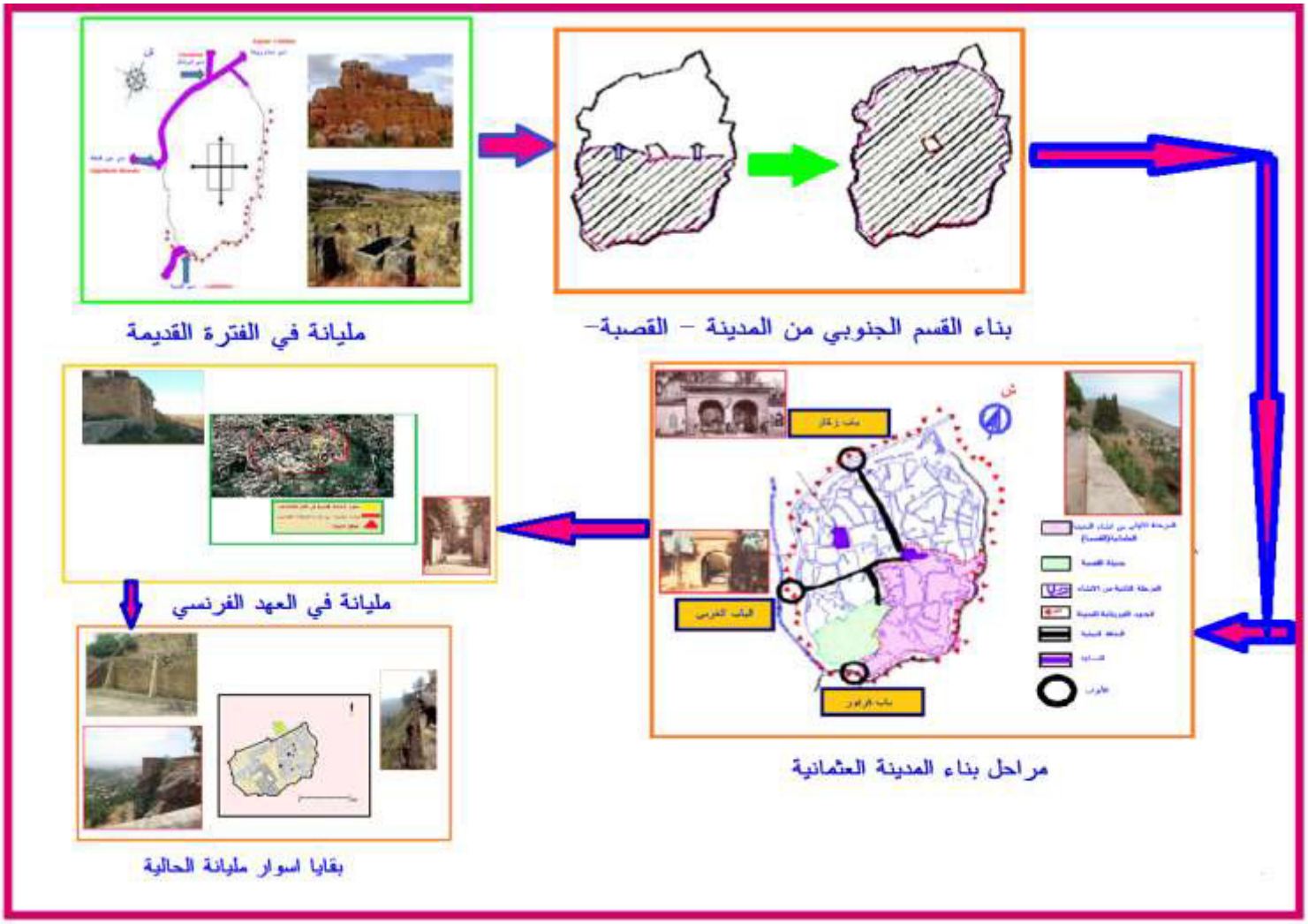

اللوحة (21): مليانة عبر التاريخ

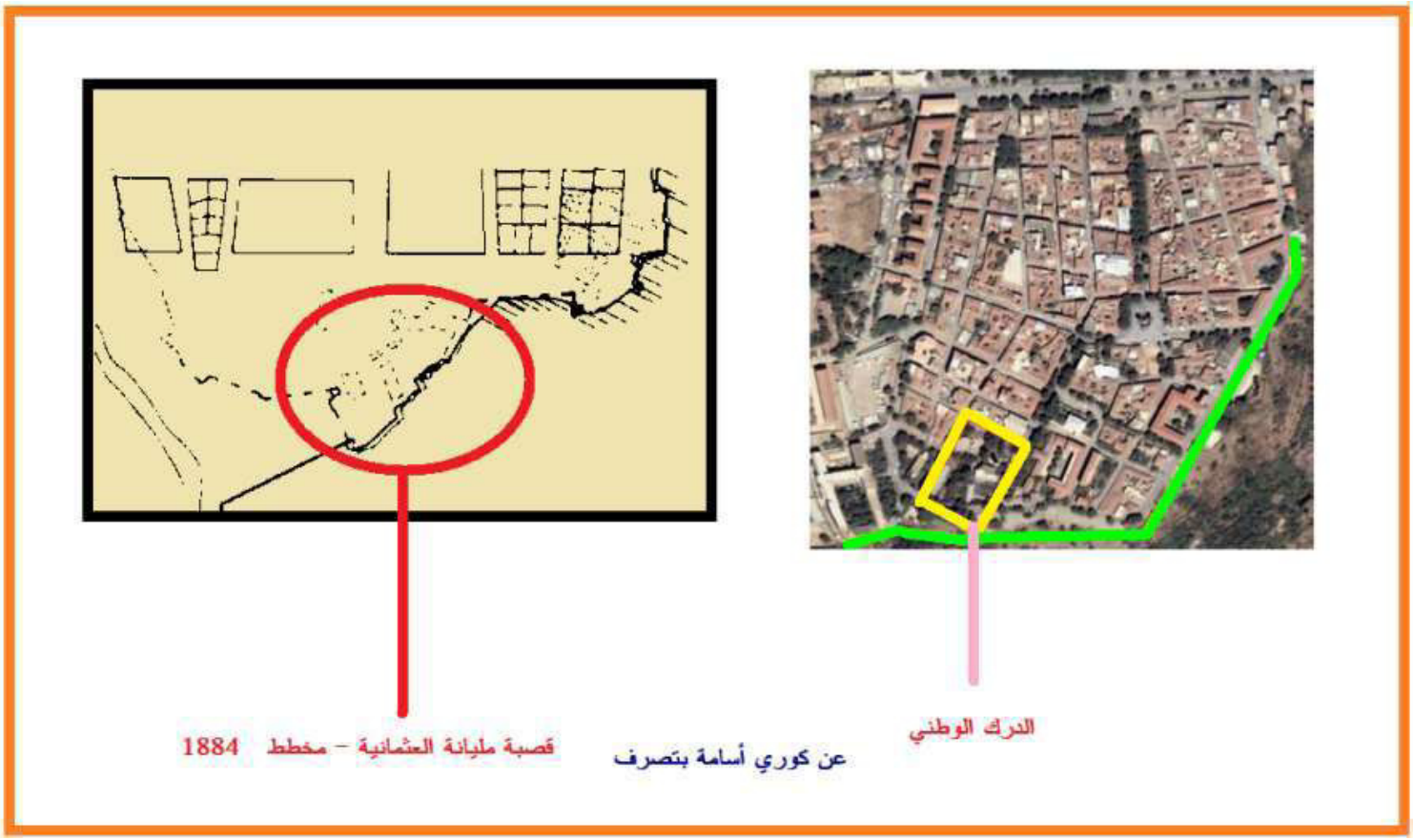

اللوحة (22): مكان قصبة مليانة العثمانية

الصورة أ:

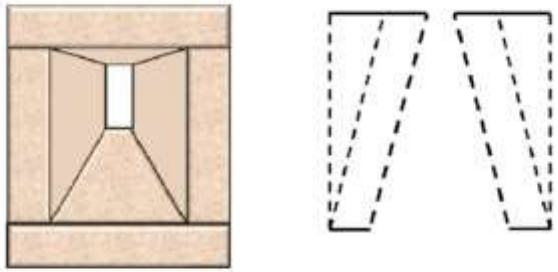

الشكل أ : مقطع تخطيطي لمزاغل بسور مليانة :

الصورة ب:

الصورة ج :

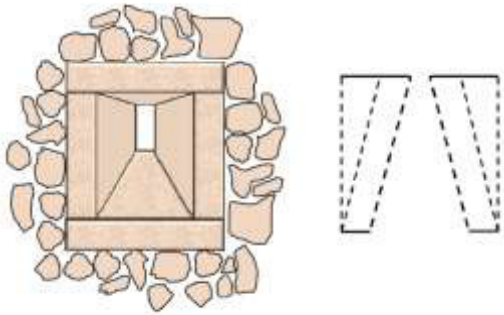

الصورة د:

اللوحة(23) : نماذج من مزاغل سور مليانة

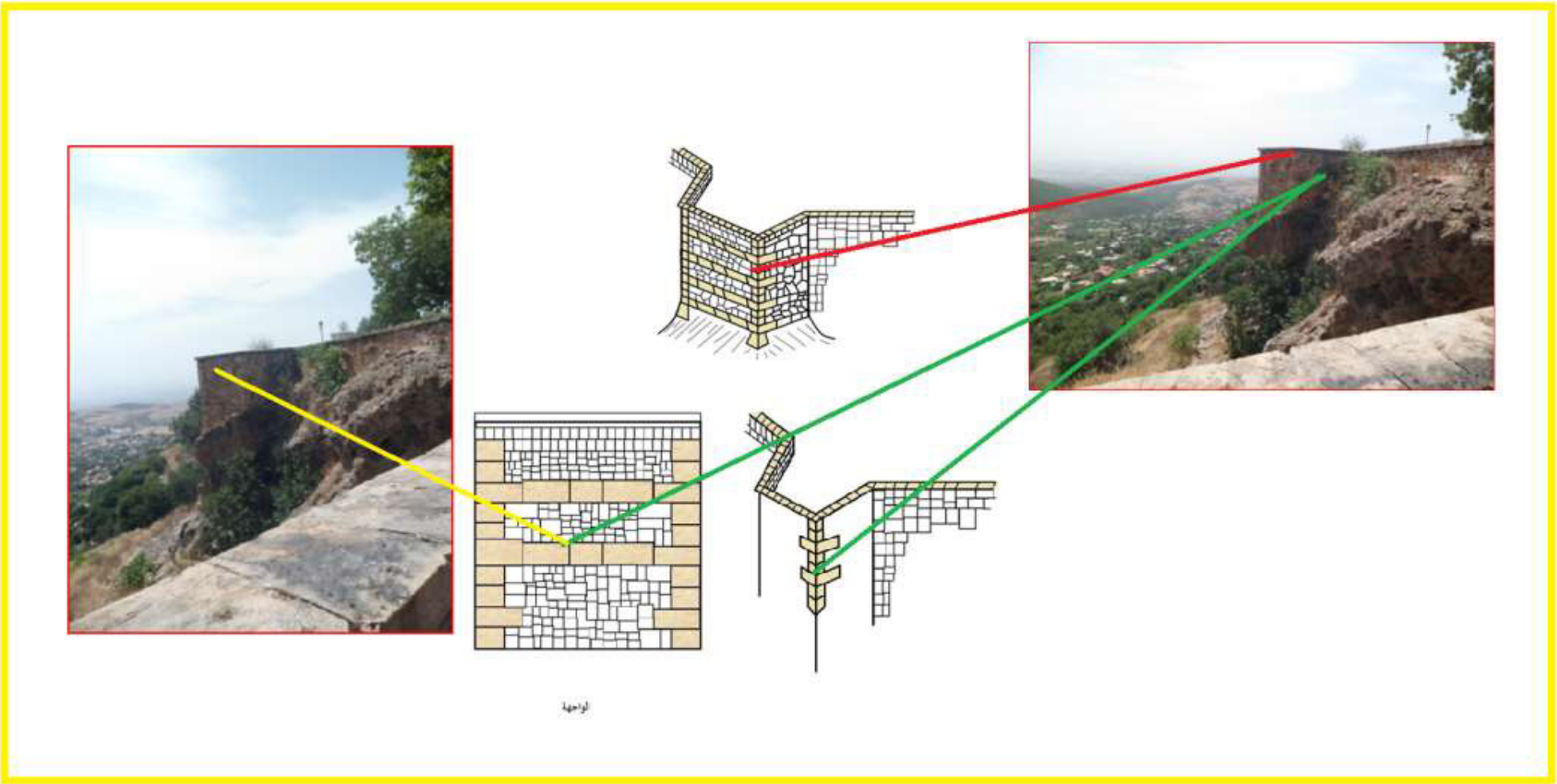

اللوحة(24): نموذج من ابراج سور مليانة

الصورة – أ –

الصورة – ب–

الصورة – ج–

اللوحة(25): موضع برج الانابود و مظهره الخارجي

الصورة– أ–: الواجهة الشمالية

الصورة– ب–: الواجهة الجنوبية

الصورة– ج– : الواجهة الشرقية

الصورة– د: الواجهة الغربية

اللوحة (26): واجهات برج الانابود رصيد شخصي

اللوحة(27): الواجهة الشمالية (الرئيسية) لبرج الأنابود

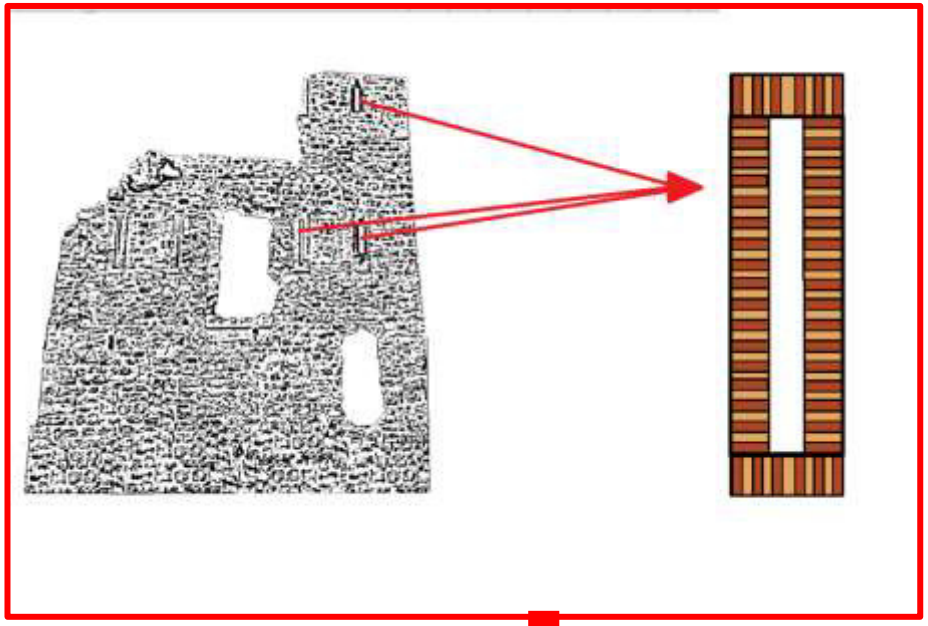

الصورة أ : الواجهة الرئيسية للبرج

الشكل ب : مخطط برج الانابود

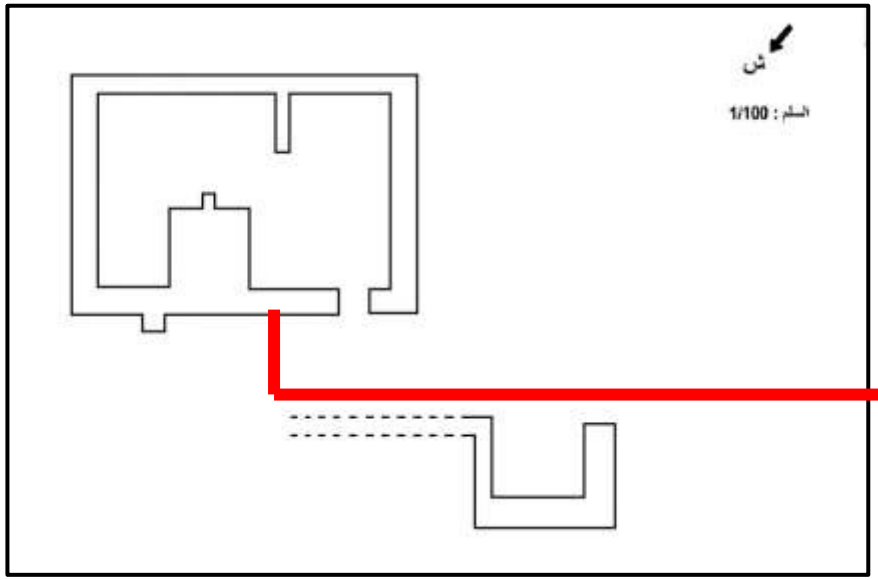

المخطط(04) : مخطط برج الانابود

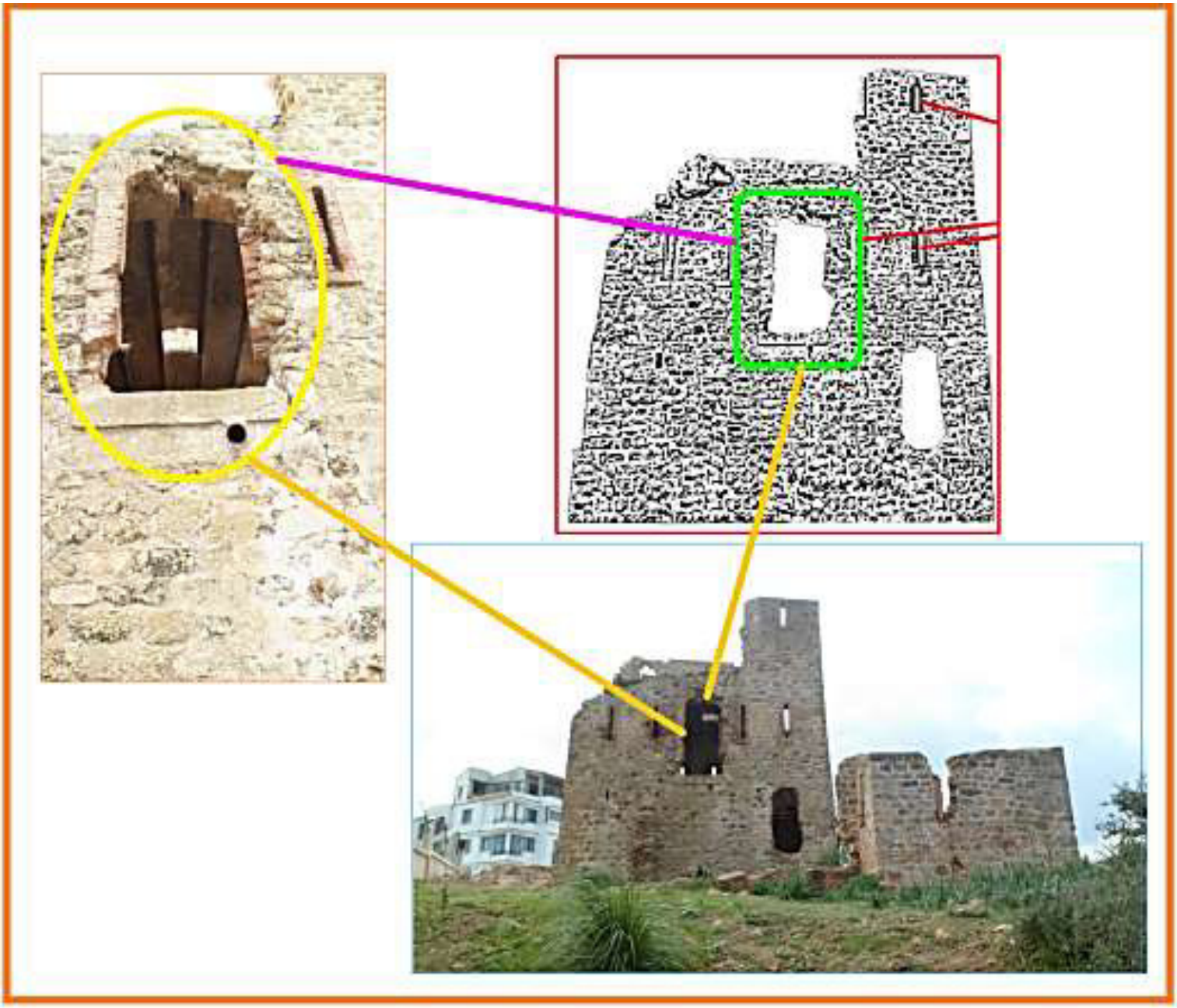

اللوحة(28): المدخل الرئيسي لبرج الأنابود من عمل الطالبة

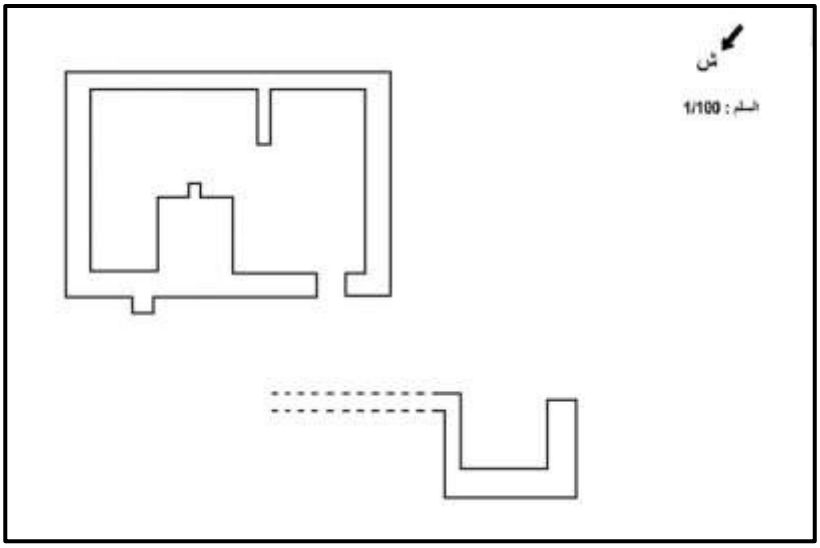

المخطط (04): مخطط برج الانابود

اللوحة (29): الواجهة الجنوبية لبرج الانابود

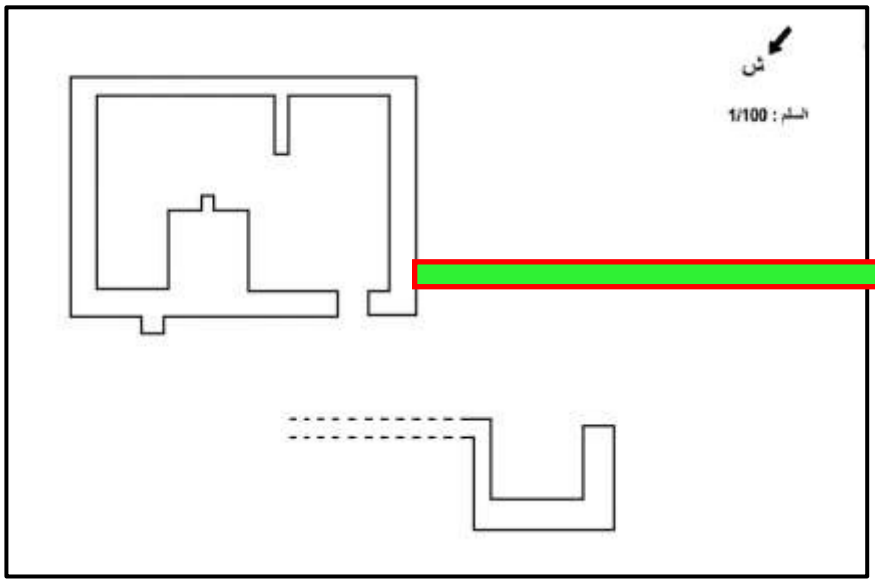

المخطط (04): مخطط برج الانابود

الصورة أ: الواجهة الشرقية

اللوحة (30): الواجهة الشرقية لبرج الانابود

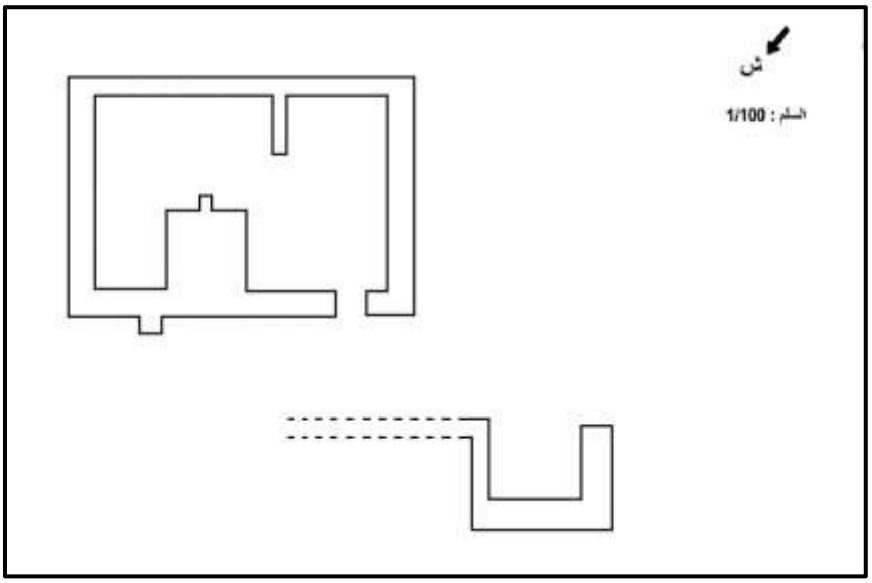

المخطط (04): مخطط برج الانابود

الصورة أ: الواجهة الغربية

اللوحة (31): الواجهة الغربية لبرج الانابود

اللوحة(32): بقايا جدران الغرف لبرج الأنابود

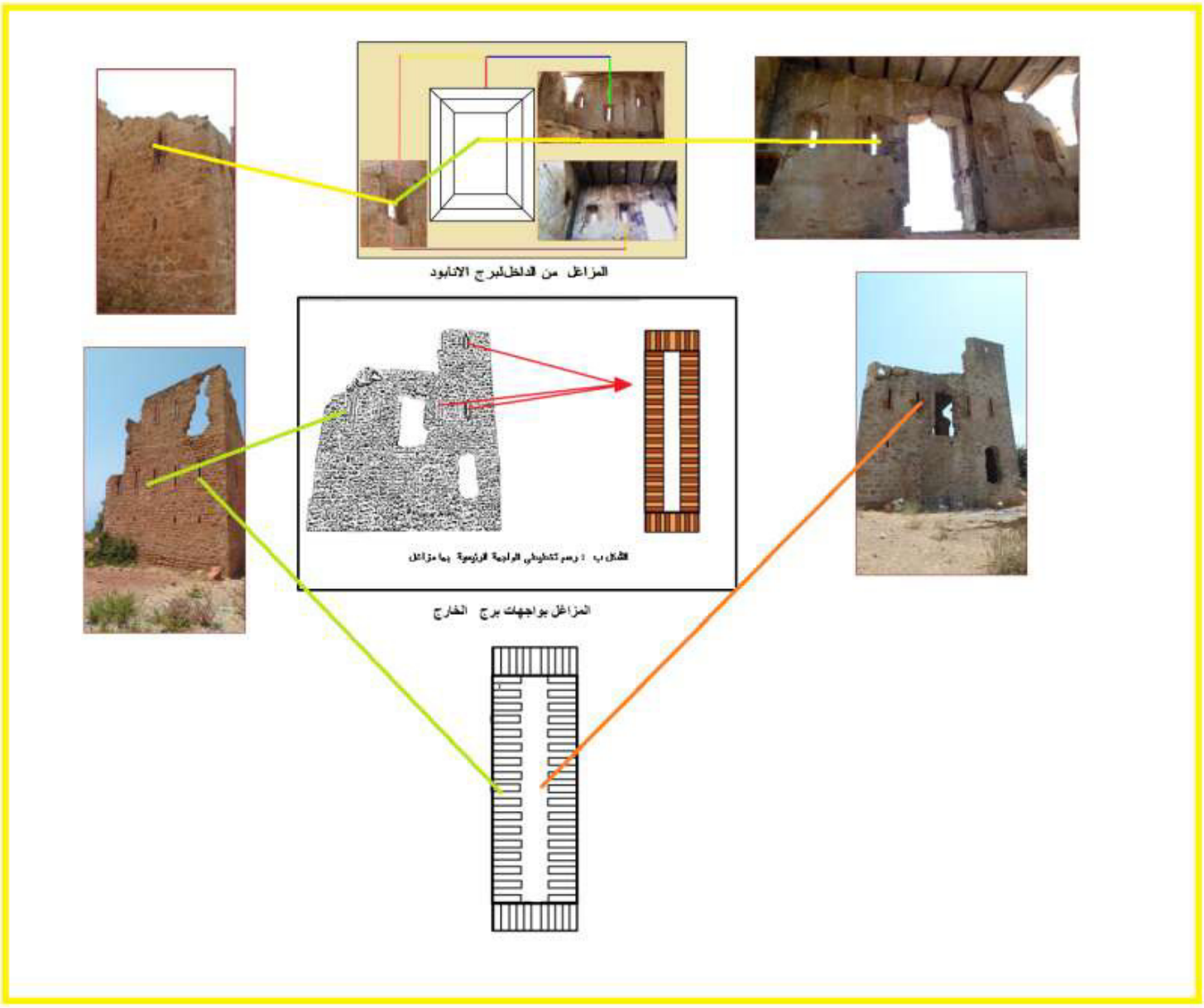

اللوحة (33): المزاغل بواجهات برج من داخل و خارج برج الانابود

الصورة أ :

الصورة ب :

الصورة ج :

اللوحة (34): تسقيف برج الانابود من الداخل

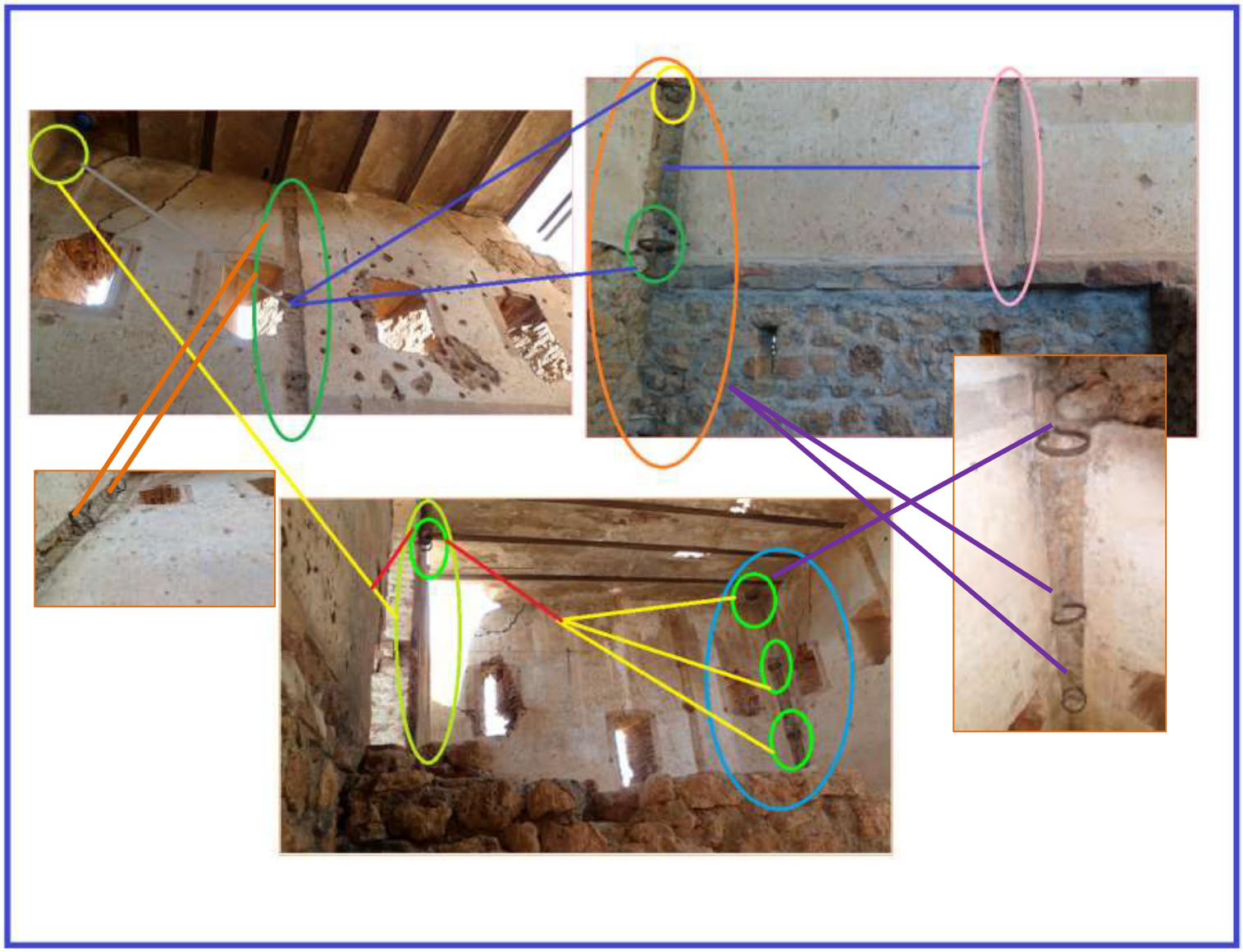

اللوحة (35): حلقات اسطوانية على جدران برج الانابود من الداخل

الصورة– أ– برج القليعة

اللوحة : (36): موقع برج القليعة

عن مكتب الدراسات – عمارة و عمران(مديرية الثقافة لولاية تيبازة (بتصرف)

الصورة – ب– الواجهة الشرقية لبرج القليعة

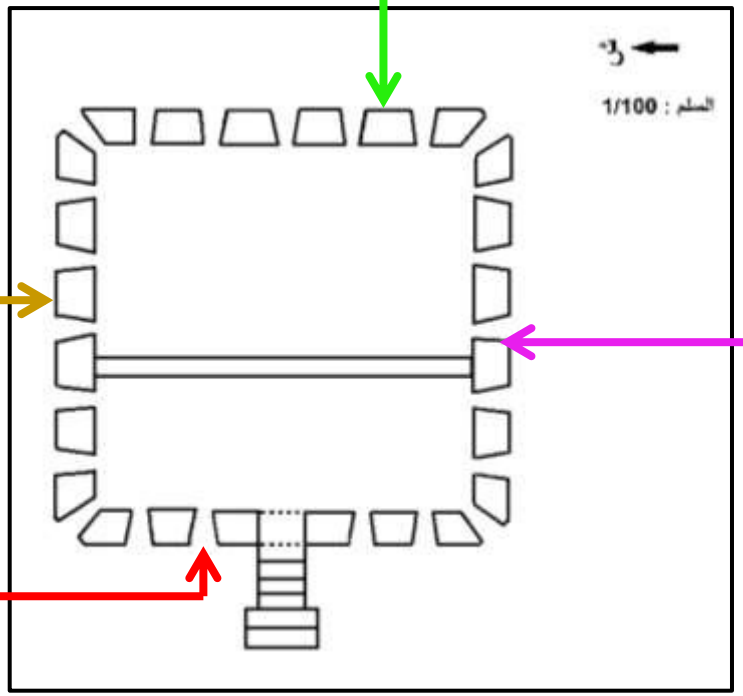

مخطط أ : رسم تخطيطي لبرج القليعة

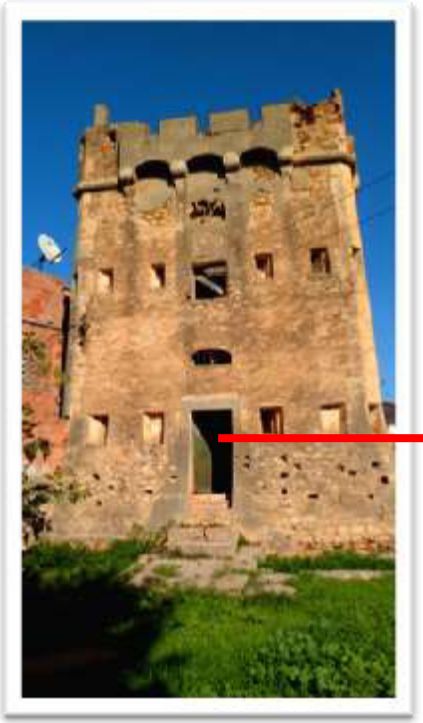

الصورة – أ– الواجهة الغربية لبرج القليعة

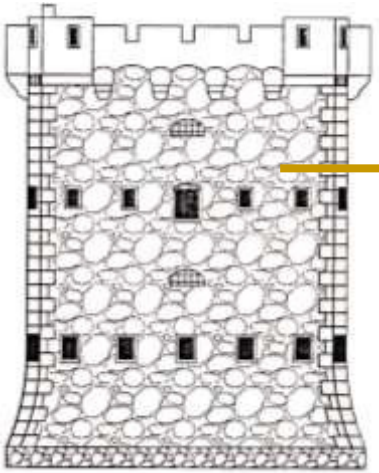

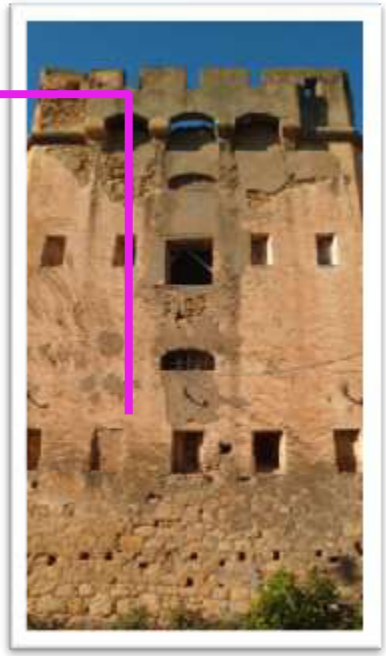

الصورة – ج– الواجهة الجنوبية لبرج

اللوحة (37): واجهات برج القليعة

الشكل أ: مقطع توضيحي للواجهة الشمالية لبرج القليعة

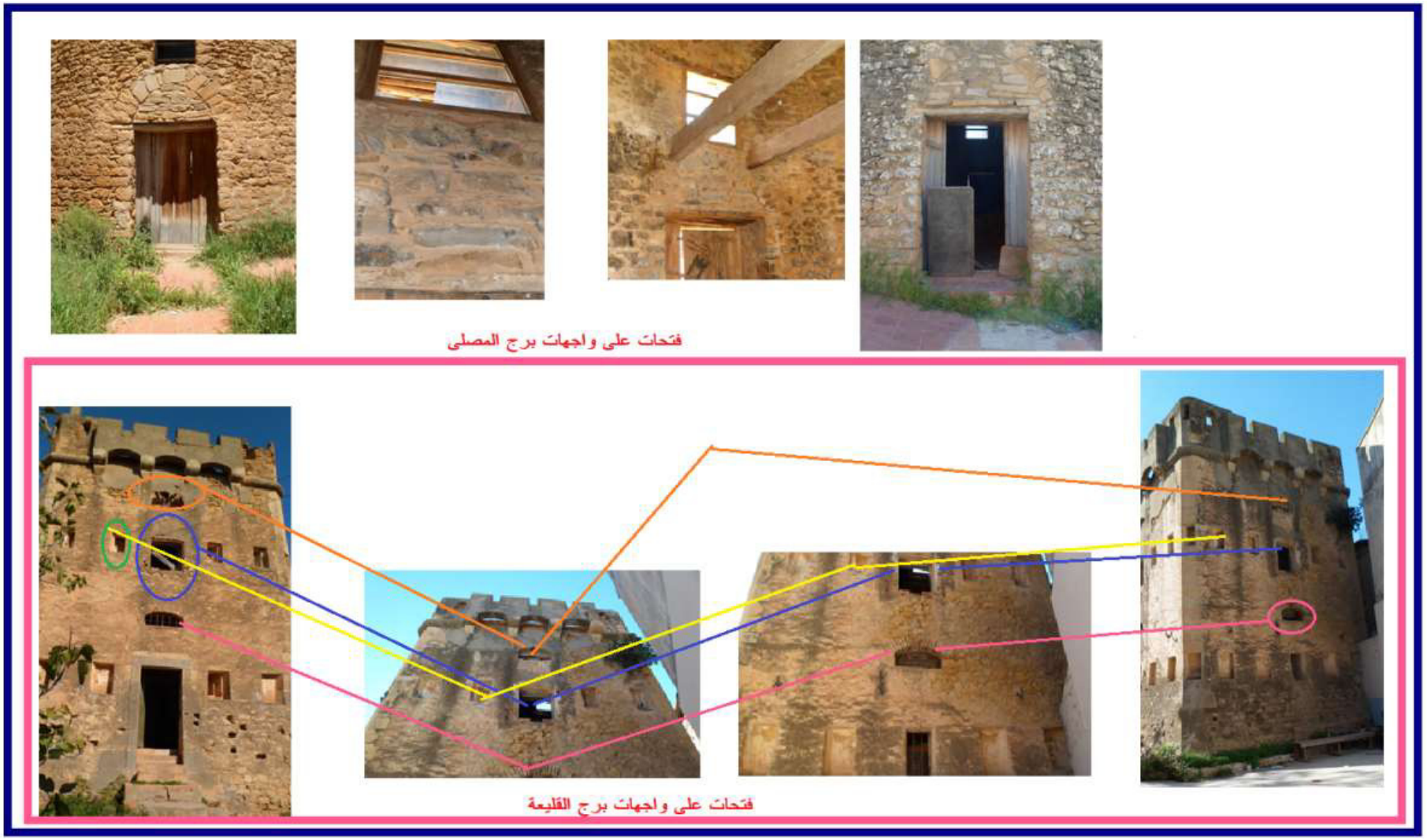

اللوحة (38): **الفتحات ببرج القليعة**

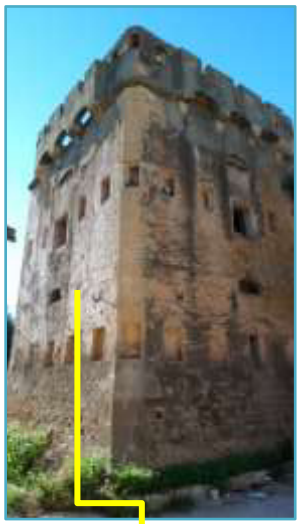

الصورة ب:

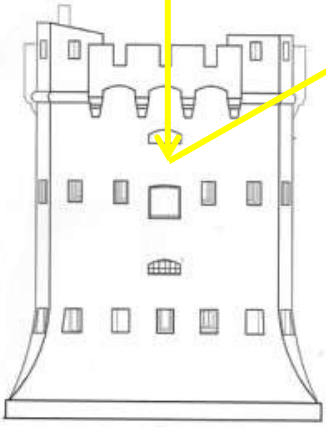

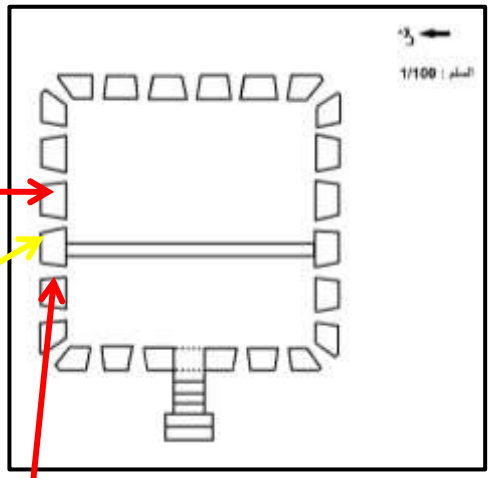

مخطط أ : رسم تخطيطي لبرج القليعة

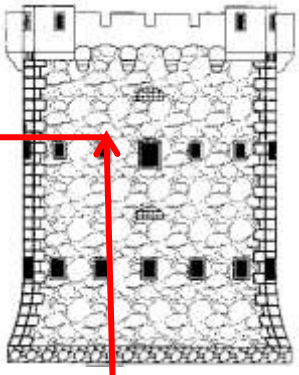

الشكل أ: مقطع توضيحي للواجهة الجنوبية لبرج القليعة عن مديرية الثقافة لتيبازة

الصورة أ

الشكل أ: مقطع للواجهة الجنوبية لبرج القليعة عن كوري ياسين

السلم 1/50

اللوحة 39: الواجهة الجنوبية لبرج القليعة

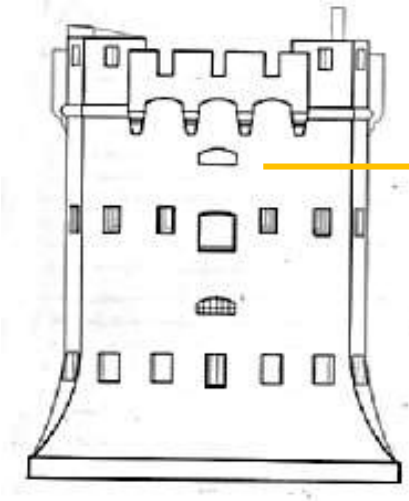

الشكل أ: مقطع للواجهة الشرقية لبرج القليعة عن كوري
السلم 1/50

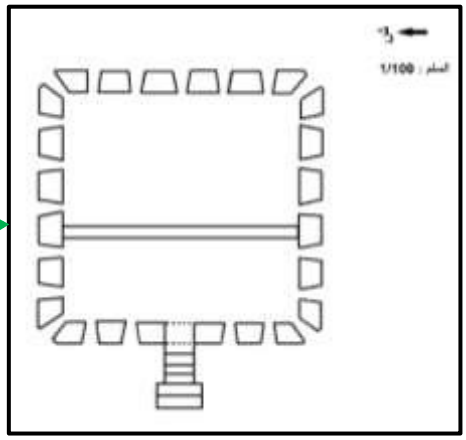

مخطط أ : رسم تخطيطي لبرج القليعة

الصورة أ

الصورة ب

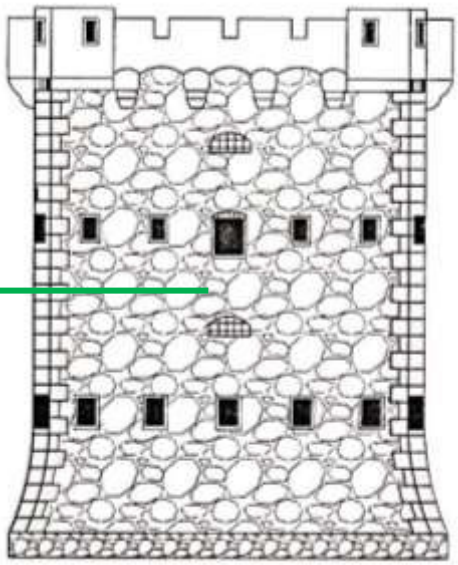

الشكل أ: مقطع توضيحي للواجهة الشرقية لبرج القليعة عن مديرية الثقافة لتيبازة

اللوحة 40: الواجهة الشرقية لبرج القليعة

الصورة ب : الواجهة الغربية

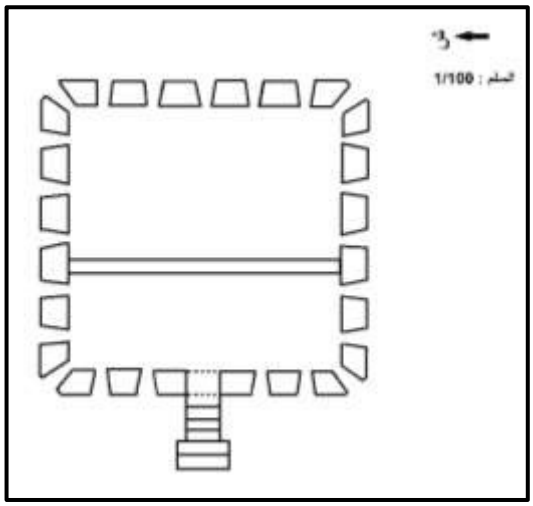

مخطط أ : رسم تخطيطي لبرج القليعة

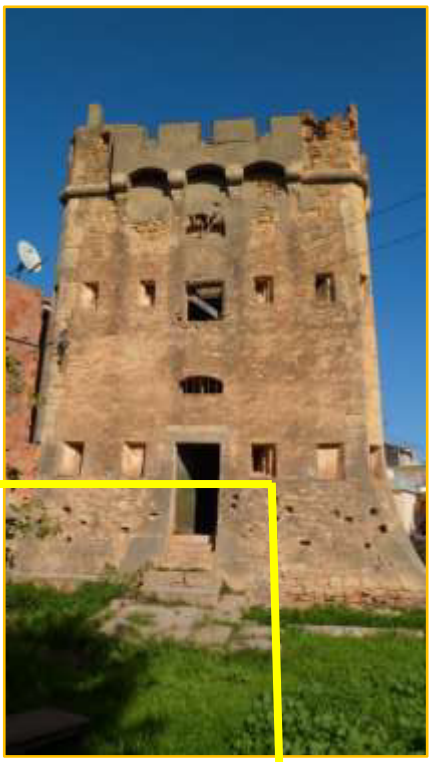

الصورة أ : الواجهة الغربية

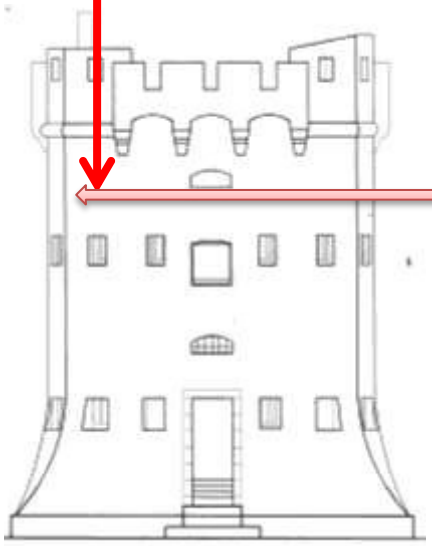

الشكل أ: مقطع للواجهة الغربية لبرج القليعة عن كوري ياسين

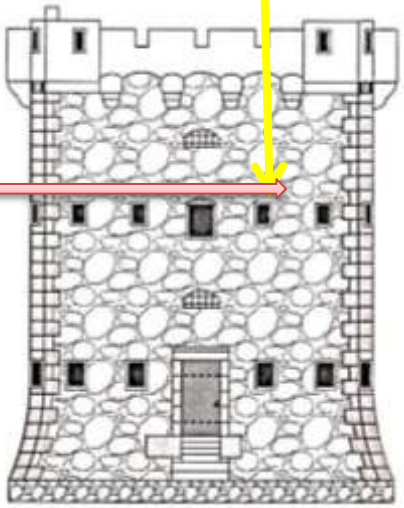

الشكل أ: مقطع توضيحي للواجهة الغربية لبرج القليعة عن مديرية الثقافة لتيبازة

اللوحة(41): الواجهة الغربية لبرج القليعة

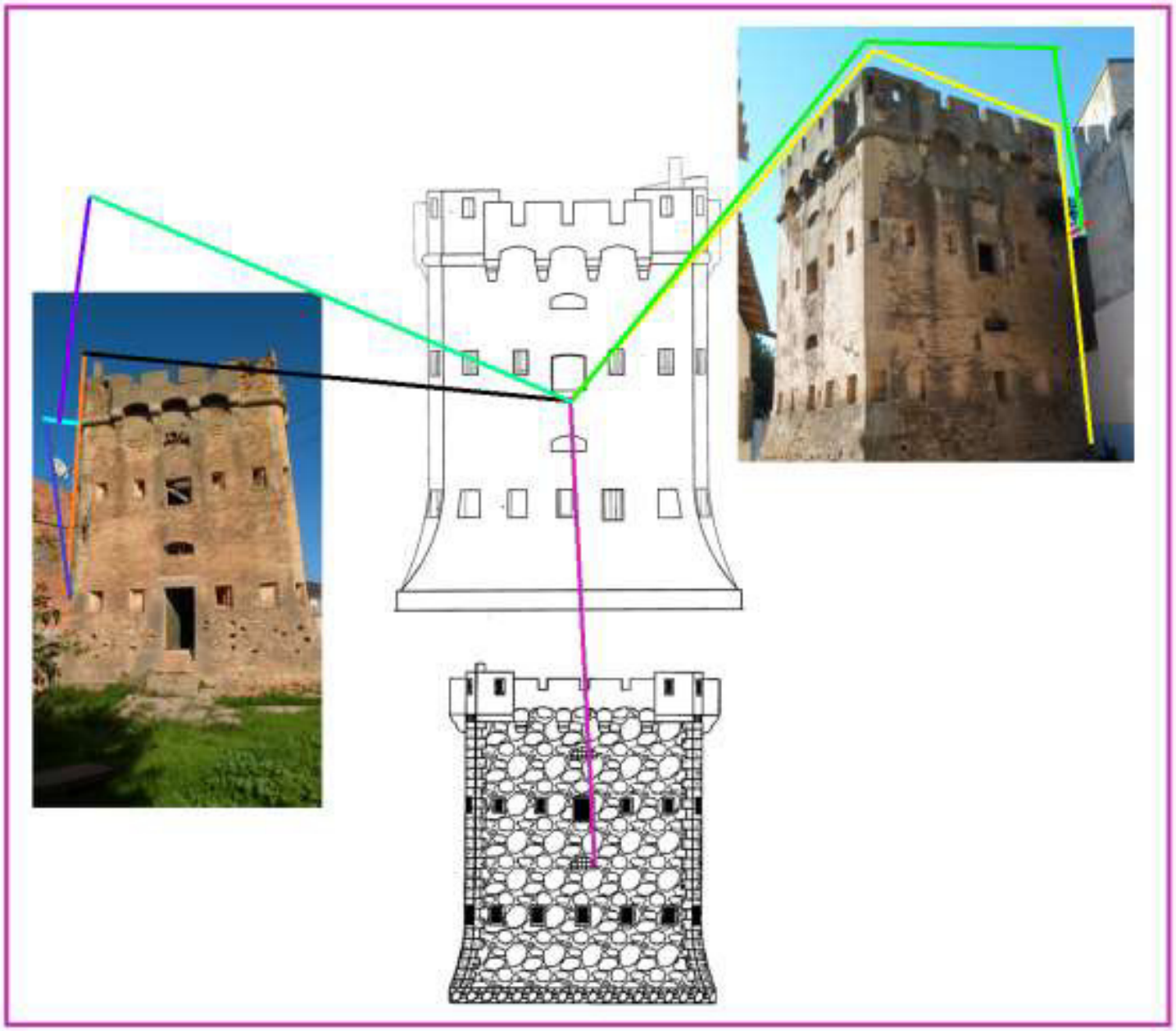

اللوحة (42): الواجهة الشمالية لبرج القليعة

الصورة ب :

الصورة أ:

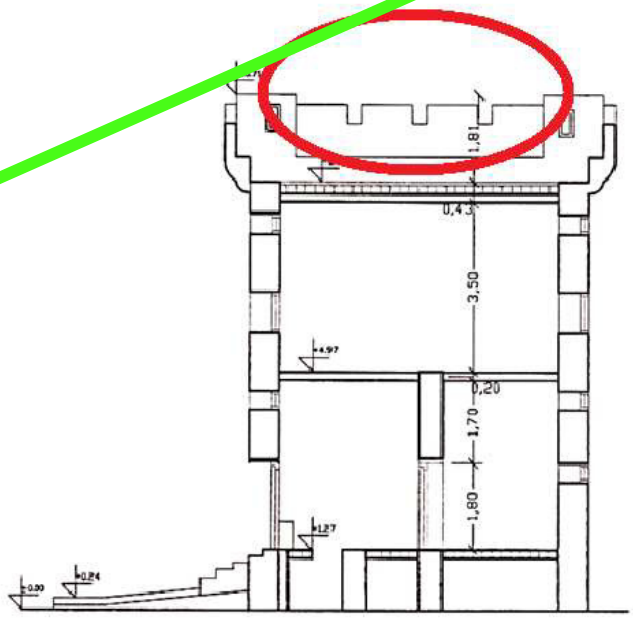

الصورة ج

عن الشكل أ : مقطع طولي لبرج القليعة عن مديرية الثقافة لتيبازة

اللوحة : (43): السقاطة ببرج القليعة

الصورة ب

الصورة أ

الصورة ج

اللوحة : (44): سقف برج القليعة

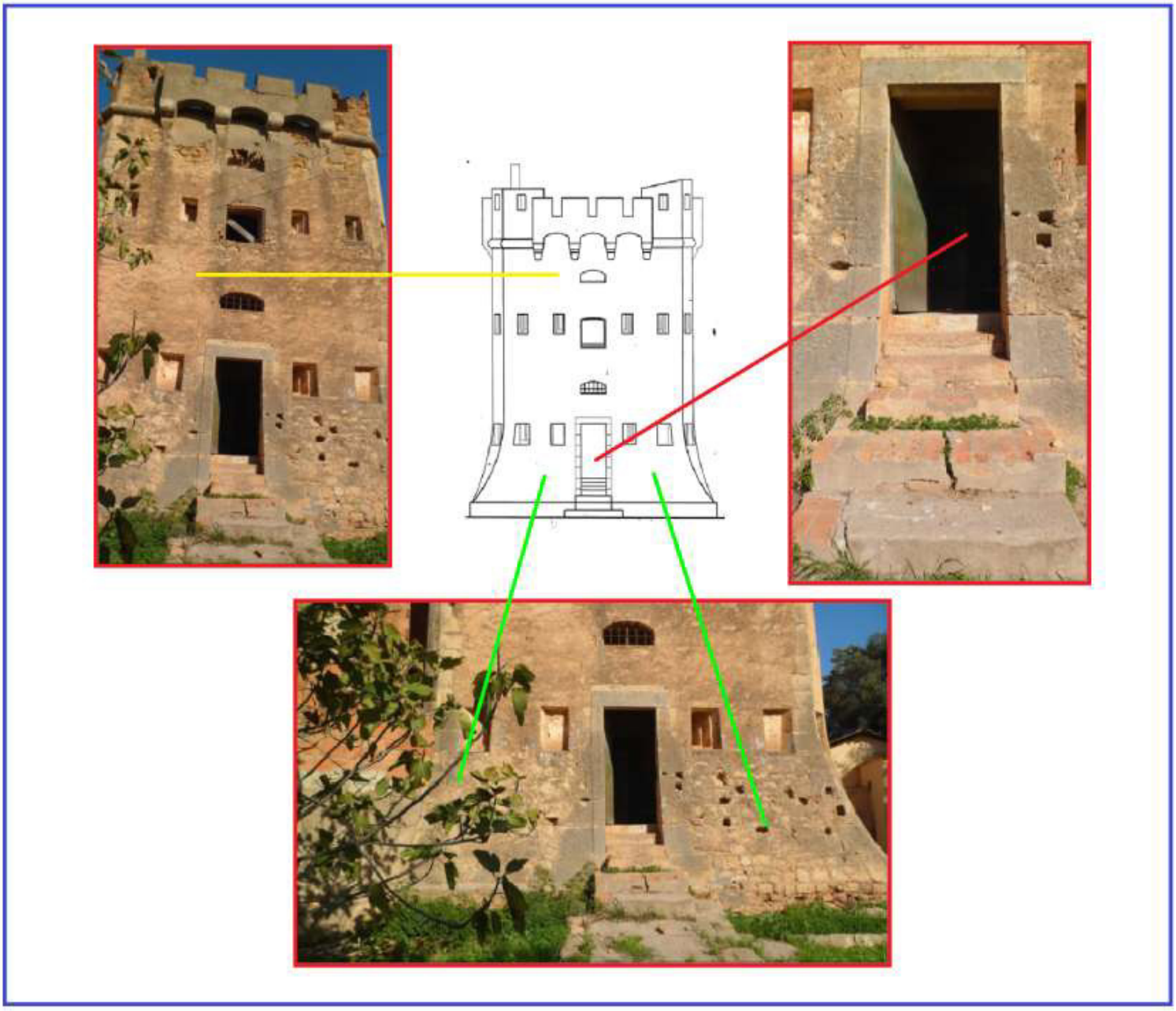

اللوحة(45): المدخل الرئيسي لبرج القليعة

اللوحة (46) : باب المدخل الرئيسي لبرج القليعة

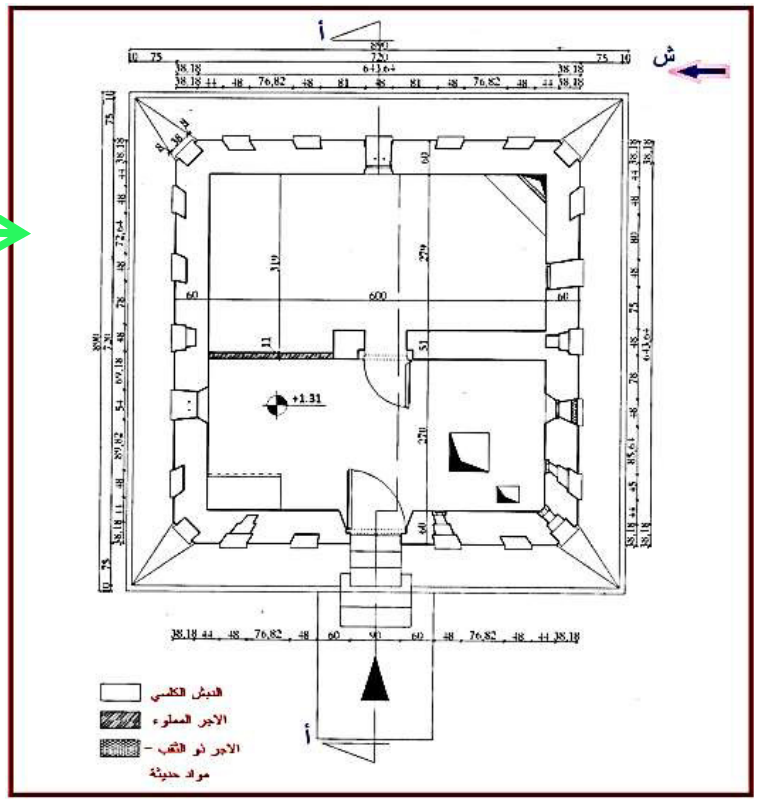

الشكل أ : مخطط الطابق الارضي عن كوري بتصرف

الصورة أ

الصورة: ب

اللوحة (47) : الطابق الارضي لبرج القليعة

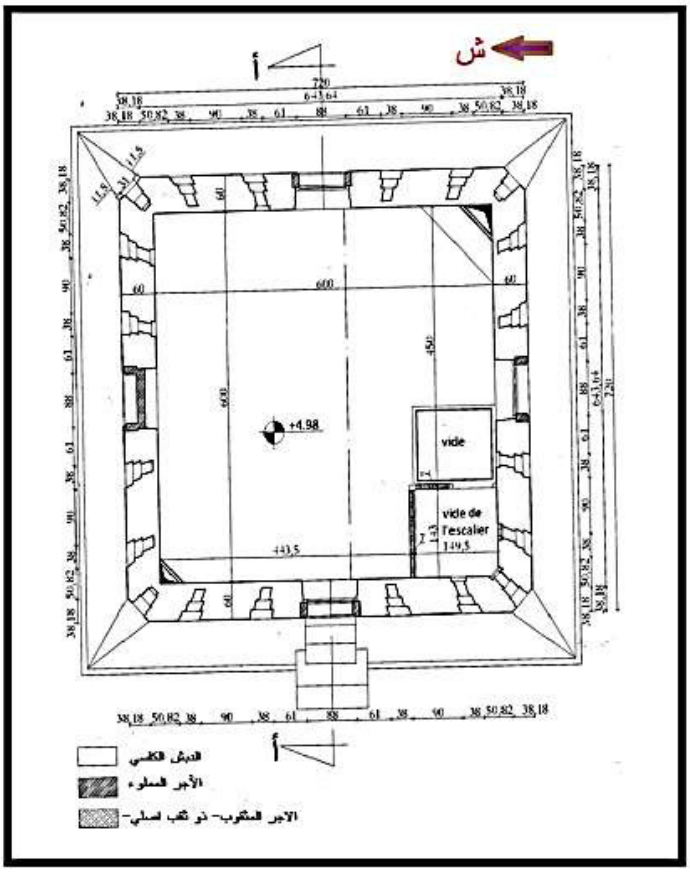

الشكل أ : مخطط الطابق الاول عن كوري بتصرف

الصورة أ

اللوحة (48) : الطابق الاول لبرج القليعة

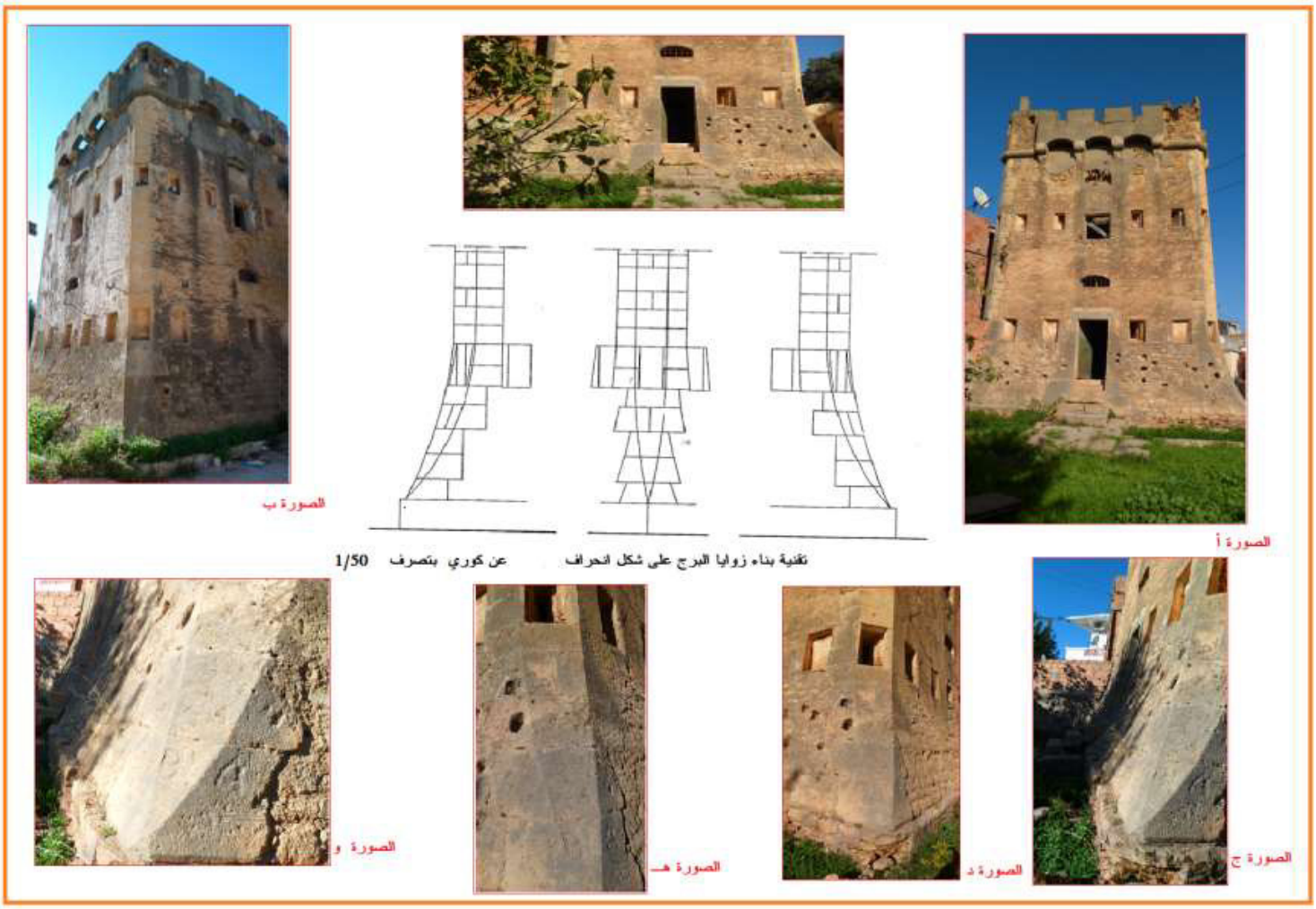

اللوحة (49) : تقنية انحراف زوايا برج القليعة من عمل الطالبة

اللوحة (50) : نماذج من المزاغل برج القليعة من عمل الطالبة

الصورة – أ–

الصورة – ج–

الصورة – ب–

اللوحة (51): المظهر الخارجي لبرج المصلى رصيد شخصي

الصورة –أ –

الصورة – ب–

الصورة – ج–

اللوحة (52): السياج الحديد ي لبرج المصلى رصيد شخصي

الصورة أ: الواجهة الشمالية لبرج المصلى

الصورة ب : الواجهة الغربية لبرج المصلى

الصورة ج : الواجهة الجنوبية لبرج المصلى

الصورة ب : الواجهة الشرقية لبرج المصلى

اللوحة (53): واجهات برج المصلى رصيد شخصي

الصورة – أ–

اللوحة (54): المدخل الرئيسي لبرج المصلى رصيد شخصي

الصورة – أ–

اللوحة (55): المدخل الثانوي من الناحية الخارجية لبرج المصلى رصيد شخصي

الصورة – ب–

الصورة – ج–

الصورة - أ -

اللوحة (56): الواجهة الجنوبية لبرج المصلى

الصورة - ب -

الصورة –ج -

الصورة أ

اللوحة(57): الواجهة الشمالية لبرج المصلى

الصورة :ج

الصورة: ب

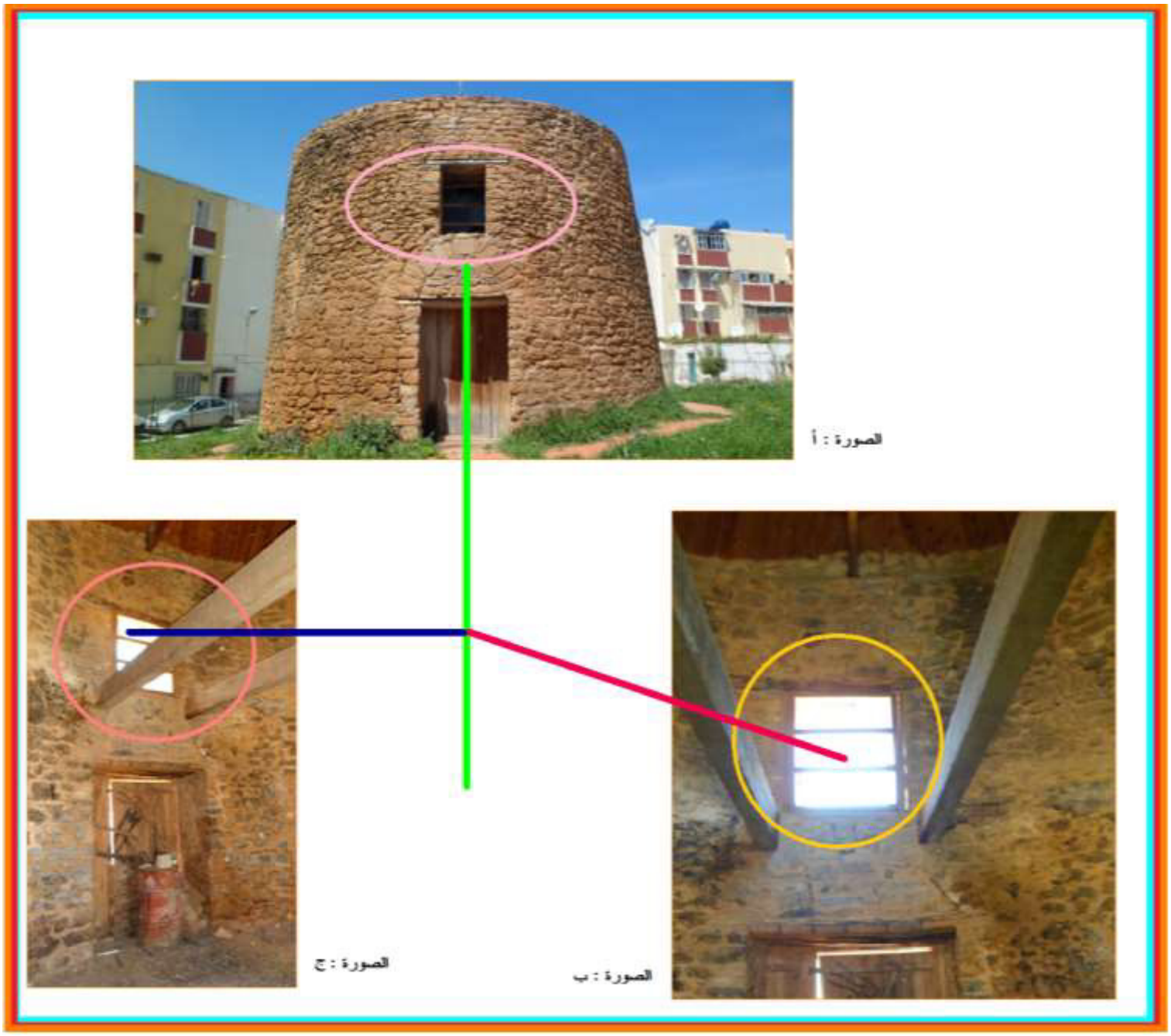

اللوحة (58): نماذج من الفتحات تعلو برج المصلى رصيد شخصي

الصورة – أ –

الصورة – ب–

الصورة – ج

اللوحة (59): تغطية برج المصلى من الخارج رصيد شخصي

اللوحة (60) : أساكف تعلو مدخلي برج المصلى و نوافذه

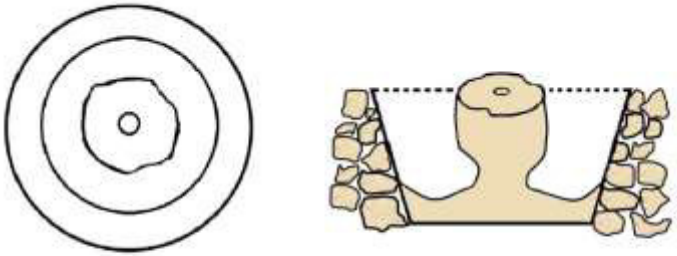

الشكل أ : كروكي لقطعة حجرية تتوسط البرج

الصورة – أ -

الصورة – ب-

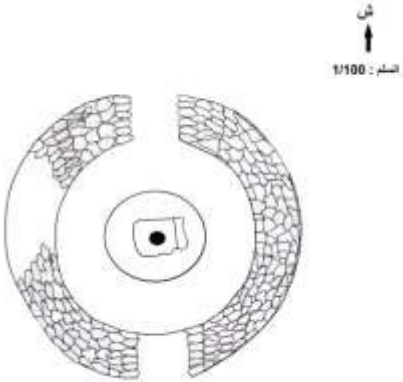

الشكل (ب): رسم تخطيطي لبرج المصلى

اللوحة (61) : القطعة الحجرية التي تتوسط البرج رصيد شخصي

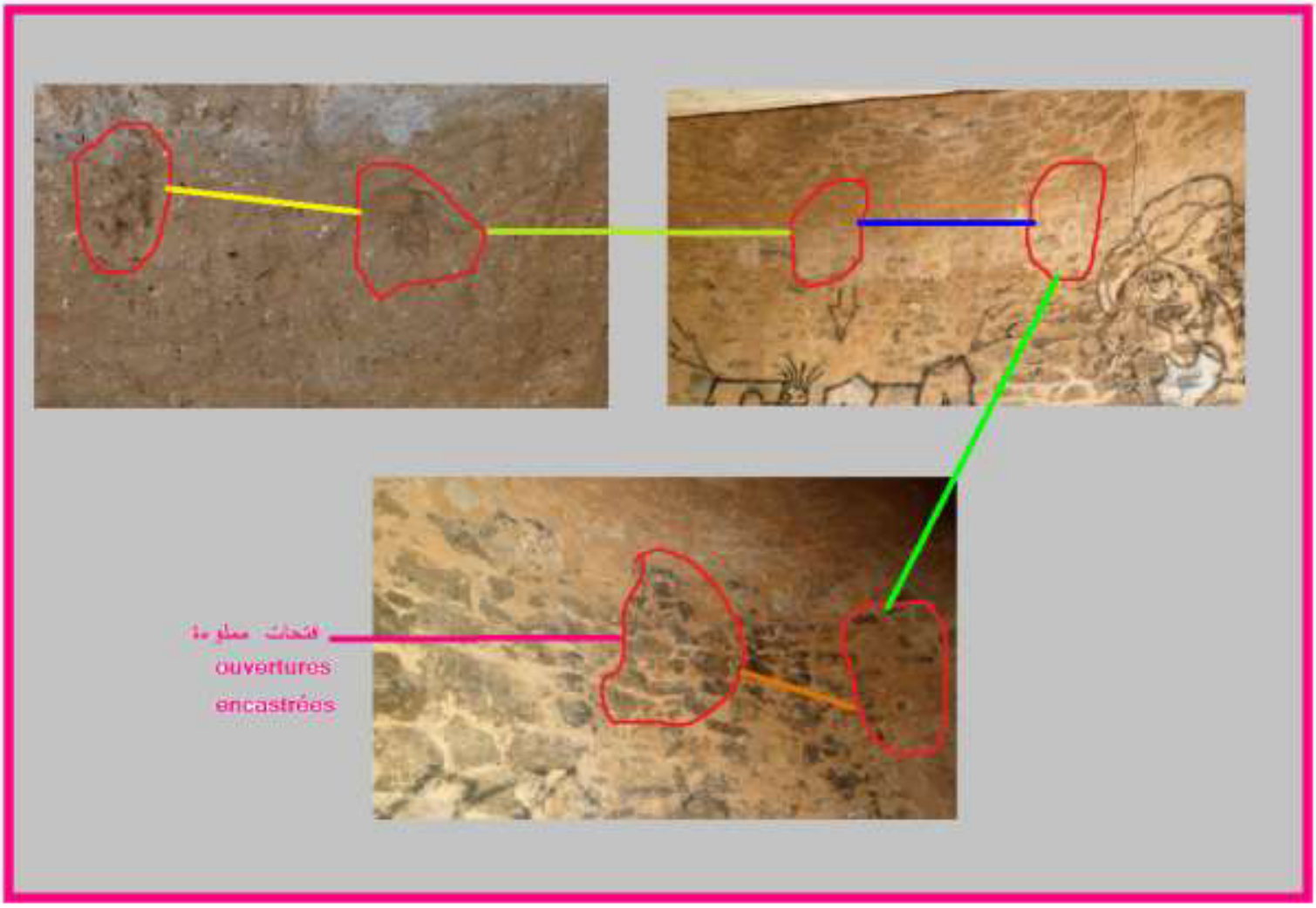

اللوحة (62): فتحات مغلقة بمواد بناء ببرج المصلى من الداخل رصيد شخصي

اللوحة (63): تسقيف برج المصلى من الداخل رصيد شخصي

اللوحة(64): نماذج من اسوار و ابراجها المتبقية

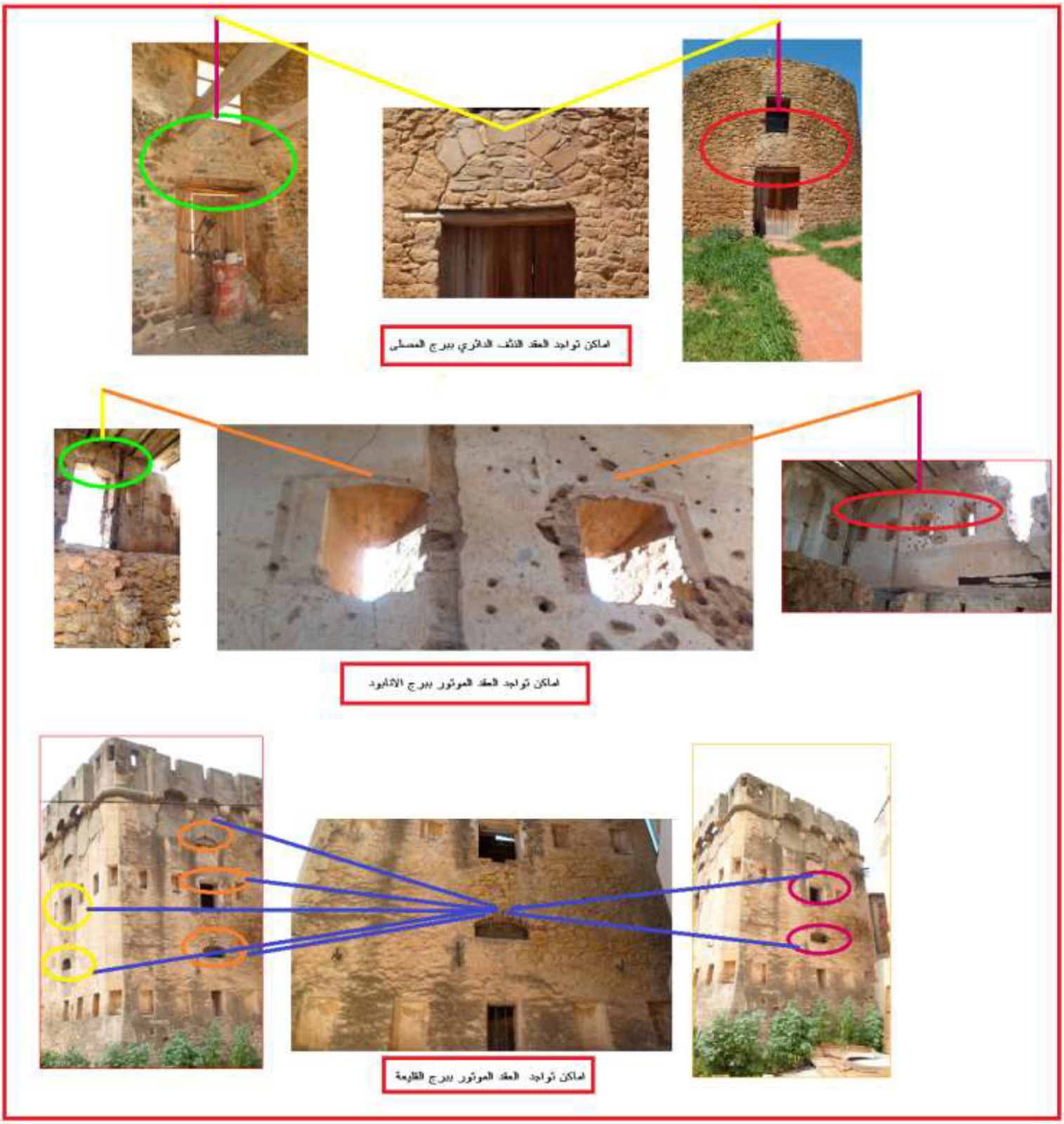

اللوحة (65): نماذج من العقود بأماكن الابراج المدروسة رصيد شخصي

فتحات على واجهات برج المصلى

فتحات على واجهات برج القليعة

اللوحة: (66) نماذج من الفتحات بالأبراج المدروسة من عمل الطالبة

اللوحة (67): نماذج من الحجارة المستخدمة بالنماذج المدروسة

اللوحة (68): أماكن تواجد الآجر بالنماذج المدروسة

اللوحة (69): أماكن تواجد الملاط بالنماذج المدروسة

اللوحة (70): تقنية البناء المنتظمة بأحد اجزاء سور مليانة

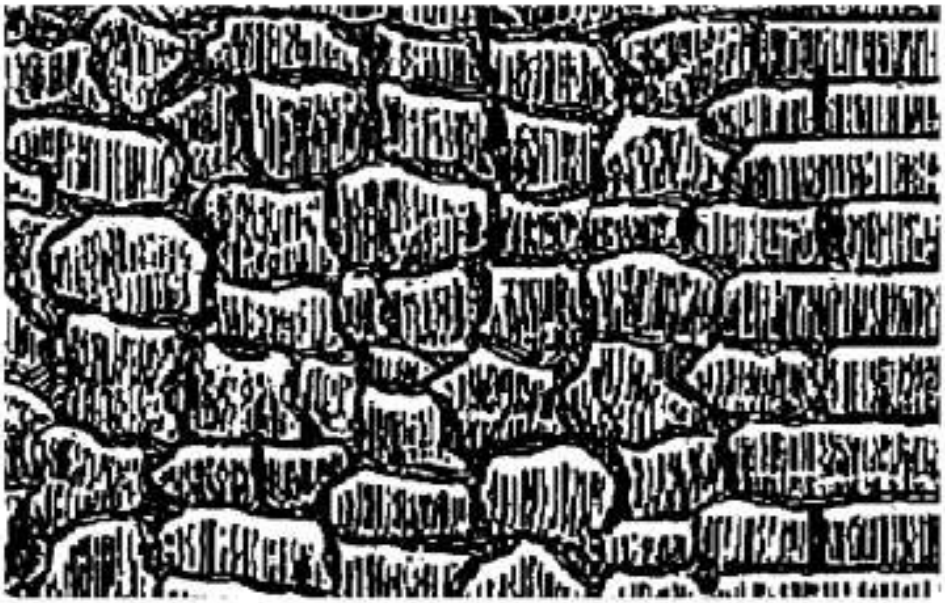

تقنية بناء الغير المنتظمة بأحد جدران سور مليانة

اللوحة (71): تقنية البناء الغير المنتظمة بأحد جدران سور مليانة

اللوحة (72): تقنية البناء بصفوف من الأجر بالنماذج المدروسة

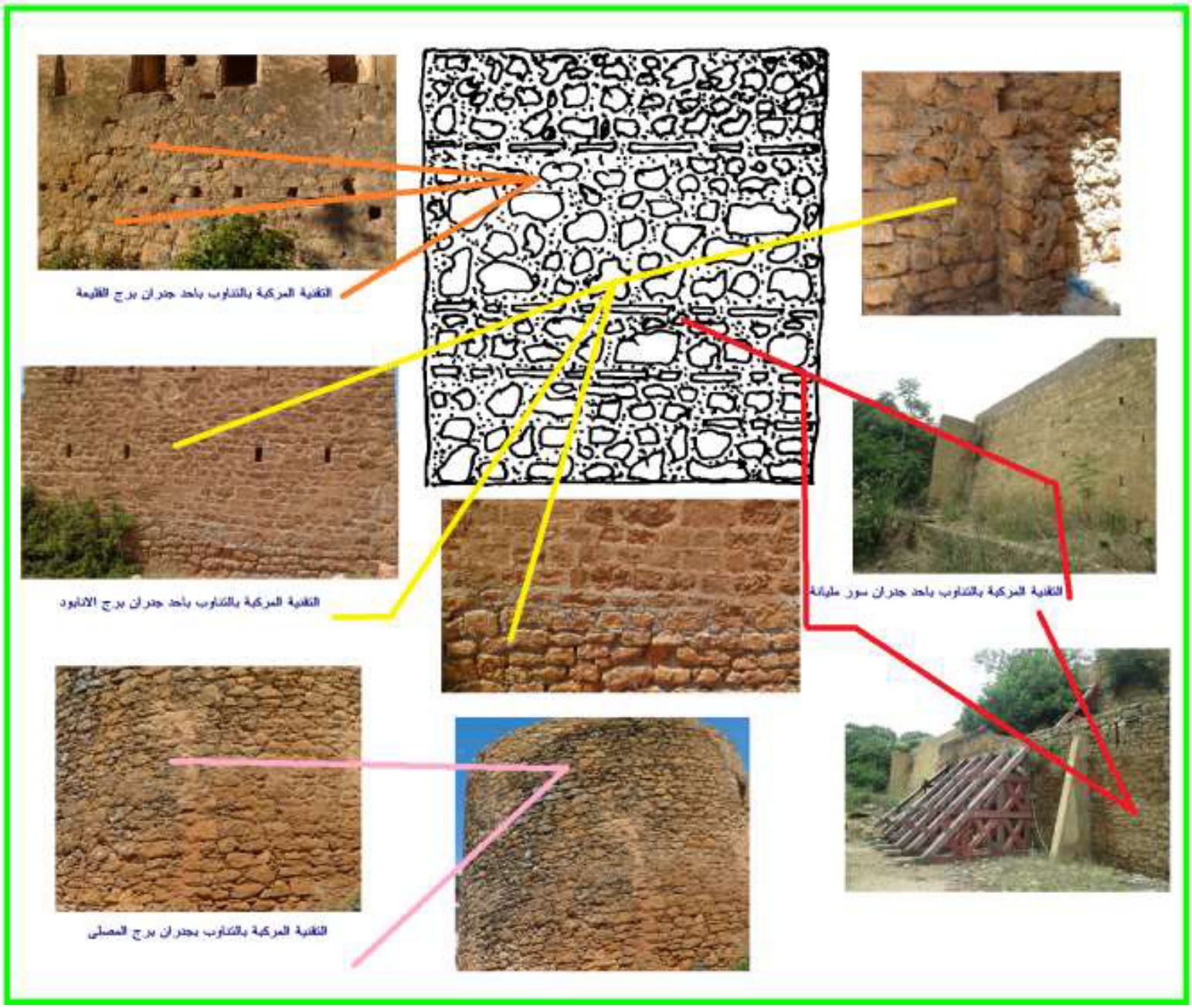

اللوحة (73): التقنية المركبة بالتناوب بجدران النماذج المدروسة

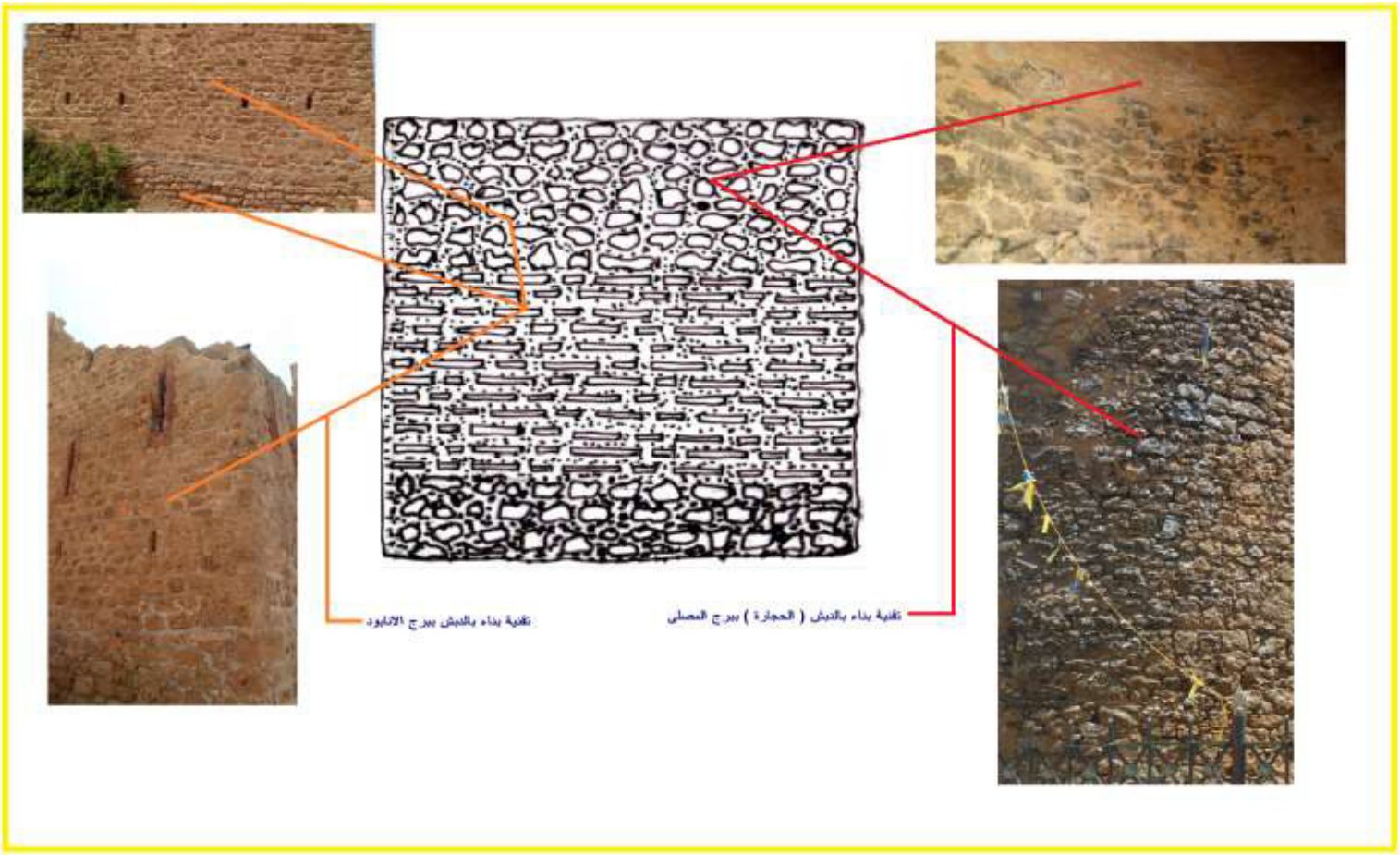

اللوحة (74): تقنية البناء بالدبش بالنماذج المدروسة

قائمة المراجع و المصادر

المصادر والمراجع بالعربية

- القرآن الكريم

أولا : المصادر بالعربية :

- الحديث الشريف
- **وثائق دفتر التشريفات باللغة العثمانية المحفوظة بالمكتبة الوطنية**

1- وثيقة تشير إلى عين بحيرة

- **وثائق تاريخية :**

2- رسالة من مسلمي غرناطة الى سليمان القانوني سنة 948هـ/1541م

3- رسالة من اهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الاول

- **المصادر المطبوعة:**

- **المصادر المطبوعة:**

- الأندلسي ابي عبد الله محمد بن محمد، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ج 2، تحقيق الحبيب هيلة، دار الكتب التونسية، تونس،1973.
- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن احمد، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية،1938.
- الادريسي محمد بن محمد الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الافق،ج2،ط1، عالم الكتب ، بيروت، لبنان،1989.
- الإدريسي أبو عبد الله الشريف، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، صححه ونشره هونري بيرس، الجزائر،1957 .
- ابن الآبار ابن أبي عبد الله محمد، الحلة السوداء، تحقيق، حسين مؤنس،ج2،دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ابن أبي دينار محمد ، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (د. م)، 1286هـ.
- ابن أبي زرع ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط ، المغرب،1972.

- ابن ابي الضياف احمد ، اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الامان، الجزء الثاني، الدار التونسية النشرة الثانية بتحقيق الشيخ محمد شمام، ج2، الدار التونسية للنشر، 1990
- ابن الحوقل أبو القاسم محمد النصيبي، كتاب صورة الأرض، القسم الأول، ط 2، مطبعة بريل، ليدن،1967.
- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد الحضرمي المغربي(ت 808 هـ /1406م) هـ، تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،(مج1،مج6) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت،لبنان، 1391هـ/1981.
- ـــــ،المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1961.
- _____،مقدمة ابن خلدون، طبعة جديدة منقحة، دار الشرق العربي، بيروت،2004.
- ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني ، الإحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق؛ محمد عبد الله عنان، المج 2 ،ط2،الشركة المصرية للطباعة و النشر ، القاهرة،1973.
- ـــــ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، ج 1، ط1، مكتبة الخانجي، 1974.
- ـــــ، كناسة الدكان- بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب في القرن الثامن الهجري، تحقيق، محمد كمال شبانة، مراجعة، حسن محمود، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ،القاهرة، جمهورية مصر العربية، د.ت.
- ابن الرامي، الاعلان بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، الطبعة الاولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، 2002.
- ابن سحنون الراشدي احمد بن محمد بن علي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق و تعليق، المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة، للنشر، ط1،الجزائر،2003.

- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار المغرب و الاندلس ، تحقيق و مراجعة، ج، س، كولان، ليفي بروفنسال،ط3،ج2،د.ت.
- ابن مريم عبد الله ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، مراجعة: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
- ابن ابي دينار أبي عبد الله محمد بن ابي القاسم الرعيني، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (د. م)، 1286هـ.
- ابن منظور ابي الفضائل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/ 1211م)، لسان العرب، المحيط ، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، م3، من القاف إلى الياء، قدم له العلامة عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت ، من الزاي إلى الفاء.
- ـــــ، لسان العرب،م6، تعليق وتنسيق علي شيرين، دار احياء التراث العربي، بيروت. د.ت.
- ـــــ،طبعة جديدة منقحة،مج12،دارصادر، بيروت، 2000.
- ـــــ،لسان العرب ،ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1413هـ /1993.
- ـــــ، لسان العرب، تعليق وتنسيق، علي شيرين، دار إحياء التراث العربي- بيروت- المجلد الاول.
- ـــــ، لسان العرب، تعليق وتنسيق، علي شيرين، دار إحياء التراث العربي-بيروت- م 11.
- ـــــ، لسان العرب، تعليق وتنسيق، علي شيرين، دار إحياء التراث العربي-بيروت- المجلد الرابع.
- ـــــ، لسان العرب، علق عليه، ووضع حواشيه علي شيري، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث الغربي للنشر والتوزيع، 1988، الجزء الثالث.
- ـــــ، لسان العرب، الفيروز ابادي، مجد الدين محمد يعقوب (ت. 817هـ/1414م)، القاموس المحيط ، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط3، مادة قلع،1994.
- ـــــ،لسان العرب، بيروت-، دار صادر، ج 8، مادة قلع،(د.ت).
- ـــــ، لسان العرب، ج5.
- ـــــ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بلا، مادة الخندق.

- ابن ميمون محمد (ت. بعد 1159هـ/1746م)، التحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الطبعة 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ت).
- البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،(د س).
- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، حققه وقدم له أندريان فان لبيفن و أندري فيري، المؤسسة الوطنية ، للترجمة و التحقيق و الدراسات ، بيت الحكمة، الدار العربية للكتاب، 1992.
- بورونات أي وانتشينا دون باسكوال، الموريسكيون الاسبان ووقائع طردهم،ج1، تر: كنزة الغالي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت،2013.
- التبكتي ابو العباس احمد بن احمد ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، هامش على ديباج ابن فرحون ، مطبعة الفحامين ،مصر،1351هـ.
- التنسي محمد بن عبد الجليل، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق محمد بوعباد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م.
- الحجْري شهاب الدين أحمد بن قاسم،رحلة أفوقاي الأندلسي مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، تحقيق: محمد رزوق، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2004.
- الحموي شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان ج2، المادة ب طبعة بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة وللنشر، (ت.ث.ج.ح.خ.د)، د.ت.
- ـــ، معجم البلدان،ج1،ج2، ج3،ج5، طبعة بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة وللنشر، (ت.ث.ج.ح.خ.د)، د.ت.
- حمدان خوجة بن عثمان، المرآة، تقديم و تحقيق، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر،2005.
- الراشدي احمد بن محمد بن علي ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق و تعليق، المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، للنشر، ط1،الجزائر،2003.

- الزهار أحمد الشريف، مذكرات احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر-1781م-1832م، تحقيق احمد توفيق المدني، ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- الزياني محمد بن يوسف ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ،تقديم المهدي، البوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2004 .
- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1812م-1824م، تعريب وتعليق ، اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1982.
- العسكري أبيراس محمد بن الناصر ، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق: سليمة بن اعمر، ط1، دار هنين للطباعة والنشر ، الجزائر، 2002.
- الغبريني أحمد (ت. 704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق:رابح بونار، الطبعة 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- فونمالتسان هاينرتيس، ثلاث سنوات إقامة في شمال غرب إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، الجزء 1، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1973،.
- الفيروز ابادي القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مادة خندق.
- القزويني زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد في أخبار العباد،دار بيروت للطباعة والنشر،1984.
- القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا ،ج5، الطبعة الاميرية، القاهرة ، 1915.
- ليفي بروفنسل، حضارة العرب في الاندلس، تر: ذوقان قرنوط، مكتبة الحياة للنشر، بيروت، د.ت.
- مارمول كربخال، افريقيا،ج2، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد زنبير ، محمد الاخضر ، احمد التوفيق، احمد بن جلون، دار نشر المعرفة للنشر و التوزيع، الرباط، المغرب،1409 هـ/1989 م.
- المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، شرح صلاح الدين الهواري ط1، المكتبة العصرية ، بيروت،2006 ،
- المراكشي ابن عذاري ،البيان المغرب في اخبار المغرب و الاندلس ، تحقيق و مراجعة، ج، س، كولان، ليفي بروفنسال، ط3،ج2، د.ط، د.ت.

- المسعودي ابو الحسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد،ج1، دار الفكر ،ط5، بيروت،1973.
- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة 2،مطبعة برلين- ليدن-،1906.
- المقري شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، مج. 4، دار صادر، بيروت، 1988.
- المقري ابو العباس التلمساني، ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبد المنعم عبد العظيم شلبي، ج1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، مصر،1358هـ /1939م
- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعدزغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
- مؤلف مجهول، غزوات عروج و خيرالدين، تعليق، نورالدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934.
- مؤلف مجهول، نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر، ضبط: الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة ،الدينية، 2000.
- هانبستريت جون.أو،رحلة العالم الألماني إلى الجزائر و تونس وطرابلس الغرب (1145هـ-1732م)، ترجمة وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت.
- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد الأخضر، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، ج1-ج2 ،1983.
- الونشريسي ابو العباس احمد بن يحي ، المعيار المعرب و الجامع المغرب في فتاوي علماء افريقية و الاندلس و المغرب، أخرجه محمد حجي و اخرون، ج2،دار الغرب الاسلامي ، بيروت،1981.
- الوانشريسي ابو العباس،اسنى المتاجر في بيان احكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر(حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية)، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

المراجع بالعربية:

- الانصاري عبد القادوس، اثار المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، وزارة المعوف للمكتبات المدرسية على نفقة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،1973.
- أبوغانم عبد الله أحمد ، الجيولوجيا العامة الجزء النظري ، الطبعة الأولى ، دار دجلة المعز للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2007.
- الأيوبي مقدم الهيثم، موضوع التحصينات الموسوعة العسكرية ، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للنشر و التوزيع ،ج1 ،بيروت ،1977.
- التر سامح عزيز، الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية، دار النهضة، ط1، 1989.
- التميمي عبد الجليل ، الدولة العثمانية و قضية الموريسكيين الاندلسيين ، منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق و المعلومات، تونس،ط1،1989.
- ـــ، التشكيل الاداري للإيالات العثمانية بالجزائر و تونس و طرابلس الغرب (1557م – 1588م) ، منشورات التميمي للبحث العلمي ، تونس،1997.
- الجرو اسمهان سعيد، الآثار و الحضارة في التاريخ العربي القديم،ط1،دار الكتاب الحديث، القاهرة ،2018.
- الجنرال رشيد، رحلة الجنرال رشيد الى الجزائر سنة 1847،تحقيق و تقديم؛ الشيباني بن بلغيت، ط1،مكتبة علاء الدين، صفاقص، تونس، 2007.
- الجهيني محمد ، العمارة الحربية في الجزيرة العربية في العصر العثماني، الطبعة الاولى، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة، 2008.
- الجيلالي عبد الرحمان محمد، تاريخ الجزائر العام،ج2،ط4، بيروت،1980.
- _____، تاريخ الجزائر العام، ج3، طبعة جديدة، بيروت،1980.
- الجيلالي عبد الرحمان ، و اخرون، تاريخ المدن الثلاث– لمدية– مليانة – بمناسبة عيدها الالفي ، المدية، مليانة، ط2، مطبعة سراي بدر الدين و ابنائه، الجزائر، 1972.
- الحداد محمد حمزة اسماعيل، بحوث و دراسات في العمارة الاسلامية، الكتاب الاول، الطبعة الثانية، دار القاهرة، جمهورية مصر، العربية، ص، 2004.

- ـــ،الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد منذ نشأتها و حتى نهاية الدولة الطاهرية (204-923هـ/819-1517م)- دراسة اثرية معمارية دار الكتب،صنعاء، الجمهورية اليمنية،2004.
- ـــ،مقدمة في الاثار الاسلامية ، دار الشوكاني للطباعة و النشر، صنعاء، الجمهورية اليمنية ، 2003.
- السامرائي عبد السالم محمود، الادارة العثمانية في الجزائر،1518م-1830م صفحات للدراسات و النشر و التوزيع، سوريا -دمشق-،2017.
- السلاوي أحمد بن الناصري، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، المغرب، ج3، مكتبة الدار . البيضاء، 1954.
- السليماني أحمد، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، الجزائر، دار الكتاب، ط،1، 1993.
- السيد سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة/مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،2006.
- ـــ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، القسم الثاني، ط1، دار الغربي الإسلامي، بيروت، 1992.
- ـــ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006.
- السيد سامية مصطفى ، العلاقات بين المغرب و الاندلس في عصر الخلافة الاموية،ط1،عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر،2000.
- السيد كمال أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ المغرب و الأندلس، مركز الاسكندرية للكتاب، 2006.
- الصوافي طالب عبد الفتاح ، القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي، ط1، مؤسسة الأسوار عكا، العراق،2000.
- الطمار محمد بن عمرو ، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.
- ـــ، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- الطوخي احمد امين، مظاهر الحضارة في الاندلس في عصر بني الاحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997.
- العامري محمد بشير حسن راضي، تاريخ بلد الاندلس في العصر الاسلامي،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت،2014.
- العيدروس محمد حسن ، العصر الاندلسي – خروج العرب من الأندلس التطهير العرقي و جرائم الابادة الجماعية ضد المسلمين في اسبانيا، ط1، دار الكتاب الحديث،2012.
- المكي الطاهر أحمد ، دراسات اندلسية ، ط3،دار المعارف ، القاهرة،1987.
- المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني- القرصنة ، الاساطير و الواقع،ج2،دار القصبة للنشر،2009.
- الأيوبي مقدم الهيثم، موضوع التحصينات العسكرية، ج1،الطبعة الأولى، مطبعة التوسط، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1977.
- ارسلان شكيب، خلاصة تاريخ الاندلس الى سقوط غرناطة، مطبعة المنار، مصر،1925.
- اسكندر محمد المختار، المدية بين القديم و الحديث، وزارة الثقافة ، الجزائر، 2007.
- إشبودان العربي، مدينة الجزائر، تاريخ العاصمة، ترجمة جناح مسعود، مراجعة حاج مسعود، دار القصبة، الجزائر،2007.
- آصلان أبا اوقطاي، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة احمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول،اسطنبول،1987.
- إيفانوف نيقولاي ، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516 . 1574 م)، نقله إلى العربية يوسف عطا الله، مراجعة مسعود ظاهر، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1988.
- باكار أدريه، المغرب و الحرف التقليدية الاسلامية في العمارة، تر: سامي جرجس ، المجلد 1، نشر اتولية ،ايطاليا ، 1974.
- بشتاوي عادل السعيد، الاندلسيون المواركة ، ط1،القاهرة ،1983.
- برنشفيك روبار ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تعريب حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1988.
- بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلكي، دار العلم للملايين، لبنان، 1993.

- بلبوات بن عتو، المدينة والريف، ج2 ، سلسلة دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكبة العلوم، الجزائر، 2016.
- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحالة المغاربة في العهد العثماني ،ط3،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981.
- بلغيت محمد الأمين ،حلقات في تاريخ الغرب الاسلامي – اعمال الاستاذ الدكتور محمد الامين بلغيت – ،القافلة للنشر و التوزيع – الجزائر–،2013.
- بعزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.
- بن حموش مصطفى أحمد و بلقاضي بدر الدين، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس، موفم للنشر ،الجزائر ،2007.
- بن حموش احمد مصطفى أحمد، المدينة والسلطة في الإسلام "نموذج الجزائر في العهد العثماني"، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، دبي، ط1، دار البشائر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1999.
- بن عبد الستار عثمان محمد ، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت ، 1988.
- بهنسي عفيف، خطاب الاصالة في الفن والعمارة ،دار الشرق للنشر مطبعة العجلوني، الطبعة الاولى، دمشق،2004.
- ـــ،العمارة الفاطمية – الحربية، المدنية، الحربية–موسوعة العمارة الفاطمية، الجزء الاول، الطبعة الاولى، دار القاهرة، مصر ،2006.
- بوجمعة خلف الله، العمران والمدينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين المليلة،2005.
- بوحسون عبد القادر، الاندلس على عهد بني الاحمر – دراسة في التاريخ السياسي و الثقافي– النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2016.
- بوحوش عمارة، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ،دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت،1997.
- بودواية مبخوت ، العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الاوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ الاسلامي، جامعة تلمسان،2005.

- بوشنافي محمد، الجيش الانكشاري ،سلسلة دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني،1700-1830،دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016.
- بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ- العهد الإسلامي- الجزء الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.
- ــ، الجزائر سلسلة " فن وثقافة "، وزارة الإعلام و الثقافة، الجزائر، 1947.
- ــ، مدن مندثرة، تاهرت، سدراتة، اشير، و قلعة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
- بوعزيز يحيا، الموجز في تاريخ الجزائر(ج1-ج2) الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2006.
- ــ، الموجز في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992.
- ــ، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة،ج2،ط،خ، دار المعرفة ،الجزائر،2009.
- ــ، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و الغرب، دار الهدى، الجزائر، 2012.
- ــ، مدينة وهران عبر التاريخ و يليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، و يليه المساجد العتيقة في المغرب الجزائري، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- ــ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك اوروبا(1500-1830)، ديوان المطبوعات الجامعية،1980.
- بوغفالة ودان ، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي لمدينتي المدية و مليانة في العهد العثماني، ط1، مطبعة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،2009.
- بهنسي عفيف، فنون العمارة الاسلامية و خصائصها في مناهج التدريس، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، اسيسكو، حي الرياض،- الرباط، المملكة المغربية ،1424هـ / 2003 م.
- جخدان بو عبد الله ، الولايات العثمانية الثلاثة – الجزائر- تونس- ليبيا " قيام دولة الموحدين الى غاية الانضمام للخلافة العثمانية7- 12هـ/13م- 18م دار الايام للنشر، عمان،2018م.
- جون – ب – وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتحقيق، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1981.

- جوليان شارل اندري، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب؛ محمد مزالي و البشير بن سلامة، ط2،ج2،تونس،الدار التونسية للنشر،1983.
- حتامله محمد عبده و آخرون، موسوعة الاندلس و المغرب العربي- الاندلس التاريخ و الحضارة و المحنة، دراسة شاملة، الكتاب الاول- الجزء الثاني، ط1، دار المدار الثقافية للطباعة و النشر و التوزيع، البليدة، الجزائر ،2009.
- الحجي عبد الرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة – 92هـ-897هـ/711م-1492م، ط2، دار القلم، بيروت، لبنان،1981.
- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس)عصر المرابطين والموحدين (،مكتبة الخنانجي، ط 1، القاهرة، مصر،1980.
- حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر- بشاتها وتطورها قبل 1830، ط1، الجزائر، 1972.
- حماش خليفة، أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ و الحضارة الإسلامية ، تحية و تقدير للأستاذ خليل الساحلي، أغلو، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات ،ج 1 ،زغوان،1997.
- حنوي محمد، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة و الطوائف،ط1، دار ابي رقراق للطباعة و النشر، الرباط ،المملكة المغربية، 2003.
- خلاصي علي، قصبة مدينة الجزائر(ج1-ج2)،دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة1، 2007.
- ـــ، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور،ط1،دار الحضارة ، الجزائر،2015.
- ـــ، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2013.
- ـــ، العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر، الجزائر، المتحف المركزي للجيش، 1985.
- ـــ، القلاع و الحصون في الجزائر- المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، مطبعة الديوان،2008.
- خماش نجدة ، دراسات في الاثار الاسلامية، ط4،جامعة دمشق ،1980.
- دراج محمد، الدخول العثماني الى الجزائر و دور الاخوة بربروس -1512م-1543م، تصدير أ.د سعيدوني ناصر الدين،ط3، شركة الاصالة للنشر و التوزيع، الجزائر،2015.

- درياس لخضر، االمدفعية ، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة للطباعة و النشر و التوزيع،2007.
- الولاتلي عبد العزيز، مدينة تونس في العصر الحفصي، دار سراس للنشر، تونس، 1981.
- ديفولكس ألبير ،خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس، تحقيق بن حموش مصطفى و بلقاضي بدر الدين، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي،2004.
- رجب أحمد محمد، قلاع و حصون و أسوار و بوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند،ط1،الدار المصرية اللبنانية ،بيروت، 2009.
- رزوق محمد، الاندلسيون و هجراتهم الى المغرب خلال القرنين 16-17م، ط3،افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية،1998 .
- ـــ، دراسات في التاريخ المغرب، افريقيا الشرق،ط1، دار البيضاء،1991.
- رزوق نعيمة، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر، سلسلة دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلوم للنشر و التوزيع و الطباعة، الجزائر،2016.
- رضوان عبد الحي، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس في مطلع العصر الحديث، ط 1 ، مكتبة الطالب الجامعي، مصر،1988.
- ريمون أندري، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،القاهرة،1991.
- _____، العواصم العربية، عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تقديم قاسم طوير.
- رمضان محمود، القلاع و الحصون في قطر، سلسلة دراسات العمارة الاسلامية في قطر، الدوحة، 2010.
- زغلول عبد الحميد سعد ، العمارة و الفنون في دولة الاسلام، منشاة المعارف ، الاسكندرية ، مصر،2004.
- سبينسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة، عبد القادر زيادية، الجزائر،2007.
- سامح كمال الدين، العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991.
- سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الاول-1500-1830م، دار الغرب الاسلامي،بيرت،1998.
- ـــ، تاريخ الجزائر الثقافي1500م- 1830،(ج2)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000.

- ـــ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
- ـــ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، بيروت، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1996.
- ـــ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث " بداية الاحتلال " ط 3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 1982 .
- سعد الله فوزي، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط 2، دار الأمة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2004.
- ـ،قصبة الجزائر– الذاكرة، الحاضرة والخواطر،دار المعرفة،الجزائر،2007.
- سعيدوني ناصر الدين والشيخ البوعبدلي، الجزائر في التاريخ،ج4،العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1982.
- _____، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر– العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- _____،ورقات جزائرية ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة الأولى، بيروت ،دار الغرب، 2000.
- _____،دراسات أندلسية–مظاهر التأثير الإيبري والوجود الأندلسي بالجزائر– ط 1، دار الغرب الإسلامي ،2003 .
- ـــ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثمانية،(1792–1830)،طبعة ثالثة منقحة و معدلة ،البصائر الجديدة للنشر و التوزيع،الجزائر،2012.
- السنوسي الشيخ احمد الشريف الاطرش ، تاريخ الجزائر في خمسون قرون، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع ،الجزائر، 2013.
- سوسي عبد الله ، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ، 1979.
- الشافعي فريد ، العمارة العربية في مصر الاسلامية، المجلد الاول، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1994.
- شاكر مصطفى ، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، الجزء الأول، الطبعة الثانية ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق،1997.

- شاوش محمد بن رمضان، الغوثي حمدان، إرشاد الحائر الى اثار ادباء الجزائر،ج4،ط1، طبع واشهار داود بريكسي، تلمسان،2001.
- ـــ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1995.
- الشناوي عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها ،مكتبة الانجلو مصرية، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة ،1980.
- شنيتي محمد البشير , الجزائر في ظل الاحتلال الروماني , بحث في منظومة التحكم العسكري ومقاومة, الجزء الأول , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر،1999.
- شوقي عطا الله ، الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة الانجلو المصرية،1977.
- شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510م-1541م،ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية،2007.
- شويتام ارزقي،دراسات و وثائق في تاريخ الجزائر العسكري، الفترة العثمانية،1519م 1830م،دار الكتاب العربي، 2016.
- صديق محمد الحاج، مليانة ووليها سيدي احمد بن يوسف- دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية- بن عكنون - الجزائر، 1989.
- الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط،ج1، مكتبة حسن العصرية، بيروت، لبنان،2010.
- صحراوي عبد القادر، التحصينات العسكرية بنوميديا و موريطانيا القيصرية اثناء الاحتلال الروماني،46ق.م- 284م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2011.
- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،ط2،الجزائر،2007.
- عبد الجواد توفيق، تاريخ العمارة و الفنون في العصور المتوسطية و الاوروبية و الاسلامية،ج2، ترتيب و تنسيق، صباح السيد سليمان، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2009.

- عبده عبد الله كامل موسى، دراسات في الحضارة و الاثار الاسلامية في ليبيا دار الافاق العربية،ط1، القاهرة، 2002 .
- ـــ، المسلمون واثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين،موسوعة العمارة الاسلامية– المجلد الاول– دار الافاق العربية،القاهرة،2003.
- عبيد طه خضر، المدينة الاسلامية تاريخها و تخطيطها و عوامل ازدهارها و انحطاطها، ،دار الفكر ناشرون و موزعون، ط1،المملكة الاردنية الهاشمية،2013.
- عثمان مرفت، التحصينات الحربية و ادوات القتال في العصر الايوبي بمصر و الشام زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربي، القاهرة، 2010 .
- غرب خالد ، أسوار وقلعة صلاح الدين، ط 1، مكتبةزهراء الشرق ، القاهرة ، 2006 .
- ـ ، اسوار و قلعة صلاح الدين، الطبعة الاولى، زهراء الشرق، جمهورية مصر العربية،2006،ص،9. انظر ايضا عبد الله عبد السلام الحداد، مقدمة في الاثار الإسلامية دار الشوكاني للطباعة و النشر، الطبعة الاولى، صنعاء ،الجمهورية اليمنية،2003.
- غزوق عبد الكريم، المعالم الاثرية الاسلامية ببجاية، ط1،اصدارات وزارة الشؤون الدينية و الاوقاف، الجزائر،2015.
- العسيلي بسام ، خير الدين بربروس والجهاد في البحر،1470–1547، دار النفائس،1980.
- علي احمد، الاندلسيين و المغاربة في بلاد الشام، من نهاية القرن الخامس و حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار طلاس، دمشق، 1988.
- عمورة عمار، الجزائر بوابة الجزائر– ما قبل التاريخ إلى 1962م –ج1،دار المعرفة،2006.
- عموري إبراهيم ، مواد و تقنيات العمارة القديمة، منشورات المديرية العامة للآثار و المتاحف، سوريا، 2010.
- عنان عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس، العصر الرابع– نهاية الاندلس و تاريخ العرب المتنصرين، ط4، مكتبة الخانجي بالقاهرة، المؤسسة السعودية ، مصر ،1997.
- عناني كمال اسماعيل، الاثار الاسلامية في المغرب،ط1،دار الوفاء للطباعة و النشر، الاسكندرية ، 2016.
- ـــ، الاثار الاسلامية في الاندلس، دار الوفاء للطباعة و النشر، الاسكندرية ،2016.

- غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر من 1700م – 1830م، مقاربة اجتماعية اقتصادية، منشوراتANEP، الجزائر،2007 .
- ـــ، وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للبحوث، 2007.
- فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر، الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع،2002.
- فيلالي عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الاندلس و بلاد المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،2008.
- ـــ،تلمسان في العهد الزياني،ج1، موفم للنشر و التوزيع،الجزائر،2002.
- فيتروفيوس ماركوس ، الكتب العشرة في العمارة، من إعداد يسار عابدين وآخرون، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، دمشق، سوريا، د.س.
- قاسمي زيدين، قيادة سيباو– تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي، دار الامل للطباعة النشر و التوزيع،الجزاءر،2009.
- قشتيليو محمد، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها،(د.م)،2001.
- قرقوتي حنان، تخطيط المدن، العمارة والزخرفة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت –لبنان،2006 .
- كانون احمد و هاشم السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب ،ط1، سلسلة دفاتر المركز، مركز الدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، وجدة، المغرب،2010.
- الكحلاني محمد محمد، بحوث في الاثار الاسلامية في المغرب و الاندلس،ج1، كلية الاثار، جامعة القاهرة، القاهرة،1999.
- كرير علي أحمد علي، المهاجرون الاندلسيون وتأثيراتهم على بلاد المغربيين الادنى و الاوسط خلال القرنين(13–14م)،ط1،دار الكتب الوطنية،– بنغازي، جمهورية ليبيا ،2013.
- كنتوررابح،أوقاف البليدة ووطن يسر بين 1671و 1900 من خلال وثائق المحاكم الشرعية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2016.
- لحسن محمد، عمي موسى قلعة الثوار بغرب الونشريس، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2007.

- لوج محمود عبد العزيز، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وفنونها، ط1، مكتبة الزهراء، 2006.
- ـــ، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، دراسة في الفكر العمراني الإسلامي و تطبيقاته العلمية "عمرانا و عمارة و فنا "،شركة ابن باديس للكتاب،ط2، الجزائر،2011م.
- ليوبولدو توريس بالباس، المدن الإسبانية الاسلامية، ترجمة من الاسبانية: إليو دورودي لابنيا، راجعه: نادية محمد جمال الدين و عبد الله ابراهيم العمير،ط1، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الاسلامية، الرياض،2003.
- مالدونادو باسيليو بانون ، العمارة في الاندلس- عمارة المدن و الحصون- ج1-ج2 ، ترجمة، علي ابراهيم منوفي، مراجعة و تقديم ، محمد حمزة الحداد، الطبعة الاولى، المجلس الاعلى للثقافة،القاهرة،2005.
- المدية، كنوز ورموز، مدن و ثقافة ، بمناسبة تظاهرة الجزائر "عاصمة الثقافة العربية،2007.
- المحامي فريد بك،تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار النفائس،1983.
- المدني أحمد توفيق،كتاب الجزائر- تاريخ الجزائر الى يومنا هذا و جغرافيتها الطبيعية و السياسية و عناصر سكانها و مدمها و نظاماتها و قوانينها و مجالسها و حالتها الاقتصادية و السياسية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.
- ـــ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، الجزائر، المؤسسة الوطنية، للكتاب، ط2، 1984.
- ـــ، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر -1766م-1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1968.
- مسلم ليليان ،" الجزائر نشأة المدينة وتطورها قبل سنة 1830 "، من كتاب: القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر،1985.
- مقيبس بشير، مدينة وهران -دراسة في جغرافية العمران-،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- موسى عز الدين احمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1983.

- مورينو مانويل جومينو، الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم ،الدار المصرية للتأليف والنشر، د.ت.
- المومني سعد محمد ، القلاع الاسلامية في الأردن الفترة الايوبية المملوكية – دراسة تاريخية ،اثرية استراتيجية الطبعة الاولى، دار البشير للنشر و التوزيع ،الاردن، 1988.
- ـــ، الحصون و القلاع العسكرية كفن اصيل في العمارة العسكرية ، في ابحاث مختارة ، منشورات وزارة الثقافة ،دار المنهل،2000.
- الموسوي مصطفى عباس،العوامل التاريخية لنشأة و تطور المدن العبية الاسلامية،دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة و الاعلام، الجمهورية العراقية ، 1982.
- موسى عز الدين احمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1983.
- مؤنس حسن ، تاريخ المغرب و حضاراته من قبل الفتح الاسلامي الى الغزو الفرنسي،مج2،ج2، العصر الحديث للنشر و التوزيع، ط1، لبنان،1992.
- الميكلوي فوزي، تاريخ العالم الاغريقي و حضارته من اقدم العصور حتى عام 322ق.م، طر، دار الرشاد ، دار البيضاء، المغرب،1400هـ/1980م.
- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تصحيح وتقديم محمد الميلي،(ج2–ج3)،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ،الجزائر، 2007.
- مؤنس حسن ، تاريخ المغرب و حضاراته من قبل الفتح الاسلامي الى الغزو الفرنسي، مج2 ،العصر الحديث للنشر و التوزيع، ط1، لبنان.1996.
- فيان موفق رشيد محمد النعيمي، معالجة المشكلات البيئية لعمائر الموصل خلال العصور الاسلامية، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الاولى، 2015.
- نورالدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث،قسنطينة،1965.
- نوار عبد العزيز سليمان ، الشعوب الإسلامية، الأتراك العثمانيون، الفرس، مسلمو الهند ، دار النهضة العربية، بيروت ، 1973.

- هلايلي حنيفي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
- ـــ، ابحاث و دراسات في التاريخ الموريسكي، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، الجزائر،2010.
- هوساوي سلمى محمد بكر، التنظيمات العسكرية في الولايات العربية الرومانية(106م-305م)، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، الرياض ،2017.
- هيلايلي حنيفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر،2007.
- يحياوي جمال، سقوط غرناطة و مأساة الاندلسيين – 1492-1610م- ،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2004.

الأطروحات و الرسائل الجامعية:

- الامين عمر، مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين (4-6هـ / 10- 12 م) للفترتين الزيرية و الحمادية (أشير – قلعة بني حماد – بجاية),رسالة لنيل الماجستير في الآثار الإسلامية , معهد الاثار، جامعة الجزائر،2000-2001.
- رهومي عبد المنعم ، تحصينات مدينة تونس في العهد العثماني،رسالة ماجيستير في تاريخ العالم المتوسطي ، حضارات تراث و علوم متحفية ، كلية الآداب و الانسانيات ، جامعة منوبة، تونس، 2012.
- بلبوات بن عتو، المدينة و الريف بالجزائر في اواخر العهد العثماني، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية ، قسم التاريخ و علم الاثار، جامعةوهران، الجزائر 2007-2008.
- بن شامة سعاد ، المعالم الاثرية في مدن الوسط الجزائري في العهد العثماني- شرشال – البليدة- القليعة-ومظاهر التمدن الاندلسي فيها(دراسة وصفية تحليلية –انموذجية)، اطروحة الدكتوراه علوم في الآثار الإسلامية ،كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الدراسية،2014-2015.

- ـــ،المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني، (المساجد ،الأضرحة، المساكن، الحمامات) – دراسة معمارية أثرية–رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2008–2009.
- بن نعمان اسماعيل ، مدينة تنس– دراسة تاريخية و أثرية و عمرانية– 3– 13هـ/ 9– 19 م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، الجزائر،2006– 2015.
- بن مصباح مليكة ، التأثيرات الأندلسية على العمارة والفنون التطبيقية في الجزائر خلال الفترة العثمانية، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة بزريعة 2، معهد الاثار (ابو القاسم سعد الله)،2017–2018.
- بوحسون عبد القادر، الاندلس في عهد نبي الاحمر،دراسة تاريخية و ثقافية،635–897هـ /1238–1492م،اطروحة الدكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ و علم الاثار، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان،2007–2008
- ـــ،العلاقات الثقافية بين المغرب الاوسط و الاندلس خلال العهد الزياني، 632–962هـ/1235م–1554م، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في تاريخ المغرب الاسلامي، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان ،2007–2008.
- بوحمشوش نعيمة، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1999 .
- بوراس يحيا، العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب(نموذج قصر بني يزقن،رسالة ماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2001–2002.
- بوطبة محفوظ ، دراسة اثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2007–2008.
- ـــ، محفوظ بوطبة ،أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية ، أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية،معهد الآثار، جامعة الجزائر،2017– 2018.

- بوعامر مريم ، الهجرة الاندلسية الى المغرب الادنى و دورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7 و9 هـ – 13 و15 م، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في تاريخ المغرب الاسلامي،كلية الآداب و العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2009 –2010.
- بوغفالة ودان ، أوقاف مليانة والمدية في العهد العثماني.، دراسة في النشاط الاقتصادي و البنية الاجتماعية و الحياة الثقافية، اطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر،2006–2007.
- بويحياوي عز الدين، تطور العمران الاسلامي من خلال عواصم الغرب الاوسط من القرن الثاني الى القرن الثامن للهجرة ، اطروحة دكتوراه دولة من معهد الاثار ، جامعة الجزائر ، الجزائر، 2001–2002.
- بيدي محمد، التحصينات الدفاعية لقصور منطقة عين الصفراء – دراسة معمارية و اثرية– أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، جامعة أبو القاسم سعد الله، معهد الآثار، الجزائر،2014– 2015.
- اسماعيل جودي، الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني(1518م–1830م)،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، الجزائر، 2009.
- التوم محمد فضل المولى محمد، القلاع والحصون أسفل الشلال الرابع،رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير الآداب في الآثار، كلية الآداب– قسم الآثار،2010 .
- حماش ابراهيم خليفة، العلاقة بين الإيالة الجزائرية والباب العالي من 1798 الى 1830 ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية الآداب، قسم التاريخ و الاثار، جامعة الاسكندرية ، مصر،1988.
- خشاب صادق، تأثير الفن الزخرفي الاندلسي على نظيره المغربي– تلمسان انموذجا– مذكرة الماجيستير في الثقافة الشعبية، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة ابي بكر بلقايد،تلمسان،2001.
- خلاصي علي، المباني العسكرية العثمانية بمدينة الجزائر، شهادة الدراسات المعمقة، معهد العلوم الاجتماعية، فرع التاريخ، جامعة الجزائر، 1979.
- _____، قصبة الجزائر(القلعة وقصر الداي) رسالة الدكتوراه الحلقة الثالثة،الجزائر،1985.

- دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني- دراسة عمرانية اثرية- رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر02 ،2009-2010.
- ـــ،استحكامات الامير عبد القادر العسكرية(1252-1258هـ/1836-1842م)- دراسة تاريخية اثرية تحليلية-الجزائر،2008.
- دحموني توفيق،الضرائب في الجزائر(1206هـ-1282هـ/1792م-1865م)،دراسة مقارنة ، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة بن يوسف بن خدة (الجزائر)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ و الاثار، 2007-2008.
- دريسي سليم، البيزنطيون في شمال افريقيا و العمارة الدفاعية ،دكتوراه الدولة في الاثار القديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 2007- 2008.
- ديفولكس ألبرت ، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق، مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات،2004 .
- سعداني محمد ، الأندلسيون و تأثيراتهم الحضارية في المغرب الاوسط من القرن السابع الى القرن التاسع الهجريين/ القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر الميلاديين، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ و الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران- احمد بن بلة- الجزائر،2015.
- شويتام أرزقي ، المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني-1519م- 1830م،اطروحة الدكتوراه الدولة في التاريخ الحديث و المعاصر قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2005-2006.
- طلعت اسامة ، اسوار صلاح الدين عبد المنعم خليل، اسوار صلاح و اثارها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجيستير، كلية الاثار، جامعة القاهرة ،1992،228. للمزيد ايضا انظر ايضا مرفت عثمان حسن علي، التحصينات الحربية و أدوات القتال في العصر الايوبي بمصر و الشام زمن الحروب الصليبية ت:عبد العزيز محمود عبد الدايم، ط1،دار العالم العربي، القاهرة،2010.
- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، اطروحة الدكتوراه، الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر،1989-1990.

- رضوان نبيل عبد الحي، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في معالم العصر الحديث، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1987-1988.
- رزقي نبيلة، الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الاوسط و الاندلس (القرن7-8هـ/13-14م) - دراسة تحليلية مقارنة- اطروحة الدكتوراه علوم في علم الاثار و المحيط، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، قسم علم الاثار، جامعة ابي بكر بلقايد،تلمسان،2014-2015.
- رزوق نعيمة ، الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني - قصر الداي نموذجا - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، السنة الجامعية،2010-2011.
- سالم مصطفى، الاستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب و الاندلس- دراسة تاريخية اثرية-، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، معهد الاثار، جامعة الجزائر2،2017- 2018.
- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني-1519م-1830م، اطروحة الدكتوراه الدولة في التاريخ الحديث و المعاصر قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2005-2006.
- صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر، مذكرة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر، شعبة التاريخ، قسم العلوم الانسانية، قسم العلوم الانسانية و الاجتماعية و الاسلامية ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر،2011 -2012.
- طهير عبد الكريم، التواصل الحضاري بين الاندلس و بلاد المغرب على عهدي المرابطين و الموحدين(ق5-7هـ/11-13م)،اطروحة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ ،جامعة ابي بكر بلقايد،تلمسان،2016-2017.
- عابد احمد ، العمارة الاسلامية خصائص و آثار، غزة، فلسطين،2015.
- عبد الرحيم جمال ابراهيم، الزخارف الجصية في عمائر القاهرة الدينية الباقية في العصر المملوكي البحري،(648-584هـ/1250-1382م)رسالة ماجيستير(غير منشورة،كلية القاهرة، جامعة القاهرة،1986.
- عجيمي هشام محمد علي حسن، قلاع الارنم و الوجه و ضبا بالمنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية - دراسة معمارية وحضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في

الحضارة و النظم السياسية، كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى المملكة العربية السعودية ،1986.

- عزوق عبد الكريم ، المعالم الاثرية الاسلامية ببجاية ونواحيها، دراسة أثرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الاثار الاسلامية، جامعة الجزائر، معهد الاثار،2007-2008.
- عفيفي حازم محمد نور ، الانشاء و العبير المعماري في العمارة الإسلامية – دراسة تحليلية لنماذج في العصر العثماني بمصر-رسالة ماجستير في العمارة ،قسم العمارة،كلية الهندسة، جامعة عين الشمس، مصر،1990.
- عمارة سيدي احمد، هجرة الاندلسيين الى بلاد المغرب الاوسط خلال القرن (7هـ/13م) و دورهم الثقافي، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ او الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة السانيا وهران ،2012-2013.
- عمروي فهيمة،الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18 م دراسة اجتماعية اقتصادية من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2008-2009.
- فراجي خيرة، جرد معالم مازونة و عمي موسى و قلعة بني راشد بمنطقة غليزان ،الجرد وسيلة للمحافظة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الصيانة و الترميم، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2011.
- فكاير عبد الله، الصراع الجزائري الاسباني في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر ،رسالة ماجستير، معهد التاريخ ،جامعة الجزائر،2001.
- فيسة محمد رابح، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر2، 2004- 2005.
- قبابلة مبارك، تطور مواد و أساليب البناء في العمارة الصحراوية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستير في علم الاثار- تخصص اثار صحراوية، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة ، 2009-2010.
- قرمان عبد القادر، المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني- دراسة اثرية-رسالة الماجيستير في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2006-2007.

- ـــ، عمارة و عمران مدينة معسكر في العهد العثماني- دراسة اثرية عمرانية عمرانية و معمارية، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه – علوم – في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر2(ابو القاسم سعد الله ، الجزائر،2015.
- كشرود حسان،رواتب الجند و عامة الموظفين و اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية 1659- 1830م، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة منتوري ، قسنطينة،2007 م - 2008م.
- لغزاي عتيق رفيقة،مواد و تقنيات البناء خلال العهد العثماني بالجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الآثار- تخصص اثار عثمانية- معهد الآثار،جامعة الجزائر،2009-2010.
- متولي علي ماهر أحمد، اسس تصميم العمائر السكنية في القاهرة في العصرين المملوكي و العثماني – دراسة أثرية معمارية- مج1،رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، قسم الأثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية،1426هـ /2006.
- مصدق ربى،الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب من خلال النصوص الادبية الاغريقية و اللاتينية، مذكرة ماجيستير في التاريخ القديم" تاريخ الحضارات القديمة"، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2009-2010.
- مظهر سهيلة،الحوار الموريسكي الجديد بمدينة الجزائر في بداية القرن العشرين، دار لاديبيش الجزائرية- دراسة تاريخية تحليلية- رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، كلية العلوم الإنسانية ،جامعة الجزائر، السنة الدراسية،2009-2010.
- معاشي جميلة ، الانكشارية والمجتمع بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل اطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة متنوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ و الاثار، 2007-2008.
- معلم محمد فوزي، الخريطة الأثرية لبلديتي عين العربي و عين مخلوف جنوب قالمة، رسالة ماجيستر في الاثار القديمة، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2007-2008.
- مفتاح عثمان ، العمارة الدفاعية لشرق مدينة الجزائر إبان الحقبة العثمانية نموذج " برج القنيطرة بالحراش،{ 1159 هـ/1724م }" دراسة وصفية أثرية، تحليلية و مقارنة، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر،2008-2009 .

- ـ، مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية 1515م-1830م، دراسة أثرية معمارية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، جامعة أبو القاسم سعد الله، معهد الآثار،2014-2015.
- مقصودة محمد ، الكراغلة و السلطة في العهد العثماني1541-1830،مذكرة لنيل الماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعةوهران،2014-2015.
- مهيبل سعيد، مواد و تقنيات البناء في قصر الداي بقلعة الجزائر في العهد العثماني، دراسة معمارية و اثرية، مذكرة لنيل الماجيستير في الاثار الإسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر ،2008-2009.
- موشموش محمد، الفكر العمراني الاسلامي و اثره على تخطيط المدن و عمارتها(مدينتي تلمسان و الجزائر أنموذجا) دراسة تاريخية – اثرية، من القرن 03هـ/09 م الى القرن 13هـ/19م ،اطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، معهد الاثار، جامعة الجزائر،2015.
- ميمن داود، الثكنات الانكشارية بمدينة الجزائر، دراسة تاريخية و معمارية و فنية – الثكنات العليا و السفلى أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الاثار الاسلامية، جامعة الجزائر، معهد الاثار،2007-2008.
- ميمن داود،الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية(1515م-1830) تنظيمه وعدته، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة بزريعة2، معهد الاثار،2015- 2016.
- نميش سميرة، دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين(7-10هـ/13-16م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان،2013-2014.
- وركوب نجيب، التحولات العمرانية لمدينة الجزائر، التحولات العمرانية لمدينة الجزائر ما بين 1830م و1914م،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ، جامعة بوزريعة-الجزائر- التاريخ،2007.

الدوريات، المؤتمرات والملتقيات:

- التميمي عبد الجليل،"**رسالة من مسلمي غرناطة**"المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، العدد 3، 1975.

- عبد الجليل التميمي،" **مستقبل البحوث الاثرية حول المونة العثمانية** " السلسلة الثانية: مدونة الاثار العثمانية رقم 8، في اطار اعمال الملتقى العالمي الخامس لمدونة الاثار العثمانية المنعقد فيما بين 21-23 سبتمبر 2001 حول القلاع و التحصينات العسكرية و التأثيرات الفنية العثمانية تحت اشراف و تقديم أ. د عبد الجليل التميمي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، الطبعة الاولى، فيفري 2003.
- الأحمر جمال بن عمار ،" **الوجود الاندلسي بالجزائر** "،اعمال المؤتمر العالمي الرابع عشر للدراسات الموريسكية – الاندلسية مهداة الى الاستاذ الاسباني ميكال دي ايبالثا " السلسلة الرابعة: تاريخ الموريسكيين الاندلسيين رقم 28،ماي،2011 .
- احمد السعداوي،"**القرمود مادة بناء مميزة للتقاليد المعمارية الاندلسية بتونس**"،أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات الموريسكية الاندلسية حول مهن الموريسكيين الأندلسيين و حياتهم الدينية، جمع و تقديم،د. عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق والمعلومات وزغوان،تونس،1990.
- السيد عبد العزيز سالم،" **العمارة الاسلامية في الاندلس و تطورها**"، مجلة دورية-عالم الفكر- " دراسات في تراث" المجلد الثامن، العدد الاول – ابريل، مايو، يونيو، وزارة الاعلام، الكويت ، 1977.
- ابو حميد محمد ،" الجانب التاريخي للأسوار"، الندوة الوطنية حول اسوار المدن العريقة بتنزرت، مديرية التراث الثقافي ، المملكة المغربية ، وزارة الشؤون الثقافية،1989.
- أمين محمد ،" تطور المجال الدفاعي المعماري بالمغرب"، مداخلة، ألقيت بمدينة تاوريرت، بمناسبة الأنشطة الثقافية للسنة الجامعية 2006-2007، التي نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة ما بين 8 و9 ماي 2007.
- بلحميسي مولاي ،" **الجزائر العاصمة ومشكل المياه في العهد العثماني**" ، مجلة الدراسات الأثرية، حولية علمية ،العدد الثاني، الجزائر، بني مسوس، 1992.
- ـــ، " **مدينة مليانة عبر العصور**" ، مجلة الأصالة، العدد 8،الجزائر،1972.
- بلبروت بن عتو،" **المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر و مينائها خلال العهد العثماني** "،مجلة الحضارة،كلية الآداب و العلوم الإنسانية،قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس،سيدي بلعباس ، الجزائر، العدد14، شعبان1431هـ/2010.

- بن حوي شكيب،" **موقف الدولة العثمانية من الجالية الأندلسية بالجزائر ما بين 1571م و 1573** "اعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية ج1وغوان، سيدمدي، تونس،1991-1992.
- بن حمو محمد ،" **التحصينات العسكرية لمدينة هنين**"، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، اعمال الملتقى الدولي – النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني 27/26 نوفمبر 2014،العدد 05 ،الجزء الثاني، عدد خاص ،السنة، 2014.
- بن حموش مصطفى، "**التشريع العمراني و المعماري في العهد العثماني**" السلسلة الثانية : الاثار العثمانية رقم 4، أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الاثار العثمانية حول التأثيرات الأوروبية على العمارة العثمانية و آليات الحفظ و الترميم، اشراف و تقديم أ.د عبد الجيل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات وغوان ،اوت/2001.
- بن عمار الأحمر جمال ،" **الوجود الاندلسي بالجزائر** " ، أعمال المؤتمر العالمي الرابع عشر للدراسات الموريسكية – الأندلسية مهداة إلى الاستاذ الإسباني ميكال دي ايبالثا " السلسلة الرابعة: تاريخ الموريسكيين الاندلسيين رقم 28،ماي،2011.
- بن نعمان اسماعيل ،" **التحصينات الدفاعية في مدن المغرب الاوسط ،مدينة تنس انموذجا** "، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، اعمال الملتقى الدولي – النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني 27/26 نوفمبر 2014،العدد 05،الجزء الاول، عدد خاص ،السنة، 2014.
- ـــ،" الصناعة التقليدية للآجر و القرميد المقعر في بلاد المغرب الإسلامي" مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر البحوث والدراسات المتخصصة في مجالات علم الاثار و المتاحف و الترميم و حضارات الوطن العربي، تصدر عن الاتحاد العام للأثريين العرب ، العدد 14 ، القاهرة ،جمهورية مصر العربية،2013.
- ـــ،" **المسكن التقليدي بمدينة دلس و ضواحيها مواد البناء و مراحل الانجاز** "، مجلة اثار، معهد الاثار، العدد9 ،2011.
- بن يوسف عباس كبير ،" **مليانة** "،مجلة تصدرها الوكالة الوطنية للآثار و حماية المواقع و المعالم الاثرية، مطبعة IMPRIM – FAST، الجزائر، 2000.

- ـــ، " **تاريخ التطور العمراني لمدينة مليانة** " المؤتمر العاشر للآثار العربية 15- 18 نوفمبر 1982 بتلمسان ، وزارة الثقافة، الجزائر،1982.
- بورملة خديجة ،" **مدينة مليانة خلال العصر الوسيط –دراسة تاريخية من خلال كتب الجغرافيا و الرحلة** "، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية و التاريخية ،مجلد 8،عدد 1،جامعة معسكر،2017.
- بوطبة محفوظ،"العناصر المعمارية الدفاعية بالعمارة العسكرية "،مجلة الدراسات الاثرية، مجلد16،العدد 01،الجزائر،2018 .
- بوزرينة سعيد، "التحصينات العسكرية الجزائرية المؤرخة بالكتابات الأثرية خلال العهد العثماني"،دراسات تراثية،ج2،العدد،05،مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر2، الجزائر، نوفمبر، 2014.
- بوقاعدة البشير،" **منظومة التحصينات العسكرية الحمادية الثابتة بين جهود تحصيل و مطامح التوسعي و السيطرة**"، مجلة قضايا تاريخية، العدد6،1438هـ/2017.
- جلول ناجي ،" **الرباطات البحرية بأفريقية في العصر الوسيط، السلسلة التاريخية**"، العدد ،9، تونس، 1999.
- الجيلالي عبد الرحمن، " **تحقيق موقع مدينة برشك** "، مجلة الأصالة، العدد23، 1975 .
- حبيب بهاء موسى ،" **تطور العمارة العسكرية في مدينة اشبيلية** "، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، العدد 20،د.ب د.س.
- حجي محمد ،" **الموريسكيون في المغرب**"، سلسلة « الندوات»، الندوة الثالثة، 22-24 جمادى الثانية 1421هـ/21-23 سبتمبر ،مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، شفشاون، الرباط، المملكة المغربية،2000.
- الحداد عبد الله عبد السلام صالح ،" **اثر تخطيط بغداد على تخطيط المدن الاسلامية في اليمن في العصر العباسي – مدينة زبيد – نموذجا**"، الندوة العالمية الخامسة ، الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، كلية الآداب ، الرياض، (1424هـ/ 2003م).
- حماش خليفة،" **تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني** "، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 2، مارس2003.

- حمزة عباس فائزة ،" المظاهر العسكرية في المدن الأندلسية"، مجلة أبحاث الكلية، العدد 1، المجلد 12 ، جامعة الموصل- العراق، 2012.
- حمزاوي فضيلة و سلاي صالح خالد،" **أهمية برج تامنتفوست في تحصينات مدينة الجزائر ابان الحكم العثماني**'، أنوماتو مجلة نصف سنوية محكمة تعني بآثار الوطن العربي ، العدد السادس عشر،رجب 1428هـ يوليو 2007،مؤسسة عبد الرحمان السديري الخيرية ، المملكة السعودية ،2007.
- خورشيد إبراهيم زكي والآخرون، "**الحصن**"، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1996.
- الرباطي العربي" **تقنيات بناء الاسوار المغربية من خلال النصوص العربية و الاوروبية و الأبحاث الاثرية** "، الندوة الوطنية حول اسوار المدن العتيقة ببنزرت، مديرية التراث الثقافي، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية،10 يونيو1989.
- دكار علي نصير ،" **المعاني اللغوية لبدة حصن وأحواضها** " مجلة الأنباء، العدد 11، 1991.
- دحوح عبد القادر،" **التأثيرات المعمارية و الفنية العثمانية بمدينة قسنطينة** "، اعمال المؤتمر العاشر لمدونة الاثار العثمانية و الذي عقد بتاريخ 03-04 ديسمبر 2010 حول - - المعمار و تهيئة المدن- الفنون و التقاليد عبر الحياة اليومية -،اشراف و تقديم:د.عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ديسمبر ،2011.
- رعد سعيد محمد، الموسوعة العسكرية، مقال" **الخندق**"،ج 2، دمشق،1985.
- رزقي فهيمة،" **الاستحكامات العسكرية بمدينة عنابة حصن المعذبين انموذجا** "، دراسات تراثية ،مجلة علمية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، اعمال الملتقى الدولي - النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني، ج2،العدد،05، عدد خاص، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر2، الجزائر، نوفمبر 2014.
- الزراقي محمد حافظ ،" نظريات حول عملية الترميم و المحافظة على المعالم التاريخية - أسوار مدينتي تطوان و شفشاون نموذجا- "،الندوة الوطنية حول اسوار المدن العتيقة ببنزرت،مديرية التراث الثقافي، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية،10 يونيو1989.

- سعيدوني ناصر الدين،" **من المظاهر المائية بفحص مدينة الجزائر- الشبكة المائية في العهد العثماني**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9 ،الجزائر، 1995.
- ـــ، " **صور من الهجرة الاندلسية الى الجزائر**"، المجلة العربية للثقافة، السنة الرابعة عشرة ، العدد السابع و العشرون، عدد خاص بالتاريخ العربي في الاندلس، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم،1994.
- ـــ،" **الاندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر(دار السلطان) أثناء القرنين السادس عشر و السابع عشر** "، حوليات جامعة الجزائر ، العدد 7، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر،1993 .
- ـــ، "الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل" ،السلسلة العاشرة كتب تقديرية لبعض الاعلام الدوليين رقم 11،تحية تقدير لأندري ريمون،الجزء2،المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، تونس، آوت،2004.
- شريد حورية ،" **الأسطة موسى الاندلسي**"، حوليات المتحف الوطني للآثار، مطبعة سومر، بئر خادم، الجزائر، العدد السابع، السنة،1998/1419.
- شريف عبد القادر،" التحصينات العسكرية في المغرب الاسلامي: الاسوار انموذجا"، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات و الأبحاث في التاريخ و الآثار و الفنون، أعمال الملتقى الدولي- النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني 27/26 نوفمبر 2014،العدد 05 ،الجزء الثاني، عدد خاص ،السنة، 2014.
- شنلوي يوسف،" **اللبن المدكوك في شرشال : التاريخ و المكونات و طرق الانجاز**" ندوة حول العمارة الطينية ببلاد المغرب بالمركز الثقافي، برنامج البحث الأثري بلامبيز- تازولت، وزارة الثقافة، المركز الوطني للبحث الوطني، الجزائر،2-3-4- جوان ،2015.
- شيخة جمعة ، " **المنشآت و التحصينات الاندلسية بالبلاد التونسية** " ،أعمال ندوة تاريخ التحصينات بالبلاد التونسية ايام 4 و 5 و 6 اكتوبر1999، ادارة العمل الاجتماعي و الإعلام و الثقافة،، تحقيق و انجاز دائرة الإعلام و الثقافة، وزارة الدفاع الوطني، الجمهورية التونسية، جويلية،2001.
- الطالبي محمد ،" **الهجرة الاندلسية الى افريقية ايام الحفصيين**"، مجلة الاصالة، العدد 26، وزارة التعليم الاصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر،1975.

- عباس فاؤة حمزة ، " المظاهر العسكرية في المدن الأندلسية"، مجلة أبحاث الكلية، العدد 1، المجلد 12،جامعة الموصل- العراق، 2012.
- عبد الصمد رقية و حميان مسعود،" **نماذج من تقنيات البناء الرومانية بالأبراج العسكرية بالجزائر- برج تامتنفوست بالجزائر، برج موسى ببجاية**"- آثار، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث و التراث يصدرها معهد الاثار، جامعة الجزائر، العدد 15، االجزائر،2016.
- عجلان عامر حسن احمد ،" **العمائر الحربية الاندلسية - القصاب انموذجا**-"، مجلة كان التاريخية، دورية عربية الكترونية عالمية محكمة ربع سنوية، متخصصة في البحوث و الدراسات التاريخية ،العدد 32،السنة التاسعة ، ،شعبان1437هـ/ يونيو 2016.
- غرب خالد محمد مصطفى ، " **تخطيط و عمارة المدن الاسلامية**"، من كتاب الامة ، ط1، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، مركز البحوث و الدراسات، السنة السابعة عشرة، العدد 58،الدوحة، قطر،ربيع الاول 1418هـ -1997.
- غزرودي نصيرة ، "**هجرة الأندلسيين السياسية إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7هـ/13م الى القرن 8هـ/14م**"، مجلة الموافق للبحوث في المجتمع و التاريخ، العدد 4، جامعة الأمير عبد القادر،قسنطينة،2009.
- عناد جويدة" **الحامية بمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية** " ،مجلة المتحف العدد 06،جانفي ،2018.
- فكاير عبد القادر ،" **دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571** "، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 09 ، جامعة خميس مليانة، 2014.
- قدور عبد المجيد، " **الهجرة الاندلسية الى المغرب الاسلامي و نتائجها الاجتماعية و الحضارية - الجزائر كنموذج**-"مجلة العلوم الانسانية ، العدد ، 20 ديسمبر 2003،جامعة منتوري قسنطينة ،الجزائر، 2003.
- لقويز العربي ،" **البناء بمادة الطين في العمارة التقليدية بمنطقة بوسعادة- الخصائص و التقنيات** "، مجلة الحقوق و العلوم الانسانية ، مجلة دولية تصدرها جامعة زيان عاشور بالجلفة، العدد السابع عشر، الجزائر،2014.

- محمودي ذهبية،" **الاوراج العسكرية لمنطقة البويرة- الجزائر**"، مجلة عصور ، مجلة فيصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي- مصادر و تراجم- جامعة وهران1- الجزائر-العدد 22-23، جولية- ديسمبر 2014.
- مربوش أحمد،" **جولة معمارية عبر تاريخ مدينة المدية** "مجلة فصلية تعنى بالعمارة الإسلامية، عدد خاص بالمدية، جانفي 2017.
- مرجاني عبد القادر، " **هجرات الأندلسيون الى الجزائر و مساهمته في مواجهة المد الايبيري في حوض البحر الابيض المتوسط خلال القرن السادس عشر**" مجلة القرطاس، العدد الحادي عشر، جانفي 2019.
- معزوز عبد الحق ،" **مدينة ميلة الإسلامية بين النصوص التاريخية والآثار المادية**" ،دراسات تراثية، العدد،02،مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر02،الجزائر،2008.
- إبراهيم نغلي، " **تاريخ مدينة مليانة من خلال الكتابات التاريخية** "، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية،ج/قسم العلوم الاجتماعية العدد 20- جوان 2018.
- هصام موسى،" **الدفاعات الحربية الحمادية – منشآت و فنيات القلعة و الناصرية (بجاية) أنموذجا**"، دراسات تراثية، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات و الابحاث في التاريخ و الاثار و الفنون، اعمال الملتقى الدولي – النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم الى نهاية العصر العثماني27/26 نوفمبر2014،العدد 05،الجزء الاول،السنة، 2014.
- حنيفي هلالي،" **الحضور الاندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية**"، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، د. عدد، د.ت، د. ترقيم
- هيلايلي حنيفي، "**التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني** "، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، العدد 24،دار الهدى للطباعة ،و.ن.و.ت، عين مليلة، ديسمبر2007.
- وزيري يحيى حسن ،"**العمارة الإسلامية الحربية وتأثيرها على العمارة المعاصرة**"، مجلة عالم البناء، تصدر عن جمعية إحياء التراث التخطيطي و المعماري، العدد 62 ، أكتوبر ، 1985.
- اليوزبكي توفيق سلطان ،" **الحضارة الاسلامية في الاندلس و اثرها في اوروبا** "، مجلة ثقافتنا للدراسات و البحوث، العدد 20،1431هـ/ 2010 .

الموسوعات و المعاجم :

- إدريس سهيل، المنهل، قاموس فرنسي–عربي، الطبعة الحادية و الأربعون،دار الآداب، بيروت، لبنان، 2010 .
- بهنسي عفيف ، معجم العمارة والفن، عربي – فرنسي، مكتبة لبنان،ناشرون،1995.
- تواس هزي،" **الحصن**" ترجمة، شكري حسن، دائرة المعرفة الإسلامية،ج،13،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986.
- جرجس جرجس، القاموس العملي الموسع، فرنسي– عربي، دار صبح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004.
- حساني مختار، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائري،ج4، دار الحكمة ، الجزائر،2007،
- دوري أحمد واخرون، الموسوعة العسكرية،ج1،ط1،المؤسسة العربية للطباعة و النشر، 1980.
- الموسوعة العسكرية، الجزء الاول، من أ الى ح، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، د.ت،
- رزق عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي ، 2000 القاهرة،2000.
- شاكر مصطفى ، موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها،ج2،ط1،دار العلم للملايين،1993.
- عيد يوسف، موسوعة الحضارة العربية، العمارة العربية،ج،09،دار كلمات للنشر، د.م،1989.
- غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، عربي– فرنسي– انجليزي، جروس برس، ط1،بيروت،1988.
- قاموس المنبع الكبير، فرنسي– عربي، دار الصبح، ط1، طبعة جديدة منقحة، 2007.
- نقاش نيكولا،"آجر"في دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن و مطلب،مج1، بيروت.
- نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس، ج3، دار الأمير للثقافة والعلوم بيروت، 1995.
- نوار سامي، الكامل في مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، 2002.

- موسوعة الحضارة الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1995.
- الموسوعة العسكرية، الجزء الاول، من أ الى ح، المؤسسات العربية للدراسات و النشر، بيروت ، لبنان، د.ت،
- المعاجم التكنولوجية التخصصية، معجم العمارة وإنشاء المباني، عربي مع التعاريف- انجليزي- فرنسي- ألماني، تقديم وتعريب عبد الجواد توفيق، مؤسسة الاهرام، القاهرة، دار النشر بلايبزج - Leipzig ،1976.
- قاجة جمعة احمد،موسوعة فن العمارة الاسلامية ،ط1،مطابع السفير التجارية، لبنان ، 2000.
- وجدي محمد فريد ، معارف القرن العشرين(الرابع عشر- العشرين)، المجلد 1، دار الفكر، بيروت.
- وزيري يحي، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية، مكتبة مدبولي،ج3، القاهرة، 1999.

ثالثا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

-
- Adam Jean- Pierre, La construction romaine, matériaux et techniques de construction, France, 3eme édition, Grand manuel ,Piccard France,1995.
- _____ L'Architecture Militaire Grecque ,Publié avec le concours du CNRS,Picard,Paris,1982.
- D'Alfonso Ernesto et Danilo Samso, L'Architecture , Les formes et les styles de l'antiquité a nos jours ,Ed Solar,Paris,2002.
- Basset Henri et Terrasse Henri, Sanctuaire et forteresse Almohades ,Collection Hesperis, 1932.
- Belhamissi Moulay, Marine et marins d'Alger 1518-1830,T02 , Bibliothèque Nationale d'Algérie,Algerie,1996.
- Ben hamouche Mustapha, Dar Es sultan, l'Algérois à l'époque ottomane,-Gestion urbaine et aménagement du territoire, Dar El Bassair, 1er éd, 2009.
- Benevolo Leonardo,.Histoire de la ville, Traduit de l'italien par Catherine Peyre, Parenthèse, Edition, 2004.
- Berbrugger Adrien, Les époques militaires Les époques militaires de la Grande Kabylie , Paris ,1857.

- Bourouiba Rachid , L'Architecture Militaire de L'Algérie médiévale, Office des Publications ,Algérie Deuxième partie,1983.

- _____, Apport de l'Algérie a l'Architecture Religieuse Arabo-Islamique, S.N.E.D, O.P.U, Alger, 1986 .

- _____, Les Hammadies, Entreprise Nationale du Livre,Alger,1984.

- Boutin (Chef Commandant 1808), Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger, suivi des mémoires sur Alger par le consuls de Kerey 1791,Libraire ancienne Honore champion,Ed G Esquer, Paris, 1927.

- Cagnat (R),Carthage, Timgad, Tébessa et les ville antiques, de l'Afrique du Nord, Paris, Ernest le Roux , 1891 .

- Chargui Samia, Les Mosquées d'Alger ,Construire, gérer et conserver,(XVI-XIX)PUPS,Paris,2011.

- Choisy August ,Vitruve ,Tom 2,Textes et traditions, Livres I- VI ,Paris, Imprimerie Lahure, MDCCCCIX ,p,p,40-50.

- _____, L'art de bâtir chez les romains, Paris, Ducher, 1873.

- _____,Vitruve,Tome I,Analyse,Paris, Imprimerie –Librairie **LAHURE ,MDCCCIX**.

- _____, Histoire de l'Architecture ,Tom 1-2,Gauthier –Villars, Imprimeur – Libraire, Paris,1899.

- _____, L'art de bâtir chez les romains, Paris, Ducher ,1873.
- _____ ,L'Art de bâtir chez les Romains ,chapitre - Béton Hydraulique- , Paris,

Librairie Générale de l'Architecture et des Travaux Publiques, Ducher et CIE Editeur ,MDCCCLXXIII.

- _____, Vitruve Tome II, 1er Partie, Analyse, Paris, F . De Noele, 1971.

- Clausolles P.M, L'Algérie pittoresque, histoire de la régence d'Alger, depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, Paris, 1843.

- Colin Gabriel, Corpus des inscriptions arabes et turques de L'Algérie, Ernest Leroux Paris, France, 1901.

- Dan Pierre, Histoire de la barbarie et de ses corsaires des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé, de Tripoli, deuxième édition, T2, Paris, 1649.

- D'Aranda Emmanuel, "Relation de la captivité et de liberté" du sieur D'Aranda, jadis esclave à Alger, Bruxelles.

- Daoulatli abd el Aziz , La Kasbah Tunis,1965.

- De Grammont (H.D) Histoire d'Alger sous la domination Turque 1515-1830,Paris,1887.

- De Rochas D'Alglun A , Principes De la Fortification Antique- Précis des connaissances Techniques nécessaires aux Archéologues pour explorer les ruines des anciennes Forteresses, Librairie de L'Architecture et des ars industriels, Eugene Bigot,Paris,1881 .

- Delvert Charles, Port d'Alger, Duned, Paris, 1923.

- Devoulx Albert, Alger (manuscrit), B N, Alger,1865.

- _____, Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence, Alger, 1852.

- _____, Histoire d'une cité d'Icosium à Alger, Edition critique par Benhamouche Mustapha et Badradine Belkadi,ENAG,EditionAlger.

- Diehl Charles, L'Afrique Byzantine –Histoire de la domination Byzantine en Afrique (533-709),Paris, Ernest Leroux ,Editeur,1896.

- El Bekri, Description de l'Afrique Septentrionale, Traduite par Mac-Guckin ,DE SLANE, Paris, Imprimerie, Imperiale,1965.

- Froidevaux Yves- Marie, Techniques de L'Architecture Ancienne- Construction et Restauration, Quatrième Edition,MARDAGA,Paris,1986.

- Gaid Mouloud, L'Algérie sous les turcs, Ed Mimouni, Alger, 1975.

- Golvin Lucien, Le Maghreb central à l'époque des Zeride,Art et métier graphique,Paris,1957.
- Gsell Stéphane, Atlas Archéologique de l'Algerie,2eme Edition ,Alger,1977,Feuille XIII,N° 70.

- _____, Atlas archéologique de l'Algérie, Paris, 1911.

- _____, Les monuments antiques de l'Algérie, ouvrage publié sous les auspices du gouvernement général de l'Algérie,T1et 2,ancienne librairie Thorin et fils, Albert Fontemoing, éditeur , 1901.

- _____, Cherchell antique, Iol Césarea, Paris, 1952.

- Guauchain George, Edition de l'imprimerie Algérienne, Alger, 1909.

- Haedo Fray Diego de, Histoire des Rois d'Alger ,Abbé de Fromesta (Epitome de los Reyes de Argel–Valladolid,1612), Traduite et annotée par H- D , De Grammont, Adolph Jourdan ,Libraire –Editeur ,Alger,1881.

- _____, Histoire des Rois d'Alger,Tr, De Grammont,Alger, Jourdan ,1881.
- _____,Topographie et histoire générale d'Alger, Traduit de l'espagnol par Dr. Monnereau et A. Berbrugger ,1870.
- Hallmann Marie-Christine, l'Architecture Grecque , les principes de la construction, Edition, Picard,2002.
- J.M.H.B ,Itinéraire de Royaume d'Alger, L.Laurent ,Lib,Editeur sur le port ,Toulon, 1830.
- Jules Duval , L'Algérie, Paris, France, 1869.
- Julien Charles André, Histoire de L'Afrique du Nord des Origines a 1830,Ed Rayot et Rivages,Paris,1994.
- Kaddache Mahfoud, L'Algérie durant la période ottomane, O.P.U, 2002.
- Klein Henri, Feuillets d'El Djezair, Ed Chaix, Fontana, Alger, 1937.
- _____, Le vieil Alger et sa banlieue, 3éme volume, Jourdan, Alger, 1912.
- Le Tourneau Roger, Les villes musulmanes de l'Afrique du Nord, Alger, 1957.
- Lantri ElFoul Miliana la mémoire, Ed, Casbah, Alger, S.D.
- Lespes René, Alger, Etude de géographie et d'histoire urbaine, Paris, 1930.
- Marcais George, Manuel d'art musulman, T1 du IX AU XII siècle, Paris, 1962.
- _____, L'architecture musulmane d'occident, Tunisie-Algerie-Maroc-Espagne- Sicile, arts et métiers graphiques, Paris, 1954.
- Mercier Ernest, Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berberie),depuis les Temps les plus recules jusqu'à la conquête Française, Tom Troisième, ,Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1891.
- Missoum Sakina, Alger à l'époque ottomane – La médina et la maison traditionnelle, Ed Inas, Alger, 2003.
- OTTH Adolph, Esquisses Africaines, dessinées pendant un voyage à Alger et lithographiées par Adolph Otth, Ed, J.F Wagner, Berne, 1838 – 1839, B.N, Alger.
- Pasquali Eugène, l'Alimentation en eau potable, de l'époque romaine à nos jours ,doc dactylographie,1951.
- Péllissier Eugene ,Annales Algériennes, T.01, Paris, France, 1836.
- Peyssonnel et Desfontaines, Voyage dans la régence de Tunis et d'Alger,Tom1,Librairie de Gide ,Paris, 1838.

- Peyssonel J-A,Voyage dans la régence de Tunis et d'Alger , Ed ,la découverte , Paris, 1987.
- Piesse Louis, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie comprenant le Tell et le Sahara, Paris, 1862.
- Porcel (A), Il était une fois Koléa.
- Revault Jaques, L'Habitation Tunisoise, Pierre ,Marbre, et Fer dans la construction et le décor , Edition du Centre Nationale de la Recherche Scientifique ,paris,1978.
- Ricard Pierre, pour comprendre l'art musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne ,Ed Hachette, Paris,1924.
- Robin Le Colonel, Historique sur la Kabylie, Adolphe Jourdan, Alger, 1905.
- Rozet Claude Antoine, Voyage dans les régences d'Alger ou description du pays occupé par l'armé français en Afrique, T2-T3, Paris,1833.
- _____,Voyage dans la régence d'Alger, TIII, éd Arthur Bertrand, Paris, 1833.
- Rozet et Carette , Algérie, Paris,France,1850.
- Dr Reuss Louis- Jean- Max, A Travers L'Algérie, Librairie Générale de Vulgarisation ,Paris, 1884.
- Saidouni Nacerdine, L'Algerois rural à la fin de l'époque ottomane,(1791-1830),Ed Dar El Guarb El Islam,Beyourt,2000.
- Shaler Willliam, Esquisse de l'état d'Alger, Paris, 1830.
- Shaw Thomas, voyage dans La régence d'Alger, trad, I.M Carthy, 2éme ed, Bouslama, Tunis, 1980.
- Tardieu E et A.Coussin Fils , les dix livres de l'Architecture de Vitruve, avec les notes de Perrault.
- Tassy de Laugier, Histoire du Royaume d'Alger ,Paris, Ed, Loysel ,1992.
- Venture Jean- Michel De, Tunis et Alger au XVIIIe siècle, Sindbad, Paris, 1983.
- Vitruve ,Les dix livres d'Architecture avec les notes de Perrault ,Nouvelle Edition, Paris,1837.

الرسائل الجامعية باللغة الأجنبية:

- Boukratem Oumelkheir, Pour une Méthodologie dans la revalorisation de l'Habitat ancien entre la préservation du Patrimoine et la production de l'Habitat, Cas de la

ville de Miliana, Mémoire de Magister en Architecture et environnement, Ecole Supérieure d'Architecture – ENSA-Alger, 2010.

- Selka Mohamed Chiheb, Etat du patrimoine défensif à Tlemcen, entre valorisation et usage. Cas de Bâb El Quarmadine, Université Abou Bakr Belkaid, Faculté de Technologie, Département d'Architecture,- Tlemcen-, 2015.
- Kouri Yasine, Les Caractéristiques Architecturales et le Système constructif du Blockhaus de Koléa, Mémoire de Magister en Patrimoine Architecturale et Urbain, Ecole Polytechnique d'Architecture et d'Urbanisme, Alger,2014.

المجلات و الدوريات باللغة الأجنبية:

- Basset René, Etude sur la Zenâta de l'Ouarsenis et du Maghreb, Central, Paris ,1895.
- Berbrugger Adrien « **Le fort de Cherchell** » in Rev-Afr,1865.
- _____ , «**Auzia** », in Rev- Afr, N 63, 1867, P, 249.
- Bloch André Eugène, Etude sur le non de Miliana, Bulletin d'Archéologie Algérienne, T VI, 1957-1976, Société Nationale d'Edition et de Diffusion , Alger,1980.
- Chabbi Chemrouk Menaouer Ouassila,« Réhabilitation de l'Architecture Mineure a Miliana » ,in revue Villes en parallèles, N°36-37,2003.
- Le Dr Camille Rique, « Milianah » ,Paris ,Ve Benjamin Duprat.
- Caratini R ,Techniques de Construction et Métiers , in encyclopédie , Bordas , 23 Volumes ,Paris, Bruxelles Montreal,1975.
- Chennaoui Youcef,« **Le Matériau Pisé a Cherchell (Algérie),Un autre Type d'Architecture en terre , Nature et Filiation,** » Medeterra, Thème 4, 2009.
- _____, « **La Construction Ancienne de Cherchell** »,in Rev- vie des villes ,E.P.A.U, N°06, Décembre,2006.
- Djelloul Neji," **Eau et Fortifications au Maghreb au Moyen Age**", Colloque International université de Tunis Tunisie, Novembre 2007.
- Devoulx Albert « **Alger Etude archéologique et Topographique** » ,in Rev Afr, 1875.
- _____, « **Alger, étude archéologique sur cette ville aux époques romaines (Icosium), arabe (El Djezair Beni Mezrenna) et turque (El Djezair)** » in rev afr, 1875, 1876,1878.
- _____ , «**La marine de la Régence D'Alger** », in Rev- afr, n°77, année 1969.
- _____, « **Les édifices religieux de l'ancien Alger** » in Rev-Afr, n° 67, Alger , 1868.
- Haedo Fray Diego, « **Topographie et histoire générale d'Alger, traduit par monnereau et Berbrugger** » in rev afr, n°1 4 et n°15, année, 1870.
- _____, « **Histoire des rois d'Alger** », in rev afr, 22éme année 1880.

- Le Brun Aquilas,«**Miliana**»,in Rev -Afr,N°8,1964,Office Public Universitaire ,Alger , 1985.
- M.M De Caussade et Adrian Berbrugger, « **Milianah** », in , Rev-Af ,N°09/ N°49Annee 1865.
- Messikh Bensalama Safia, « **Architecture militaire et typologie defensives d'Alger entre le XVIeme et XIXeme siecle** »,
- Krimi Hager,« **L'Architecture Militaire Romaine Dans Le Système Défensif Du Limes Tripolitanus Occidental (Sud De La Tunisie)** » ,In Revue de études militaires anciennes ,N°4,2007.
- Rinn Louis, « **Le Royaume d'Alger sous le Dernier Dey** »,IN Rev-Afr,N°,224,Année 1897.

قائمة التقارير باللغة العربية و الأجنبية:

- أرشيف حصن 23، شوشال العلبة01+ 02 الخاصة بالمعالم و المواقع، العلبة 1، 2، ملف برج الانابود.
- علي خلاصي، تقرير لمشروع ترميم قصبة الجزائر وقصر الداي، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم الأثرية، أرشيف حصن 23، تيبازة من 14 إلى 29 فيفري1988.
- ورشة الأبعاد الثلاثة ورشة الهندسة المعمارية و التراث، دراسة حفظ و تهيئة المعلم التاريخي لبرج المراقبة بالمصلى.

- Atelier de conservation des monuments historique **PKZ**, citadelle d'Alger, Etude de canalisations, Varsovie, Dec 1980.
- Adam Paul, et Al , Etude commandé par le ministère de l'information et de la culture, Expertise détaillé de structure sous l'aspect de conservation,1980,S P.
- Expertise des travaux de protection provisoire et des travaux de restauration de la citadelle d'Alger, Mission Icomos du 28 février au 9 mars 1985 à Alger (Algérie).
- Anonyme, citadelle d'Alger, Document ministère de l'Information et de la culture, agence nationale d'Archéologie et de la protection des sites et des monuments historiques, S.L, S.D.
- Evaluation des travaux de restauration, les architectes de l'A .N.A.P.M.S.M.H, Citadelle d'Alger, Ministère de la culture, 2006 .
- **Le Journal Moniteur Algérien (M A)**
- N°646 du 23 décembre –11 Janvier 1841-1842.
- N°463, 14 décembre 1841.
- N°463, 14Dec 1840-1849.
- Ministère de la guerre, Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie, Paris, Imprimerie Impériale MDCCC LIII.
- Tableau de la Situation, T 1840.

منشورات على مواقع الانترنيت :

DOI: https://dx.doi.org/10.4995/FORTMED2020.2020.11467

Benselama –Messikh Safia, « **Architecture militaire et typologies défensives d'Alger entre le XVIème et le XIXème siècle** » Defensive Architecture of the Mediterranean / Vol XI / Navarro Palazón, García-Pulido (eds.)
© 2020: UGR | UPV | PAG

الفهارس

فهرس الوثائق

الارشيفية

فهرس الوثائق الارشيفية

الرقم	العنوان	الصفحة
	ملحق المــخـطـوطــات	680
الوثيقة (01)	رسالة من مسلمي غرناطة إلى سليمان القانوني سنة 948هـ/1541م	681
الوثيقة (02)	رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول	682
المخطوط (03)	شركة الأندلس- سلسلة بيت البايلك	683
المخطوط (04)	بيان ماء حاما	684

فهرس الخرائط

الرقم	العنوان	الصفحة

	مـلحق الخرائــط	**685**
الخريطة (1)	**الهجرة الأندلسية إلى الجزائر**	**686**
الخريطة (2)	**التقسيم الإداري للجزائر في العهد العثماني**	**-**
الخريطة (3)	**دار السلطان**	**687**
الخريطة (4)	**بايلك التيطري**	**688**
الخريطة (5)	**بايلك الغرب**	**689**
الخريطة (6)	**بايلك الشرق**	**690**
الخريطة (07)	**بلاد المغرب عن معالم تاريخ المغرب و الاندلس**	**691**
الخريطة (08)	**الأندلس والممالك النصرانية الإسبانية في القرن 8هـ/13م**	**-**
الخريطة (09)	**مواطن الهجرات الأندلسية**	**692**
الخريطة (10)	**اماكن تواجد الاندلسيون بتونس**	**-**
الخريطة (11)	**طرق المواصلات في الهجرات الأندلسية**	**693**
الخريطة (12)	**اماكن تمركز الأندلسيين في مدينة الجزائر**	**-**
الخريطة (13)	**تلمسان في العهد الزياني**	**694**
الخريطة (14)	**موقع مدينتي شرشال وبرشك**	**695**
الخريطة (15)	**موقع مدينة مليانة**	**696**
الخريطة (16)	**موقع مدينة شرشال**	**697**
الخريطة (17)	**الاتجاهات المؤدية الى مدينة مليانة**	**698**
الخريطة (18)	**ابواب و مداخل مليانة في العهد الروماني**	**-**
الخريطة (19)	**مداخل و ابواب مدينة مليانة في العهد العثماني**	**699**
الخريطة (20)	**اسوار مليانة في العهد العثماني و الفرنسي**	**700**
الخريطة (21)	**أسوار مليانة و ابراجها المتبقية حاليا**	**701**
الخريطة (22)	**موقع البرج في مدينة القليعة**	**702**
الخريطة (23)	**موقع مدينة القليعة**	**703**
الخريطة (24)	**موقع برج المصلى**	**704**

فهرس المخططات

فهرس المخططات

الرقم	العنوان	الصفحة
	مـلحق المخـطـطـات	705
المخطط (01)	رسم تخطيطي لبعض الاستحكامات الدفاعية بالقصبة العليا بمدينة	706
المخطط (02)	اسوار و ابواب مدينة مليانة	707
المخطط (03)	رسم تخطيطي لتطور مدينة مليانة من بداية الفترة العثمانية الى الاحتلال الفرنسي	-
المخطط (04)	رسم تخطيطي لبرج الانابود بشرشال	708
المخطط (05)	مخطط الطابق الارضي لبرج الأنابود بشرشال	709
المخطط (06)	مخطط الطابق الاول لبرج الأنابود بشرشال	-
المخطط (07)	مخطط الطابق الثاني لبرج الأنابود بشرشال	-
المخطط (08)	مخطط مساحي لمدينة القليعة سنة 1870	710
المخطط (09- أ)	مخطط الطابق الارضي للبرج القليعة	711
المخطط (09)	مخطط الطابق الارضي لبرج القليعة	712
المخطط (10)	مخطط الطابق الأول لبرج القليعة	713
المخطط (11)	مخطط الطابق الثاني لبرج القليعة	714
المخطط (12)	رسم تخطيطي لبرج المصلى بالمدية	715
المخطط (13)	الطابق الارضي لبرج المصلى - E002-	716
المخطط (14)	مظهر برج المصلى الخارجي و ما يحيط به بعد الترميم	717

فهرس الاشكال

فهرس الأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
	ملحق الاشكال	718
الشكل (1)	أنماط مختلفة لخطوط دفاعية في المجتمعات البدائية	719
الشكل (2)	مقطع شمال جنوب لبرج الانابود (شرشال)	720
الشكل (3)	مقطع طولي لبرج الانابود	721
الشكل (4)	مقطع للواجهة الشرقية لبرج القليعة	722
الشكل (5)	مقطع للواجهة الشمالية لبرج القليعة	723
الشكل (6)	مقطع للواجهة الجنوبية لبرج القليعة	724
الشكل (6-أ)	المقطع أ – أ لبرج القليعة	725
الشكل(07)	رسم تخطيطي للواجهة الشمالية لبرج القليعة	726
الشكل (08)	كتلة حجرية تتوسط برج المصلى	727
الشكل (09)	ادوات البناء	728
الشكل (10)	ورشات عمل	729
الشكل(11)	مراحل استخدام الحجارة في البناء	730
الشكل(11)	نموذج من سور حجري	731

فهرس الجداول

فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
	ملحق الجداول	732
الجدول (01)	تصنيف اسوار مليانة	733
الجدول (02)	تصنيف برج القليعة	734
الجدول (03)	تصنيف برج المصلى	735

فهرس الصور

فهرس الصور

الرقم	العنوان	الصفحة
	ملحق الصور	736
الصورة (1)	إعادة تصوير لصورة قديمة تمثل مدينة الجزائر في القرن 16م	737
الصورة (2)	بقايا سور المدينة بالجية الغربية من الداخل عن مفتاح عثمان	–
الصورة (3)	تهجير الأندلسيين من ميناء دانية	738
الصورة (4)	ناعورة بالحامة	–
الصورة (5)	قناة صرف المياه	739
الصورة (6)	بقايا عوارض حديدية لسقف برج الأنابود العلوي	740
الصورة (7)	فتحة تطل على الطابق التحت ارضي آثار موضع سلم البرج	741
الصورة (8)	ساكف يعلو مدخل برج القليعة	742
الصورة (9)	سلم برج القليعة الخارجي	743
الصورة (10)	اثار لسلم المؤدي الى الطابق العلوي لبرج القليعة	744
الصورة (11)	بطارية الأندلسيين	745

فهرس اللوحات

فهرس اللوحات

الرقم	العنوان	الصفحة
	ملحق اللوحات	746
اللوحة (1)	التحصينات الاغريقية	747
اللوحة (2)	التحصينات الرومانية	748
اللوحة (3)	نماذج من تحصينات مصر القديمة	749
اللوحة (4)	التحصينات الدفاعية البابلية	750
اللوحة (5)	تحصينات مدينة قرطاج القديمة	751
اللوحة (6)	نماذج من المدن الجزائرية في العهد الروماني	752
اللوحة (7)	التحصينات الدفاعية بالمدن الجزائرية في الفترة البيزنطية	753
اللوحة (8)	أنماط العمارة الدفاعية البيزنطية بشمال افريقيا	754
اللوحة (9)	الرباطات الاسلامية	755
اللوحة (10)	نماذج من التحصينات الدفاعية بالمشرق العربي	756
اللوحة (11)	نماذج من التحصينات الدفاعية بالمغرب و الاندلس	757
اللوحة (12)	نماذج من التحصينات الدفاعية المرابطية – الموحدية –الزيرية	758
اللوحة (13)	نماذج من التحصينات الدفاعية الزيانية – الحفصية – المرينية بالمدن الاسلامية	759
اللوحة(14)	تحصينات مدينة الجزائر في العهد العثماني	760
اللوحة(15)	ابواب مدينة الجزائر في العهد العثماني	761
اللوحة(16)	تحصينات ميناء الجزائر	762
اللوحة(17)	التحصينات الدفاعية لدار السلطان	763
اللوحة(18)	التحصينات الدفاعية لبيلك الشرق	764
اللوحة(19)	التحصينات الدفاعية لبيلك الغرب	765
اللوحة(20)	نماذج من التجهيزات المائية بمدينة الجزائر في العهد العثماني	766
اللوحة(21)	مليانة عبر المراحل التاريخية	767
اللوحة(22)	مكان قصبة مليانة العثمانية	768
اللوحة(23)	نماذج من مزاغل سور مليانة	769
اللوحة(24)	نموذج من ابراج سور مليانة	770
اللوحة(25)	موضع برج الانابود و مظهره الخارجي	771
اللوحة(26)	واجهات برج الانابود	772
اللوحة(27)	الواجهة الشمالية (الرئيسية) لبرج الأنابود	773

اللوحة (28)	المدخل الرئيسي لبرج الانابود	774
اللوحة (29)	الواجهة الجنوبية لبرج الانابود	775
اللوحة (30)	الواجهة الشرقية لبرج الانابود	776
اللوحة (31)	الواجهة الغربية لبرج الانابود	777
اللوحة (32)	نتوؤات لجدران لوحدات برج الانابود	778
اللوحة(33)	الفراغل بواجهات برج من داخل و خارج برج الانابود	779
اللوحة(34)	تسقيف برج الانابود من الداخل	780
اللوحة (35)	حلقات اسطوانية على جدران برج الانابود من الداخل	781
اللوحة (36)	موقع برج القليعة	782
اللوحة (37)	واجهات برج القليعة	783
اللوحة (38)	الفتحات ببرج القليعة	784
اللوحة(39)	الواجهة الجنوبية لبرج القليعة	785
اللوحة(40)	الواجهة الشرقية لبرج القليعة	786
اللوحة(41)	الواجهة الغربية(الرئيسية) لبرج القليعة	787
اللوحة(42)	الواجهة الشمالية لبرج القليعة	788
اللوحة(43)	عنصر السقاطات ببرج القليعة	789
اللوحة(44)	سقف برج القليعة	790
اللوحة(45)	المدخل الرئيسي لبرج القليعة	791
اللوحة(46)	باب المدخل الرئيسي لبرج القليعة	792
اللوحة(47)	الطابق الارضي للبرج	793
اللوحة(48)	الطابق الاول لبرج القليعة	794
اللوحة(49)	تقنية انحراف زوايا برج القليعة	795
اللوحة(50)	نماذج من الفراغل برج القليعة	796
اللوحة(51)	المظهر الخارجي لبرج المصلى	797
اللوحة(52)	السياج الحديد ي لبرج المصلى	798
اللوحة(53)	واجهات برج المصلى	799
اللوحة(54)	المدخل الرئيسي لبرج المصلى	800
اللوحة(55)	المدخل الثانوي من الناحية الخارجية لبرج المصلى	801
اللوحة(56)	الواجهة الجنوبية لبرج المصلى	802

اللوحة(57)	الواجهة الشمالية لبرج المصلى	803
اللوحة(58)	نماذج من فتحات تعلو برج المصلى	804
اللوحة(59)	تغطية برج المصلى من الخارج	805
اللوحة(60)	أساكف تعلو مدخلي برج المصلى و نوافذه	806
اللوحة(61)	القطعة الحجرية التي تتوسط البرج	807
اللوحة(62)	فتحات مغلقة بمواد بناء ببرج المصلى من الداخل	808
اللوحة(63)	تسقيف برج المصلى من الداخل	809
اللوحة(64)	نماذج من اسوار و ابراجها المتبقية	810
اللوحة(65)	نماذج من العقود بأماكن الابراج المدروسة	811
اللوحة(66)	نماذج من الفتحات بالأبراج المدروسة	812
اللوحة(67)	نماذج من الحجارة المستخدمة بالنماذج المدروسة	813
اللوحة(68)	أماكن تواجد الآجر بالنماذج المدروسة	814
اللوحة(69)	أماكن تواجد الملاط بالنماذج المدروسة	815
اللوحة(70)	تقنية البناء المنتظمة بأحد اجزاء سور مليانة	816
اللوحة(71)	تقنية البناء الغير المنتظمة بأحد جدران سور مليانة	817
اللوحة(72)	تقنية البناء بصفوف من الأجر بالنماذج المدروسة	818
اللوحة(73)	التقنية المركبة بالتناوب بجدران النماذج المدروسة	819
اللوحة (74)	تقنية البناء بالدبش بالنماذج المدروسة	820

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الرقم الصفحة

مقدمة ..... أ- ر

فصل تمهيدي : تاريخ العمارة الدفاعية: 17-50

مدخل تاريخي الى العمارة الدفاعية.....18-23

العمارة الدفاعية في الجزائر في الفترة القديمة: 24- 31

العمارة الدفاعية في الجزائر في الفترة الاسلامية:.....31-50

الفصل الأول : تاريخ الدولة الجزائرية في العهد العثماني : 51- 113

أولا: الدخول العثماني الى الجزائر: 52-61

نظام الحكم 61-75

نظام ادارة البياليك في الجزائر في العهد العثماني 75-84

ثانيا: الصراع الاجنبي على السواحل الجزائية:.....84-90

ثالثا: النظام العسكري:.....90-113

الفصل الثاني :العمارة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني:114-231

أولا: التحصينات الدفاعية لبياليك الجزائر.....115-224

-الاستحكامات الدفاعية لدار السلطان و ما حولها.....120-271

1-.....الاستحكامات العسكرية لمدينة الجزائر.....120-176

2-.....التحصينات الشرقية لدار السلطان.....176-191

-الاستحكامات الدفاعية لبيلك الشرق و الطرق السلطانية 191-288

1-..... تحصينات بيلك الشرق.....192–281

2-..... اواج الطرق السلطانية.....202–208

–·الاستحكامات الدفاعية لبيلك الغرب.....208–221

–·التحصينات الدفاعية لبيلك التيطري.....221–224

ثانيا: اسس ومزات العمارة العثمانية الدفاعية في الجزائر في العهد العثماني.....224–231

الفصل الثالث: الأندلسيون في الجزائر خلال العهد العثماني 232–372

أولا : الهجرات الاندلسية 233–320

–·اسباب الهجرات الاندلسية.....242–253

–·مراحل الهجرات الاندلسية.....254–257

–·اقاليم و مواطن الهجرات الأندلسية.....258–320

1-..... هجرات الاندلسيين الى المغرب الأدنى.....258–271

2-.....هجرات الاندلسيين الى المغرب الاقصى.....271–276

3-.....هجرات الاندلسيين الى المغرب الاوسط.....276–320

ثانيا: آثار الأندلسيين وأماكن استقرار هم بالجزائر.....321–372

1-..... اماكن استقرار الجالية الأندلسية في الجزائر.....321–344

2-.....النشاط الحضري الأندلسي في الجزائر.....344–372

الفصل الرابع : العمارة العسكرية من خلال مصطلحاتها و تاريخها 373-449

أولا: المصطلحات المتعلقة بالتحصينات الدفاعية.....375-426

ثانيا: المصطلحات المتعلقة بالعناصر الدفاعية:.....426-449

الفصل الخامس: الدراسة الوصفية 450-519

أولا: أسوار مليانة.....451-482

ثانيا: برج الانابود بشرشال.....482-495

ثالثا: برج القليعة.....495-509

رابعا: برج المصلى بالمدية.....509-519

الدراسة التحليلية 520-672

أولا: الاستحكامات العسكرية..... 522-607

1-.....دراسة المخططات المعمارية.....543-594

2-.....دراسة العناصر المعمارية.....594-607

ثانيا: مواد و تقنيات البناء.....615-656

ثالثا: التأثير العثماني و المساهمة الأندلسية للنماذج المدروسة.....657-672

الخاتمة 673-679

الملاحق 680-821

ملحق الوثائق الأرشيفية 680-684

ملحق الخرائط.....685-704

ملحق المخططات 705–717

ملحق الأشكال 718–731

ملحق الجداول.....732–735

ملحق الصور.....736–745

ملحق اللوحات.....746–820

قائمة المصادر و المراجع.....821–866

الفهارس 867–888

فهرس الوثائق الأرشيفية.....867–869

فهرس الخرائط.....870–871

فهرس المخططات.....872–873

فهرس الأشكال.....874–875

فهرس الجداول.....876–877

فهرس الصور 878–879

فهرس اللوحات.....880–883

فهرس المحتويات 884–888